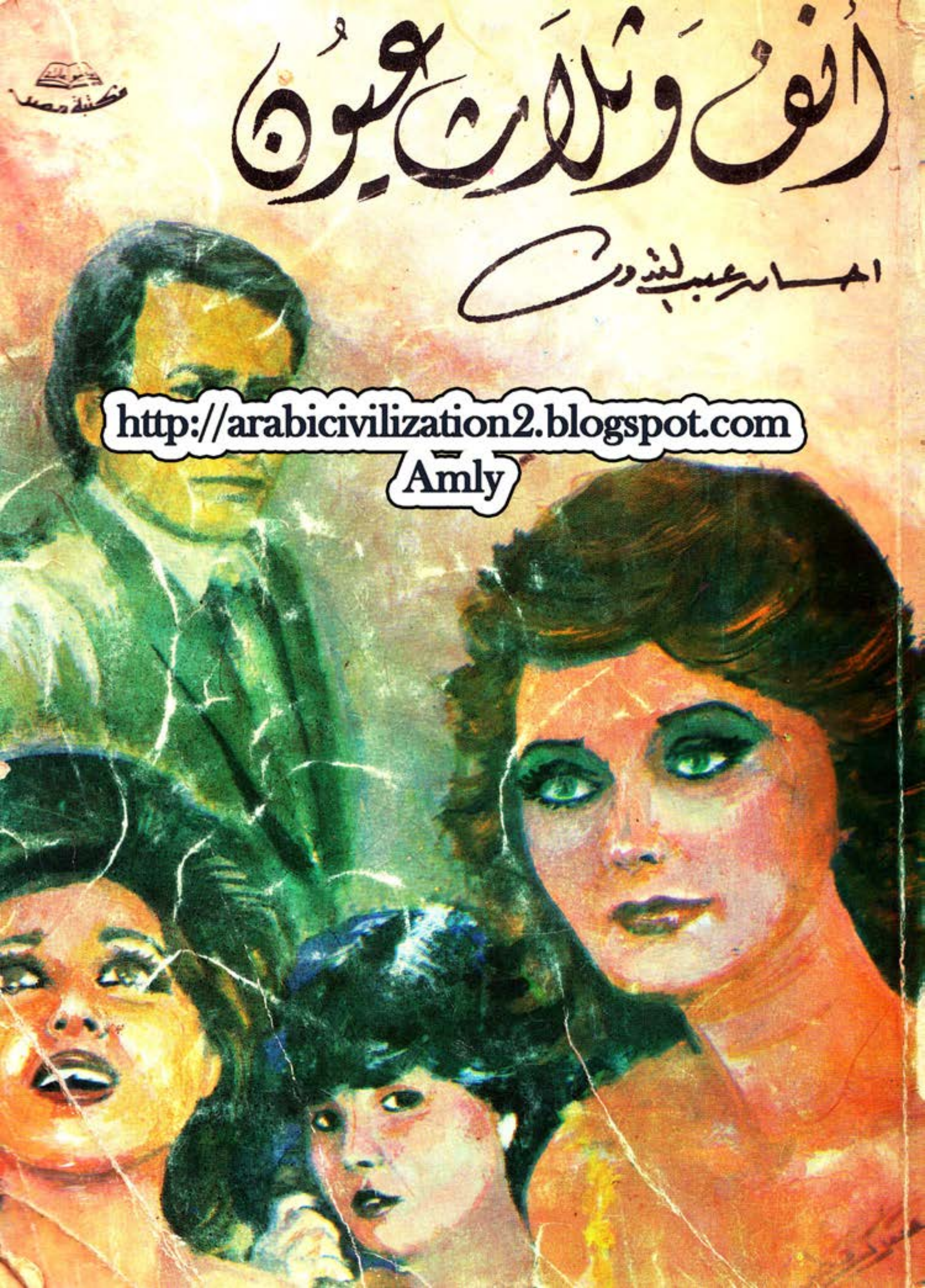

http://arabicivilization2.blogspot.com
Amly

أنف وثلاث عيون

إحسان عبد القدوس

أنف وثلاث عيون

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الفجالة"

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

http://arabicivilization2.blogspot.com
Amly

العـــــين الأولى

- ١ -

لا ... ليس هناك شيء اسمه : الحب .

انى أضحك على البنات العبيطات اللاتى يهمن وراء تأوهات عبد الوهاب ، ونحيب عبد الحليم حافظ ، ويسكبن صباهن بين سطور القصص والأفلام العاطفية .. ثم يعلقن أوهامهن فوق أول شاب يلتقين به ، ويمزقن قلوبهن بأظافرهن ، ويصرخن : لقد وقعنا فى الحب ..

لا يا بنات ..

لا يا واهمات ..

ليس هناك شيء اسمه : الحب ..

صدقونى ...

انى أعرف ... انى خبيرة .. انى صاحبة تجربة كبيرة : مريرة ..

ان ما يسمى حبا ليس .. ليس الا ... ماذا أقول .. انه .. انه مجرد تعود .. نعم ، مجرد تعود .. تتعودين على رجل ، وتتأصل فيك العادة ، حتى تظنين أنها الحب .. أو تسمينها حبا .. تماما كما نقول ان هذا الرجل يحب الويسكى . هل يعقل ان يقع رجل فى حب الويسكى .. ولكننا نستعمل كلمة « الحب » بالنسبة للويسكى ، كما نستعملها بالنسبة للعلاقات الانسانية ... لأن العنصر الأساسى الذى تقوم علية العلاقة التى تجمع بين الرجل والويسكى ، هو نفس العنصر الذى تقوم عليه العلاقة

التى تجمع بين الرجل والمرأة .. وهو العادة .. التعـود .. وعندما نقول ان فلانا يحب الويسكى . انما نقصد أن فلانا تعود على الويسكى .. وعندما نقول أن فلانة تحب فلانا ، انما نقصد أن فلانة تعودت على فلان ..

اذن ! لو كان هذا الكلام صحيحا ، فلماذا احبت فلانة هذا الرجل بالذات ، ولم تحب غيره .. أو على الأصح .. لماذا تعودت فلانة على هذا الرجل بالذات ، ولم تتعود على غيره ؟

مسألة أذواق ...

ان هناك رجلا يتعود على الويسـكى ، وآخر يتعود على الكونياك ، وثالثا يتعود على النبيذ .. و .. و .. وكذلك البنات .. بنت يعجبها الشاب الأسمر .. وبنت يعجبها الشاب الأشقر .. وبنت يعجبها الشـاب الضـخم .. واخرى يعجبها الشـاب النحيل .. و .. و ..

ورغم ذلك فليس هناك بنت بدأت حياتها العاطفية بشـاب واحد .. انها تبدأ دائما بتقليب عينيها بين الشبان ، كمـا تقلبهما بين صفحات مجلة الأزياء .. ويعجبهـا اكثر من ثوب .. عشرة أزياء .. عشرون زيا .. ويعجبها أيضا أكثر من شاب .. عشرة شبان .. عشرون شابا .. وتطل فى كل منهم وتتمنى أن تلمسه ، وتتمنى أن تسمع صوته فى التليفون ، وتنظر الى شفتيه وتتمنى أن تذوق طعمهما بشـفتيها .. وقـد تذوق طعم كل الشـفاه أو بعضها .. الى أن تقف عند الشفتين اللتين ساعدتها الظروف على ان تتعود عليهما ..

ليس هناك فارق بين قبلة شاب من الشبان العشرة الذين اعجبت بهم ، واخـرى .. نفس المذاق .. ونفس ارتعاشـة الشفتين ... ونفس الريق الذى نشربه فى صمت وعيوننا مغلقة

.. ولكن هناك فارقا بين قبلة تعودت عليها ؛ وقبلة لم أتعود عليها .. ولو تعودت على قبلة اى واحد من العشرة الذين تمنيتهم لأسميت هذا التعود حبا .. كما أسميت تعودى على هاشم حبا ..

لا يمكن أن يكون ما كان بينى وبين هاشم اكثر من هذا .. مجرد تعود ..

لم احبه .. لا يمكن ان يكون هذا حبا . .لا اريد ان يقال انى احببته .. انى اجن كلما سمعت من يقول انى احببته .. فقط تعودت عليه .. وكل هذا العذاب لأنى تعودت عليه .. والتعود له أحكام قاسية .. انه يسيطر عليك .. يخضعك .. يذلك .. يمحو شخصيتك .. ان الرجل الذى تعود على الويسكى قد يجن اذا حرم من الويسكى .. يحطم كل ما حوله .. ثم يحطم نفسه ... ينتحر ... وقد حدث كل هذا لى لأنى تعودت على هاشم ..

كيف سمحت لنفسى ان اتعود عليه وهو مر .. فظيع .. وكنت اعلم منذ اليوم الأول انه مر وفظيع ..

لا ادرى ..

ان الويسكى ايضا طعمه مر ، وفظيع ..

وقد تعودت على الاثنين ..

تعوت على هاشم ..

ثم تعودت على الويسكى ..

و ..

انى اضحك .. اضحك على نفسى .. اضحك على خيبتى .. على عذابى . انى احاول ان ابدو فى هذه السطور التى اكتبها كانى فيلسوفة .. ها .. ها .. ها .. ليس هذا كلام حسن .. قاله لى مرة ليجفف به دموعى ، ثم أخذ شفتى بين شفتيه ليعودنى

عليهما ، لعلى أتخلص من تعودى على شـفتى هاشم .. وانى اذكر ليلتها .. لقد تركت حسن ياخذ اكثر من شفتى .. تركته ياخذنى كلى .. لأساعد نفسى على التخلص من تعودى على هاشم .. فقد آمنت يومها بكلامه .. آمنت ان الحب ليس سـوى .. عادة !! .

ولكنى لم اكن أعرف حسن عندما عرفت هاشم ..

لم اكن فيلسوفة ..

ولم يقل لى أحد كلاما يجعل منى فيلسوفة ..

كنت بنتا كبقية البنات .. أهيم وراء تأوهات عبد الوهاب . ونحيب عبد الحليم حافظ . واسكب صباى بين سطور القصص والأفلام العاطفية ..

وكنت حلوة .. جميلة .. شعرى فى لون البندق .. طويل .. يصل الى كتفى .. وعيناى واسعتان .. عسليتان .. عندما ينسكب فيهما ضوء الشمس ، يشـعان بلون اصـفر ، لن اقول انهما كعينى غزال ، فقد رايت عيون الغزلان وكرهتها . وفمى صغير .. شفتاى مكتنزتان .. شفتى السفلى اكثر امتلاء من العليا .. ولى سنة أمامية نصفها مكسور .. دمهـا خفيف .. عندما تنكشف عنها شفتاى يخيل اليك انى أبتسم . ولا تملك الا أن ترد ابتسامتى .. وبشرتى بيضاء .. فى لون اللبن الحليب .. وقوامى .. يجنن .. اننى طويلة .. لست طويلة جدا .. فقط ١٧٠ سنتى .. وساقاى رائعتان .. كأنهما قالبان من نور .. انى أحب ساقى .. احبهما لدرجة انى ــ وأنا فى السـادسة عشرة ــ علقت فى ساقى اليمنى سلسلة ذهبية رفيعة تتدلى منها خرزة زرقاء .. ومنذ كنت فى السادسة عشرة وانا البس حذاء

.كعب عال .. بسبعة سنتى .. ان الكعب العالى يظهر جمال الساقين ..

ونهداى كزهرتين من زهور عباد الشمس ، معلقتان فوق صدرى .. وخصرى نحيل .. لا يزيد عن ٥٥ سنتى .. ولى « حسنة » فى لون الشيكولاتة فوق كتفى .. و « حسنة » اخرى .. لن اقول أين ..

وكنت مفتونة بجسدى .. كنت اقفل باب حجرتى بالمفتاح . واقف عارية امام المرآة .. اتأمل كل قطعة منه .. كل خط فيه .. كل ثنية .. واتمنى ان تسمن ذراعاى قليلا ، فقد كانتا نحيفتين .. وان يرتفع نهداى قليلا ، حتى يقل بروز العظمتين اللتين ترسمان كتفى .. ثم ارقص .. أرقص امام المرآة .. وأبتسم لخصرى وهو يتثنى .. وصدرى وهو يرتعش .. وساقى وهما تتأرجحان .. فى نعومة ، وهدوء كأنى أسبح فى الهواء .. انى احب الرقص .. ولكن احدا لم يرنى أرقص الا مرآتى .. حتى أمى ، لم ترنى ..

ولم يكن يخطر على بالى صورة اى رجل وانا واقفة امام المرآة أتأمل جسدى .. أبدا .. لم اكن افكر فيمن اعطيه هذا الجسد .. أبدا ... أبدا .. كل هذا كان بعيدا عنى .. كنت ألمح عيون الرجال والأولاد تلاحقنى .. وكنت أزهو بملاحقة هذه العيون ، ثم أنفضها عن احساسي كأنى أهش الذباب .. دون أن اترك ذبابة واحدة تحط على ، أو تلتصق بى .. حتى فى خيالى .. لم يكن هناك رجل معين .. رجل أسعى اليه . او يسعى الى .. كان كل ما فى خيالى نجوم السينما .. روك هدسون .. جريجورى بيك .. دين مارتن .. ليسوا رجالا .. مجرد خيال .. ومجرد احلام .. لا تثير فى جسدى اى احساس

. .كان هذا الجسد لى وحدى . . وكنت احس انى وحدى صاحبة الحق فى التمتع به . . بالنظر اليه . . وتأمله . . واكتشاف اسراره . . كنت كالبخيلة التى تحتفظ بكنزها . . لا تفتحه الا أمام مرآتها . . وكنت اتمتع فعلا بتأمل جمالى اكثر من متعتى بأن يتأمله غيرى . . كنت مفتونة بنفسى . . .

هل اطلت فى وصف جمالى . .

عذرا . .

فهكذا تبدأ قصتى . . تبدأ يوم بدأ احساسى بانى جميلة . .

يوم فتنت بنفسى . .

ورغم هذا فجمالى له خاصية غريبة . . انه يبهر بعض العيون ، كما يبهرنى . . وعيون أخرى لا تراه . . تمر به دون ان تأبه . . كأنى لست جميلة . . بل ان النـــاس يرون بشرتى البيضاء صفراء . . وزميلاتى فى مدرسة الفرنسسكان يسموننى « البنت الصفراء » . . وبعض النـــاس يرون عينى الواسعتين جاحظتين بارزتين . . وبعضهم يرى صدرى وظهرى ممسوحين . . نهداى صغيران ، وظهرى ليس فيه بروز . . ولكنى لا أعرف هؤلاء الناس . . ولا اريد ان أعرفهم . . انى اكرههم . . أكرههم . . وأنا جميلة رغم أنوفهم . . جميـــلة . . جميلة . . وكل من اعرفهم يعرفون انى جميلة . . امى تزهو بى . . وخالاتى الخمس يستشهدون بجمالى . . وأنا أجمـــل من ريرى ابنـــة خالتى . . وأجمل من فريدة ابنة عمى . . وأجمل بنت فى شارع صــــلاح الدين بمصر الجـــديدة . . والخطاب يطرقون بابى منذ كنت فى الخامسة عشرة من عمرى .

ومن يدرى . .

ربما كان اختلاف النــــاس حول جمالى ، هو الذى جعلنى

ازداد تعلقا به .. واتامله كل لحظة .. كأنى أتعلق بشىء أخشى أن يضيع منى ..

الى ان خطبت ..

كنت أيامها فى السادسة عشرة ، أقيم مع أمى وزوجها واخوتى منها .. ولدان وبنت .. وامى سيدة طيبة .. تصلى وتصوم .. ولها فى كل شهر نذر لأحد الأولياء .. نذر لسيدنا الحسين ، ولو نجح ابنها .. ونذر لسيدى ابو العباس ، لو شفيت بنتها من الحصبة .. ونذر .. ونذر .. وتقرأ الفنجال .. وتفتح الكوتشينة .. ولكنها رغم كل هذه الأوهام التى تسيطر على راسها ، سيدة مرحة .. لا يخلو يوم من أيامها من اجتماع بصديقاتها .. وصديقاتها نصف سيدات القاهرة .

وكانت أمى تدللنى وتهتم بى اكثر من أخوتى .. ربما لأنى اقيم معها بعيدا عن ابى .. وكانت تدارى أخطائى وتتستر عليها حتى لا يدرى بها زوجها .. فى الوقت الذى تشكو فيه اخوتى اليه .. تشكو اليه كل خطأ ، ولو صغيرا .. فيضربهم ..

وزوجها رجل من هذا الصنف من الرجال الذى يدعى القسوة والحزم ، وهو عبيط تستطيع أن تضحك عليه ، وتخدعه ببساطة ..

وكنت أنا وأمى خارجتين من محل الصالون الأخضر عندما رآنى رجل .. وسار وراءنا .. وجرى وراء سيارتنا بسيارته .. الى أن وصلنا الى البيت .. وسأل عنا البواب .. وفى اليوم التالى جاء ليخطبنى ..

ولا ادرى كيف اقتنع امى بالموافقة على خطبتنا .. انه فى السادسة والثلاثين من عمره .. بينى وبينه عشرون سنة .. وقد سبق أن تقدم لخطبتى شبان أصغر منه .. وهو ليس من

عائلة كبيرة ، وقد سبق أن تقدم لى ابناء عائلات كبيرة .. وهو ليس مثقفا ثقافة عالية ، وسبق ان تقدم الى حملة دكتوراه ... وهو غنى .. يعمل مقاولا فى السويس ، ولكن سبق أن تقدم الى اغنى منه .. ورغم ذلك قبلته امى .. انه من هذا الصنف من الرجال الذى يستطيع ان ياكل عقل النساء العجائز ..

ووافق زوج امى .. وافق بسرعة .. ربما ليتخلص منى .. ليستريح من تدليل امى لى ..

اما ابى فقد عارض .. ولكن معارضته لم تكن تساوى شيئا جادا .. ابى كله ليس شيئا جادا ، ولا ينظر اليه أحد نظرة جادة .. انه انسان لاه .. لا مسئول .. يعيش لنفسه .. ويتزوج كثيرا .. وكان ايامها يعيش مع زوجته الرابعة .. وكانت أمى تقول عنه ان له شقة خاصة يلتقى فيها بامرأة أخرى ستكون يوما ما زوجته الخامسة ..

واستسلمت لامى .. وفرحت بدبلة الخطوبة ... دبلة من قطع الماس المستطيلة « الباجت » .. والشبكة .. خاتم سوليتير حجمه خمسة عشر قيراطا .. والثوب الجديد .. والحفلة .. واهتمام خالاتى الخمس بى .. واول مرة أنزع الشعر الخفيف من فوق ذراعى وساقى .. وفرحت أكثر لانى خطبت قبل ريرى ابنة خالتى ، وقبل فريدة ابنة عمى .. كانت فرحتى ايامها طاغية ، انستنى كل شىء حتى خطيبى نفسه .. كنت اراه كما ارى باقى الرجال .. اراه فى نظرات عابرة .. لم احاول ان ادقق فى ملامحه .. لم ار ايامها هذه الثقوب الصغيرة التى تنتشر فوق طرف أنفه ، والتى لا تراها الا اذا دققت النظر .. ولم ار هذه السنة الذهبية فى جانب فكه الايمن ، والتى تطل عليك كلما ضحك

.. ولم ار ان كل سراويله واسعة من الخلف ، كان الترزى كاد يصنعها جلبابا ثم غير رايه فى آخر لحظة .

وسافر خطيبى فى اليوم التالى من اعلان الخطبة الى السويس .. واصبح يتردد على القاهرة كل اسبوع ليبقى فيها ثلاثة أيام .. الجمعة ، والسبت ، والأحد .. وكل خالة من خالاتى الخمس تقيم لنا وليمة غداء .. وابى دعانا مرة على العشاء .. واحسست يومها أنه يقوم بواجب ثقيل يكاد يخنقه .. لقد كاد يطردنا انا وخطيبى بعد العشاء مباشرة .. ولكنى لم اغضب من أبى .. انى اعرفه .. واحبه ..

ولم يتركونا انا وخطيبى وحدنا ابدا . كانت أمى معنا دائما .. وعندما نغيب لحظات تحرص على ان تترك مكانها لزوجها أو لأخى الصغير وخطيبى لم يحاول ان ينفرد بى .. بل لم يحاول ان يهمس فى أذنى همسة لا تسمعها أمى .. او يضغط على يدى .. او اى لفتة من هذه اللفتات التى كنت اقرا عنها فى القصص .. كان كل ما يحرص عليه ان يصلى الفروض فى موعدها .. وكانت كل امنيته ان اصلى مثله .. وأمى تطمئنه الى انى بعد الزواج لابد ان اصلى !

وبدات فرحتى بالخطبة تخف ..

الدبلة والخاتم رآهما كل افراد عائلتى وكل صديقاتى .. وثوبى اصبح قديما .. والحديث اصبح معادا .. ثم ..

عندما وقفت مرة أمام المرآة لأرقص عارية كعادتى ، وباب غرفتى مغلق بالمفتاح ، شعرت لأول مرة ان هذا الجسد لم يعد لى وحدى .. لقد اصبح لى شريك فيه .. ورايت فى صفحة المرآة صورة وجه شريكى .. خطيبى .. ولأول مرة اعى ملامحه التى كنت التقطها بعينى دون أن اعيها .. دون ان اهتم بها .

رايت الثقوب الصغيرة فوق مقدمة انفه . ورايت سرواله المهدل .. واختفى خيالى الذى يحمل صورة روك هدسون ، وجريجورى بيك .. لم يعد أمامى الا هذا الواقع الذى يحمل صورة خطيبى .. وسرت قشعريرة فى بدنى .. ولم استطع يومها ان أرقص .. بل لم استطع ان أظل عارية .. جريت واخفيت جسدى خلف ضلفة الدولاب ، كأنى أخفيه عن عينى خطيبى المنتوفتين ..

ومن يومها بدأ جسدى يقلقنى .. بدأت احس ان الكنز الذى حرصت العمر كله على ان أخفيه الا عن مرآتى ، اصبح على وشك ان يكتشف .. بدأت أحس بالمعاول تحفر فوقه لتصل اليه .. معاول من احساسى بأن شيئا يقترب من شفتى .. من عنقى .. من صدرى .. من خصرى .. من ساقى .. وتأكدت يومها ان كنزى لابد ان يكتشف يوما .. لا حيلة لى .. لا استطيع أن اخفيه بقية عمرى .. شخص ما لابد أن يصل اليه .. ولكنى لا اريد أن يكون هذا الشخص هو خطيبى .. لا اريده .. لا اريده .. انى انفر منه .. انه يقززنى .. يده فى يدى كقطعة العجين الملساء .. ونظراته تسيل من عينيه كقطرات الزيت .. وكلماته تقع من شفتيه كقطع الطوب .. ليس فيها حنان .. ليس فيها معنى يبهرنى .. ليست فيها مهارة المكتشف .. مكتشف الكنز ..

هل استطيع أن افسخ الخطبة ؟

ربما لو حاولت أيامها لاستطعت ان افسخها .. ولكنى لم أحاول .. كنت ضعيفة الشخصية .. كنت اضعف من أن اقف امام امى ، واطلعها على حقيقة شعورى نحو خطيبى .. وفى الواقع لم اكن أعرف ماذا اريد .. لم اكن استطيع ان افهم حقيقة عواطفى .. وكان ما اتهمه الشك فيه .. كنت مترددة .. أحيانا اعتقد أن نصيبى هو نصيب كل البنات .. واحيانا احس أنى

مظلومة .. واحيانا احس كأنى بنت خاطئة لمجـرد تفكيرى فى فسـخ خطبتي .. كأنى بهذا التفكير أتحـدى الله .. أتبطر على النعمة .. وأحيانا احس بالثورة تملأ صدرى ، وتكاد تقتلعنى من فوق سريرى ، ولكنى أطفىء ثورتى ، واهز راسى فوق الوسادة . واهمس لنفسى .. يا بنت اعقلى !

وانتهى بى هذا التردد ، الى الاستسلام ..

ولكن هذا الاستسلام دفعنى الى نوع من التحدى .. تحدى ضعفى .. وتحدى ترددى .. وتحدى أمى .. وتحدى نصيبى .. وكان نوعا من التحدى المكبوت الخفى .. لا أصـارح به نفسى .. ولكنه يدمغنى .. يدمغ تفكيرى .. يدمغ انفعالاتى .. ويدمغ تصرفاتى ..

ودفعنى هذا التحدى الى أن ابحث عن مكتشف آخر لجسدى .. شخص آخر غير خطيبى عبد السلام ، يكون اول من يلمس شفتى ..

وبدأت عيناى تدوران حولى ..

ولم اعد اهش الذباب فى كبرياء .. كعادتى .. بل اخـذت ابحث عن الذباب ، وارتاح كلما حطت ذبابة على .. وتعلمت كيف انظر من طرف عينى .. كيف أرى كل شاب ، دون أن يلحظ انى اراه .. ودون ان تلحظ امى او عبد السـلام انى انظـر الى أحد .. وبدأت جمع المعلومات عن كل شاب من شـبان مصر الجديدة .. وارتاح لصـديقاتى وهن يتحدثن عن مغامراتهن .. وادفعهن دفعا الى هذا الحديث ..

ثم .. بدات الصب لعبة التليفون .

كان صديقاتى يجتمعن عندى فى البيت ، ونشترك جميعا فى

معاكسة الشبان بالتليفون .. وامى بعيدة عنا فقد خفت رقابتها على منذ خطبت ، كأنها بدات ترتاح منى ..

ولم يحدث شيء أكثر من هــذا لفترة طويلة .. كنت فقط انظر الى كل شاب واقارن بينه وبين خطيبى ، واتصوره مكتشفا لجسدى .. واستمع الى صوت الشبان فى التليفون .. واقارن بين صوت كل منهم وصوت خطيبتى . فاجده اكثر حياة ، واكثر حنانا ، واتصور هذا الصوت يملأ بيتى ..

الى ان ابتسمت مرة لمحمد ..

لم أختر محمد بالذات لأبتسم له .. ولكنى كنت جالســة فى نادى مصر الجديدة مع بعض صديقاتى .. وأمى جالســة مع صديقاتها على مائدة أخرى ... ومحمد جالس على حافة حوض السباحة ، يحلق فى وجهى بعينين مبهورتين .. وكنت زهقانة .. صديقاتى يتحدثن حديثا مملا .. فابتسمت لمحمد .. وتعلق محمد بابتســامتى .. جرى وراءها .. أصــبح يلاحقنى .. انه يدور بسيارته حول بيتى .. سيارة شيفروليه بيضاء رقم ٢١٨٨٣ . وهو خلفى فى النادى .. وفى السينما .. حتى وانا مع خطيبى . لا يكف عن ملاحقتى .. وملاحقته تملؤنى غرورا ، ونملأ فراغى .. وان لم يكن يمثل صورة المكتشف الذى احلم به .. انه فى العشرين من عمره .. طالب فى الجامعة .. وبطل فى السباحة .. حلو التقاطيع .. ومن أشهر شبان مصر الجديدة .. انه حلم كثير من صديقاتى .. ولكن ينقصه شيء .. لا أدرى ما هو .. انه كالطعام الذى طهى على نار حامية .. لو طهى على نار هادئة لازداد طعامة ودسامة !

وبدا جرس التليفون يرن فى بيتى .. وترفع امى السماعة فلا يرد احد .. ويرن مرة أخرى .. ويرفع زوج أمى السماعة .

فلا يرد أحد .. استمر الرنين .. ولا احـــد يرد .. اياما كثيرة .. وبدأت التعليقات .. وبدأت أمى تواجهنى بعينين متسائلتين .. وخفت من هذا التساؤل .. خفت منها .. ومن زوج أمى .. وفي مرة رن جرس التليفـــون ورفعت انا السـماعة .. وأمى بجانبى .. وسمعت صوت خالتى وأخذت ارد : الو .. الو .. وانا أضغط السماعة على أذنى ، حتى أخفى فيها صــوت خالتى وهى تهتف هى الأخرى .. الو .. ألو .. ثم وضعت الســماعة .. والتفت الى أمى ، وقلت فى براءة :

ــ ما حدش بيرد ..

فقط لأقضى على شكوكها ..

وحرصت على أن أبقى بجانب التليفون الى ان تكلمت خالتى مرة ثانية ، وسمعتها تصيح :

ــ انتم تليفونكم خسران ولا ايه ؟

واجبت :

ــ ابدا يا طنط .. ازيك .. وازاى ريرى ..

ثم بعـــد أيام رن جرس التليفون .. وكنت بجانبـــه ، وأمى بعيدة .. وسمعت صوت محمد .. كيف عرفت صـــوته . وأنا أسمعه فى التليفون لأول مرة .. لا ادرى .. ولكنى عرفته .. وقال محمد فى عبط المغرور بمجرد أن سمع صوتى :

ــ انا محمد ..

وقلت فى حدة هامســـة ، وانا التفت الى الحجرة المجاورة لأرقب أمى :

ــ انت اللى بتضرب تليفون ولا نردش ..

قال كأنه يتباهى :

ــ أيوه ..

قلت :

ـ تانى مره اوعى تضرب تليفون .. فاهم .. انت حاتتسبب لى فى مصيبة ..

قال :

ـ اذا ما كنتيش عايزانى اضربلك . .اضربيلى انت ..

قلت :

ـ طيب .. حاضربلك .. مع السلامة دلوقت ..

واعدت سماعة التليفون .. وانا ابتسم .. وكثير من الزهو يملؤنى .. كأنى اميرة تحكم الرجال ..

وبدأت أحادث محمد فى التليفون ..

لم يكن وحده الذى احادثه فى التليفون .. كنت لا زلت اتسلى بالحديث مع غيره .. ولكن محمد وحده هو الذى يعرف من تحدثه ..

وبعد ثلاثة اسابيع او اكثر .. خرجت الى اول لقاء معه .. اول لقاء لى مع شاب .. كانت أمى قد سمحت لى بزيارة صديقتى هدى .. وحدى .. واتصلت بمحمد ، وطلبت منه أن ينتظرنى بسيارته فى شارع البارون . وركبت بجانبه ..

لم اتردد .. ولم احس برجفة .. ولا بارتباك .. جلست بجانبه . كأنى أجلس فى مقعد السينما .. ونظرت اليه كأنى أنتظر بداية العرض .. ودبلة الخطوبة فى اصبعى ..

وربما كان محمد يومها اكثر ارتباكا منى .. انه لا يعرف من أين يبدأ العرض الذى أنتظره .. وحديثه متقطع .. ينتقل من موضوع لموضوع دون أن ينسق حديثه فى موضوع واحد .. ويتكلم بسرعة ، كأنه يلهث ..

وقال خلال حديثه :

ــ ده خطيبك اللى كان معاكى انت ومامتك اول امبارح ؟
قلت وانا أنظر من خلال نافذة السيارة :
ــ ايوه ؟ . .
قال :
ــ بس ده كبير . .
والتفت اليه وفى عينى نظرة متحفزة وقلت فى حدة :
ــ مالكش دعوه بيه . .

وكنت مستعدة ساعتها ان اضرب محمد بالقلم لو استمر فى الحديث عن عبد السلام . . لقد شعرت ساعتها ان كل خلجة منى تتحفز للدفاع عن خطيبى . . لا ادرى لماذا . . ان محمد لم يخطىء . . ان عبد السلام « كبير » .

فعلا . . واكثر من ذلك . . ان على طرف أنفه ثقوبا صغيرة . . وفى فكه سنة ذهبية . . وسرواله مهرول . . ولكنى لا اقبل ان اسمع هذا الكلام من احد . . انى اقوله لنفسى فقط . . و . . ماذا اقول . . ربما لم اكن أدافع ساعتها عن عبد السلام . . كنت أدافع عن نفسى . . عن نصيبى . . عن شخصيتى الضعيفة . . عن استسلامى .

وقال محمد وهو يبتلع ريقه:
ــ أنا آسف . .

ثم مد يده وامسك بيدى وضغط عليها . . وتركتها له لحظة ليحتفظ بها فى يده . . ثم عدت وسحبتها منه بسرعة . . لماذا . . لأنى تذكرت عبد السلام وخشيت ان اقارن بين يده ويد محمد . . اليد الطرية كقطعة العجين الملساء واليد الساخنة المتماسكة التى تضغط على يدى فى قوة ، تكاد تخنق أصابعى . .

ولم يدم لقائى بمحمد اكثر من ربع ساعة . . ذهبت بعدها

الى زيارة صديقتى .. ثم عدت الى البيت ، كأنى عائدة من السينما .. لا شىء بقى من كل ما فعلته اكثر مما يبقى من ذهابى الى السينما .. ووقفت أخلع ثيابى فى المرآة ، وأتأمل الكنز العزيز .. ولم اتذكر ساعتها محمد .. ولكنى عدت اتذكر عبد السلام ، ووجهه يطل على من المرآة .. وانقلبت شفتى رغما عنى .. فى قرف .. ثم اقحمت فى خيالى صورة محمد .. أخذت اتخيله كأنه صاحب هذا الكنز .. مكتشفه .. لا .. ان محمد ينقصه شىء .. لا أدرى ما هو .. ولكن يخيل الى انه لا يعرف الطريق الى كنزى .. ولكن .. لابد أنه يعرف أكثر من عبد السلام ...

ونمت ليلتها ، ولست سعيدة .. ولست شقية .. ولست نادمة .. ولا شىء .. فارغة ..

هل انبنى ضميرى لانى ذهبت الى لقاء شاب وانا مخطوبة لغيره .. ابدا ..

ولم اقابل محمد مرة ثانية الا بعد شهر .. ربما لان ظروفى ورقابة امى لم تكن تتيح لى لقاءه .. وربما لانى لم أكن متحمسة للقائه ، الى حد محاولة التغلب على ظروفى ، ورقابة أمى ..
وربما لأنى كنت لا زلت أتسلى بالتحدث فى التليفون مع شبان غيره .

وكان لقاؤنا الثانى سريعا ايضا .. حاول خلاله أن يقبلنى .. ولكنى لم اعطه الا خدى .. ثم فتحت باب السيارة وجريت .

وبعد أربعة أيام ، حدد موعد كتب كتابى الى عبد السلام .. وانشغلت فى اعداد ثوب الفرح ، وفى اعداد الحفل الكبير الذى أقيم لى فى فندق سميراميس .. انشغلت كلى .. امتلأ فراغى حتى قمته .. لم اعد افكر فى محمد .. ولا فى خطيبى

عبد السلام .. ولم أعد أعاكس أحدا فى التليفون .. بل نسيت كنزى الغالى .. نسيت جسدى .. انى مشغولة منذ ان افتح عينى ، حتى أنام منهكة متعبة .. تعب لذيذ ..

ربما كان كل القصد من هذه الضجة التى تقام استعدادا ليوم القران ، هو شغل وقت العروس .. حتى لا تفكر .. حتى لا تحس .. حتى لا تخلو الى نفسها .. انه من نوع سلب الارادة .

ثم ..

وانا فى « الكوشة » بدات عيناى تدوران حولى من جديد .. بدات افيق من الاستعدادات التى اخذتنى كلى .. الثوب ارتديته والطرحة البيضاء فوق راسى .. وثريا سالم زفتنى .. ونجاة الصغيرة غنت .. والخاتم اصبح فى يدى اليسرى .. وكلمات التهنئة اصبحت معادة مملة .. وخالاتى الخمس القين بانفسهن على المقاعد فى استرخاء .. وامى هدها التعب ، وعيناها تغفوان بين الحين والحين .. انتهى كل شىء .. وافقت لنفسى .. عدت الى احساساتى .. عدت أحس وانا فى الكوشة بشفتى .. بعنقى .. بصدرى .. بساقى .. ويمتلىء خيالى بصورة زوجى ، دون أن أن التفت اليه .. وارى الثقوب على انفه .. وسرواله المهدل .. وتنقلب شفتى السفلى رغما عنى .. وأشعر بالسخط لان هذا الرجل هو الذى تقرر ان يتشفنى .. يكتشف كنزى .. وتدور عيناى فى وجوه الشبان الآخرين .. ترى .. من منهم احق باكتشافى .. وانا .. لا زلت فى الكوشة .. والورد حولى .. والمدعوون سكارى ..

وعدت الى البيت ..

لست سعيدة ..

ولكنى متعبة ..

وكان الزفاف سيتأجل كثيرا .. فان عبد السلام يبنى فيللا فى السويس لم تتم بعد ، ولا نستطيع ان نشترى الجهاز قبل ان تتم .. كل ما حدث بعد عقد القران ، ان امى اصبحت تتركنى مع عبد السلام وحدنا .. ولكن عبد السلام لا يحاول شيئا .. انه يقبلنى على خدى عند لقائنا .. ويقبلنى على خدى عند افتراقنا .. ويقبل يدى احيانا .. وفى مرة قبلنى فوق شفتى قبلة سريعة .. مرت كلمسة من الهواء البارد .. ارتبك بعدها .. واحمر وجهه .. وادعيت انا الخفر والحياء .. وحاول ان يقبلنى قبلة اخرى .. فقلت وانا انفر من جانبه :

ــ احنا اتفقنا على ايه ! ؟ مافيش حاجه قبل ما نروح بيتنا .. واستسلم الرجل الطيب ..

وبقيت عروسا عذراء ..

والواقع ان عبد السلام كان يفضل ان يجلس مع امى وزوج امى .. على ان ينفرد بى .. كان يجد معهما نفسه .. ويضيع معى عن نفسه ..

والفراغ يحيط بى ..

وعدت املأ فراغى بمعاكسة الشبان فى التليفون .. والتحدث مع محمد .. وقد اصبحت اكثر حرية من قبل .. امى تركتنى افعل ما اشاء .. كأنها انتهت منى .. ورغم ذلك لم أفكر فى لقاء محمد مرة أخرى .. كان يلح على كثيرا .. ولكنى كنت أرفض .. لا أدرى لماذا .. ربما لأنى كنت اتعالى عليه بعد ان عقد قرانى .. احسست انى أصبحت اكبر منه .. اصبح فى نظرى .. عيل .. وانا كبيرة .. زوجة .. اريد شيئا كبيرا ..

وفى الأيام التى كان عبد السلام يبقى فيها فى القاهرة .

كنت اصر على ان يصحبنى للعشاء فى الخارج كل ليلة .. وكنت انتقى المحال التى تعودت ان اقرأ عنها دون أن أراها .. الهيلتون .. مينا هاوس .. روف سميراميس ..

وفى روف سميراميس ، رايت هاشم لأول مرة ..

الدكتور هاشم .. على سن ورمح .

رايته طويلا .. عريضا .. عيناه منتفختان كأنه مستيقظ لتوه من النوم .. فيهما نظرات معلقة فى الهواء ، لا تدرى اينظر بهما اليك ، ام انه لا يراك .. وشفتاه غليظتان ، منفرجتان دائما نصف انفراجة .. لا تدرى ما بينهما .. ابتسامة .. أم تأوه .. وانفه اقنى .. قوى .. ان كل ما فيه قوى .. انه يشبه الممثل الأمريكى روبرت ميتشام ، ولو أنه أقل طولا ، واقل عرضا .. ونظرت اليه طويلا .. انه من هذا الصنف من الناس الذين تضطر بمجرد أن تراهم ، ان تنظر اليهم طويلا ، لأن فيهم شيئا يميزهم عن بقية الناس .

ولا ادرى هل كان ينظر الى بعينيه المنتفختين ام أن عينيه كانتا متجهتين نحوى ، بلا قصد .. ولكنى شعرت أن نظرتى اليه تنقل أحاسيس عجيبة الى جسدى .. الى جسدى .. لا الى قلبى ولا الى فهمى .. وبحركة غيرا ارادية وجدت نفسى اشد ثوبى فوق ركبتى ثم ارفع كفى واغطى بها ذراعى .. كأنى أحمى نفسى منهى ..

وداومت ليلتها النظر اليه .

نظرات مختلسة لا يلمحها زوجى الجالس بجانبى .. ولا ادرى ، لماذا تعمدت ان تكون نظراتى اليه بصراحة ، دون ان اخشى زوجى .. فأنا لا أعرفه .. وليس بينى وبينه شىء .. ولكنى اعود وانظر اليه .. واغتاظ .. أغتاظ من نفسى ،

ومنه ويشتد غيظى .. ان منظـــره يثيرنى .. يجعلنى افكر ان اقوم واضربه بالقلم .. واشد انفه الكبير .. انه يبدو مغرورا .. متعاليا .. كانه يملك الدنيا كلها .

ورآه زوجي ، فهمس فى صوت مبهور كأنه راى شيئا رائعا .. كأنه راى نابليون بونابرت ، أو روبرت ميتشام ..

ــ ده الدكتور هاشم ..

وكانت اول مرة اسمع اسمه .. سمعته من زوجى عبـــد السلام ..

واغتظت ساعتها من عبد السلام .. اغتظت منـــه اكثر من غيظى من منظر الدكتور هاشم .. لماذا انبهر كل هـــذا الانبهـــار .. لماذا لا تكون له شخصية قوية لا تنبهر بأمثال الدكتور هاشم .. وشعرت به صغيرا ، تافها .. شعرت بالسخط علية ، والقرف منـــه .

وعاد يقول وهو لا يزال مبهورا وعيناه معلقتان بالدكتور هاشم ، وكانه يبتهل اليه :

ــ ده دكتور شاطر قوى ، مع انه لسه صغير .. تصورى ان ابن عمى غلب مع دكاترة مصر .. ما حـــدش عرف يخففـــه الا الدكتور هاشم ..

ولم ارد عليـــه .. هـــززت كتفى ، وقلبت شـــفتى .. كأنى لا ابالى ..

ورفع زوجى عنقـــه فى زهو ، كأنه يتباهى بانه يجلس فى نفس المكان الذى يجلس فيه الدكتور هاشم .. ثم قال والبهرة تطل من عينيه :

ــ اقوم اسلم عليـــه .. ده مؤكد عارفنى من أيام ما كان بيعالج ابن عمى .

وصرخت فيه صرخة هامسة حادة :

ـ لا .. اذا كان عارفك ييجى هو يسلم عليك ..

ونظر الى فى دهشة .. وسكت ..

ولم يتعرف الدكتور هاشم على زوجى ، ولم يأت لمصافحته .. بل لم أر فى نظراته المعلقة فى الهواء ، انى اثرت انتباهه ، او لفت نظره .. وعدت الى البيت وأنا أحس بالفشل .. لم اكن انسب فشلى الى الدكتور هاشم .. لا .. فأنا لا أعرفه .. ولا يعرفنى .. ولكن لابد أنه هو الذى اثار فى الاحساس بالفشل ..

وقبلنى زوجى فى السيارة أمام البيت .. قبلنى على خدى .. ثم عاد الى الفندق الذى تعود أن يقيم فيه ، كلما جاء الى القاهرة .. وجلست مع أمى أروى لها اخبارى .. قلت لها كل شىء .. وبين كل كلمة واخرى أهم أن اخبرها انى رايت ضمن من رايت الدكتور هاشم .. ولكنى اؤجل الخبر .. واخيرا .. فى آخر نشرة الأخبار . قلت لها بلا مبالاة :

ـ وشفنا الدكتور هاشم ..

وانبهرت امى كما انبهر زوجى عبد السلام ، وقالت :

ـ والنبى جد .. وكان مع مين ؟

قلت وأنا مندهشة من انبهارها :

ـ مع شوية رجاله وستات .

وعادت أمى تقول وبهرتها لا تخفت :

ـ تعرفى انه هو اللى عالج سوسو بنت حسنيه هانم .. واعادها للحياة .. ده بيقولوا عليه انه معجزة .

وحنيت راسى فى يأس .. كأنى صدمت لأن أمى لا تريد ان تغتاظ معى من الدكتور هاشم ..

واستطردت أمى وهى تمصمص شفتيها :

ــ أنا عارفه الراجل ده ما بيتجوزش ليه .. ده ما فيهش حاجه ناقصه على الجواز ابدا ..

وقمت من جانبها وانا اتنهد .. دون ان ارد عليها .

ووقفت أمام مرآتى . وقد خلعت ثيابى ، اتأمل جسدى .. وأحدق فيه أكثر من كل يوم .. واتامل كل خط .. كل ثنيـــة .. وقفز الى ذهنى تســـاؤل مفاجىء كأنه انطلاقة برق شقت ظلام فراغى :

هل يمكن ان يكون الدكتور هاشـــم هو زوجى . بدلا من عبد السلام ؟

ـ ٢ ـ

.. ومن يومها لم اســـتطع ان انزع صورة الدكتور هاشم من راسى .. والسؤال يعود ويتردد فى صدرى .. لماذا لا اتزوج هاشـــم بدلا من عبد الســـلام .. واحس ان هذا التساؤل نوع من الخيال .. نوع من احلام اليقظة البعيدة .. كأنى أحلم بالزواج من روك هدسون ، أو روبرت ميتشام .. ولكن .. لماذا يكون زواجى بالدكتور هاشم مجرد حـــلم .. لماذا أعتبره شيئا كبيرا بعيدا كروك هدسون ، أو روبرت ميتشام ، انه رجل عادى .. مجرد طبيب ناجح .. واى فتاة يتزوجها لن تزيد عنى فى شىء بل انا اجمل من اى بنت يمكن ان يتزوجها .. كل ما هنـــاك انى قليلة البخت ، ليكون نصيبى من الرجال ، رجلا كعبد السلام .. وامى عبيطة لتتركنى اتزوج عبد السلام .. انها لا تستطيع

ان نقــدر قيمه جمالى .. لا تستطيع أن تقــدر قيمة الكنز الذى سيكتشفه الرجل الذى يتزوجنى ..

واقفز من فراشى واقف أمام مرآتى لأطمئن على كنزى .

وفجاة . .بدا يداخلنى شك فى قيمة هذا الكنز .. بدات اتذكر راى الناس الذين لا يعجبهــم جمالى .. وابحلق فى المرآة لاتأكد ان لون بشرتى ليس اصــفر ، كما يقولون . ابيض كاللبن الحليب .. وان عينى ليستا جاحظتين .. ورفعت صدرى بكفى . كانى ازن ثقــله لاتأكد من انه ليس صــغيرا .. واستدرت امام المرآة لاتأكد من ان ظهرى ليس ممسوحا .. والشك يفتك بى .. انها المرة الأولى التى افقد فيها ثقتى بنفسى الى هذا الحد .. ثقتى بجمالك .. والدكتور هاشم هو السبب .. هو الذى اثار فى نفسى الشك .. هو الذى يقلقنى .. ولكن .. الدكتور هاشم ليس له ذنب .. انه لا يعرفنى .. بل لعله لم يرنى .. ولكنه خيالى .. طموحى .. انى اكره أن اصــف نفسى بالطموح .. لست طموحة .. ان الفتــاة الطموحة ، هى التى ينقصها شىء .. وانا لا ينقصنى شىء .. ثم من هو الدكتور هاشــم ، ليثــير طموحى .. انه رجل كبقية الرجال .. باشارة واحــدة يسقط تحت قدمى .. وكل ما احتاج اليه هو ان اتخلص من خيــالى .. واحمد الله على نصيبى ، واسكت ..

ولكنها لم تكن المرة الوحيدة التى رايت فيها هاشم .. لقد رايته بعدها مرة أخرى عندما ذهبت أنا وزوجى لنتنــاول عشاءنا فى الهيلتون .. ومرة ثالثة عندما ذهبنا الى مينا هاوس .. كل مكان اذهب اليه أراه فيه .. كأن القدر يشد احدنا الى الآخر .. بل ان زوج خالتى اوصانا مرة أن نذهب .. زوجى وأنا .. لنتناول عشاءنا فى مطعم « الجريون » .. ولم اكن قد ذهبت

الى هذا المطعم ولا سمعت به .. وعنـــدما ذهبت .. رايته .. هاشم .. واقفا مستندا الى حافة البار ، يتناول كأسا من الويسكى .. وكدت ابكى من الغيظ .. انى لا اريد ان أراه .. انه يثير خيالى ، وخيالى يقلقنى .. ورغم ذلك فانى لم اتوقف عن اختلاس النظر اليه .. ولم أر منه الا هذه النظرة المعلقة فى الهواء التى تطل من عينيه المنتفختين ، والتى لا ادرى ايرانى بها ، ام لا يرانى .. وهاتان الشـــفتان المنفرجتان ، واللتـــان لا أدرى ، ابينهـــما ابتسامة ، ام تأوه .. وزوجى بجانبى ينظر اليه مبهورا ، وابتسامته سائلة على شـــفتيه ، كأنه لم يفقـــد الأمل فى أن يتعرف عليـــه هاشم يوما ، ويتقدم لمصافحته ..

وليلتها عدت الى البيت ، وانا اعانى الاحســـاس بالفشـــل .. الاحساس الذى يلازمنى دائما كلما عدت بعد ان أرى هاشم .. احساس بأنى لم استطع ان الفت نظره .. لم اســـتطع ان ادخل حياته ، حتى ولو من خلال نظرة عابرة .. ولكنى فى هذه الليلة تعذبت اكثر .. عذبنى سخطى .. وحيرتى .. وضعفى ..

وفى اليوم التالى قمت متعبة .. والغيظ يهدنى .. واخذت اطوف بحجرات البيت ، وليس لى طاقة لأبدل قميص النـــوم .. او امشط شعرى .. او انظر الى وجهى فى المرآة .. وصورة هاشم تلاحقنى فى كل غرفة .. وتقفز امام عينى فى كل خطوة والغيظ منه يشد اعصابى ، ويثيرنى .. اريد ان اضربه .. ان اشد انفه الكبير .. ان اسخر منه .. ان امرمطه ..

وفى الساعة الواحدة والنصف .. رفعت سماعة التليفون ، وادرت رقم عيادة الدكتور هاشم ، وصرخت فى التومرجى الذى رد على :

— من فضلك ادينى الدكتور قوام .

وقال التومرجي المؤدب :

— مين حضرتك ؟

قلت :

— احنا عندنا حاله مستعجله . وعايزين الدكتور قوام .

وقال التومرجي المؤدب :

— دقيقه واحده ، من فضلك ..

و .. وسمعت صوت هاشم لأول مرة .. غليظا ، عميقا ، بطيئا . كأنه بتثاءب .. وقلت فى حدة بمجرد ان سمعت صوته :

— تسمح تقول لى ، حاتسهر فين الليله ؟ ..

وقال دون ان تبدو عليه الدهشة :

— اقدر اعرف ، ليه ؟ ..

قلت وانا اشد حدة :

— علشان ما اسهرش فى الحته اللى تسهر فيها ..

قال ببساطة :

— طيب ما تسهريش الليلة فى سميراميس ..

ثم وضع سماعة التليفون ..

المجرم ، السافل ، لقد وضع سماعة التليفون قبل ان اضعها .. انها غلطتى .. كان يجب أن القى السماعة فى وجهه قبل ان اسمع رده على سؤالى .

وعاودنى الاحساس بالفشل .. اقسى ، وامر .. والغيظ يفرينى ..

وعندما جاء زوجى ليتناول طعام الغداء ، عنـــدنا ، قلت له فى اصرار لا داعى له . اننا سنتعشى الليلة فى مينا هاوس .. قلتها بصوت عال ، كأنى أريد أن يسمعنى الدكتور هاشـــم .

وليلتها .. عندما وقفت أمام المرآة لأستعد للخروج ، وجدت نفسى اغير من تسريحة شعرى .. تركته يتهـــدل على عينى .. انه هكذا أكثر اثارة ، وأكثر اجتذابا للأنظار .. ثم تعمـــدت أن اضع « سوتيان » محشوا بالقطن . كنت قد اشتريته قبلهـــا بأسبوعين .. وأخذت فى اصبعى مسحة من قلم الروج ، ودعكت بها وجنتى حتى اتأكد من انهما ليستا صفراوين كما يقول البعض .. وأكثرت من وضـــع الكحل فوق جفنى حتى يقـــلل الظل من اتساعهما .. حتى لا يبدوان بارزتين كما يقولون .. وارتديت ثوبى الابيض .. انه ثوب ضيق .. مثير .. واســـتدرت امام المرآة .. هل حقيقة ان ظهرى ممسوح .. لا .. انى لا اراه ممسوحا ..

ولكن .. من يدرى .. وعدت وخلعت الثوب وجئت بشـــال من الحرير . ولففته اسفل ظهرى .. كما تفعل الراقصـــات .. ثم ارتديت فوقه الثوب .. ان البروز واضح الآن .. والثوب اصبح أكثر اثارة ..

وكنت افعل كل ذلك . وانا انكر على نفسى انى افكر فى هاشم ، أو اتخيله .. كنت مستجمعة كل ارادتى حتى لا انساق الى خيالى .. كنت مستجمعة كل ارادتى لأكذب على نفسى ..

وركبت بجانب زوجى فى سيارته ، واتجهنا الى مينا هاوس كما اتفقنا فى الصباح .. وانا صامتة .. احاول ان أؤكد لنفسى انى فعلا أريد أن أذهب الى مينـــا هاوس . لن اغـــير رأيى ..

ابدا .. لن اغير رايى .. و .. ولكن ، قبل أن نصل الى كوبرى قصر النيل ، التفت الى زوجى وقلت مبتسمة :

ــ ايه رايك نروح سميراميس .. اتعرب ..

وابتسم زوجى ابتسامة كبيرة كشفت عن سنته الذهبية فى جانب فكه ، وقال :

ــ زى ما انتى عايزه .. اللى تأمرى بيه .. انتى الليلة تتاكلى أكل ...

وقلت فى يأس :

ــ متشكرة ..

لماذا سمع كلامى .. لماذا لا يعاوننى على اجتياز ازمتى .. لماذا لا يمحينى من نفسى .. ولكنه لا يدرى .. لا يدرى انى منطلقة وراء خيالى .. وفى خيالى زوج آخر غيره ..

وذهبنا الى سميراميس .. وجاء هاشم متأخرا ، وجلس على مائدة مزدحمة بالرجال والنساء ، وادار راسة على بقية الموائد بمجرد ان جلس .. وخيل الى انه يبحث عنى .. غرور .. ان راسه لم يتوقف عندى .. وليس فى عينيه سوى هذه النظرة المعلقة فى الهواء .. وشفتاه منفرجتان هذه الانفراجة التى لا تدل على ابتسام ولا على تأوه ..

ومن يومها يئست من الهروب من خيالى .. استسلمت له .. واعترفت انى أتمنى لو كان الدكتور هاشم زوجى بدلا من عبد السلام .. واعترفت أن هذه الأمنية تستبد بى .. لا ادرى كيف احققها .. ولا ادرى كيف اتخلص منها .. واصبحت أخرج مع زوجى فى الأيام التى يقيم خلالها فى القاهرة ، كأنى ذاهبة الى لقاء هاشم .. او ذاهبة للبحث عنه .. وكنت دائما أجده .. كأنى اعرف خطواته .. شىء غريب .. ولكن هذا هو ما كان

يحدث .. وفى مرة ذهبت الى الهيلتون ، وانتظرت الى الساعة الحادية عشرة ، ولم يظهر هاشم .. فقلت لزوجى :

ـ انا متضايقة .. الناس الليله دى دمها تقيل .. تعالى نروح مينا هاوس .. عايزه اشم هواء ..

وذهبنا الى مينا هاوس .. ورايت هاشم هناك ..

واصبحت استثقل الأيام التى يعود فيها زوجى الى السويس . لانى لا اخرج ولا ارى هاشم .. واصبحت انتظر عودته من السويس ، كأنى انتظر هاشم .. والح عليه ان يطيل بقاءه فى القاهرة .. والمسكين سعيد .. يظن انى ازداد تعلقا به ..

وفى كل ليلة اعود لأجلس مع امى وادفعها دفعا الى التحدث عن هاشم .. بل انى كنت اجر الحديث عن هاشم فى كل مجتمع يضمنى .. مع صديقاتى .. مع خالاتى .. اريد ان اعرف عنه كل شىء .. وعرفت انه يقيم مع اخته وزوجها فى فيلا بالمعادى .. وانه اعلن خطبته منذ خمس سنوات ، ثم فسخها بعد شهرين . .لا احد يدرى السبب ، على وجه التحديد .. وان سيدة مشهورة اسمها ناهد ، احبته منذ عامين .. ثم انفصلا ، ولا احد يدرى لماذا .. ربما لأنها كانت اكبر منه .. و .. و .. كل ما يعرفه الناس ، عرفته . .وخيالى يتجسد امامى .. ويتجسد اكثر .. انى اكاد احس بهاشم ينام فى سريرى .. وانفاسه فوق وسادتى .. واتقلب فى نومى ، واجذب الملاءة معى ، فأحلم بانى جذبتها من فوقه وهو راقد بجانبى .. فأصحو من نومى .. وابتسم .. ابتسم له .. كأنى اعتذر بابتسامتى لانى جذبت الملاءة من فوقه ..

وكل شىء يبدو سهلا امامى .. انى استطيع ان اصل اليه .. واستطيع ان اتزوجه .. ربما كانت غلطتى وغلطة امى .

اننا لم نختر عبد السلام ، ولكن عبد السلام هو الذى اختارنى .. لو اننى انتظرت حتى اختار انا .. حتى التقى بالرجل الذى اريده واقرر الزواج به ، فربما تزوجت الدكتور هاشم .. واصبحت احمل الاسم الكبير .. حرم الدكتور هاشم .. كل البنات يفعلن هذا .. يخترن الرجل ، ثم يضعن خطة ليدفعنه الى الزواج ..

ولكنى لم اضع خطة ..

صدقونى انى لم اضع خطة ..

تصرفت تلقائيا ، بلا تفكير ..

اتصلت بعيادته فى الصباح ، وطلبت تحديد موعد لكشف خاص .. وحدد لى التومرجى موعدا فى الساعة الواحدة بعد الظهر .. وحاولت وانا واقفة امام المرآة ان اعتنى بزينتى اعتناء خاصا .. ولكنى لم استطع .. كنت مرتبكة .. لا .. لم اكن مرتبكة .. كنت ساهمة .. ولم اجد صعوبة يومها فى الخروج من البيت وحدى .. انى متزوجة .. وامى لم يعد لها حق على .. وذهبت وليس فى راسى كلمة واحدة مما سأقوله لهاشم .. ليس فى راسى شىء .. ساهمة .. كل ما فعلته وانا ادخل العمارة التى تقع فيها العيادة هو انى خلعت دبلة الزواج من اصبعى والقيت بها فى حقيبتى .. لم يكن هذا جزءا من الخطة ؛ ابدا .. ولكن فعلته لانى خجلت أن تظل دبلة الزواج فى اصبعى وانا فى طريقى الى الرجل الذى اريده .

وجلست فى غرفة الانتظار المخصصة للسيدات .. انها مزدحمة .. نساء وبنات كثيرات .. ولا ادرى لماذا خيل الى انهن كلهن اصحاء .. ليست بينهن مريضة واحدة .. ولكنهن مثلى جئن ليتعرفن بالدكتور هاشم .. فقط ليتعرفن به .. وكرهتهن جميعا .. وكانت بينهن فتاة فى مثل سنى .. ماذا تفعل

هذه الفتاة هنا .. انها لا تبدو مريضـــة .. وجنتاها فى لون الطماطم .. وعيناها وقحتان .. وجسدها ممتلىء بالعافية .. تستطيع ان تهد جبلا .. ونظرت اليها كأنى احاول أن أخنقها بعينى .. لا بد أنها من البنـــات المائعات ، الفارغات ، اللاتى يترددن على عيادات الأطباء لقطع الوقت .. وابتسمت .. ابتسمت ساخرة من نفسى .. انى أنا أيضا من البنات المائعات الفارغات ..

وادرت عينى عن الفتاة .. وابتسامتى التى اسخر بها من نفسى لا يزال طعمها بين شفتى .. وسقطت عيناى فوق أصبعى الذى خلعت منه خاتم الزواج .. وداهمنى احســـاس مفاجىء بأنى عارية .. فغطيت اصـــبعى بكفى ، بسرعة ، كأنى أغطى نفسى ..

وحاولت ان اهدأ .. حاولت ان اجمع ذهنى المشتت لأفكر فيما افعله .. ربما كنت مجنونة .. ربما كان من الأســـلم لى ان اطرد كل هذه الخيالات من راسى واعود الى بيتى . والى زوجى الرجل الطيب ..

ولكنى لم اهدأ .. وجاء التومرجى واخـــذ منى جنيهين أجر الكشف .. وأعطانى ايصالا .. ونظرت الى الايصال ، وعـــدت ابتسم ساخرة من نفسى .. انها المرة الأولى التى تدفع فيها فتاة ثمن لقائها مع رجل .. جنيهان لأرى رجلى .. لأرى خيالى .. انه احساس مهين .. احساس أذلنى .. وحاولت ان اقنع نفسى بأنى أدفع ثمن تذكرة ســـينما .. كأنى فى طريقى لأرى فيلما لروبرت ميتشام .. ان روبرت ميتشام أيضا يملأ خيالى .. كل ما هناك أن تذكرة الدكتور هشام اغلى قليلا من تذكرة روبرت ميتشام .. ولكن .. لا .. انى لا أحس بهذه الرجفة ؛ ولا بهذا الارتباك وانا ذاهبة الى السينما ، حتى لو كان البطل هو روبرت

ميتشام .. وعاودني الاحساس المهين .. احســـاس بأني ادفع ثمن لقائي بالرجل الذي اخترته .. كأني اشتريته بالفلوس ..

وحاولت أن اطرد هذا الاحســاس ؛ لأعود وافكر في هدوء .. ولكني لم أستطع .. السيدة العجوز التي تجلس بجانبي مالت على بكل جسمها ، وسألتني :

ــ وانتي يا حلوه بتشتكي من ايه ؟

وترددت برهة .. لم اكن قد قررت نوع المرض الذي ادعيه .. كان الموضوع قد غاب عني حتى هذه اللحظة .. وقلت في تلعثم :

ــ بادوخ .. وعندي صداع مستمر ..

وقالت السيدة العجوز وهي تبتســـم واثقة كأنها تعـــلم كل شيء :

ــ يبقى عندك مصران اعور .. اصل بنت اختي كان عندها .. و ..

وانقذني منها التومرجي المهذب .. جاء دوري :

ــ اتفضلي يا افندم ..

وخيل الي اني تشبثت بمقعدي برهة .. لا اريد ان اذهب اليه .. اريد أن أعود الى بيتي .. ولكني تمالكت نفسي وقمت والرجفة تسري في دمي .. وسرت وراء التومرجي ، وانا اشعر بعيون المنتظرات تلســـع ظهري ، كأنهن يرين رجفتي ويعرفن سرها ، وكأنهن يحسدنني لأني سبقتهن الى الجنة .

ووجدت نفسي معه ..

مع الدكتور هاشم ..

لأول مرة ..

في غرفة مكتب هادئة .. غامقة اللون .. خافتة الضـــوء

.. ينطلق فيها هواء رطب ، من مكيف الهواء .. وفوق المكتب التان للتليفون ، احداهما بيضاء .. وهو واقف .. طويلا .. عريضا .. أنفه قوى .. ويرتدى حلته كاملة ، وليس فوقها معطف ابيض ، كما تصورت .. كأنه واقف ليستقبل مدعويه فى بيته ..

وانطلقت من بين عينيه المنتفختين نظرة بارقة .. كأنها نظرة دهشة .. كأنه فوجىء .. ثم أرخى عينيه عنى سريعا ، وابتسم ابتسامة خفيفة مرت بين شفتيه المنفرجتين بسرعة .. ثم أشار الى مقعد عريض بجانب المكتب ، وقال فى صوت خفيض :

ــ اتفضلى ..

ولف حول المكتب وجلس على كرسيه ..

وجلست انا على حافة المقعد .. والرجفة لا تزال تسرى فى دمى .. حائرة اين اضع نظرات عينى .. هل أنظر اليه .. هل أنظر امامى .. هل أنظر الى حذائى .. ولا ادرى ماذا كان لون وجهى ساعتها .. هل كان أحمر ، ام اصفر .. ولم ادر هل اتكلم ام اسكت .. ولكننى .. فجأة .. وجدت نفسى انطلق بالكلام كأنى افر به من ارتباكى :

ــ انا يا دكتور بأحس بدوخه .. ودايما عندى صداع .. وماليش نفس للأكل .. ولما بقوم من النوم بابقى دايخه .. ولما ..

وقاطعنى ، وهو يخرج ورقة مطبوعة من درج المكتب ، وكأنه لم يسمع كلمة واحدة مما قلت :

ــ الاسم من فضلك ؟ ..

وقلت وانا مستطردة فى الكلام :

ــ ميتو ..

ورفع الى عينيه فى دهشة ، وابتسامة كبيرة تملأ شفتيه ..

واستدركت قائلة :

ـ امينة .. امينة سالم ..

قال وهو يكتب ؟ ..

ـ السيدة ؟ ..

وترددت قليلا ثم قلت :

ـ آنسة ..

انى لم اكذب .. انى آنسة فعلا ، لم ازف بعد الى زوجى .. واسترحت لأنى اقنعت نفسى بانى لست كاذبة ..

وعاد يسألنى ، وقد سحب ابتسامته من بين شفتيه . واكتسى وجهه بمظهر الجد :

ـ السن ..

ـ تسعتاشر ..

ورفع الى عينيه فى نظرة سريعة ، كأنه اكتشف كذبى .. لا .. لا يمكن أن يكون قد اكتشف كذبى . انى طويلة ، وكل من يرانى يقدر عمرى بأكثر من سبعة عشر عاما ..

وعاد يسألنى :

ـ عملتى عمليات قبل كده ..

قلت وانا انتهز فرصة احناء راسه وهو يكتب ، لأملأ عينى منـــه :

ـ المصران الأعور .. واللوز ..

قال :

ـ اتحصبتى وانتى صغيره .. فاكره عييتى بايه ؟

وبدأت اشعر بالضيق .. انه يسألنى كأنى فتـــاة صـــغيرة .. وطريقة سؤاله تسد فى وجهى كل الأبواب .. كأنه صـــدق انى مريضة .. وكدت اصرخ فى وجهه انى لست مريضـــة ..

ثم أقوم واضربه بالقلم .. واشد انفه الكبير .. ولكنى تمالكت نفسى ، وقلت :

ــ عييت بالحصبة .. ومش فاكره أكثر من كده ..

واعتدل فى مقعده . ونظر الى نظرة جادة ، وقال :

ــ قوليلى بقى .. ايه اللى تاعبك ..

ولم اتحمل نظراته الجادة ، ارخيت عينى . واخذت اعـــدد له كل ما خطر لى من مظاهر المرض .. صـــداع .. دوخه .. مغص .. ضعف الشهية .. امســاك .. اســـهال .. قلبى .. جنبى ..

ونظر الى فى حيرة ..وقال وهو يتنهد كأنه يلعن مهنته :

ــ نشوف ..

وضغط على جرس بجانبه ، وانحنى يكتب شيئا فى الورقة التى أمامه ..

وفتح باب فى داخل الغرفة ، واطلت منه ممرضة ســـمينة يبدو عليها انها فى الأربعين من عمرها .. أجنبية .. ربما كانت يونانية .. واشارت الى ، وقالت بلكنتها المكسرة :

ــ اتفضلى ..

وخفت ..

لا ادرى لماذا ..

ولكنى خفت ..

وبقيت فى مقعدى .. ونظـــرت الى هاشـــم كأنى أستغيث به .. وكان هاشم لا يزال يكتب .. ورفع رأسه ، واتسعت عيناه كأنه دهش لأنى لا زلت فى مقعدى .. وقال هو الآخر وهو يشير الى الباب الذى فتح :

ــ اتفضلى ..

وقمت ، وركبتاى ترتعشـــان .. ونظـــرت اليه نظرة أخيرة كانى استحلفه ان يكون رفيقا بى .. أو يعذر جنونى .. ودخلت حجرة الكشف ، واغلقت المرضة الباب وراءنا .. ثم أشـــارت الى « بارفان » موضوع فى جانب الغرفة وقالت بلهجتها العربية المكسرة :

ـ اتفضلى اقلعى ..

قلت وأنا ابتلع ريقى بصعوبة :

ـ ضرورى ..

قالت دون ان يهتز لها رمش :

ـ ضرورى يا مدام ..

قلت والدموع تقفز الى عينى :

ـ مش ممكن الدكتور يكشف على من فوق الفستان ..

قالت :

ـ لا .. مش ممكن يا مدام ..

ووقفت امامها مبهوتة كانى سمرت فى الأرض .. وعادت تقول فى ضيق ..

ـ اتفضلى ..

قلت وأنفاسى تتلاحق فى صدرى :

ـ اقلع ايه ؟

قالت :

ـ كله .. كله ..

وحنيت رأسى .. وخطوت وراء البـارفان كأنى احتمى به .. احتمى به .. احتمى به من المرضة ومن الدكتور ، ومن نفسى .. ووقفت برهـــة وأنا لا أتحـــرك .. لماذا اعرض نفسى لكل هذا الهوان .. انى لم افكر فى أن كل هذا يمكن أن يحدث

نى .. و .. ولكنى لا استطيع ان اتراجع .. كذبتى كبرت الى حد انى لم اعد استطيع ان اهرب منها ..

ثم ماذا لو خلعت ثيابى امام الطبيب .. كل النساء يخلعن ثيابهن امام الأطباء .. ومنذ خمس سنوات ذهبت الى الطبيب مع امى ، وكشف على .. انى لا افعل شيئا اكثر مما تفعله اى بنت تذهب الى طبيب ..

وكنت احاول ان اقنع نفسى .. ان اضحك على نفسى .. ولكنى لم استطع .. ربما لأنى لم اذهب الى الطبيب لأنى مريضة ؛ بل لأنى امرأة .. ولم اذهب اليه كطبيب ، بل ذهبت اليه كرجل ..

وبدات اخلع ثوبى فى بطء .. وخجل .. خجل ينطلق فى صدرى كصاروخ النار ، وبصهر وجنتى .. اكثر من خجـــل .. انه احساس بالفضيحة .. والدموع تتجمع فى عينى .. دموع فضيحتى .. ودموع ذلى .. وفى وسط كل هـــذه الأحاسيس الصارخة ، تذكرت انى ارتدى قميصا داخليا عاديا من الجرسية .. ان عندى قميصا داخليـــا ابيض من « البرلون » الطبيعى ، مطرز بالدانتيل ، على جنبيه ، وفى ذيله ، لماذا لم البسه .. يا ربى !

والدموع المحبوسة لا تزال تحرق عينى ..

واطللت براسى من خلف البارفان الأطمئن الى ان الدكتور لم يدخل الحجرة بعد .. ثم خطوت نحو المرضة ، ووقفت أمامها صامتة خجلة ..

وقالت المرضة بمجرد ان رفعت عينيها الى :

ــ لسه يا مدام .. السوتيان .. والجرتيير كمان .. خليك بالكوملزون بس ..

قلت فى حدة :

ــ لا .. كفايه كده ...

قالت وهى تبتسم كأنى لست الفتاة الأولى :

ــ مش ممكن يا حبيبتى .. عايزه الدكتور يكشف، عليك ازاى ..

ثم مدت يدها بسرعة فى ظهرى ، وفكت مربط السوتيان .. وانحنت تحاول ان تفك الجرتير ، ولكنى سبقتها اليه ..

ثم سحبتنى من يدى ، وارقدتنى فوق أريكة الكشف ، وغطتنى بملاءة بيضاء ..

وجذبت الملاءة حتى عنقى ، وتشبثت بها ، بكل أصابعى العشر .. وفى عينى نظرات خائفة مذعورة ..

وذهبت المرضة ، وفتحت الباب ، ليدخل هاشم ..

لم ينظر الى ..

لم ينظر الى قطعة منى ..

جلس على مقعد موضوع بجانب الأريكة التى ارقد عليها .. وناولته المرضة سماعته فعلق طرفيها فى أذنيه ، ثم حاول ان يجذب الملاءة من فوق صدرى .. ولكنى تشبثت بها .. ونظرت اليه بعينى الخائفتين .. ارجوه .. اتوسل اليه .. استغيث به ..

ونظر الى نظرة جامدة ملأت عينيه المنتفختين ، وقال فى لهجة حازمة صارمة :

ــ ارجوكى ..

ونظرت اليه مليا .. والدموع تكاد تقفز من عينى .. ثم أدرت راسى عنه ورفعت ذراعى وغطيت بها عينى .. لا اريد ان اراه .. لا .. لا اريد ان ارى نفسى .. وكل قطعة من جسدى متوترة ، كأنها تتحفز للدفاع عن نفسها ..

واحسست بأصابعه تقترب من صدرى .. هل هى اصابعه

ام موهبة السماعة .. لا ادرى .. ولكنى احس بطرقات عنيفة على باب الكنز .. انى اكتشف .. لأول مرة احس انى اكتشف .. وانا خائفة .. خائفة .. اموت من الخوف ..

وسمعت صوته يأمرتى :

ـ خدى نفس طويل ..

كيف استطيع ان اتنفس .. انى لا استطيع .. نفسى مقطوع .. مزق .. مزقه الخوف .. والخجل .. والرهبة .. وانت ..

وعاد يأمرنى :

ـ اتنفسى ..

وتنفست كأنى اشد نفسى من بئر عميقة .. وصدرى منتفض .. ثائر .. حساس . .يحس بكل حركة من اصابعه .. ربما كان يتخيل حركات لم تحدث .. فينتفض اكثر .. وذراعى فوق عينى المغمضين .. وفجأة احس كأنى ساهيم .. كأنى سأرتاح .. سأستسلم .. فأرفع ذراعى ، وافتح عينى .. حتى ارى النور .. لأفيق .. كأن النور دش يفيقنى .

وسمعته يقول :

ـ اتفضلى اقعدى ..

ثم مد يده وامسك بذراعى ، ليساعدنى على ان اعتدل من رقدتى .. وجلست فوق الأريكة ، وانا الف الملاءة فوق صدرى وأرتجف ..

ووضع سماعته فوق ظهرى ، من تحت قميصى .. وكل ما احس به انفاسه الساخنة تلفح ظهرى .. واصابعه الباردة تصطدم بلحمى .. ويقول :

ـ اتنفسى من فضلك ..

يا لك من قاس .. اعفنى من التنفس .. لم يعد فى شىء يتنفس .. انى أتصبب عرقا .. الا ترى ..

ولكنى تنفست .. لأنه يريدنى أن أتنفس ..

وعاد وارقدنى .. ونظرت اليه نظرة سريعة .. ان وجهه صارم ، جاد . كأنه لم يكتشف شيئا .. كأن ليس بين يديه كنز .. كأنى مجرد كيس من القطن ، لم تشعر أصابعه بسخونته .. برجفته .. بتحفزه ..

ومد يده من تحت الملاءة .. وضغط على بطنى ، وهو يقول :

— حاسه بوجع ..

يا مجنون .. الا تكفى أصابعك لتؤلمنى .. انها تؤلم كل قطعة منى .. انها تشعل النار فى أعصابى .. فى راسى .. انى احس بها تحت جلدى ..

وعدت اغمض عينى ، واضع ذراعى فوقهما ، واجبت هامسة :

— لا ...

ونقل أصابعه ، يضغط بها فوق كل بطنى ، كأنه طفل يلهو بكرة منفوخة نصف انتفاخة .. ثم قاس النبض .. وقاس ضغط الدم ..

ثم قام فجأة من جانبى .. هو يقول :

— متشكر ..

واختفى فى الحجرة المجاورة ..

وساعدتنى الممرضة على القيام من فوق الأريكة .. وانا تعبد .. منهوكة .. هدنى الخجل .. وهدتنى المقاومة .. مقاومة احاسيسى التى اثارتها أصابع الدكتور هاشم ..

وارتديت ثيـــابى ، وانا اشـــعر بدوار يكاد يوقعـــنى على الأرض ..

وفتحت لى الممرضة الباب ، وخرجت اليه ..

وكان واقفا بعيدا عن مكتبه ، واســـتقبلنى وظل ابتســـامة خفيفة يلمع فوق أسنانه البيضاء القوية .. وقال :

ـ انتى ما عندكيش حاجه .. وانا كتبت لك دوا للأعصاب .. حبه واحده قبل النوم .

ومد لى يده بورقة العلاج ..

وتناولتها منه بيد مرتعشة .. وظللت واقفة ابحلق فى وجهه بكل عينى .. لم اتحرك .. لا استطيع .. لا يمكن أن ينتهى كل ما فعلته عند هذا الحد .. لابد ان يحدث شىء آخر .. لا ادرى ما هو .. ربما اردت ساعتها أن يسألنى عن عنوان بيتى ليأتى ويخطبنى .. لم لا .. لقـــد طرق ابواب كنزى .. وزوجى عبد السلام رآنى فى الشارع ، وتتبعنى الى ان عرف البيت ، وجاء وخطبنى فى اليوم التالى .. فلماذا لا يفعل مثله .. وربما كنت اريد اقل من ذلك .. كلمة .. اى كلمة ..

ولكنه صامت .. ينظر فى عينى المعلقتين بعينيه .. ولا يتكلم .. ولا كلمة .. فقط اتسعت ابتسامته ..

ووجدت نفسى اقول له بصوت مرتعش :

ـ انا شفتك قبل كده كتير يا دكتور ..

وقال وابتسامته تقفز الى عينيه :

ـ وانا كمان شفتك كتير ..

ثم سكت ..

وابتسمت .. الحمد لله .. لقد كان يرانى كلما رايته .. وقد كنت اعتقد انى لم الفت نظره ..

ولكنى لا اريد ان اتحرك ..

لا يمكن أن يكون هذا هو كل شىء .

وانا واقفة امامه كالصنم البارد .. وعيناى معلقتان فى عينيه .. وشفتاى ترتجفان .. بينهما كلام كثير لا استطيع أن احدده ، ولا ان انطق به ..

واتسعت ابتسامته ..

وجذب ورقة العلاج من يدى ، ثم انحنى على مكتبه ، وكتب عليها رقما ، ثم اعادها الى وهو يقول ، مبتسما :

ــ لو حسيتى بتعب مرة تانية .. أتصلى بى فى النمرة دى .. مع السلامة .

ونظرت اليه متسائلة ..

ثم سحبت نظرتى ..

وخرجت ..

ساهمة ..

وبصمات اصابعه فوق جسدى ..

غريبة .. غريبة هذه الثقة التى تشعر بها فى انفسنا ، ونحن فى هذا العمر .. ثقة هائلة ضخمة .. ثقة التفاؤل . والحيوية الدافقة .. اننا نسير فى الحياة كمياه الجدول الصغير ، تقفز فرحة فوق الصخور التى تعترضها وهى لا تعلم أن هناك .. فى نهاية الطريق .. سيبتلعها البحر الكبير ..

ونحن لا نرى البحر الكبير .. لا نسمع به .. نتدفق فرحات .. ساخرات .. واثقات من أنفسنا .. الى أن يبتلعنا .. هذا البحر الكبير ..

وقد خرجت من عيادة الدكتور هاشم وانا أحس احساسا جارفا بالثقة فى نفسى .. احس بالقوة .. لم أحس بالقوة قدر

ما احسست بها فى هذا اليوم .. صحيح ان الرجفة كانت لا تزال تسرى تحت جلدى .. ولكنها رجفة لذيذة .. الرجفة التى تعقب المغامرة الناجحة .. كانى قفزت من فوق سور عال ، ووقعت سالمة .. وضحكت ساعتها .. ضحكت فى سرى ضحكة كبيرة ملأت كل صـــدرى .. كانى انتصرت .. انتصرت على الدكتـــور هاشم .. خدعته .. ووصلت اليه ..

وعدت الى البيت ..

ووقفت فجاة امام الباب ، قبل ان امد يدى واضـــغط على الجرس ..

لقد كدت انسى ..

وفتحت حقيبتى ، واخرجت منها خاتم الزواج ، واعدته الى اصبعى .. ولم اشعر انى غطيت اصبعى العارية .. لم اشـــعر بأنى كنت عارية ، كما شعرت عندما خلعته .. بل شعرت انى وضعت فى اصبعى شيئا ثقيلا ..

ودخلت الى امى .. وجلست بجانبها اكذب عليها . لم اقل لها طبعا انى كنت عند الدكتور هاشم .. قلت لها انى كنت اطوف بالدكاكين .. واكتشفت ساعتها انى استطيع ان اجيد الكذب .. وانى اجيد تجنب الدخول فى التفاصيل حتى لا يكتشف كذبى ..

وتسللت من جانب امى بسرعة .. تسللت الى مرآتى .. ووقفت امامها انظر الى نفسى بعينين ملهوفتين ، كانى ســـارى شيئا جديد حدث لى .. حدث لجســـدى .. ربما كنت انتظر ان ارى بطنى منفوخا .. او صدرى وقد كبر وامتلأ .. وابتسمت وهذه الخيالات تدور فى راسى .. ثم بدات اخلع ثيابى ، وبين كل لحظة واخرى انظر الى مرآتى وابحث فى جسدى عن شىء ..

عن اثار اصابعه .. لا .. لم يترك اثرا .. ولكنى احس بأصابعه كلها .. احس بها فوق بطنى وصدرى .. وظهرى .. وصورته تملأ راسى .. عيناه المنتفختان .. وانفه الكبير القوى .. وشفتاه المنفرجتان نصف انفراجة .

وارتديت قميصى ، ورقدت فى فراشى احلم .. وعيناى مفتوحتان .. انه قريب منى جدا .. أراه فى عيادته .. فى غرفة المكتب .. وفى غرفة الكشف .. انه يفكر فى .. لابد أن يفكر فى .. لعل تفكيره فى يلهيه عن تركيز عقله فى الكشف على مرضاه .. لا .. انى اعفيه من التفكير فى ليتفرغ بكل عقله لمرضاه . ثم ارى فى خيالى هذه الفتاة التى رايتها فى غرفة الانتظار ، وقد دخلت غرفة الكشف .. اراها وهى تخلع ملابسها كما خلعتها .. وترقد على الأريكة الطويلة .. واصابعه تصطدم بصدرها .. وقلبى يتلوى .. ولكن .. لا .. هذه الفتاة شىء آخر .. واصدق بسرعة انها شىء آخر .. لا يمكن أن يكون قد ابتسم لها هذه الابتسامة التى ابتسمها لى .. ولا يمكن أن يكون قد كتب لها رقم التليفون الذى كتبه لى .. واجرى الى حقيبتى وافتحها ، واخرج ورقة العلاج التى اعطاها لى ، واقرأ رقم التليفون .. انه رقم غير الرقم المكتوب فى الدفتر .. لعله رقم التليفون الآخر .. التليفون الأبيض ..

واهم بأن اجرى الى التليفون وادير الرقم ..

لا .. يا بت اتقلى ..

وتقلت ..

ودرت فى انحاء البيت بخطوات راقصة ، وفى عينى ضحكة كبيرة . وفى قلبى زغرودة .. وكل شىء أحبه .. أحب امى .. واخوتى .. وزوج أمى .. والمقاعد .. والستائر .. والجدران

.. السعادة تكاد تطير بى .. ويشق سعادتى بين الحين والآخر ، خط من الحياء ، كلما تذكرت نفسى وأنا عارية معه فى غرفة الكشف .. ثم اضحك .. اضحك على نفسى .. سعيدة بنفسى ..

هل تذكرت زوجى ..

ابدا .. نسيته .. كأنه ليس شيئا فى حياتى .. كأنه ليس عقبة فى طريق أحلامى ..

وعندما جاء من السويس فى نفس المساء .. لم أصدم به .. لم افق من احلامى .. كأنه شىء موجود فى حياتى ولا شان له بى .. كأخى من أمى .. كابن عمى .. واستقبلته بابتسامة اكبر من الابتسامة التى تعودها منى .. واهتممت به أكثر من كل يوم .. الشىء الوحيد الذى تغير هو أنى لم أطلب منه ان نخرج لنتناول عشاءنا فى الخارج .. لم أعد اريد أن ابدو به امام الناس .. لا اريد ان يرانى هاشم معه .. انه لا يعلم أنى متزوجة ..

وذهبت مع زوجى ليلتها الى السينما ثم خرجنا واشترينا قطعا من الساندويتش تناولها فى السيارة .. والدكتور هاشم معنا .. فى خيالى .. فى السينما .. وفى السيارة .. وتفكيرى فيه يتطور بسرعة .. بدأت أفكر فى المشكلة التى ستواجهنى عندما يطلبنى للزواج .. سأضطر للطلاق من زوجى .. كيف .. لا ادرى .. ولكن .. لا يهم .. لابد أن أمى ستساعدنى يومها على الطلاق .. انها لن تتردد فى مساعدتى خصوصا اذا كنت سأتزوج رجلا كالدكتور هاشم ..

ولم انم ليلتها ..

انام لحظات ، واصحو لأفكر من جديد ..

ولكنى لم أكن متعبة .. فى الصباح .. لم افقـــد شيئا من حيويتى واندفاعى ..

وقاومت التليفون حتى الساعة الثانية عشرة ..

ثم لم أستطع ..

أدرت الرقم ..

لا أحد يرد ..

ربما كان فى غرفة الكشف ..

وبعد ربع ساعة أدرت الرقم من جديد ..

وسمعت صوته ..

وارتجفت .. هذه الرجفة .. التى تسرى تحت جلدى .. وقلت والرجفة تقفز الى حلقى :

ــ صباح الخير يا دكتور ..

ورد فى عجلة :

ــ صباح النور .. مين ..

قلت وأنا اجلس على المقعد الموضوع بجانب التليفون :

ــ مش عارفنى ؟ ..

وفكر برهة سريعة ، ثم قال :

ــ آه .. ازيك دلوقت ..

قلت :

ــ أنا باتكلم علشان أشكرك .. أنا فعلا استريحت .. و ..

قال مقاطعا :

ــ العفو ..

قالها بسرعة كأنه فى عجلة لانهاء الحديث ..

قالت :

ــ انت مشغول ؟

قال فى لهجة ارق :

ــ فعلا .. العيــادة مليانه .. ولغاية دلوقت ما شفتش الا اتنين ..

قلت بسرعة كأنى أدارى خجلى :

ــ طيب اضرب لك بعدين ..

قال :

ــ مش قبل الساعه تلاته ..

قلت :

ــ ان شاء الله . مع السلامة ..

ووضعت سماعة التليفون قبل ان يضعها ..

واحسست بالضيق .. كأنه أهاننى .. ربما كنت أنتظر منه ساعتها أن يترك مرضاه ويتفرغ للحديث معى فى التليفون .

ولم أتصل به فى الساعة الثالثة .

تعمدت الا أتصل به ..

ولا زلت اشعر بالضيق ..

ولكن مع مرور الساعات بدأت أهدأ .. بدأت التمس له العذر .. أن مرضاه أحق به منى .. لو كان طبيبا يهمل مرضاه ، لما اصبح مشهورا الى هذا الحد .. و .. و .. كلام كثير قلته لنفسى .. الى أن صالحت نفسى عليه ، كأنى كنت قد خاصمته ..

وفى اليوم التالى ، اتصلت به .. فى الســاعة الثالثة ..

لا حد يرد ..

انتهى من مرضاه وانصرف ..

واتصلت به فى المساء .. فى موعد العيادة ..

انه مشغول ..

يتكلم بسرعة ..

كأنه يلقى كلماته ليسد بها فمى ..

ومرت عشرة ايام ، وانا لا استطيع ان اعيش معه فى حديث يدوم اكثر من دقيقة .. واليأس يزحف على .. واحلامى تتبدد .. تكاد تتبدد كلها .. ولم تعد فكرة الزواج به تراودنى بنفس الثقة .. بل اصبح الزواج به هو آخر ما افكر فيه .. ان كل ما افكر فيه الآن هو ان اصل اليه من جديد .. انه اصعب مما كنت اتصور .. ولكن .. لا شىء سهل ..

ورفعت سماعة التليفون ، وادرت الرقم ، وقلت بمجرد ان سمعت صوته :

— انا تعبانه قوى يا دكتور ..

وخيل الى انه ابتسم ..

لا ادرى لماذا .. انى لم ار ابتسامته .. ولم اسمعها .. ولكنى متأكدة انه ابتسم ..

وسمعته يقول فى ثقة ، وفى نفس العجلة التى تعود ان يحادثنى بها :

— أشوفك ..

قلت بسرعة كأنى أخاف ان يعود ويجرى منى :

— فين ؟

ولم يبد عليه انه اندهش من سؤالى .. ولم يضحك .. بل انى لم اتخيله مبتسما فى هذه اللحظة .. وقال وكلماته تقفز بعضها فوق بعض :

— تعرفى شارع حسن صبرى بالزمالك .. نمره اتنين وتلاتين .. شقة اربعتاشر ..

قلت :

— بس .. و ..

قال مقاطعا وبسرعة :

ــ الساعة اربعه كويس ؟

وسكت برهة .. افكر .. كأنى انتبهت الى ما أفعله .. ثم قلت بصوت محتد كأنى أتحداه :

ــ كويس ..

والقيت سماعة التليفون ، دون أن اقول له مع السلامة .. كأنى اقذفه بها فى وجهه ..

وجريت الى غرفتى ، والقيت نفسى على الفراش منكفئة على وجهى ، واخذت أضرب الوسادة بكلتا يدى .. مغتاظة .. مغتاظة .. احس انه قهرنى .. انتصر على .. انى لن اذهب . لن اذهب .. ماذا يعتبرنى هذا الرجل .. واحدة كبقية البنات ؟ . ثم ..

خف غيظى .. لماذا اغتاظ .. انى لا يمكن أن انتظر من هاشم ان يسير ورائى فى الشارع الى ان يعرف عنوان بيتى ، ثم يأتى ليخطبنى كما فعل عبد السلام .. ان هذا الصنف من الرجال لا يمكن أن يتزوج هكذا .. لابد أن يسبق زواجه قصة حب كبيرة .. ولا يمكن أن يكفى ما حدث بينى وبينه حتى الآن ليكون قصة حب ..

ولكنه يريدنى أن القاه فى شقة خاصة ..
وماله ..

ان صديقتى هدى تقابل حبيبها فى شقته .. وسميرة .. ومحمد عنده شقة خاصة يستأجرها هو وبعض اصدقائه وحاول أن يدعونى اليها عندما كنت أحادثه فى التليفون .. وفى مصر الجديدة عمارة فيها شقة خاصة يستأجرها بعض شباب النادى ، يعرفها كثير من صديقاتى وكنت أمر من امامها وارفع عينى اليها

فى تردد كأنى انتظر أن أرى فى شرفاتها رجلا عاريا ، أو فتاة عادية .. لا .. من الطبيعى أن يمتلك هاشم شقة خاصة .. ومن الطبيعى أن يقابلنى فيها ، فهو رجل مشهور لا يستطيع أن يبدو معى فى السيارة ، وأنا متزوجة ، لا يصح أن أبدو مع رجل غير زوجى ..

ولكن ، لماذا اذهب اليه ؟

وخيل الى ساعتها أن فكرة الزواج به ليست سوى وهم .. ليست سوى حجة أبرر بها اندفاعى وراء أزمتى التى يسببها فراغ حياتى .. اندفاعى وراء البحث عن شىء أشبع به غرورى ، وافتتانى بنفسى ..

يجب أن اقاوم ..

لن اذهب ..

ولكن جسدى كله يؤلمنى .. وبصمات أصابعه تحرقنى .. انى لا زلت أحس بها منذ كشف على فى عيادته ..

وكل عروقى تجذبنى اليه ..

والحيرة تعذبنى ..

انى لا استطيع ان اتخذ قرارا .. وخرجت من غرفتى كأنى أفر من نفسى .. وجلست بجانب أمى كأنى أحتمى بها .. وفكرت مائة مرة أن اقول لها كل شىء .. لماذا لا أصارحها .. ربما لو صارحتها ، حتى لو اضطررت أن أخفى بعض التفاصيل ، لساعدتنى على نفسى .. لانتشلتنى من ازمتى .. لأنقذت حياتى كلها ..

ولكنى لم اقل لها شيئا ..

وبقيت أعانى أزمة التردد .. وعروقى كلها منتفخة ، تشدنى الى هاشم ..

وفى الساعة الثالثة والنصف ، لم اعد استطيع ان أقاوم .

خرجت ..

اليه ..

والرجفة تسرى تحت جلدى ..

ودرت ابحث فى شوارع مصر الجديدة عن « تاكسى » .. وخطواتى سريعة ملهوفة كأنى هاربة من بيتها ..

وتنبهت وأنا فى « التاكسى » الى انى لم اقف أمام مرآتى طويلا .. فأخرجت مرآتى الصغيرة ، وغرزت عينى فيهـا .. ان لونى ممتقع .. وخط الكحل تحت عينى ، مرتعش .. والأحمر فوق شفتى متماوج ، ناحية ثقيلة ، وناحيـة خفيفة .. وبدأت اصلح من زينتى .. واقرص وجنتى حتى يحتقنا بدمائى .. ولم اكن ساعتها معجبة بنفسى .. لم أكن اعى احساساتى .. كأن عقلى الذى اعيش به ، متوقف .. أنا التى اوقفته .. لا أريد ان افكر .. لا أريد أن أعى .. لا أريد ان افهم شـيئا مما حولى ، او مما فى داخلى ..

كل ما تذكرته سـاعتها أن خلعت خاتم الزواج من أصـبعى والقيت به فى حقيبتى ..

ونزلت من التاكسى امام باب العمارة .

لم يبذل السائق جهدا فى معرفة العنوان .. كأن كل سائقى التاكسى يعرفون اين تذهب البنات .. يذهبن الى شقة الدكتور هاشم !

ونظرت فى ساعتى .. الخامسة الا ربعا .. ياه تأخرت كثيرا ..

احسن !! .

ودخلت المصعد ، وانا اشعر كأنى اسير بزمبرك .. كأنى

عروسة من خشب .. كل شيء فى صامت .. عقلى صـــامت .. قلبى صامت .. اعصابى صامتة .. جسدى صامت .. صمت الرهبة فى انتظار الحدث الكبير ..

ولم ابحث عن رقم الشقة .. كانى اعرفها .. اول شــقة رفعت عينى الى رقمها .. كان الرقم اربعة عشر ..

ولم ترتعش يدى وانا اضغط على جرس البـــاب .. يدى قطعة من الخشب .

وفتح لى الباب .. مرتديا القميص والبنطلون .. وياقة القميص مفتوحة ، تبدو من خلالها حافة فانلته الداخلية .. وعقدة رباط عنقه مدلاة على صدره .. وقال وعلى وجهه سحابة من الزهق :

ــ انتى اتاخرت قوى ..

وابتسمت .. دون أن ارد .. وربما شعرت فى ابتسامتى بطعم الشماتة .. الشـــماتة فيه لانى استطعت ان الطعه فى انتظارى ..

ــ انتى عارفه انى لازم اكون فى العيادة الســـاعه خمسه ونص .. كنت احب اقعد معاكى اكتر من كده ..

ولم ارد ..

وهو واقف فى فتحة الباب كانه لن يسمح لى بالدخول ..

وانا واقفة امامه .. صامتة .. وعيناى معلقتان فى عينيه ..

واخيرا تنبه .. وازاح نفسه عن فتحة الباب .. وسحابة الزهق لا تزال فوق وجهه .. وقال كانه نادم على دعوتى :

ــ اتفضلى ..

وتقدمته الى الداخل .

ولا ادرى لماذا شعرت وانا اتقدمه انه نظر الى ساقى ، كان عينيه لسعتهما ..

واستقبلتني الصالة الخارجية للشقة .. خافتة الضوء كغرفة مكتبه .. النافذة الخشبية مغلقة .. والأثاث كله « ستيل » غامق .. شيء آخر غير ما تصورته .. انه أثاث بيت عائلة ، لا أثاث شقة خصوصية .. شقة أعزب ..

وجلست على مقعد عريض .. تعمدت ان أجلس على المقعد لا على الأريكة .. وفوق المائدة الصغيرة الموضوعة أمامي ، فنجان شاي كبير به آثار قهوة .. وعقلي بدأ يتحرك .. وقلبي .. واعصابي .

وقال وهو يجلس بجانبي على طرف الأريكة .. ويستند بذراعه على مسندها ، ويمسح بكف يده على شعره الاسود المتموج :

— تحبي اعمل لك قهوة ..

قلت وأنا أنظر في وجهه نظرة سريعة :

— لا .. متشكرة ..

واتسعت ابتسامته حتى آخرها ، وقال :

— تعرفي أنا واخد البيت ده ليه .. علشان أعمل لنفسي فيه قهوه .. أنا أحسن واحد يعمل قهوه .. يعني أنفع دكتور وأنفع قهوجي ..

ونظرت اليه وابتسامة سخيفة بين شفتي .. ولا أدري لماذا شعر بساعتها انه انسان آخر غير الانسان الذي استقبلني في العيادة .. ابتسامته ليست هادئة كما رأيتها .. وأنفه أكبر مما كنت أعتقد .. وعيناه أكثر انتفاخا وأكثر اتساعا ، وبينهما نظرة تحاول أن تداري نفسها ، حتى لا تفضح صاحبها .. نظرة تتسلل الى ذراعي والى صدري .. والى ساقي ..

وقلت وأنا أشد ثوبي فوق ساقي

ـ وما تعملش قهوه فى البيت التانى ليه . ؟

قال وهو يضحك :

ـ أختى ما تسمحش .. مش معقول تسيبنى ادخل المطبخ ..

قلت وأنا لا أنظر اليه :

ـ واخد البيت ده ، بس علشان القهوة .

قال :

ـ وعلشان استريح فيه .. معظم الأيام ما بقدرش أطلع المعادى بعد العيادة باجى استريح هنا ..

قلت فى تردد وأنا أنظر فى أصابع يدى :

ـ يعنى ما بتحبش واحده ..

قال :

ـ باحب .. بس مش واحده ..

ونظرت اليه كأنى لا أفهم ..

استطرد قائلا :

ـ باحب شغلى ..

وهدأت عيناه .. وضاقت ابتسامته .. وسحب نظرته من فوق ذراعى .. رأيته كما كان فى عيادته .. وعاد يقول كأنه هائم :

ـ ما تعرفيش أنا باحب شغلى أد ايه .. باحبه زى الحب اللى بتقرى عنه فى القصص .. باتعذب .. وافرح .. وساعه أيأس . وساعه يبقى كلى أمل .. ما تقدريش تتصورى لما باكشف على عيان ، باحس بايه .. باحس ان كل اللى فى بطنه فى بطنى .. ولما بيقول الحتة دى بتوجعنى .. باحس ان نفس الحته بتوجعنى أنا .. واقعد أحلل الألم اللى باحس بيه .. واحاول أعرف أسبابه .. ولما بابص فى صورة الأشعة ، باحس

انى بابص فى السما .. بابص لربنا .. وزى ما بتبصى فى السما ونسالى ربنا ازاى خلق النجوم ، وايه أسرارها .. انا كمان بابص فى صورة الأشعة ، واسال ربنا ازاى خلق المصارين دى . وايه أسرارها ، وليه خلاها تتوجع .

وكان يتكلم كأنه يتنهد .. كأنه يحلم وفى عينيه حب .. حب كبير .. حب حقيقى .. واحسست انى لم يعد لى مكان فى عينيه .. الحب ملأهما على آخرهما ..

وقلت كأنى أريد ان اقول اى شىء :

ــ علشان كده نجحت .. واشتهرت .

وقال مبتسما :

ــ الحب دايما يرفع صاحبه ..

وأحسست باحساساتى ترق .. وعقد الخوف والرهبة والجمود ، تذوب .. احسست انى ارتفع .. وانى دخلت فى عالم نظيف .. رقيق .. حالم .. وقلت وعيناى تستقران على وجهه فى هدوء ، وكأنهما فراشتان حطتا على زهرة بعد سفر طويل :

ــ أنا ما كنتش فاكراك رقيق للدرجه دى ..

وضحك ضحكة كبيرة ، وقال :

ــ ما تطمنيش قوى . أنا مش دايما رقيق ..

ثم نظر فى عينى .. وطافت عيناه بوجهى ، كأنه يرانى لاول مرة .. كأنه يكتشف فى شيئا جديدا .. وطالت نظراته الى .. واختفت ضحكته .. وتلاشت ابتسامته .. أن فى نظرته شيئا جادا .. فى نظرته فكرة ، لا أدرى ما هى .. وانا انظر اليه .. منتظرة اىُ شىء .. مطمئنة .. مستسلمة .. ولا اشبع من النظر اليه . عيناى عششتا فوق انفه الكبير .

ومد يده ووضعها فوق يدى .. وشعرت بثقلها .. وحرارتها .. لم تكن اصابعه ، صامتة ، باردة كهذه الأصابع التى كان يضغط بها على بطنى وانا فى عيادته .. ان فى اصابعه حياة جديدة .. انها اصابع تتكلم .. ترسل اشارات الى كل قطعة منى .. الى قلبى .. الى عقلى .. الى صدرى .. الى خصرى .. وفجأة ..

نظر الى ساعته الكبيرة ، وقال فى هلع :

— ياه .. انا اتأخرت على العيادة .. الساعه خمسه وعشره ..

وافقت ..

أفقت على كراهية العيادة ..

وعاد يقول ، وهو يقفز واقفا ، ويضم ياقة قميصه ، ويشد عقدة رباط عنقه الى اعلى :

— تحبى تنزلى الأول .. ولا أنزل انا الأول .

قالها بلهجة حاسمة لا رقة فيها .. كأن مواعيد العيادة قدر لا يحتمل النقاش ..

وانتفضت واقفة ، وانا أشعر كأنى اهنت وقلت :

— لا .. انا حانزل الأول ..

وتقدمنى ، ووضع يده على مقبض الباب ..

وخطوت الى جانبه .. ورفعت عينى اليه .. ووقفت صامتة .. ولا زلت انتظر شيئا ..

والتقت عيناه بعينى .. ونظرته تنسكب من فوق أنفه الكبير وتغرق وجهى كله ..

ورفع يده من على مقبض الباب ..

وخطا هذه المسافة القصيرة التى تفصلنى عنه .. ثم ..

دون ان يتكلم .. احتوانى بين ذراعيه .. فى رقة .. وحنان .. وضغط خده بخدى .. وعقلى واع .. متنبه لكل حركة .. وذقنه تشكنى شكات خفيفة .. لابد انه يحلق فى المساء .. ولم اذب .. ولكنى اريد ان ابقى هكذا .. اريد أن أعرف ماذا سيحدث بعد .. وانسحب خده من فوق خدى .. ليضع مكانه شفتيه .. .. فى قبلة صامتة .. واغمضت عينى .. لا أدرى لماذا .. ولكنى لم أطق أن تظل عينى مفتوحتين .. ثم زحف بشفتيه ، ولمس شفتى .. شفتاى لا تتحركان .. صامتتان .. جاهلتان .. تتلقيان الدرس الأول .. وبقيت شفتاه فوق شفتى برهة .. برهة قصيرة او طويلة ، لا أدرى .. ولكنها برهة تمنيت ان تطول .. وعيناى لا تزالان مطفأتين ..

ورفع شفتيه عن شفتى ..

وسمعته يقول :

ــ أنا آسف ..

وفتحت عينى لالتقى بعينيه .. وفيهما تساؤل .. لماذا الأسف .. ماذا حدث ..

واستطرد قائلا :

ــ ما كانش لازم ابوسك .. فى أول مرة نتقابل .. مش كده ..

وأرخيت عينى .. لم أرد .. لم يكن شيئا من هذا قد خطر على بالى ..

وعاد ووضع يده على أكرة الباب ، وهو يقول :

ــ حاشوفك امتى ؟

قلت وانا لا استطيع ان أبتلع ريقى .. وصوتى يتعثر فى نشوتى :

ـ زى ما انت عايز ..

قال :

ـ بكرة الساعه اربعه ..

وهززت راسى موافقة ..

قال :

ـ بس ما تتاخريش

قلت وانا ابتسم :

ـ حاضر ..

وفتح الباب ..

وخرجت ..

وسرت فى الشارع .. ساهمة .. لم احاول ان ابحث عن تاكسى .. انى لم افق بعد .. اريد ان اسير ، لعلى افيق .. وقبلته لا تزال فوق شفتى .. تحرقهما .. وتسرى فى أعصابى .. انى أحس بها فوق صدرى .. فى قدمى ..

ولمحته فى سيارته بعد لحظات .. سيارة بويك موديل العام الماضى .. عام ١٩٥٤ .. ولم يلمحنى .. كان يجرى .. يجرى فى جنون .. يجرى الى حبه الكبير .. الى عيادته ..

وجدت نفسى فى شارع ٢٦ يوليو .. وافقت لأركب تاكسى الى مصر الجديدة .. وعدت ساهمة .. وسعادة غريبة تغمرنى .. .. سعادة لا أستطيع ان امسك بها .. واحس انها ليست مستقرة .. تكاد تسقط منى ..

ودخلت البيت وانا لا ازال ساهمة .. فى سعادة .. ولا ادرى ماذا قلت لأمى ..

ولكنى سمعتها تقول :

ـ فين دبلتك يا ميتو ..

وانتبهت ..

واسعفنى ذكائى .. ذكائى الذى يصـــنع الكذب .. وقلت :

ــ أصل كنت باشوف شرابات نايلون .. وخفت ينقطعوا وأنا باحط ايدى فيهم .. قلعت الدبلة ..

وبسرعة فتحت حقيبتى واخرجت منها دبلة الزواج ، ووضعتها فى اصبعى .. وعدت ساهمة .. ملهية عن كل شىء حتى الدبلة التى وضعتها فى أصبعى ..

ورقدت فى فراشى .. وانا استعيد كل لحظة مرت بى .. كل حركة .. كل لفتة ..

واغمض عينى لأسمع صــوته .. وارى كل قطعة من قطع الأثاث التى كانت تحيط بنا ..

ولكن ..

شىء غريب ..

انى احس بجسدى ..

احس به كما لم احس به من قبـــل .. احس به كأن كل مسامه تفتحت .. كل مسامه أفواه صغيرة تريد أن تشرب .. وارفع كفى واضغط بهما على صدرى .. وعلى خصرى .. وعلى ساقى .. وهاشم فى خيالى ..

أنا اريد هاشم ..

وقمت من فراشى ، وتســللت الى التليفون .. وأدرت رقمه .. وسمعت صوته .. ولم أرد .. فقط ، ابتسمت له .. اكتفيت بصوته ، وعدت الى غرفتى ..

انى أحب ..

كنت ايامها أصدق الحب .. واعتقد ان هــذا هو الحب ..

وعشت هائمة فى الحب ..

و ...
وذهبت اليـــه فى اليوم التالى .. تأخرت نصف ساعة .. واستقبلنى ، وسحابة الزهق والغيظ تكسو وجهه .. انى أحبه اكثر وهو مغتاظ .. وقد ظل مغتاظا لحظات ، وأنا أخفى فى صدرى ابتسامة كبيرة .. ثم التفت الى ، وقال :

ــ تعرفى لو تأخرت تانى ، حاعمل فيكى ايه .. حاضربك ..

قلت وأنا أنظر اليه وابتسامتى فى عينى :

ــ ما تقدرش ..

قال :

ــ أقدر .. انتى لسه ما تعرفنيش ..

ثم جذبنى من يدى ، ودخل بى الى المطبخ ، ليرينى كيف يصنع لنفسه فنجان القهوة .. المطبخ مرتب ، نظيف .. لم ر فى حياتى كل هذا الترتيب والنظافة .. وقلت وأنا أطوف بعينى فى أرجائه :

ــ ده انت ست بيت ممتاز ..

قال وهو يشعل البوتاجاز :

ــ مش انا ... ده عم محمود البواب ..

ثم بدأ يصنع القهوة كأنه يقوم بعملية حسابية .. كل شىء بحساب .. وحاجباه معقودان كأنه يركز تفكيره كله فى القهوة .. وشرب القهوة ..

أخذت رشفة من فنجاله ..

وضـــحكنا .. كل شىء يضـــحك حولنا .. وكل قطعة منـــا تضحك .. انه ليس الدكتور هاشم .. انه هاشم فقط .. مرح .. بسيط .. وعينـــاه أكثر اتساعا .. وتبرقان أحيـــانا حتى اخافهما .. وتهدآن حتى اكاد أنام بينهما .. ولم يتعمد شـــيئا .. لم أشعر أنه تعمد شيئا .. ولكنى وجدت شفتى الجاهلتين

تتلقيان الدرس الثانى .. انه يمتصنى كلى .. واصابعه تضغط على ذراعى ، كأنه يعتصرنى . .ومسام جسدى تتفتح أكثر .. الأفواه الصغيرة تشرب ، ولا ترتوى ..

وغصت أكثر ..

انى اغوص الى تحت .. الى أعمق أعماق الحب .. او ما كنت اعتقد أنه الحب ..

وذهبت الى لقائنا الثالث .. متأخرة أيضا .. ثلث ساعة .. هل تعمدت أن اتأخر .. لا أدرى .. وتركنى أدخل ، ثم أغلق الباب ورائى .. وقف أمامى صامتا ، وعيناه المنتفختان ثائرتان .. ووجهه متجهم .. شفتاه منطبقتان .. وحاولت أن ابتسم .. ولكنى لم استطع .. انى خائفة منه .. ليس خوفا .. ولكنه نوع من الترقب للمجهول .. احساس بأنى مقبلة على مغامرة جديدة .

وفجأة رفع كفه وصفعنى .. صفعة قوية .. واهتز كل شىء أمام عينى ، وطنين فى أذنى .. وضعت يدى على خدى ، وأنا اتنهد :

ــ آى ..

ــ انا قلت لو اتاخرت حاضربك .

وصفعنى صفعة أخرى على خدى الثانى .. ثم جذبنى من شعرى واوقعنى على الأرض .. ثم وجدته فوقى .. ثم لم أعد أدرى ما يحدث لى .. ان ما يحدث أسرع من أن الاحقه بعقلى .. شفتاه فوق شفتى ، ولا اكاد استريح بينهما . حتى أجدهما فوق عنقى .. ولا أكاد اشعر بعنقى حتى أشعر باصابعه تفك أزرار « بلوزتى » .. وقطعة من جسدى تتعرى .. وقطعة

اخرى .. وهو مجنون .. لا يكف .. وانا أقاوم فى استسلام .. والأفواه الصغيرة تشرب ..

ومن يومها ..

تعودت أن اثيره ..

وتعود أن يضربنى ..

لم نعد نلتقى الا هـكذا .. مجانين .. نكاد يمزق أحـدنا الآخر .. ثم نهدأ .. واعود كما كنت .. سنتى المكسورة الخفيفة الدم ، تبتسم فى سذاجة البنات .. ويعود هاشم الى شخصية الدكتور هاشـم .. جادا ، وقورا ، نظراته الصـارمة تطل من فوق انفه الكبير .. ويذهب الى حبه الأكبر .. الى عيادته .

وعشت فى هـذا الجنون .. وفى كل لحظة جنـون ، أدع هاشم يكتشف منى اكثر ... الى أن تم اكتشافى .. اكتشـافى كلى .. لا .. ليس كل شىء .. ترك القليل لزوجى ..

هل كنت افكر فى زوجى . هل انبنى ضميرى .. هل احترت .. هل شعرت بالخطيئة .. هل كرهته .. أبدا .. ابدا .. لا شىء من كل هذا .. كأن زوجى موضوع آخر غير ما أفعـله .. كأن ما افعله ليس له شأن به .. ولا يمسه من قريب أو من بعيد .. يكفيه انى اخلع دبلته كلما ذهبت الى هاشم .. احتراما له ..

وكنت أحيانا افكر فى مصير علاقتى بهاشم .. فى المسـتقبل .. واعود الى خطط الزواج .. ولكن ... فى هـذه الأيام كان المهم هو أن القاه لا أن اتزوجه .. اصبحت اعيش للقائه لا للزواج به .. اختفى احساسى بالمستقبل وراء احساسى بنشوة حاضرى .. انى مندفعة .. مغمضة العينين .. مغمضة العقل ...

— الى ان كان يوم ... بعد ثلاثة شهور ..

وكان لقاؤنا على وشك ان ينتهى .. وهاشم راقد فى الفراش عارى الصدر .. وعضلاته السمر مستريحة فى استرخاء .. وانا جالسة امام المرآة بقميصى الداخلى أمشط شعرى..وقلت وانا أبتسم لصورته المنعكسة امامى من المرآة :

ــ بتحبنى أد ايه يا هاشم ..

ولم اكن اقصد السؤال .. كل ما هنالك انى كنت فى حاجة لان يدللنى بكلمة حلوة ..

وقال وعلى شفتيه ابتسامة ضيقة :

ــ وانتى بتحبينى أد ايه ؟

قلت :

ــ لسه مش عارف ؟ !

قال :

ــ لا .. مش عارف !

قلت :

ــ كل ده ومش عارف ؟

قال :

ــ ساعات ما بصدقش انك بتحبينى ..

والتفت اليه وقلت فى دهشة :

ــ امال كل ده يبقى ايه ؟

قال :

ــ يمكن عايزه تتجوزينى ..

واحتدت نظراتى .. نظرت اليه كأنى أحاول أن اخنقه .. وانفاسى بدأت تثور فى صدرى ..

واستطرد قائلا :

ــ كل اللى عرفتهم كانوا عايزين يتجوزونى .. انا باعتقد

ان الستات ما يعرفوش الحب ، انما يعرفوا الجواز .. ما يقدروش يعيشوا بالحب .. انما يعيشوا بالجواز ..

وأدرت رأسى عنه ..

ثم مددت يدى والتقطت حقيبتى ، وأخرجت منها دبلة زواجى .. والقيتها فى وجهه .. وعدت أنظر فى المرآة وامشط شعرى فى عصبية ..

والتقط الدبلة ..

لمحته فى المرآة يلتقطها ..

ثم اعتدل من رقدته ، وأخذ يحلق فيها ، وقال والدهشة تملأ عينيه :

ــ ايه دى ؟

قلت وانا أشد شعرى بأسنان المشط :

ــ دبلتى ..

قال :

ــ انتى مخطوبة ..

قلت فى برود :

ــ مكتوب كتابى ..

وقفز من فوق الفراش وجاء الى جانبى والمفاجأة تنزف من تحت جفنيه المنتفختين وقال فى صوت مبهور :

ــ من امتى ؟

قلت وانا اشد شعرى :

ــ من زمان .. من قبل ما أعرفك ..

قال :

ــ وما قلتليش ليه ؟

قلت وأنا اهز كتفى :

ـــ كده ..

وسقط على ركبتيه ، واحتضنني وانا جالسة على المقعـد ، ودفن وجهه في عنقي ..

وقلت وانا اشيح بوجهي عنه :

ـــ استريحت .. صدقت .. صدقت انى باحبك ..

وهمس :

ـــ يا حبيبتى ..

ولا أدرى لماذا كرهته ساعتها .. وظللت اكرهه طول اليوم .. ولكنى لم استطع ان استمر فى كرهه .. انى اريده .. الأفواه الصغيرة تريد أن تشرب ..

وعدت اليه ..

كما تعودت أن أعود دائما ..

واندفعت اكثر .. وعواطفى تزداد صخبا .. لقـد بدات اغار عليه من مرضاه .. ومن المجتمع الذى يعيش فيه ، بعيدا عنى .. غيرة مكتومة لا افصح عنها .. وكنت دائما اتساءل : اين يذهب فى الليل .. انه يقدم لى كشف الحسـاب دائما .. تعشى فى سميراميس ، ثم عاد الى البيت .. بيت أخته .. أو كان مدعوا فى حفلة .. او .. او .. ولكنى لا اطمئن . رجل مثله لا يمكن أن يقضى كل الليالى وحده ..

وثارت فى راسى فكرة مجنونة ..

لماذا لا القاه فى الليل !!

جننت ..

وكانت أمى تعطينى مفتاح الشقة عنـدما أخرج مع زوجى لنسهر فى الخارج ، حتى لا أزعج أحد عندما أعود .. واتفقت مع هاشم على أن ينتظرنى عند اول شارع صلاح الدين .. فى

الساعة الثانية عشرة والنصف .. بعد منتصف الليل .. وحاول هاشم أن يرفض .. حاول أن يفيقنى من جنونى .. ولكنى أصررت ، واتهمته أن له امرأة يقابلها فى الليل .. فاستسلم ..

وخرجت مع زوجى .. ذهبنا الى السينما .. ثم ادعيت ان عندى صداعا .. وصدقنى المسكين .. وعاد بى الى البيت .. وقبلنى على خدى .. لا يزال كل نصيبه منى ، قبلة على الخد .. ونزلت من السيارة ، وهو يقول لى فى حنان عبيط :

ــ خدى اسبرينه ، وفنجان شاى .. واقفلى الشباك . وانتظرت قليلا ، الى ان اطمأننت الى أن زوجى ابتعد بسيارته .. ثم عدت أنزل .. الى الشارع .. وجريت الى حيث ينتظرنى هاشم .. والقيت نفسى فى سيارته .. وانطلق وهو ينظر الى فى دهشة من جراتى . .من جنونى .. وذهبنا الى شقة الزمالك ..

ان البنات اللاتى يقلن ان كل ما يحدث فى الليل ، يمكن ان يحدث فى النهار .. واهمات .. ان ما يحدث فى الليل اكثر .. لا ادرى لماذا .. ربما لأن عيون الناس مغمضة .. وعيون السماء مغمضة .. وقد اخذت فى الليل أكثر مما تعودت أن آخذ فى النهار .. واعطيت اكثر !

وعدت فى الثامنة صباحا .. وبيتى كله نائم .. لم يشعر بى أحد ..

واستمر جنونى ..

انى أعيش فى دوامة الجنون .. انى لا أهدأ .. أريد فى كل يوم مغامرة .. واثير هاشم ، وهاشم يضربنى .. والأفواه الصغيرة تشرب ..

ثم ..

فجـــأة ..

وكانت قد مضت سبعة شهور على لقائى بهاشـــم .. عاد زوجى من السويس وهو مصر على أن يعجـــل بالزواج .. انه لا يريد أن ينتظر الى أن يتم بناء الفيللا وتجهيزها .. انه يحس اننا نبتعد أحدنا عن الآخر .. ويريد أن نتزوج الأســـبوع القـــادم .. ويصر .. فى عناد .. واقنع امى .. واقنع زوج امى .. واقنع أبى .. واقنـــع خالاتى الخمس .. والجميع فـــوق راسى يلحون .. ويصرون ..

ــ لا أحد يريد أن يسمعنى .. لقد انتظر الزوج طويلا .. وما يطالب به هو من حقه ..

وهرعت الى هاشم ... وقلت وانا لا انظر فى عينيه :

ــ أنا خلاص .. حاتجوز ..

قال :

ــ مش معقول .. امتى ؟

قلت :

ــ الخميس الجاى ..

وتجهم وجهه .. وأدار ظهره لى كأنه متأثر .. ولكنى شعرت ساعتها انه يمثل .. وقال وهو يتنهد :

ــ على كل حال انا كنت منتظر اليوم ده .. اليوم اللى تيجى تقوليلى فيه انك حتتجوزى ، وتسافرى تعيشى فى السويس ..

وسكت برهة .. وأنا أنظر اليه بكل عينى .. ثم قلت وصوتى يرتعش :

ــ هاشم .. انت ما تقدرش تتجوزنى ؟

ورفع الى عينيه فى لفتة سريعة ، ثم خفضهما ، وقال وهو يدير رأسه :

ـــ لا ..

قلت فى حدة :

ـــ ايه .

قال فى صوت صارم ، كأنه يرفض النقاش ، وهو لا ينظر لى :

ـــ لأنى ما قررتش اتجوز ..

وبكيت ..

انهمرت دموعى رغم ارادتى .. دموع فيها غيظ .. وفيهما ذل .. وفيها استسلام لضعفى ..

وجاء الى .. وقال كلاما كثيرا لم أكن اسمعه . ولكنه يقبلنى .. ويقبلنى أكثر .. والأفواه الصغيرة تتفتح .. وانا مستسلمة .. لا أستطيع أن أقاومه .. ولا أن أقاوم جسدى الذى يثيره .. والدموع فى عينى ..

ثم ..

تركنى ..

كلهم تركونى ..

تركونى أتزوج عبد السلام ..

و ..

وبدات قصتى ..

— ٣ —

وتزوجت بلا فرح ..
وسافرت فى نفس الليلة الى السويس لأقيم فى بيت زوجى .. ومع أمه .. الى أن يتم اعداد الفيللا الجديدة التى يبنيهـا لى ..
هل أروى التفاصيل ؟
لا .. لست أول فتاة تتزوج رجلا لا تحبه .. والبنات اللاتى يتزوجن بلا حب ، حكاياتهن معروفة ..

ولكنى اتساءل اليوم .. لو لم يكن هاشم قد دخل حياتى ، هل كان يمكن ان اتعود على زوجى .. واستسلم لتعودى عليه .. وأهنأ بالحياة معه ، ونعيش فى التبات والنبات ، ونخلف صبيانا وبنات ؟ ..
ربما ..

ولكنى ايامها لم اكن اؤمن بأن الحياة هى تعود .. كنت أؤمن بأن الحياة هى الحب .. وكنت فى الوقت نفسه قد بدأت اتعود على هاشم .. لمساته .. أنفاسه .. هذه الساعات السريعة التى يختطفها من وقت مرضاه ليعطيها لى .. هذا الجنون العنيف الذى نعيشه معا ..
وربما كنت استطيع يوم تزوجت أن انسى هاشم .. أن احرر نفسى من تعودى عليه .. فلم يكن قد مضى على علاقتنا اكثر من سبعة شهور .. ولكنى لم احاول .. ابدا لم احاول .. ولا للحظة واحدة حاولت أن انساه .. ولا للحظة واحدة حاولت أن اكون

زوجة مخلصة .. لم يخطر على بالى أيامها موضوع الاخلاص لزوجى .. زوجى نفسه لم يكن موضوعا أفكر فيه ..

ومنذ ركبت السيارة بجانب عبد السلام فى طريقنا الى السويس ، وأنا أفكر فى هاشم .. وافكر كيف أستطيع أن القاه .. ومتى .. ورقدت على فراش زوجى وعقلى لا يزال وراء هاشم .. لا احس بالرجل الآخر الذى يرقد بجانبى .. لا احس بما يريد ، ولا بما يحاول .. لست خائفة .. ولا مترقبة .. مسام جسدى كلها منقبضة ، مزمومة .. كل ما اشعر به هو رائحة البطارخ المنطلقة من فمه .. فأدير راسى عنه حتى أبتعد عن ريحها .. والمسكين يبذل كل ما يستطيع ، وهو يعتقد انى لا زلت صغيرة .. لا استطيع بعد ان أكون زوجة ..

ونام ..

وتركنى أفكر .. فى هدوء .. وقد كنت ثائرة يومها على هاشم .. ثائرة لأنه تركنى أتزوج .. كنت احس أنه رمانى .. جرح كرامتى .. ورغم ذلك كنت مندفعة نحوه بكل كيانى .. وكنت أحيانا التمس له العذر .. انه لم يخدعنى .. لم يعدنى بشىء ثم تخلى عنى .. .. ثم أعود واشعر كأنى أريد ان أنتقم منه .. أن أذهب اليه لأذله كما أذلنى .. ثم أعود وأرى فى خيالى طاقة كبيرة من الأمل .. لعلنى لا زلت أستطيع أن أتزوجه .. من يدرى ! ..

وفى اليوم التالى .. يوم الصباحية خرج زوجى الى مكتبه القريب من البيت .. وبقيت فى فراشى .. لا اريد أن اقوم منه .. ليس هناك ما يدفعنى للقيام .. ولم أغسل وجهى .. ولا غيرت قميصى .. ولا سرحت شعرى .. بل انى ـ ربما لأول مرة ـ

لم اتلهف على مرآتى .. وكل قطعة منى ملقاة فى اهمال ، كأنى استغنيت عنها .. وصدرى مقبوض ..

وجاءت حماتى وبين شفتيها ابتسامة كبيرة ، وقالت وهى تضع فى صوتها رنة الفرح :

— صباح الخير يا عروستنا .. السويس كلها منورة ..

ولم تفتح ابتسامتها قلبى .. بالعكس زادته انقباضا .. احسست كأنها ناظرة مدرسة جاءت لتنبهنى الى واجباتى ..

وعادت تقول وهى لا تزال تعلق بين شفتيها ابتسامتها الكبيرة :

— مش تقومى توضبى نفسك يا بنتى يمكن حد ييجى .. دول ستات السويس كلهم عايزين يشوفوكى ..

وقلت وانا اتأوه :

— مش قادره والنبى يا طنط .. تعبانه مش عارفه مالى .. ما اظنش حاقدر اقابل حد دلوقت .. خليهم بعد الضهر ..

ونظرت الى من تحت جفنيها كأنها تختبرنى ، ثم استردت فرحتها بسرعة ، وقالت :

— وماله يا بنتى .. خليكى مستريحه .. انا حاتصل بيهم واقول لهم الزياره بعد الضهر .. تحبى أجيب لك الفطار فى السرير ..

قلت وأنا أدعى التعب :

— لو سمحت يا طنط .. ولو سمحت خللى السفرجى يجيب لى التليفون علشان أكلم ماما ..

والتفتت الى لفتة سريعة ، ثم عادت وقالت :

— وماله يا بنتى .. اللى مالوش خير فى أهله ، ما لوش خير فى حد ..

وكرهتها ..

احسست كأنها تمد عينيها الى عنقى لتختفى .. كأنها تبحث من اين تستطيع ان تسيطر على .. أن تركبنى .. وشعرت بلهفة شديدة الى امى .. احسست انى اصبحت يتيمة .. أريد ماما .. أريدها بجانبى .. لتحمينى من حماتى ..

وجاء السفرجى بصينية الافطار .. ولكنه لم يأت بالتليفون .. وبقيت ساكتة .. تناولت لقمتين من أفطارى .. ومعدتى مقفولة ، تصد كل ما القيه اليها .. ثم ضغطت على الجرس انادى السفرجى ..

وقلت له بلهجة آمرة :

ــ تانى مره ما تجبش لى مربة لارنج .. ما بحبهاش .. شيل الصينية .. وروح هات التليفون ..

قال فى أدب :

ــ بس الست الكبيرة بتتكلم ..

قلت :

ــ طيب بعد ما تتكلم ، هات التليفون ..

وخرج السفرجى .. واعصابى تكاد تتمزق .. ابخرة الغيظ متجمعة فى صدرى .. واليوم الطويل ممتد امامى كثعبان يفتح فكيه ليبتلعنى .. فراغ .. فراغ يأكلنى .. ومرت لحظات .. لا ادرى اكانت طويلة أم قصيرة ، ثم ضغطت الجرس انادى السفرجى مرة أخرى ، وصرخت فى وجهه :

ــ روح قول للست الكبيرة تجيب التليفون ..

وكانت قلة ادب منى .. ولكنى كنت ثائرة .. ثائرة على فراغى ..

وبعد برهة دخلت حماتى ، تحمل آلة التليفون بنفسها ، وقالت وهى تحاول ان تبدو رقيقة مهذبة :

ـ انا آسفة يا بنتى .. كنت باعزم الستات اللى حايزورونا بعد الضهر ..

وتمتمت :

ـ متشكرة يا طنط .

ورمتنى حماتى بنظرة من نظراتها ، ثم خرجت ..

واتصلت بأمى ..

وما كدت أسمع صوتها .. حتى بكيت .. انطلقت كل دموعى .. احسست انى وجدتها بعد أن بحثت عنها سنين طويلة ..

وقالت أمى جزعة :

ـ مالك يا بنتى .. مالك يا ميتو ..

قلت وانا اشهق :

ـ ما فيش حاجه يا مامى .. بس وحشتينى .. وحشتينى قوى ..

قالت وصوتها يملأ صدرى حنانا :

ـ وبعدين يا ميتو .. ما تعمليش كده .. انتى كبرتى ..

قلت وانا احاول ان اكتم دموعى :

ـ تعاليلى يا مامى .. تعاليلى دلوقت .. مش معقول انك تسيبينى لوحدى بالشكل ده ..

وقالت امى وهى تحاول أن تبدو حازمة :

ـ حاجيلك الجمعة الجايه باذن الله .. قوليلى .. عاملة ايه ؟

واخذت اروى لها اخبارى .. كل اخبارى .. وضيقى .. والح عليها أن تأتى الى .. وهى تصبرنى .. وتنصحنى .. نصائح كثيرة تنطلق من اذنى اليمنى لتخرج من اذنى اليسرى ..

وتوصينى بزوجى عبد السلام .. ثم طلبت منى أن انادى حماتى لتحادثها .. ورفضت .. قلت لهـا انها مشـغولة .. ولكن أمى اصرت .. وطلبت من السفرجى أن انادى حماتى .. واخذت الأم والحماة تنافق احداهما الأخرى .. وأنا جالسة فى السرير ، وعلى شفتى ابتسامة باهتة ، وبقايا الدموع فى عينى ..

وانتهت المحادثة ..

وحماتى واقفة بجانب فراشى كشـبح العذاب ، تنظر الى التليفون ..

وقلت أدعى التردد :

ـــ اقدر أكلم بابا كمان ؟

قالت على الفور :

ـــ طبعا يا حبيبتى .. ده بيتك ، وتليفونك ..

وخرجت من الغرفة تاركة لى التليفون ..

ولم أشعر أن هذا البيت بيتى ،ولا أن هذا التليفون تليفونى .. كنت أحس أنى فى بنسيون .. فى لوكاندة .. ضيفة عند حماتى .. وقد بقى هذا الاحساس يصاحبنى دائما .. لا ادرى لماذا .. ولا ادرى لماذا كرهت حماتى .. انها لم تضـايقنى فى حياتى .. بالعكس كانت حريصة على عدم مضايقتى ، حرصـا يصل الى حد مضايقتى ..

وانى اتساءل الآن .. هل لو انى اقمت مع زوجى فى بيت وحدنا منذ اليوم الأول لزواجنا .. هل كنت أحببت بيتى .. واحببت حماتى ؟

ربما .. لست أدرى !

وأنا لا زلت فى فراشى .. والتليفون فى حجـرى .. ولم

اكن اريد أن احادث ابى .. انه لا ينتظر منى أن احادثه .. ولكن كان هناك شخص آخر أريد أن أحادثه ..

ونظرت الى الباب المفتوح .. باب غرفتى ..

وترددت فترة طويلة .. واليوم الطويل الفارغ يمتد أمامى كثعبان يفتح فكيه ليبتلعنى .. والضيق يزحف على صدرى ..

ثم لم أستطع ..

رفعت سماعة التليفون ، وأدرت رقم الترنك ، وطلبت نمرة هاشم .. طلبتها مستعجلة ..

ومضت نصف ساعة .. نصف ساعة هائلة .. كلى متحفزة .. منتبهة .. انظر الى الباب المفتوح .. ثم انظر الى داخل نفسى ، واحس أحيانا بخوف من اندفاعى .. واحيانا أحس أنى اتهافت على هاشم اكثر مما يجب .. تهافتا يفقدنى احترامى لنفسى .. واحيانا تملأنى لذة المغامرة .. وابتسم وانا اتخيل ملامح الدهشة تكسو وجه هاشم عندما يسمع صوتى ..

وسمعت صوته ..

وارتج قلبى بين ضلوعى ..

وقال بلهجته السريعة التى تعود أن يحادثنى بها :

ــ ازيك يا عروسه .. بتتكلمى منين ..

قلت ويدى الممسكة بسماعة التليفون ترتعش ، وابتسامتى ترتعش :

ــ من السويس ..

قال :

ــ عارف انك بتتكلمى من السويس .. منين فى السويس ؟

قلت فى دهشة من سؤاله :

ــ من بيتى ..
قال وضحكة صغيرة بين كلماته :
ــ أما مجنونه صحيح ..
قلت وانا انظر فى الفراغ الذى امامى بكل عينى كأنى احاول أن أثقب الفراغ بعينى لأراه ؟
ــ وحشتك ..
قال بسرعة :
ــ قوى .. حاشوفك امتى ؟
قالها ببساطة كأنى لم اتزوج .. كأن الزواج لا يمكن أن يحول بينى وبين لقائه .. أو كأنه تعود على لقاء الزوجات .
وقلت كأنى اتحداه .. كأنى ارد على استهانته بزواجى :
ــ انت ناسى انى اتجوزت ..
قال :
ــ مش ناسى .. ومش قادر انسى انك وحشانى ..
قلت وانا احاول أن أكون خبيثة :
ــ وعاجبك كده ؟
قال :
ــ عاجبنى ايه ؟
قلت :
ــ عاجبك انى اتجوزت ، ومش قادره اشوفك ..
قال فى لهجة واقفة لا حياة فيها :
ــ ما كانش ممكن غير كده .. على كل حال انا مش مهم .. المهم انت .. المهم انك تكونى سعيدة ..
قلت :
ــ يا ريت يا هاشم ..

وسمعت صوت اقدام تقترب من غرفتى .. ربما كانت أقدام حماتى .. وقلت لهاشم بسرعة :

ــ حابقى اكلمك بعدين .. مع السلامه دلوقت ..

والقيت سماعة التليفون ..

والقيت راسى على الوسادة .. مستريحة .. هائمة .. كانى اخذت جرعة من الحياة .. اشبعتنى .. مؤقتا .. وخيالى كله مع هاشم .. ثم بدأ خيالى يسرى فى جسدى .. واحس بلمساته .. والأفوام الصغيرة .. مسامى .. تتفتح .. عطشى تريد أن تشرب .. ولا تجد من يسقيها ..

وعاد زوجى .. ووجدنى كما تركنى فى الصباح .. بقميص النوم .. مهوشة الشعر .. وأثار النوم ، مختلطة بالدموع التى ذرفتها ، تكسو عينى .. وابتسم لى كأنى أجمل فتاة فى العالم .. وجلس على حافة الفراش ومال بجسده يقبلنى .. وانقبضت مسامى كلها .. لم اعد أريد أن اشرب ..

وازحته عنها وقلت فى رقة مفتعلة :

ــ اخرج دلوقتى لغاية ما البس ..

وقمت من الفراش .. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة .. وارتديت « روب ديشامبر » من الحرير الطبيعى ، مشغولا بالدانتيل .. ووقفت امام المرآة .. وانا أرى نفسى فى عينى هاشم .. ان هاشم لم يرنى أبدا فى مثل هذا الروب .. لم يرنى أبدا كعروس فى يوم الصباحية ..

وتزينت ، كأنى أتزين لهاشم .. وخرجت لأتناول طعام الغداء مع زوجى وحماتى ..

والحديث كله عن عائلات السويس اللاتى سأقابلهن هذا المساء ..

وعدنا الى غرفتنا بعد الغداء ..
لم اكن اريد أن اعود ..
ولكن زوجى سحبنى من يدى وهو يقول :
ـــ مش عايزه تستريحى شويه يا ميتو ..

واستسلمت له ، وسرت وراءه وأنا أشعر بحجر ثقيل احمله فى صدرى .. وحماتى تنظر الى ابنها فى سعادة وزهو .
وقلت له وأنا أعطيه اجمل ابتسامة أستطيع أن أعطيها له :
ـــ خدنى فسحنى فى السويس شويه .

قال وهو يقترب منى ويلف ذراعيه حولى ، وسنته الذهبية تلمع من خلال ابتسامته والثقوب الصغيرة تقفز فوق أنفه :
ـــ ياما حافسحك .. حاحط السويس كلها تحت رجليكى ..

بس خلينا مع بعض دلوقت ..
قلت فى توسل :
ـــ علشان خاطرى ..
قال وهو يضع فمه فوق شفتى :

ـــ علشان خاطرى أنا .. أنتى خايفه يا حلوه ..
لقد اعتقد أنى خائفة .. او انى اتدلل .. ويئست أن اعفيه منى .. واستسلمت ...
وحاول المسكين ..
محاولات مقززة ..
انه لا يستطيع ..
لا يستطيع أن يكتشفنى ..
وأنا كلوح الثلج .. أشرد أحيانا وهو يحاول .. ثم انتبه اليه برهة كأنى اتفرج على قرد يقفز أمامى ..
وضاق بى ..

وتركنى ، وأنفاســـه لاهثة ، والعرق يتفصــد من جبينـــه • والسخط فى عينيه ..

وقال :

ــ مش ممكن تكونى صغيره للدرجه دى ..

ثم بدأ يرتدى ثيابه ، وقال وهو يخرج ويصفق الباب وراءه :

ــ انا راجع المكتب ..

ولم اهتم ..

لم اشعر حتى بالشفقة عليه ..

وجلست افكر فى نصيبى .. فى ازمتى .. دون ان افكر لحظة واحدة فى كيفية ارضاء هــذا الزوج .. لم أفكر فى كيف اصبح زوجة .. فقط ادور والف بعقلى داخل أزمتى .. وأتنهد شوقا الى هاشم ..

وافقت على صوت حماتى وهى ترجونى أن أستعد لاستقبال الضيوف ..

وبدأت أستعد ..

وخطر لى ســاعتها أن أغيظ ســيدات السويس كلهن .. لا أدرى لماذا .. ولكنى أحسست ســاعتها انى أرقى منهن .. آتية من باريس الى بلد من بلاد الأرياف ..

وارتديت اجمل ثيابى .. وتغاليت فى الاهتمام بشــعرى وزينتى .. وخرجت اليهن بعد أن لطعتهن أكثر من نصف ســاعة .. وربما رأتنى سيدات الســويس جميلة ، ولكنى واثقة أنهن اجمعن على أن دمى ثقيل .. متقنزحة .. وأرضى غــرورى أن يقلن عنى هذا الكلام ..

وعدت الى غرفتى ..

والليل ..

وزوجي المسكين ..

وفي اليوم التالي .. حادثت هاشم في التليفون .. أصبحت احادثه كل يوم .. واحيانا أحادثه مرتين في اليوم .. وقد قال لي اني يجب أن أحترس فإن كشف حساب التليفون سيرسل الى زوجي مسجلا فيه الأرقام التي طلبتهـا ، وبينها رقمه .. وقد يسألني زوجي عن هذا الرقم .. ويكتشف شيئا ..

ولكني أجبته بلا مبالاة :

ـ ما تخافش ..

كنت واثقة ان زوجي لن يكتشف شيئا .. ان الزوج لا يكتشف شيئا الا اذا تعمد الاكتشاف .. وهو لن يتعمد الاكتشاف الا اذا بدا الشك يداخله .. وزوجي لا يشك في ..

والأيام تمر ثقيلة .. طويلة .. والمسافة تبتعد يوما بعد يوم بيني وبين زوجي .. وأعصابه تثور في كل ليلة .. ويبدأ يضع اللوم على .. ثم .. ولم يكن قد انقضى ستة أيام على زواجي .. طلبت منه أن نعود الى القاهرة لزيارة أمي .. ووافق بسرعة ..

وفرحت ..

سافرت كاني على موعد مع هاشم ..

واختلى عبد السلام بأمي بعد وصولنا .. اختلى بها طويلا ، بينما أسرعت انا الى غرفتي ، ورقدت على فراشي .. انى لم اجد بعد الفراش الذي يعوضني عن فراشي ..

وخرج عبد السلام من البيت ، وجاءت أمي لتجلس معي .. وبدأت تقول لي كلاما عجيبا جريئا .. انها تعلمني كيف أرضى زوجي .. كيف أساعده ، كما قالت .. كيف اثيره .. انا .. هذه مسئوليتي انا .. مستحيل .. وأمي تصر على التمادي في

الموضوع .. ووجدت نفسي أنساق معها .. نتحادث كصديقتين .. كلاما يضحكني .. اتعمد ان اسألها عن تفاصيل اكثر .. ثم اغطى عيني بكفي ، وهي تجيبني .. واصيح وانا اضحك .. مش معقول .. وامي تحتمل كل هذا الدلع مني ، وتزيدني تفصيلا ..

ولم تكن امي تعلم انها تلقنني اول درس في طريق طويل مزقت على جانبيه حياتي .. لم تكن تدرى أنها عندما كانت تعلمني كيف اكون لرجل لا أريده .. كانت تضع قدمي على حافة الهاوية .. حتى لو كان هذا الرجل هو زوجي .. لا فرق .. ان التي تتعود على رجل لا تريده .. تجد أمامها عشرات الرجال لا تريدهم ..

واتصلت في نفس اليوم بالدكتور هاشم .. طلبت منه ان يلقاني في اليوم التالي الساعة الحادية عشرة صباحا .. وقال رغم فرحته بي :

— ما اقدرش يا أمينه انتي عارفه مواعيد العياده ..

قلت :

— بس انا جوزي معايا .. وما قدرش اقابلك الا في الميعاد ده .. وما فيهاش حاجة لما تتأخر عن العياده شويه ..

قال في حزم :

— مش ممكن ..

كأني لم أزد شيئا عنده بعد أن أصبحت زوجة .. حتى ولا نصف ساعة من وقت مرضاه ..

وقلت وقد صدمني في لهفتي اليه :

— أمال اشوفك امتى ..

قال :

— انتي عارفه .. يا الساعه أربعه .. يا الساعه تسعه ..

وكنت استطيع أن احدد موعدى معه مباشرة .. ولكنى شعرت بنوع من الكبرياء يدفعنى لأن اماطله .. وقلت :

ــ طيب لما اشوف .. لو قدرت حاتصل بيك تانى ..

وكنت اعلم انى لن استطيع أن اقاوم طويلا .. كنت اعلم انى اضعف منه .. واضعف من أن اقاومه ..

واتصلت به فى اليوم التالى .. وحددت معه موعداً فى الساعة الرابعة ...

قلت لزوجى ولأمى انى ذاهبة الى الحلاق .. وفعلا اوصلنى زوجى بسيارته الى الحلاق ، واتفقت معه على أن يعود ويأخذنى فى الساعة السادسة ...

ودخلت محل الحلاق وحددت معه موعدا فى الساعة الخامسة والنصف .. ثم خرجت بسرعة ، وركبت تاكسى .. وذهبت الى هاشم ...

وكنت مغتاظة وأنا ذاهبة اليه .. كنت اشعر برجفة المغامرة ، ولكن شعورى بالغيظ كان أكبر .. لا ادرى لماذا كل هذا الغيظ .. انى ذاهبة اليه كما كنت أذهب كل مرة .. فلماذا اغتاظ .. ربما احسست ساعتها بانى الاحقه بدل ان اتركه يلاحقنى .. ربما احسست انى اضحى بكل شىء ، وهو لا يضحى بشىء .. حتى ولا بنصف ساعة من وقت مرضاه ..

ووصلت اليه متأخرة ربع ساعة .. ولم يغضب .. ولم ار سحابة الزهق تكسو وجهه كما عودنى ..

شدنى من يدى ، وأغلق ورائى الباب .. ثم احتوانى فى صدره ، وهمس فى أذنى وهو يضغطنى بذراعيه :

ــ وحشانى .. وحشانى موت ...

ولم استرح فى صدره .. كنت عصبية لا أستطيع أن استريح

.. لا ستطيع ان افرح بلقائه ولا ان اغضب .. لا استطيع ان استسلم ، ولا ان اقاوم ، لا استطيع ان اثور ، ولا ان اهدأ .. لا أستطيع شيئا ..

وابعدنى عنه ، ثم سحبنى من يدى واجلسنى بجانبه فوق الأريكة .. وهو يقول وابتسامة كبيرة بين شفتيه .. ابتسامة اكبر مما تعودتها منه :

— احكيلى .. عامله ايه ؟

وبدأت احكى له .. قلت له انى زهقانة من عيشتى .. وانى لا أطيق زوجى .. ولا بيتى .. ولا حماتى .. ولا السويس كلها .. ولكنه لا يستمع لى .. انه يقول كلاما .. يوصينى بأن اصبر .. وأن احتمل .. ولكن الكلام يخرج من فمه كأنه كلام محفوظ .. كأنه يردد كلمات لا يعنيها .. وكأنه لا يسمع شكواى ولا يتأثر بها .. ويده تمتد الى شعرى تزيح خصلاته من فوق جبينى ، ثم تندس بين طياته .. ويقترب منى .. ويلف ذراعه حولى .. ثم ينظر فى عينى ويقول فى لهجة رقيقة لم اتعودها منه أيضا :

— انتى مظلومه يا امينه . مظلومه بجوزك .. ومظلومه بى ...

ثم ضمنى اليه ..
ويده تمسح على ظهرى ..
انى أعرف ما يريد ..
واريد ان ابكى ..
اقاوم دموعى بكل ارادتى ..
والتقط شفتى بشفتيه .. لا .. لا اريد .. ان مسامى

منقبضة .. انها لا تنفتح كعادتها معه .. ولكنى لست متضايقة .. لا احس بهذا الضيق الذى اشعر به مع زوجى .. ولا بهذا البرود .. كانى اسير فى طريق أعرفه .. تعودت عليه .. حتى لو لم أكن أريد السير فيه ..

واعطى لنفسه حرية أكثر ..

ملهوفا .. متعجلا .. حتى يلحق موعد العيادة ..

وبكيت ..

كان بكائى صامتا .. ولكنى لم أستطع أن أبقيه صامتا .. تكلم دمعى فى نشيج خافت .. وبكائى ونشيجى يثيره أكثر .. وأنا مستسلمة .. لا اقاوم ..

وتركنى ..

ولا زالت الدموع تسيل على خدى ..

وضمنى فى رفق الى صدره واخذ يواسينى .. ويقول كلاما يحاول أن يكون رقيقا .. ما فائدة الكلام .. كله كلام لا يحل مشكلتى .. وهو متعجل .. انى اعرف انه على عجل .. يريد ان يلحق بموعد العيادة ..

وابتعدت عنه ، وأنا اقول كانى انفزه .. كانى الومه .. كانى اكتشفه :

ـ انت اتأخرت على العياده يا هاشم .. حاسيبك بأه ..

ووقف صامتا ..

واستدرت له لأخرج ..

ولحق بى هاتفا :

ـ حاشوفك امتى ؟

قلت وأنا أبتسم له ابتسامة فيها مرارة وفيها سخرية :

ـ ما اعرفش .. حا ابقى اتصل بيك .

وخرجت ..
والذل يأكل أعصابى .. والغيظ .. والحيرة ..
وعدت الى الحلاق .. وجلست تحت يده .. وأنا أفكر فى طريقة أخلص بها نفسى من هاشــم .. هل يستطيع زوجى أن يخلصنى منه .. ربما لو اتبعت الدرس الذى لقنته لي أمى لاستطعت أن أجعل منه شيئا أتعود علية ..

وقررت أن أتبع دروس أمى ..
أن أرضى زوجى ..
لعلنى أتعود عليه .. ولعله يخلصنى من هاشم ..
وجاء المسكين فى الساعة السادسة .. ومنحته أكبر ابتساماتى .. كأنى أعده بشىء كبير ... جديد .. ثم تركته ينتظرنى ساعة كاملة الى أن انتهيت من الحلاق ..
وعدنا ليلتها الى السويس بعد أن تناولنا طعام العشـــاء فى بيت أمى ..
وهناك ..
فى غرفتنا ..
كنت متعبة .. لم أستطع أن أبدأ فى تطبيق الدرس الذى لقنته لى أمى .. ثم .. كان كثيرا على أن أكون لرجلين فى ليلة واحدة .. أحس بنفسى رخيصة .. مبتذلة .. جسدى يقشعر ، وجلدى يتكرمش ، كلما لمست جسد زوجى ..
ولكنى حاولت فى الليلة التالية ..
يا ربى .. ما أقسى المحاولة ..

انها عذاب .. ذل .. معدتى تتلوى ، استمر فى المحـــاولة .. أعطيه كل ما أوصتنى به أمى .. وأكثر .. بل انى أغش من هاشم وأحاول أن ألقنه الغش ..

وفرح زوجى بالمحاولة ..
انه الآن ليس مسكينا ..
ولم اتصل بهاشم فى هذا اليوم .. ولا فى اليوم التـالى .
مرت ثلاثة أيام لم اتصل به .. والأيام تمتد أمامى طويلة ، فارغة .. والزهق ، ثعبان يفتـح فكيـه المسـمومتين ويبتلعنى .. والمحاولات التى ابذلها لزوجى تقززنى .. وتبعـدنى عنه اكثر .. ومسام جسدى تزداد انقباضا ..
ثم ..
عدت أتصل بهاشم ...
وذهبت الى لقائه عندما جئنا الى القاهرة فى الأسـبوع التالى ..

وأصابتنى حالة اللامبالاة ..

لا مبالاة فى زينتى .. ولا مبالاة فى ثيابى ولا مبالاة بحماتى
لا مبلاة فى زينتى .. ولا مبالاة فى ثيابى ولا مبالاة بحماتى .. ولا مبالاة بعائلات السويس وبما يقولونه عنى .. ولا مبالاة حتى بامى ...

لا أبالى اذا ذهبت الى هاشم .. ما دمت اريده ... واللامبالاة تدفعنى الى جراة اكثر فى التحـدث اليه من السويس .. انى أتحدث اليه أحيانا ثلاث مرات فى اليوم .. ولا مبالاة فى لقائه .. انى ألقاه كل يوم أقضيه فى القاهرة .. وأستطيع أن ابتكر الأعذار لأذهب الى لقائه بعد الساعة التاسعة .. بعد أن تنتهى مواعيد العيادة المبجلة .. وابقى معه للعاشرة .. والحادية عشرة .. بل انى عودت زوجى على أن يتركنى وحـدى فى القـاهرة .. يوما أو يومين .. لأذهب الى هاشم بحرية اكثر ..
ولا ابالى ايضا وانا راقدة بجانب زوجى .. انه شىء يسلينى

.. تجلد جسدى فلم يعـــد يحس بضيق ، ولا بتقزز .. بل احيانا كان الزهق يشتد بى .. وادور في غرفتى كأنى أدور فى احد اقفاص حديقة الحيوان .. اريد اى شيء أعمله .. شيء يلهينى عن نفسى .. فأتصـــل بزوجى فى مكتبه .. وهو يبقى فيه طول اليوم حتى الساعة الخامسة .. واقول له فى دلال وكأنى العب لعبة مسلية :

ـ عبد السلام .. تعالى ..

ويقول لى :

ـ ما اقدرش يا ميتو .. عندى شغل .

واقول كأنى اتلوى :

ـ اخص عليك .. انا عايزاك ..

ويستسلم المسكين .. واسرع انا واخلع ثيابى كلها .. وارقد فى الفراش واغطى نفسى بالملاءة الخفيفة .. وانتظره وفى عينى نظرة خبيثة .. ثم اتســـلى برؤية عينيه الجاحظتين وهو يكشف عنى الملاءة .. ولعابه السائل على ذقنه ، وهو يتحســس جسدى .. وحركاته المضحكة وهو يحاول ان يأخذنى .. اتسلى .. مجرد تسلية .. لقطع الوقت .

لقد أصبح جسدى ، لعبتى ..

ولا أبالى ..

ولكن هذا الاحساس باللامبالاة كان ستارا شفافا فوق الأسى ، والضياع ، والحيرة ، والتفكك الذى أحس به فى دخيلة نفسى .. وكأن هذا الستار ينزاح أحيانا .. تطيره ذكرى أو فكرة ..

فأرى من ورائه عذابى .. وابكى ..

كنت أبكى كثيرا فى غرفتى .. وغرفتى هى المكان الوحيـــد الذى أملكه فى هذا البيت .. والباقى تملكه حماتى .. تركتـــه

والعب بجسدى ..

لعبتى الوحيدة ..

ولكنى مع الأيام ، سئمت اللعبـــة .. وبدأ ستار اللامبالاة يتمزق .. واجد نفسى مضطرة لأن أواجه مشكلتى .. بكل ثقلها بكل بشاعتها .

وكنت أعلم حل مشكلتى ..

لها .. لم أحاول أن آخذه منها .. كنت ضعيفة الشخصية الى حد أنى لا أستيطع أن أقف أمام شـــخصيتها .. أو أن أطالب بشيء .. كل ما أستطيعه هو أن أبتعد عنها .. وأن تتركنى فى حالى .. لزهقى .. للأيام الطويلة الفارغة .. و ..

الحل الوحيد .. أن أتزوج هاشم ..

انه الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يجعل منى زوجة كاملة .. الوحيد الذى يستطيع أن يملأ فراغى .. الوحيد الذى أستطيع أن أنتظره دون أن أزهق .. حتى لو ظل فى عيادته شهرا .. و ..

ولكنى حامل ..

يا خرابى ..

ابن من هذا الذى ينسج حياته فى داخلى ..

— ٤ —

كانت مفاجأة لى عندما اكتشفت أنى حامل .. ،

مفاجأة كبيرة ...

ذهلت ..

وكنت أعلم أنه سيأتى اليوم الذى أحمل فيه .. ولكنى كنت

احسور هذا اليوم بعيدا .. بعيدا جدا .. بعد سنتين .. ثلاث .. اربع سنوات .. والكلمات الكثيرة التى كنت اسمعها وتتمنى لى ابن الد ، وعقبال البكارى .. وعايزين نفرح بالنونو .. ويا لله هاتى لنا بنت حلوه زى أمها .. كل هذه الكلمات لم تكن تقرب هذا اليوم فى خيالى .. حتى أحاديث امى ، ولمعة عينيها وهى تسألنى عن حالى كلما التقينا .. ونظرة حماتى التى تستقبلنى بها كل صباح ، وتتبعها لى وانا انتظر شارة انوثتى كل شهر .. كل هذا لم يدفعنى الى الاحساس بأنى قد احمل فى اى يوم قريب ...

ربما لأنى كنت اعيش فى أزمتى .. كنت أعيش عمرى ساعة بساعة .. يوما بيوم .. وكان عقلى .. وكانت احاسيسى .. وكان جسدى .. كان كل شىء موزعا بين زوجى وهاشم .. لا شىء غيرهما يشغل بالى .. او افكر فيه .. او انتظره ..

وفى علاقتى مع زوجى ومع هاشم ، لم اكن انتظر ان احمل من احدهما .. هكذا بسرعة ..

كنت احيانا اخاف .. اخاف من الحمل .. ولكنه كان نوعا من التدلل اكثر منه خوفا .. وكنت فى هذه الأحيان أدعى أنى احتاط .. وافعل ما تفعله النساء اللاتى يحتطن من الحمل .. ولكنه كان أيضا نوعا من التظاهر .. التظاهر باستعمال حقوقى كامرأة فى اشعار رجلها — أو رجليها — بأنوثتها المتفتحة للأمومة .. تماما كما لبست الكعب العالى لأتظاهر بأنى اصبحت بنتا كبيرة وكما دخنت السجائر فقط لأتظاهر بأنى اصبحت زوجة من حقها أن تدخن ...

ولكنى كنت أزهق من هذه الاحتياطات واكسل عنها ..

خصوصا مع هاشم ...

انى انصهر معه الى حد ان انسى كل شىء ، الا اللحظة التى نعيشها معا ..

واعتقد ان هذا يحدث لنا جميعا ..

اننا ضعيفات ..

ولولا ضعفنا لما زادت نسبة عمليـــات الاجهاض الى هـــذا الحد .. واغتنى أطباء من وراء ضعفنا ..

ولكنى أيامها لم اكن احس بأنى ضعيفة .. كنت لا مبـــالية .. وكنت لا اصدق ان هذا اليوم سيأتى بهذه السرعة ..

الى أن فوجئت ..

وذهلت ..

وكان أول ما طرأ على ذهنى أن أسأل نفسى .. من الذى وضع فى داخلى هذا الجنين ..

وتمنيت ان يكون هاشم ، أبا لابنى او ابنتى .. أبا ازهو به .. افخر به .. ويرث عنـــه ابنى قوة شـــخصيته ، وذكاءه ، وانفه الكبير .. وضحكت ضحكة صامتة وأنا اتصور ابنى وله انف كأنف هاشم .. ثم فجأة سقطت ضحكتى منى .. وخفت . الى حد ان انخلع قلبى .. كيف يكون الجنين لهاشم ، وأنا زوجة لعبد السلام ..

ولم اتبين ساعتها تفاصيل المشكلة .. ولكنى وجدت نفسى غارقة فى ضباب أسود كثيف .. تطل منه كلمة الحرام .. وأخاف على ابنى من الحرام .. أخاف عليه من الله .. ومن الناس .. ومن الأيام .. اخاف على ابنى لا على نفسى .. ودموعى حائرة بين رموش عينى ..

ثم .. من خـــلال هذا الضـــباب الكثيف انفتحت طاقة رأيت منها ان الجنين الذى احمله فى بطنى هو لزوجى عبد الســـلام .

ولا ادرى كيف استطعت أن أتأكد انى حملت من زوجى لا من هاشم ..

لقد أخذت اتذكر .. وبقدرة خارقة تذكرت جميع الليالى التى كنت فيها لزوجى خلال الخمسة الأشهر التى مرت على زواجنا ..

انها لا تتجاوز ست ليال .. سبع ..

وتذكرت كل التفاصيل .. كل أحاسيسى .. كلها .. شىء عجيب أن اتذكر كل هذه التفاصيل ، وبهذه الدقة ..

وليلة معينة بالذات .. حملت فيها ..

لا أدرى كيف تأكدت أن هذه الليلة بالذات هى التى حملت فيها .. ليست ليلة اخرى .. ولا ادرى هل تستطيع كل زوجة ان تكتشف الساعة التى حملت فيها ..

لا ادرى ..

ولكنى تأكدت ..

وازداد تأكدى بمجرد احساس تلقائى ..

الحمد لله .. ان ابنى ابن حلال .. لن اخاف عليه من الله ، ولا من الناس ولا من الأيام ..

ولكن ..

عندما تأكدت ، واسترحت الى تأكدى بدات اشعر بنوع من الندم .. ومن الغيظ .. اغتظت لأنى حملت من زوجى عبد السلام .. كأنه لم يكن يستحق أن احمل منه .. لم أشعر بهذه الرقة وهذا التفتح للحياة الوليدة ، الذى تشعر به كل زوجة جديدة تتلهف على الأمومة .. شعرت ان هناك قيداً ينطلق من بطنى ليشد وثاقي الى الرجل الذى لا أريده ..

وعدت اتمنى من جديد أن يكون الجنين لهاشم .. واغمض

عينى واستريح لهذه الأمنية .. وابتسم .. ثم يسرح بى خيالى .. ربما لو تأكد هاشم أن الجنين له ، لطلقـــنى من زوجى ، وتزوجنى .. انه لن يرضى أن ينسب ابنه الى رجل آخر .. أو على الأقل يعيش مع رجل آخر .. حتى لو كان ابن حرام ..

وتزعجنى كلمة الحرام .. أنتفض .. لا ياربى .. لا تجعله لهاشم .. للحرام .. اجعله للحلال .. لعبد السلام ..

ثم اعود واهدأ .. وتعاودنى الأحلام .. من أين يتأكد هاشم . انى حملت منه .. انه لن يتأكد الا اذا ولدت وكان المولود شبها له .. أو لزوجى .. ولكن قد لا يكون المولود شـــبها له ، ولا لزوجى .. قد يكون بنتا شبها لى .. وأعيش طول عمــرى حائرة فيها .. وقد تعقدنى هذ ه الحيرة .. و ..

وفى لحظات تخبطى .. فى نفس اللحظة التى كنت أعانى فيها كل هذه الأفكار السوداء .. ابلغت زوجى أنى حامل ..

وفرح المســكين .. كاد يطير من الفرح .. ووقف أمامى كالعبيط ، وفرحته تسيل على شفتيه .. لا يدرى ماذا يقــول ، ولا ماذا يفعل لى ..

وفرحت حماتى .. فرحت كأنها أخذت منى شيئا ، كأنهــا استردت قيمة المهر والشبكة ..

وفرحت أمى .. جاءت الى السويس ، واقامت معى أربعة أيام ، ثم أخذتنى معها الى القاهرة لتعرضنى على طبيب وتزداد تأكدا .. فهى لا تثق فى أطباء السويس ..

الوحيدة التى لم تفرح .. أنا .. و ..

ولم أقل شيئا لهاشم ..

ذهبت اليه فى نفس اليوم الذى وصلت فيه الى القاهرة مع أمى .. ذهبت اليه باحساس جديد .. غريب .. كنت أحس

انى لست ذاهبة اليه وحدى .. كان معى انسان آخر .. مخلوق آخر غريب عنى يعيش فى داخلى .. وهذا المخلوق يراقبنى ويحاسبنى .. ويخاف منى .. ان هاشم لن يأخذنى هذه المرة وحدى .. انه سيأخذ معى هذا المخلوق الآخر الذى ليس له ارادة ، الا ارادتى .. فما ذنبه .. انه لا يحب هاشم كما أحبه .. ولا يريد هاشم كما أريده .. فما ذنبه ..

وعقدنى هذا الاحساس ..

وربما لاحظ هاشم الخطوط العميقة التى رسمتها مشكلتى فوق جبينى .. فقد سألنى بمجرد أن جلست بجانبه :

ــ مالك ..

قلت وانا ازفر كل انفاسى :

ــ ولا حاجه ..

قال ملهوفا :

ــ مش ممكن .. انتى مش زى عوايدك .. عمرى ما شفتك مبوزه للدرجه دى .

قلت وانا القى عينى فى راحة يدى :

ــ متضايقه ..

قال فى بساطة :

ــ من ايه .. حصلت حاجه جديده ..

ورفعت عينى اليه وقلت فى حدة :

ــ يعنى ضرورى تحصل حاجه جديده علشان اتضايق . مش كفايه اللى انا فيه ..

ومال بظهره على مسند الأريكة .. وتنفس فى ضيق .. كأنى افسدت متعته .. واقلقت راحته .. وسكت .. لم يرد على ...

وبقيت ساكتة معه برهة ، ثم رفعت راسى اليه ، وعلقت عينى بعينيه وقلت كأنى أستغيث به :

ـ هاشم .. انا لازم أتطلق .. أنا حاتجنن .. مش طايقه جوزى .. مش طايقاه .. قرفانه منه .. وقرفانه من نفسى .. وقرفانة من عيشتى .. لو ما اتطلقتش حانتحر ..

واطلت نظرة حنان من تحت جفنيه المنتفختين ، وقال وهو يمسح بيده على شعرى :

ـ ما تبقيش مجنونة .. لو كل واحدة متضايقه من جوزها طلقته .. ولو كل واحد متضايق من مراته طلقها .. ما كانش النهارده فيه حد متجوز .. الطلاق مش سهل .. الطلاق حاجه كبيرة .. الطلاق يعنى بيت اتهد .. وانتى لسه ما لحقتيش تتجوزى .. لسه ما حاولتيش كفايه .. يمكن لو حاولت أكتر من كده تقدرى تعيشى معاه ..

انه يحدثنى كأنى امراة غريبة عنه .. كأنه ليس اصل شقائى ومصيبتى .. ينصحنى كما تنصح أمينة السعيد قارئاتها .

ونظرت اليه فى لوم .. اكثر من لوم .. وقلت فى حدة :

ـ أنا مش متضايقه منه وبس .. انا باحب واحد تانى غيره .. نسيت ! ؟

وابعد يده التى يمسح بها على شعرى وادار وجهه عنى . وقال فى صوت صارم :

ـ يبقى تسيبى التانى .. اهون من الطلاق ..

واتسعت عيناى وامتلأتا بالدهشة والالم ، وشهقت :

ـ انت تقدر تسيبنى يا هاشم .

وقال فى برود :

ــ انا ما اقدرش اسيبك . لأن ما فيش سبب يخلينى اسيبك .. انما انتى تقدرى تسيبينى الآن عندك سبب تسيبينى علشانه .. لو كان لازم تختارى بين بيتك وبينى .. يبقى لازم تختارى البيت .. لأن مالكيش مستقبل معايا ..

هكذا قالها بكل صراحة ..

ورفعت راسى كأنى احاول ان احتفظ بكرامتى ، وقلت وانا احاول ان انظر اليه نظرة ساخرة :

ــ على كل حال انا لو اتطلقت مش حا اطلق علشـــانك . حااطلق لانى مش طايقه الراجل اللى اتجوزته .. ومش طايقه اعرفك وانا متجوزه .. وانا مش خايفه من المستقبل .. انا لسه صغيره وحلوه .. الف راجل يتمنوا يتجوزونى .. واى واحد فيهم احسن من اللى انا متجوزاه ..

ولم يرد على ..

قام من جانبى واتجه الى مكتبة صغيرة معلقة فى الحائط ، واخذ يقلب فى بعض المجلات الطبية ..

واستطردت قائلة وانا أكاد اخنقه بعينى :

ــ انا اللى مخلينى اعرفك لغاية دلوقت انى متجوزه الراجل ده .. يمكن لو اتجوزت واحد تانى يقدر يخلينى اسيبك ..

ولم يرد على ايضا ..

واضطررت ان اسكت .. وعاودنى الاحساس مرة ثانيـــة انى لست وحدى .. معى انسان آخر فى بطنى .. وخيل الى انى اسأل هذا الانسان رايه .. استشيره .. اطلب منه ان يعاوننى .. يمنحنى قوة تحفظ لى كرامتى ، وتشد ارادتى .. وعيناى منكستان كأنى أنظر بهما فى داخلى الى الانسان الآخر .. ومشكلتى كلها لا تزال مرتسمة فى خطوط عميقة محفورة فــوق

جبينى . .وصدرى يضيق بأنفاسى .. رئتاى كأنهما منفاخ ينفخ الدموع الى عينى .. ولكنى لا ابكى ..

ولم يلحظ هاشم ان فى داخلى انسانا آخر .. ان بطنى لم ينتفخ الى حد ان يلحظه احد ..

ولكنه التفت الى بعد فترة طويلة ، وقال وهو يطوى المجلة الطبية ويلقى بها فى المكتبة :

ــ احنا بنتخانق على ايه دلوقت ؟

قلت فى يأس :

ــ مش عارفه ؟

قال :

ــ طيب زعلانه منى ليه ؟

قلت وانا اشد يأسا :

ــ مش زعلانه ..

وجاء وجلس بجانبى ، وقال وهو يدس اصابعه فى خيوط شعرى ، ويبتسم لى ابتسامة كبيرة :

ــ انتى مجنونه ..

ثم قرب شفتيه من شفتى ..

واشحت عنه بوجهى بسرعة وعنف ..

لا اريده ان يقبلنى ..

ونظر الى فى دهشة ، وقال وهو يضع ذراعه فوق كتفى :

ــ مش عايزه تبوسينى ؟

قلت :

ــ سيبنى يا هاشم من فضلك .. انا متضايقه ..

ثم انتفضت من جانبه ، وقمت واقفة فى منتصف الغرفة .

ولحق بى ونظر الى كانه يحاول ان يكتشف سرى ، ثم احاطنى بذراعيه وجذبنى بقوة الى صدره ، وهو يقول :

ــ ما تبقيش مجنونه .. انتى عمرك ما حاتضايقى منى ..

ثم سقط بشفتيه فوق شفتى .. يقبلنى هذه القبلة العنيفة التى اعرفها جيدا عندما يريد ان ينتهى منى بسرعة ليلحق موعد العيادة ..

ونزعت شفتى من بين شفتيه بالقوة .. وتركت قبلته تسقط على كتفى فى عصبية كانى اصرخ ، وانا احاول ان اتخلص من بين ذراعيه :

ــ مش قادره يا هاشم .. سيبنى .. سيبنى .. مش قادره ابدا ..

وكنت فعلا لا استطيع ..

ربما لأول مرة أشعر أننى لا اطيق قبلة هاشم ..

ورفع راسه النائم فوق عنقى ... ونظر الى والدهشة تملأ عينيه .. ثم أفلتنى من بين ذراعيه .. ووقف امامى وعلى شفتيه ابتسامة فاترة .. لا مبالية .. كانه يحاول أن يقنعنى بأنه لم يخسر شيئا كبيرا .. ولا يهتم ..

وساويت شعرى بيدى .. وساويت ثوبى ، وقلت وانا لا انظر اليه :

ــ انا لازم انزل باه ..

ولم يرد ..

ظل واقفا مكانه وعلى شفتيه نفس الابتسامة ..

وتقدمت نحو الباب ..

وهو لا يزال واقفا مكانه ..

ووضعت يدى فوق مقبض الباب ..

وهو لا يزال مكانه .. لا ينطق .

وترددت قليلا .. ثم عدت اليه . وقبلته قبلة سريعة فوق خده .. وقلت وانا اعود ناحية الباب :

ــ ما تزعلش منى .. حابقى اضربلك .

وسمعته يقول :

ــ مع السلامة ..

وخرجت ..

وعلى شفتى ابتسامة صغيرة .. كنت سعيدة لأنى قاومته .. لأنى لأول مرة لم اعطه ما يريد .. وكنت انظر الى الانسان الذى فى داخلى كأنى أتباهى أمامه بقوة ارادتى ..

وركبت سيارة أجرة ، وانا أفكر فى .. الطلاق ..

نعم .. الطلاق ..

وكنت وانا أفكر فى الطلاق أشعر كأنى أتحدى هاشم .. انى لا اريد الطلاق فقط لأنى لا اطيق زوجى .. ولا لأنى اخونه .. ولكن لأتحدى هاشم .. لأقنعه بأنى سأطلق حتى لو لم يعدنى بالزواج .. لأقنعه انى لست فى حاجة الى وعد منه ، حتى اطلق ..

وشعرت برجفة وفكرة الطلاق تلح على .. ولكن هذه الرجفة لم تحل دون استمرارى فى التفكير .. كنت أحس بخطورة ما أفكر فيه .. ولكن احساسى بالخطورة يسوقنى أمامه .. لا استطيع ان انظر خلفى .. انى منساقة بكل عقلى الى التفكير فى الطلاق ..

ووصلت الى البيت ، واستقبلنى زوج أمى مهللا ، واحتضننى بين ذراعيه وقبلنى فوق جبينى ، وهو يقول بلهجته العسكرية :

ــ والله كبرت يا ميتو .. وحاتخلفى ..

انه يحبنى منذ تزوجت .. لأنه لم يعد مسؤولا عنى ..

واستقبلتنى أمى فى لهفة ، وهى تصيح :

ــ اتأخرت كده ليه يا ميتو .. ما فيش نزول البلد اليومين دول .. لازم تستريحى فى السرير على طول ..

واخوتى الصغار يلعبون حولى ، وانا لا اراهم الا كخيال .

وكلام كثير يقال ، لى ولا اسمعه ..

انى أفكر فى الطلاق ..

لا استطيع أن اكف عن التفكير فيه .. وكلما اصطدم تفكيرى بعقبة ، بررتها لنفسى ..

كنت اقول لنفسى .. كيف أطلب الطلاق ، وانا حامل .. فترد نفسى قائلة .. هذا افضل بدل ان يولد الطفل ليعيش مع ام خائنة واب مخدوع .. انك تطلبين الطلاق من اجل طفلك .

وكنت اقول لنفسى .. الأفضل ان انتظر الى ان يولد الطفل .. فترد نفسى قائلة .. ابدا .. الآن افضل .. حتى لا يقيدك الطفل فى مسعى الطلاق ..

ولم يكن تفكيرى فى الجنين الذى احمله هو كل ما يخطر لى وانا مستسلمة لتفكيرى فى الطلاق ..

ابدا .. كان الجنين آخر ما افكر فيه .. كان فى بطنى ؛ ولكنى لم اكن فى هذه السن استطيع ان اقدر خطورة ما انا مقدمة عليه بالنسبة له .. ولا ان اقدر قيمة عواطفى نحوه ..

كان كل تفكيرى فى هاشم ..

كانت المقارنة بينه وبين زوجى ، تشعرنى بالفارق الكبير بينهما .. فى المركز .. فى المظهر .. فى الشخصية .. فى الرجولة .. فى كل شيء .. فاذا كنت استطيع ان يكون لى رجل مثل هاشم ، فلماذا اتزوج رجلا كعبد السلام .. واذا كنت قد

تزوجته ملماذا استسلم لقدرى . .لماذا لا اغامر .. انى صغيره .. وحلوة .. وفى عمرى متسع للمغامرة ..

وكنت مغرورة ..

حبى لهاشم ملأنى غرورا ، وقوة ..

ولم أكن أعرف أنى مغرورة ..

ولكنى كنت أعرف أنى قوية ..

ولكن ..

كيف أطلق .. كيف أجبر زوجى الذى يحبنى على طلاقى .. ان يطلقنى بلا سبب .. ثم كيف أقنع عائلتى بالطلاق ؟

لا ادرى ..

ولكن لابد أن هناك وسيلة ما ..

واتصل بى زوجى بعد يومين من السويس وطلب منى أن اعود اليه .. ولكنى رفضت .. قلت له أنى تعبانة .. ولن أحتمل السفر الى السويس ورجة السيارة طول الطريق . وصدقنى المسكين اللهوف على الجنين الذى فى بطنى .. وصدقتنى أمى .. ولم أذهب اليه .

ذهبت الى هاشم ..

وفى هذه المرة لم استطع ن أقاومه .. كنت فى حاجة اليه .. كنت فى حاجة الى شىء عنيف يلهينى .. شىء أعنف من افكارى .. واعنف من هذا المخلوق الذى يعيش فى داخلى .. وكان هاشم يستطيع دائما أن يكون اعنف من كل شىء .. ولكنه عندما هم أن يضربنى فى هذه المرة ، كما عودنى .. قلت له فى توسل :

ــ لا .. ماتضربنيش .. علشان خاطرى ..

كأنى كنت اريد ان احتفظ بشىء من أجل هذا المخلوق الذى

يعيش فى داخلى .. كنت اريد ان ابدو امامه محترمة ..

ولكن هاشم ضربنى ..

ونسيت كل شىء ..

عشت فى كل لحظات الجنون ..

ثم افقت ..

وافاق مسترخيا بجانبى ..

وعندما افقت ، افاقت معى كل افكارى دفعة واحدة .. وادرت راسى بعيدا عنه .. افكر .. أفكر ..

واستدار لى بعد برهة ، وعاد واخذنى بين ذراعيه .. فى رقة . .وهدوء .. وقال فى صوت حنون صاف .. وأنفاسه منتظمة كخرير الجدول العذب :

ــ انا باحبك قوى يا امينه ..

ورفعت اليه عينى فى نظرة سريعة .. كانت المرة الأولى التى ينطق فيها هذه الكلمة .. احبك .. وقالها فى صدق .. وعمق . كل خلجة من وجهه تقولها .. وصدقته .. وعندما صدقته . انفتح امامى طريق مفروش بالورد .. طريق ينطلق النور على جانبيه ..

ودسست وجهى فى عنقه ، وضغطته الى صدرى .. الى قلبى .. بكل حنانى .. بكل ما أملكه من طاقة عاطفية .. وهمست ، وهمستى تقفز فوق شلال عواطفى :

ــ وانا كمان يا هاشم .. باحبك قوى .. قوى ..

واستراح كل منا فى صدر الآخر .. وفوق ثغرينا ابتسامتان هادئتان كفراشتين نامتا على اوراق الورد ..

وعدت افكر .. وفى تفكيرى حلاوة .. وهدوء .. كانفاسه

وانفاسى .. ووجدت نفسى اقول له رغم ارادتى ، وكانى لم اعد احتمل أن اخفى عنه شيئا :

— هاشم .. انا حامل ..

وقفز راسه من فوق الوسادة ، وقال وقد اضطرب صوته وضاع منه الحنان :

— بتقولى ايه ؟

وادرت راسى اليه ، وقلت وعينى فوق انفه الكبير :

— انا حامل ..

قال كأنه انزعج :

— بتتكلمى جد ؟

وهززت رموش عينى بالايجاب ..

قال وهو أشد انزعاجا .

— من امتى ؟

قلت :

— فى التانى ..

قال فى غيظ :

— اما مجنونة صحيح ..

ونظر فى عينى صامتا .. كأنه ينتظر منى شيئا اقوله .. وفى نظراته شىء غريب .. كأنه يتحفز للدفاع عن نفسه .

ولم اقل شيئا ..

وأراح راسه على الوسادة .. ولمحت سحابة من الحيرة تمر على وجهه .. وتمتم فى صوت خفيض :

— ومالك مستعجله كده ؟

قلت وانا انظر اليه سعيدة بحيرته :

— يعنى كنت عايزنى اعمل ايه ؟

قال :

ـ كان لازم تحتاطى .. انت لسه ما بقالكيش خمس شهور متجوزه .. لسه ما ستقرتيش فى جوازك .. كان لازم تستنى لغاية ما تستقرى .. لغاية ما تنظمى عيشتك ، لغاية ما تبنى حياة كويسة لابنك .. مش معقول انك من يومين تقوليلى انك عايزه تتطلقى .. والنهارده تقوليلى انك حامل ..

ونظر كل منا فى عينى الآخر .. وفى عيوننا تساؤل لا نريد ان نفصح عنه .. والحيرة تكسو وجهه .. وسعادتى بحيرته تزداد .. وكنت سبب حيرته .. وكان يحس انى أعلم سبب هذه الحيرة .. انه يريد أن يسألنى ممن حملت .. ولكنه لا يستطيع أن يفصح عن سؤاله .. وانا لا اجيبه ولا أريحه ..

وقلت وانا أدعى الغضب :

ـ واشمعنى انا اللى أحتاط ..

ونزع ذراعه من تحت راسى ، واعتدل جالسا فوق السرير وقال وعيناه ضائعتان فى فراغ الغرفة :

ـ علشان انتى اللى بتحبلى .. الراجل ما بيحبلش .. والمشكلة مشكلتك .. مش مشكلة جوزك ..

وقفز من جانبى ، وبدأ يرتدى ثيابه ..

ونظرت اليه فى عتاب .. وانا لا زلت راقدة فى الفراش نصف عارية .. كان قاسيا فى كلمته .. وقاسيا عندما ذكر زوجى .. لا يمكن أن يكون زوجى وحده هو المسؤول ..

والتفت الى وهو واقف أمام المرآة .. يشد رباط عنقه .. وقميصه مهدل فوق ساقيه العاريتين .. وحاجباه معقودان فوق عينيه .. وهم أن يتكلم .. على طرف لسانه سؤال أعرفه جيدا .. ولكنه لم يتكلم ..

ولا أنا ..

ولا ادرى لماذا لا نستطيع ان نواجه الموضوع ببساطة .. ربما لأن كلينا يحترم المخلوق الذى يتكون فى داخلى .. ويخاف عليه .. يخاف عليه من كلمة الحرام ..

واكمل ارتداء ثيابه .. وأنا لا زلت راقدة فى الفراش .. وخطا نحوى وعلى شفتيه ابتسامة لا مبالية يحاول أن يبدد بها أفكاره .. مخاوفه وحيرته ..

وجلس بجانب جسدى على حافة الفراش وقال وهو يمسح بيده على كتفى العارية ، ويبتسم لى ابتسامة كبيرة تهتز بحيرته :

ــ انا مضطر انزل قبلك .. اتأخرت على العيادة ..

وكنت أعلم أن فى وقته متسعا لينتظرنى الى ان ارتدى ثيابى ، واذهب قبله .. ولكنى كنت احس بما يعانيــه .. كنت أحس بحيرته ، وقلقه ، وحاجته الى أن يخلو بنفسه .. ليفكر .. وأنا أيضا كنت فى حاجة لأن اخلو بنفسى لأفكر .. فهززت راسى اوافقه على أن يتركنى قبل أن اتركه ..

وعاد يقول فى حنان مهتز .. كأنه حنان مفتعل :

ــ مين الدكتور اللى شافك ؟

قلت وانا ابتسم فى خفر ، كأنى احسست ساعتها ان ليس من حق طبيب غيره ان يرانى :

ــ الدكتور صادق فوده ..

قال :

ــ مدهش .. ده استاذ كبير ..

ثم انحنى وقبلنى قبلة سريعة على خدى .. ورفع راســه .. وظل برهة ينظر الى بعينين مشفقتين كأنه يواســينى فى

مشكلتى .. ثم عاد الى براسه وقبلنى فوق شفتى .. قبلة طويلة هادئة ..

وقام من جانبى قائلا :

ــ خدى بالك من نفسك .. وكلمينى بالليل فى التليفون .. بعد العيادة .. حاستناكى ..

وابتسمت له ابتسامة كبيرة اقبل بها أنفه الكبير ..

وخرج ..

وتركنى افكر .. وتفكيرى يفتح لى ابوابا كبيرة من الأمل .. ويصل بى الى قمم عالية من السعادة .. انه يحبنى .. انا متأكدة اليوم اكثر من اى يوم مضى من انه يحبنى .. حب استطيع ان اضع فوقه كل حياتى .. ان اغامر بكل عمرى .. ان اطلق زوجى ..

وقلت لنفسى .. ربما كانت مشكلتى مع هاشم أنه عرفنى وانا متزوجة .. لو انه عرفنى قبل أن اتزوج .. واحبنى كل هــذا الحب .. فمن يدرى .. ربما كان قد تزوجنى .. كل ما احتاج اليه اليوم اعرفه وأنا حرة ..

احمله كل مسؤوليتى ..

املأ عليه كل حياتى ..

وبعدها .. سيتزوجنى ..

ولكنه لا يريد الزواج .. انه يقول انه لم يقرر أن يتزوج .. ولا يهمك يا بت .. انه كلام يقوله كل الرجال .. انه غرور الرجل الذى تغذى على تهافت البنت عليه بلا مقابل .. بلا زواج .. ولكن فى لحظة ما .. تثور شهامة الرجل .. ويضعف أمام حبه .. ويضيق بالتشرد .. ويتزوج .. وانا فى انتظار هــذه اللحظة ..

بل يجب ان اسعى الى هذه اللحظة ، وان اضع خطة للوصول اليها .. وانا ذكية .. استطيع ان اعتمد على ذكائى . وجمالى .. وحبة ..

ولكن ..

اولا ..

كيف استطيع ان اتخلص من هذا الزوج .. المسكين ..

لا ادرى ..

لا ادرى الا اننى يجب ان احاول .. واحاول كل شىء ..

وقمت من الفراش ، ودرت فى انحاء الشقة وانا بقميصى الداخلى ، وقدماى حافيتان .. وعيناى تقبلان الجدران .. وقطع الاثاث .. واشعر بقوة غريبة .. قوة تملؤنى ثقة فى نفسى ، وتحررنى من شخصيتى الضعيفة .. اصبحت قادره على كل شىء .. نسيت لحظات الضعف التى تمر بى .. لن اكون ابدا ضعيفة بعد اليوم ..

وابتسمت للجدران وقطع الأثاث .. كانى أودعها .. اننى لا استطيع أن اقيم فى هذه الشقة بعد أن اتزوج هاشم .. انها صغيرة .. لا تليق بالدكتور هاشم ، ولا بحرم الدكتور هاشم .. ثم من ادرانى بالنساء اللاتى جئن قبلى الى هذه الشقة .. بل ربما لا يزال هناك نساء يجئن الى اليوم وانا هناك مرمية فى السويس .. ولسعنى صاروخ من الغيرة .. ولكنى ابتسمت لنفسى اطمئنها .. ابتسامة قوية اتوعد بها كل النساء اللاتى يلاحقن هاشم .. وجرى خيالى يبحث عن شقة اخرى واسعة .. مطلة على النيل .. فى عمارة ليبتون .. واطقم اوبيسون .. وسرير « كابتونيه » .. والجدران فى لون الورد ..

وبدات ارتدى ثيابى ، وانا طائرة على اجنحة خيالى ..

وعدت الى البيت ..
هائمة ..
وزوج أمى فرح بى ..
بالجنين ..
وأمى تعود وتوصينى بأن استريح فى السرير رحمة بالجنين ..
واخوتى الصغار يلعبون حولى واراهم كالخيال ..
وافكر فى هاشم ..
وفى الساعة التاسعة كلمته فى التليفون .. وسمعت صوته يقول مبتسما :
ــ تانى مره ما تشغليش مخى للدرجه دى .. النهارده ما عرفتش اشتغل خالص .. العيان اللى كنت باكشف عليه نص ساعه .. خد منى ساعه ..
الى هذه الدرجة يحبنى ..
اصبحت مشكلتى مشكلته ..
وقلت فى دلال :
ــ انا شغلتك بأيه يا هاشم ..
وقال وانا أرى ابتسامته فى خيالى :
ــ مش عارف .. اما نتقابل ابقى اقولك ..
وتحدثنا طويلا ..
لأول مرة يطول حديثنا الى هذا الحد ، ولا يتلهف للذهاب الى أصدقائه بعد انتهاء عيادته ، كما عودنى ..
شىء جديد ..
كل هذا الحب .. وكل هذا الاهتمام ..
ربما اعتقد ان الجنين له ..

وابتسمت فى سعادة .. وخبث ..
وانتهى حديثنا على لقاء فى الغد ..
وزوج أمى يشخط فى أولاده ..
وأمى تصلى صلاة العشاء ..
ورفعت راسى فى ابتهال ..
يارب .. الطلاق ..

— ٥ —

عندما تريد المرأة ، تستطيع دائما أن تفعل ما تريد .. لا شىء يستطيع ان يصدها .. لا شىء يستطيع ان يقهرها . .الا الزمن .

وقد فعلت فى حياتى كل ما أردته .. لم يستطع أحد ان يقف فى طريقى .. ذبحت كل من حاول ان يصدنى او يعدل راسى .. وكل الذين ذبحتهم ناس احبونى .. اعطونى قلوبهم فشققتها بسكين من شهواتى .. وخضت فوق جراحهم .. الى ان وجدت فى آخر الطريق صخرة هائلة .. مخيفة .. فظيعة .. اسمها الزمن .. يقف فوقها هاشم كالشبح .. لا استطيع ان امسك به .. لا استطيع ان اناله .. لا أستطيع ان اذبحه ..

وكل الذين ذبحتهم ،لم اتعمد أن أذبحهم .. لم اتمن ذبحهم .. فقط ذبحتهم لأشق طريقى .. الوحيد الذى تمنيت ذبحه هو هاشم .. تمنيت أن أمزق لحمه قطعا صغيرة ، وارميها للكلاب .. ولم استطع .. انه لا يزال واقفا هناك .. كالشـــبح .. اراه وانا مفتحة العينين ، واراه وانا مغمضـــة العينين ، وامد يدى لأخنقه . فأسمع ضحكته الساخرة ..

و .. ولكن ...

لماذا اقول هذا الكلام الآن وانا لا زلت فى بداية قصتى .. ربما لانى وانا فى البداية تطل على النهاية .. ربما لأنى أعيش فى النهاية ، بينما البـــداية لم تعد سوى ذكرى .. ذكرى أيام مهما امتلأت بالدموع الا أن فيها حلاوة .. حلاوة شــبابى .. وحلاوة الأمل .. وحلاوة ثقتى فى نفسى .. وحلاوة نصف الحقيقة التى نراها فى شبابنا .. ثم نكبر .. ونكبر .. وكلما كبرنا كبر ما نراه من الحقيقة ، الى ان نراها كلها .. ونصف الحقيقة اجمل واروع من الحقيقة كلها .. الحقيقة كالقمر .. نصفه منير رائع ، ونصفه الآخر مظلم مخيف ..

انى اعيش الآن فى النصف المظلم المخيف ..

وكنت أعيش فى النصف المنير وانا افكر فى الطلاق من زوجى .. وكان النور الذى يشع من حولى .. نور الزهو بنفسى ، ونور افتتانى بجمالى وشبابى .. يخفى عنى بشاعة تفكيرى .. يخفى عنى حتى احساسى بالأمومة التى تتحرك فى احشائى ..

ولم يكن هناك سبب للطلاق الا انى اريده .. لم يكن زواجى يحول دون لقائى بهاشم .. ولم يعدنى هاشم بالزواج حتى أطلق من اجل مستقبل افضل .. ثم .. فى بطنى جنين .. وزوجى يحبنى ..

ولكنى اريد الطلاق ..

وكان يجب ان اختلق سببا ...

لا لاقنع به نفسى ..

انى لست فى حاجة الى اقناع نفسى.. يكفى اننى لا احب زوجى .. ولكن .. لاقنع به امى ..

وقد اقمت فى بيت امى شهرا .. وكل يوم يتصل بى زوجى

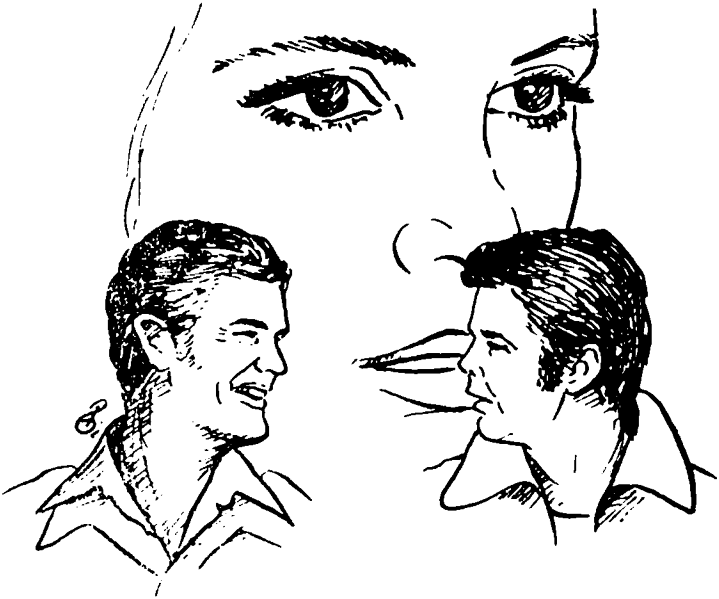

فى التليفون ويلح على ان اذهب اليه .. فأرفض محتجة بمرضى . وخوفى على الجنين .. ويأتى الى القاهرة كل اسبوع ، ولا يكاد يصل حتى يجدنى فى السرير .. مدعية المرض .. ويجلس بجانبى وهو ينظر الى بعينين ملهوفتين ، فأروى له كل ما أعرفه عن تفاصيل فترة الوحم .. وانا لم اتوحم .. لم اشعر بشىء من كل ما سمعته .. لم تنقلب معدتى ، ولم اشته شيئا آكله .. ولا كانت تضـــايقنى رائحة الدخان .. لا شىء ابدا .. كأننى لست حاملا .. كنت فقط أدعى كل ذلك كلما جاء زوجى الى القاهرة .. الى حد انى حرمت عليه ان ينام بجانبى ، او يقبلنى ، بحجة انى لا أطيق رائحته .. من الوحم .. ويرضخ المسكين لأوامرى ، ويبتسم قائلا :

ــ ده باين عليه طالع واد متعب .. زى امه !

فاقول لأخفف عنه :

ــ زى ابوه !

ويمتلىء غرورا ، وينفش صدره كالديك الرومى . كأنه يرى ابنه ، ويراه شبيها له .. ثم ينصرف لينام فى أحد الفنادق . فلم يكن فى بيت امى سرير ينام فيه الا سريرى .. وانا أحرمه من سريرى .. المسكين ..

وقد لاحظت امى مغالاتى فى التدلل على زوجى . ولاحظت قسوتى فى معاملته .. ولحظت انى اخرج كل يوم تقريبـــا . كلما عاد زوجى الى السويس ، وابقى فى البيت كلما جاء الى القاهرة .. وبدات تشك فى الأسباب التى أدعيها لأبقى فى بيتها ..

ولكنها لم تتكلم .. أو انها تتكلم بعينيها فقط .. تنظر الى بعينين ثاقبتين كأنها تحاول ان تكتشف سرى .. وخفت من عينيها

.. وبدات انتقل الى فصل ثان من المسرحية التى امثلها .. بدات ادعى الوجوم .. والشرود .. وابقى فى غرفتى دائما .. وحيدة .. وكلما دخلت على امى وجدتنى ساهمة .. اتنهد .. كانى على وشك البكاء ..

وتنظر الى وتسكت .. وعيناها تثقبان صدرى تحاولان ان تكتشفا سرى ..

وفى يوم عدت من لقاء هاشم ، ووضعت على وجهى قناع الوجوم والزهق قبل ان ادخل البيت .. واسرعت الى غرفتى . وخلعت ثيابى ، وجلست فى سريرى وراسى بين يدى .. كانى اتالم .

وتركتنى امى فترة طويلة ، ثم جاءت الى وجلست بجانبى . وقالت وكلماتها تخرج من تحت اسنانها كانها تحاول ان تضغط على نفسها حتى لا تصرخ :

ــ مالك يا ميتو ..

وقلت وانا لا انظر اليها :

ــ ولا حاجه يا ماما ..

وسكتت برهة ، ثم قالت وصوتها يرتعش :

ــ تسمحى تقوليلى انتى بتروحى فين كل يوم والتانى ؟ .

قلت :

ــ ولا حته .. بامشى .. بافضل امشى من غير ما اعرف انا رايحه فين ..

ثم رفعت عينى اليها واستطردت كانى اصرخ :

ــ من زهقى يا ماما .. انتى مش عارفه فى ايه .. عمرك ما سألتى نفسك بنتى بتحس بايه .. عمرك ما سألتى نفســك اذا كنت انا سعيده ولا بائسه .. خلاص .. جوزتينى ورميتينى

.. ما بقتش اهمك .. زى ما اكون كنت بلوه وانزاحت من عليكى ..

وارتسم الجزع على وجه أمى وقالت فى لهفة :

ــ ايه بس اللى حصل يا ميتو ..

قلت وقد بدات احس بعينى تحرقانى من شدة ضغطى عليهما حتى ابكى :

ــ اللى حصل ، حصل من زمان ، من يوم ما جوزتينى ما تتصوريش أنا متعذبة اد ايه يا ماما .. خلاص مش قادره استحمل . .مش قادره اعيش معاه .. مش طايقاه .. مش طايقاه ولا يوم زياده ..

وشهقت أمى وهى تخبط بيدها على صدرها :

ــ ده كلام حد يقوله يا بنتى ..

وافلحت فى استدرار دموعى ، ورميت نفسى فوق صدرها ، وقلت وانا أنشج :

ــ خلصينى يا ماما .. وحياتى عنـــدك تخلصينى .. زى ما رميتينى انقذينى .

وازاحتنى أمى من على صدرها ، وقالت وهى تنظـــر فى وجهى :

ــ انا مش فاهمه حاجه ابدا .. احكيلى .. خلينى افهم .

قلت وانا ابحث عن منديلى لأجفف دموعى :

ــ كان لازم تفهمى من زمان .. جوزتينى واحد أكبر منى بعشرين سنه .. وشكله وحش .. وبلدى .. ودمه تقيل .. وريحة بقه سمك وبطارخ .. و ..

وقاطعتنى أمى قائلة :

ـ هو انا جوزته لك من غير ما تشوفيه .. ما قلتيش الكلام ده من الأول ليه ..

قلت فى حدة :

ـ كنت صغيره .. وكنت باسمع كلامك .. يعنى الحق على اللى سمعت كلامك ..

قالت :

ـ بس الراجل ما يتعيبش بشكله .. وما كناش شمينا ريحة بقه ..

قلت صارخة :

ـ مش بس شكله .. ده راجل نتن .. يقرف .. ما بيستحماش الا مره كل شهر .. وما بنعرفش نتكلم انا وهو كلمتين على بعض .. وامه .. عمرك ما سالتينى حماتى عامله معايا ايه .. تصورى يا ماما انها قافله على كل حاجة فى البيت بالمفتاح .. لو حبيت أطلع حتة جبنه من الفريجدير لازم استأذنها .. ما اطلبش حاجه من السفرجى الا لما يروح يقول لها .. بتعاملنى زى ما اكون كلبه فى البيت ، بتوكلها وتلبسها علشان يلعب بيها ابنها .. و ..

وعادت أمى تقاطعنى :

ـ بكره الفيلا تخلص ، وتقعدى فيها لوحدك .. وتستريحى من خلقة حماتك .

وعدت أصرخ وانا اضرب وسائد السرير بقبضة يدى :

ـ وايه عرفنى أنها مش حاتيجى تقعد معايا ..

وقالت أمى فى لهجة حازمة :

ـ ما تقدرش .. فى الحالة دى انا اللى حاتكلم ..

قلت وقد عادت دموعى تنهمر :

— حتى لو قعدت لوحدى . .مش حاقدر .. انتى ما تتصوريش يا ماما أنا عايشه فى السويس ازاى .. عايشه مسجونة فى اوده واحده .. ما بقدرش أخرج من أودتى لغاية الصاله .. باحس انى تهت .. باحس انى غريبه .. وكل اهل السويس بيكرهونى .. وانا باكرههم .. من أول ما رحت هناك وانا بافكر فى الطلاق ..

واتسعت عينا أمى كأنها ذعرت ، وقالت فى صوت منفعل :

— ما تجيبيش الكلمه دى على لسانك .. وما تنسيش انك حامل .. بدل ما تفكرى فى الطلاق ، فكرى فى البنت ولا الولد اللى حاتجيبيه .. واستحملى علشان خاطره ..

ونظرت اليها بكل عينى وقلت كأنى اتحداها :

— واسمعنى انتى ما استحملتيش علشان خاطرى .. اسمعنى انتى انطلقتى من بابا .

ولم تستطع أمى ان تواجه عينى .. نكست عينيها . وقالت فى صوت حزين متهدج :

— أنا استحملت كتير علشان خاطرك يا بنتى .. استحملت تلات سنين .. وكنت مستعدة أستحمل اكتر ..

قلت بنجاحة :

— وعايزانى استحمل انا كمان تلات سنين وبعدين اطلق .. طيب ما اطلق من دلوقتى أحسن .. والحق اتجوز جوازه عدله ..

وقالت فى صوت خفيض :

— ابوكى ما كانش زى عبد السلام ..

وارتفع صوتى كأنى ادافع عن ابى :

— على الأقل ابويا بنى آدم .. راجل شكله حلو وبيفهم .. انما انتى مجوزانى حيوان ..

وقامت أمى من جانبى ، كأنها لدغت ، وقالت وهى تخرج من غرفتى :

— انتى عصبيه اليومين دول يا ميتو ، بعدين نبقى نتكلم ..

وخرجت وانا انظر خلفها بعينين ملؤهما التصميم ..

لقد اعلنت الحرب ..

ويجب ان استمر فيها ..

الحرب فى سبيل الطلاق ..

وشعرت بثقل هذه الحرب على صدرى .. وطريق التحدى العنيف والتصميم الأعمى يمتد امامى .. وراسى كخلية النحل .. يملؤه الطنين .. كلمات وصور تقفز فى خيالى واحاول ان امسك بها لأعد مشـــهدا بينى وبين زوجى ، او بينى وبين أمى .. فلا أستطيع ..

وتعبت .. تعبت اعصابى .. وقمت لأحادث هاشــــم فى التليفون لعله يريحنى .. لعله يسكت هذا الطنين فى راسى .. انه الوحيد الذى استطيع ان الجأ اليه فى هذه الأيام .. الجأ اليه بكل أفكارى ، وكل أحاسيسى .. وهو الوحيد الذى يجب أن يقف بجانبى فى أزمتى .. انى افعل كل ذلك من اجله .. ولأنى احبه .. ولكن هاشم كان مشغولا بمرضاه كعادته .. وكان على موعد مع اصدقائه بعد العيادة .. فالقى الى بكلمتين سريعتين ، كأنه يلقى بقطعة عظم الى كلبه المدلل ، وتركنى بعد أن وعدنى بأن يلقانى غدا .

وعدت الى سريرى ذليلة .. مقهورة .. ان هاشم لا يحس بى .. لا يحس بكل هذه الزوابع التى تهب على رأسى .. لا يحس بطريق الشوك الذى اسير فيه حافية القدمين ، لأصل اليه .. انه لا يحس بى الا عندما ينالنى .. فقط عندما ينالنى .. ساعتها

احس انه لى كله .. احس انه يشعر بكل قطعة منى ، بكل نفس من انفاسى .. وبعدها .. يضيع منى .. يضيع بين مرضاه واصدقائه .. ويتركنى وحدى .. كأنه انتهى منى الى الأبد ..

وقضيت الليل احاول ان اقنع نفسى بأن اعدل عن الطلاق .. على الاقل اترك نفسى لقدرى دون أن اتعمد شيئا .. اترك نفسى لله يدير شئونى .. وكانت تمر بى لحظات يخيل الى انى اقتنعت .. ولكن لا يلبث عنادى واطماعى أن يغلبانى فأعود افكر فى الطلاق ، وأرسم طريقى اليه ..

وذهبت الى هاشم فى اليوم التالى .. واستوقفتنى أمى قبل أن اخرج ، وقالت وهى تنظر الى بعينيها الثاقبتين :

— رايحه فين ؟

قلت فى برود وتحد :

— خارجه ..

قالت وهى تخفض من صوتها حتى لا يسمعها زوجها :

— عارفه انك خارجه .. وعايزه اعرف رايحه فين ؟

قلت وانا افتح الباب :

— مش عارفه .. حاتمشى فى البلد .. ويمكن أفوت على صاحبتى ناهد ..

ثم خرجت .. وتركتها واقفة مبهوتة والألم يطل من عينيها ..

ووصلت الى شقة هاشم فى الساعة الرابعة تماما .. وضغطت على جرس الباب .. ولم يفتح لى احد .. انه لم يأت بعد .. ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى اصل فيها قبله .. ربما كانت المرة الثانية أو الثالثة .. وابتسمت ساخرة من نفسى وانا اتذكر الأيام التى كان يأتى فيها قبلى ، واتعمد أن ادعه ينتظرنى .. لأثيره .. ويضربنى ..

ووقفت بجانب الباب المغلق .. مسكينة .. ذليلة .. وكلما سمعت صوت المصعد ، أو كلما فتح باب من ابواب الشـــقق المجاورة ، ادرت وجهى الى الحائط ، حتى لا يرانى أحد ويرى ذلى .

وجاء هاشم فى الساعة الرابعة والربع .. وقال فى لهفة صادقة ، وهو يميل على خدى يقبله ، ويخرج سلسلة مفاتيحه من جيب بنطلونه ، ويفتح الباب :

ــ انا آسف يا أمينة .. تصورى انى كنت فى العيادة لغاية دلوقت .. ولسه ما تغدتش .. يدوبك خلصت آخر عيان وجيت على طول ..

ولم ارد عليه ..

لا اريد ان الومه .. ولا اريد أن احاسبه .. ولا اريد ان احدثه عن مشاكلى .. كل ما اريده هو ان بمنحنى لحظات أستريح فيها من أفكارى ..

ولكن هاشم كان متعبا فعلا .. القى بنفسه على الأريكة . واغمض عينيه المجهدتين كأنه على وشك أن ينام ..

وحاولت ان أجره الى الكلام ..

ولكنه يرد على بكلمات مقتضبة تخـــرج من بين جفـــونه المغمضة ..

وتركته ، وقمت أدور فى أنحاء الغرفة .. احرك المقاعد بلا سبب .. واقلب فى الكتب الطبية ثم القيها باهمال .. وأفتح الراديو ثم اغلقه .. وارفع منفضة السجائر ثم القيها بعنف كأنى احاول ن احطمها .. وهو يفتح عينيه وينظر الى ، ثم يعـــود ويغمضهما .. ثم قال فى صوت منهوك :

ـ اسكتى يا امينه .. انا تعبان .. سيبينى شويه لغاية ما استريح ..

ولم أرد عليه ..

داومت على ازعاجه ..

وصرخ :

ـ بالقولك تعبان .. اسكتى ..

ورفعت الوسادة الملقاة فوق أحد المقاعد ، وقذفته بهـا : وانا اقول مدعية الغضب وبين شـفتى احلى ابتسـاماتى .. اغريه بهـا ..

ـ وانا ذنبى ايه ما شفكش الا وانت تعبان .

والتقط الوسادة .. واحتفظ بها بجانبه .. وقال وهو ينظر الى فى غيظ :

ـ أمينه .. ارجوكى .. ربع ساعه بس ..

ولكنى لم أرحمه ..

رفعت الوسادة الأخرى وقذفته بها فى وجهه وانا اقول :

ـ ولا دقيقه .. اعتبرنى عيانه من بتوعك .. واقعد كلمنى ..

وانفتحت عيناه الى آخر وسعهما ، كأنه يهم بأن يقتلنى ، ثم التقط الوسادة وقذفنى بها .. فى عنف .. بكل قوة ذراعيه . واصطدمت بوجهى فى قسوة ، خيل الى معها أن راسى يكاد يطير من فوق عنقى .. وساح شعرى فوق عينى ، وسمعته يقول فى غيظ :

ـ انتى ما فيش فى قلبك رحمه ..

وثرت ..

او على الأصح افتعلت ثورة ..

ورفعت منفضة السجائر فى يدى كأنى اهم بأن اقذفه بها .

فهب من جلسته ، واسرع ، الى ، وانتزع من يدى منفضة السجائر .. ثم امسك بشعرى .. بكل أصابعه .. بكل قسوته .. وحاول ان يوقعنى على الأرض ..

وصرخت :

ــ هاشم .. حاسب بطنى ..

وتوقف برهة .. كأنه يقرر ماذا يفعل بى .. واصابعه كلها لا تزال قابضة على شعرى .. ثم جذبنى من شعرى الى الغرفة الأخرى ..

واذاب كل تعبه فى جسدى ..

وقال وهو راقد بجانبى ينظر الى سقف الغرفة ، وقد انتظمت انفاسه ، ويده ملقاة فى حنان ورفق فوق بطنى المنتفخ :

ــ تعرفى .. انا ساعات بيتهيألى انه ابنى ..

والتفت اليه كأنه فاجأنى ..

كانت المرة الأولى التى يطرق فيها هذا الموضوع بصراحة .. لقد مضى شهر أو اكثر منذ أبلغته أننى حامل ، وكلانا يتجنب الحديث عن الجنين .. كلانا لا يريد أن يعرف ابن من هذا ..

وقلت كأنى صدمت :

ــ ما تقولش كده يا هاشم .. بعيد الشر ..

وقال كأنه لم يسمعنى .. ولا يزال ينظر الى السقف شبه يحلم :

ــ تصورى لو كان ابنى .. ده انا اتجنن .. أموت ..

قلت وانا سعيدة بأحلامه :

ــ ليه ؟

قال وقد التفت الى لفتة سريعة كأنه دهش من سؤالى ، ثم عاد ينظر الى السقف :

ــ لية ازاى .. تصورى انى ابقى عارف انه ابنى ، واشوفه عايش مع راجل تانى ..

قلت وانا ابتسم ابتسامة صغيرة كأنى اطمئنه :

ــ مش حايعيش مع راجل تانى ..

والتفت الى بسرعة ، وقال :

ــ ازاى ده ؟

قلت فى هدوء :

ــ علشان حااتطلق ..

واستدار الى بكل جسمه .. ووجهه قريب جدا من وجهى .. وانفه الكبير يصطدم بأنفى .. وشفتاه تتنفسان فى شفتى .. وقال فى صوت رزين عاقل :

ــ اسمعى يا امينه .. اســــمعينى كويس .. انتى لازم تنزلى اللى فى بطنك ده .. لازم تسقطى نفسك .. و ..

وقاطعته وانا ابتعد عنه كأنى لدغت منه ، وقلت فى حدة :

ــ ما تقولش كده .. مالكش دعوه باللى فى بطنى ..

قال :

ــ اسمعينى بس يا امينه .. ما تبقيش انانيه .. و ..

وعدت اقاطعه :

ــ تبقى دكتور وتقول كده يا هاشم .. لو جت لك واحده ست وقالت لك سقطنى .. تسقطها ..

قال وهو يتنهد كأنه يستعين بالصبر :

ــ عارف انى دكتور .. وعارف ان الدين يمنع ، والطب يمنع ، والقانون يمنع .. انما فيه حاجه ربنا مش ممكن يرضى بيها ، وهو انك تخلفى فى ظروف زى ظروفك .. تخلفى وانتى مش عارفه ابن مين اللى حاتخلفيه .. وتخلفى وانتى عارفه انك

حا تطلقى ، وحياة ابنك تتشرد .. والطب يسمح بالاجهاض لما تكون الأم مريضة ما تستحملش الحمل ، وانتى ظروفك كلها مريضة ، ما تستحملش الحمل .. حتى القانون .. ما فيش قاضي عادل ممكن يوافق على انك تخلفى .. و ..

وقاطعته فى تحد :

— من فضلك اسكت .. انت خايف من المسؤولية ..

قال وهو يبتسم فى يأس :

— انا مش خايف من المسؤولية .. ما فيش مسؤولية على .. انما انا باكلمك بضميرى .. وبعقلى .. واحب اقول لك انك انانية .. بتفكرى فى نفسك بس .. لو فكرت فى اللى حاتخلفيه .. لو فكرت فيه لحظة واحدة بس كنتى تسمعى كلامى ..

وقلت وانا اقوم من جانبه وابدأ فى ارتداء ثيابى بعصبية :

— طبعا بافكر فى نفسى .. افرض أنى مت وانا باسقط نفسى ..

قال فى هدوء :

— مش حاتموتى .. انتى صحتك كويسه .. لو كان حيجرى لك حاجه ، كان اول واحد يخاف عليكى انا ..

قلت :

— انت ما بتخافش على .. انت بتخاف على نفسك .. على كل حال اطمئن .. ده لا ابنك ، ولا ابن جوزى .. ابنى انا .. وانا حره فيه ..

وقال وهو ينظر الى فى زهق :

— انتى مجنونه .. وملحوسه .. وغبيه .. وانانيه .. ومافيش فايده انك تفهمى .. والحق على أنا اللى خايف عليكى .

وابتدأ يرتدى ثيابة هو الآخر ..

ووقفت أصافحه قبل أن أخرج ..

وحاول كل منا ان يحتفظ بغضبه ..

ولم نستطع ..

ابتسم كل منا للآخر .. وفتح لى ذراعيه ، لأرتمى بينهما .. واضمه بكل قلبى .. وقلت وانا اتلقى قبلته على خدى :

ـــ ما تبقاش تقول لى انى غبيه يا هاشم .. الكلمه دى بتزعلنى ..

قال وهو يضغطنى اليه كأنه يعتذر لى :

ـــ أنا كمان غبى .. كل واحد فينا له ناحية ذكاء وناحية غباء .. تعرفى ايه أذكى حاجه فيكى ..

قلت وأنا انظر اليه بعينين ضاحكتين :

ـــ ايه ؟

قال مبتسما :

ـــ بوستك .. شفايفك ..

ثم انحنى يتلقى قبلتى الذكية ..

وخرجت وانا سعيدة .. واكثر سعادة من أى يوم آخر بالجنين الذى يتحرك فى أحشائى .. انى اريده ليحتار فيه هاشم .. ليظل طول حياته يتساءل اذا كان ابنه أم لا .. أريده كسلاح اتحداه به .. وأثيره به .. واقوى به عليه ..

ولكنى عندما عدت الى البيت وجلست مع امى بعد ان وضعت على وجهى قناع التجهم والشرود ، قلت وانا ادعى الاصرار :

ـــ ماما .. أنا حاسقط نفسى ..

وخبطت امى على صدرها من قسوة المفاجأة ، وقالت :

ـــ مين اللى شار عليكى الشوره المهببه دى ..

قلت :

ـــ ما حدش .. انما لازم أسقط نفسى ..

قالت وهى تنظر الى كأنها تنظر الى مجنونة :

ـــ ليه .. ايه اللى جد ..

قلت :

ـــ ما فيش حاجه جدت .. انما ما دام حاطلق يبقى لازم أسقط ..

ونسيت أمى حرصها على الا يصل صوتانا الى سمع زوجها ، وصرخت :

ـــ مش حاتطلقى .. ومش حاتسقطى .. فاهمه .. دلع البنات ده آخرته مش كويسه .. وإنا كلمت عبد السلام فى التليفون ، وزمانه جاى .. أما أشوف أخرتك ايه ..

وجاء زوجى من السويس ..

وعقدنا مؤتمرا .. أنا ، وأمى ، وهو .. وقالت له أمى كل ما شكوته لها .. شكواى من أمه .. ومن أهل السويس .. ولكنها لم تقل له انى لا أحبه، ولا أطيقه .. وعبد السلام يتلقى الشكوى بقلب ملهوف على .. ويدافع عن أمه حينا .. ثم يعد بأن يريحنى من كل ما أشكو منه .. ثم قال وعيناه مخلصتان :

ـــ ما يصحش تزعلى نفسك اليومين دول يا ميتو .. ما تنسيش انك حامل .. ولازم تحاسبى على ابننا ..

وصرخت :

ـــ مش عايزاه .. انا حاسقط نفسى .. يغور هو وابوه .

وجحظت عينا عبد السلام كأنه اختنق ..

وقالت أمى وهى تنظر اليه كأنها تستعطفه :

ـــ ما تسمعش كلامها يا عبد السلام .. دى عصبيه .. والحمل تاعبها ..

واطمأن عبد السلام ..

ولكنى داومت على تهديده باجهاض نفسى .. كنت اذا جلست معه او مع أمى اصررت على الاجهاض .. وكلما ذهبت للقاء هاشم اصررت على ابقاء الجنين .. كأنى أتحدى هذا وذاك .. او أتدلل على هذا وذاك ..

وقد بقى زوجى فى القاهرة ثلاثة يام .. والكلام لا يكف عنى .. أمى تتكلم .. وعبد السلام يتكلم .. وخالاتى الخمس يتكلمن .. وزوج أمى يتكلم .. وأخيرا اضطررت مجبرة على ان اعود معه الى السويس .. ليكف الكلام عنى .

الوحيد الذى وقف بجانبى هذه الأيام كان أبى .. لم يتكلم .. هز كتفيه عندما استدعته أمى ليشترك فى احد المؤتمرات التى تتسلى العائلة بعقدها على حسابى .. وقال :

— ما دام مش عايزاه .. خلاص تطلق ..

هكذا بكل بساطة ..

واسرعت أمى بتوصيله الى الباب .. وزوج أمى يودعه بنظرة احتقار ، كأنه يتهمه بالانحلال ..

وما كدت اصل الى السويس حتى أشعلت فى البيت نارا! .. لم اكن ادرى انى أستطيع ان أكون قاسية الى هذا الحد .. وقحة .. مجرمة .. لم اكن أدرى انى احمل فى صدرى كل هذه الطاقة المدمرة .. لقد جننت عبد السلام ..

وجننت أمه .. لم اترك لهما ساعة واحدة يعيشانها فى هدوء .. اقيم ثورة لكل صغيرة .. واصرخ فى وجهه .. طلقنى .. مش عايزاك .. مش طايقاك .. واحرم عليه فراشى .. وحجرتى .. واهين أمه امامه .. واجبره على ان يسافر بى الى القاهرة فى أوقات عمله .. وأتركه عندما نصل لأقابل هاشم

.. ثم اعود معه تحت ضغط امى .. والمسكين يعتقد ان كل ذلك بسبب أزمات عصبية تصيبنى نتيجة الحمـــل .. أمى اقنعتـــه بذلك ..

ووقفت يوما فوق الدولاب ورميت نفسى على الأرض ، امام عينيه ، لأقتل ابنه .. وصرخ يومها المسكين ثم بكى .. ولكن صراخه لم يفزعنى ، وبكاؤه لم يثر شفقتى .. اثار قرفى .. ولم يسقط الجنين ، ظل فى مكانه ، سليما .. كأنه يتشبث بى ، ويتشبث بالحياة ..

ولم تكن هذه القوة التى أواجه بها زوجى وامه ، دليلا على انى اكتسبت شخصية جديدة قوية .. ابدا .. لم اشـــعر بأنه اصبحت له شخصية .. كل ما شـــعرت به انى تجردت من كل شىء .. تجردت من الحياء .. تجردت من المنطق .. تجردت من الشفقة .. تجردت من كل المقاييس .. من كل المبادىء .. وكنت وانا اثير فى البيت كل هذه الزوابع المفتعلة ، اشـــعر بالخوف .. خوف كبير .. خوف من نفسى ، وخوف على نفسى .. واشـــعر بدمائى تجـــرى باردة مثلجة فى عروقى ، كدماء الثعابين .. وانظر الى مرآتى ، فأرى وجهى أصفر ممتقعا ، كأنى سأموت .. كأنى ميتة .. ولا استطيع أن أواجه زوجى او امه وانا هادئة .. لا اســـتطيع أن ارفع عينى ، الى عينى احدهما .. انما ابقى بعيدة ، منزوية ، أثير فى نفسى ، واتلمس اسباب الثورة ، الى أن اثور فعلا ، واخرج عليهما كالمجنونة . لافتعل زوبعة جديدة ..

وزوجى وامه يتحملان فى صبر ، من أجل الجنين الذى احمله فى بطنى . وينظران الى فى اشفاق كأنى مجنونة ...

ومرت ثلاثة شهور ..

أصبحت فى السادس ..

بطنى كبير مدلى حتى يصل الى ركبتى ..

وتأخر زوجى يوما فى مكتبه .. وفجأة .. بلا سابق تفكير .. قمت وارتديت ثيابى .. وسألتنى أمه قبل أن اخرج فى صوت يرتعش خوفا منى :

— الى أين ..

وقلت دون ن التفت اليها :

— خارجه ..

وخرجت ..

وركبت سيارة أجرة من سيارات السويس ، وأمرت السائق أن يسافر بى الى القاهرة ، وانا أحمل فى رأسى تصميما هائلا بأن تكون هذه آخر محاولة أحصل بها على الطلاق ..

ووصلت القاهرة فى الساعة الثامنة مساء .. ونزلت من السيارة فى ميدان الأوبرا .. وأخذت اسير فى الشوارع .. وكنت أحاول أن أضيع الوقت الى أن ينتهى هاشم من عيادته فى الساعة التاسعة .. ولكنى تعبت قبل أن تصل الساعة الى الثامنة والنصف .. البطن الثقيل الذى أحمله أتعبنى .. فاتصلت بهاشم فى التليفون ، وقال فى عجلة بمجرد أن سمع صوتى :

— جيتى امتى ؟

قلت :

— دلوقتى .. ولازم اشوفك حالا ..

قال :

— مش ممكن .. ده انا لسه قدامى كتير ..

قلت :

ــ بس أنا فى الشــــارع . .وتعبانه .. مش لاقيــه حته اروحها .. وما اقدرش أروح قبل ما اشوفك ..

قال فى عجلة :

ــ طيب روحى الشقه وخللى عم محمود البواب يفتح لك .. اذا ما رضيش خليه يكلمنى فى التليفون ..

قلت فى استسلام :

ــ حاضر ..

وركبت تاكسى الى الزمالك .. ووقفت أمام عم محمــــود البواب فى استخذاء ، وطلبت منه كأنى اســـتجديه ان يفتح لى شقة الدكتور هاشم .. واذا أراد أن يتأكد ، يستطيع أن يحادث الدكتور بالتليفون ..

ونظر عم محمود الى بطنى المنتفـــخ ، وقلب شــفتيه فى امتعاض ، ثم قام فى تكاسل دون أن يتفوه بكلمة ، وتقدمنى الى المصعد .. وفتح لى بابالشقة ، وتركنى أدخل ، ثم قذفنى بنظرة جارحة .. واغلق الباب ورائى ..

ودخلت الى حجرة النوم .. والقيت نفسى على السرير .. كنت متعبة .. محطمة .. وحاولت ان انام .. ولكنى لم انم .. اذناى معلقتان بصوت اسلاك المصعد الذى ينبعث من شباك المطبخ .. كلما دارت الأسلاك . ظننت ان هاشم سيدخل بعد دقائق ..

ولكن هاشم تأخر كثيرا ..

الساعة العاشرة ، ولم يصل ..

وقمت وصنعت لنفسى فنجان قهـــوة .. لم اكن اريد ان اشرب القهوة .. انما كنت اريد ان اسلى نفسى بشىء اصنعه .

وجلست فى الصالة الخارجية ، وامامى فنجان القهوة ..

وجاء هاشم فى الساعة العاشرة والنصف ..

واسرع الى ملهوفا ،وجلس بجانبى وقال وهو يضع ذراعيه حول كتفى :

— ايه .. حصل ايه يا امينه ؟

وانهمرت دموعى فجاة .. دموع التعب .. والضـــياع .. ووجدت نفسى اسقط من فوق الأريكة ، واركع تحت قدمى هاشم ، وبطنى مدلى أمامى ، كأن الجنين يركع ايضا تحت قدميه .. ورفعت اليه عينى ودموعى . وقلت فى توسل :

— انا لازم اطلق يا هاشم .. لازم .. لازم .. خلاص ، مش قادره .. ما تسبنيش ارجع السويس تانى .. ما تخليهمش يرجعونى تانى ..

وقال فى صوت حنون وهو يحتضن وجهى بكفيه :

— طيب بتعيطى ليه يا امينه .. كل حاجه ممكنه .. بس ..

قلت اقاطعه وانا انشنج :

— ما فيش بس .. ما تحاولش تقول حاجه .. مش حا اسمع .. مش حاسمع .

قال وهو يبتسم لى كأنه يشفق على :

— خلاص .. اطلقى .. انا ما كنتش موافق .. انما ما دام حالتك بقت كده .. موافق ..

ثم رفعنى من على الأرض ، واجلسنى بجانبه ، واخذ يشرب دموعى بشفتيه فى قبلات سريعة هادئة .. ثم قال :

— بس .. حاتطلقى ازاى .. يمكن ما يرضاش يطلقك .

قلت :

— لازم يرضى ..

وهز راسه وسكت ..

ثم قال بعد برهة :

— وفكرتى حاتعملى ايه بعدما تطلقى .

ونظرت اليه كأنى اسأله نفس السؤال .. ثم احنيت راسى ، وقلت :

— مافكرتش .. اما أطلق الأول ، وبعدين أفكر ..

وهز راسه صامتا ..

لم يقل شيئا ..

لم يعدنى بشىء ..

كأنه ليس سبب كل مصيبتى .. كأنى لا اطلق من اجله .. كأنه لا دخل له فى قصتى ..

واخذت اروى له كل ما حدث لى فى السويس .. وهو يستمع صامتا .. ثم قال :

— مش تقومى تروحى باه .. الساعه بقت اتناشر ..

قلت :

— لا .. مش دلوقت ..

قال وهو ينظر الى فى تعجب :

— بس انتى اتأخرتى قوى ..

قلت :

— ما تخافش .. مش حاقول لك خلينى عندك ..

قال وهو ينظر الى فى شفقة :

— انا مش خايف منك يا امينه ..

أنا خايف عليكى ..

قلت والدموع تعاودنى :

— ما تخافش على .. انا عارفه باعمل ايه ..

واخذت أبكى ..

واقترب يشرب دموعى .. فى رفق .. واخذنى بين ذراعيه .. فى هدوء .. ليس ثائرا ولا مجنونا ككل مرة .. كأننـــا نحن الاثنين نلعب الكتشينة فى صمت لنتلهى عن تفكيرنا ..

وابقيته معى حتى الثالثة صباحا ..

ثم خرجنا ...

ولأول مرة اركب سيارته بجانبه .. بل اول مرة اركب معه المصعد .. نزلت معه ، وركبت بجانبه .. ولم اشعر بحرج والسيارة تشق بنا شوارع القاهرة .. بالعكس ، كنت اطل من نافذة السيارة ، واتمنى ان يرانى كل الناس .. مزهوة .. متباهية .. بجانب الدكتور هاشم ...

وطلبت منه أن يوصلنى الى بيت خالتى سعدية التى تسكن بجانبنا فى مصر الجديدة ... وكانت تعيش مع بنتيها .. وزوجها مات ..

وسألنى هاشم فى دهشة :

ــ مش حاتروحى عند ماما ؟

قلت :

ــ لا .. كده أحسن ..

قال :

ــ ليه .. ناويه تعملى ايه ؟ ..

قلت :

ــ بعدين حاتعرف ..

ووصلت الى بيت خالتى ...

وتفاصيل الخطة التى وضعتها تملأ راسى ..

وضغطت الجرس بيد مثلجة ، وكل ما فى داخلى يرتعش

.. ومرت فترة خيل الى انها سنة .. ثم أضيئت الانوار داخل البيت .. ثم سمعت صوت خالتى يرتجف من الخوف :

ــ مين ؟

وقلت فى صوت هامس :

ــ أنا أمينه .. ميتو ...

وفتحت خالتى شراعة الباب ، وما كادت تلمحنى حتى فتحت الباب بسرعة .. واحتضنتنى بين ذراعيها ، وهى تقول :

ــ ميتو .. حبيبتى .. دى الدنيا مقلوبه عليكى .. كنتى فين يا بنتى ..

ولم ارد عليها .

القيت نفسى على اول مقعد ، ووضعت راسى بين يدى .. وبكيت ... استطعت أن ابكى ....

واسرعت خالتى نحو التليفون ، وهى تقول فى جزع مخلوط بالفرحة :

ــ استنى يا بنتى لما أطمن مامتك .. حالتها حال .. اصلنا افتكرنا ان بعيد الشر عملت فى نفسك حاجه .

وادارت قرص التليفون وصرخت فى فرحة خالصة :

ــ ميتو عندى .. اطمئنى ياختى .. سليمه الحمد لله .. حاتيجي دلوقته .. لا .. ما بلاش .. ده احنا فى عز الليل .. ما تعمليش فى نفسك كده يا حبيبتى هى حاتفضل عندى والصبح يحلها حلال .. خدى كلميها علشان تطمئنى ..

ثم أشارت لى خالتى لاقترب من التليفون وهى تضغط على شفتها بأسنانها كأنها توصينى بأمى خيرا .. ثم همست ..

ــ طمنيها يا بنتى .. ما تزعلهاش ..

وامسكت سماعة التليفون ، وما كادت أمى تسمع صوتى ، حتى صرخت :

— دى عملة تعمليها يا بنتى .. كده برضه تفضحينا فى وسط الناس .. كنتى فين لغاية دلوقت ..

قلت وانا انشج :

— كنت ماطرح ما كنت ..

وصرخت فى حدة :

— قوليلى كنتى فين ..

قلت وانا اتعمد أن ارفع من صوت نشيجى :

— مش حاقول لكم كنت فين .. الا لما تطلقونى ..

ثم قذفت بسماعة التليفون فى وجة أمى ..

وارتميت على المقعد ، وانا أبكى ..

وخالتى تربت على ظهرى فى حنان ، وتقول :

— مش كده يا بنتى .. دى برضه أمك ولازم تطمن عليكى ..

— ٦ —

.. نمت ليلتها عند خالتى سعدية .. نمت بجانبها على فراشها .. وقالت لى أن زوجى عبد السلام اتصل بأمى من السويس فى الساعة التاسعة مساء ، وابلغها خبر اختفائى .. وانتظرت أمى حتى الساعة الحادية عشرة ، وعندما لم أصل الى بيتها ، ولا الى بيت واحدة من خالاتى .. بدأت تجن .. وعادت واتصلت بعبد السلام فى السويس ، ولكنه ابلغها أنى لم اعد بعد .. وبدا كلاهما ، عبد السلام فى السويس ، وأمى

فى القاهرة .. يتصلان بأقسام البوليس والمستشفيات .بسلاح الحدود ، لعلى أصبت فى حادثة .. ولكنهما لم يصلا الى شىء .. وامى المسكينة .. وخالاتى الخمس حــولها .. ولا شىء يطمئنها .

وقالت لى خالتى سعدية أنها عادت من عند أمى فى منتصف الليل ، ولولا أن ابنتها مريضة لما تركتها أبدا .. فالمسكينة حالتها يرثى لها .

ولم يرق قلبى لحال امى .. بالعكس شعرت أن الجزء الأول من خطتى قد نجح ..

وابتسمت لى خالتى ابتسامة كبيرة ترشونى بها ، ثم قالت كأنها صديقتى :

ــ قوليلى بأه .. كنت فين لغاية دلوقت ؟ ..

قلت وأنا ادير ظهرى لها :

ــ مش حاقول الا لما تطلقونى ..

قالت وهى تربت على كتفى :

ــ خللى الطلاق على جنب دلوقت .. وقوليلى كنتى فين .. أنا خالتك الصغيره وأكتر واحده تقدر تفهمك ..

قلت فى اصرار :

ــ مش حاقول ..

قالت :

ــ قوليلى ومش حاقول لحد .. ولا حتى لمامتك ..

قلت :

ــ مش حاقــول . .مش حاقــول الا لمــا أطــلق ، واذا ماطلقتونيش حارجع مطرح ما كنت ..

وعادت خالتى تلح ..

وقلت وجفونى تنسدل فوق عينى :

ـــ والنبى سيبهنى ـلوقت يا طنط .. انا تعبانه .. حاموت من التعب ..

وكنت فعلا متعبة ...

ما كدت اغمض عينى حتى نمت .. وبطنى المنتفــخ راقد امامى ، وعين خالتى تلسعنى فى ظهرى ..

وحلمت حلما عجيب ... حلمت انى اجرى فى طريق مظلم مخيف . .احمل بطنى الثقيل .. وشبح هائل يجرى خلفى .. لم استطع أن اتبين وجه الشبح تماما .. كنت احيانا ارى فيــه ملامح زوجى .. واحيانا ارى فيه ملامح زوج أمى .. وكنت وانا اجرى احاول أن أصرخ منادية هاشم .. هاشـــم .. هاشم .. ولكن صوتى محبوس .. لا اســتطيع أن أصرخ .. افتح فمى ولا يخرج منى صوت .. وظللت أجرى .. واجـــرى .. وخطواتى ثقيلة .. والرعب يملؤنى ثم لمحت انوارا كثيرة .. مضيئة فى نهاية الطريق .. كأنها حفلة زفاف .. ورايت هاشم جالسا على مقعد كبير .. مرتديا حلة سموكنج .. وحوله باقات الورد .. كأنه فى الكوشة .. ونظرت الى المقعد الذى بجانبه .. المخصص للعروسة .. فلم اجد عليه احدا .. ليس بجانب هاشم عروسة .. وجريت اكثر لأجلس فى مقعد العروسة .. ولكن الشبح لحق بى ، وامسك بطرف ثوبى .. واخذ يشـــدنى .. يشدنى بقسوة ... وانا اصرخ ... هاشم ... هاشم ... ولكن هاشم لا يسمعنى . .ويتلفت حوالبه فى انتظار عروســته .. ولا يرانى ... انى اخاف أن تسبقنى اليه عروسة أخرى .. والشبح يشدنى .. والرعب يملؤنى .. لقد امسك الشـــبح بكتفى .. يهزنى ..

وفتحت عينى كأنى اريد أن أتأكد انى احلم ، فالتقيت بوجه أمى ، واقفة بجانب الفراش .. متجهمة الوجه .. مرتدية ثوبا اسود كأنها اعلنت الحداد على ..

وكانت تهزنى من كتفى وهى تقول :

ــ ميتو .. ميتو .. قومى .. اصحى ..

ورفعت عينى اليها ، ثم عدت واغمضتهما قائلة :

ــ سيبينى يا ماما .. انا تعبانه .. عايزه أنام .

وقالت أمى فى صوت حازم :

ــ هو انتى خليتى حد ينام .. قومى دلوقت ، وابقى ارجعى نامى .. قومى باقول لك ..

وعدت وفتحت عينى ، وقد تخلصت من بقايا حلمى ، ثم اعتدلت جالسة فى الفراش ، وانا متعبة .. متعبة فعلا وقلت وانا ادعك عينى بأصبعى :

ــ ده أنا حلمت حلم وحش قوى ..

وقالت أمى فى لهجة باترة :

ــ مش عايزه اسمع احلامك .. عايزه اسمع حكايتك .. قلت كأنى أرجوها :

ــ استنى على شويه يا ماما لما افتح عينيه ..

وجلست أمى على حافة الفراش ، وقالت وهى تنظر الى بكل عينيها :

ــ استنينا ..

قلت وانا اتمطى واحاول ان استعيد برودى :

ــ هى الساعة كام دلوقت ..

واجابت خالتى وهى واقفة بجانب باب الغرفة :

ــ الساعة سبعه ونص يا حبيبتى ..

قلت :

ــ ياه ... ده انا ما لحقتش انام ساعتين ..

وقالت أمى وهى تكاد تنفجر :

ــ مش مهم .. اتكلمى ..

وقالت خالتى سعدية :

ــ استنى عليها يا فوزية يا اختى .. البنت عدمانه ومالحقتش تنام .. قومى يا حبيبتى اغسلى وشك بشوية ميه ، وتعالى ..

ثم التفتت الى أمى قائلة :

ــ قومى يا فوزية يااختى نشرب القهوه فى الصالة ..

وظلت أمى تنظر الى بعينين واسعتين غاضبتين كأنها تصفعنى بعينيها .. وتجاهلت نظرتها ، وقمت على مهل لأدخل الحمام ، وقامت أمى خلفى ، وهى تقول :

ــ اما اشوف اخرتها مع البت دى ايه ..

وتعمدت ان اغيب فى الحمام .. غبت اكثر من نصف ساعة .. وطرقت خالتى على الباب مرتين تتعجلنى .. وأنا اتلكأ اكثر .. ثم خرجت الى امى ، وقد استعدت كل ذكائى ، وكل برودى .. وجلست على المقعد المواجه لها .. وقد زاد وجهها احتقانا ، وزادت عيناها غضبا ..

وأمرت خالتى بنتيها ان يدخلا الى غرفتهما .. ثم جلست معنا ، قائلة :

ــ اسمعى يا فوزية يااختى .. انا مش عايزاكى تزعلى نفسك ، ولا تزعلى ميتو .. كل حاجة ولها حل ..

وقالت أمى وهى لا تزال تصفعنى بعينيها :

ــ اتفضلى اتكلمى يا ست ميتو ..

قلت فى برود :

ـ عايزانى أقول ايه ؟ ..

وقالت أمى بعد أن رفعت عينيها الى السقف كأنها تستجير بالله منى :

ـ عايزاكى تقولى لنا حكايتك ..

قلت فى هدوء وأنا أهز كتفى ، وكلتا يدى فوق بطنى المنتفخ :

ـ ولا حاجة .. عايزاه أطلق ..

قالت وهى تشد أنفاسها من صدرها :

ـ عارفين انك عايزه تطلقى .. اللى عايزه أعرفه .. كنتى فين امبارح لغاية الساعه تلاته الصبح ..

قلت وأنا أدير عنها عينى :

ـ مش حاقول إلا لما أطلق ..

وقالت أمى صارخة :

ـ لا حاتقولى .. حاتقولى غصب عن عينيك ..

وقالت خالتى بسرعة :

ـ هدى نفسك يا فوزيه ياأختى .. مش كده أمال ..

وسكتت أمى ، والعذاب يتردد فى صدرها مع أنفاسها ..

ثم قالت وهى تحاول الا تصرخ مرة ثانية :

ـ والنبى ما كنتيش مكسوفة من نفسك وانتى دايره للصبح وبطنك قدامك .. ده لو ما كانش العيل اللى فى بطنك كان زمانى حطاكى تحت رجلية وياهرسك هرس .. أعمل ايه فيكى بس يا اخواتى ..

قلت فى برود :

ـ طلقينى ..

وانفجرت أمى مرة ثانية .. وخالتى تهدئهـــا .. والكلام

لا ينتهى .. ساعة .. ساعتان .. ونحن نقــول ونعيد نفس الكلام الذى رددناه فى الشهور الأخيرة ، منذ اعلنت طلب الطلاق .. وانا مصــممة دائما على الا افشى سرى .. ولا اقول اين كنت ليلة أمس ...

واخيرا قامت امى من على مقعدها ، وشدتنى من يدى بقوة . قائلة :

ـ تعالى معايا ..

ثم التفتت الى اختها قائلة :

ـ سيبينا لوحدنا شويه يا سعديه .

ثم دخلت بى الى غرفة النــوم ، واغلقت الباب وراءنا ، وقالت :

ـ اقعدى يا بنتى ربنا يهديكى ..

وجلست على السرير ..

وجست بجانبى ملتصقة بى ..

واحسست ساعتها انى اريد أن أضــع راسى على كتفهــا واستريح من عنادى .. اريد أن اقبلها .. واقبلها .. ثم أبكى ..

وقالت وهى تربت على فخذى فى حنان :

ـ اسمعى يا أمينة .. انا مستعدة اطلقك .. واقدر اطلقك فى اربعه وعشرين ساعه .. بس قبل ما اطلقك لازم اقتنع .. ومش حاقتنع الا لو عرفت كل حاجة .. قوليلى يا امينة .. انتى بتعرفى حد ..

قلت وأنا ارفع حاجبى مدعية البراءة :

ـ قصدك ايه يا ماما ؟ ..

قالت وهى تنظر الى وعلى شفتيها ابتسامة مرة :

ـ تصدى بتحبى حد ...

وادرت راسى عنها ، وقلت :

ـــ لا . . ما بحبش حد . .

قالت :

ـــ توليلى يا بنتى . . ده مش عيب . . كل البنات بيحبوا . . وانا غلطت معاكى وجوزتك صغيرة ، قبل ما تتفتحى وتشوفى الدنيا . . ولو حبيتى واحد تانى ، يبقى لك حق . .

ونظرت اليها ، أحاول أن أصدقها . . وأنا أشعر بقلبى ينتفض بين ضلوعى . . ثم فجأة أحسست بدموعى تنهمر صامتة على وجنتى قبل أن أستطيع مقاومتها . . وأحنيت راسى صامتة . .

كشفتنى دموعى . . .

وظلت الابتسامة المرة على شفتى أمى وقالت :

ـــ اقدر أعرف اسمه . . .

ورفعت اليها عينى المبتلتين بالدموع وقلت فى حدة :

ـــ لا . . مش ممكن . . . مستحيل . . .

ولفت أمى ذراعها حولى ، وضمتنى اليها ، قائلة :

ـــ ده أنا مامتك يا أمينه . . اذا ما كنتيش حاتقوليلى . . حاتقولى لمين . . انتى عمرك ما خبيتى عنى حاجه . .

وملت راسى على كتفها . . اريد أن استريح . . راسى مصدع ، من قلة النوم وكثرة الكلام . . وقلت :

ـــ مش حاقول يا ماما . . مش حاقول . .

قالت :

ـــ مش بس أعرف مين هو ده اللى حاتتهد الدنيا علشانه .

قلت :

ـــ بكره تعرفيه . . .

وسكتت برهة ،وقالت وهى لا تزال تحضـــننى ؛ وراسى لا يزال على كتفها :

ــ ووعدك بالجواز؟

قلت وانا امسح الدموع من فوق خدى :

ــ يوعدنى بالجواز ازاى وانا متجوزه ..

قالت :

ــ يعنى ما اتفقتوش على انك تطلقى وتتجوزوا ..

قلت وانا لا ارفع وجهى اليها حتى لا ترى عينى :

ــ ازاى بس يا ماما .. هى تجاره ..

قالت :

ــ امال عايزه تتطلقى ليه ..

قلت :

ــ علشان باحبــه .. وعلشــان متأكده انى لو ما كنتش متجوزه ، كان اتجوزنى ..

قالت :

ــ ما يمكن واد صغير من شبان اليومين دول ، يخرب عليكى ، وبعدين تدورى عليه ما تلقهوش ..

قلت وانا ارفع راسى اليها محتجة :

ــ ده مش واد صغير .. ده راجل عنده خمسه وتلاتين سنه ..

ونظرت الى امى كأنها تحاول أن تدخل بعينيها فى راسى ، وقالت :

ــ وده اللى كنتى معاه امبارح لغاية الساعة تلاته ؟ ..

وانتفضت من جانبها .. ابتعدت عنها .. وقلت وانا افتعل الغضب :

ـ يا خبر .. ازاى تقولى الكلام ده يا ماما .. ده ما حطش ايده على لغاية دلوقتى ..

ـ امال كنتى مع مين ؟

قلت مى حدة :

ـ ما كنتش مع حد .. ومش حااقول كنت فين ..

قالت :

ـ بأه بعد ما تقوليلى ده كله .. مش عايزه تقوليلى كنتى فين .. ليه ؟

قلت :

ـ علشان لو ما اطلقتش ناويه ارجع مطرح ما كنت .. وماحدش يعرف طريقى .. وتبقى فضيحة ..

قالت :

ـ ومين حايسيبك تعملى كده .. انتى فاكره نفسك سايبه ..

قلت فى تحد :

ـ ما حدش ساعتها حايقدر يمنعنى .

قالت وهى تتنهد :

ـ انا احلف انك كنت مع الراجل اللى بتقولى عليه ده ..

قلت فى بجاحة :

ـ لو عرفتيه ، حاتعرفى انه مش من الصنف ده .. مش ممكن يقعد مع واحده متجوزه لغاية الساعة تلاته ..

قالت :

ـ طيب مش تعرفينى بيه ..

وسكت .. لم اتكلم .. وعقلى يدور فى راسى ..

وعادت تقول :

— يا بنتى هدى سرى ، ربنا يهدى سرك ..

وقلت وقد بدأت اتردد فى تصميمى :

— ما اقدرش يا ماما .. ما اقدرش أبدا .. ده لو عرف انى قلتلك .. ولا حكايتنا اتعرفت ، يبطل يكلمنى ..

وقالت وهى تنظر الى فى توسل :

— يا بنتى ده انا اخاف عليكى أكتر ما تخافى على نفسك .. وأحلف لك بمعزتك عندى .. وانشا الله يا رب أعدمك واعدم ولادى كلهم ، لو نطقت بكلمة .. قولى يا بنتى .. وما تنسيش انى حاساعدك ، وانا الوحيدة اللى حاقف جنبك ..

ولا زلت مترددة ..

صامتة ..

وقالت أمى وهى تزفر انفاسها وقد ضاقت بصمتى :

— يبقى خلاص .. ماليش دعوه بيكى .. وروحى شوفى مين حايطلقك .. واعملى اللى انتى عايزاه ..

وهمت أن تقوم من جانبى ، فتشبثت بها وأنا أنظر اليها فى استجداء ، وقلت فورا :

— اسمه هاشم ..

ونظرت الى أمى فى تعجب وقالت :

— هاشم مين ؟ ..

قلت وانا أحنى راسى :

— الدكتور هاشم ..

وخبطت على صدرها كأنها ذعرت وقالت :

— الدكتور هاشم عبد اللطيف ؟

وهززت راسى بالايجاب ، وعيناى منكستان فى خفر ..

وقالت امى وهى تطوف بعينيها فوق وجهى :

ـــ بس ده نص ستات البلد بيجروا وراه ..

ورفعت راسى وقلت فى حدة كأنها لدغتنى :

ـــ وانا أحسن من نص ستات البلد ..

وقالت أمى :

ـــ وبيقولوا عليه ما بيتجوزش ..

قلت :

ـــ اللى أعرفه انه بيحبنى .. متأكده انه بيحبنى ..

قالت :

ـــ من امتى ؟ ..

قلت :

ـــ من حوالى سنه ..

قالت وقد راقت ابتسامتها .. ابتسامة فيها كثير من الدهشة ، وكثر من الزهو :

ـــ وعرفتيه ازاى ؟ ..

وبسرعة استطعت أن أختلق كذبة كبيرة .. قلت لها انى التقيت به فى النادى .. وعرفتنى به احدى صديقاتى .. واتصل بى بعدها بالتليفون .. وقد خرجت معه عدة مرات .. فى سيارته .. ويحدثنى دائما فى التليفون .. و ..

لم اقل لها شيئا من الحقيقة ..

ونظرت الى أمى وقد غلب زهوها بى دهشتها منى .. وقالت كأنها تهنئنى :

ـــ أما انتى حتة بنت .. كل ده وما أعرفش ..

ثم سكتت برهة وقالت :

ـــ وهو عارف انك حاتطلقى ..

قلت :

ـــ ايوه ..

قالت :

ـــ وما قالش حايعمل ايه بعد الطلاق ..

قلت كأنى ألومها :

ـــ مش ممكن يا ماما .. ده انسان كويس .. ومش ممكن يطلق واحده علشان يتجوزها .. انما هـــو فاهم انى حاطلق لانى ما بحبش جوزى .. ولأن جوزى راجل مش كويس .. انما انا متأكدة انى لو اطلقت ، حايتجوزنى ..

قالت كأنها تحقق معى :

ـــ اتأكدتى ازاى ؟

قلت :

ـــ هاشم دايما يقول لى أنه لو كان قابلنى قبل ما اتجـــوز كان اتجوزنى .. ودايما يقول لى انه ما يقدرش يستغنى عنى ابدا .. وانا عارفه انه مش ممكن يكذب .. ما فيش سبب يخليه يكذب .. وزى ما قلتى ، نص ستات البلد بتجرى وراه .. يعنى مش محتاج انه يقول لى الكلام ده الا اذا كان بيحبنى صحيح ..

وسرحت أمى بعينيها .. وابتسامة كبيرة على شفتيها .. كأنها تحلم .. كأنها تتصور نفسها حماة الدكتور هاشـــم .. وتتصور نفسها وهى تباهى به كل صديقاتها .. تتصور نفسها فى قصر كبير بنته من طموحها الساذج ، واطماعها الرخيصة ..

وعادت تقول لى فجأة كأنها استيقظت من احلامها :

ـــ والنبى يا بنتى انا مش مصدقه ده كله .. الدكتور هاشم حته واحده !!

قلت وانا ابتسم لسذاجتها وأتعالى عليها بذكائى :

— تحبى أكلمه فى التليفون قدامك .

قالت وهى تمصمص شفتيها ، وتركن راسها على كتفها :

— اتكلمى يا بنتى .. وورينى عمايلك .

وقفزت من جانبها فى نشاط مرح ، كانى على وشك أن أقوم امامها باستعراض راقص ، ابرز به مواهبى .. وخرجت الى الصالة ، وعدت حاملة التليفون ، وخالتى سعدية تصيح ورائى :

— اتفقتم على ايه ؟

قلت :

— ادى احنا بنتكلم ..

ثم اغلقت الباب ورائى ، وجلست بجانب أمى ، وأدرت قرص التليفون ، وهى تنظر الى فى ترقب ، والفضول يشد عينيها .. وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة والنصف .. وهاشم فى عيادته .. وما كاد يسمع صوتى حتى قال :

— عملتى ايه يا أمينه .. ايه اخبارك ؟ ..

واذن أمى بجانب أذنى فوق السماعة !

وقلت :

— العيله كلها مقلوبه على .. انما اطمن يا هاشم .. كل حاجه حا تمشى زى ما احنا عايزين ..

وسكت هاشم قليلا كأنه لم يفهم ما أقصده .. ثم قال :

— بس خليكى عاقله .. ما تتجننيش .

قلت :

— اطمن .. انا عارفه انا باعمل ايه .. ما تشغلش بالك .. خلى كل عقلك للعيانين بتوعك .. وسيب كل حاجه على ..

وسكت هاشم مرة ثانية .. كأن هناك شيئا يريد أن يفهمه .. ثم قال فى صوت متردد :

— ابقى طمنينى ..

قلت فى رقة :

— حاضر ..

ووضعت سماعة التليفون ، والتفت الى أمى .. وعيناها واسعتان مبهورتان .. وعلى شفتيها ابتسامتها الكبيرة تهنئنى بها على عبقريتى .. ثم قالت كأنها قررت أن تبدأ العمل فورا ،

— المهم دلوقتى نخلص من الراجل عبد السلام ده .. الحقيقه يا بنتى انتى معذورة فيه .. ده راجل ما ينطقش ..

ثم قامت وخرجت من الغرفة ، وأنا وراءها ، وقالت وهى تسير نحو اختها فى خطوات قوية حاسمة :

— ما فيش فايده يا سعديه .. البنت لازم تتطلق ..

وهكذا انقادت أمى لى .. تنازلت عن مبادئها واستسلمت لطموحها وأطماعها .. ولم تكن تدرى عندما انقادت الى انى سأجرها معى الى طريق الوحل .. طريق العذاب ..

ومالت راس أمى على راس خالتى ، ووضعتا خطة العمل .. اتفقنا على أن يتصلا بعبد السلام فى السويس ويقولا له انى كنت عند خالتى طول الليل .. وان خالتى لم تكن تدرى لأنها كانت عند امى .. ثم تطلبان منه أن يأتى حالا الى القاهرة ..

وصدق المسكين الملهوف كل شىء ..

وعدت مع أمى الى بيتها ..

وعادت تسألنى ونحن فى الطريق :

— مش حاتقولى كنتى فين امبارح ؟

قلت وأنا ابتسم :

ـــ لا .. لما اطلق الأول ...

وسكتت أمى ..

والواقع أن من اسباب اصرارى على عدم ذكر المكان الذى كنت فيه ، ان خيالى لم يكن قد اسعفنى حتى اليوم بكذبة معقولة اقولها .. ولم اكن استطيع ان اقول لأمى الحقيقة ..

ووصلنا البيت ..

ونمت بمجرد وصولى .. نمت نوما هادئا مريحا ، كأنى وصلت الى شاطىء الأمان بعد رحلة طويلة .. وجلست أمى مع زوجها ، وأخذت تحاول اقناعه بأن يوافق على طلاقى من زوجى .. قالت له كل الأسباب التى تبرر الطلاق .. نصفها أسباب اختلقتها ونسجتها من خيالى .. وضعف الرجل الطيب .. ولكنه ظل مترددا .. وظل يبحث عن باب يصون لى زواجى ...

واستيقظت من النوم ، وزوجى عبد السلام فى البيت .. ولكنى رفضت ان اقابله .. ولا حتى أن اراه من بعيد .. واقنعته امى بألا يصر على لقائى ، رحمة بالجنين .. حتى لا أنور فيتأثر بثورتى .. وأخذت تقنعه بالطلاق .. وزوجها ينضم اليها حينا ، وينضم الى عبد السلام حينا .. وأمى تأتى الى حجرتى وتجلس معى لتنقل الى ما يدور من حديث .. ثم نتحدث قليلا عن هاشم .. ونضحك .. ثم تضع على وجهها ملامح الجد ، وتخرج الى عبد السلام وتنقل له عن لسانى كلاما ، نصفه لم اقله ..

وبقى عبد السلام فى القاهرة ثلاثة أيام .. يأتى الى البيت فى الصباح .. ثم يخرج ليتناول طعام الغداء فى الخارج .. ثم يعود فى المساء ويبقى الى منتصف الليل ، ثم يذهب لينام فى الفندق .. وخالاتى الخمس مقيمات عندنا ، تقريبا ، وقد اقتنعن

بما اقتنعت به أمى ، رغم ان أمى لم تطلعهن على حكايتى مع هاشم .. والكلام لا ينتهى .. والبيت هيصة .. هيصة كبيرة .. كأن فى البيت فرحا .. لا طلاقا ..

وفى اليوم الثالث فوجئت بعد السلام يفتح باب غرفتى بلا استئذان ، وقد اكتسى وجهه بالغضب .. غضب عنيف .. ودهشت عندما رأيته .. لقد نقص وزنه .. وحدد الغضب ملامح وجهه ، فبدا كأنه أصغر سنا ، وأقوى شخصية .. بل بدا أكثر وسامة .. ونظرت اليه والدهشة تملأ عينى .. كأنى أنظر الى شخص غريب .. ليس زوجى عبد السلام .. بل خيل الى ساعتها ان بنطلونه ليس مهدلا كما كنت أتصور ..

وافقت من المفاجأة بسرعة ..

واقترب منى والغضب ينطلق من عينيه .. وأمى تجرى وراءه .. والتفت اليها وقال فى صوت قوى لم أسمعه منه من قبل :

ـ سيبينا لوحدنا من فضلك يا فوزيه هانم ..

وترددت أمى .. نظرت اليه .. ثم نظرت الى .. ثم انسحبت من الغرفة ، وهى تقول :

ـ ما تنرفزيش نفسك يا بنتى .. برضه لازم تتكلموا مع بعض ..

ثم ابتسمت لى من وراء ظهره ، وخرجت ..

واقترب عبد السلام من السرير الذى أجلس عليه ، والغضب يحيط به .. وأنا أنظر اليه وأتعجب لهذه القوة التى تفوح منه . والتى لم أشعر بها أبدا .. بل أنى أشعر كأنى أخاف .. ولم أكن أبدا أخافه .. وقال بهذا الصوت الثابت الجديد على أذنى :

ـ انتى عايزه ايه ؟

قلت وانا انكمش فى زاوية السرير :

ــ انت عارف ..

قال :

ــ عارف انك عايزه تطلقى .. أما لغاية دلوقتى مش عارف ليه ..

قلت وأنا ازداد انكماشا ، وعيناى معلقتان بوجهه الغاضب :

ــ علشان ما بحبكش ..

قال :

ــ وكنتى اتجوزتينى ليه ؟

قلت :

ــ كنت فاكره انى حاقدر أحبك .

قال :

ــ لسه ما فاتش علينا وقت كفايه علشان تقدرى تعرفى اذا كنتى تقدرى تحبينى والا لا ..

قلت وقد بدأت أتحرر قليلا من الخوف .

ــ ما فيش فايده .. مش حاقدر أحبك ..

وقال وأنفاسه تنطلق كفحيح النار ، وعيناه تزدادان غضبا :

ــ والعيل اللى فى بطنك ..

قلت :

ــ مش عايزاه .. عمرى ما كنت عايزاه .. ابقى خده من يوم ما يتولد ..

قال :

ــ بس أنا ما اتجوزتش علشان اطلق بعد سبع شهور .. واذا كنت حا اخلف منك .. يبقى لازم تتعهدى علشان تربى لى الولد ولا البنت اللى حاتجيبيه ..

وصرخت بأعلى صوتى :

ــ انشا الله يارب ينزل ميت .. انا مش طايقاك .. مش طايقاك .. اسمع يا عبد السلام .. اذا ما كنتش حاتطلقنى أنا حا اخونك .. فاهم يعنى ايه أخونك .. حاروح اعرف واحد تانى ..

وقبل ان أدرى ، رفع عبد السلام كفه وصفعنى صفعة اشعلت النار فى وجهى كله ..

وصرخت :

ــ ماما .. ماما .. الحقينى يا ماما ..

وقال عبد السلام وهو واقف ثابتا منتصبا أمامى :

ــ انا حاطلقك .. مش علشان انتى عايزه الطلاق .. انما لأنك ما تنفعيش زوجة .. ما تنفعيش أم .. انتى ما تربتيش .. ما عندكيش مبادىء .. انتى انسانه منحله .. أنا حا اطلقك لأنى غلطت يوم ما اتجوزتك ..

ودخلت أمى .. وصرخت فيها :

ــ ضربنى يا ماما .. ضربنى ..

وقالت أمى وهى تخبط على صدرها :

ــ هى حصلت الضرب يا عبد السلام يا ابنى .. ده أنا بنتى عمرها ما حد ضربها ولا حط ايده عليها ..

وصرخ عبد السلام دون أن يلتفت الى أمى ، وعيناه الغاضبتان تخنقان عنقى :

ــ روحى انتى طالق .. طالق .. طالق ..

ثم اندفع خارجا من الغرفة .. وعيناى متشبثتان به ، كأنى كنت فى لحظة تمنى ان يعود الى .. اتمنى الا تنتهى حكايتى معه بهذه السرعة .. ان يترك لى فرصة أخرى ..

وصاحت أمى وراءه :

— طيب استنى يا عبد السلام أما نتفاهم ..

ولكنه خرج ..

وسمعت صوت الباب الخارجى يصفق وراءه فى عنف ..

وارتميت على ظهرى أبكى ..

بكيت بحرقة .. بكل أعصابى .. لم ابك فى حياتى قدر ما بكيت هذا اليوم ..

وبطنى منفوخ يهتز مع بكائى ، كأن الجنين يبكى معى .

وفى صدرى بركان من الأحاسيس .. أحاسيس متضاربة .. قاتمة .. حادة .. تنهش فى لحمى وأعصابى .. وآثار صفعة عبد السلام لا تزال تحرق وجهى .. لقد أحسست بصفعته كما لم أحس أبدا بصفعات هاشم الكثيرة .. صفعته مزقت كرامتى .. اذلتنى .. ربما لأنها صفعة غضب .. وصفعات هاشم صفعات حب واشتهاء .. ولكن رغم ذلك أحسست كأن صفعة عبد السلام قد كشفت لى عن حقيقة كنت أجهلها فيه .. اكتشفت أنه رجل .. قوى .. وشعرت بموجة عنيفة من الندم .. الندم لأنه طلقنى .. يا ربى .. لماذا لم يصفعنى من قبل .. لماذا لم يضربنى .. ويضربنى .. الى أن أفيق من جنونى .. لماذا دللنى الى هذا الحد .. لماذا سكت على .. لماذا تركنى لهاشم ..

وتذكرت هاشم ..

كأنى كنت نسيته فى هذه اللحظات ..

والتفت الى أمى وهى واقفة بجانبى تحاول أن تسكت بكائى .

وصرخت فيها بعصبية :

— هاتى التليفون ..

وقالت امى فى اسى :

ـــ حاتكلمى مين دلوقتى بس ؟

قلت صارخة :

ـــ مالكيش دعوه .. هاتى التليفون .

وخرجت صامتة وعادت بالتليفون .. وادرت رقم تليفون هاشم ، وصرخت فيه من خلال دموعى :

ـــ عاجبك كده .. ادينى اتطلقت .. اتفضل باه وتعالى اتجوزنى ..

وسكت برهة ..

برهة طويلة ..

ثم قال فى صوت صارم :

ـــ بعدين نبقى نتكلم ..

ولم احتمله ..

قذفت بسماعة التليفون فوق الفراش .. واخذتها أمى واعادتها الى مكانها فى هدوء .. وقالت لى فى فضول :

ـــ قالك ايه ؟

قلت وانا اعود وابكى بكل دموعى :

ـــ ما قالش حاجه .. سيبينى يا ماما .. وحيانى عندك تسيبينى لوحدى ..

وتركتنى أمى ..

وعدت أبكى وحدى فى غرفتى ..

والبيت صامت حزين ..

وخالاتى الخمس قد انصرفن ، كأنهن انتهين من تشييع الجنازة .. جنازتى !

ونمت ..

لا . . لم أنم . .
أغمى على . .

وفى اليوم التالى صحوت وانا افكر فى لقاء هاشم . . واحس وانا افكر فيه انى اصبحت اكثر ضعفا أمامه مما كنت . . كأنى فقدت سندى . .

وقلت فى التليفون . . وصوتى حزين ضعيف :

ــ اقدر اشوفك النهارده . .

قال كأنه لا يدرى بمصيبتى :

ــ مش حاقدر وحياتك يا أمينه . . عندى كونسلتو الساعه اربعه . . ومش حاقدر اعتذر . . اتصلى بى بكره . .

واحسست بقلبى ينشق . .

هل بدأ يهرب منى ؟

لا أدرى . .

ولا أريد ان أدرى . . لا أريد أن أفكر . .

وقلت فى يأس واستخذاء :

ــ حاضر . .

واليوم يســـير حزينا راكدا . . لا يحكمه شىء . . ولا حتى أحاديث أمى الطويلة التى تحاول أن تخفف بها عنى . . انها هى الأخرى حزينة ، نادمة . . فكيف تخفف عنى الحزن والندم . .

وفى اليوم التالى ، رفض هاشم ان يقابلنى أيضا ، وقال بصوت وضع فيه كل صدقه :

ــ وحياتك . . وحياتك . . مشغول . . انما بكره ، لو النبى نزل لى مش ممكن ما يخلنيش اشوفك . . .

وصدقته . .

اضطررت أن أصدقه . .

وقابلنى ..

وقلت لأبى أنى ذاهبة للقائه .. فى السيارة .. وقالت أمى فى جزع :

ــ حاسبى يا ميتو .. انتى دلوقت فى العدة .. وعبد السلام يقــدر يعمل فيكى اللى هو عايزه .. كأنه لســـه متجوزك ..

وابتسمت ..

اعجبتنى كلمة « العدة » .

لم تكن قد خطرت على بالى من قبل .. وفرحت بها ، كأنى اشتريت ثوبا جديدا اتخايل به .. وقد ظللت الوك كلمة « العدة » بعد ذلك فى كل مناسبة .. كأنى اطرقع بقطعة لادن فى فمى ..

وكان هاشم فى انتظارى ..

حرص على ان يذهب قبلى ، ليرضينى ويظهر لى انه على اهتمامه بى ..

وجلس بجانبى يستمع منى الى تفاصيل ما مر بى ، ثم اكتسى وجهه بالجد ، وقال وهو ينظر بين يديه :

ــ اسمعى يا أمينة .. انا عايز أكلمك بصراحة .. و ..

وقاطعته قائلة وأنا أدير وجهى عنه :

ــ عارفه انت حاتقول ايه .. ومش عايزه اسمع ..

والتفت الى وعلى شفتيه ابتسامة ميتة وقال فى تساؤل :

ــ حاأقول ايه ؟

قلت وأنا لا أنظر اليه :

ــ حاتقول ان مش يعنى انى اطلقت .. انك حاتتجوزنى .. انا قلت لك ميت مره انى ما اطلقتش علشان اتجوزك ..

قال :

ــ أنا مش عايز أضحك عليكى .. مش عايز اخدعك .. و ..

قلت :

ــ عارفه .. وأرجوك تسكت ..

ولكن ..

هل فقدت الأمل فى أن اتزوجه .. ابدا .. لقد جرنى هذا الأمل الى اخر الطريق .. ولكنى كنت أيامها اضعف من أن افصح عن املى وأدافع عنه .. وتبينت انى كنت أرهب هاشم .. كنت اعتقد انى احترمه لأنه صريح ، ولا يكذب .. ولكنى فى الحقيقة كنت أرهبه .. ارهبه لوقاحته التى تصل الى حد أنه يستغنى بالوقاحة عن الكذب ..

وبعد خمسة عشر يوما ارسل لى عبد السلام ورقة الطلاق .. طلقنى بلا شروط ..

حتى مؤخر الصداق ، وكان خمسمائة جنيه ، دفعه بمجرد أن ذكرته به أمى .. كأنه يبيعنى بأى ثمن ..

طلقت ..

وانا فى التاسعة عشرة من عمرى .. حامل فى الشهر السابع ..

والخوف والرهبة يملآن قلبى ..

واصبحت حرة ..

لا يقيدنى شىء الا هذا الحمل الثقيل الذى حمله فى بطنى .

واحترت فى الشهور الأولى ماذا أفعل بحريتى .. كنت التقى بهاشم كل يومين أو ثلاثة .. لقاء ساعة أو ساعتين .. وكنت أقضى الوقت فى حديث لا ينتهى مع امى عن الطلاق ، وعن زواجى من هاشم ، والأمل الكبير الذى تبنيه على كذبتى عليها .. وكنت احمل بطنى واخرج لأتمشى فى شارع البارون ، أنا واخوتى ، استعدادا للولادة .. و .. والأيام تمر بطيئة

مملة .. وكنت اعلل هذا الملل بأنى حامل .. او بأنى فى شهور العدة . ولا استطيع ان انطلق خوفا من ان يكون زوجى — السابق — يراقبنى ، رغم انى كنت اعلم انه لا يراقبنى وانه لم يأت الى القاهرة منذ طلقنى ..

ولكن ..

انه ليس الملل ..

شىء آخر ..

انه الخوف ..

خوف احاول ان اتجاهله .. وكلما اقترب يوم الوضع اقترب منى الخوف .. ويقترب الخوف أكثر .. اكثر .. حتى اصبح هلعا .. هلع من أن اتحمل وحدى مسؤولية الطفل الذى سأضعه .. بلا زوج بجانبى .. كنت أحس كأنى سأضع طفلا يتيما .. وبدأت أحس بالحياة الطويلة تمتد امام هذا الطفل ويعيش فيها وحده .. بلا أب .. ابوه بعيد عنه .. كأنه ميت .. بل ، من يدرى .. ربما لن يعرف أباه ..

وبدأ اطمئنانى الى انى حملت من عبد السلام ، يهتز .. يهتز بعنف .. انى لست واثقة اليوم من أنه ابن عبد السلام .. وفى صدرى امنية خبيثة بأن يكون ابنا لهاشم .. ان هاشم ، على الأقل ، بجانبى .. يستطيع أن يحمل معى مسؤولية هذا الطفل ، حتى لو لم يكن زوجى .. ولكن عبد السلام ذهب ..

وصحا ضميرى صحوة مفاجئة ..

انى اتعذب ..

يعصرنى عذاب الضمير .. ويصل بى العذاب الى حد ان أتمنى ان أعود لعبد السلام .. بل انى اتصلت به بالتليفون .. وحاولت أن اكون رقيقة معه .. وحدثته عن قرب يوم الوضع

لعلى أثير حنانه .. ولكنه كان جافا معى .. وايأسنى من عودتى اليه ..

واستسلمت ..

للخوف ..

للعذاب ..

والجأ الى هاشم .. انه كما هو .. لا شىء يجد عنيـــه .. ويقودنى فى لحظات الى فراشـه ، رغم انه يعلم انه لم يبـــق الا ايام ، لأرقد على فراش الوضع .. و ..

وانتقلت الى المستشفى ..

انى الد ..

واحشائى تتمزق .. كأن الجنين يحمل سكينا يشق به طريقا لنفســـه الى الحياة .. واصرخ .. واضغط بكل انفاسى لأطرد هذا الكائن من جسدى .. واطلق عليه كل قواى .. واتألم .. يا ربى .. ارحمنى .. وخيل الى ان هذا الالم ليس طبيعيا .. لابد ان الله يعاقبنى .. يصب نقمته على ..

ولكن الالم لم يشل عقلى .. فى اشد لحظات الألم لا يزال عقلى يفكر .. ويتساءل .. ويتلهف على التعرف على الجنين .. والتعرف على ابيه ..

وفتحت عينى ..

وحملته الى الممرضة ..

هذا الشىء الذى عذبنى ..

بنت ..

ونظرت فى وجهها بعينين ملهوفتين ..

ومن النظرة الأولى عرفته ..

انه عبد السلام ...

زوجى ..

هل فرحت ؟ ...

ــ لا ..

اغتظت ..

وعدت ابحث فى وجهها .. كلها عبد السلام .. لونه .. انفه .. شفتاه .. بل خيل الى انى لو فتحت فمها ، ستأجد فيه سنة عبد السلام الذهبية ..

وعدت ابحث فى اصابع يدها .. فى قدميها ..

لا شىء من هاشم ..

ولا منى ..

وحمدت الله ، دون أن أفرح بحمده ، ورفعت عينى فرأيت أمامى عبد السلام ، وقد جاء ليحضر ولادتى ، وقال لى وهو يحمل طفلته بين ذراعيه .. ولهجته جادة كأنه يهددنى ، رغم ابتسامته :

ــ انتى خلاص بقيتى أم يا ميتو ..

والبنت لازم تتربى كويس .. ومش ممكن تتربى كويس الا لو كانت أمها كويسة ..

وابتسمت له ، كأنى اقول له .. يا سم ..

ولكنه كان لطيفا ...

حمل الى باقة من الورد .. ودفع أجر الطبيب ، ومصاريف المستشفى ..

وامى وخالاتى الخمس يحطن بى ..

وباقات الورد ..

وكنت متعبة .. عدت ونمت ..

وصحوت فى اليوم التالى ، وشعورى بانى بلا رجل يقف بجانبى فى هذه المناسبة ، يعذبنى ..

واتصلت بهاشم فى التليفون ، وقال منطلقا .. لا شىء يقلقه :

ــ بنت ولا ولد ..

قلت فى يأس :

ــ بنت ..

قال فى مرح :

ــ حلوه زى امها ؟ ..

قلت :

ــ مش حاتيجى تشوفها ..

وتردد هاشم فى أن يعدنى بزيارته .. ولكنى اقنعته بأن يأتى لزيارتى فى الساعة العاشرة مساء ، وضمنت له الا يكون أحد معى .. وقبل محرجا .. كأنه يجاملنى مجاملة كبيرة ..

وادعيت النوم منذ الساعة الثامنة ..

وذهب الجميع حتى أمى ..

وجاء هاشم فى العاشرة ..

وأثار دخوله فى المستشفى همس المرضات .. خرجن ليرينه .. وهو يقترب منى متخذا هيئته الجادة التى يقابل بها مرضاه .. وبعد أن خرجت المرضة التى أوصلته حتى غرفتى .. استراح من هيئته الجادة .. وانحنى يقبلنى فوق خدى نظر الى ابنتى فى السرير الصغير الموضوع فى جانب من الغرفة .. نظرة واحدة .. كأنها لا تهمه فى شىء .. وقال فى مرح :

ــ انتى أحلى ..

ثم التفت الى قائلا :

ــ سمتيها ايه ؟ ..

قلت :

ــ لسه .. ايه رايك ؟

قال :

ــ سميها على اسم مامتك ..

قلت :

ــ لا .. ذنبها ايه .. ده اسم ماما بلدى ..

كنت انانية الى حد أن ارفض اطلاق اسم امى على ابنتى .

وقال هاشم :

ــ سميها .. هدى .. على اسم بنت اختى ..

قلت :

ــ حاضر .. خلاص .. هدى ..

وعاد هاشم ونظر الى هدى نظرة اطول من الأولى .. كأنه يبحث فيها عن شيء .. ثم عاد الى بوجه ضاحك .. وقال وهو يجلس على المقعد الموضوع بجانب سريرى ، ويميل على بوجهه حتى تلامس شفتاه شفتى :

ــ انا كان لازم أجيب لك هدية .. انما انتى عارفة أن عمرى ما اشتريت حاجه .. ما عندبش وقت أنزل الف على الدكاكين .. ومن هنا ورايح لازم تعودى نفسك انك تشترى لى الهدايا اللى حاقدمها لك ..

ثم أخرج من جيبه خمسين جنيها ،وضعها فى يدى ..

وحاولت أن ارفض ..

ولكن رفضى لم يكن الا ترددا سريعا .

ونظرت الى أوراق النقد نظرة سريعة وانا احس كأنها التصقت بيدى .. احس انى اضعف من ان القيها من يدى ..

وقلت وصوتى محبوس :

ــ دول كتير قوى يا هاشم ..

وكانت الخمسين جنيها أكبر مبلغ أضعه فى يدى فعلا ، حتى هذا اليوم .. كان زوجى لا يعطينى فى يدى أكثر من عشرة جنيهات ، كمصروف خاص .

وقال هاشم :

ــ ما فيش حاجة كتيره عليكى .. كل اللى عندى بتاعك .

قلت :

ــ بس حاقول ايه لماما ..

قال وهو يضحك :

ــ خبيهم لغاية ما تشترى بيهم حاجه ..

والتوت أصابعى على النقود ..

والتوت كل حياتى ...

وتحررت بعد أن وضعت ابنتى ..

ندمت على طلاقى ، أصبح يأسا .. واليأس أراحنى ..

وابنتى لم تشغلنى .. تركتها كلها لأمى .. لم أكن أحتاج اليها الا لأتخايل بنفسى كأم ، أمام الضيوف .. أو عندما أضعها فى عربتها الصغيرة واذهب بها الى نادى مصر الجديدة ، وادفع أمامى العربة وأنا اتلفت حولى فى خيلاء كأنى اتباهى بثوب جديد ، أو تسريحة جديدة لشعرى .. لم أحس بلهفة الأم .. ولا بجزع الأم .. ولا بوقار الأم واحترامها لنفسها .. كل ما كنت أحس به هو أنانية الأم .. كنت أحس بأن هدى ابنتى أنا .. ملكى أنا .. ومهما تركتها لأمى ، وحملتها مسؤوليتها فقد كنت أحرص بين حين وآخر على أن أشعرها بأن هدى ابنتى أنا .. وكنت أفتعل معها مشاجرات صغيرة حول أمور تخص ابنتى أنا ..

ربما لانى كنت لا ازال صغيرة .. أصغر من ان اشعر بمسؤوليتى كأم .. وكانت ابنتى مجرد عروسة الهو بها .. وربما لأن ايامها كان مستقبلى يشغلنى عن مستقبل هدى .. وحبى لنفسى يشغلنى عن حبها ..

وانطلقت ..

الى آخر ما أستطيعه من انطلاق ..

عدت كأنى فتاة لم تتزوج بعد .. عدت أصغر من سنى .. .. أنتقى ثيابى كثياب الفتيات .. ألبس البنطلون وأركب دراجة ألهو بها فى شوارع مصر الجديدة .. واتخذت صديقاتى كلهن من البنات .. نذهب الى حفلات السينما الصباحية ، ونأكل السندويتش فى محل البامبو بشارع سليمان باشا .. ولم أكن اسمع كلام امى وهى تذكرنى بأنى مطلقة ، وأن المطلقات لهن وضع خاص فى المجتمع .. كلام فاضى .. ان المطلقة قد تختلف عن الزوجة ، ولكنها لا تختلف عن البنت .. كلتاهما ليس لها زوج .. وما تستطيع المطلقة أن تفعله ، تستطيع البنت أيضا أن تفعله ..

كان الشىء الوحيد الذى يحد انطلاقى هو حبى لهاشم ..

كان هاشم هو الرجل الوحيد ..

وهو الشاغل الوحيد ..

أحادثه فى التليفون اكثر من مرة فى الصباح .. واكثر من مرة فى المساء .. واستأذنه قبل أن اخرج .. واقول له تصبح على خير قبل أن انام .. واسمع كلامه .. الوحيد الذى اقول له ، حاضر .. حاضر .. حاضر .. وأعيش فى انتظار لقائه .. كل يومين أو ثلاثة .. ساعة أو ساعتين ..

ولكن هاشم لم يتغير ..

ربما التصقت بحياته اكثر .. ولكنه لم يعطنى شيئا أكثر ، كل ما اعطاه اكثر هو نمرة تليفون شقيقته التى يقيم معها وسمح لى ان احادثه هناك بعد منتصف الليل ، بعد أن يعود من سهرته مع أصدقائه ، لأقول له .. تصبح على خير .. وفرحت بنمرة تليفون شقيقته .. وفرحت بصوتها عندما ترد فى المرات التى لا يرد فيها هاشم .. بل انى اتعمد ان اتصل بها وانا أعلم أن هاشم ليس فى البيت .. فقط لأستمع صوتها .. أو على الاصح لأقحم نفسى فى بيتها .. وكنت أتعمد أن اقول لها اسمى صريحا .. امينة .. واضع فى حديثى معها رقة وخفرا ، اكثر مما أضعه فى حديثى مع هاشم .. ورغم الجفاء الذى كانت ترد به على .. جفاء مغلف بأدب ووقار .. فقد اعتبرت نفسى صديقتها .. بل انى فى مناسبات كثيرة عندما كانت تأتى سيرة هاشم بين صديقاتى او صديقات امى ، كنت ادعى كذبا انى صديقة أخته ..

ومع مرور الأيام ، لم يعد يكفينى ما آخذه من هاشم .. اريد أن القاه كل يوم ، واريد أن اتحدث اليه وعنه طول اليوم .. ولكنه دائما مشغول .. انه لا يزال يلقانى كل يومين .. بل انى اكتشفت انه يلقانى فى أيام محددة .. السبت .. والاثنين .. والخميس .. دون أن نتفق على أن يكون لقاؤنا فى ايام محددة .. فاذا حادثته فى تليفون العيادة ، فهو دائما على عجل .. يلقى الى بهذه الكلمات القصيرة السريعة .. فاذا حادثته فى البيت فهو أيضا على عجل ، يريد أن ينام أو يريد ان يخرج .. ثم اكتشفت أنه يكره أن يطيل فى حديث التليفون ، كأن كل من يحادثه فى التليفون مريض من مرضاه يريد أن يعرف حالته بسرعة ، وينتهى ..

ثم انى لم أكن استطيع أن أتحدث عنه الا مع أمى .. وحديثى

عنه مع أمى ثلاثة ارباعه كذب .. لم اكن استطيع ان اقول لها اين نلتقى .. ولا ماذا نفعل عندما نلتقى .. ولا ماذا نقول .. كنت أؤلف لها قصصا خيالية عن حب برىء ساذج ، ومستقبل سعيد باسم ..

ثم ..

لم اعد استطيع ان احتفظ بسرى فى صدرى . ولا بينى وبين امى ..

قررت أن افشى سرى ..

همست به الى اقرب صديقاتى .. ثم الى صديقة أخرى .. وثالثة .. ورابعة .. وكن لا يصدقننى .. كأن هاشم شىء كبير ، لا استطيع ان اصل اليه .. فكنت أحادثه أمامهن فى التليفون .. حتى يصدقننى ..

ولم اكن أدرى عندما سأفشى سرى ، سأكتشف جانبا من حياة هاشم كان غائبا عنى .. سأكتشف أنى لست وحدى فى حياته ..

ان كل واحدة من صديقاتى حملت الى قصة من قصصه .. مغامرة من مغامراته .. واحدة تقسم أنه على علاقة بسيدة متزوجة .. وثانية تقسم أنه على علاقة بطالبة فى الجامعة .. وثالثة تقسم أنه يحب فتاة من نادى الجزيرة .. و .. و ..

وكنت لا أصدق ..

ان رجلا مثل هاشم لابد أن تحيط به الاشاعات .. انه اذا صافح فتاة وابتسم لها ، فلابد ان يطلق الناس وراءه حكاية .. ولكن ..

لماذا لا أصدق ؟ ..

ان السهولة التى تعرفت بها اليه ، والبساطة التى اخذنى بها ، توحى بأنه رجل مغامرات ..

وبدأت أغار ..

كأن عشرات الصراصير تزحف داخل قلبى ، وخلية من النحل تطن فى رأسى ..

وكنت أقول لهاشم ما أسمعه عنه ، فكان يضحك ضحكة كبيرة ، ويقول :

ــ ما تصدقيش .. انتى عايزه واحد زيى عايش لغاية دلوقت من غير جواز والناس ما تتكلمش عليه .. لو كان كلام الناس صحيح كان زمانى مع نص ستات البلد ..

قلت وانا لا اصدقه :

ــ طب ما تتجوز علشان الناس تبطل كلام ..

وسحب ضحكته ، ونظر الى نظرة جادة حزينة ، وقال فى صوت جاف :

ــ لو كنت عايز أتجوز كنت اتجوزت ..

قلت كأنى اتحداه :

ــ ومش عايز ليه ؟ ..

ولم يرد على .. قام من جانبى .. والتقط كتابا من كتبه الطبية أخذ يقرأ فيه ، كعادته عندما يكون غاضبا منى .

وفضلت أن أسكت ..

لم اتكلم ..

والغيرة تقرص قلبى ، وتلف برأسى ...

وقد تعمدت يومها ، قبل أن أخرج من شقة هاشم ، أن أضع منفضة السجائر فى مكان معين ، حتى اذا عدت مرة ثانية

ووجدت مكانها قد تغير ، عرفت أنه كان فى الشقة .. وما دام كان فى الشقة ، فلابد أنه كان مع امرأة ...

وعدت ..

ووجدت منفضة السجائر قد تغير مكانها .

وقلت له وانا اضغط على اعصابى حتى لا انفجر

ــ انت كنت هنا يا هاشم ؟

ورد بسرعة :

ــ لا ..

قلت :

ــ ما جيتش هنا ابدا ، من يوم ما كنا مع بعض ..

قال فى هدوء :

ــ ابدا ..

قلت فى حدة :

ــ انت كذاب ..

ورفع حاجبيه فى دهشة ، كأنه يتعجب لجراتى عليه .. وسكت .. وعدت أصرخ :

ــ أنا متأكدة انك كنت هنا ..

وقال فى برود :

ــ اتأكدتى ازاى ؟ ..

قلت :

ــ مش حاقول لك .. انما انا متأكدة ..

قال :

ــ ما دام مش حاتقولى اتأكدتى ازاى يبقى ما تسألنيش ..

قلت فى تحد :

ـ طقطوقة السجاير انا حاطاها بايدى هنا .. تسمح تقول لى ايه اللى نقلها من مكانها .. نطت لوحدها ؟ ! ..

وابتسم ابتسامة كبيرة ، ثم اقترب منى واخذنى بين ذراعيه ، وقال :

ـ انتى عبيطه ..

قلت وانا انظر اليه والغضب يملأ عينى الواسعتين :

ـ عبيطه ليه ؟ ..

قال ضاحكا :

ـ انتى نسيتى ان عم محمود البواب ببطلع ينضف الشقه كل يوم .. وضرورى لقى الطقطوقة مش فى مكانها .. رجعها لمكانها .. ثم انا قلت لك انى ساعات باجى هنا علشان استريح .. بس من يوم ما كنا مع بعض ما جيتش ..

قلت :

ـ وطبعا بتيجى لوحدك ..

قال وهو يلتقط شفتى بشفتيه :

ـ الا .. ساعات باجى معاكى ..

ولم اصل الى شىء ..

ولم استرح ..

اصبحت اذهب الى الشقة كأنى كلبة من كلاب الصيد .. اشم الوسائد لعلى اجد فيها رائحة امراة اخرى .. وابحث عن اعقاب السجائر لعلى اجد عقبا يحمل آثار شفاه .. وادخل المطبخ لعلى اجد بقايا كأس او فنجال قهوة .. ثم بدات افتح الأدراج الكثيرة ، التى لم يكن يهمنى ان افتحها .. وافتش .. وافتش .. ويتركنى هاشم افعل كل ذلك دون ان يعترض .. الى ان وجدت اخيرا شيئا ..

وجدت صورة امراة .. فى مثل سنى ..

تحمل طفلة فى مثل سن ابنتى .. وبحلقت فيها وهى يقفز الى حلقى ، وقلت فى صوت مرتعش :

ــ مين دى يا هاشم ؟

وجاء ووقف وراء ظهرى ثم قال بلا مبالاة :

ــ دى واحده كنت اعرفها قبل ما اعرفك ..

واخذت ابحلق فى الصورة ..

انا اجمل منها ..

الف مرة ..

وابنتى اجمل من ابنتها ..

الف مرة ...

وعدت أقول لهاشم :

ــ وما قلتليش عليها ليه ؟

قال وهو يبتعد عنى :

ــ انتى عارفه انى ما احبش اتكلم عن حد من اللى عرفتهم ..

وبقيت ابحلق فى الصورة ..

وفى هدوء اخرجت من حقيبتى قلم الكحل ، وبدات أرسم فوق وجه المراة شنبا ، وذقنا .. ثم لغمطت وجه ابنتها بالسواد .. ثم القيت بها فى الدرج ..

ولم أهدا ..

الغيرة على هاشم تستبد بى .. والقصص التى ترويهـــا البنات عنه لا تنتهى .. واجن عندما انصل به فى التليفون فلا اجده فى العيادة ، او فى البيت .. لابد انه مع امراة اخرى .

وفى يوم كنت فى شارع سليمان باشــا اشــترى بعض ما احتاج اليه ، ومررت من أمام العيادة .. وفجاة خيل الى ان

هاشم الآن مع امراة .. من يدرى .. ربما لم تكن الغيرة وحدها هى التى شعرت بها ساعتها .. وانما احسست كأن من حقى أن أفرض عليه أكثر من حقوق اى امراة اخرى .. وأيضا كنت فى شوق اليه .. فى شوق لأن التقى بأنفه الكبير ولو فى نظرة واحدة ..

ودون أن أفكر صعدت الى العيادة ، واستقبلنى التومرجى المهذب ، وأشار لى بيده الى غرفة انتظار السيدات ، فقلت له بحزم :

ــ انا مش عيانه .. انا قريبة الدكتور .. وعايزه اشوفه دقيقه واحده .. مسأله مهمه .. قول له أمينه ..

وقال التومرجى فى أدب وهو ينظر الى كأنه لا يصدقنى :

ــ اتفضلى انتظرى لغاية ما اديله خبر ..

قلت بحزم أكثر :

ــ لأ .. خش له دلوقتى .. هو عارف ..

وعاد التومرجى ينظر الى كأنه لا يصدقنى ، ثم دخل الى غرفة هاشم ، وعاد بعد لحظات يقول لى دون أن يفقد أدبه :

ــ الدكتور بيرجو سيادتك انك تنتظرى لما ييجى دورك ..

واحسست بدمائى ترتفع الى راسى ، ونار تلفح وجهى ، وقلت وأنا ابتلع الاهانة :

ــ معلهش .. حابقى أتصل بيه فى التليفون ..

وخرجت ، وانا أحس بقطرات العرق تبلل ثيابى .. وأتساءل .. ترى لو كنت زوجته ، هل كان يرفض مقابلتى .. وتجسم فى خيالى ساعتها وضعى بالنسبة لهاشم .. أحسست كأنى شىء يتسلل اليه فى الظلام .. وسأبقى دائما فى الظلام ... أحسست كأنى لا استطيع ان أصل اليه الا من الباب الخلفى .. وسأبقى

دائما اصل من الباب الخلفى .. وتمردت .. تمردت على هذا الوضع .. واحسست كأنى أحاول أن أنقذ نفسى .. بل وانتقم من هاشم الذى يرضى لى بهذا الوضع .. ولكن تمردى لم يستمر سوى لحظات ..

وعدت واتصلت به فى التليفون .. وسمعته يصرخ ، بمجرد أن سمع صوتى ، وقبل ان أتكلم :

— ازاى تسمحى لنفسك تيجى العياده .. انتى اتجننتى ..

وقلت وانا احاول ان أرفع صوتى على صوته :

— وازاى ما تقابلنيش ..

قال صارخا :

— انتى عارفه كويس أنى مش ممكن أقابلك فى العياده الا لو كنتى عيانه .. ويوم ما حاتعيى لازم تستنى دورك ..

قلت وأنا أتراجع :

— ده أنا كنت عايزاك دقيقه واحده .

قال وهو لا يزال يصرخ :

— ولا نص دقيقه .. لو امى قامت من قبرها مش ممكن اقابلها فى العياده .. فاهمه .. العياده دى للعيانين بس ..

ثم ألقى سماعة التليفون فى وجهى .

وغضب ..

ولم أكن استطيع ان أحتمل غضبه .. حاولت .. احتملت يوما كلاما لم احادثه فى التليفون .. ولكنى لم احتمل يوما آخر .. ولم احتمل تصور أن أبقى غاضبة منه ..

واتصلت به فى اليوم التالى ..

ولكنه تدلل ..

مضى أسبوع وهو يتدلل .. لا يزال غاضبا ..

وبكيت له فى التليفون ..

وعاد الى لقائى ..

وعادت الأفواه الصغيرة تشرب .

ولكنى اغار عليه ..

اعصابى تعصرها الغيرة ..

وأحالتني الغيرة الى امرأة .. نسيت دور الفتاة الذى كنت أعيش فيه عقب أن ولدت هدى .. انى امرأة .. امرأة تغار .. بكل ما فى المرأة الغيور من عنف وجنون ..

واكتشفت أن الوسيلة الوحيدة لأرتارح من غيرتى هى أن املأ كل وقت هاشم .. الا اترك له دقيقة واحـــدة تستطيع أن تعيش فيها امرأة أخرى .. الا اترك منه نفســـا قادرا على أن يمتع به امرأة أخرى ..

وكنت افعل المستحيل لألتقى بهاشم فى كل وقت يستطيع أن يلقانى فيه ..

ولكنى بدأت أصطدم بزوج أمى ..

انه يحاسبنى ..

انه يذكرنى فى كل دقيقة بأنى مطلقة ...

وهو يمنعنى من الخروج .. واحيانا يدخل الى وأنا اتحدث فى التليفون ، ويشخط فى بلهجته العسكرية :

— كفايه بأه .. أنا عايز التليفون ...

وأمى تساعدنى أحيانا .. وفى اغلب الأحيان أحس أنهـــا تسلطه على حتى يحد من حريتى ..

ولكى اتخلص من زوج أمى ، بدأت أكثر من التردد على أبى ..

وكان أبى أيامها قد طلق زوجته الرابعة ، وتزوج الخامسة .. امرأة أصغر منه بحوالى عشرين عاما .. سمراء .. فقيرة ..

كانت تعمل مدرسة فى احدى المدارس الأهلية .. وأمى تقول ان أبى لم يتزوجها ، ولكنها كانت تعيش معه منذ عامين ، فى شقته الخاصة .. بعد ابى طلق زوجته الرابعة ، جاءت لتعيش معه فى بيته .. بلا زواج ..

ولم اهتم كثيرا بكلام امى .. ولم اناقش فيه أبى .. ان حياة أبى لم تعد تصلح لأن يناقشها أحد .. انه يعيش لمتعته .. يشرب كل يوم زجاجة كونياك ، ويملأ كرشه بطعام دسم ، ويتزوج .. ويتكلم عن الجنس بصراحة ، ويطلق الكلمات الكبيرة ببساطة ومداعباته كلها — حتى لى — مداعبات جنسية جريئة .. و .. ويبيع كل عام خمسة افدنة من ارضه .. ولا عمل له ..

ورغم ذلك فهو انسان طيب .. ضعيف .. ويحبنى .. انا ابنته الوحيدة .. يحبنى الى حد أن يحتفظ لى بغرفة فى بيته ، رغم انى لم اكن أقيم معه ..

حياته مختلفة تماما عن الحياة التى تعيشها أمى مع زوجها .. حياة ليس فيها تقاليد ، ولا روابط ، ولا مبادىء ، ولا كيان ، ولا طابع العائلة .. ولا أحد يستطيع أن ينقذه من هذه الحياة .. انه فى الخمسين من عمره ، ولا أمل فيه .. ولا أمل فى انقاذ بقية ارضه التى يبيع فيها ..

ولم أكن اتمنى أن أعيش حياة ابى .. كنت أحبه ، واشفق عليه . ولكنى لا اتمنى أن أعيش حياته ..

ولكن ..

هاشم دفعنى الى هذه الحياة ..

ربما دون أن يقصد ..

بل وربما لم يكن يعلم شيئا عن حياة ابى .. ولكنى اندفعت الى هذه الحياة من أجله ..

بدات اتردد على ابى كثيرا ، كحجة اتخلص بها من رقابة زوج أمى .. وابقى معه ساعة ، أو اتناول معه طعام الغداء ، ثم اخرج الى لقاء هاشم .. دون ان يسألنى ابى الى اين أذهب .. ودون أن تفكر أمى فى أن تطمئن على بالتليفون .. فزوجها يحرم عليها ان تتحدث الى ابى الا فى المناسبات الرسمية .. كيوم زواجى .. ويوم طلاقى ..

ثم بدات أبيت عند ابى ، بحجة انه مشتاق الى ابنتى هدى .. وكنت احمل ابنتى ونقضى معه ليلة أو ليلتين .. أحاول خلالهما ان اكسب صداقة المراة التى تعيش معه .. سواء كانت زوجته أو لم تكن .. لم يكن يهمنى أن أعرف اى صنف من النساء هى .. لم ابحث فى اصلها وفصلها .. كان كل ما يهمنى أن اكسبها الى جانبى ، حتى تساعدنى فى حيلى ، وتتستر على جنونى . ولم اكن ايامها أعلم انى كسبت الى جانبى ثعبانا ساما نفث السم فى حياتى كلها .. ثم أصبحت أذهب الى ابى وحدى .. اترك ابنتى عند أمى .. وأذهب لأنام عنده .. ولكنى لم اكن انام عنده .. كنت مع هاشم ..

وهاشم يأخذ كل هذا ببساطة ..

نقضى معا ليلة مجنونة ..

ثم يعود فى الصباح كما كان .. الدكتور هاشم .. الذى لا يشغل نفسه الا بمرضاه .. وليس فى عقله مكان الا لمرضاه ..

كنت أشعر انى أستولى على حياته ...

وكنت أشعر فى الوقت نفسه ، بأنى أمزق حياتى .. بأنى اجرى فى طريق خطر .. وكنت احاول أن اقاوم .. بدات اقاوم .. ولكنها كانت مقاومة لحظات ، ثم تذوب ..

كنت قد بدات اتعود عليه ..

على هاشم ..

على هذا الجنون ..

وهو ايضا بدأ يتعود على ...

وتعودى يزيدنى ضعفا اليه ...

وتعوده يجعله يقبل على .. انه لن يجد فتاة مثلى .. فى سنى .. وفى جمالى .. ومن عائلة ... ومطلقة .. تعطيه كل هذا ..

و ..

وامى بدات تيأس من أن اتزوج هاشم .. انها تسألنى كل يوم .. وتلح فى سؤالها .. وانا أصرخ فيها :

ــ يا ماما لازم تعرفى ان فيه ظروف تمنعه من انه يتقدم دلوقت .

وتقول امى :

ــ واحنا ذنبنا ايه فى الظروف دى .. الناس بدات تتكلم .. ولازم نشوف لنا حل ..

والفت لها قصة .. قلت لها أن هاشم خطبه ابوه قبل أن يموت لابنة عمه ، ولذلك فهو لا يستطيع ان يتزوج الآن .. ولكنه يحاول أن يتخلص من هذه الخطبة .. انه لا يحب ابنة عمه .. ولا يريدها .. و .. و .. ويجب أن ننتظر .

ولكن امى ضاقت بالانتظار ..

وبدات تبحث لى عن زوج ..

وانطلقت خالاتى الخمس يبحثن معها ...

وعندما تجتمع أمى وخالاتى للبحث عن عريس .. فلابد أن يجدنه ..

وانا ساكتة ..

والواقع أن جزءا من عقلى كان ينبهنى الى مستقبلى .. كان يحذرنى من حبى لهاشم .. وكنت اتمنى أن ينتصر هذا الجزء علىّ ، وأن يملى على ارادته ..

وجاء العريس ..

مدحت ...

ضابط شاب .. فى الثلاثين من عمره ... وسيم ، قوى الشخصية ، تفوح منه رائحة الرجولة الطيبة الهادئة .. رآنى من بعيد على شاطىء ميامى .. وجاء يخطبنى ..

كل الذين خطبونى ، راونى من بعيد ... لا أحد عرفنى من قريب .. وخطبنى ...

احسست انى سأحرم من هاشم .. ومن جنونى معه وقلت لامى :

ــ مش عايزه اتجوز دلوقتى .. انا ما بقاليش سنه مطلقه .. ومش عايزه أكرر غلطتى مع عبد السلام .. يعنى يعجبك اتجوز وانا باحب واحد تانى ..

وقالت أمى وعيناها تلمعان بذكائها :

ــ انتى مش بتقولى ان الدكتور بيحبك ؟

قلت فى اصرار :

ــ أيوه ..

قالت وذكاؤها يبتسم :

ــ خلاص ... لو كان بيحبك صحيح ... يبقى مش حايسيبك تتخطبى لواحد تانى ... حاييجى جرى ويخطبك ...

وابتسمت بينى وبين نفسى .. ابتسامة هزيلة حزينة ...

ان أمى لا تعرفُ هاشم ..

ورغم ذلك حاولت ..

ذهبت الى هاشم وابلغته انه تقدم لخطبتى احد الشبان ..

ونظر الى كأنه يفحصنى ..

ثم أطرق برأسه .. وخط حزين داكن يشق جبينه .. وقال :

— عايزانى اعمل ايه ..

واحسست ساعتها بأنى انصب عليه .. أحتال عليه ..

وكلى اضطراب كأنى نشالة لا تزال تحت التمرين ترتعش يدها وهى تضعها فى جيب أول زبون .. وقلت كأنى أبرىء نفسى من تهمة النصب :

— أبدا .. عايزاك تسأل عليه ..

ورفع الى عينيه كأنه يتهمنى بالوقاحة ثم قال فى تهكم :

— حاضر .. حاسأل عليه ..

واقتربت منه ، وجلست على ركبتيه وقلت وأنا اقرب شفتى من شفتيه :

— انت زعلت ؟ ..

قال :

— لا . ابدا ..

وابتعد عن شفتى وقال وهو ينظر اليهما من بعيد :

— شفايفك دول ، بكره واحد تانى حايبوسهم ..

والقيت رأسى على كتفه ، وقلت والدموع تطفر من عينى :

— انت اللى عايز كده ..

قال :

— أنا مش عايز اتجوز .. انتى اللى عايزه تتجوزى ..

قلت :

— غصب عنى ..

قال وهو يتنهد :

ـــ خاف ..

ولم اسأله لماذا لا يتزوجنى ، ما دام يغضبه أن أتزوج غيره .. كنت اعرف رأيه مقدما .. انه لا يخدعنى .. لا يعدنى .. يستغنى بوقاحته وغروره عن الخداع والكذب ..

وقد سأل عن مدحت فعلا .. كان له صديق من ضـــباط الجيش سأله عنه .

وعلم مدحت أن الدكتور هاشم يسأل عنه .. فسأل أهلى .. .. فأنكر الجميع انهم يعرفون الدكتور هاشم .. وسأل أكثر حتى التقطت أذناه الكلام الكثير الذى يتردد عنى وعن هاشم ..

وتراجع فى خطبتى ..

ذهب ..

ولا زلت حتى اليوم أحس بالنـــدم والحسرة يشـــقان صدرى كلما تذكرت مـــدحت .. كان رجلا .. وكان وسيما .. وكان طيبا . انه خير من أرادنى حتى اليوم .. وأرادنى زوجة ..

وبعد يومين ..

يومين فقط ..

كنت فى طريقى لزيارة ابى .. وخطر لى أن اذهب اليه عن طريق الزمالك .. ثم خطر لى أن أمر من أمام العمارة التى تضم شقة هاشم .. لا أدرى لماذا .. ربما كان هناك احساس فى قلبى يدفعنى الى المرور من أمامها .. وكانت الساعة الرابعة .. نفس الموعد الذى تعودت أن ألتقى فيه بهاشم ..

وأمام باب العمارة ..

وجدت سيارته ..

وارتعشت ..

ماذا يفعل هنا ؟ ..

ومع من ؟ ..

وأوقفت التاكسى .. وترددت .. والنار تلسعنى فى كل مكان منى .. فى عينى .. فى شفتى .. فى قلبى .. نار الشك .. الغيرة ..

وقفزت من التاكسى .. كأنى أهرب من النار ..

وصعدت ..

وضغطت على الجرس بيد ترتعش .. ودمائى كلها هاربة منى .. أحس بقشعريرة تسرى فوق جلدى ..

وفتح هاشم الباب .. بعد مدة .. مدة طويلة ..

مرتديا القميص والبنطلون ..

وقال وهو ينظر الى بوجه مكفهر ، ويسد الباب بقامته :

— ايه اللى جابك ؟ ..

قلت وانا لا ازال أرتعش .. وصوتى يرتعش :

— عاوزه أخش ..

قال وهو لا يزال يسد الباب بقامته :

— مش معقول يا أمينة اللى بتعمليه ده و ..

وقاطعته وانا احس بعينيه جاحظتين :

— من فضلك خلينى أخش ..

ورأى هاشم سحب الجنون الأصفر متجمعة فوق وجهى ، وتلفت الى أبواب الشقق المجاورة ، ثم كأنه خاف الفضيحة أزاح نفسه عن الباب وتركنى أدخل ..

وتلفت فى الصالة الخارجية ..

ثم جريت الى غرفة النوم .. كأنى أجرى الى النار ..

ورأيتها ..

كانت واقفة فى ركن الحجرة .. مرتدية ثيابها كلهـــا .. صغيرة ليست أصغر منى .. جميلة .. ليست أجمل منى .. وترتعش من الخوف ..

وصرخت فيها . .وهاشم ورائى :

ــ بتعملى ايه هنا ؟ ..

ولم ترد على .. لا تزال ترتعش .

وقال هاشم فى هدوء :

ــ ما تزعقيش . .وكلمينى انا ..

ولكنى عدت أصرخ فى الفتاة وانا انشب عينى فى وجهها :

ــ انتى مش عارفة انه بيحب واحده .. بيحبنى انا ..

وجذبنى هاشم من ذراعى جذبة قوية ليبعدنى عنها ، قائلا :

ــ قلتلك ما تزعقيش ..

وانتهزت الفتاة فرصة ابعادى عنها .. وجرت الى الباب .. خرجت ..

والتفت الى هاشم وأنا أصرخ :

ــ انت مجرم .. انت سافل .. عايز ايه أكتر من كده .. أعمل لك ايه أكتر من كده ..

وسحابة حمراء تملأ عينى .. واعصابى كلها السنة من النار ..

واخذت أطوف فى الحجرة كالمجنونة ، وانا لا زلت اصرخ :

ــ انت مجرم .. انت سافل ..

ثم رفعت آنية الزهر ، وحطمتها على الأرض ..

ورفع هاشم كفه وصفعنى صفعة قوية .. أوقعتنى على الأرض .. بجانب الآنية المحطمة ..

وتعلقت بساقيه وهو واقف منتصب فوق جسدى الملقى تحت قدميه ، قلت وانا ابكى كل دموعى :

ــ ما تعملش فى تانى كده يا هاشم .. احلف انك مش حاتعمل فى كده تانى .. مش عايزاك تعرف واحده غيرى ابدا .. ابدا ..

وسقط بجانبى على الأرض ، واخذنى بين ذراعيه وقال كلمته التى بقولها دائما :

ــ انتى مجنونه ..

وبحثت عن شفتيه ، كأنى اريد أن اطمئن انهما لا زالتا لى .. والتقيت نفسى بينهما .. كل اعصابى .. كل نارى ..

وضعنا فى لحظة جنون ..

وقلت وانا مسترخية بجانبه ، واعصابى تتنهد :

ــ عملت كده ليه يا هاشم ..

قال وهو يدخن سيجارته :

ــ انتى السبب ..

قلت فى دهشة :

ــ انا ! ؟ ..

قال :

ــ مش معقول اعرف انك بتتخطبى وبعد كده عايزانى اقعد لوحدى .. كنتى عايزانى اعمل ايه .. اقعد اعيط .. ولا انتحر ..

وصدقته ..

وابتسمت فى راحة ..

وقلت انا وابتسامتى :

ــ ومين دى ؟ ..

قال :

ــ واحدة ..

قلت :

لازم أعرف مين دى ..

قال وهو يدير وجهه الى الحائط :

ــ واحده مافيش بينى وبينها حاجه ..

قلت :

ــ واللى مافيش بينك وبينها حاجه ، جايه هنا تعمل ايه ؟

قال وهو يزفر أنفاسه فى ضيق :

ــ كنت متضايق .. وهى كمان كانت متضايقه ..

ثم التفت الى وقال وهو يبتسم :

ــ خلاص .. انسى كل حاجه ..

قلت :

ــ يعنى مش حاتعرف حد تانى أبدا ..

قال :

ــ أبدا ..

قلت وأنا أبتسم له :

ــ وانا كمان مش حاتخطب تانى أبدا ..

وعندما عدت يومها الى البيت بكيت .. بللت الليل كله بدموعى .. لا ادرى لماذا .. ولكنى كنت أحس بأنى ضعيفة .. ضعيفة .. أضعف مما كنت ..

وحافظت على وعدى ..

رفضت كل الخطاب الذين جاءت بهم أمى وخالاتى .. كنت فى الأول أتهرب بأعذار ملفقة .. ثم بدأت اتحدى .. لا اريد أن أتزوج ..

واصرارى هذا فضح حبى لهاشم .. عرفته خالاتى الخمس

.. وعرفته كل سيدات العائلة .. وكلهن فوق راسى يحذرننى ..
ويؤكدن لى أن هاشم لن يتزوجنى .. ويعرضون فى كل يوم
خطيبا جديدا .. ويذكرننى بابنتى .. ومستقبلها ... وكلام
الناس عن أمها ....

وانا اجن ..

والحياة تضيق بى .. والجميع ضدى .. يخنقون أنفاسى ..
ويخنقون حريتى ..

أصبحت اكره كل شىء ، الا لحظات لقائى بهاشم ..

كرهت حتى ابنتى .. لم أعد اطيق بكاءها .. ولا اطيق
الاهتمام بها .. وكنت أضربها .. بلا سبب كبير يستحق الضرب
.. كانت مظلومة معى ..

واعصابى تالفة ..

ثم ..

خطر لى خاطر مجنون ..

وجريت الى هاشم وقلت له وأنا أحاول ان افكر فى
هدوء .

— اسمع يا هاشم . انا حاقول اننا مخطوبين ..

وقال وهو ينظر فى دهشة :

— تقولى لمين ؟ ..

قلت :

— للناس اللى بتجننى .. انتمش عارف بيعملوا فى ايه ،
كل ساعة يجيبولى سيرتك .. وكل ساعه عايزين يجوزونى ..
لو قلت اننا مخطوبين ، على الأقل حايبطلوا يجيبولى عرسان ..

قال فى برود :

— بس احنا مش مخطوبين ..

قلت :

ـ عارفه .. عارفه اننا مش مخطوبين .. انما حاقول كده ..

قال كأنه يفحص مريضا :

ـ بدى ده مش حايعمل حاجة .. مش ممكن نقول ان احنا مخطوبين .. واحنا بنقابل بعض فى السر .. واهلك ما يعرفونيش ، ولا انا اعرفهم ..

قلت فى اصرار :

ـ حاقول اننا مخطوبين فى السر ..

قال :

ـ وتفتكرى الناس حاتصدق ..

قلت :

ـ ما يهمنيش الناس تصدق ، انما يهمنى انى أقول كده ، علشان ما حدش يكلمنى ..

قال :

ـ بس انا مش موافق .. واللى حايسألنى حاقول له اننا مش مخطوبين ولا حاجه .. واكتر من كده .. انا بأقول اننا ما نعرفش بعض خالص ..

قلت :

ـ قول اللى انت عايزه .. وانا اقول اللى انا عايزاه ..

وهز كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

ـ يا أمينه اعقلى .. انتى ما تقدريش تعيشى فى كذبه ..

ولكننى صممت ..

صممت على ان اعيش فى كذبة ..

كذبة كبيرة ..

اعتقدت أني حللت مشكلتى عندما بدات أذيع بين صديقاتى انى مخطوبة لهاشم فى السر .. وانه ينتظر ان يفسخ خطبته الى ابنة عمه ليعلن خطبتنا .. وانتشرت هذه الكذبة .. وكبرت .. الى حد انى انا نفسى بدأت اعيش فيها .. وبدأت أواجه الناس بلا خوف .. وبلا خجل .. وأعلن علاقتى بهاشم صراحة .. وأيدت الكذبة بدبلة فضية اشتريتها ووضعتها فى اصبعى .. واترك الناس يعتقد ان الدبلة الفضية هى دبلة من البلاتين .. واترك عاملات الدكاكين فى شارع سليمان باشا وقصر النيــل ينظرن الى الدبلة ويقلن وابتسامة حسد كبيرة تملأ شفاههن :

— مبروك .. اتخطبتى ؟ ..

وأرد وأنا أسدل جفونى فوق عينى فى خفر :

— تقريبا ..

ويقلن :

— الدكتور هاشم .. مش كده ؟

واقول وأنا افتعل الدهشة :

— عرفتم منين ؟ ..

ويقلن :

— دى البلد كلها عارفه ..

وأبتسم .. واسكت .. وفى قلبى فرحة كبيرة . كأنى قد خطبت فعلا .

ولم اكن ادرى سر هذه الفرحة الكبيرة .. لم اكن ادرى سر هذا الجنون الذى دفعنى الى اختلاق هذه الكذبة .. دفعنى لأن ابنى من خيالى بيتا من القش اعيش فيه ، لا يلبث ان يحترق بعود ثقاب واحد .. ربما لأنى ايامها كنت احس بالنقص وانا أعطى نفسى لرجل لا يتزوجنى ولن يتزوجنى ، فأردت ان اعوض هذا

النقص بكذبة .. وربما لانى كنت ارى فى عيون الناس الذين يعرفون حكايتى مع هاشم ، نظرة تجرحنى ، فأردت أن أملأ عيون هؤلاء الناس بالتراب .. وربما لأنى فعلا كنت قد ضقت بمحاولات تزويجى .. والكلمات التى تثير أعصابى .. مش حا نفرح بيكى بأه يا ميتو .. و .. ما تشدى حيلك يا ميتو وتجيبى لنا عريس .. و .. عقبالك يا ميتو .. و .. و .. الكلمات التى تجننى وتشعرنى بنقصى ، فأردت ان اسكتها بهذه الكذبة .

المهم أن هذه الضجة الكبيرة التى أثرتها ، لم يصل منها الى هاشم سوى صدى خافت .. فهاشم لا يعيش فى المجتمع الذى اعيش فيه .. لا يذهب الى النادى .. ولا يتردد على دكاكين سليمان باشا وقصر النيل .. ولا يعيش على شاطىء ميامى فى الصيف . انه يعيش معظم وقته فى عيادته ، لا يرفع رأسه من فوق مريض الا ليحنيها فوق مريض آخر ... ومرضاه يحترمونه الى حد ان واحدا منهم لا يجرؤ أن يثير أمامه موضوعا يتعلق بحياته الخاصة .. وأصدقاؤه لا يسألونه لانهم يعرفون انه لن يتزوج .. لا انا .. ولا غيرى .. وفى المرات القليلة التى وصلت فيها الاشاعة الى اذنيه ، كان يهز كتفيه فى غرور ، ويردد الشعار الذى اطلقه على :

— دى مجنونه .. ومش أول ولا اخر مجنونه ..

ولكن الاشاعة وصلت الى أذنى اخته وجاء يومها الى لقائى ، وهو غاضب محتقن الوجه وقال فى حدة :

— اسمعى يا أمينه .. انتى لازم تبطلى حكاية انىا مخطوبين دى .. كفايه بأه ..

وقلت وانا اتحداه :

ـ انا ما بقولش حاجه .. الناس هى اللى بتقول .. ما فيش حاجه بتستخبى .. عايزنى اسكت كلام الناس ازاى ؟ .

قال وهو ينظر الى فى زهق :

ـ انا عارف انك انتى اللى مطلعه الاشاعه دى .. ولازم تكذبيها ..

قلت وانا اصرخ :

ـ عايزنى أكذب واقول ايه .. اقول انا ماشيه معاك بس .. على الأقل لما الناس تقول اننا مخطوبين ارحم من لما تقول انى الميترس بتاعتك .. عشيقتك ..

قال وهو يتراجع كأنه اشفق على حالى :

ـ انا ما يهمنيش الناس يا امينه .. انت اللى تهمينى .. والكلام ده بيضرك اكتر ما بيضرنى انا .. انا على الأقل راجل .. ما يهمنيش .. انما انتى .. انا عايزك تواجهى الحقيقه .. وتواجهى الناس .. ما تضحكيش على نفسك .. ولا على الناس .. علشان تقدرى تعرفى اذا كنتى حاتستحملى والا لا .. علشان تقدرى تعرفى انتى ماشيه فين ورايحه فين ..

قلت :

ـ واذا ما استحملتش الوضع اللى احنا فيه .. حاتعمل ايه .. حاتتجوزنى ..

قال وهو ينتفض من جانبى :

ـ لا .. لو ما استحملتيش .. لازم تسيبينى ..

قلت وانا ابتسم ابتسامة مسكينة :

ـ لو كنت أقدر اسيبك كنت سبتك من زمان ..

وانهت دموعى نقاشنا ..

وامى ..

لقد كانت تسمع كلام الناس ..

وتهز رأسها فى اسى .. ولا تعرف كيف نرد عليه .. احيانا كانت تشاركنى فى كذبتى .. وتقول :

ــ انما لسه ما تقدمش رسمى ..

واحيانا تقول :

ــ اصل عيلته كلها واقفه فى وشه ..

واحيانا كانت تثور وتصرخ :

ــ ده كلام فاضى .. ما حصلش .. انتم عايزين توقفوا سوق البنت ولا ايه ؟

ثم كانت تتوسل الى بكل دموعها .. بصراخها .. بابنتى .. بأختى الصغيرة منها ، التى قد يؤثر كلام النـاس عنى على مستقبلها .. تتوسل الى ان اقبل الزواج من واحد ممن تأتى بهم الى ، هى وخالاتى الخمس .. وان اترك هاشم ..

وكان توسلها يفيقنى من الكذبة الكبيرة التى أعيش فيها .. كنت احس بالغشاوة ترتفع عن عينى لأرى امامى طريقا موحشـا مقفرا . واقرر فى لحظة ان انسى هاشم .. ثم أعود فى لحظة اخرى ، واتساءل .. لماذا لا اتزوج ، وأظل على علاقتى بهاشم .. ولكن .. هذه القرارات كانت لا تبقى فى راسى سوى لحظات .. ثم تعود الغشاوة على عينى .. وارى نفسى فى بيت القش الذى بنيته من أوهامى .. من كذبى .. حرة .. منطلقة مع هاشم .. والناس تتحدث عن خطبتى الموهومة اليه .. واعود واتحدى أمى ..

ثم ..

تدخل عبد السلام ..

زوجى السابق ، وابو ابنتى ..

وكان عبد السلام يأتى لزيارتنا كل اسبوع تقريبا ليرى ابنته .. وكان غالبا لا يجدنى فى البيت .. كان يأتى فى الصباح فلا يجدنى .. ويأتى فى المساء فلا يجدنى .. ولم اكن أهرب من عبد السلام .. ولكن كان هذا هو حالى .. لا اطيق أن أبقى فى البيت ، ولا من أجل ابنتى .. وبدأ عبد السلام يعترض .. انه يريد لابنته اما مثالية .. اما محترمة .. اما ترعى البنت وتبقى معها .. وعندما واجهنى باعتراضه ، ثرت فى وجهه قائلة :

ــ انت فاكر نفسك لسه جوزى ولا ايه .. ما لكش دعوى بى .. ما حدش له دعوى بى الا بابا وماما ..

ولكن عبد السلام لم يسكت ..

كان يرشو مربية ابنتى حتى يعلم منها أخبارى .. ونفتح اذنيه على الاشاعات التى تدور حولى والتى لم تكن قد وصلت الى السويس .. وسمع بحكاية الدكتور هاشم .. ثم حاول أن يناقشنى فيما سمعه .. وعدت أثور فى وجهه :

ــ انت مالك ومالى .. ايه البلاوى دى ..

وقال وهو يحاول ان يضبط أعصابه :

ــ ما تنسيش انك أم بنتى .. وحاافضل فى حياتك طول ما البنت عايشه .. والبنت لازم تتربى .. ولازم أمهـا تبقى انسانه محترمه ... اذا ما عرفتيش تربيها أخدها أربيها أنا ..

وخفت .. احسست كأنه يمد يده لينتزع قطعة من لحمى .. وصرخت :

ــ ما تقدرش .. ما تقدرش ..

وقال فى ثقة وتحد :

ــ اقدر .. وانا مش حاكلمك بعد كده .. انما مش حاسكت .. اتفضلى وريني حاتربيها ازاى ..

وتركنى يومها وأنا ارتعد ..

ولكنه لم يحاول ان يأخذ منى ابنتى .. كل ما فعله انه قطع عنى النفقة التى كان يدفعها لى ..

كان يدفع لى خمسة عشر جنيها فى الشهر .. وكنت فى حاجة الى هذه النقود .. فابى لا يدفع لى سوى خمسة جنيهات فى الشهر كمصروف خاص .. ويدفع لى نفقات كسوتى .. ولم يكن مستعدا لأن يدفع أكثر .. ولم أكن أستطيع أن أطلب من زوج أمى أن ينفق على ابنتى .. كفاه أنه يتكفل بى ، ويؤوينى من أجل خاطر أمى . ثم انى لم أكن أنفق الخمسة عشر جنيها كلها على ابنتى ، كنت أنفق جزءا كبيرا على نفسى .. على ثيابى .. وزينتى ..

واحترت ..

وخصصت لى امى خمسة جنيهــات بعد أن انقطعت عنى نفقة ابنتى .. أصبح لى دخل خاص يصل الى عشرة جنيهات ..

ولكنى لم أكتف ..

انى مغتاظة .. الغيظ يفرينى .. احسست كأن عبد السلام يريد أن يذلنى بهذه النقود .. يريد أن يخضعنى لارادته .. ولكن .. لا .. لن أخضع .. لن اذل ..

وقلت لهاشم ..

قلت له وسحب الغيظ تكسو وجهى :

ــ انا حارفع قضيه على أبو بنتى .. تصور انه قطع عنى نفقة البنت ..

وقال فى بساطة :

ــ يا شيخه بُلاش بهدلة .. ما فيش واحده كويسه تدخل المحاكم الشرعيه ..

قلت في حدة :

ـ امال اعمل ايه ؟ . .

قال في نفس البساطة واللامبالاة :

ـ ولا حاجه . . تلاقيه عايز يضـــايقك . . احسن طريقه انك تقنعيه بانك مش متضايقه . .

قلت ثائرة اتهمه بأنه لا يحس بمشكلتى :

ـ لكن انا محتاجه للفلوس دى . .

قال وهو يبتسم :

ـ خديهم منى . . انتى نسيتى انى مسئول عنك . .

وكنت اعرف انه سيعرض على هذا العرض . . بل انى لم افاتحه فى الموضوع الا لأتلقى منه هذا العرض . .

ولم اتكلم . .

لم ارفض . .

ولم اقبل . .

وعاد يقول لى فى بساطة كأنه يتفق معى على أن اكون ممرضة فى عيادته :

ـ انا حاديكى خمسه وعشرين جنيه . . خمستاشر للبنت . . وعشره لك . . و . .

وقاطعته :

ـ مش ممكن يا هاشم . . وانت ذنبك ايه ؟

قال :

ـ ده يريحنى اكتر . . اقدر انظم نفسى بالشكل ده اكتر . . ويريحك انتى كمان . . وبنظم عيشتك . .

قلت :

ـ لا . . مش عايزه . .

قال :

— بشى احسن ما اشوفك منظمة تدامى فى المحاكم .. ما تنسيش انك بتاعتى .. وانا مسئول عنك ..

وأديت عنه عينى ، وبقيت ساكتة ..

ووضع يده تحت ذقنى ، ورفع وجهى اليه وقال وهو يبتسم

— انتى بتاعة مين ؟

قلت فى صوت خفيض :

— بتاعتك ..

وأخذت منه اول مرتب لى .. خمسة وعشرين جنيها ..

ولم تكن هذه اول نقود آخذها من هاشم .. فمنذ ان اعطانى خمسين جنيها كهدية يوم ولدت ابنتى .. وهو يعطينى هدايا كثيرة .. كلها نقود .. ودائما يكرر انه لا وقت عنده ليطوف بالدكاكين وانى يجب ان اشترى هديته بنفسى .. اعطانى مرة ثلاثين جنيها لاشترى خاتما .. واعطانى مرة عشرة جنيهات لاشترى ما شاء الله ذهبية .. واعطانى مرة خمسة جنيهات لأركب تاكسى .. و .. و.. انا ضعيفة امام النقود .. لا زلت الى اليوم ضعيفة امامها .. لا استطيع ان اشد يدى عنها .. وكنت اقبل نقود هاشم على انها مرتب .. نفقة .

هل ساءلت نفسى لماذا اقبل هذه النقود .. نظير ماذا .. ماذا اعطيه بدلا منها ؟ ..

ابدا ..

فلم اكن احس انى أعطيه شيئا ..

كنت دائما احس انى آخذ منه ..

كنت اشعر بحاجتى اليه ، اكثر مما اشعر بحاجته الى .

رغد صور لى وهمى ان هذا المرتب الثابت الذى بدات

..صاه منه ، قد جعلنى كأنى زوجته .. ما الفرق بينى وبين الزوجات .. لا شىء .. الزوجة ، امراة تعيش مع رجل وينفق عليها .. وانا اعيش مع هاشم وينفق على .. ربما لم تكن حياتى كحياة الزوجات .. ولكن المبدا واحد .. الأساس واحد .. المنطق واحد ..

لم يخطر على بالى أيامها ، ان هذه النقود ستعودنى على حياة لها مطالب خاصة ، لا استطيع ان احققها الا عن هـذا الطريق .. طريق مد يدى الى الرجال .. لم اتصور انى ابيع بهذه النقود كرامتى .. لا .. ليس جسدى .. فجسدى قدمتـه لهاشم من زمان مجانا .. ولكنها كرامتى .. وعندما استنزف هاشم كرامتى ، لم تعد لى كرامة امام احد ..

كل هذا لم يخطر لى ..

بالعكس ..

لقد شعرت بقوة .. قوة كبيرة .. قوة استطيع ان استغنى بها عن اهلى كلهم وعن الناس كلهم .. لم اعد ضعيفة .. لم
بها عن اهلى كلهم وعن الناس كلهم .. لم اعد ضعيفة .. لم
اعد خائفة .. وانطلقت فى تصرفاتى .. اكثر جراة .. واكثر وقاحة ..

وشجعنى على احسـاسى بالقوة ان هاشـم لم يحاول ابدا ان يضع لهذه النقـود التى يعطيها لى ، معنى يمس كرامتى ، كان دائما مهذبا .. وكان يشعرنى دائما انى صاحبة حـق .. وكان كريما .. انه فى الواقع لا يقيم وزنا للنقود .. انه يكسب كثيرا .. وكل ما اخذه منه لا يحس به .. كأنه لا يتعب ليحصل على هذه النقود ..

وبدات انفق على نفسى وعلى ابنتى باسراف ..

ولاحظت امى ..

ولكن يجب أن اقول لها شيئا ..
قلت لها انى اخذ هذه النقود من ابى ..
ونظرت الى امى كأنها لا تصدقنى ، وقالت وهى تمصمص شفتيها :
ــ من امتى ابوكى يا ست ميتو ، بيدى لحد فلوس .. ده بقى له سنين ما شفناش منه غير الخمسة جنيه اللى بيدفعهم لك ..
قلت فى براءة :
ــ ده بابا تغير خالص يا ماما .. مراته الجديده عملت منه انسان جديد .. وبتحبنى خالص .
وعادت امى تمصمص شفتيها ، وقالت وهى تتنهد :
ــ يمكن يا بنتى .. يمكن ..
ومنذ أن بدأت أخذ مرتبى من هاشم ، اصبحت اخاف عليه اكثر .. اخاف أن يضيع منى ..
لقد اصبح هاشم حبى وحياتى ..
ولو ضاع منى هاشم ، فلن يضيع حبى وحده .. حياتى ايضا ..
وبدأت افرض نفسى عليه اكثر .. واحاول أن أخذ منه اكثر .. واغار الى حد الجنون .. كنت اذا لم اجده فى بيته أو عيادته .. فى اى ساعة من ساعات النهار ، انطلق كالمجنونة واركب تاكسى . وأذهب الى شقته .. فاذا لم اجده هناك ، اخذت أطوف بالتاكسى فى شوارع القاهرة ابحث عن سيارته .. بل انى أصبحت اتعمد أن اسأله عن حياة أصدقائه .. وأسأله اين تقع شقه كل منهم الخاصة ، لأبحث عنه فيها .. او على الأصح ابحث عن سيارته امام بابها كلما اختفى عنى ..
وهاشم ايضا تغير منذ قرر لى هذا المرتب .. اصبح اكثر

هملا لى .. كأنه أصبح واثقا من حاجتى اليه .. أصبح واثقا انى أعيش فى جيبه .. بين أصابعه .. فبدأ أكثر جفاء كلما حادثنى فى التليفون .. بل انه تعود أن يرفع سماعة تليفونه الخصوصى فى العيادة ، حتى لا أزعجه .. وأصبح لا يلقانى الا اذا لم يجد شيئا يفعله .. لم يعد يفضل على مرضاه فحسب .. انه يفضل أصدقاءه .. وكتبه .. واخته .. وعائلته .. فاذا ما التقينا ، كان دائما على عجل .. يأخذنى بسرعة .. بل أصبح يرفضنى، كلما عرضت عليه ان أقضى الليلة معه ، فى المرات التى أدعى فيها أنى أنام فى بيت أبى .

وربما لم يهملنى أيامها الى هذا الحد .. فقد كانت لا تزال لنا ليال جميلة .. بل انى سافرت معه الى الاسكندرية عدة مرات ، لنقضى يومى الخميس والجمعة .. وأقمنا معا فى غرفة واحدة فى فندق العجمى .. وكان يوقع لنا فى دفتر الفندق .. هاشم محمد عبد اللطيف وحرمه .. يحذف لقب « دكتور » ، ويضيف اسم « محمد » .. وأنا « حرمه » .. وقد كنت أحس فعلا فى تلك الأيام بأنى حرمه .. كنت أراه فى البيجاما .. وكنت أراه وهو يدخل الحمام وكنت أراه وهو يحلق ذقنه .. وأنام بين ذراعيه .. أنفاسه تلفحنى ، وذراعه الثقيلة فوق ظهرى . وأصحو فى الليل وأقضى لحظات وأنا أتطلع الى وجهه النائم .. وأضحك لعينيه المنتفختين .. انهما أكثر انتفاخا وهو نائم .. وأضحك لأنفه الكبير المتربع فوق وجهه كتمثال نهضة مصر .. ثم أوسد رأسى على كتفه وأنام .. كل عصب فى نائم مستريح شبعان .. وأصحو والفرحة تملأ قلبى .. ونعيش فى قبلات كثيرة ، حلوة ، هادئة .. ثم أقوم لأمثل دور الزوجة .. الزوجة المثالية .. أعد له الحمام .. وأغسل له أدوات الحلاقة

.. واقف بين ذراعيه وهو يرتدى ثيابه .. واصب له الشاى ونحن نتناول الافطار فى شرفة حجرتنا .. ثم نخرج معا الى الشاطىء .. وأتباهى به أمام الناس .. وأتعمد ان أضع ذراعى فى ذراعه ، لألفت الناس الينا ، كأنى أصرخ فيهم .. هذا الرجل ملكى .. ملكى أنا .. وكان الرجل يتضايق كلما وضعت ذراعى فى ذراعه .. كنت احس به وهو يحاول أن يسحب منى ذراعه ، بحركة مهذبة حتى لا يجرحنى .. يفتعل انه يريد أن يشعل سيجارة .. او ينحنى ليعبث بالرمل ، فقط ليشد ذراعه من ذراعى . كأنه يريد ان يقول للناس .. هذه المراة ليست لى .. التقينا صدفة .. ولكنى كنت أعود واصر على أن اضع ذراعى فى ذراعه ..

كنا نعود الى القاهرة ..

ولا تكاد السيارة تتحرك بنا فى طريق العودة .. حتى يبدأ الحلم الجميل يطير منى .. واواجه الحقيقة .. اواجه وحدتى فى غرفتى .. واواجه ضياعى .. وحيرتى .. كانت الايام التى تعقب هذه الرحلات التى يأخذنى اليها هاشم ، اقسى وامر من بقية الأيام .. أيام يتألم فيها جسدى وهو راقد فى الفراش وحده بعد أن تعود على الذراع الثقيلة .. ويتألم قلبى وانا أكتشف انى لست زوجة هاشم .. لست سوى جريمة تزوير فى دفتر أحد فنادق الاسكندرية .. ويتألم فيها خيالى لأنه يصطدم بالجدران الفارغة التى تحيط بى .. يتخبط بينها كالعصفور الصغير . يحاول أن ينطلق الى هاشم ..

ويعود الخوف يستبد بى ..

الخوف من أن افقد هاشم يوما ..

افقد حبى .. وحياتى .

والخوف هو الذى يصور لى أن هاشم قد تغير .. وانه يملنى .. وانه لا يقبل على كما عودنى ..

والخوف يدمعنى الى شىء آخر ..

الى النهم ..

لم يعد يكفينى شىء .. اصبح كل شىء يفقد قيمته عندى بمجرد أن أطبق عليه يدى .. اصبحت كالاناء المثقوب كل ما اضعه فيه يضيع .. افقده .. افقد احساسى به ..

حتى النقود ..

لم تعد تكفينى الخمسة والعشرون جنيها التى اخذها من هاشم .. اريد اكثر .. كنت أحس فى كل شهر انى سأفقد هاشم فى الشهر التالى .. فأحاول ان آخذ كل ما أستطيعه .. وتجرأت عليه .. ولم يكن هاشم يرفض ابدا ان يعطينى .. وظل يعطينى ببساطة ورقة .. ولكنى لم اطلب ببساطة .. كنت اتربص حتى انتقى اللحظة التى أطلب فيها .. وكنت اكذب عليه ، والفق الأسباب .. واكتشفت أن انسب اللحظات التى يمكن أن أطلب فيها .. ونحن فى الفراش .. بعد أن يأخذنى .. وهو مسترخ .. مستريح .. سعيد فى هدوء .. سعيد برجولته .. سعيد بأنوثتى .. وقد اكتشفت فيما بعد .. فى حياتى الضائعة .. أن هذه ليست انسب اللحظات بالنسبة لكل رجل اريد منه شيئا .. لحظة غرور الرجل ، وتباهيه برجولته .

ووصل متوسط ما آخذه من هاشم الى خمسين جنيها فى الشهر ..

خمسة وعشرون جنيها ، مرتب ثابت ..

والباقى تناتيش ..

وأسرفت فى الانفاق على نفسى .. خصوصا على ثيابى

.. وريمنى .. وكان هذا الاسراف يعوضنى عن نقص أحس به ويضعضع من شخصيتى .. نقص أحس به فى عيون صديقاتى .. فى عيون كل الناس الذين يعرفون قصتى مع هاشم .. يعرفون انى لست زوجته .. فقط عشيقته .. وأحس بالسنتهم تفرقع وراء ظهرى ، كلما مررت بهم .. كنت اريد أن اثير الحسد فى صدور هؤلاء الناس .. يحسدوننى على ثيابى ، وترفى .. ما دمت لا استطيع أن اثير فيهم الحسد على مصيرى ..

وكنت أسعد فعلا عندما المح نظرات الحسد فى عيون صديقاتى وقريباتى ، كلما ظهرت أمامهن بثوب جديد ، أو حلية جديدة .. انهن يتحدثن عن جنونى .. يتحدثن عن الشرف .. عن المبادىء .. ولكن عيونهن تلعق حذائى حسدا ..

نعم ..

لقد أصبحت اكره الناس ..

كل الناس ..

حتى الذين يعتقدون انى مخطوبة لهاشم ..

وكراهيتى للناس تعقدنى أكثر .. وتزيدنى خوفا .. وأحاول أن أهرب من الخوف ، فأندفع أكثر .. اكثر بجاحة .. واكثر وقاحة ..

ولم تسكت أمى وهى ترى اندفاعى ، وترى مظاهر الاسراف التى أعيش فيها .. وشدتنى من يدى الى غرفتى . واغلقت الباب وراءنا .. وجلست على السرير . مكانها المفضل كلما ارادت أن تحل مشكلة من مشاكلها .. واجلستنى بجانبها . وقالت فى حزم :

— ميتو .. انا مش حاقدر اسكت عليكى اكتر من كده ..

جوزى كل يوم يعمل لى هليله من تحت راسك .. وخلاص ما بقتش قادره ادافع عنك ولا عن تصرفاتك ..

قلت وانا اسخر منها بوقاحة :

— اللى خلاكى ساكته لغاية دلوقتى .. يخليكى ساكته على طول ..

قالت وهى تصفعنى بعينيها :

— انا ما كنتش ساكتة .. انا كنت مصدقاكى .. انما خلاص دلوقتى مش قادره أصدق ..

قلت بلا مبالاة :

— مش قادره تصدقى ليه ؟

قالت وعيناها فى عينى :

— قولى لى .. بتجيبى الفلوس منين ؟

وببساطة وقحة قلت وعيناى ثابتتان :

— من هاشم ..

وفوجئت .. تقفز حاجباها فوق عينيها كأنهما جناحا عصفور مذعور . وقالت وهى تخبط على صدرها :

— يا خبر .. ده يبقى مال حرام يا بنتى ..

قلت وانا اضحك على سذاجتها :

— حرام ليه .. هو لما الواحد يحب واحده ويجيب لها هديه يبقى حرام ..

قالت ووجهها لا يزال محتقنا :

— بس دى مش هديه .. دى فلوس .. فلوس ..

قلت :

— الهديه يعنى فلوس .. لو اشترالى حتة شيكولاته يبقى

ـمه اداني عشره صاغ .. وهو ما عندوش وقت ينزل يشترى حاجه . بيديني الفلوس أشترى بيها انا ..

قالت في اصرار :

ــ دى اسمها فلوس حرام ..

قلت وانا ابتسم لها :

ــ حرام ليه يا ماما .. كل البنات بياخدوا هدايا ..

قالت :

ــ تسمحى تقولى لى بيديكى الفلوس دى كلها ليه ؟

قلت بسرعة :

ــ علشان بيحبنى ..

ــ لا يا شيخه . عاشان بيحبك .. ولا علشـــان حاجه تانيه ..

قلت :

ــ ما تقوليش كده يا ماما .. ما فيش حاجه تانيـــه .. صدقينى ..

قالت :

ــ لا .. مش مصدقاكى ..

قلت :

ــ ماما ده راجل غنى وبيحبنى .. اذا اداني بيت جنيه .. زى ما يجيب واحد تانى هديه بجنيه ..

وقالت وهى تركن راسها فوق كفها :

ــ بيديكى كام الرجل الغنى ده ..

قلت وأنا أطوى الحقيقة تحت لسانى

— مش دايما .. بس بيدينى كتير ..

قالت :

— وبتوديهم فين ؟

قلت :

— باشترى بيهم الحاجات اللى بتشوفيها ..

قالت وهى تتنهد كأنها استسلمت لى :

— طيب بدل ما تشترى بيهم حاجات هايفه .. ويروحوا منك هدر .. اشترى حاجة تفضل لك .. حتة الماظ .. ولا بروش ..

وهكذا ..

وقفت منى أمى — مرة ثانية — موقفا سلبيا .. انقادت لى .. لم تحاول أن تعدل حياتى .. لم تحاول أن ترسم لى مبادىء أتعلق بها . وقبلت الوضع .. بل انى اصبحت اعطيها النقود التى أخذها من هاشم لتحتفظها عندها .. أصبحت بنكا لى ، وبينى وبينها حساب جار .. وكانت أمى تفرح بهذه النقود . اكثر من فرحتى .. ربما ورثت حبى للنقود عنها .. بل انها أصبحت تشاركنى فى انتقاء الهدايا التى أطالب هاشم بثمنها .. فتحت عينى على أطماع أوسع من أطماعى الصغيرة .. وفى مناسبة عيد ميلادى الثانى والعشرين .. طافت بنفسها على محلات الجواهر ، وانتقت حلقا من الماس .. ثمنه مائتا جنيه .. ليقدمه هاشم هدية لى .. وتركت الباقى على .. وقد دفع هاشم المائتى جنيه فى لحظة من لحظات غروره برجولته ، وسعادته بأنوثتى ..

ولكن أمى كانت تحرص فى الوقت نفسه على اشعال خوفى .. زادتنى خوفا على خوف .. كانت تذكرنى كل صباح وكل

مساء بانى لستتزوجة هاشم .. وكانت تروى لى قصص البنات اللاتى انقدن وراء عواطفهن وجنونهن .. ثم ضاع الرجل .. تزوج فجأة بنتا أخرى .. ومن يدرى .. ربما أصحو فى الصباح فأقرأ فى الصحف خبر زواج هاشم من أخرى ..

وينقبض قلبى لمجرد الفكرة ..

تتلوى أعصابى ..

واحس بنفسى كأنى معلقة فى الهواء ، وريح عاتية تطوحنى ..

واطلعت هاشم على مخاوفى .. كشفت له عن قلبى الذى عصره الخوف . وقلت له فى تردد وضعف :

ـــ احنا مش ممكن نتجوز أبدا يا هاشم .. ؟

قال فى بساطة حازمة :

ـــ لأ ..

قلت وانا أنظر اليه فى لوعة :

ـــ بس أنا ما اقدرش أعيش من غير أمل ..

قال :

ـــ يوم ما تفكرى فى الجواز .. يبقى لازم تفكرى فى واحد غيرى ..

قلت والدموع فى عينى :

ـــ ما اقدرش أفكر فى واحد غيرك .. انا باحبك يا هاشم ..

قال وهو ثابت كأنه يناقش مسألة علمية :

ـــ دحنا مالوش مستقبل ..

قلت :

ـــ وايه عرفنى انك مش حا تتجوز واحده تانيه ..

قال :

ـــ مش حاتجوز ..

تلف ردموعى على خدى .. دموع الغيظ والخوف :

ـ واطمن ازاى ؟ ..

قال :

ـ أنا عمرى ما كذبت عليكى .. اطمنى ..

ولم اطمئن ..

مخاوفى تزداد يوما بعد يوم ..

احس كأنى فى معركة هائلة مع الغد .. كل غد بالنسبة لى وحش يريد أن يفترسنى .. وأتعلق بيومى حتى لا يقلبنى الى غدى .. بل اتعلق بالساعة التى أعيش فيها حتى لا تلقينى الى الساعة التالية ..

وكنت أعلم انى لست الوحيدة التى تطمع فى الزواج من الدكتور هاشم .. ولست الوحيدة التي تريده بلا زواج .. ان حوله عشرات البنات .. بنات جميلات .. وبنات من عائلات كبيرة .. وبنات ثريات .. وأنا وحدى اقاوم كل هؤلاء البنات .. أقاومهن فى خيالى .. كل بنت اراها فى النادى .. وكل بنت تنشر الصحف صورتها .. تخيل الى أنها تسعى للزواج من هاشم .. فأكرهها .. ازددت كرها لكل البنات .. الكراهية تجعل منى دون أن أدرى ، فتاة شريرة .. قاسية ..

وأحرص كل صباح .. وبمجرد أن افتح عينى .. على أن اقرأ صفحة الأخبار الاجتماعية فى الصحف .. من يدرى .. لعله تزوج .. ثم لا أطمئن .. من يدرى لعل الصحف لم تعلم بخبر زواجه .. وأهرع الى التليفون ، وأتصل به ، لأطمئن انه لا يزال لى .. يوما آخر !

الى أن كان يوم ..

وكنت أحادث هاشم فى التليفون ، وقال لى انه لن يستطيع

ن يلقاني بعد الظهر ، لأنه مدعو الى الغداء عند عمه .. ثم سألني .. ماذا سأفعل اليوم .. واجبته بأني سأبقى في البيت .. وعاد يسألني .. مش نازله البلد .. واجبته بالنفى .. و ..

ولم تطمئنني لهجة حديثه ..

كان رقيقا أكثر من المعتاد ..

واحسست انه يتعمد التأكد من انى سأبقى في مصر الجديدة طول اليوم ..

وحاولت ان اتخلص من الوسواس الذى يلح على خيالى .. حاولت أن أطمئن .. واهدأ .. ولكنى لم استطع .. فى الساعة الثالثة قفزت ، وخرجت من البيت .. وركبت التاكسى الى الزمالك .. ومررت من أمام العمارة ، فلم أجد سيارته .. ولكن .. لعله أوقف سيارته فى مكان بعيد عن العمارة ، حتى لا اكتشف وجوده فى الشقة .. ودرت بالتاكسى حول العمارة .. وفى جميع الشوارع المؤدية اليها .. ولم أكتشف شيئا .. ثم هدانى تفكيرى الى أن أمر أمام العيادة .. وهناك .. وجدت سيارته .. وبسرعة .. أمرت السائق ان يعود الى شقة الزمالك .. والجنون يفتك بعقلى .. والنار تحرق عينى ..

ونزلت من التاكسى ، وانا اكاد أنكفىء على وجهى .. ولم انتظر المصعد .. جريت على السلالم الى ثالث دور .. والقيت كل ثقلى على جرس الباب .. لم أرفع أصبعى عنه .. ولكن احدا لا يفتح .. فأخذت اخبط على الباب بكفى ، حتى التهبت كفى .. ثم خلعت فردة حذائى واخذت اضرب بكعبها فوق الباب .. وأنا اصرخ :

— افتح يا هاشم .. افتح .. أنا عارفه انك جوه ..

لم يهمنى ساعتها شىء الا أن يفتح لى الباب .. لم تهمنى

.صيحه التي أثيرها في العمارة .. ولا صوت عم محمود البواب وهو يصيح من اسفل السلم :

— دري ايه .. مين اللي بيزعق ..

وفجأة فتح الباب .. وقبض هاشم على يدي بقوة . وجذبني الى داخل الشقة ، وهو يقول في صوت خافت كالفحيح :

— يا مجنونة .. انتي عايزه تعملي لي فضيحه .. دي اخلاق بنت ناس دي ..

وقبل أن يضربني .. نزعت نفسي منه .. كانت لي لحظتها قوة تهد الجبال .. قوة جنوني .. واندفعت الى داخل الشقة .. ورأيتها ..

انها نفس البنت ..

البنت التي سبق أن ضبطتها معه ..

وكنت قد عرفت اسمها .. مرفت ..

وقبل ان يلحق بي هاشم ، كنت قد انشبت أظافري الطويلة في وجهها .. رسمت على خديها ، وعلى عنقها خطوطا طويلة ينبثق منها الدم .. ثم امسكتها من شعرها .. واوقعتها على الأرض .. ووقعت فوقها ...

ولحق بي هاشم .. جذبني من شعري في قسوة . ورفعني من فوق مرفت ثم القى بي فوق السرير .. وانا لا ازال انظر الى مرفت بعيني المجنونتين ، واصرخ :

— يا وسخه .. يا واطيه .. لسه بتجيله .. مش عارفه انه متجوزني .. يا .. يا ..

كلمات كثيرة لم اكن أعرف انى اختزنها تحت لساني .. كلمات افقدتني كل رقتي .. كل جمالي .. كل انوثتي ..

وفرت مرفت ..

خرجت ..

ورفع هاشم يده ، فصرخت فيه :

– ما تضربنيش .. انت مالكش حق تضربنى .. انت اللى غلطان ..

ولكنه انهال بيده على خدى ..

بلا رحمة ..

بلا شفقة ..

وصرخت ودموعى تنطلق :

– أتجوزنى .. اتجوزنى .. لازم تتجوزنى دلوقتى حالا ..

وصرخ وهو يرفع يده مرة ثانية :

– عايزانى اتجوز واحده مجنونه ..

وعدت أصرخ :

– لازم تتجوزنى .. انا ما اقبلش أكون زى أى بنت بتعرفها .. واللا علشان بتدينى فلوس ..

وانزل يده فجأة قبل أن يصفعنى صفعة أخرى ..

وادار ظهره لى وسكت .. وهو يزفر أنفاسه ..

ومرت لحظات لا يبددها الا نشيجى ..

وتكومت فى السرير ، وانا أنظر اليـــه من خلال دموعى .. فى ترقب .. وغيظ .. وكل شىء فى ينزف .. حبى .. كرامتى .. انفاسى .. كيانى .. ايامى .. كل شىء ينزف .. والنزيف الأحمر يرتسم أمام عينى ..

ثم التفت الى وقال فى لهجة جادة وصوت عميق حزين . كأنى جرحته :

– انا ما باديكيش فلوس يا امينه ، لانك زى أى بنت .. مافيش بنت أعرفها باديها فلوس ولا حتى باشترى لها هديه ..

انا باديكي لاني باحبك .. ولانك محتاجه للفلوس .. ولان معايا فلوس .. ويوم ما حاتسيبيني هافضل برضه اديكي فلوس .
طول ما انتي محتاجه ، وطول ما انا معايا ..

وأحسست ساعتها انه لا يعني ما يقول .. كل ما هنالك انه يدافع عن كرامتي .. لا يريد أن يحس بأنه يشتري امرأة بنقوده .. واكتشفت ساعتها أن هذه النقود ، لا تشينني انا ، بل تشينه هو .. تجرح كبرياءه وغروره .. كرجل يعتقد في نفسه انه محبوب من كل نساء الأرض ..

وقلت وانا متكومة فوق السرير وشعري واقع فوق عيني :

— لو كنت بتحبني ، كان بدل ما تديني فلوس ، تتجوزني .. لازم تتجوزني يا هاشم .. لازم .. لازم ..

وقال في هدوء :

— انتي عارفه اني مش حاتجوز .. واحسن نسيب بعض ..

ونظرت اليه بعينين مذعورتين ، وقلت في صوت يخرج من حلقي ولا يحرك لساني :

— تسيبني بعد ده كله يا هاشم ؟

ثم انكفأت على وجهي ابكي ..

الدموع تهز جسدي كله ، كأني أشدها الى عيني ، من أطراف اصابع قدمي ..

وقال هاشم :

— مش كده يا امينه .. خلينا نتكلم بعقل ..

ولكني ابكي ..

ابكي كل دموعي ..

وجاء هاشم وجلس بجانبي .. يحاول أن يسكت بكائي .. يحاول ان يجعلني أرد عليه .. وبدأ يمسح بيده على شعري

.. ثم يطوف بها فوق كتفى .. وانا لا اكف عن البكاء .. مستسلمة ليده التى تتمشى فوق ظهرى .. ثم انحنى يقبلنى فوق خدى .. وهو يقول :

ـ كفايه يا أمينه .. كفايه يا حبيبتى .. انا آسف ..

ولم اكن اريده فى هذه اللحظة .. ام تتفتح مسام جسدى ظمأى اليه .. ولكن تملكنى احساس آخر .. كنت اريد ان أطمئن الى ان مرفت لم تأخذ منه شيئا .. شيئا مما تعودت أن آخذه منه .. كنت اريد ان اتأكد انها تركته لى سليما .. لم تمتصه وتلقى الى ببقاياه ..

واستدرت اليه ، والقيت جسدى كله فى احضانه ، وانا لا زلت ابكى هامسة :

ـ هاشم .. اخص عليك يا هاشم ..

وانحنى الى بشفتيه ..

ويده تنشط فوق ازرار ثوبى ..

وانا فى انتظار ان اتأكد ..

وهمست وانفاسه تلفح عنقى ، وشفتاه المجنونتان تطوفان بوجهى ، وذراعاه تعصران جسدى العارى :

ـ حاتسيبينى يا هاشم ..

وقال وانفاسه اللاهثة تحرق كلماته :

ـ ابدا .. عمرى .. ما اقدرش ..

واطمأننت ..

لم تأخذ منه مرفت شيئا ..

ولكنى عدت الى البيت وراسى يغلى .. ولم اكن حاقدة على هاشم قدر حقدى على مرفت .. كنت اريد ان أنتقم منها .. أريد ان أحطمها .. اخنقها .. وكنت فى خلال الشهور الطويلة منذ

ضبطتها أول مرة ، قد عرفت اسمها كله .. عرفت أخبارها .. وعرفت رقم تليفونها وعنوانها ..

وأدرت رقم تليفونها ..

وردت على أمها .. عرفتها من لهجتها .. كل الأمهات لهن لهجة واحدة عندما يرددن على التليفون .. وقلت لها :

ــ أنا حرم الدكتور هاشم عبد اللطيف ..

وقالت في أدب :

ــ تشرفنا يا فندم ...

قلت في جرأة وهدوء :

ــ رجعت ؟

قالت وفي لهجتها استطلاع :

ــ لا والله .. لسه ..

قلت :

ــ طيب .. لما ترجع ، حتلاقى على وشها خرابيش .. أنا اللى خربشتها .. لأنى ضبطتها مع جوزى ..

وأعدت السماعة بسرعة ..

واسترحت ...

ابتسمت .. أهنىء نفسى على ذكائى .. وشرى .. وانتقامى .. ثم ضاعت لذة احساسى بالانتقام عندما اكتشفت ام عرفت بعد أيام أن الدكتور هاشم عبد اللطيف ليس متزوجا ..

وبقى أمامى هاشم ..

انى لم أعد أحتمل ..

لم أعد احتمل حياتى معه ..

ولكنى لن أتركه ..

انه حبى .. وحياتى .. فكيف أتركه ..

نعم ..
لن اتركه ..
ولكنى سأخونه
ما الذى دفعنى الى خيانة هاشم ؟ ..
دوافع كثيرة .. ليس اهمها انه يخوننى ..
ربما كان اهمها انشغاله عنى بعمله .. وهذا الفراغ الكبير الذى يحيط بى والذى لا اجد ما اشغله به ، سوى استعراض نفسى فى النادى ، وفى شوارع القاهرة ودكاكينها ... لم تكن لى هواية تصبرنى على الانتظار الطويل الى أن التقى بهاشم .. لم تكن لى هواية سوى جسدى ..
ثم الخوف ..
الخوف من ان أفقد هاشم يوما ، كان يجعلنى اتلفت حولى ، لأنتقى الرجل الذى يعوضه عندما افقده ..
ثم انى أريد ان اتزوج .. ومن يدرى ربما التقى برجل احسن من هاشم يتزوجنى ..
ثم انى رغم ما فعلته ، ورغم طغيان شخصيته على شخصيتى ، ورغم حاجتى اليه .. كنت بينى وبين نفسى متمردة عليه .. اتمنى اليوم الذى اتخلص فيه من حبه .. ومن سيطرته .. بل انى كنت اصحو احيانا من النوم واقرر الا اتصل به .. كنت اثير عليه نفسى .. لماذا اجرى وراءه .. لماذا لا اتركه يجرى ورائى .. لماذا ابدأ انا بالتحدث اليه فى التليفون ؟ لماذا لا انتظر الى أن يتلهف على ويتصل بى هو .. لماذا .. لماذا .. وكل القرارات التى اتخذها وانا متمردة عليه ، لا تبقى سوى لحظات .. ثم أعود اليه .. لا تستطيع يدى أن تقاوم التليفون .. ولا يستطيع جسدى أن يقاوم اندفاعى اليه ..

ثم لأنه يخوننى ..

انه يخوننى وهو يقسم انه يحبنى .. فلماذا لا اخونه انا ايضا وابقى على حبه ..

وقد بدات بخيانات بريئة ..

سافرنا أيامها الى الاسكندرية لنقضى الصيف .. وكان هاشم لا ياتى الاسكندرية الا فى أيام الخميس والجمعة .. وانا وحدى هناك بقية الاسبوع .. اقضى يومى على شاطىء ميامى .. واترك ابنتى مع الخادمة تحت الشمسية .. ثم اقوم باستعراض نفسى . وكنت اتفنن فى استعراض نفسى .. أحيانا اتمشى وانا بالمايوه ، وشعرى مطلق ، وفى قدمى حذاء بكعب عال .. واحيانا ارتدى بنطلون « بلوجينز » وقميص رجالى مشمر الأكمام ، كأنى لا زلت فى التاسعة عشرة .. ثم اجرى الى البيت ، وابدل البنطلون بفستان .. كل يوم ثوب جديد .. يجنن .. ثم اجلس فى كابين صديقتى مها .. سيدة مطلقة فى مثل سنى ، وكل صديقاتها مطلقات ، أو على وشك الطلاق .. ودائما يحيط بهن مجموعة من الشبان .. الملح شباب الشاطىء .. المهم فى اجتذاب اهتمام البنات .. بينهم شاب اسمه مصطفى .. فى الثامنة والعشرين من عمره .. دمه خفيف .. وكانت تحبه احدى سيدات الشلة .. ولكنه كان يخصنى بكل اهتمامه .. ويلحقنى فى البحر .. ويملأ الساعات التى اقضيها معه بالضحك .. واخيرا .. رضيت ان اخرج معه .. ولكنى ما كدت اركب بجانبه فى سيارته حتى بدات افكر فى هاشم .. احسست ان هاشم جالس بينى وبين مصطفى .. لا استطيع ان انزع صورته من خيالى .. لا استطيع ان اوقف عقلى عن التفكير فيه .. بل خيل الى انى اشم رائحته .. رائحة هاشم ..

وقال لى مصطفى وهو يقود سيارته فى الطريق الى ابى قير

— تعرفى تسوقى ؟ ..

قلت وانا هائمة وراء هاشم :

— لا ..

قال وهو يبتسم ابتسامة طفل :

— تعالى أعلمك السواقه ..

واستخفته .. هذه لعبة عيال .. لعبة قديمه .. سيدعونى لاقترب منه .. ثم يدى على عجلة القيادة ويلف ذراعه ورائى .. ثم يتحسس كتفى .. ثم يضغطنى اليه ضغطة خفيفة .. ثم ينتهز فرصة ويقبلنى على خدى .. و .. و .. ماذا يظننى هذا الطفل ؟ مبتدئة ؟ !

وقلت فى زهق :

— لا .. مش عايزه اتعلم السواقه .. ومن فضلك رجعنى .. انا اتأخرت ..

وقال فى سخافة :

— وده معقول .. ده احنا لسه ما وصلناش أبو قير ..

واصر على ان يستمر فى طريقه ..

ولم اعترض .. من زهقى .. بقيت بجانبه ، وقد بدا لى الفرق كبيرا بينه وبين هاشم .. الشخصية الفجة التى لم تنضج بعد .. والشخصية القوية المجربة الثابتة .. شخصية هاشم ..

وعندما عاد هاشم فى نهاية الأسبوع والتقينا فى الشقة التى كان يستأجرها فى محطة سابا باشا ، قلت له كأنى أغيظه :

— تعرف ان فيه واحد عايز يخطبنى ؟

قال فى برود :

ــ مين ؟

قلت :

ــ واحد اسمه مصطفى ..

قال :

ــ مصطفى ايه ..

قلت وانا أزداد دلالا :

ــ مصطفى سامح ..

وهز كتفيه وقال فى بساطة :

ــ ما اعرفوش ..

وهذا هو كل شيء .. لم يحاول أن يسألنى أكثر .. بل لم يحاول أن يسألنى فى الأسبوع التالى عن اخبار هذا الشاب الذى جاء يخطبنى .. كأنه نسيه .. كأنه لا يهمه أن بقيت له أو تزوجت .. او كأنه كان واثقا أنى سأبقى له حتى لو تزوجت ..

وغاظنى اهماله ..

غاظنى غروره ..

وخرجت مع مصطفى مرة ثانية .. وثالثة .. ثم زهقت من مصطفى وخرجت مع أسامة .. ثم مع مجدى .. ثم مع أحمد .. كلها مغامرات بريئة .. احمد فقط هو الذى استطاع ان يقبلنى فوق شفتى .. فرق كبير بين قبلته وقبلة هاشم .. قبلة أحس بها فوق شفتى .. وقبلة أحس بها تسرى فى جسدى كله ..

وكنت أسرد كل هذه الأسماء لهاشم .. وأسرد مع كل منها نصف الحقيقة .. واحيانا ربع الحقيقة .. اقول عن واحد منهم انى

قابلته من كابين صديقتى .. واقول عن الآخر انه صـــديق لابن خالتى .. واقول عن الثالث انه ابن طنط خديجة .. ولم أكن مضطرة أن اقول شيئا لهاشم .. ولكنى كنت اقول له .. كنت أحس انى ابرىء ذمتى أمامه .. أحس كأنى أخفف من خيانتى له .. كأنى أرضى ضميرى وحبى ..

وهاشم يسمع هذه الحكايات ، وينظر فى عينى كأنه يعرف سرى .. ثم لا يجيب .. أو يرد ردا باردا ..

بل انى سألته يوما ، كأنى اريد أن أثيره :

— ترلى يا هاشم .. لما الواحده تتجوز واحد .. تعمل ايه ؟

وكان لهذا السؤال أصل من الواقع .. فقد كنت اتمنى جدا لو تزوجنى شاب اسمه شريف .. يسكن امامنا فى سيدى بشر .. وامه صديقة الأمى .. واخته صديقة لى .. غنى .. مهذب .. نال بكالوريوس التجارة .. ووسيم ..

واجابنى هاشم فى هدوئه الذى يثيرنى :

— نقنعه بأنها بنت كويسه وتصلح للزواج ..

وثرت فى وجهه صائحة :

— يعنى تصدك انى أنا مش كويسه وما انفعش للجواز ..

قال وهو ينظر الى فى دهشة :

— أنا ما قلتش كده ..

قلت وانا انتفض من جانبه :

— امال ما بتتجوزنيش ليه ؟ .

ونظر الى كأنه يلومنى لأنى أطمع فى الزواج منه .. وقال :

— أنا حاجه تانيه ..

وعدت يومها الى البيت لابكى .. خيل الى انى فعلا لا اصلح للزواج ، وان هذا ليس رأى هاشم وحده ، بل رأى جميـــع

الرجال .. بدليل أن احدا ممن خرجت معهم لم يفاتحنى فى الزواج ..

وانتهى موسم الاسكندرية دون ان اخرج منه بشيء . سوى بعض نمر التليفونات ، وبعض نمر السيارات ..

ولا شيء أكثر .. لم يستطع احد ان ينسينى حبى لهاشم او يخفف منه .. ولم يستطع احد ان يحررنى من حاجى اليه ..

وبدأت فى القاهرة اكرر نفس ما كنت أفعله فى الأسكندرية .. احادث الشبان فى التليفون ثم اخرج معهم .. واضيف الى القائمة شبانا جددا .. بل أضفت اليهم ابن عمى .. وكان ابن عمى اقربهم الى قلبى .. كان انسانا شاذا ، بوهيميا .. يملك سيارة قديمة مهكعة ، بينه وبينها الفة عجيبة ، ويحبها كأنها كلبة . ولا يستطيع أحد غيره أن يقودها او يفهم اسرارها .. وكان يسافر بها الى البحر الأحمر مع شلة من الأولاد والبنات .. وذهبت معه أكثر من مرة .. ذهبت باذن من امى ، فهو ابن عمى .. ولا يمكن لأحد أن يعترض على رؤيتى مع ابن عمى .. ولكنى لم أرحم ابن عمى .. استطعت أن اشد قلبه .. وأعطيته أكثر مما أعطيت باقى الشبان .. ليس كل شيء .. فقط تركته يقبلنى أكثر ويحبنى أكثر .. وكنت اطمع فى الزواج منه .. بنيت فى خيالى حياة كاملة معه .. وفرحت عندما اكتشفت أن اسمى لن يتغير بعد الزواج منه .. امينة سالم .. وساصبح بعد الزواج .. مدام سالم .. يا فرحتى ! كأنى لا زلت طفلة ! ..

وقلت كل ذلك لهاشم .. قلت له أنى اتمنى لو تزوجنى ابن عمى .. وقلت له انى ذهبت معه فى رحلات البحر الأحمر .. مع شلة كبيرة .. ولم اقل له للباقى .. لم اقل انى أتركه يقبلنى .. او انى ارقد على شاطىء البحر بالمايوه وهو راقد بجانبى .

وراسى على كتفه .. طول النهار .. وان كل افراد الشلة التى تسافر معنا ، تتركنا وحدنا ، وتفهم ما بيننا .. لم اقل له كل ذلك .. انى لا اقول الا ربع الحقيقة ..

وهاشم ينظر الى هذه النظرة الثابتة التى لا ادرى منها ان كان يصدقنى أم لا .. ويبتسم هذه الابتسامة ، التى لا أدرى ان كان يسخر بها منى ، أم يشفق بها على ..

كل ما لاحظته ان هاشم بدأ يروى لى قصصا عن بنات .. بنت جاءت الى عيادته .. وبنت دعى معها الى سميراميس .. وبنت أميركية .. وبنت .. وبنت .. ولعله كان يقول ربع الحقيقة .. فلم يكن يقول لى انه بينه وبين واحدة من البنات شىء .. وكنت .. وهو يروى لى هذه القصص احاول أن اقلده فى بروده ، وفى قلة اكتراثه ، ولكنى لم اكن استطيع .. كنت أحتمل مرة .. وانفجر فى المرة الثانية .. واتهمه بأنه يخوننى .. ولأنى أخونه .. كنت واثقة انه يخوننى .. فأجن .. وأدور بالتاكسى ابحث عنه كلما غاب عنى ..

ولم يتزوجنى ابن عمى .. ذهب .. قبل وظيفة فى الاسكندرية .. ولم يعد ...

ثم ..

حملت ..

حملت من هاشم ..

ليس هناك شك فى هذه المرة فى أنى حملت منه ..

ولم تكن المرة الأولى التى أحمل فيها منه ..

حملت مرة .. منذ سنة .. ولكنى استطعت أن اتخلص من حملى فى الشهر الأول .. وقعت صدفة من فوق السرير .. واصطدم بطنى بحاجزه .. وبقيت بعدها أسبوعا فى السرير ..

وحاولت هذه المرة أن أقع من فوق السرير .. من فوق
الأدراج .. لعبت الحبل .. استحممت بما مغلى ..
ولا فائدة ..
انى لا زلت حاملا ..
ومضى شهران وأنا أخفى سرى فى بطنى ..
ثم ..
قلت لهاشم ..
ورفع الى عينين مذعورتين ، ثم تمالك أعصابه بسرعة ، وقال
وهو يبتسم لى :
— بسيطة .. كيرتاج ! ..
وقلت بحدة :
— طبعا .. انت حايهمك ايه ... هو انت اللى حاتموت ..
قال فى هدوء :
— انتى عارفه انها عمليه ما بتموتش حد ، ما دام دكتور
كويس اللى بيعملها ..
قلت :
— لا .. مش حاعملها .. اتفضل اتصرف ..
قال وسحابة من الكدر تطوف بعينيه المنتفختين :
— زى ما انتى عايزه ..
قلت والدم يرتفع الى راسى :
— أنا عايزه نتجوز ..
قال :
— ونخلف بعد خمسة اشهر .. مش كده ..
قلت :
— احسن ما اموت ..

قال :

ـــ تلتلك مش حاتموتى .. وما تفكريش فى نفسك بس .. فكرى فى اللى حاتخلفيه ..

عدنا نتناقش ..

نقاش طويلا ملأ كل ساعات قضيتها معه خلال الاسبوع كله .. وهو مصر على رايه .. يغلق فى وجهى كل الأبواب الا باب الطبيب الذى يجهضنى ..

الى أن قلت وأنا ارتعد ودموعى فوق خدى :

ـــ طيب تيجى معايا عند الدكتور ..

قال وهو يمسك بيدى ويضغط عليهـــا ونظرة اشفاق تطل من عينيه :

ـــ مش ممكن يا أمينة .. مافيش راجل بيروح مع الست فى حاله زى دى .. حتى ولو كان جوزها .. ما تبقيش صغيره ..

قلت ودموعى ترتعش فوق أهدابى :

ـــ أنا خايفه يا هاشم ..

قال وهو يضمنى الى صدره فى حنان :

ـــ ما تخافيش .. لو ما كنتش مطمن عليكى ، ما كانش ممكن اسيبك تعملى العمليه ..

واحسست ساعتها انى لا أريد أن ارفع راسى من على صدره .. اريد ان اختبىء فيـــه .. اريد أن ابقى هنا .. لاهدأ .. لأستريح .. لأطمئن .. لأهرب ..

وبكيت ..

وبعد يومين ذهبت الى طبيب يهودى تقع عيادته فى أول شارع سليمان باشا .. وذهبت وحدى .. ولم اكن اعرف هذا الطبيب من قبل .. ولا هاشم كان يعرفه شخصيا .. بل ان

هاشم لم يرشحه لى .. رفض أن يرشح لى أحد أصدقائه الأطباء .. وتركنى أختار هذا الطبيب بعد أن سمعت اسمه يتردد كثيرا فى أوساط المطلقات ، كطبيب متخصص فى عمليات الاجهاض .. كل ما فعله هاشم هو أن دفع لى أجر العملية مقدما .. ودفع بسخاء ..

ودخلت عيادة الطبيب ، ودمائى هاربة منى .. وكل ما فى داخلى يرتعش .. قلبى .. معدتى .. ركبتاى ... خيل الى أنى داخلة الى سلخانة .. هنا ، سأذبح .. واستقبلتنى الممرضة بنظرات وقحة ثابتة .. كأنها تبدى رأيها علنا فى صنف النساء اللاتى يترددن عليها .. واشارت لى بيدها الى غرفة الانتظار دون أن تتكلم .. دون أن تبتسم .. كأنى لا أستحق منها كلمة . ولا ابتسامة .. وتركتنى وحدى .. تركتنى طويلا ، رغم أنه لم يكن فى العيادة غيرى .. ودقات الساعة خبطات فوق رأسى وأعصابى .. ثم لمحت من باب غرفة الانتظار سيدة خارجة من غرفة الطبيب .. مستندة على ذراع الممرضة .. وجهها أصفر .. لا .. ليس أصفر .. أبيض .. لون الفراغ .. لون الموت .. وعيناها مطفأتان .. وشفتاها باهتتان جافتان ، ترتعشان ، كأنها تتنفس بهما .. والقتها الممرضة على مقعد عريض .. وتركتها .. كأنها القت شيئا فى صندوق الزبالة .. ثم نظرت الى نظرة صارمة وقحة .. وانصرفت .. والذعر يملأ عينى .. انظر الى السيدة التى أمامى ، ويخيل الى انى أنظر الى مرآة .. ارى نفسى هكذا .. نصف ميتة .. وتملكنى خاطر جارف بأن أهرب .. أهرب من هذه السلخانة .. أهرب من الذبح .. ولكنى كنت مشدودة الى وجه هذه السيدة الملقاة أمامى كأنها نصف ميتة .. مشدودة بعينى وأعصابى .. كأن هناك نداء خافيا ينطلق منها

ويدعونى اليه .. نداء لا استطيع ان اقاومه .. كقدرى .. كمصيرى ..

وجاءت المرضة واشارت الى قائلة بالفرنسية :

— تستحى .

ونشبثت بمقعدى . . لا .. لن اسمح .. لن اذبح ..

ظلت المرضة واقفة امامى تسلط على نظراتها القوية الوقحة . كأنها تسلبنى ارادتى ..

وقمت اليها .. مسلوبة الارادة ..

ومشيت وراءها ، احاول ان الحق بها لأستند عليها ، قبل ان أقع .. ركبتاى لا تتحملانى .. وأمعائى تنقلب حتى خيل الى أنى سألفظ الجنين قبل أن اصل الى الطبيب ..

واستقبلنى الطبيب ..

رجل فى الخمسين .. أملس الوجه .. كل شىء فيه املس .. لزج .. نظراته أوقح من نظرات ممرضته .. واخذ يسلط على هذه النظرات فى جراة كأنه يفكر فى الاعتداء على .. كأنه يشتهينى ..

وقال وهو يشير الى سرير الكشف :

— تفضلى .

وتوقفت .. حاولت أن اتكلم .. قلت له انى زوجة .. وانى ام لأبنة فى الثالثة من عمرها .. وانى حامل .. وانى اتفقت مع زوجى على أن اتخلص من الجنين لأننا .. و .. و .. حكاية طويلة كنت قد اعددتها قبل أن اصل اليه .. ولكنه لم يكن يستمع الى .. كأنه سمع الكثير من هذه الحكايات ، ويعلم انها كلها كاذبة .. انشغل عنى فى اعداد بعض أدواته .. ثم جذبتنى المرضة الى سرير الكشف .. وساعدتنى فى خلع ثيابى .. ثم

تقدم ليكشف على .. كان يكشف على فى وقاحة .. يتحسسنى كأنه يتلذذ بى .. كأنه ينتقى القطعة التى يأكلها أولا .. ثم ابتعد عنى وهو يقول :

ــ بكره الساعة حداشر .. وتعالى من غير افطار ..

وخرجت من عيادته كالفرخة الدائخة التى نجت صدفة من الذبح .. وقضيت نهارى وليلى خائفة مذعورة .. اقرر فى دقيقة الا اذهب الى الطبيب ، وفى الدقيقة التالية اعدل عن قرارى .. وفكرت أن أطلع أمى على مصيبتى ، لتأتى معى .. حتى لا تتركنى أذبح وحدى .. ولكنى خفت من أمى .. فكرت أن استعين بزوجة أبى ، وكانت أيامها لا تزال صديقتى ، ولكنى خجلت منها .. وتحدثت الى هاشم بالتليفون ليقوى قلبى .. ويشد أزرى .. حدثته بدموعى لعله يشفق على .. ولكنه كان رقيقا .. حنونا .. حدثنى طويلا ، على غير عادته .. ولكنه لم يشفق على .. كل ما فعله أن شرح لى العملية من الناحية العلمية ، ليثبت لى انها ليست خطرا .

وذهبت فى اليوم التالى ..

وحدى أيضا ..

وكأنى هاربة منى .. وقد رأيت نفسى فى المرآة قبل أن اخرج من البيت .. ولم أكن أعتقد انى يمكن ان أكون صفراء الى هذا الحد ..

وبكيت فى غرفة الانتظار .. بكيت فى صمت .. فهذا الطفل كنت أريده .. انه طفل الرجل الذى أحببته وتمنيته .. الرجل الوحيد الذى اردت طوال حياتى أن يكون ابا لطفلى .. ورغم ذلك فانى اقتله .. اقتل هذا الطفل .. لان ليس من حقى أن أجعله فى بطنى .. وليس من حقى ان أكون أما له ..

والتقبت بنظرات الطبيب الوقحة ..

وعندما اعطانى حقنة البنج ، خيل الى مرة ثانية ، انه يريد أن يفقدنى وعيى ليعتدى على .. ولا ادرى لماذا تملكنى هـذا الخاطر .. ولكنه خاطر ملأ خيالى كله .. وذعرت .. خيل الى انى اريد أن أصرخ لأنادى هاشم ..

ولا أدرى هل صرخت أم لا ..

غبت عن الوعى ..

ولم اعد ادرى ما يحدث لى ..

وافقت وانا راقدة على سرير العمليات .. ثم جاءت الممرضة والبستنى ثيابى .. وساعدتنى على الوقوف .. وسحبتنى الى الغرفة الخارجية .. والقتنى على نفس المقعد الذى القت عليه المرأة الاخرى .. وتركتنى .. وسكين يشق بطنى .. الم حاد ..

وبقيت على هذا المقعد ، وانا أتصور نفسى فى شكل المرأة الأخرى .. مسكينة .. كأنى بقايا آدمية القيت فى صـندوق الزبالة .. وعقلى صاح ، وجسدى مخـدر ، ولا احس فيـه الا الألم ..

كم بقيت ..

ساعة .. ساعتين .. ثم بدأ الألم يخف .. وبدأت استرد قواى . واستطعت أن اقوم من صندوق الزبالة .. وخرجت .. لم يودعنى أحد الى باب العيادة .. ووقفت أمام باب المصعد مستندة الى حاجز حتى لا اقع .. هزيلة .. ضعيفة .. ارى كل شىء من خلال ضباب ..

وما كدت أصل الى الشارع حتى رأيت هاشم فى سيارته منتظرا امام الباب .. وخيل الى انى أخرف .. أنى أحلم ..

واهتزت رموشي بعنف لتزيح من أمام عيني الضباب .. ولكنه هاشم ..

ونزل من سيارته بسرعة .. وتقدم مني .. وامسك بذراعي كأنه يخاف على أن أقع ؛ وكان يخيل الى اني ســـأقع فعلا .. سأقع من الفرحة .. فرحة المفاجأة ..

وهمس هاشم في أذني :

ــ الحمد لله على السلامة ..

وابتسمت ..

وقادني هاشم الى سيارته .. واجلسني .. ثم لف حول العربة بسرعة ، كأنه سائق مهذب .. وجلس بجانبي وهو يقول :

ــ مش قلت لك انها بسيطة ..

وعدت أبتسم له .. وقد أصبح احساسي بالتعب تدللا عليه اكثر منه تعبا ..

وعاد هاشم يقول :

ــ داوقتي تروحي البيت ، تنامي شويه .. وبالليل تقدري تروحي سينما ..

وقلت في صوت خافت :

ــ لا .. بلاش توديني البيت احسن ماما تلاحظ حاجه .. وديني بيت بابا .

واوصلني هاشم الى بيت أبي .. وكان رقيقا حنونا طوال الطريق .. جعلني اضحك .. وقد كان شيء في يضحك ضحكة كبيرة منذ رأيته في انتظاري .. خيل الي ساعتها أني تأكدت من حبه .. انه يحبني .. مهما تظاهر بالبرود .. ومهما سلط على غروره .. ومهما انشغل عني .. فهو يحبني .. ونسيت في احساسي بحبه كل ما تحملته .. نسيت الجنين الذي قتلته

منذ لحظات .. بل خيل الى أن هذا الجنين ربط بيننا أكثر .. قد جمعنا الى الأبد .. كأنى والدته .. كأنى لم اقتله .. احسست فعلا باحساس الأم ، عقب أن تضع مولودها ، وتنظر الى زوجها فى امتنان كأنها تشكره لأنه منحها الأمومة .. خيل الى انى أنظر الى هاشم نفس النظرة .. نظرة الامتنان .. وخيل لى أنه ينظر الى كما ينظر الى زوجته .. نظرة تقدير وشكر .. تقدير لأمومتى ، وشكر لأنى جعلته ابا ..

ولم تكن هذه المرة الأخيرة التى اجهضت نفسى فيها .. اجهضت نفسى كثيرا .. أربع مرات .. خمسا .. لا أدرى . لقد اصبحت عمليات الاجهاض بالنسبة لى ، كخلع الضرس .. واصبحت نظرات الطبيب اليهودى الى نظرات ترحيب بعد ان اصبحت زبونة مستديمة .. ولكن هذه المرة الأولى هى التى لا ازال اذكرها .. وهى المرة الوحيدة التى انتظرنى فيها هاشم ، وابدى لى كل هذا الحنان ، واثار فى كل هذه المشاعر الحلوة ..

وقد عشت شهورا فى هذه المشاعر ..

حاولت خلالها أن أكون محترمة .. اقلعت عن محادثة الشبان فى التليفون والخروج معهم .. وتجددت آمالى فى الزواج من هاشم .. تجددت أكبر واعنف ..

ولكن هاشم لم يتغير ..

عاد كما كان ..

عاد يملأ حياتى بالفراغ الكبير .. ويثير فى الغيرة .. ويهملنى ، لالاحقه .. ويهملنى اكثر لالاحقه أكثر .. ولا يريد أن يتزوج .. بل لا يريد أن يقول سببا معقولا يمنعه عن الزواج .. فقط ، لا يريد .. ويخيرنى بين أن أبقى له بلا زواج ، أو اتركه واتزوج .

ولم اكن استطيع ان اتركه ..
ابدا لن اتركه ..
والح عليه فى الزواج ..
ويغضب ..
يخاصمنى ..

ولكنى لا استطيع ان احتمل غضبه وخصامه ، اكثر من يومين .. او ثلاثة على الاكثر .. ثم اعود اليه ..

واعود الح عليه ..
استجديه أن يتزوجنى ..

وامى فوق رأسى .. تثير فى الخوف من أن يتزوج هاشم غيرى .. وكل نقوده التى اودعها معها ، لا تسكت لسانها ..

ثم فكرت أن استعين بأخته ..

لم اكن قد رأيت أخته من قبل .. ولكنى كنت احادثها فى التليفون .. وكنت ادعى صداقتها فى احاديثى مع الناس .. ومع مرور الأيام ، وكثرة لقائنا خلال التليفون ، أصبح بيننا فعلا نوع من الصداقة .. صداقة تليفون .. كنت اسألها عن الأولاد .. وكانت تسألنى عن ماما وبابا وغم أنها لا تعرفهما .. مجرد مجاملة ..

واعتمدت على هذه الصداقة ، وحادثتها فى التليفون دون ان اخبر هاشم ، وفى وقت كنت أعلم فيه انه فى العيادة ، وقلت لها بعد ان وضعت فى صوتى رنة حزن عميق :

— اقدر اشوفك يا مديحه هانم ..

وسكتت برهة كأنها تفكر ، ثم قالت كأنها تحاول أن تخفف عنى :

— عايزه تشوفينى لوحدى ولا مع أبيه هاشم ؟

قلت :

ــ لا .. لوحدك .. لو سمحتى .

قالت وهى تضحك ضحكة صغيرة تواسينى بها :

ــ لازم حاتشكيلى من اخويا ..

قلت بعد أن ضغطت على عينى حتى انطلقت دموعى :

ــ انتى ما تعرفيش عمل فى ايه .. دى شكوى كبيره .. ومش لاقيه حد أروح له الا انتى .. ما اقدرش أروح لماما .. ما اقدرش أروح لواحده من خالاتى .. ما فيش قدامى الا انتى ..

وقالت مديحة وأنا أحس بلهفتها على :

ــ طيب ما تعيطيش يا أمينه .. بكره زى دلوقتى تشرفينى .. ونقعد على راحتنا ونتكلم سوى .. انا كل واحده بتعرف اخويا بتصعب على .. وانتى استحملتيه مده طويله .. أنا عارفه استحملتيه ازاى .. بكره تحكيلى على كل حاجه ..

وقضيت الليل انتقى الثوب الذى سأذهب به اليها .. واعد الكلمات التى سأقولها لها .. كلمة كلمة .. بل أعد ابتسامتى .. ودموعى .. وكل ما أحتاج اليه الأصل الى قلبها ..

وذهبت الى المعادى ، بعد أن تعمدت أن أنتقى لنفسى ثوبا محتشمة ، وتعمدت أن أخفف من زينتى قدر امكانى ..

وعائلة هاشم ليست أكبر من عائلتنا .. بالعكس .. عائلتنا أكبر وأعرق ، حتى لو كانت عائلة هاشم أغنى .. ورغم ذلك فقد شعرت برهبة غريبة وأنا أدخل بيته .. خيل الى أنى أسير فى حلم انتظرته طوال عمرى .. وخيل الى أنى قزمة فى عالم مسحور .. أحسست بشخصيتى تضعف ، تضيع بين هذه الأبهاء الواسعة .. وهذا الهدوء .. وآنيات الورد .. وقطع الأثاث الضخمة .. والأوبيسون .. خيل لى أنى فى مغارة رهيبة

لاكتشاف كنز الدكتور هاشم .. وليس معنى هذا أن بيت هاشم أفخم بيت دخلته .. لا .. لكنها شخصية هاشم .. الشخصية التى تسيطر على وتتملكنى .. هى التى اشعرتنى بالرهبة ..

وقادنى السفرجى النوبى المهذب الى صالون جانبى .. وجلست وانا ادير عينى فوق الجدران ، واتلصص بهما من خلال الباب .. ولم انتظر طويلا .. جاءت مديحة تحمل بين شفتيها ابتسامة كبيرة ، وتحمل فى يدها علبة من زجاج البكاراه مملوءة بالشيكولاتة ..

وقبلتنى فوق خدى قائلة :

ـ اهلا وسهلا ..

ثم ابتعدت عنى قليلا ، ثم اخذت تنظر الى من خلال ابتسامتها الكبيرة ، ثم قالت :

ـ لا ، ده انتى حلوه قوى .. أول مره أخويا يبقى ذوقه كويس ..

وارخيت عينى فى خفر ..

وجلسنا احدانا بجانب الأخرى ، على أريكة واحدة .. وقدمت لى الشيكولاتة .. اخذت واحدة ، وانا أرفع عينى اليها لأملأها منها .. انها اصغر مما كنت أعتقد .. هاشم كان يقول لى انها فى الرابعة والثلاثين .. ولكنها تبدو اقل من الثلاثين .. انيقة فى وقار .. وأكثر مرحا مما يعبر عنها صوتها فى التليفون ..

وتبادلنا كلاما كثيرا ، استطاعت به مديحة أن تريح أعصابى ، وتكسب ثقتى واطمئنانى .. ثم بدأت أروى لها حكايتى مع أخيها .. قلت لها كيف عرفته .. لم اقل لها انى ادعيت المرض لأذهب اليه .. قلت لها انى كنت مريضة فعلا عندما التقيت به .. وقلت لها كيف تركت زوجى من أجله ، رغم انى كنت حاملا .. وقلت

لها كيف احتملت الاشاعات التى ثارت من حولنا .. وقلت لها كيف احتمل سخط أمى وأبى وعائلتى .. وكيف أعرض مستقبل ابنتى كله للخطر من أجله .. وأمضت طويلا فى الحديث عن ابنتى .. فهى ايضا لها ابنة .. وقد يرق قلبها لى .. ثم قلت لها انى منذ ثلاث سنوات وانا رفض كل خاطب يتقدم الى .. فى انتظار أن يتقدم هاشم .. و .. دموعى أعصرها مع كلماتى ..

واستمعت الى فى هدوء وصبر .. لم تقاطعنى .. الى ان قالت وأصابعها تعبث بعضها فى بعض لتخفى غضبها :

— والله مش عارفه أقول لك ايه يا أمينه ..

ثم سكتت قليلا واستطردت قائلة :

— هو وعدك بالجواز ؟

ونظرت اليها كأنى الومها . وقلت :

— تقريبا .. ولكن حتى لو ما كنش وعدنى بالجواز .. كان بيحبنى .. ولغاية دلوقتى مفهمنى انه بيحبنى .. وهو عارف آخرة الحب ايه ؟ .

وعادت تقول :

— انتى عايزه رأيى ..

قلت فى مسكنة :

— أيوه ..

قالت وهى تزفر كأنها ضاقت بفظائع أخيها :

— سيبيه .. سيبى أخويا .. غلطتك انك فضلت معاه لغاية دلوقتى .. ما كانش حد ممكن يستحمله كل ده الا انتى ..

قلت لهـا وأنا اشهق ، وقد فوجئت برأيها .. رأى قاس يسد كل الأبواب :

— اسيبه ازاى بس ..

قالت بسرعة :

ــ ما اعرفش تسيبيه ازاى .. انما اللى اعرفه ان اخويا مش حايتجوز .. دى ماما قعدت تتحايل عليه انه يتجوز من يوم ما تخرج وبقى دكتور .. عرضت عليه احسن بنات البلد .. ما فيش فايده .. وقبل ما تموت بتلات اشهر بس ، رضى انه يتجوز علشان يفرحها .. خطبنا له بنت مدهشة .. جمال .. وعيله .. وثقافه .. واخلاق .. واعلنا الخطبه فعلا .. والبنت حبته .. وماتت المرحومه ماما .. ماتت فرحانة .. وبعد ما ماتت بثلاثة شهور بس .. يدوبك بعد الاربعين .. اتلكك على سبب هايف وفسخ الخطبه ، وكسر قلب البنت .. ده حرام عليه .. حرام ومن يومها .. ما فيش فايده يتجوز .. وما اعتقدش انه ينفع فى الجواز .. اخويا فيه حاجات كتير كويسه الا حكاية الجواز دى ..

وبكيت ..

لم افتعل البكاء ..

ولكن بكيت فعلا .. وبكل دموعى ...

ومديحة تربت على كتفى .. وتضغط على يدى .. وتمسح على شعرى .. وهى تقول :

ــ انا باقولك الحقيقــه يا امينه .. مش عايزه اضــحك عليكى .. لازم تسيبيه .. انسيه .. كل حاجه بتتنسى ..

وتنهدت تنهيدة عميقة ، وقالت فى صوت خافت :

ــ كل واحده فى حياتها حاجة اضطرت تنساها ..

ولم استطع ان اناقشها طويلا ..

انها كأخيها .. تصدمك بالحقيقة .. بلا رحمة ..

واخذتنى الى الحمام لاغسل وجهى بعد بكائى الطويل ..

ونظرت الى الجدران القيشانى .. وادوات الزينة الأنيقة الملقاة فوق الـ[illegible] .. كأنى أودع كل شىء أراه .. وخرجت ..

خرجت وانا اكره مديحة ..

اكرهها واحقد عليها ..

انها تستطيع أن تقول لى ببساطة .. انسيه .. لأنها ليست هى التى ستتحمل الم النسيان .. انها لم تفكر فى انى قد لا استطيع ان اتحمل هذا الالم .. قد لا انساه .. والا لكانت انتقت لى نصيحة اخرى غير النسيان .. ولوقفت بجانبى حتى تجبر اخاها على زواجى ..

ولكن ..

انسيه ..

هكذا ببساطة ..

انى أكرهها ..

واكره هاشم أيضا ..

وعقلى يغلى طول الطريق ..

الى ان وصلت الى البيت .. واندفعت نحو أمى قائلة كأنى اصرخ :

ــ ماما .. أنا خلاص حاسيب هاشم .. شوفى لى واحد اتجوزه ..

وقالت امى والفرحة تزغرد على وجهها :

ــ بركة يا بنتى .. خلاص .. من بكره يجيلك العريس .. اهى خالتك نعيمه جايبه عريس بالدنيا كلها .. اسمه حسن عبد الكريم .. مهندس .. وابن باشا من بتوع زمان ..

ولم ارد عليها ..

دخلت غرفتى وارتميت على فراشى وعيناى معلقتان فى السقف ..

قررت أن أنسى هاشم ..

وكنت مخلصة فى محاولة نسيانه ..

صدقونى ..

كنت مخلصة فعلا ..

وكل هذه النار التى احرقت حياتى ، شبت لأنى حاولت نسيانه .. كل يوم من أيامى التى مرت بعد ذلك ، لويته بيدى ، لاصنع منه آلة حادة اقطع بها ما بينى وبين هاشم .. ولم أكن ادرى أنى اقطع فى نفسى .. فى قلبى .. فى عقلى ..

ما هو النسيان ..

هو أن أستبدل بقلبى قلبا جديدا .

وأن أستبدل بعقلى عقلا جديدا ..

وأن أستبدل بجسدى جسدا جديدا ..

كنت اعتقد أن هذا هو النسيان .. وكنت اعتقد أن هذا ممكن .. ولكن .. لا .. ليس هذا هو النسيان .. ولا يمكن أن نعثر على قلب جديد ، ولا عقل جديد ، ولا جسد جديد .. القلب واحد ، والعقل واحد ، والجسد واحد .. الى أن نموت ..

والنسيان هو أن تحتمل جرح قلبك الى أن يندمل .. وتحتمل جرح عقلك الى أن يجف .. وتحتمل جرح جسدك الى أن يلتئم .. أن تحتمل العذاب الهائل المريع ، شهرا .. شهرين .. سنة .. سنتين .. الى أن يجف العذاب .. وحتى بعد أن يجف العذاب ، سيترك وراءه اثرا مشوها ، كالشرخ فوق لوح الزجاج .. وتعيش طول عمرك بقلب مشروخ ، وعقل مشروخ ، وجسد مشروخ ..

ليس هناك انسان استطاع ان ينسى .. ابدا .. كل

ما يستطيعه الانسان هو ان يزيح ذكرياته من امام عينيه ، ويضعها فى مؤخرة راسه .. وعملية الازاحة هذه هى العملية الصعبة .. هى العذاب الأكبر .. عذاب لا يستطيع كل انسان أن يحتمله ..

ولم احتمله انا ..

وكنت أعتقد انى استطيع احتماله .

كنت اعتقد انى يكفى ان اتخذ قرارا بأن اهجر هاشم ثم اتزوج .. وينتهى كل شىء .. افيق من هذه الحياة القلقة المهوشة ، لأعيش فى استقرار وهدوء .. كما تعيش ابنة عمى مع زوجها واولادها .. وكما تعيش ابنة خالتى .. انى لست أقل منهما .. انا اجمل منهما واذكى ، وأولى منهما بسعادتهما .. كنت اقول لنفسى هذا الكلام .. ثم اعود واذكر نفسى بالمرات السابقة التى حاولت ان انسى فيها هاشم وفشلت .. واقول لنفسى .. يا بت مش حاتقدرى .. ده انتى واقعة لشوشتك .. مش ممكن حاتسيبيه ، ولا حاتنسيه .. ولكى اشد ارادتى ، وأعود أحاول ان اقنع نفسى بأنى لم اكن جادة فى المرات السابقة .. كنت لا ازال اعيش فى بعض الأمل .. ولكننى الآن فقدت كل الأمل .. واليأس من هاشم سيعيننى على هجره ونسيانه ..

ومر يوم ولم اتصل به ..

ولم يحاول ان يتصل بى .. ليس من عادته أن يتصل بى اذا لم اتصل به ..

وحاولت ان اشغل نفسى فى هذا اليوم بكل شىء يبعدنى عن التليفون .. التصقت بأمى حتى تحمينى من نفسى .. ولعبت الكتشينة مع اخوتى .. وذهبت معهم الى السينما فى حفلة الساعة الثالثة .. ثم خرجت مع أمى فى المساء لزيارة احدى خالاتى ..

ونمت ..

نمت وكل عقلى وكل قلبى مع هاشم .. ترى ماذا فعل فى هذا اليوم .. هل أشتاق الى .. هل تنبه الى انى لم أحادثه فى التليفون .. هل قالت له أخته انى ذهبت الى زيارتها .. هل ذهب الى لقاء فتاة أخرى .. لعله حمد الله لأنى اخليت له الطريق فالتقى بمرفت دون أن يخشى ملاحقتى .. والغيره تعصف بى .. وتخف الغيرة حينا لتنقلب الى شوق .. والحنين اليه يعرصنى فى قلبى ، ويشد من جسدى ..

وقمت فى اليوم التالى .. والفراغ يمتد أمامى .. الملل .. والزهق .. والخطوات البطيئة المتكاسلة .. ولكننى لن اتصل بهاشم .. مستحيل .. ان ارادتى قوية .. وقرارى نهائى .. ولكن .. لعل من حقه ان يعلم بهذا القرار .. انى لا أستطيع أن اهجره هكذا ، دون كلمة وداع .. ثم أنه صاحب حق على .. اربع سنوات من عمرى ليست شيئا هينا حتى أسحبها منه بلا كلمة .. و ..

ورفعت سماعة التليفون واتصلت به ، وسمعت صوته منطلقا طبيعيا كأنه لم يشعر بأنه مر يوم دون أن اتصل به .. وقال :

— كنتى فين .. ما تكلمتيش امبارح ليه ؟ ..

قلت فى وقار وقلبى يخفق لصوته :

— وحشتك ؟ ..

قال :

— طبعا ..

قلت وأنا أضع رنة تحد فى صوتى :

— يظهر حاوحشك على طول ..

قال وقد هدأ انطلاق صوته :

ـــ قصدك ايه ؟ . .
قلت :
ـــ خلاص . . حاتخطب . .
وسكت . .
سكت برهة طويلة . .
وقلت وكأني شامتة فيه :
ـــ زعلت . .
قال وفي صوته حشرجة خفيفة :
ـــ ابدا . . بس اتفاجئت . .
قلت متهكمة :
ـــ على كل حال انا عملت زى اختك ما وصتنى . .
قال في أسى :
ـــ أختى لها حق . . وانتى لك حق . .
وسكت قليلا ثم قال .
ـــ ومين الخطيب المره دى . .
قلت كأنى اغيظه :
ـــ واحد كويس قوى . .
قال :
ـــ اسمه ايه ؟ . .
قلت :
ـــ ما اقدرش أقول لك . .
قال :
ـــ ما دام كويس . . مش عايزه تقولى اسمه ليه . .
قلت :

— مش دلوقتى .. يمكن اقول لك بعدين .. المهم انى مش حاقدر اشوفك بعد كده ..

قال وهو يتنهد :

— برضه أحسن ..

واغتظت .. كنت أريده أن يطلب لقائى ولو لآخر مرة .. كنت اريده أن يتوسل الى .. أن يبكى .. أن يشعرنى بأنه لا يستطيع أن يستغنى عنى .. لا يستطيع أن يعيش بدونى .. وربما كنت ذهبت اليه .. بل قطعا كنت سأذهب اليه لو طلب لقائى ، فقد كانت كل قطعة منى تحن اليه .. ولكنه لم يفعل .. تركنى لقرارى ..

واعدت سماعة التليفون وانا نادمة .. نادمة لأنى حادثته ..

وانقضى اليوم أثقل من سابقه .. وجاءت خالتى سعدية لتحدثنى عن العريس الجديد .. عريس لقطة .. وهو فعلا لقطة .. ولكنى كنت أستمع الى حديثها فى برود .. ليس هناك أمل يحرك دمائى ، أو يثير لهفتى .. كنت يائسة .. اكتشفت أنى يئست من نفسى منذ قررت أن أيأس من هاشم ..

وجاء العريس ..

حسن ..

شاب فى الرابعة والثلاثين .. أسمر .. حلو التقاطيع ، يحمل فوق وجهه شاربا كثا كبيرا ، اكبر من سنه .. ربما اقتبسه من الانجليز عندما كان يتلقى علومه فى انجلترا .. وضحكت لشاربه عندما رايته لأول مرة .. ولمحت الفرحة فى عينيه عندما رآنى كانه لم يكن ينتظر ان يجدنى جميلة الى هذا الحد .. انه من الناس الذين لا يرون صدرى الصغير ، ولا ظهرى الممسوح ؛

ولا يعتقدون أن عينى الواســعتين جاحظتـــان ، أو أن بشرتى البيضاء صفراء ..

وجلست أمامه وانا أدعى خفر العروس وهدوءها ..

وهو ثابت الشخصية .. جرىء .. لم يرتبك .. ولم يتلعثم .. رغم فرحته بى التى تبدو فى عينيه .. ولم تنقض لحظات حتى ملك الحديث كله .. واثار ضحكات أمى .. وقهقهة زوجها .. وفى خلال حديثه كنت ألمح عينيه يتفحصانى .. يسقطان على ساقى .. ويرتفعان الى صدرى .. ويتوقفان عند شفتى .. وربما جرأته لم تجرحنى ..

وتحمس له زوج أمى الى حد أن أصر على أن يدعوه ليلتها الى العشاء .. وفتح له زجاجة ويسكى .. وزوج أمى لا يفتح زجاجة ويسكى الا فى المناسبات العزيزة ..

وامتلأ الليل بالضحكات التى أثارتها نكات حسن وتعليقاته ..

وعندما هم بالانصراف أمسك بيدى وضغط عليها ضغطة واضحة جريئة ، ورفع الى عينيه الفرحتين بى ، ثم انحنى يقبل يدى ..

وسرت قبلته حتى كوعى ..

لا أكثر ..

وسحبت منه يدى ، وانا انظر اليه وأبتسم فى خفر .. لا زلت أمثل دور العروس ..

وبعد أن خرج ، سألتنى أمى والفرحة تزغرد على وجنتيها :

ــ ايه رايك باه ؟ ..

قلت بلا مبالاة :

ــ بايين عليه جُدع كويس ..

وصاح زوج أمى :

ـ كويس بس .. ده لقطه .. علم ومركز وعيله .. عمرك ما حتلاقى أحسن منه ..

وابتسمت لزوج امى كأنى اطمئنة .. ودخلت غرفتى افكر فى حسن .. ووجدت نفسى أقارن بينه وبين هاشم .. انه لا يقل عن هاشم .. لا فى المركز ولا فى العيلة .. ربما يقل عنه فى شهرته .. هاشم كطبيب اشهر من حسن كمهندس ويختلف عنه فى الشخصية .. كلاهما له شخصية تبرز فى أى مجتمع .. ولكن شخصية هاشم أثقل فى وزنها من شخصية حسن .. وكلاهما وسيم .. ربما لو كان أنفه حسن أكبر قليلا ، لأصبح فى وسامة هاشم ..

ولكنى وجدت نفسى بعد قليل افكر فى حسن من وجهة نظر هاشم .. لم يعد المهم هو رايى فى حسن ، بل رأى هاشم فيه .. وأخذت أتصور ماذا يمكن أن يقول هاشم عن حسن .. عن شكله .. عن مركزه .. عن عائلته .. وهل يمكن ان يغار منه .. ثم اخذت انساق وراء احلام كأحلام الأطفال .. تصورت نفسى اتعشى فى سميراميس مع حسن ، وهاشم جالس فى مائدة مواجهة ينظر الينا فى غيظ ونكد .. وانا اميل على حسن واضع رأسى بجانب رأسه ، ونضحك .. ثم انظر من طرف عينى الى هاشم لأشرب من غيظه ومن نكده .. ثم تستطرد بى الأحلام .. فأتصور أن هاشم ايضا معه أمراة أخرى .. وأتصور حالى .. هل أستطيع ان أبتسم ساخرة .. هل أستطيع أن أهز كتفى بلا مبالاة .. لا .. لن أستطيع .. ربما قمت وانصرفت بمجرد ان اراه مع أخرى .. ربما صرخت .. ربما هجمت عليها وأنشبت اظافرى فى وجهها .. وأحسست بقلبى يرتعش لمجرد هدا

التصور .. احسست بدمائى تثور .. رأسى يلتهب .. عيناى تشقان ظلام الغرفة لاتأكد أن ما أتصوره هو مجرد تصـــور .. وانى لم ار هاشم .. فى سميراميس مع أخرى ..

وانتهيت الى انى اصبحت أفكر فى هاشم وحده .. نسيت حسن .. وبدات قول لنفسى كلاما يضعفنى .. لماذا قررت ان اهجر هاشم الآن .. لماذا لا انتظر الى ان تعلن خطوبتى رسميا ثم أهجره .. قد لا تعلن الخطبة .. قد يحدث اى شىء .. فلماذا لا احتفظ بهاشم حتى اخر يوم . انى فى حاجة اليه .. وانا اشعر وهو معى بأنى قوية .. استطيع على الأقل أن اتمعن فى الرجل الذى سأتزوجه ، ولا ارتمى عليه لمجرد الخلاص من هاشم ..

وتملكنى هذا الضعف ..

وكنت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ..

والبيت كله نائم ..

وتسللت على أطراف أصابعى الى التليفون ، وعدت به الى غرفتى ، وادرت رقم هاشم .. فى البيت .. وسمعت صوته .. انه يضع التليفون دائما بجانبه عندما يكون فى البيت .. انه طبيب ..

وقلت فى صوت هامس ، رغم انه لم يكن هناك داع للهمس :

ــ ازيك ..

وقال وهو يقلدنى فى همس :

ــ ازيك انتى ..

وهمست :

ــ انت فاضى بكره الساعه اربعه ؟

وهمس :

ـــ آه ..

وهمست :

ـــ طيب حاشوفك بكره .. تصبح على خير ..

وضعت سماعة التليفون ، وقمت اتسلل واعدت التليفون الى مكانه ..

ولم اندم ..

استرحت ..

ونمت ..

وذهبت اليه فى اليوم التالى .. وكنت اشعر بأنى قوية وانا ذاهبة اليه .. قوية فى شخصيتى ، وفى اعتزازى بنفسى .. قوة استمدها من حسن .. فلم يعد هاشم هو الرجل الوحيد فى حياتى .. لم أعد فى حاجة اليه لأتزوج .. انى استطيع ان اتزوج غيره بسهولة ..

وكان فى انتظارى ..

فتح لى الباب .. ووقف ينظر الى ، كأن كل حبه تجدد فى لحظة واحدة .. ولا ادرى لماذا شعرت ساعتها بأنه مهتز .. فيه شيء مهتز .. وابتسمت له ابتسامة قوية كأنى أشفق عليه .. اتعطف عليه ..

والقى نظرة سريعة على أصابع يدى ، كأنه يبحث فيها عن شيء .. فلم يجد فيها سوى دبلته الفضية .. واتسعت ابتسامته .. ثم أخذنى بين ذراعيه .. وضمنى اليه فى حنان عجيب لم اشعر به منه من قبل .. كأنه يستريح فى صدرى .. ثم أبعدنى عنه وابتسامته لا تزال تملأ همه .. وقال :

ـــ انتى صحيح اتخطبتى ..

وهززت رأسى وقلت :

ـــ تقريبا ..
قال وهو ينظر فى عينى كأنه يبحث عن الحقيقة :
ـــ تقريبا يعنى ايه ..
قلت وأنا أبتسم فى تدلل :
ـــ يعنى كان عندنا امبارح لغاية نص الليل ..

وادار لى ظهره ، وقد انهار وجهه حتى خيل الى ان انفه سيقع من مكانه ، وتقدم من المكتبة الصغيرة والتقط كتابا ، أخذ يقلب فيه كعادته عندما يغضب ..

وقلت فى لهجة قوية :

ـــ هاشم .. ما تعملش كده .. لازم تشجعنى على انى اتخطب .. واتجوز .. انت عارف انى مش ممكن اعيش بالشكل ده على طول ..

قال وهو يحاول أن يسترد بروده وغروره :
ـــ يعنى عايزانى أعمل ايه ؟ ..
قلت :
ـــ عايزاك تبقى لطيف معايا ..
قال :

ـــ لو كنتى عايزانى اشجعك على الجواز يبقى لازم ماكنش لطيف معاكى .. لازم أخليكى تكرهينى ..

قلت وأنا اقترب منه :

ـــ انت عارف ان عمرى ما حاكرهك .. ولو حاولت تخلينى اكرهك حاتعلق بيك زياده .. لو كنت عايزنى اتجوز بصحيح خليك لطيف معايا لغاية ما اتجوز .. لغاية ما اقدر استغنى عنك ..

قال وهو يلقى الكتاب من يده وينظر فى عينى :

ـــ واقدر اكون لطيف ازاى وانتى كنتى قاعده مع واحد تانى لغاية نص الليل ..

وقاطعته وانا التصق به :

ـــ بتغير على للدرجه دى يا هاشم ..

قال وهو يشيح بوجهه عنى :

ـــ مش غيره .. مبدا .. مبادىء يا أمينة .. لازم تعرفى ان مش ممكن تكونى لرجلين فى وقت واحد .. .. الجوازه اللى فاتت ، استحملنـــاها لأنك كنت متجوزه غصب عنك ، ولأنك اتجوزتى قبل ما تشوفينى . انما الدور ده بتتجوزى بارادتك .. ما لكيش عذر .. ولا لى عذر ..

قلت وانا أطوق عنقه بذراعى :

ـــ عذرى انى لازم اتجوز وعذرك انك مش عايز تتجوز ..

ورفع يديه ليزيح ذراعى من حول عنقه .. وهو يقول :

ـــ ده مش عذر .. ده موضوع تانى .. ده ..

وقبل ان يتم ، اسكته بشفتى ..

ذابت بقية كلماته فوق لسانى ..

وذبت فى قبلته .. ذبت .. كأنى لم أقبله منذ مائة سنة .. وكل قطعة منى تتمسح فيه .. وجسدى الذى شققه العطش يشرب ..

ولكن هاشم تغير

ليس عنيفا ..

لا يضربنى ..

اخذنى برفق واحترام .. كأنى شىء كبير محترم .. وفى عينيه نظرة ضعيفة مبتهلة .. كأنه يودعنى .. او كأنه يأخذ

شيئا لم يعد من حقه .. او كانى اصبحت اقــوى منه لمجرد أن رجلا آخر تقدم ليخطبنى ..

انى لا أريده هكذا ..

لا أريد ان أكون اقوى منه .

لا أريد أن أكون محترمة ...

اريده عنيفا كما تعودته ... يضربنى .. يمزقنى .. يلوى خصلات شعرى بين أصابعه ... وفى عينيه هــذه النظرة التى تخيفنى . كأنه سيخنقنى .. سيشرب دمى .. ســيأكلنى .. و ..

وانشبت اظافرى فى كتفه العارى .. بكل حدتها .. فصرخ ... وضربنى ..

ورغم ذلك .. فبعد أن انتهت هذه اللحظات عدت أتمتع باحساسى بالقوة .. قوتى عليه .. وتمتعت بنظرته الضعيفة وهو يسألنى فى لهفة :

ــ حاقدر أشوفك تانى ؟ ..

وقلت ونا ابتسم ابتسامة واثقة فيها خيلاء :

ــ مش عارفه لسه ..

وخرجت وانا ادب الارض بكعب حذائى العالى فى خيلاء كأنى فتحت عكا .. كأنى امبراطورة زمانى ..

وقد عدت اليه ..

عدت مرات كثيرة ، وانا اتعلل بأن خطبتى الى حسن لم تعلن بعد .. ويوم تعلن لن اذهب اليه .. سأقطع ما بينى وبينه ..

وحسن يتردد على البيت كل يوم ، يحمل شاربه الكث تحت انفه ، ويحمل فى يديه هدية .. ولكنه يأتى وحده .. المفروض أن تأتى معه امه ، أو أبوه ، أو احدى اخوته البنات ، حتى نبدا

فى اتخـــاذ اجراءات الخطبة .. أبوه ســـافر .. أخته دخلت المستشفى ..

ولم أصدق كل هذه التعللات ..

ولخفت ...

خفت أن يكون قد سمع شيئا عن حكايتى مع هاشـــم .. ومنذ ان جاء ورأيته لأول مرة ، وانا أسائل نفسى هذا السؤال .. هل يعرف شيئا .. وطمأنتنى مواظبته على التردد على البيت ، واستمراره فى مشروع الخطبـــة .. ولكنى عدت أخـــاف .. والخوف يضعفنى أمام هاشم ..

الى أن كان يوم ..

وجاء حسن كعادته .. وبعد أن جلس مع العائلة كلها بعض الوقت ، نظر الى نظرة طويلة ، وعلى شفتيه ابتسامة باهتة . ثم التفت الى أمى قائلا :

ـــ اقدر اقعد انا وميتو لوحدنا شويه ؟ ..

والتفتت أمى الى زوجها ، ثم ترددت قليلا ، وقالت :

ـــ وماله يابنى .. ده حقك ..

وكانت أمى حريصة حتى هذا اليوم على ألا تتركنا وحدنا ابدا ، حتى تدخل فى وهم حسن اننا عائلة محافظة .. ولكنها اضطرت أمام نظرة حسن الجادة ، أن تذعن لطلبه ..

والتفت الى حسن وقال :

ـــ تحبى نقف فى الفرانده شويه ؟

وهززت راسى بالموافقة ، وخـــرجت الى الشرفة وقـــلبى يرتجف ، واستندت على حاجزها ، أطل على الشـارع ، وجاء حسن ورائى ووقف بجانبى .. واشعل سيجارة .. وصمت قليلا .. ثم قال ودخان سيجارته يتخلل شعرات شاربه الكث :

ـ انا حاكلمك بصراحه يا ميتو .. مش حا اخبى عنك حاجه .. واللى يخلينى اكلمك بصراحه ، انى فعلا اتمنى اليوم اللى نتجوز فيه .. أنا حاسس من دلوقتى انى باحبك .. وباحبك قوى كمان ..

ورفعت اليه عينى الواسعتين ، ثم خفضتهما ، دون أن اتكلم .. لم أجد شيئا اقوله ..

واستطرد حسن قائلا :

ـ انا أمى واخواتى ، معارضين فى جوازنا ..

ورفعت رأسى اليه فى لفتة عنيفة ، كأنى ضقت بخوفى وارتجافة قلبى ، وقلت والدماء تتجمع فى رأسى :

ـ أنا كنت حاسة بكده .. واحب اقول لك من دلوقتى اننا مش ممكن نتجوز الا اذا كانوا اهلك موافقين .. وييجوا يخطبونى كلهم ..

وقال كأنه يعتذر لى :

ـ ارجوكى يا ميتــو .. استحملى كلامى للآخر .. لازم نتكلم بصراحه .. ومن غير زعل .. أنا حاسس انك تقــدرى تفهمينى أكتر ما أهلى يقدروا يفهمونى ..

وعدت أطل من فوق حاجز الشرفة ، وقلت :

ـ اتفضل اتكلم ..

قال :

ـ اننى عارفة الأمهات ، وعقليـــة الأمهات .. أمى كانت الأول بتعارض لأنك سبق اتجوزت ولأنك مخلفة .. وطبعا هى فاهمه ان ابنها صغير وما يصحش انه يتجوز واحده مطلقه .

واحسست انه يشتمنى ، ولكنى بقيت صامتة .

وعاد يقول :

— وطبعا ده كلام فاضى .. وانا عارف انى اقدر اقنع امى .. وعارف ان امى مستعدة تضحى بكل آراءها علشان سعادتى .. انما فيه موضوع تانى ..

وعدت أرفع راسى اليه ، وعاد قلبى يرتجف ، وقلت وانا أحاول أن أضع على شفتى ابتسامة ساخرة :

— خير ..

وقال وهو يدير عينيه عنى :

— سمعت انك تعرفى .. او كنت تعرفى الدكتور هاشم عبد اللطيف .. وفضلت تعرفيه مده طويله ..

وسقط قلبى فى قدمى ..

وبقيت كما انا ، اطل من فوق حاجز الشرفة ، دون أن التفت اليه ، وقلت وانا احس بشوكة فى زورى :

— سمعت من مين ؟

قال كأنه يواسينى :

— من اخواتى البنات .. والحقيقة ناس كتير عارفين الحكايه دى ..

والتفت اليه والدموع تنبثق من عينى ، وقلت :

— انت عايز الحق .. ايوه كنت أعرفه .. قعدت سنتين اعرفه .. وكان مفروض نتجوز .. ومتجوزناش .. وسبته .. وما كانش ممكن انى اقبل اتخطب لك الا اذا كنت سبته ..

وغلبتنى دموعى ..

بكيت من الغيظ .. بكيت من خوف الفشل ..

ونظر الى حسن فى حنان ، وقال كأنه يريد أن ينتهى من الموضوع حتى اخره :

— اقدر اعرف ما تجوزتوش ليه ؟ ..

قلت بسرعة :

ـــ لأنه سافل .. زى اى واحد بيعرف بنت ولا بيتجوزهاش ..

قال فى هدوء :

ـــ كنتى بتحبيه ؟ ..

قلت بحدة وانا انظر اليه فى غضب :

ـــ طبعا كنت باحبه .. أمال كنت حا اعرفه ليه ..

قال وهو لا يزال هادئا :

ـــ ولسه بتحبيه ؟ ..

قلت وانا ازداد حدة :

ـــ لا .. لو كنت لسه باحبه كان زمانى لسه معاه .. قلتلك سبته .. وكفايه يا حسن .. كفايه .. انت مالكش حق تحقق معايا .. انا مش واحده خانتك ولا ضحكت عليك .. احنا لسه ما تجوزناش علشان تعذبنى بكلامك .. انا قلت لك على كل حاجه ، وبعد كده انت حر ..

وهممت ان اتركه .. ولكنه أمسك بيدى فى رفق ، وقال :

ـــ انا آسف يا ميتو .. انما كان لازم اقولك كل اللى فى قلبى .. انا ترددت كتير قبل ما افاتحك فى الموضـــوع ده .. بقالى سبعة أيام ما بنمش .. وانا مقدر صراحتك .. ماتقدريش تعرفى اد ايه انا سعيد لانك اعترفت لى بكل حاجه .. الاعتراف لوحده معناه انك احسن بنت فى مصر .. معناه انك ست الستات كلهم ، واشرفهم .. وانتى عارفه انى عشت فى انجلترا .. مانيش مقفول ولا شيخ طريقه .. وعارف ان كل بنت ضرورى فى حياتها راجل قبل جوزها .. ومش عيب .. انما انا عايزك تسيبينى افكر يومين .. فيه حاجه لازم اتخلص منها قبل ما آخد قرارى .. و ..

وقاطعته قائلة فى حدة :

ــ فكر زى ما انت عايز ..

وهممت أن ادخل الى الغرفة .. ولكننى تذكرت زوج أمى .. فتوقفت وقلت له ، وانا امسح دموعى :

ــ حانقول لماما وجوزها ايه !

قال :

ــ حا اقول لهم انى لسه باقنع أمى ..

قلت :

ــ من فضلك ما تقلهمش حاجة .. روح دلوقتى حالا .. ومش ضرورى ترجع ..

وقال وهو يبتسم ابتسامة حزينة :

ــ حاضر ..

ثم دخلنا معا الى الغرفة .. وامى تبحلق فى وجهى لتقرا فوقه ما تبادلناه من حديث ..

وصافح حسن امى وزوجها وقبل اخوتى الصغار .. وخرج معتذرا بأنه على موعد .. وصاح زوج امى ورائى بلهجته العسكرية :

ــ قالك ايه ؟

قلت وأنا ادخل غرفتى :

ــ بعدين ماما تقولك ..

ودخلت غرفتى ..

ولحقت بى أمى ..

وقلت لها ما قاله لى حسن .. قلت لها ان أمه واخوته معارضين فى زواجه منى ، لأنى مطلقة .. ولأن عندى ابنة .. ولأنى اعرف هاشم ..

دقت أمى على صدرها ، وقالت :

ــ طار الرجل ..

ثم التفتت الى بكل عينيها قائلة :

ــ وقلتى له ايه على سى هاشم بتاعك اللى مهبب عيشتنا ، وخارب بيتنا .

قلت وانا انظر الى السقف :

ــ قلت له انى كنت أعرفه وسبته ..

وعادت تدق على صدرها قائلة :

ــ وده اسمه كلام ده .. كان لازمته ايه تقولى له انك كنت تعرفى هاشم .. اذا كانت الناس فاضحاكى ، مش ضرورى تفضحى نفسك ..

قلت وانا لا زلت أنظر الى السقف :

ــ كده أحسن ..

وصرخت والدموع تنطلق من عينيها :

ــ ولا أحسن ولا حاجه .. أعمل ايه بس ياربى .. يا رب حرام .. حرام .. حرام تميل بخت البنت بالشكل ده ..

ثم خرجت تمسح دموعها ..

وانا لا زلت أنظر فى السقف ..

هل كان الأفضل لى أن انكر علاقتى بهاشم .. واصر على الانكار .. لعله كان يصـــدقنى ، ويكذب كل الناس .. أم كان الأفضل هو ما فعلته .. هو أن أعترف .. انى لم أعــترف بلا تفكير ، بل فكرت بسرعة .. فى لحظة خاطفة كان عقلى قد تحرك واتخذ قرارا بالاعتراف .. وكنت معتمدة على أن الاعتراف قد يقنع حسن بأن علاقتى بهاشم كانت بريئة ، نظيفة ، بدليل أنى أعترف بهـــا .

هل صدق حسن براءتى ..

هل يعود ..

لا ادرى ..

ولكنى تبينت ساعتها أنى بعت مستقبلى كله لهاشم .. انى لم اعد استطيع ان اتزوج .. لا يكفى أن أكون جميلة ، وان تكون أمى وخالاتى الخمس حتى استطيع ان أتزوج فى اى وقت أشاء .. وامتلأت بالحقد .. الحقد على هاشم .. لقد بعته مستقبلى وربما مستقبل ابنتى ، وهو لم يبعنى شيئا سوى هذه اللحظات القصيرة ، وهذه النقود التى يعطيها لى ..

وشعرت كأنى أفيق .. افيق الى الهوة السحيقة التى ترديت فيها .. وتصورت نفسى كأنى انشب اظافرى فى جدار املس لأتسلقه واصعد الى وجه الدنيا .. الى النور .. الى المستقبل ..

لا ..

لن اعرف هاشم بعد اليوم ..

كفانى ..

ورغم ذلك . اتصلت به فى التليفون صباح اليوم التالى .. كان اليوم فارغا ، وانتظارى القرار الذى سيتخذه حسن يقتلنى .. فاضطررت ان أحادث هاشم .. كأنى اريد أن اطمئن الى أنه لا يزال حيا حتى اقتله .. ولم اقل له ما جرى بينى وبين حسن بالأمس .. خفت ان يشمت فى .. أن يفرح .. اكتفيت أن احادثه حديثا باردا .. ولم أحدد معه موعد لقاء .. كنت قد صممت الا اذهب اليه ..

ومر يوم ولم اسمع شيئا عن حسن ..

واليوم الثانى ..

وفى اليوم الثالث اتصل بى فى التليفون ..

كان رقيقا مهذبا وفى صوته رنة الم .. وحدثنى عما سمعه من الناس ؛ وكذبت له كل ما سمعه .. انت عارف كلام الناس يا حسن .. يعنى هم كانوا معانا يا حسن .. الناس ما يصدقوا يلاقوا حكاية يتكلموا فيها يا حسن .. أصل علشان هاشم مشهور الكلام كتر حوالى يا حسن ..

وحسن يبذل كل جهده ليصدقنى .. وليخرج من حيرته ..

واستمر حسن يحادثنى فى التليفون كل يوم .. أحيانا مرتين وثلاث مرات فى اليوم .. انه يحبنى .. لا شك أنه يحبنى .. وأمى واقفة بجانبى تتلقى منى نشرة الأخبار .. ويطمئن قلبها حينا .. وتبأس حينا ..

وطوال هذه المدة لم أذهب الى لقاء هاشم ..

كنت خائفة على نفسى من لقـــائه .. خائفة أن يطير منى حسن .. ولم يكن حسن وحده يكفى ليشغلنى عن هاشم .. ابدا .. انى لا زلت أفكر فى هاشم كل يوم .. كل دقيقة .. وقلبى وجسدى يتمزقان لهفة عليه .. ولكن المعركة كانت تعيننى على الابتعاد عنه .. المعركة التى أخوضها لاسترد حسن .. واســـترد ثقتى فى نفسى .. فى ذكائى .. فى جمالى .. فى قدرتى على التحكم فى مستقبلى ..

وعاد حسن ..

عاد يخطبنى .. وضغط على أمه واخوته البنات ، حتى جئن معه ...

وحددنا موعد اعلان الخطبة فى الأسبوع التالى ..

وامتلأ وجه أمى بالفرحة .. وزغردت خالاتى الخمس .. وقهقه زوج أمى قهقهته العسكرية .. وخيل الى أن شارب حسن ما هو الا رذاذ ضحكة كبيرة تجمدت فوق شفتيه ..

واستعدت ثقتى فى نفسى ..

كل ثقتى ..

ثقتى بأن مستقبلى بين يدى .. ملك ذكائى .. أستطيع أن اتصرف فيه كيف اشاء .. مهما فعلت .. مهما قال الناس عنى ..

وفى نفس اليوم الذى جاء فيه حسن وامه ليخطبانى ، وبعد أن انصرفا اتصلت بهاشم فى التليفون ..

وذهبت الى لقائه فى اليوم التالى ..

ترى .. لو لم يعد حسن ليخطبنى ، هل كنت أعود الى لقاء هاشم ؟

لا أدرى ..

ولكن يخيل الى انه لو كان حسن قد صمم على العدول عن الخطبة ، لكان ألقى على درسا ينبهنى الى خطورة الطريق الذى اسير فيه .. ولامتلأت حقدا على هاشم الذى أضاع مستقبلى . وهجرته .. ولكن .. لأن حسن عاد ، فقد ازددت استهتارا .. وازددت اندفاعا فى جراتى .. وفى خطيئتى ..

المهم ..

ذهبت الى هاشم ، وانا لا زلت احتجج بينى وبين نفسى بأن الخطبة لم تعلن بعد ، وانا يوم تعلن ، فسأكف عن هاشم .. بضعة أيام أخرى .. ثم ينتهى هاشم من حياتى ..

واستقبلنى هاشم ، ونظرة ضعيفة مسكينة تطل من عينيه المنتفختين .. كان يتألم .. ويقاوم حتى لا يبدو عليه الألم .. كان يعرف أنه لم يعد الرجل الوحيد فى حياتى .. هناك آخر ..

وشعرت بالسعادة ، وسرت القوة فى شخصيتى ، وانا ارى النظره الضعيفة تطل من عينيه ..

يبدو اننى لا استطيع أن اكون سعيدة ولا قوية ، الا اذا كنت لرجلين فى وقت واحد ..

وقال هاشم وهو يتنهد :

ــ أحنا مش لازم نشوف بعض بعد كده ..

قلت فى استهتار ساخر :

ــ ما تخافش كلها يومين ومش حاشوفك أبدا .. يا ترى حاتقدر تعيش من غيرى يا هاشم ؟

وهز كتفيه والألم مرتسم فوق شفتيه :

ــ مش عارف حاعيش ازاى .. انما متأكد انى مش حاموت ..

وضحكت :

ــ بعد الشر عليك من الموت ..

وقضيت ساعة معه أو ساعتين .. وأنا أميرة .. أنا المسيطرة .. أنا القوية ..

وكل يوم القاء ..

آخذ منه كل ما يستطيع ، واكثر مما يريد .. كأنى اريد أن اعتصره حتى لا أترك فيه شيئا بعدى ..

الى أن أعلنت خطبتى ..

أقمنا حفلة عائلية صغيرة .. بدوت فيها جميلة .. جميلة .. أجمل مما تعودت أن أبدو .. ربما كان سر جمالى يومها هو فرحتى بنفسى ..

والتوب « البروكار » الذى كنت أرتديه ، اشتراه لى هاشم عندما سافر الى دمشق فى العام الماضى .. والحلق الماسى الطويل الذى يتدلى من أذنى اشتراه لى هاشم فى عيد ميلادى .. والخاتم ذو اللؤلؤة الواحدة اشتراه لى أيضا هاشم ...

وثيابى الداخلية كلها .. قطعة ، قطعة .. اشتريتها من نقود هاشم .. وكنت أحس بكل ذلك .. أحس بأن هاشم معى فى حفلة خطوبتى .. بل أحسست أن حسن لم يخطبنى وحدى ، بل خطبنى أنا وهاشم .. مع بعض .. أو .. على بعض ..

وضحكت لهذا الاحساس ..

وأخذنا حسن بعد الحفلة الصغيرة الى الهيلتون لنسهر هناك . ومعنا أمى وزوجها .. واعتذر أبى وزوجته ، لأنهما لا يحبان السهر فى المحال العامة ..

ودعانى حسن فى اليوم التالى لنسهر سويا .. فى ملهى قاصد خير ، وحاولت أمى أن تعارض .. حاولت أن تبدو سيدة محافظة على التقاليد لا تسمح لابنتها أن تخرج وحدها مع رجل الا بعد عقد القران ، حتى لو كان خطيبها .. ولكن امى لم تستطع ان تصر على رأيها ، فهى تعلم أن حسن يعلم عن ماضى الكثير .. وهمس حسن فى أذنى :

ــ احنا لازم نظهر مع بعض كتير ، علشان الناس تنسى الحكايه القديمه ..

وخرجت معه ، ومعنا صديق له وزوجته ..

وحسن أنسان مرح .. يرقص .. ويشرب .. ويضحك كثيرا .. وضحكته تهز شاربه هزات سريعة ، فتجعلك تضحك معه .. وهو جرىء فى كلماته .. جرىء فى لمسات يده .. ان يده لا تكف عنى .. أجدها فوق يدى .. ثم أجدها فوق فخذى .. ثم اجدها على كتفى .. وأجدها تعبث بشعرى .. وأجدها تمسح على ظهرى وهو يرقص معى .. لا استطيع ان اتخلص منها .. انى اقضى السهرة كلها ، أزيح يده عنى ..

وعندما اوصلنى بسيارته بعد قضاء السهرة ، مال على

نيقبلنى .. لم يكن يريد قبلة هادئة .. قبلة على خدى .. أو على يدى .. كان يريد قبلة كبيرة .. وفوجئت به فوق شفتى .. لا يريد أن يتخلى عنهما .. وأنفاسه تهب على كنفخ النـــار .. واعصابه كلها مشدودة حولى .. واضـــطررت أن أكون عنيفة لازيحه عنى . وانا اكاد اصرخ :

— مش كده يا حسن .. ما تبقاش مجنون ..

وفتحت باب السيارة ، ونزلت بسرعة ، كأنى أهرب .. وابتسمت له .. كأنى أرطب أعصابه بابتسامتى ..

وكل ذلك لم يغضبنى من حسن ..

لم أكن أحبه .. قطعا انى لا احبه .. ولكنى كنت أستطيع أن أحتمله .... ولكن ما لم أحتمله منه هو انه لم يستطع ان ينسى هاشم .. كان يذكرنى به دائما .. كان يقطع ضحكته العالية ويهمس فى أذنى .. النهارده شفت الدكتور بتاعك .. ثم يندمج فى حديث مع أصدقائه ويعود الى هامسا .. كنتى بتروحى معاه فين .. ثم يشرب من كأسه ويعود يهمس .. فيه واحده قالت لى النهارده اذك مش ممكن تنسى هاشم .. انه مسيطر عليكى .. ساكنك من جوه .. و .. و ..

وقد ذكرت له كل ما استطيع أن أذكره عن علاقتى بهاشم .. وأصر دائما على انها كانت علاقة بريئة .. وكنت أجيب على بعض أسئلته السخيفة .. واتجاهل البعض الآخر .. ولـــكنه لا يكف عن الحديث عن هاشم ..

وكان حسن يتركنى ، وبمجرد أن يتركنى اجد نفسى افكر فى هاشم .. أفكر فيه بكل قطعة منى .. كان حسن يتركنى لهاشم ..

ومنذ ان أعلنت خطوبتى وقد امتنعت عن لقاء هاشم .. حادثته

فى التليفون مرة أو مرتين .. وذكرت له الأماكن التى أسهر فيها مع خطيبى ، فقط لأغيظه .. ولم أطلب منه شيئا .. ولا هو طلب منى شيئا ، فقط قال فى هدوء وألم :

ــ أرجوكى يا أمينه تبقى تقوليلى حاتسهرى فين ، علشان ما اسهرش فى نفس المكان ، ونحرج بعض ..

وقلت وقلبى ملهوف عليه :

ــ حاضر ..

ولكنى لم اكن أحادثه فى التليفون كل يوم حتى أقول له أين اسهر هذا المساء .. كنت اريد أن اعود نفسى على الحرمان من صوته كما حرمت من لقائه ، وربما كنت أستطيع .. كان يمكن أن أقلل من هذه المحادثات التليفونية الى أن تنقطع .. لو أن حسن ساعدنى .. ولكن حسن لم يساعدنى .. بالعكس .. انه يذكرنى دائما به .. بهاشم .. يذكرنى بأنى لازلت أحبه .. بأنى لا زلت فى حاجة اليه .. يذكرنى به وانا معه .. ثم يتركنى له بعد أن يوصلنى الى البيت ..

ولم استطع أن أقاوم طويلا ..

ذهبت الى هاشم ..

دبلة الخطوبة .. فى اصبعى !

اتصلت به فى التليفون ، وقلت :

ــ عايزاك ضرورى ..

قال :

ــ خير ..

قلت :

ــ ما قدرش اقول لك فى التليفون .

قال :

ـ احـسن بلاش نتقابل يا أمينه ..

قلت فى حدة :

ـ انت فاكر أنا عايزه أقابلك علشـــان حاجه .. أبدا .. لولا انها مسألة مهمة ما كانش ممكن افكر انى اشوفك ..

واستسلم ..

ولقينى زوجته متجهم .. وبوزه شبرين .. كأنه يضع نفسه فى حالة يستطيع بها أن يدافع عن نفسه ..

لا داعى للتفاصيل ..

لقد استمرت علاقتى بهاشم وأنا مخطوبة لحسن .. واستمر هاشم يدفع لى مرتبى الشهرى .. والتناتيش .. وربما رضى هاشم أن تستمر علاقتنا لأنى اقنعته بأنه لو تركنى الآن فسأتعلق به اكثر ، ولن احتمل أن أعيش بعيدا عنه .. ولكنى اكتشفت يومها شيئا جديدا فى هاشم .. اكتشفت انه يخافنى .. أو على الأصح يخاف الفضيحة .. وقد كان يعتبرنى مجنونة .. ويخاف ان ينطلق جنونى اذا عاندنى ، فأتسبب له فى فضيحة تهز مركزه واحترامه .. لذلك رضى أن يستسلم لى الى أن يوصـــلنى الى باب زوجى ، كما كان يقول ..

وكنت فعلا أمنى نفسى بأن اقطع علاقتى به بعد أن أدخل بيت زوجى .. بعد كتب الكتاب .. وقد فشلت فى أن أقطع علاقتى به بعد اعلان الخطبة .. ولكن ما هى الخطبة .. انهـا مجرد كلام .. انها شىء لا يربطنى بحسن .. انها مجرد فترة تفاهم .. بل انى الى الآن لا اعتبر انى أخون حسن .. انى لم اصبح زوجته بعد حتى احاسب على خيانته .. اما بعد كتب الكتاب فسأصبح زوجته ، ويومها يستطيع أن يحاسبنى الناس ، واستطيع ان احاسب نفسى اذا خنته ..

واقنعت نفسى بهذا الكلام .. واصبحت أخرج مع خطيبى حسن .. وأتسلل لألتقى بهاشم .. عشرات الحيل كنت ابتدعها لألتقى به .. وكل حيلى تجوز على حسن .. وكلاهما ــ حسن وهاشم ــ سعيدان بى .. كل منهما يأخذ نصيبه .. وآخذ منه نصيبى .. وأنا قوية .. أشعر بشخصيتى كاملة ثابتة .. قوية على حسن بهاشم .. وقوية على هاشم بحسن .. وسعيدة بقوتى .. كنت أيامها فى منتهى السعادة .. سعادة سوداء .. سعادة مدنسة .. ولكنها سعادة ..

وقد حدث فى هذه الأثناء حادث صغير أعتقد أنه كان له فى حياتى اثر كبير .

كنت فى زيارة ابى ، واستقبلتنى زوجته مرحة اكثر مما تعودتها .. ترتدى قميص نوم فوقه روب دى شامبر ، مشغولين بالدانتيل .. وابتسامة كبيرة تقفز فوق شفتيها وتطل من عينيها .. وسألتها وانا دهشة لحالها :

ــ مالك يا فايزه .. ايه اللى مفرحك كده ؟ ..

ونظرت الى والفرحة تلمع فوق خديها :

ــ اقول لك ولا تقولبش ..

قلت وانا لازلت غارقة فى العجب :

ــ قولى ..

قالت كأنها تزغرد :

ــ اصلى امبارح اتجوزت ابوكى ..

وخبطت على صدرى وانا أضحك قائلة :

ــ انتم كنتم لسه ما تجوزتوش ..

قالت وهى تعوم فى ضحكة رنانة :

ــ لا .. أصلى انا اتجوزت ابوكى حته حته ..

قلت فى دهشة :

ـ حته حنه ازاى ؟ ..

قالت كأنها تروى قصة عمرها :

ـ شوفى يا ستى .. بأه انا عرفت ابوكى وهو مجوز البلوة الى كان متجوزها .. وقعدت معاه سنتين من غير جواز .. وبعدين كتبنا ورقه واحده .. ورقه عرفيه .. وفضل ابوكى شايل الورقه معاه .. وطبعا ما سكتش بعد كمان سنه .. خليته طلق مراته .. وكتب الورقه التانيه .. اديتها لأبويا ، وجبت قعدت مع أبوكى .. يعنى اتجوزنا جواز عرفى .. وبرضه ما سكتش .. فاتت كما سنتين .. وامبارح بس كتب على شرعى .. هو انا كنت أقل من مين .. ده ضفر رجلى بعمر الستات اللى اتجوزهم كلهم .. ما عدا مامتك طبعا .

ونظرت الى زوجة ابى وانا مبهورة ، كأنها فتحت لى عالما جديدا مستورا ، لم اسمع عنه من قبل .. وبسرعة وجدت نفسى أفكر فى هاشم .. لم يخطر على بالى من قبل أن أتزوج هاشم حته حتة .. حتة .. وكنت أسمع عن الزواج العرفى .. ولكنى كنت اسمع عنه كما اسمع عن الحشيش ، وعن الأفيون .. اشياء موجودة ولكنها ليست موجودة فى حياتى .. فقط أسمع بها .. ولكنى اكتشفت أن الزواج العرفى يمكن أن يوجد فى حياتى .. انه موجود فعلا وابى قد تزوج عرفيا .. واكتشفت ايضا أن الزواج العرفى قد يبدأ بورقة واحدة .. ثم ورقتين .. ثم زواج شرعى .. حتة حتة ..

وعدت أنظر الى زوجة أبى ، مبهورة الأنفاس .. كأنى أنظر الى ساحرة .. الى سيدة عظيمة .. شاطرة وامتلأت عيناى الواسعتان بالحسد .. حسدتها على شطارتها .. وعلى ذكائها ..

ترى . لو كنت حاولت أن اتزوج هاشم بورقة واحدة .. ثم ورقتين .. هل كان قد انتهى بى الأمر الى ان اصبح زوجته الشرعية ؟

من يدرى ..

واخذت استزيد زوجة ابى من التفاصيل .. عصرت منها كل ما تعرفه عن الزواج العرفى ، وعن الطريقة التى اتبعتها لتقنع ابى بها .. وتركتها وقد أصبحت مثلى الأعلى بين النساء .. وكان هذا المثل الأعلى كفيلا بأن يدمر ما بقى منى ..

ولم أحاول بعدها مباشرة أن اقنع هاشم بالزواج العرفى .. صحيح أنى كنت اتمنى أن اتزوجه أكثر من أى شىء فى الدنيا .. فلم يكن زواجى به هو مجرد نظرة الى المستقبل ، بل كان أيضا تصحيحا للماضى الذى عشت فيه .. كان زواجى به براءتى من كل خطاياى .. يغسل قلبى وجسدى .. ولكنى رغم ذلك ، لم احاول فى مبدأ الأمر ان افتح له موضوع الزواج العرفى . انما كنت أحاول أن اكتفى بنصيبى .. أكتفى بحسن .. وأحمد الله .. ولكنى لم أستطع ان انزع فكرة الزواج العرفى من رأسى .. كنت اقضى ساعات طويلة وأنا أتصور أن هاشم كان من الممكن ان يتزوجنى زواجا عرفيا .. على الأقل بورقة واحدة ، يحتفظ بها معه .. فهو لن يخسر شيئا بهذه الورقة .. ويستطيع أن يمزقها فى أى وقت يشاء .. ويستطيع أن ينكر زواجه بى أمام الناس اذا أراد .. ولكنها تحمل لفظ الزواج .. انها على الأقل ترضى كبريائى .. ترفعنى عن مستوى البنات اللاتى يعرفهن هاشم .. ويمكن بعد ذلك أن تصبح الورقة ورقتين .. ثم تصبح زواجا شرعيا .. بعد أن يكون هاشم قد

تعود على نوع من الحياة الزوجية .. واطمأن الى .. وشفى من غروره .. تماما كما فعلت زوجة ابى ..

وكنت احاول أن أطرد هذه الأفكار من راسى ..

ولكنها تعود الى ..

وفى كل يوم ارى افكارى اوضح من اليوم السابق .. وفى كل يوم أقسو فى لوم نفسى لأنى لم اعرض على هاشم فكرة الزواج العرفى قبل ان اعلن خطبتى على حسن .. وأندم على العمر الطويل الذى فات وأنا جاهلة ، مغمضة العينين ، لا أدرى أن هناك طريقا للزواج اسمه الزواج العرفى ..

وهذا الاحساس دفعنى دون ان أدرى الى التهاون فى اتخاذ الحيل التى تعودت أن ألجأ اليها حتى لا اثير شك حسن فى كلما ذهبت الى لقاء هاشم .. فاندفعت فى لقائه ، أكثر جراة .. وتهاونت حتى فى ملاحظة نظرات الشك التى بدت تطل من عينى حسن .. واسئلته الكثيرة السخيفة التى يوجهها لى .. ثم لم احاول ان اكتشف سر تغير معاملة حسن لى .. لقد اصبح يعاملنى كأنى عشيقته لا خطيبته .. ويقبلنى قبلات وقحة .. ويطالبنى بأشياء لا يمكن لرجل يحترم خطيبته أن يطالب بها .. بل انه عرض على ذات ليلة ونحن عائدان من سهرتنا ، أن يصحبنى الى شقة أحد أصدقائه .. وغضبت يومها .. ثرت .. وكدت أصفعه على وجهه .. ونزلت من السيارة ، وتركته يجرى ورائى ، ويقبل يدى وهو يعتذر لى ويؤكد انه لم يكن يقصد شيئا ..

الى أن كان يوم ..

وكنت مع هاشم فى شقته فى الزمالك .. وكنت قد قلت

لحسن انى ذاهبة الى زيارة ابى .. واطمأننت الى انه سينام بعد الغداء كعادته ..

ثم تركت هاشم ..

وما كدت أخرج من باب العمارة حتى وجدته أمامى ..

حسن ..

فى سيارته ..

وقفت انظر اليه ودمائى تنسحب منى .. وقشعريرة تسرى فى بدنى .. وهو يطل من نافذة السيارة ، ويبتسم ابتسامة تسيل من تحت شاربه الكث .. كأنه فرح لأنه ضبطنى .. كأنه يتباهى على بذكائه ...

ولا أدرى هل فكرت ساعتها أم لم أفكر .. ولكنى وجدت نفسى أندفع الى سيارته ، وافتح بابها ، واجلس بجانبه ثم قلت فى برود :

— من فضلك وصلنى البيت .

ونظر الى فى دهشة ، واهتزت ابتسامته تحت شاربه ، كأنه فوجىء بتصرفى .. ثم قاد سيارته فى صمت ..

واستمر الصمت بيننا فترة طويلة الى ان وصلنا من الزمالك الى شارع رمسيس ... ثم التفت الى وقال ، وشاربه مسدل فوق شفتيه وعلامات الجد تكسو جبينه :

— اسمعى يا ميتو ... انا ...

وقاطعته قبل ان يتم ، وانا لا انظر اليه :

— احنا لازم نسيب بعض يا حسن .. انا لسه باحب هاشم .. وهو مستعد يتجوزنى ..

وارتفع حاجباه ، وقال وقد انقلب موقفه من الهجوم الى الدفاع :

— ازاى ده .. هى المسائل سهله بالشكل ده يا ميتو ..
قلت :
— كل حاجه صريحه سهله . . وانا باكلمك بصراحه ..
قال وقد بدأ ينهار :
— واشمعنى عايز يتجوزك دلوقتى ..
قلت فى سرعة وبرود :
— لأنه ما استحملش ان واحد تانى يتجوزنى ..
قال والألم ينضح من عينيه :
— يعنى انا كنت لعبه فى ايديكى .. لعبت دورى .. ورميتينى .. مش كده ..
قلت وقد بدأت اشفق عليه :
— أبدا يا حسن .. أنا ما كنتش فاكره ان هاشم بيحبنى للدرجه دى .. ما كنتش منتظره ابدا انه حايفكر يتجوزنى ..
قال وكأنه على وشك أن يبكى :
— بس أنا حبيتك أنا كمان يا ميتو .. وفكرت أتجوزك قبل ما يفكر ..

وفكرت لحظتها أن أعدل عن خطتى .. ان أفيق من جنونى .. ان اقبل حب حسن .. وان اسأله الصفح .. ولكن كان من المستحيل أن اعدل .. كنت منساقة فى خطتى بدافع مجهول .. كأنى ألقى نفسى فى البحر .. فى النار .. وقلت .
— أنا آسفة يا حسن .. مش عارفه أقولك ايه .. بس كده أحسن ..

ولعل ما حدث كان هو الأحسن فعلا .. لعل حسن لم يكن ليصفح عنى أبدا بعد أن رآنى خارجة من العمارة .. من شقة عشيقى .. وربما كان خوفى من الا يصفح عنى حسن . هو الذى

دفعنى الى التمسك بخطتى .. بكذبتى .. رغم الحاج حسن .. رغم توسله .. رغم دموعه التى بللت شاربه ..

وقد كان حسن نبيلا ..

لم يقل شيئا لاهنى ..

كل ما قاله اننا لم نتفاهم ، واننى انا التى طلبت فسخ الخطبة .. وانسحب .. رفض أن يسترد هداياه .. بل رفض أن يسترد الدبلة .. دبلة من ماس ..

ولطمت ساعتها أمى ..

وحاولت أن أكرر عليها قصة هاشم وانه قرر أن يتزوجنى .. ولكنها لم تصدقنى .. انها تبكى .. تبكى كل دموعها ، وتدعو على هاشم ، وسنين هاشم ..

المهم هو زوج أمى ..

لقد صرخ فى وجهى :

— على الطلاق بالتلاته ماانتى قاعده فى بيتى .. انتى جرستينا وخليتى راسنا فى التراب .. انتى فاكره انى مش عارفك وعارف بتعملى ايه .. انتى طالعه لابوكى .. منحله .. بايظه .. انتى ما يصحش تقعدى فى عيله .. انتى تقعدى فى الشارع .. فى كباريه .. انا عندى بنات خايف عليهم .. وخايف على سمعتهم .. اطلعى بره بيتى .. بره ..

وصرخت أمى ..

وارتمت على صدره تستعطفه بدموعها :

— اهدى بس يا خويا .. مش كده .. حرام عليك دى مالهاش حد غيرك .. دى بنتك .. انت ربيتها وهى لسه عندها تلات سنين .. علشان خاطرى .. ابوس رجلك ..

وعاد يصرخ :

ــ انا حلفت بالطلاق .. فاهمه يعنى ايه الطلاق .. وعلى الطلاق بالتلاته ما انى شايفه بنتك دى بعد النهارده .. لو شفتيها تبقى طالقه . طالقه .. حرام عليكى خافى على بنتك الصغيره .. خافى على بنتنا .. وسمعتنا ..

ولم أعد احتمل .. لم ابك .. لم اتوســـل .. لقد ركبنى ساعتها شيطان اهوج .. وصرخت فى وجه زوج أمى :

ــ انت فاكر انى ماليش اب . انا كنت قاعده هنــا علشان ماما مش علشان محتاجه لك .. انا رايحه لبابا ..

وحملت ابنتى .. فى قسوة كأنى أحمل حقيبة ثيابى ..

وخرجت ..

وتعلقت أمى بأذيالى ، ودموعها تجرى على خديهــا ، وتقع تحت اقدامى :

ــ استنى يا مينو .. استنى ..

وقلت كأنى أكره منها :

ــ لا يا ماما .. مش ممكن اسيبك تطلقى علشانى ..

قالت وهى تحاول ان تمد يدها الى ابنتى هدى :

ــ طبب سيبى هدى .. الدنيا ليل يمكن تاخد برد ..

قلت وانا أنزع نفسى منها ، وابعد ابنتى عن يديها :

ــ لا .. دى بنتى ..

وخرجت ..

طردت ..

وذهبت الى بيت ابى ..

واستقبلنى ابى فى صمت حــزين ، فقد كان زوج أمى قد اتصل به ، وابلغه انه لم يعد يستطيع ان يحمل مسؤولينى بعــد ان فســخت خطبتى لحسن .. وقال له كل ما يعــرفه عنى ..

وكانت لي غرفة في بيت أبي كما ذكرت ، وكنت أذهب اليه واقضي في بيته أياما .. ولكني في هـذا اليـوم لم أشـعر اني ذهبت الى بيت أبي .. شـعرت اني دخلت الى بيت غريب .. ليس هذا بيتي .. لأن ليس فيه أمي .. وانا غريبة هنا ..

ووضعت ابنتي في فراشي ..

وانكفأت بجانبها أبكي ..

بكيت الليل كله ..

ولم أعد من ليلتها الى بيت أمي .. واصبحت لا أراها الا سرا .. كأننا عاشقان .. خوفا من أن يعلم زوجها بلقائنا فيوقع عليها يمين الطلاق .. كنا نتقابل في بيت خالة من خالاتي .. وأحيانا نتفق على اللقاء عند الخياطة .. وأحيانا في دكان من دكاكين شارع قصر النيل ..

ودخلت من يومها في حياة جديدة ..

وقد هرعت الى هاشم في اليوم التالي ، وقلت له والدموع تملأ عيني :

ـــ أنا فسخت خطبتي .. سبت خطيبي ..

وامتلأ وجهه بالذعر ، وقال وكأنه بلع حصاة :

ـــ ليه ؟ ..

قلت :

ـــ علشانك ..

قال وهو يبتعد عني ويشوح بذراعيه :

ـــ علشاني أنا .. ليه انا عملت ايه .. أنا قلت لك سيبيه ..

قلت وانا أنشج في بكائي :

ـــ شافني وأنا خارجه من عندك ..

ونظر الي وكأنه يتهمني بالكذب :

ــ وعرف الشقه منين ..
قلت :
ــ مش عارفه .. يمكن كان بيراقبنى ..
وصرخ :
ــ انتى السبب .. انا قلت لك مش لازم نشوف بعض بعد ما تخطبتى ..
قلت وأنا أحتد فى بكائى :
ــ انا ضيعت حياتى كلها علشانك يا هاشم .. حياتى كلها ضاعت .. مش بس سبت خطيبى .. وجوز أمى طردنى من البيت ..
ثم ارتميت على الأريكة ابكى بكاء صارخا .. واشد شعرى بأصابعى .. أشد بقسوة .. لعل الألم الذى اشعر به من شد شعرى ، يخفف من الالم الذى اشعر به فى صدرى ..
وجاء وجلس بجانبى واخذ يربت علي ظهرى بيد ثقيلة ليس فيها حنان .. وقال فى صوت جاف :
ــ ما تعيطيش يا أمينه .. العياط مش حايحل حاجه ..
وعندما رفعت راسى الية ، رأيت وجهه مكتسيا بالألم ، وشفتيه مقلوبتين ، كأنه قرفان من حياته .. ومنى ..
والقيت نفسى من فوق الأريكة ، وسجدت تحت قدميه ، وتعلقت بركبته ، ورفعت اليه عينى المخضلتين بالدموع ، وقلت فى توسل :
ــ احنا لازم نتجوز يا هاشم .. لازم .. لازم ..
وأدار رأسه عنى ، وقال وهو يتنهد :
ــ ما حدش بيتجوز بالطريقة دى يا أمينه ..
قلت على الفور :

ــ نتجوز جواز عرفى ..

ونظر الى فى دهشة كأنه فوجىء باقتراحى ، وقال :

ــ ما فيش حاجه اسمها جواز عرفى ، وجواز شرعى .. يا جواز ، يا مش جواز ..

قلت كأنى لم أسمع كلامه :

ــ نكتب ورقه واحده .. وخليهـا معـاك .. بس نتجوز .. اى جواز ..

وازاحنى من تحت قدمية ، وقام واقفا ، وقال محتدا :

ــ ايه اللى ورقه واحده .. ورقتين .. جايبه الكلام ده منين .. ما فيش ست عيله تفكر التفكير ده أبدا ..

قلت :

ــ طيب تعـال نقف فى البلكونه .. ونرفع راسنا لربنا .. وتقول انك اتجوزتنى ..

وصرخ :

ــ انتى حاتجنينى .. الجواز مش كلمـه .. ولا ورقه .. الجواز بيت وعيله ، وأولاد .. وأنا مش عايز لا بيت ولا عيله ولا اولاد . ولازم تواجهى الحقيقه .. لازم تعرفى ان احنا مش متجوزين ، ومش حانتجوز .. وما تضحكيش على نفسـك .. واجهى الحقيته علشان تعرفى تتصرفى ..

وبقيت صامتة ..

كل شيء فى داخلى صمت فجاة ، حتى دموعى ..

وقلت وانا ساهمة :

ــ طيب بلاش .. بلاش يا هاشم .. حاافضل معاك من غير جواز .. حاواجه الحقيقه ..

ولم أكن صادقة فيما قلت ..

ولكننى فجأة ، اكتشفت انى تعجلت .. كان يجب أن انتظر مناسبة أخرى لاحاول أن اقنعه بالزواج .. والزواج العرفى .. وتركته ..

عدت الى بيت أبى ..

وفى بيت ابى حياة تختلف تماما عن الحياة فى بيت أمى .. حياة منهارة ، ضائعة ، مفكوكة .. ليس لها تقاليد ، ولا صواميل تربط كل قطعة منها بالأخرى .. وكان أبى يخرج فى الصباح .. ويعود فى المساء .. ويجلس مع زوجته ، ومعى وأحيانا يدعو معنا أحد اصدقائه .. ويشرب زجاجة كاملة من الكونياك .. ويداعب زوجته مداعبات جريئة صريحة .. امامى .. وامام صديقه .. وأحيانا يداعبنى أنا أيضا نفس المداعبات .. ثم بدأ يداعب ابنتى أيضا بنفس الجراة .. ويأكل كثيرا من اللحم .. ثم ينام ، ويرتفع شخيره حتى الصباح .. ليخرج من البيت ، بعد أن يترك لنا عشرين قرشا لنشترى بها العيش والخضار ، اما اللحم فكان يشتريه بنفسه ويحمله معه عندما يعود فى المساء .. واجلس انا وزوجته طوال النهار ليس لنا عمل الا انتظار ابى .. قد تذهب زوجته الى زيارة جيرانها فى العمارة .. وابقى أنا اتحدث فى التليفون .. وأشغل نفسى بابنتى هدى .. أو أنزل البلد ، لأطوف بالدكاكين وأشترى ما يروق لى ..

وكان ابى يرانى اشترى كثيرا .. كل يوم ادخل بقطعة قماش ، أو حذاء ، أو حلية .. فلا يسألنى ابدا من اين احصل على النقود التى أشترى بها .. هل كان يعرف .. لا أدرى .. هل كان من الغفلة بحيث لا يخطر على باله أن يسألنى .. لا ادرى أيضا .. ولكن زوجته لم تكن غافلة ، ولا طيبة .. انها تواجهنى والسؤال الكبير يطل من عينيها .. واضطررت أن أعترف لها ..

قلت لها انى أعرف الدكتور هاشم .. وضحكت ضحكة باردة وأنا اقول لها :

ـــ اللى بيبى وبينـــه ، زى اللى كان بينـــك وبين بابا قبـــل ما تتجوزوا ..

وضحكت ضحكة صارخة كهدير الشلال .. وقالت فى مياعة :

ـــ عقبالكو زينا .. ونبقى كلنا فى الهوا سوا ..

والأيام تمر .. وعقلى يطن كخلية النحل وأنا افكر فى الطريقة التى أتزوج بها هاشم حتة حتة .. وكنت أستعرض كل ما ضحيت به من أجله ، فأجد أن لا سبيل أمامى الا الاستمرار فى المجازفة .. أصبحت كالمقامر الذى خسر معظم ماله ، ولم يبق الا القليل فيضطر أن يجازف به لعله يسترد ما خسره ..

وقررت أن أبدأ بأن اقنع هاشم بأنى فتاة فاضلة .. عاقلة .. لست مجنونة كما يعتقد .. فأصبحت لا أخرج من البيت الا نادرا ، وبعد أن أستأذنه .. وامتنعت فعلا عن التسلى فى التليفون .. وكان هاشم ـــ بعد أن انتقلت الى بيت أبى ـــ يستطيع أن يكلمنى فى التليفـــون فى أى وقت .. فأبى غائب طول النهار .. حتى لو كان أبى فى البيت ، فهو لم يتعود الرد على التليفون ، وكان يتركنى أنا أو زوجته نرد عليه .. ولكن هاشم لم يكن ابدا يطلبنى فى التليفون ، كنت أنا التى أطلبه .. لم يكن يطلبنى الا بعـــد أن الح عليه ، وأتظاهر بالغضب .. ويعتذر لى بأنه مشـــغول .. وبأنى فاضية .. وفى المرات التى طلبنى فيهـــا بالتليفون فرحت .. فرحت فرحة كبيرة كأنه جاء يخطبنى ..

ولم أكن أريد من هاشم شيئا خلال هذه الفترة الا ان يخلص

لى .. ان اخلاصه لى هو الامل الوحيد فى أن يتزوجنى يوما ما .. ولو بورقة واحدة .

ومرت ثلاثة أسابيع منذ فسخت خطبتى الى حسن ..

ثم ..

تكررت المأساة ..

بحثت عن هاشم فلم اجده فى العيادة ، ولا فى البيت ولا فى مطعم الجريون ، ولا فى اى مكان يذهب اليه .. ولم يقل لى التومرجى انه ذهب لعيادة مريض ..

وذهبت الى الشقة والجنون يزحف على عقلى ..

ووجدت سيارته أمام العمارة ، لم يحاول اخفاءها ..

وصعدت ودمائى تتجمع فى عينى .. وقلبى يدق كانه يمزق نفسه .. وضغطت على الجرس بيد باردة .. ولم يترك لى هاشم فرصة لأثير فضيحة فى العمارة .. فتح لى الباب بسرعة .. وتركنى أدخل .. واغلق الباب ورائى .. ثم وقف امامى وهو بالقميص والبنطلون وفى عينيه نظرات متحدية متحفزة كأنه صمم على قتلى ، لو حاولت ان ادخل لأبحث عن الفتاة التى معه ..

ووقفت أمامه أرتعش ..

ثم صرخت ..

صرخت صرخات كثيرة كأنى أطلق النار من صدرى .. واشد شعرى .. وأخبط الأرض بقدمى ..

ثم وقعت على أقرب مقعد ، وأنا أبكى واقول كأنى اصرخ :

ـ حرام عليك يا هاشم .. حرام عليك .. حرام تعمل فى ده كله ..

وهو واقف امامى ، صامت .. يحمى بجسده المرأة الأخرى التى فى الداخل ..

وفجأة جرت دموعى ..

ورفعت اليه رأسى ، وقلت والجنون يطل من عينى :

— انت ما تستاهلش .. انت سافل .

ثم انتفضت واقفة .

وخرجت ..

ورزعت الباب ورائى ..

وعدت الى البيت .. وبقايا دموعى متجمدة فوق خدى .. وبقايا صراخى تجرح حلقى ..

ورفعت سماعة التليفون وانا لا زلت الهث ، واتصلت بحسن ، وقلت له بمجرد ان سمعت صوته :

— حسن .. أنا مستعده أرجع لك ، واعمل فى اللى انت عايزه .. كل اللى انت عايزه .. بس رجعنى يا حسن .. أرجوك .. انا خلاص .. تبت .. حرمت ..

وقال حسن فى لهفة :

— طيب اهدى يا ميتو .. حصل ايه ..

وقلت وقد عادت دموعى المتجمدة تذوب :

— قوللى الأول انك مستعد ترجعنى ..

قال فى حنان ملهوف :

— طبعا مستعد .. انتى عارفه يا ميتو انى باحبك ..

قلت :

— طيب فوت على بعد ساعة .. استنانى قدام باب عمارتنا ..

وقال :

ــ حاضر .. بعد ساعه حاكون عندك ..

وكان حسن طوال هذه الفترة التى أعقبت فسخ خطوبتنا لا يزال الانسان النبيل .. لا يزال يرفض أن يسترد هداياه .. او يسترد الدبلة .. وكان يحدثنى فى التليفون .. ويقول لى كلاما رقيقا حنونا .. ويؤكد أنه يحبنى .. وانه لا يستطيع ان يصدق اننا فسخنا خطبتنا ..

كنت متأكدة ان حسن انسان نبيل ..

وبدات استعد للقائه .. ووجهى فى المرآة أصفر فى لون الموت .. وعيناى شققت فيهما دموعى خطوطا حمراء .. ومعدتى تتقلص .. وقلبى يتلوى .. وصدرى ينقبض كأنى أحمل فوقه الف كيلو .. ان الم الغيرة .. الم الفشل .. ليس مجرد الم نفسى انه ألم جسمانى أيضا .. كأن فى داخلى آلات تعذيب تنطلق لتكوى كل قطعة من جسدى ..

ودخلت الحمام ، ووقفت تحت الدش مدة طويلة لعلى اغسل عن جسدى العذاب .. لعلى استرد بعض شبابى .. بعض نضارتى .. ثم سكبت على جسدى نصف زجاجة كلونيا .. ونصف علبة بودرة « تلك » لعلى انتعش ..

وخرجت أتزين أمام مرآتى ...

ولعلى بالغت فى وضع الكحل .. وبالغت فى صبغ جفونى باللون الأخضر .. وبالغت فى وضع « الريمل » على رموشى .. حتى بدا كل رمش كأنه سهم منطلق فى الهواء .. ولعلى ايضا بالغت فى صبغ شفتى بالروج .. لقد كنت ساعتها عصبية .. فاقدة الثقة فى جمالى .. فبالغت .. وكلما بالغت ازدادت عصبيتى ، وتهاوت ثقتى فى نفسى .. فبالغت اكثر ..

وقد رايت اثر هذه المبالغة فى عينى حسن عندما نظر الى وهو جالس أمام عجلة القيادة فى سيارته .. نظر الى كأنه يرى أمامه ، مجنونة ..

وجلست بجانبه صامتة .. وقلبى لا يزال يتلوى ..

وقال والسياره تتحرك بنا :

— تحبى نروح فين ..

قلت وأنا لا أنظر اليه :

— زى ما انت عايز .. خدنى فى حته نقعد نتكلم فيها ..

قال وصوته يرتعش قليلا :

— تحبى نروح نقعد فى بيت ..

قلت بلا مبالاة :

— بيت مين ؟

قال :

— بيتى .. قصدى يعنى .. شقة ..

— انت عندك شقه ؟ ..

قال :

— كانت عندى من زمان .. وناوى أبيعها .. من يوم ما تخطبنا وانا بادور على حد يشتريها .. صدقينى ..

وقلت والابتسامة الساهمة على شفتى :

— مصدقاك ..

وقاد سيارته فى اتجاه شارع سليمان باشا .. وعاد يقول فى تردد :

— تحبى نروح هناك ؟ .. علشان تشوفيها .. وانتى اللى تبيعيها .. تبيعى كل حاجة كانت فى حياتى قبل ما اقابلك ..

ونظرت اليه كأننى أختبره ، ثم قلت :

ــ زى ما انت عايز ..

وذهبنا الى شقته ..

كل الشقق التى من هذا النوع لها ريح واحد .. قد تختلف فى أثاثها .. قد تختلف فى نظافتها . قد تختلف فى اهتمام صاحبها بها .. ولكن كلها لها ريح واحد .. هذا الريح الحزين الصامت .. كأن على جدرانها بقايا دموع ..

ودخلت بلا مبالاة .. وتطلعت حولى فى صمت .. لم يرتجف فى شىء .. كانت الصدمة التى صدمنى بها هاشم قد سحبت كل احساسى ..

وجلست على مقعد دون أن انظر الى حسن ..

وجاء وجلس قبالتى على مقعد آخر .. وامسك بيدى وقال وشاربه الكث يرتفع فوق ابتسامة حنان :

ــ احكى يا ميتو .. احكى لى على كل حاجه ..

وتعلقت عيناى بشاربه الكث ، كأنى أعد شعراته .. وقلت وأنا ساهمة :

ــ أنا سبت هاشم خلاص .. عمرى ما حارجع له تانى .. عمرى .. ضحك على مره تانيه ..

واخذت اروى قصتى لحسن .. رويتها كلها .. ما عدا أن هاشم يدفع لى مرتبا شهريا .. وكنت أتكلم ساعتها كأنى أتكلم مع نفسى .. كأنى أراجع كل يوم من أيام عمرى الضائع .. وحسن لا يزال يمسك بيدى .. وفى عينيه نظرة رثاء كبيرة .. يشوبها غيظ .. غيظ من هاشم ..

وقلت له ودموعى على خدى :

ـ أنا كنت باحبه .. انما اللى عمله يخلينى أتوب عن حبه .. يخلينى أكرهه .. أنا باكرهه .. باكرهه موت .. لو كان بايدى كنت قطعت قلبى اللى حبه .. كنت قطعت من جسمى كل حته حط ايده عليها ..

وقال حسن وهو يضغط على يدى :

ـ لا يا ميتو .. مش ممكن يكون ده حب .. اللى خلاكى تعملى ده كله انك اتعودت عليه .. وكنتى دايما بترجعى له لانك اتعودت عليه ، مش لانك بتحبيه .. والعادة اصعب من الحب .. انتى ممكن تستحملى الم الحب .. انما مش ممكن تستحملى الم انك تسيبى حاجه اتعودت عليها .. زى السكير اللى يحاول يبطل شرب .. زى الحشاش اللى يحاول يبطل الحشيش .. عيبك انك استنيتى معاه لغاية ما تعودت عليه .

وفتحت عينى ، كأنى رأيت فى كلامه عالما جديدا .. عالم يريحنى .. نعم .. انى لم احب هاشم .. ولا احبه .. فقط تعودت عليه ..

وقلت وأنا ساهمة :

ـ أنا حانساه .. حاشطبه من حياتى ..

وقام حسن وجلس على حافة المقعد الذى أجلس عليه ، واحاطنى بذراعه وقال فى رقة :

ـ وأنا حاخليكى تنسيه .. زى ما بيقول المثل .. المسمار ما يطلعوش إلا مسمار .. أنا المسمار اللى حايطلع هاشم .. وأنا عارف انك بتحبينى يا ميتو .. مش ممكن تكونى ما بتحبنيش .. وحا تحبيى اكتر .. يوم ما تنسى هاشم ..

وكان وهو يتكلم قد وضع خده على خدى .. ثم ادار وجهى اليه وقبلنى .. فوق شفتى ولم يرفع شفتيه عنى ..

واستسلمت ..

تركته يعبث بشفتى كما يريد ..

وكنت ضعيفة ..

وكنت قد قررت أن أبدأ محاولتى للتخلص من هاشـــم ..

وتركت حسن يأخذنى كلى ..

جسدى عار ..

بارد ..

لا أحس الا بثقل حسن ، وشاربه الكث يدغدغ أنفى ..

وسقطت عيناى فوق السوار الذهبى الذى اشتراه لى يوما هاشم ..

وتعلقت عيناى بهذا السوار ..

لم أرفع عينى عنه ..

وافكر فى هاشم ..

وحسن يعبث بجسدى ..

ثم ...

بقيت معه الى الساعة العاشرة .. حدثنى كثيرا .. حاول أن يضحكنى .. حاول أن يروى لى أيامه التى قضاها بعيدا عنى .. ولكنه لم يحاول أن يحدثنى أبدا عن اعلان خطبتنا من جديد .. ثم عاد يحدثنى عن هاشم .. وقاطعته فى ضعف :

ـــ ما تكلمنيش عنه .. أنا عايزه أنساه وانسى سيرته ..

وقال حسن :

ـــ انا آسف ..

ثم اعادنى الى البيت .. واستقبلنى ابى ضاحكا ، وقال وأمامه زجاجة الكونياك :

ــ كنت فين ؟

قلت :

ــ كنت عند بنت خالتى ..

قال بلا مبالاة :

ــ اتعشيتى ؟

قلت :

ــ ايوه ..

قال :

ــ ما تيجى تقعدى معايا شوية ..

قلت :

ــ تعبانه ..

ودخلت حجرتى واغلقت بابها على .. وارتميت على الفراش .. نسيت حتى أن أطل فى وجه ابنتى ..

لقد خنت هاشم ..

خيانة كاملة ..

وحاولت أن اشعر بالتشفى .. حاولت أن أشعر بأنى انتقمت منه .. ولكن .. لا .. لم اشعر بشىء من هذا ..

شعرت بأنى بائسة ، مسكينة ..

وبكيت ..

ونمت من التعب ، ودموعى صاحية بين عينى ..

واتصل بى حسن فى اليوم التالى ..

وذهبت معه الى شقته ايضا .. وتركته يأخذنى .. وتعلقت

عيناى بالسوار الذهبى فى معصمى .. ورياح هاشم تهب على عقلى وقلبى .. وشارب حسن الكث ، يدغدغ انفى ..

ثم خرجت مع حسن الى سميراميس فى اليوم التالى ..

تعشينا هناك ..

وطلب لى حسن كأسا من الويسكى .. كأسين .. ثلاثة .. سكرت ..

وذهبت معه الى شقته وانا سكرانه ..

وكنت اضحك .. واهذى .. وكان عقلى السكران لا تزال فيه قطعة صاحية ، تحس انى افتعل الضحكات الكبيرة ، وافتعل الهذيان ..

وزدت فى هذيانى ..

اقبلت على حسن .. اقبله أكثر مما يقبلنى .. وأداعبه أكثر مما يداعبنى .

ولكن ..

عندما اصبحت عارية ، تعلقت عيناى بالسوار .. وهبت على ريح هاشم .. ولا أشعر من حسن بشىء ، الا بشاربه الذى يدغدغ أنفى ..

ومضى اسبوع ..

أسبوعان ..

وانا لا اتصل بهاشم ..

وهاشم لا يحاول الاتصال بى ..

وكل يوم اذهب الى لقاء حسن .. لعلى انسى .. لعلى اتخلص من تعودى على هاشم .. وحسن لا يحدثنى عن اعلان خطبتنا من جديد .. بل هو لا يأتى لزيارة اهلى .. ولا يأخذنى لزيارة اهله .. الى أن قلت له :

ـــ انت مش حاتروح تتفق مع بابا يا حسن ..

وقال حسن ، وهو يبتسم فى رقة ويضغط على يدى :

ـــ أنا مستنى لغاية ما اتأكد انك خلاص .. بتيتى لى .. خايف نستعجل يحصل زى المره اللى فاتت .. وتحنى .. اللى عايزك تتأكدى منه انى باحبك .. وحافضل أحبك لغاية ما نتجوز ..

ولم ارد عليه ..

ولم أغضب منه ..

له حق .. له حق أن يقول هذا الكلام .. لقد سبق أن جرحته .. سبق أن أهنته امام اصدقائه ، وأمام كل الناس ، عندما فسخت خطبتى له ..

يكفى انه يساعدنى على نسيان هاشم ..

ولكنه لا يساعدنى ..

انه يشعل احساسى بهاشم .. ان كل مرة أكون له ، تؤكد لى أنى لن أكون أبدا الا لهاشم .. لن أحس برجل الا هاشم .. لن أروى عطشى الا من هاشم .. لن يملأ عقلى ، ولا قلبى ، الا هاشم .. مهما فعل بى .. مها عذبنى ..

لماذا استمر ..

ان حسن لن يتزوجنى .. انى أحس أنه لن يتزوجنى .. يستطيع دائما ان يدعى انى لم اس هاشم .. ويكون صادقا فى ادعائه ..

وهاشم أيضا لن يتزوجنى .. ولكنى احبه ..

فلماذا اترك رجلا أحبه ، الى رجل لا احبه ..

و ...

وعدت أحادث هاشم فى التليفون .. قلت له كاذبة ، ان حسن تقدم لخطبتى من جديد ..

فلم يبال ..

وبدات ابلغه فى كل يوم كذبة جديدة .. حسن كان عندنا امس .. حسن يلح فى تحديد موعد الخطبة .. حسن حسن ..

وقال لى مرة وهو ثائر ، واذكر انى يومها كنت احادثه فى صباح يوم جمعة :

ــ أرجوكى يا امينة ما تكلمنيش تانى .. احنا خلاص سيبنا بعض ..

وقلت كأنى لم أسمع شيئا :

ــ انت حاتعمل ايه دلوقتى ؟ ..

وقال فى برود :

ــ عندى ميعاد :

قلت وانا ابتسم :

ــ فين ومع مين ؟

قال :

ــ فى الشقه .. مع واحده ..

قلت فى توسل :

ــ بلاش تروح ..

وصرخ :

ــ يا ستى انت مالك ومالى .. أنا خلاص بقيت حر ..

قلت وانا اكاد ابكى :

ــ يعنى مصمم تروح ..

قال كأنه يبصق فى وجهى :

ـ ابوه ..

ثم القى سماعة التليفون ..

ولم أعد احتمل ..

هل كان هاشم يتعمد اثارة غيرتى عندما قال لى انه على موعد مع فتاة أخرى ، حتى يعيدنى اليه ، وهو يعلم انى أجن عندما اغار .. أم كان يعيش حياته الطبيعية بعد ان اعتبر نفسه حرا ، واعتبر أن علاقتنا قد انتهت ..

لا ادرى ..

ولكنى لم أطق أن اتصوره مع فتاة أخرى ..

حاولت ..

حاولت كثيرا ان اقنع نفسى بالا اهتم به ، سواء كان مع فتاة اخرى ، او كان على وشك ان ينتحر .. بل انى حاولت أن اقنع نفسى بانه يكذب على ، وانه ليس على موعد مع أى فتاة ، وانه يحاول فقط أن يثير غيرتى حتى يجننى ، فأعود اليه ..

ولكن ..

كل هذه المحاولات لم تدم سوى نصف ساعة .. ساعة على الأكثر .. والنار تأكل فى قلبى ، وتشتعل فى رأسى .. ثم لم أعد أستطيع .. خرجت دون أن اتزين .. بل لم انظر الى المرآة كأنى أفر من الحريق الذى نشب فى صدرى ..

ووقفت أمام باب الشقة مترددة .. قلبى يرتجف .. اطراف اصابعى باردة .. كنت أعرف ما سأجده فى الداخل .. سأجد فتاة اخرى .. وسأجد هاشم بالقميص والبنطلون .. وسأحاول ان اضرب الفتاة .. سأجن .. ستنشق الصرخات حلقى .. سأشد شعرى .. ستجحظ عيناى .. ويضربنى هاشم .. واقع على الأرض أبكى .. كنت أعلم كل ذلك .. وكنت أراه خلف الباب ،

كأن عينى تثقبان الخشب ، وتثقبـــان الزمن لتريا ما يمكن أن يحدث لى بعد دقائق .. ورغم ذلك امتدت يدى ، كأن قـــوى مجهولة تحركها ، وضغطت باصبعى المثلجة ، على الجرس ..

وفتح هاشم فى الحال ، كأنه كان واقفا خلف الباب ..

ونظر الى وقد اتسعت عيناه من الدهشة .. بل خيل الى أن فتحتى انفه قد اتسعتا أيضا من الدهشة ..

كان صادقا فى دهشته ..

تأكدت ساعتها أنه لم يكن يكذب على عندما قال لى أنه على موعد مع فتاة أخرى .. لقـــد فتح البـــاب وهو ينتظر أن يرى الاخرى ..

وابتسمت ابتسامة مرتعشة ذليلة ..

وظل واقفا أمامى صامتا ، وقد ارتخت دهشته ، واكتسى وجهه بتعبير جاد كأنه واقف أمام مشكلة ..

وقلت فى صوت مسكين :

ــ فى حد معاك ؟

وقال فى صوت باتر :

ــ لا ...

قلت :

ــ اقدر اخش ؟ ...

قال وهو ينظر من فوق راسى كأنه يخاف أن يرانا احد :

ــ اتفضلى ...

ودخلت وانا لا انظر فى عينيه ... وجلست وابتسامة باهتة فوق شفتى .. ومرت لحظة صمت بيننا ثم لمحت على شفتيه ظل ابتسامة ، فقلت وانا اشعر برجفة فى قلبى ، رجفة خوف :

ــ بتضحك ليه ؟ ..

قال وقد اتسعت ابتسامته

ــ باضحك على حالنا .. يظهر ما فيش فايده اننا نسيب بعض ..

قلت وانا انظر اليه فى ابتهال :

ــ لأننا بنحب بعض ..

قال :

ــ وبعدين .. اخرة الحب ده ايه ؟

قلت :

ــ انا مش عايزه منك حاجه الا انك تكون كويس معاى .. ما تعرفش بنات تانيه ..

قال :

ــ ما اقدرش ما اعرفش بنات تانيه ، لانى عارف ان حاييجى يوم تتجوزى وتسيبينى ..

ــ انا مش حاتجوز .. خلاص ..

قال وهو يهز كتفيه :

ــ ده كلام .. مش ممكن ست تعيش من غير جواز ..

قلت :

ــ انا لو كنت بافكر فى الجواز ، فبافكر انى اتجوزك انت ..

قال وهو يلوى شفتيه :

ــ انتى عارفه انى مش حاتجوز ..

قلت :

ــ عارفة .. بس ما اقدرش اعيش من غير امل ..

قال كأنه يسخر من املى :

ــ الأمل بعيش سنة والا سنتين .. انما مش ممكن يعيش

خمس سنين .. لو كان اللى ربطك بى هو الأمل .. كان زمانك يئست وسيبتينى ..

قلت كأنى الومه :

ــ أمال ايه اللى ربطنى بيك ؟ ..

قال بسرعة :

ــ جنانك ..

قلت :

ــ انا مش مجنونه يا هاشم ..

قال :

ــ مجنونه قوى .. ويوم ما حاتعقلى حاتسيبينى ..

قلت :

ــ ده ما اسمهوش جنان .. اسمه حب ..

قال :

ــ طيب .. ما تزعليش .. حب !

وادار ظهره لى ..

ومرت فترة صمت اخرى ..

ثم عدت أقول ونظراتى تتمسح بقامته الطويلة :

ــ امال مين البنت اللى انت مواعدها ؟ ..

قال بلا مبالاة :

ــ زمانها جايه ..

قلت :

ــ لازم جديده ..

والتفت الى وقال فى دهشة :

ــ ليه ؟ ..

قلت :

ـ علشان اتأخرت .. أنا كمان كنت بتأخر لما كنت جديدة ..

ولم يرد على ..

جلس على مقعد ، وهو يزفر أنفاسه واستطردت قائلة :

ـ بكره تاخد لها قلمين ، تقوم ما تتأخرش .. وتبتدى انت تتأخر .. مش كده ! ..

ونظر الى كأنه يعايرنى ، وقال :

ـ وحاضرتك عامله ايه مع سى حسن بتاعك ..

قلت :

ـ ده خطيبى ..

قال :

ـ طبعا قلتى له اننا كنا مخطوبين ، وانك فسخت الخطبة ، لانى سافل .. مش كده ! ..

قلت :

ـ أنا عترفت له بكل حاجه ..

وابتسم ابتسامة ساخرة وقال :

ـ ما أظنش ..

قلت :

ـ ده انسان نبيل .. قدر يفهمنى .

قال :

ـ وعملتى ايه مع الانسان النبيل ده .

قلت :

ـ ولا حاجة ..

قال فى حدة :

ـ يعنى اية ولا حاجه .. بتسهرى معاه لغاية نص الليـــل ، وبعدين تقولى لى ان ما حصلش حاجه بينكم ..

قلت وأنا انكس راسى :

— باسنى ..

قال :

— باسك بس ..

قلت :

— طبعا .. أمال فاكر ايه ؟ ..

قال :

— لا يا شيخه ..

قلت :

— وحياة بنتى ..

وربما كانت هذه هى المرة الأولى التى احلف بها بحياة ابنتى كذبا .. وربما ارتعشت شفتاى وأنا اقسم بحياتها .. ربما رجف قلبى .. ربما شعرت بالخوف على ابنتى وأنا أستهين بحياتها وغلاوتها عندى الى هذا الحد .. ولكنى بعد ذلك اصبحت اقسم « بحياة بنتى » فى كل كبيرة وصغيرة .. اصبحت كلمة « وحياة بنتى » ألوكها فى فمى كقطعة اللادن .. اطرقع بها .. وكنت أرى طرقعتها صدى على وجوه الذين اقسم لهم .. كأنهم يصدقوننى .. لأنى اقسمت بابنتى ..

ولكنى لم اعرف أبدا اذا كان هاشم قد صدقنى أم لا .. لقد اطل على بهذه النظرة التى تنطلق من تحت جفنيه المنتفختين .. والتى لا تكشف أبدا عما يدور فى راسه ..

وفجأة ..

دق جرس الباب ..

وابتسمت ..

وتعقد جبين هاشم .. وزم شفتيه .. وبقى فى مكانه صامتا ..

ودق الجرس مرة ثانية ..

وهاشم جالس فى مكانه ، لا يتحرك ...

وقلت :

— مش حاتقوم تفتح ؟ ..

قال فى حزم وهو ينظر الى والشرر يتطاير من عينيه :

— لا ..

قلت وأنا أرفع صوتى ، متعمدة ان يصل الى ما وراء الباب .

— حرام عليك ، قوم افتح ..

ونظر الى كأنه يخنقنى بعينيه ، وقال هامسا :

— اذا ما سكتيش ، حاموتك من الضرب ..

ورن الجرس ثالثة ..

واحسست برنينه كأنه زغرودة فى قلبى .. زغرودة تنطلق بالشماتة من هذه الاخرى التى تقف خلف الباب .. زغرودة لانتصارى على كل فتاة تحاول ان تأخذ منى هاشم ..

وكف الرنين ..

وسمعت صوت اقدام الفتاة تبتعد عن الباب ، فى اتجاه المصعد ..

وقلت وأنا ابتسم له ساخرة :

— طبعا حاتضرب لها تليفون وتعتذر لها بأن جات لك حالة مستعجلة .. مش كده .

قال وهو يضغط على اسنانه :

— لا . حاقولها ان فيه واحده بتفرض نفسها على ، وبتتهجم على الشقه من غير ما حد يقول لها تعالى ..

وضحكت .. ضحكة ملأت كل قلبى .. وعدت أقول :

ـ أقدر أعرف مين المسكينة دى ..

قال وهو لا يزال غاضبا مغتاظا :

ـ لا ..

وقمت من مكانى ، وجلست على ركبتيه .. وكنت أنتظر أن يلقى بى على الأرض .. أو يضربنى .. ولكنه لم يفعل .. تركنى اجلس على ركبتيه .. كل ما فعله ان أشاح بوجهه عنى ..

قلت وأنا اضع يدى على خده :

ـ احنا الاتنين مجانين يا هاشم .. انت عارف انك ما تقدرش تستغنى عنى ، وأنا ما اقدرش أستغنى عنك ..

وسحب خده من تحت خدى ، وظل صامتا مديرا وجهه عنى ..

وعدت أقول :

ـ أنا حاسيب حسن تانى .. وعمره ما حايكون فى حياتى راجل تانى أبدا ..

وظل صامتا ..

ووجهه محتقن من الغيظ ..

ودرت بوجهى لأواجه شفتيه ، وحاولت أن أقبله .. ولكنه أشاح عنى وابعدهما قبل أن أصل اليهما ..

وقلت فى توسل :

ـ بوسنى يا هاشم ...

وقال فى صوت مخنوق بغيظه :

ـ لا .. ما اقدرش أبوس شفايف لسه واحد تانى بايسهم قبلى .. انا قرفان منك ..

قلت :

ــ اشمعنى أنا ما باقرفش من شفايفك وانت بتبوس ستات غيرى ..

قال :

ــ أنا حر .. اذا كنتى انتى ما بتقرفيش منى .. أنا باقرف منك .. حر ...

قلت ودموعى تتجمع فى عينى :

ــ هاشم .. ما تعذبنيش ..

قال :

ــ من فضلك قومى اقعدى مطرحك ..

وهمست :

ــ .. هاشم .. هاشم .. حرام عليك ..

ثم بكيت ...

بكيت على كتفه ...

وأنا لا زلت جالسة على ركبتيه ..

ورفع كفه وبدأ يربت على ظهرى لأكف عن البكاء ..

ولا أطيل ..

انى أعرف دائما كيف أستعيد هاشم ..

واحسست بعد ان استعدته كأنى انتصرت عليه .. لا ادرى لماذا ... ربما لأنى اعود اليه بعد أن خنته .. بعد أن خدعته .. بعد أن أعطيت جسدى لرجل آخر .. هذا الجسد الذى كان هاشم يعتقد انه ملك له . تحرر منه .. انطلق الى رجل آخر .. اصبح قادرا على أن يتحرك وحده ..

ربما كان هذا هو السر فى احساسى بالانتصار على هاشم عندما استعدته .. وهو احساس دمرنى .. دمر ما بقى منى .. فقد تعودت من يومها أن أتعمد الاحساس بالانتصار .. الاحساس

بأنى أخدع هاشم .. احطم غروره .. ولم أكن ادرى أن هـذا الاحساس بالانتصار لم يكن الا انعكاسا لهزيمتى .. هزيمتى امام نفسى ..

وقد تركت هاشم يومها ، وذهبت الى لقاء حسن بعد الظهر .. رفضت ان القاه فى شقته .. كانت لا تزال فى بقيـة من احساس تمنعنى من ان ادخل شقتين فى يوم واحد ..

قابلته فى سيارته ، وقلت له بصراحة وبساطة :

ـ أنا رجعت لهاشم ..

وفغر شفتيه كالأبله ، وقال وشعرات شاربه ترتعش :

ـ ليه ؟ ..

قلت :

ـ ما اقدرتش ..

قال كأنه على وشك البكاء :

ـ بس احنا كنا حانتجوز ..

قلت فى حزم :

ـ انت ما كنتش ناوى تتجوزنى يا حسن .. ولك حق .. أنا اللى عملته فيك مش شـويه .. وحتى لو كنت اتجـوزتنى ما كنتش حاتقدر تنسى ، وكنا حانعذب بعض .

قال وقد انهمرت دموعه فعلا :

ـ بس انا باحبك يا ميتو ..

قلت وأنا انظر الى دموعه ، والغرور يسرى فى كل عروقى :

ـ عارفه ...

وظلت عينـاى معلقتين فوق دموعه .. ان منظـر الرجل وهو يبكى يثير الشفقة .. الرثاء .. انه ينزف رجولته .. كأنه يعصر شخصيته .. وتمنيت وأنا ارى دموعه ، لو كانت هـذه

الدموع دموع هاشم .. كنت كرهته .. كنت استرحت منه .. ولكن هاشم لا يبكى .. انه قطعة جامدة من الصلف والغرور .. والدم الثقيل ..

وعدت اقول :

ــ انا آسفه يا حسن .. اعتبرنى مجنونه .. اعتبرنى وحشه .. اعتبرنى اى حاجه ..

قال وهو يمسح شاربه المبلل بالدموع :

ــ انتى عملتى فى كتير يا ميتو .. ومش ممكن تسيبينى بالطريقه دى .. انا لى حق عليكى ..

وفكرت قليلا ، وقلت وقد خيل الى انه فعلا صاحب حق على :

ــ احنا حانفضل أصدقاء .. مش ممكن اسيبك زى ما انت فاكر .. انت انسان نبيل ..

قال :

ــ وحاشوفك ؟ ..

وعدت افكر برهة ، ثم قلت :

ــ ابوه .. حا ابقى اشوفك ..

واشرقت ابتسامة فوق شفتيه ..

وبخرت الابتسامة دموعه ..

وقد عدت الى لقاء حسن فعلا .. ولكن ..

ليس كصديق .. لقد كنت اذهب اليه فى شقته .. ربما لأملأ نفسى بالاحساس بأنى أخدع هاشم .. وبأنى أقوى منه .. ربما لأن هاشم كان يضن على بوقته .. كان لا يزال يلقى الى بهذه الكلمات السريعة فى التليفون ، ويلقانى كل يومين او ثلاثة .. ساعة أو ساعتين .. فكنت أحاول ان املأ فراغى بأن الهو بجسدى .. هوايتى الوحيدة .. والهو به مع حسن .. ولكنى

اكتشفت أني كلما ذهبت الى لقاء حسن ، وضعت فى يدى هذا السوار الذهبى الذى أهدانيه هاشم .. وأجد نفسى فى لحظة معينة ، وقد تعلقت عينى بهذا السوار .. وانسحب من جسدى كل احساس .. لم يعد فى احساس الا احساسى بهذا السوار فى معصمى .. كأنى أستغيث به .. كأنى أناديه .. هاشم ..

وكنت فى كل مرة التقى فيها بحسن أقول لهاشم :

ــ تعرف امبارح شفت مين فى الشارع .. حسن ..

ويزوم هاشم بشفتيه ، ولا يعلق بشىء ..

وكنت احيانا اقول أكثر من هذا . لعلى اثير شكوكه ، لعله يحس بى كامرأة مرغوبة من عشرات الرجال .. كنت اقول له :

ــ النهارده حسن ضرب لى تليفون .. تعرف انه لسه بيحبنى .. ولسه عايز يتجوزنى ..

ويرد فى برود :

ــ خسارة .. كان لازم تتجوزيه ..

وأجن لبروده ..

وأرد :

ــ اللى لازم اتجوزه .. انت ..

ثم اضحك ضحكة باردة ، حتى لا يغضب منى ..

وكنت فعلا لا زلت أحاول أن أتزوج هاشم ، ولو على طريقة زوجة أبى . حتة حتة .. وكنت اجلس طويلا مع زوجة أبى وليس لنا حديث الا الوسيلة التى يمكن ان نقنع بها هاشم بالزواج .. بل أنى أخذتها يوما معى الى هاشم فى الشقة .. وربما جاءت معى لترى هاشم الذى سمعت بشهرته كطبيب ، أكثر مما جاءت لتساعدنى على اقناعه بالزواج .. ومن يدرى .. ربما جاءت معى وهى تتمنى أن تأخذ منى هاشم ..

وكان هاشم يعلم أن زوجة أبى تعلم ما بيننا .. وكان يعلم اى صنف من النساء هى .. ولكنه دهش الى حد الذهول عندما فتح الباب ووجدها معى .. واسرعت اقول له :

ـــ أصل بابا فى البيت النهارده .. ولولا فايزه ما كنتش حاقدر اشوفك أبدا ..

وقلب هاشم شفتيه امتعاضا ، وترك البـــاب وتقدمنا الى داخل الشقة .. ودخلنا وراءه .. واغلقت الباب بيدى .

وجلست زوجة أبى وهى تدير عينيها حولها ، كأنها خبيرة فى الشقق الخاصة ، تستطيع أن تقدر قيمة الرجل بمجرد التطلع الى جدران شقته ..

وجلست بجانبها كأنى تلميذة عبيطة ..

وجلس هاشم قبالتنا وفى عينيه نظرات تحد ، كأنه يعلم ما فى رأسنا ..

ودارت بيننا كلمات تافهة سخيفة ، الى أن قالت فايزة :

ـــ والنبى يا دكتور دى ميتو بتحبك قوى .. انا ما شفتش حب بالشكل ده ابدا ..

ونظر اليها هاشم بعينين ملؤهما التحدى ، وقال :

ـــ بس يا خساره ، مش ممكن نتجوز .

وفوجئت زوجة أبى ، بهذه الصراحة كأن هاشم سحب الأرض من تحتها .. الأرض التى مهدتها لتلعب فوقها بذكائها .. وقالت :

ـــ ليه ماه ؟ ..

قال فى بساطة .. لا .. وقاحة :

ـــ علشان أنا مش حاتجوز ..

ونظرت اليه فى هلع كأنها بدأت تخافه ، وقالت كأنها تدافع عن آخر حصونها :

ــ ولو نكتبوا ورقه كده .. ترضى ربنا ..

قال دون أن يهتز :

ــ ولا ورقه .. ولا حاجه .. انا ما باعتقدش فى الحاجات دى ..

قالت كأنها قررت أن تتحداه :

ــ أمال تعتقد فى ايه ؟ ..

قال :

ــ اعتقد ان اللى عاوزه تتجوز تدور على واحد تانى غيرى ..

قالت :

ــ بس ده حرام .. يعنى تسيب البنت تحبك .. وبعدين تقول لها روحى دورى على واحد تتجوزيه .. مالكش حق يا دكتور .. دا كلام ما يرضيش ربنا ..

قال :

ــ امبنه عارفه الكلام ده من أول يوم شفنا بعض فيه ..

وتدخلت انا قائلة وأنفاسى تضج فى صدرى :

ــ بلاش الموضوع ده يا فايزه ..

قالت :

ــ بس يا ميتو ده كلام مش معقول ، .. ده انتى بنت ناس .. ولك اب وأم .. وعيلتك احسن عيلة فى البلد مش ناقصك حاجه .. ..

وقاطعتها قائلة :

ــ اعملى معروف .. بلاش الموضوع ده احسن هاشم يفتكر اننا متفقين مع بعض .. وجايباكى مخصوص علشان كده .. وانتى عارفه مش عايزه اتجوز دلوقت ..

وابتسم هاشم فى غرور ، كأنه هزمنا ..

ولا ادرى لماذا لم أغضب يومها من هاشم .. بالعكس .. احسست أنى فخورة به ، احسست كأنى اتباهى به أمام زوجة ابى .. وقلت لها ونحن ننزل على السلم :

ــ مش قلت لك انه راجل مش سهل ..

وقالت فى غيظ كأنها تتحمل الهزيمة وحدها :

ــ ده مغرور ، ما ينطقش .. أنا عارفه استحملتيه السنين دى كلها ازاى ؟ ! ..

وابتسمت ..

فخورة بهاشم !...

ولم تكن زوجة ابى وحدها هى التى تحدثت معه ..

وكنت لا زلت ألتقى بأمى سرا عند الخياطة او عند احدى خالاتى الخمس ، أو فى دكان من دكاكين شارع قصر النيل .. حتى لا يطلقها زوجها اذا علم بأننا نلتقى .. وكنا نضحك كلما التقينا سرا .. أو كلما استطاعت أن تحدثنى فى التليفون خفية عن زوجها .. كنا نعتبر نفسينا عاشقين .. وكانت أمى تسمينى « الخواجه ميتو » وتقول لخالاتى أنها ذاهبة للقاء الخواجه الذى تحبه .. وتخبط على صدرها وتقول وهى تضحك ، على أخر الزمن أخرج اقابل بنتى من وراء جوزى .. آه منك يا خواجه ميتو ..

وكنا فى لقاء عند خالتى سعدية ، وكنا نتحدث عن هاشم عندما قالت أمى :

ــ هاتى لى الجدع ده أكلمه ..

وقلت لها :

ــ ما فيش فايده يا ماما .. بلاش أحسن ..

وعادت تقول :

ـــ بالقولك خلينى اكلمه .. مش حاستريح الا لما اكلمه .. اما اشوف اخرتها معاه ايه ..

واصرت أمى ..

وأدرت لهم رقم تليفون هاشم واعطيتها السماعة .. ووضعت اذنى بجانب اذنها ..

وقالت أمى :

ـــ صباح الخير يا دكتور .. انا مامة ميتو .. امينه ..

ورد عليها هاشم فى ادب حقيقى .. وكنت أعرف أن هاشم يحترم أمى ويقدرها ويحبها ، أكثر مما يحترم ابى .. وسمعته يقول لها :

ـــ صباح النور يافندم .. ده شرف كبير ..

وقالت أمى :

ـــ انا يا دكتور باسمع عنك دايما سمع طيب .. ما فيش حد الا بيشكر فى أخلاقك وشهامتك وشطارتك .. بس يا بنى نفسى تطمنى على بنتى ميتو .. انت ناوى على ايه ..

وقال فى ادب وفى صوت هادىء :

ـــ والله يافندم انا مش ناوى على حاجه أبدا .. وأنا قلت الكلام ده لأمينه كتير .. ونصحتها انها تتجوز .

وقالت امى :

ـــ ده مش كلام يا بنى .. تتجوز ازاى دلوقتى وهى متعلقه بيك بالشكل ده .. دى سابت خطيبها علشان خاطرك .. راجل ما يتعوضش .. وقبـل كده سابت جوزها .. حقه مالكش حق يا دكتور ..

وقال هاشم وهو لا يزال هادئا مؤدبا :

ــ يا افندم انا ماليش ذنب .. أمينه غلطانه فعلا لأنها سابت خطيبها ، وأنا عمرى ما وعدتها بحاجه ..

وتنهدت أمى قائلة :

ــ صعب على يا ابنى انى أتحايل عليك .. بنتى مش وحشه ولا ناقصه حاجه ، علشان أتحايل على حد يتجوزها .. انما اعمل معروف يا ابنى .. البنت بتحبك .. استرها ربنا يسرك ..

وسمعت صوت هاشم وقد ارتعش رعشة خفيفة لا تتبينها الا أذناى اللتان تعودتا على صوته ، وأحبتا كل نبرة فيه :

ــ أنا آسف يا افندم .. أنا عارف انى غلطان . وغلطتى هى اللى مخليانى أستحمل كتير من أمينه .. انما أرجوكى انك تتأكدى انى لو كان ممكن أتجوز كنت اتجوزت أمينه من زمان .. انما مش ممكن .. مش ممكن ابدا يا هانم .

وسكتت أمى برهة ثم قالت بطيبتها :

ــ كده .. طيب يا ابنى .. ربنا يرضى عليك .. انا آسفه .. انمـــا اعــــذرنى يا حبيبى . انا كلمتك بقلبى .. قلب الأم .. مع السلامه يا ابنى .

وضعت أمى سماعة التليفون ..

وبكت ..

وبكيت معها ...

لم اشعــــر هذه المرة بانى اتباهى بهاشـــم لانه هزم أمى . احسست بالسخط عليــه لانه اهان أمى .. وكنت اضعف من ان احيل سخطى الى ثورة .. ثورة على حياتى .. على هاشم .. على خطيئتى .. كل ما فعلته انى ذهبت يومها الى لقـــاء حسن .. لاتوهم انى انتقم من هاشم ..

وحدثت فى حياتى فى هذه الأثناء حادثة أخرى كان لها أثر

كبير فى حياتى .. فقد كانت العلاقات بينى وبين زوجة أبى ، قد بدأت تسوء يوما بعد يوم .. فقد كانت تغار منى بسبب النقود الكثيرة التى آخذها من هاشم ، واشترى بها فى كل يوم شيئا جديدا .. رغم أنى كنت أشترى لها هدايا كثيرة من هذه النقود حتى أضمن صداقتها ، واضمن مساعدتها لى فى نزواتى كلما غبت عن البيت .. وفى الوقت نفسه كنت أيضا أغار منها .. لأنها استطاعت ان تتزوج من أبى رغم انها كانت عشيقته قبل الزواج ، وأنا لا أستطيع أن أتزوج هاشم .. ثم أغار منها على أبى .. غيرة أى بنت من زوجة أبيها .

وتضخمت خلافاتنا ، وخناقاتنا ، الى حد لم يعد بقاؤنا فى بيت واحد ممكنا .

وأبى ليس له طاقة على الخناق ، وليس له قوة على مواجهة المشاكل ولكنه يهرب منها ، ليضمن لنفسه ليلة هادئة يشرب فيها زجاجة الكونياك ..

وقد هرب أبى من مشكلتى أنا وزوجة أبى ، بأن استأجر شقة أخرى فى نفس العمارة وانتقل اليها هو وزوجته ، وتركنى وحدى أنا وابنتى .. واصبح يعاملنا كزوجتين .. يعود فى المساء فيمر على ويجلس ساعة ثم يصعد الى زوجته ليقضى الليل معها .. ويشرب زجاجة الكونياك .. واحيانا يقرر أن يستريح من زوجته فيأتى بزجاجة الكونياك ويشربها معى ..

وفرحت بهذا الحل ..

واصبح لى بيت .. لأول مرة أشعر أن لى بيتا .. عندما كنت زوجة كان بيت حماتى .. وعندما كنت مع أمى كان البيت بيت زوج أمى .. وعندما انتقلت لأعيش مع أبى كان البيت بيت زوجته .. أما الآن فقد أصبح لى بيت .. وحدى . واحببت

بيتى ، واحببت أبى اكثر لأنه منحنى بيتا .. وفكرة الزواج من هاشم نامت فى راسى فترة ، كأنى استغنيت بهذا البيت عن الزواج ..

وكانت اشاعة زواجى من هاشم قد ازدادت انتشارا بعد أن فسخت خطبتى من حسن ، فقد اعتقد الناس انى لم أفسخ خطبتى الا لأتزوج هاشم .. لم يكن يخطر على بال احد أن هناك مجنونة يمكن أن تفسخ خطبتها للاشىء .. حتى بلا وعد بالزواج .. ولذلك انتشرت الاشاعة .. واكتفيت بأن أعيش فى اشاعة .. اشاعة زواج ..

واصبحت حرة ..

اكثر حرية ..

واندفعت فى حريتى الى اخرها .. لم اعد اكتفى بالخروج فى النهار .. اصبحت جريئة فى الخروج بالليل .. كنت انتظر الى أن يصعد أبى الى زوجته واطمئن الى انه نام .. واترك ابنتى مع الخادمة ثم أخرج .. كنت أخرج مع هاشم ونذهب الى شبرد ، والهيلتون ، وسميراميس ، ومينا هاوس .. والناس تعتقد أننا زوجان .. وهاشم لاه عما تعتقده الناس .. غروره يعمى عينيه ويسد اذنيه عن سماع الاشاعة .. انا وحدى التى اسمعها واراها فى العيون ، وأفرح بها ..

ولكن هاشم لم يكن يرضى أن يخرج معى كل ليلة .. كان مشغولا .. وكان يتدلل علىّ كثيرا .. يعذبنى .. فأصبحت أخرج مع حسن .. ولكنى لم أكن أخرج معه الى المحال العامة .. حتى أبقى على اشاعة زواجى من هاشم .. كنت أذهب معه الى شقته .. أو أتنزه معه فى سيارته .. ثم .. لم يعد حسن وحده الذى أخرج معه بالليل .. كان هناك محام آخر شاب

التقيت به في حفلة أقامتها ابنة عمتى .. اسمه عادل .. كان انسانا هادئا .. حديثه كله منطق وكان يكره هاشم ويحاول أن يخلصنى منه .. فخرجت معه أيضا .. ولكنى لم أذهب الى شــقته ..

وحريتى تتسع أمامى ، ولا يملؤها شيء .. والرجال يزغللون عينى فى كل مكان .. وكل واحد منهم يقترب منى ، أقنع نفسى بأنه يريد أن يتزوجنى .. وأشجعه .. وأتركه يحدثنى فى التليفون وقد أخرج معه .. ثم يذوب .. أزهق منه . أو يزهق منى ؛ قبل أن يفاتحنى بالزواج .. لم أحب واحدا منهم .. لم التق بالرجل الذى يستطيع أن ينزع هاشم من قلبى ومن جسدى ، ويحتل مكانه ..

ولكنها عقدة الزواج .. العقدة التى كانت تأكل من عمرى دون أن أدرى .. هى التى كانت تدفعنى الى كل هؤلاء الرجال .. وتدفعنى الى محاولة التخلص من هاشم ..

واحساسى بأنه أصبح لى بيت ، دفعنى الى أن أملأ هــذا البيت برجل .. كنت أريد أن يملأه هاشـــم .. وكنت أعرف أن هاشم لن يقبل أن يأتى الى فى البيت بمجرد أن أدعوه ..

وفى ليلة .. وكانت الساعة الحادية عشرة .. اتصلت به فى سميراميس وادعيت له انى مريضة .. مغص حاد يمــزق أحشائى .. وبكيت له فى التليفون .. من شدة الألم .. وصدقنى هاشم .. وجاء ..

وكنت قد أعددت نفسى له .. لبست قميص نوم أزرق فاتح مشغولا بالدانتيل .. وتركت شعرى مسدلا على كتفى .. وتعطرت بعطر « أربيج » الذى يحبه ..

واستقبلته ضاحكة ..

وغضب ..

غضب عندما اكتشف انى خدعته بمرضى .. ورفع كفه يحاول أن يضربنى ، ولكنه عاد وخفضها عندما تنبه الى أنه فى بيت غريب عنه .. وهم أن يتركنى ويعود .. ولكنى تعلقت به .. التصقت به ، وجسدى ساخن تحت القميص الحرير .. وتركت عطرى يملأ انفه . . وكنت أعلم أنه شرب كأسين .. وهو عندما يشرب يصبح رقيقا ، متفتح الاحساس كما تفتح أنبوبة البوتاجاز .. يكفى بعد ذلك أن تقرب منها عود الكبريت ..

واشتعل هاشم ..

وسحبته الى غرفتى ..

وابنتى هدى نائمة فى الغرفة المجاورة مع الخادمة ..

حياة جديدة ..

ومغامرات جديدة ..

وقد تعلمت فى هذه الفترة شيئا جديدا لم يخطر ببالى .. تعلمت كيف أعامل البوابين .. انه شىء يجب أن تتعلمه كل فتاة مثلى .. وقد كان بواب عمارتنا يحترمنى فى اول الأمر .. ولكنى عندما بدأت أتأخر فى العودة بالليل ، تغيرت معاملته .. كان يستقبلنى بنظرة ملؤها القرف .. ثم أصبح يغلق باب العمارة .. ويتركنى بالليل أدق الباب .. ربع ساعة .. نصف ساعة .. الى أن يفتح لى ..

وثرت فى وجهه أول مرة ، فقد ظننت أن من حقى كساكنة فى العمارة — بل ان ابى يستأجر شقتين — أن أثور عليه .

وتحمل ثورتى فى هدوء .. واحتقار ..

ولكنى ، عندما تأخرت فى العودة مرة ثانية ، تركنى ملطوعة ساعة كاملة .. وعندما حاولت أن أثور .. هب فى وجهى صارخا :

ـ لما انتى بتزعلى كده ما تبقى ترجعى بدرى .. ولا فاكره انى مش فاهم يعنى ..

ودوى صوته فى العمارة كالرعد .. وخفت .. وقفت أمامه أرتعش .. وحاولت أن أعود واصرخ فى وجهه ، ولكن صوتى انحبس فى حلقى . وكان هاشم هو الذى يوصلنى ليلتها ، فنزل من سيارته بسرعة .. ووضع فى يد البواب خمســـة وعشرين قرشا وهو يقول له مبتسما :

ـ ما تزعلش يا ريس .. أصلها تعبانه شـــويه .. احنـــا أسفين اللى ازعجناك ..

ثم نظر الى نظرة قوية يأمرنى أن اصعد الى بيتى ..

ومن يومها أصبحت أخاف من البواب اكثر مما اخاف من أبى .. وادفع ثمن خوفى خمسة وعشرين قرشا ، كلما تأخـــرت بالليل .. او كلما زارنى رجل .. وأصبح البواب يحترمنى .. ويبتسم لى .. ويترك باب العمارة مفتوحا الى أن أعود ..

ولم يكن هذا هو البواب الوحيد فى حياتى ..

لقد عشت حياة مزدحمة بالبوابين .. كلهم أخاف منهم .. وكلهم أدفع لهم الخمسة والعشرين قرشا ..

شىء لا تعرفه البنات المحترمات ..

٥

ولم تكف عنى زوجة أبى ..

حاولت أن تثير أبى على علاقتى بهاشـــم .. قالت له أشياء كثيرة تحاول أن تثير بها نخوته واعتزازه بشرفه .. ولكن أبى لم يثر .. بل ان حياتى الجـــديدة جعلته يستسلم أكثر لعلاقتى بهاشم .. ويكاد يعترف بها .. فقد كان يرى النقود فى يدى . ولا يســـألنى من اين اتى بها .. ثم تركنى ادفع فاتورة التليفون

.. ثم بدات حالته المالية ترتبك اكثر .. فتركنى ادفع اجرة الخادمة .. وفى بعض الشهور دفعت اجر البيت .. ثم اشتريت اثاث حجرة طعام جديدة . كلفتنى مائة وخمسين جنيها . وجلس ابى يأكل على المائدة الجديدة . دون ان يسألنى من أين اتيت بها .. لابد انه كان يعرف أن هاشم هو الذى يدفع .. أصبح هذا امرا مسلما به بيننا .. انا وابى .. بل ان ابى اقترض منى يوما .. اقترض مائة جنيه لم يردها حتى اليوم ..

وهاشم يدفع ..

كان يدفع كثيرا ..

الموضوع الوحيد الذى كان يثير نقاشا بيننا هو ان اشعره بأنى فى حاجة الى نقود .. كان يدفع بسرعة .. ولكنه لم يعد يبذل مجهودا ليكون رقيقا وهو يدفع لى ..

ثم ..

وقعت مصيبتى الكبرى ..

فقد يئست زوجة ابى من أن تثير ابى ..

وبدات تتصل بزوجى السابق عبد السلام .. ابو ابنتى ..

وكان عبد السلام يأتى كل اسبوعين مرة .. واحيانا كل اسبوع . ليرى ابنته .. وكنت اتعمد الا التقى به .. كنت أخرج من البيت قبل ان يأتى .. وفى المرات القليلة التى كنا نلتقى فيها . كان ينهال على بالنصائح .. ويستحلفنى بحياة ابنتى ان احرص على سمعتى .. وان أتزوج .. حتى اضمن للبنت حياة مستقرة هادئة .. وكنت مأستمع الى نصائحه فى زهق .. وضيق .. واترك له هدى واخرج من البيت ..

ثم بدا عبد السلام فى المرات التى نلتقى فيها يحدثنى عن هاشم .. وعن علاقتى به .. ويقول لى تفاصيل لم أكن اعلم

ايامها من أين عرفها .. ثم يثور .. ويرفع صـوته الكريه ليملأ به البيت كله .. ويهددنى .. يهددنى .. أن يأخذ منى ابنتى ..

ولم اكن أصدق تهديده ..

كنت اتحداه واغيظه ...

ثم فجأة .. بدأت معاملته تتغير .. أصبح رقيقا ، هادئا .. بل بدأ يدفع لى نفقة البنت .. أعطانى عشرين جنيها .. ثم استأذن فى أدب أن يصحب هدى ليشترى لها بعض الثياب واللعب .. وسمحت له .. وأخذها وخرج .. واعادها بعد ساعتين محملة بمشتريات كثيرة ... وبعد أسبوع رجانى أن أسمح له بأن يأخـذ هدى لتبيت معه فى الفندق الذى يقيم فيه .. وسمحت له .. لم لا ... انه أبوها ، وهو المسئول عنها قبل هاشم .. ويجب أن تشب هدى وهى تحبه ..

وقد أعادها عبد السـلام فعلا فى اليوم التـالى ... أعادها ضاحكة مرحة ، الى حد أنى غرت عليها منه ..

ثم ....

كنت خرجت من البيت للقـاء هاشم .. وعدت فى حـوالى الساعة الخامسة .. واتجهت مباشرة الى غرفة ابنتى كعـادتى كلما عدت ...

انها ليست فى غرفتها ..

ولا فى غرفة الطعام ..

وبدأ قلبى يرتعد .. لا أدرى لماذا .. واقتحمت المطبخ .. فوجدت الخـادمة جالسـة تلوك قطعة لبـان ، وتغنى أغنيـة لعبد الحليم حافظ ، وسألتها فى لهفة :

ــ فين هدى ؟

واجابت وهى لا تزال تلوك قطعة اللبان :

ـ عبد السلام بيه ، جه ، واخدها .. وخرج ..

وصرخت فيها !!

ـ وازاى تسيبيه ياخدها .. استأذنتيني ..

وقالت الخادمة :

ـ يوه يا ستى .. مش أبوها ..

ورفعت كفى وهويت على صدغ الخادمة ، وانا اصرخ :

ـ انا حاوديكى فى داهيه ..

وقالت وهى تنظر الى فى غيظ :

ـ وانا مالى .. بتضربينى ليه .. ده حتى عبد السلام بيه قال لى انى اقول لك انه مش حايرجع ست هدى الا لما تتجوزى ..

وصرخت ..

لقد خطف ابنتى .. خطف هدى ..

وانطلق الجنون فى رأسى ..

وانهلت على الخادمة اضربها ، وانا اصرخ :

ـ بنتى يا بنت الكلب .. بنتى .. بنتى .. ضيعتى بنتى .. بنتى .. اتسرقت ..

ثم وجدت نفسى أجرى على السلم ..

واجرى فى الشارع ..

ولم أكن أدرى انى أجرى الى قدرى ..

- ٧ -

كنت اجرى كالمجنونة ابحث عن ابنتى .. كنت اجرى وانا جالسة فى التاكسى .. كل شىء فى يجــرى .. قلبى يجــرى .. دمى يجرى .. عقلى يجــرى .. انفاسى تجرى .. كانى أجرى وراء قطعة من جســـدى نزعت منى .. والم .. الم هائل .. كأنه قـــد نزعت قطعة من جســـدى فعلا .. واحس بأن ما نزع منى هو عيناى ، فأحس بالألم فى عينى .. ثم أحس بأن ما نزع منى هو صدرى فأحس بالألم فى صدرى .. ثم أحس بأن ما نزع منى هو بطنى ، فأحس بالألم فى بطنى .. ألم حقيقى .. انى لم اشعر بكل هذا الألم من قبل .. ولا بكل هذه اللوعة .. ولا بكل هذا الهلع .. عذاب .. عذاب ينصب على كأن افواه السماء قد فتحت كلها لتصب على العذاب ...

وصلت الى الفندق الذى تعود أن يقيم فيــه عبد السلام . واندفعت الى مكتب الاستقبال والجنون يشق لى الطريق ، وسألت بأنفاسى اللاهثة :

— عبد السلام بيه موجود ..

واجاب موظف الاستقبال وهو ينظر الى فى دهشة :

— لا يا مدام .. سافر النهارده الصبح ..

وانكفأت على الحاجز المرتفع الذى يفصل بينى وبين الموظف . وبكيت .. بكيت فى غل .. فى غيظ .. والموظف يقول :

— جرى ايه يا مدام .. حصل ايه !

ورفعت اليه عينى المجنونتين ، وصرخت ،

ـ تليفون .. عايزه اتكلم فى التليفون ..

ووضع الموظف أمامى آلة التليفون ، وأدرت رقم أمى .. ورد على زوجها .. ولم اخف منـــه .. ولم أخف أن يطلق امى .. صرخت فيه وصوتى غارق فى دموعى :

ـ عايزه اكلم ماما .. عايزه اكلمها حالا ..

وانتظر زوج امى برهة ، وربما أشـــفق على ، فنادى أمى لتحادثنى .. وصرخت فيها بمجرد أن سمعت صوتها :

ـ بنتى .. عبد السلام خطف بنتى يا ماما ..

وقالت امى فى ذعر :

ـ خطفها ازاى ..

وصرخت :

ـ ما اعرفش خطفها ازاى .. مش مهم خطفها ازاى .. انا عايزه بنتى .. هاتى لى بنتى ..

وقالت امى ..

ـ طيب هدى نفسك يا امينه .. وحصلينى على خالتك صبريه ..

ووضعت سماعة التليفون ، وجريت الى الخارج .. وموظف الفندق يتبعنى بدهشته دون أن يطالبنى بثمن المكالمة التليفونية ..

وركبت التاكسى ، وانا اصب لعناتى على عبد الســـلام .. كل ما فى من قوى الحقد تنصب عليه .. وخيالى ينطلق ليخنق عنقه .. ليقذف فى وجهه بماء النـــار .. ثم فجاة وجدت نفسى افكر فى هاشم .. وتحول حقدى كله عليه .. انه هو السبب .. هو .. هو الذى مزق حياتى .. هو الذى ضيعت من اجله

زوجى .. وعائلتى .. ثم خطيبى .. وسمعتى .. وكل هــذا قد يهون .. ولكن ابنتى .. هدى .. لا .. لا ياربى .. لا تأخذ منى ابنتى . خذ منى هاشم .. خذ منى كل شىء . ورد لى ابنتى .. ووجدتنى أرفع دموعى الى السماء واهمس :

ــ خلاص يا رب .. تبت خلاص .. تبت وحيــاة الســيدة زينب عندك ترجع لى هدى ..

ودموعى لا تكف .. دموع صامتة .. ليس فيها حقــد .. ولكن فيها احساس بالخطيئة .. احسست بالحرام الذى عشت فيه طول هذه السنين .. احسست بصــورة خطيئتى أمامى .. صورة بشعة ليس فيها حب ولا جمال .. صورة امــرأة لونهــا أزرق ، وجسدها يتفصد قطرات كبيرة من العرق ، ورأسها منكس محلوق الشعر .. واخفيت عينى بكفى حتى لا أرى هــذه الصورة .. وعدت أبتهل الى الله لعله يطهرنى من خطيئتى ويصفح عنى . ويعيد الى ابنتى .. ثم تقفز فى خيالى صورة هاشم مرة ثانية .. ويخيل الى انى أصرخ هلعا منه .. واجرى لأبتعد عنه .. انه الرجل الذى يخطف الأطفال .. اخانه .. واحقــد عليــه .. واستغيث بالله منه .. وسـائق التاكسى يلتفت وراءه ويتفرج على دموعى ، ثم يهز راسه فى اسى ، ويقول :

ــ كله يتعوض يا ست هانم ..

لا .. كل شىء يعوض الا ابنتى ..

الى ان وصلت الى بيت خالتى صبرية .. وهى تقيم مع زوجها فى مصر الجديدة قريبا جــدا من بيت أمى ، ومن بيت خالتى سعدية .. وتعتبر فى وسط اخواتها « حلالة المشاكل » رغم انها ليست اكبرهن سنا .. انها أصغر من امى .. ولكنها اذكاهن ، واعقلهن ..

ووجدت أمى وثلاثة من خالاتى فى انتظارى ..

وارتميت على صدر أمى أبكى فى حرقة .. وكلماتى تمزق دموعى :

ـ بنتى يا ماما .. هدى .. أخد منى هدى ..

وضمتنى أمى فى حنان ، واخذت تربت على ظهرى ، وتقبلنى فى شعرى ، قائلة :

ـ بس يا حبيبتى .. ما تعمليش فى نفسك كده ..

وقالت خالتى سعدية :

ـ انتى فاكره انه يقــدر ياخدها منك .. ما يقــدرش .. الحضانة لغاية سن اتناشر سنه ..

وبدأ المؤتمر النسائى المنعقد حولى يناقش موضوع الحضانة .. ويتناقلن القصص والقضايا والحواديت التى سمعن بهــا .. وكل منهن تدلى بفتوى قانونية .. الى ان قالت خالتى صــبرية :

ـ هو قال ايه للبت الخدامه ساعة ما اخد هدى ؟

قلت وقد جفت دموعى فوق خدى :

ـ قال لها انه مش حايرجعها الا لما اتجوز .

وساد الصمت فترة ، الى ان انطلق صوت خالتى فتحية ، صغرى خالاتى :

ـ والنبى الراجل له حق .. أصلك يا ميتو مزوداها قــوى مع الدكتور بتاعك ده .. والبلد كلها بتتكلم عنك ..

وثارت كل أعصابى ، وانطلقت صارخة فى وجهها :

ـ وسبتونى للدكتور بتاعى السنين دى كلها ليه .. كلكم كنتم عارفين ، وكلكم كنتم ساكتين .. أمى ســبتنى .. وابويا سابنى .. عارفين هاشم بيعمل لى أيه . . هو اللى بيصرف على .. كل فستان بالبسه هو اللى جايبه .. وبيصرف على بيتى ..

هو اللى بيدفع ماهية الخدامة .. هو اللى بيدفع فاتورة النور والتليفون . وابويا عارف .. أبويا ما بيدنيش ولا مليم .. كل يوم يتجوز واحده .. ويبيع فى أرضه .. يعنى مش حاسيب لى ولا مليم .. انتم السبب .. انتم اللى خلتونى أعيش زى ما أنا عايشه .. ما فيش حد فيكم قدر يكلم أبويا ، ولا يسأل انا عايشه ازاى .. مافيش حد فيكم كان قلبه على .. النهارده بس جايين تقولوا لى ، وتنصحونى .. بعد ما اتخذت منى بنتى ..

وعدت ابكى ..

ابكى بحرارة ..

وساد صمت حزين .. وبدأت الدموع تطفر من عينى أمى وخالاتى الثلاث .. لم تثر واحدة منهن وأنا أصارحهن لأول مرة بأن هاشم هو الذى يصرف على .. بأنه يدفع ثمن معاشرتى له .. واكتشفت ساعتها أن قصتى لا تثير السخط ولا القرف ولكنها تثير الشفقة .. واننى استطيع استغلال هذه الشفقة لاكتسب الناس الى جانبى .. لاثير العطف على .. واخبىء خطيئتى فى طيات هذه الشفقة ، وهذا العطف ، وفى الدموع التى يذرفها الناس من أجلى ..

وقالت أمى من خلال دموعها :

ــ انا سبتك يا مهتو ؟ ! ياما نصحتك .. وياما حذرتك ..

قلت وأنا لا زلت ابكى :

ــ سبتينى .. ما عملتيش حاجه .. وكنتى بتاخدى منى فلوس هاشم وتشيليها عندك .. وأنا كنت صغيره ، ما كنتش كفايه انك تنصحينى .. لغاية ما طردنى جوزى من بيته .. سابنى لأبويا وانتى عارفه أبويا عايش ازاى .. انما أنا عذراكى يا ماما .. أنا ما بلومكيش ..

وقالت أمى وهى تنشج :

ــ هو حد قادر عليكى يا بنتى ..

وقالت خالتى سعدية :

ــ وانا يا امينه مش جبتلك عريس بالدنيا كلها .. وانتى اللى طفشتيه ..

وقلت وانا ابكي واشد شعرى وادبدب على الأرض بقدمى :

ــ يا ريتنى ما طفشته .. سبتونى أعمل كده ليه .. سبتونى ليه .. ليه .. انتم فاكرين انا عندى اربعين سنة .. حــــرام عليكم .. حرام تسيبونى اتصرف لوحدى بالشكل ده ..

وعاد الصمت الحزين ، تمزقه دموع أمى وخالاتى ، حسرة على حالى ...

الى أن تكلمت خالتى صبريه ..

والتفتت كل الرؤوس اليها .. الى حلالة المشاكل .. تتلقف الكلمات من شفتيها ..

وقالت خالتى صبرية وهى تنظر فى عينى :

ــ انتى عايزه بنتك ترجعلك ؟

قلت فى لهفة :

ــ طبعا .. اعملوا فى اى حاجه .. بس بنتى ترجع ..

وقالت خالتى صبرية فى حزم :

ــ أولا ، لازم تسيبى الدكتور ده ..

وصرخت :

ــ خلاص سبته .. وحياتك يا طنط قبل ما أوصل هنا ، حلفت انى ما شفش خلقته تانى .. كفايه اللى حصــل لى من تحت راسه ..

وعادت خالتى صبرية تقول :

ــ وثانيا .. تيجى تقعدى عندى هنا .. تبعدى عن ابوكى وعيشة أبوكى ..

قلت :

ــ حاضر .. اللى تشوفيه يا طنط ..

وعادت تقول :

ــ وثالثا .. تتجوزى بأسرع ما يمكن ..

ونظرت اليه بعينين واسعتين خائفتين ، وقلت :

ــ وبنتى .. حاتفضل بعيده عنى ، لغاية ما اتجوز ..

قالت فى هدوء :

ــ لأ .. احنا نكلم عبد السلام علشان يخليكى تشوفيها لغاية ما تتجوزى ، وبعدين تبقى تيجى تقعد معاكى ..

وصرخت :

ــ مش ممكن .. ده مش من حقه .. بنتى تقعد معايا ويبقى هو اللى ييجى يشوفها .. أنا لى الحضـــانه .. الشرع بيقول كده ..

وقالت خالتى سعدية :

ــ وأصـــل يا صـــبرية يا اختى ، ان ميتو اتجوزت حاتسقط حضانتها ، ويبقى من حق عبد السلام انه يخلى البنت عنده على طول ..

وقالت صبرية :

ــ ما هو احنا لو دخلنا فى قضايا مش حانخلص .. وتفوت سنه وسنتين من غير ما ناخد حق ولا باطل ، ولا حتى نشـــوف البنت .. وأنا عارفة عبد السلام كويس .. واقدر أقنعه ..

وصرخت :

ــ مش ممكن .. بالذوق والعافيه لازم آخد بنتى ..

وقالت خالتى صبرية فى هدوء :

ــ بس حاتخديها فين يا ميتو يا حبيبتى .. انتى نفسك بتقولى ان عيشة ابوكى مهببه ، واذا كنتى خايفة على نفسك من العيشه دى ، خافى كمان على بنتك .. وكلها شهر واللا شهرين وتتجوزى ويبقى لك بيت ، وبنتك تيجى تقعد معاكى ..

وقلت فى حدة :

ــ وايه ضمنى انى حاتجوز فى شهر ولا شهرين ؟ ..

وقالت خالتى صبرية :

ــ سيبى المساله دى على انا ..

قلت :

ــ وحلاتى مين يتجوزنى بعد اللى عملته ده كله ..

وقالت خالتى صبرية فى ثقة :

ــ مالكيش دعوده .. اطمنى ..

وقالت أمى :

ــ وانتى عملتى ايه يا بنتى .. اهى كل البنات بتسوى الهوايل ، ويرجعوا يتجوزوا ويتلموا فى بيوتهم ، انتى ما عملتيش اكتر من اللى بيتعمل ..

واراحتنى كلمات أمى ، احسست كأنها مسحت كل ذنوبى ..

واستمر المؤتمر النسائى منعقدا الى ساعة متأخرة من الليل .. ثم عادت امى وخالاتى كل منهن الى بيتها .. وتقرر أن أبقى فى بيت خالتى صبرية .. اعطتنى الغرفة التى كانت مخصصة لابنتها قبل ان تتزوج .. ولم انم .. بقيت الليل مفتحة العينين اجرى بهما وراء ابنتى .. خيل الى انى لم ارها منذ سنتين .. وانا لم اكن ابدا اما ضعيفة فى عواطفها .. كان من عادتى أن اترك ابنتى يوما كاملا مع الخادمة ، أو ليلا كاملا ، دون أن

اتلهف عليهـــا .. ولكنى الآن اكاد اجن لبعـــدها عنى .. احس كأنى فقدتها الى الابد .. واسمع كلماتها الحلوة الساذجة ترن فى اذنى .. وارى ابتسامتها المرحة تقفز فى خيالى .. اراها كلها .. ارى لون عينيها .. ولون شـــعرها .. ومكان سنتها التى فقدتها اخيرا .. وحذاءها الصغير كقطعة البسكويت .. واتذكر اشياء صغيرة .. صغيرة .. والأشياء الصغيرة تتجمع وتصبح حياتى كلها ..

ثم تهدأ صور ابنتى فى خيالى ، وتقفز مكانها صورة هاشـــم .. بشعا .. انانيا .. مغرورا .. واكرهه .. انى اكرهه .. وتتجمع سحب الكراهية فى صـــدرى لتصـــبح رغبة عارمة فى الانتقام .. ثم احس بالعجز امام كل هذه الصور .. فاعود وابكى .. ابكى حبى لابنتى .. وابكى عجزى عن الانتقام من هاشم ..

وفى اليوم التالى ، صحبتنى خالتى صبرية الى بيت أبى ، وانا مدبلة العينين ، منهكة القوى .. وجمعت ثيابى فى حقيبتين ، وعدت معها الى بيتها ..

ولم يعترض أبى ..

لقد سمع كل القصة كأنه يشاهد فيلما سينمائيا ليس له دور فيه .. ووافق بسرعة على انتقالى الى بيت خالتى .. وعلامات الراحة تبدو فى عينيه .. كأنه ارتاح منى ، ومن عبئى ..

وهكذا ..

انتقلت الى حيـــاة ثالثة .. حيـــاة تختلف اختلافا تاما عن حياتى فى بيت أمى ، وعن حياتى فى بيت أبى .. كان بيت خالتى صبرية بيتا هادئا يملؤه الحب .. كانت تحب زوجها ، وزوجها يحبها ، كأنهما لا يزالان فى شهر العسل .. رغم انهما تزوجا

من عشرين عاما .. وكان عقل خالتي واتزانها وشخصيتها القوية . يؤهلها لتكون ست بيت ممتازة .. تسيطر على كل شي في حلاوة ورقة .. وتدبر حياتها في حدود واضحة ، ليس فيها خلل .. ليس فيها شيء تخجل منه .. وكانت تحسب حسابا كبيرا لكلام الناس .. وزوجها يعود من عمله لتستقبله بعينين مبتسمتين تقبلانه في كل مكان من وجهه .. ويتناول غداءه ويدخلان ليناما .. ثم يجتمع عندها بعض الأصدقاء في المساء ليلعبوا الكونكان . ويخرجان ليلعبا الكونكان عند بعض الأصدقاء ..

بيت سعيد .. صورة جديدة للبيوت لم اكن اعتقد انى ساعيش فيها يوما ما .. بل لم اكن اعتقد ان هناك بيوتا خالية من العقد والاضطراب كبيت خالتي صبرية ..

وقد حاولت خالتي ان تسيطر على .. سيطرتها الحلوة الرقيقة .. كانت تقودني في كل خطوة من خطواتي .. كانت تقودني معها الى المطبخ .. وتقودني معها لنعد المائدة .. وتقودني معها الى زيارة صديقاتها .. وتحاول ان تقنعني بآرائها في الحياة والناس .. وكنت أعلم انها تراقبني .. تريد ان تطمئن الى انى لا اقابل هاشم ولا احادثه في التليفون .. ولكنها كانت تغلف مراقبتها لي في غلاف ناعم رقيق مهذب ، لا يجرحني . ولا يقلل من احساسي بحقي في حريتي ..

وقد حاولت أن أعيش هذه الحياة ..

حاولت أن أحب حياتي الجديدة ..

مضت اسابيع وانا مستسلمة لخالتي .. منقادة لها .. ولكني كنت اشرد كثيرا .. كنت اشرد وراء ابنتي .. وكانت المفاوضات التي تجرى مع عبد السلام لم تنته الى شيء بعد . فهو مصمم على الا ارى ابنتي الا اذا تزوجت .. وكنت اشرد

وراء هاشم ايضا .. وكنت قد امتنعت عن الاتصال به فعلا .. لم اتصل به طوال اربعة اسابيع .. وهو لم يتصل بى ، انه لا يعلم اين انا .. وحالتى العصبية تسوء .. انى اقضى ليالى كاملة وحيدة فى غرفتى ، اتحدث الى نفسى .. واحيانا اتحـدث اليهـا بصوت عال كالمجانين .. واتذكر ابنتى فأبكى لوعة .. واتذكر هاشم فتستبد بى الرغبة فى الانتقام ولكن هذه الرغبة لا تلبث ان تفتح مسام جسدى .. فأحس بالحاجة اليـه .. الى الرجل .. تمر بى لحظات يخيل الى ان كل شىء يهـون فى سبيل أن احس بأنفاس هاشـم تهب على من انفه الكبير .. وان احس بكفه تربت على مسام جسدى لتهدئها .. ان احس بذراعيـه يخنقان هذا الالم .. الم الجوع .. الذى يغرينى ..

ولكنى احتملت ..

احتملت اربعة اسابيع .. وقاومت ..

وبدا اثر المقاومة على وجهى .. ان وجهى ذابل .. اصفر .. وعيناى مرخيتان مسكينتان .. ولاحظت خالتى ذبولى .. واطمأنت الى انى لا احاول ان اتصل بهاشم .. فبدات ترحمنى من رقابتها .. وبدات دون ان تشعرنى بأنها تتعمد شيئا ، تسمح لى بأن ازور خالتى سعدية وحدى .. ثم بدأت تسمح لى بالتردد على نادى مصر الجديدة ، بعد ان تتأكد من انى اذهب اليه مع صديقاتى القدامى .. بنات مصر الجديدة ..

الى ان التقيت بمحمد ..

محمد .. اول شاب عرفته فى حياتى ، وخرجت معـه وانا بنت قبل ان التقى بهاشم .. لقد كبر الآن ، اصبح فى السـادسة والعشرين من عمره .. اكبر منى بعام واحد .. واصبح موظفا فى شركة بعد ان تخرج من كلية الحقوق .. واطلق شاربا صغيرا

رفيعا تحت أنفه .. وضحكت كثيرا عندما رأيته ومعه شاربه . لقد ذكرني بالأسطى محمد الحلاق الذى كان يأتى الى بيت ابى ليحلق له شعره كل يوم جمعة ..

وقد قابلت محمد فى الطريق وانا ذاهبة الى النادى ، واوقف سيارته بجانبى ، ومد عنقه الى وقال فى ادب :

— بونجور يا افندم ... فاكرانى ؟

وابتسمت .. انى اذكره .. قد أنسى وجوه النساء ، ولكنى لا أنسى وجه رجـــل .. وقلت وابتســـامتى تتسع وانا أطل على شاربه الصغير ، واتذكر اسطى محمد الحلاق :

— ازيك يا محمد .. عامل ايه دلوقتى ..

قال :

— كويس .. تحبى اوصلك ؟

قلت واعصابى تتجمع لمغامرة جديدة :

— أنت يظهر عليك لسه شقى ..

قال :

— أبدا والله يا افندم .. بس أنا حاسس اننا مش غرب .

وهممت ان اركب بجانبه .. ببســـاطة .. كما تعودت أن اركب بجانب كثير من الرجال .. ولكنى فجاة تذكرت خالتى صبرية .. واحسست كأنى اخون ثقتها فى .. كأنى على وشك ان الوث بينها الهادىء النظيف الذى يملؤه الحب .. خالتى التى اوتنى لتنقذنى من حياتى الممزقة .. و .. ولم اكن ســـتطيع أن اقاوم طويلا .. كنت قد تعبت من طول ما قاومت .. والأعاصير التى مرت بى فتتت كل كيانى .. فتتت عقلى نفسه .. وكان اى رجل يمكنه وأنا فى هذه الحالة أن يجذبنى اليه .. واى مغامرة يمكن ان تشدنى اليها ..

وخنت ثقة خالتى ..

ذبحتها هى الاخرى كما ذبحت كل الذين احبونى وعطفوا على ..

وركبت سيارته ..

انها سيارة أخرى غير الشفروليه التى ركبتها معه منذ سبع سنوات .. سيارة فولكس واجن ..

وبسرعة وجدتنى اروى له قصة ابنتى ..

كنت فى حاجة الى أن أروى قصة ابنتى لأى انسان جديد ، كأنى أعرض مسرحية على متفرجين جدد ..

واثرت بقصتى قلب محمد .. وشهامته .. ورايت غلالة من الأسى تكسو وجهه .. وبدا يسب ويلعن فى زوجى عبد السلام .. وقد كنت فى حاجة كبيرة لأن استمع من يسب فى عبد السلام . فعائلتى كلها تعطف عليه اكثر مما تسبه ، وتعطيه الحق فى خطف ابنتى .. أما محمد ، فقد شعرت انه يعبر عن كل أحاسيسى ويطلق طاقة حقدى وهو يسب عبد السلام .. وبدأ يحدثنى عن حقوقى القانونية فى حضانة ابنتى .. ويبدى استعداده لأن يضع اشهر المحامين فى خدمتى .. كان متحمسا لى حماسا صادقا .. واحسست كأن قلبه يلتاع مع قلبى .. وبدونا نحن الاثنين كأننا كونا فرقة هجوم لاعلان الحرب لاستعادة ابنتى ..

وقابلت محمد مرة ثانية .. وثالثة .. ولم اكن استطيع ان احادثه فى التليفون من بيت خالتى صبرية ، فكنت اذهب لأحادثه فى التليفون من عند خالتى سعدية .. وكنت متلهفة دائما الى حديثه ، والى لقائه .. لا لأنى أحبه .. ولكن لأننى كنت فى حاجة اليه .. فى حاجة اليه ليخفف من ازمتى .. ليريح اعصابى ..

وفى المرة الرابعة ذهبت معه الى شقته .. وصعقت عندما

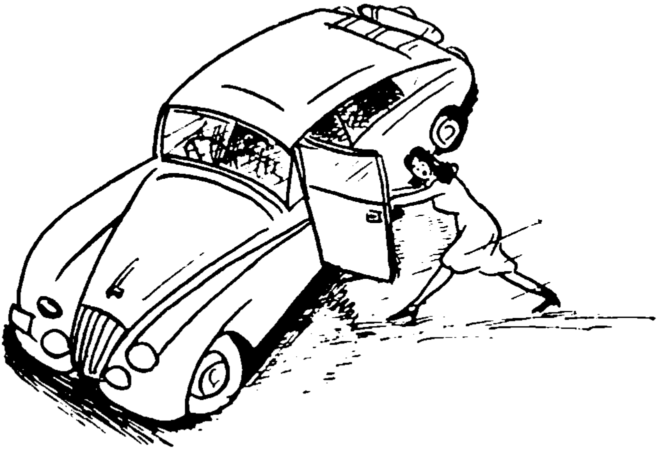

علمت أن الشقة التى يأخذنى اليها محمد تقع فى الزمالك ايضا .. قريبا من شقة هاشم ..

ولم يكن محمد حتى هذه اللحظة يعلم شيئا عن علاقتى بهاشم ، رغم أنه شاب يعيش قريبا من الأوساط الاجتماعية التى يعيش فيها .. وقد تعجبت ان ظل هناك ناس يعيشون فى القاهرة ، وفى مجتمع النوادى ، ولا يعلمون علاقتى بهاشم بعد كل الضجة التى أثرتها معه ...

ولكنى اكتشفت أن القاهرة ليست مدينة واحدة .. انها عشرات المدن .. ما يجرى فى واحدة منها لا تسمع به الأخرى .. القاهرة مجتمعات مفككة لا صلة بينها .. والحكم الذى يصدره مجتمع منها لا يبلغ الى مجتمع آخر .. بل ان القاهرة شلل .. كل شلة لها اهتمامها وعالمها وفضائحها الخاصة .. والبنت يمكن أن تكون فاضلة بالنسبة لشلة وخاطئة بالنسبة لشلة أخرى .. وقد ترفض شلة أن تزوجها من أحد افرادها . وتقبل الشلة الأخرى .. ليس هناك حكم عام على بنت ، الا اذا نشرت قصتها الصحف .. وقصتى لم تنشرها الصحف ..

وصعدت مع محمد الى الشقة ، وركبتاى ترتعشان .. احسست أنى أعود الى حياتى من جديد .. الحياة التى تعودتها .. حياة الشقق الخاصة ..

واحسست أنى لا استطيع ان ادعى أمام محمد بأن هذه أول مرة أدخل فيها شقة خاصة .. كنت ساعتها أضعف من أن ادعى الخوف .. او الرهبة .. او الخجل .. او شيئا مما تدعيه البنات عندما يدخلن شقة خاصة .. كنت اريد ان أرتاح من كل هذا .. ان أكون على طبيعتى .. كنت أريد أن أطلق اعصابى

التالفة التى مضى عليها اسابيع وهى حبيسة ارادتى ، حبيسة الخوف من الا تعود الى ابنتى ..

ومحمد جالس امامى مبهورا ، كأنه لا يصدق عينيه ، ولا يصدق انى معه .. وانه يستطيع ان يأخذنى .. وهو مرتبك ، لا يدرى من اين ابدأ .. تتسلل الى عيناه المرتبكتان .. ويهم ان يقترب منى ثم يخشى أن يغضبنى ، فيظل بعيدا عنى مدعيا الادب .. يحاول ان يتكلم فى اى موضوع ، ليثبت لى نه لا يريد منى شيئا اكثر من ان اكون معه .. واكثر من ان نتحدث ..

وانا انظر اليه بعينين مفتوحتين ، وابتسامة صغيرة على شفتى احاول أن اخفف ارتباكه .. وان احرره من الرهبة التى يشعر بها .. وأرد على حديثه باجابات مقتضبة حتى اشعره بانى لست فى حاجة الى حديثه .. فى حاجة الى اكثر ..

واخيرا ..

اقترب محمد ..

مال على ووضع خده على خدى .. فى رفق .. وتردد .. كأنه يحس انه يلمس شيئا كريما غاليا ، يخشى ان يجرحه مجرد اللمس .. كأنه يتجرا على قدس الأقداس .. وابتسمت بينى وبين نفسى .. انه لا يزال صغيرا .. وهو لا يعرفنى .. وقد ارضى غرورى ارتباكه والرهبة التى تبدو عليه .. واسلمت خدى الى خده .. وتركت ذراعه تزحف حولى ى تردد لتضمنى الى صدره . ثم تركتت يطوف بشفتيه الى ان يصل الى شفتى .. قبلة هادئة ، خجولة ، ناعمة .. وحاولت ان اعيش فى هذه القبلة .. ان اهيم فيها .. ولكنى فجاة .. وشفتاه بين شفتى .. وجدت نفسى افكر فى ابنتى .. وفى هاشم .. وفى خالتى صبرية

.. صور من حياتى الممزقة تتوالى على راسى .. واعصابى تتلوى .. احس بضيق .. اريد ان اهرب من هذه الصور .. اريد ان اهرب من حياتى كلها .. ووجدت نفسى فى محاولة الهرب ، آخذ شفتيه كلهما بين شفتى .. أريد ان اغوص فيهما .. اريد ان اغرق كل همومى بينهما .. وقبلته أكثر مما يقبلنى .. ربما كنت اعلمه قبلا لم يعرفها من قبل .. وانساق معى .. بكل شبابه ، بكل انبهاره بى .. بكل احساسه بأنى شىء اجمل واروع مما كان يطمع فيه ..

ثم ..

رفع الى عينيه فى ابتهال ، وهو يضمنى اليه ، كأنه يستأذننى فى ان يأخذ منى اكثر ..

لم لا ..

لماذا انتظر حتى اللقاء الثانى ، او الثالث .. انى واثقة انى سأعطيه كل شىء ، فلماذا لا أعطيه اليوم ما سأعطيه له .. ولماذا لا آخذ منه اليوم ما سآخذه بعد يومين .. ما هذه التقاليد التى تحتم على البنت الا تعطى نفسها فى اللقاء الأول .. تقاليد الخطيئة .. آداب الخطيئة .. انى لا أؤمن بهذه التقاليد والآداب .. انى امرأة صريحة .. واقعية .. لا اضيع أيامى فى تجاهل الواقع .. ولا أدعى الخفر والحياء ، حينما لا اكون فى حاجة اليهما ..

خذنى ..

لعلى استطيع الهرب من نفسى ..

واخذنى ..

وانا اشعر به كطفل يلهو .. واشعر بأنفاسه المبهورة كأنه ينفخ فى غرورى .. ويعيد الى ثقتى بنفسى .. واطمئنانى الى

مستقبلى .. انى استطيع دائما ان اجد رجلا ، ينبهر بى كل هذا الانبهار .. ويريدنى الى هذا الحد .. رجل املكه ..

ولم تتعلق عيناى بالسوار الذهبى الذى اهدانيه هاشم .. لا ..

لقد كان كل تفكيرى لحظتها مركزا فى محمد .. لم يكن مركزا فى احساسى الجسدى به .. ولكنى كنت ارسم صورا لمستقبلى معه .. انى استطيع ان استعين به لأقوى به على هاشم .. واستطيع ان استعين به لاسترد ابنتى .. واستطيع ان استعين به عندما يتخلى عنى بقية اهلى ..

ان محمد شىء آخر ، غير الرجال الذين عرفتهم .. انى واثقة انه يحبنى اكثر .. ويريدنى اكثر .. واثقة انى اقوى منه .. اقوى منه بتجاربى وذكائى .. واستطيع ان اسيطر عليه ، وان احركه كيف اشاء .. لقد اشعرنى محمد بقوتى ، قوة شخصيتى ، اكثر مما اشعرنى بها اى رجل آخر ..

هل اتزوجه ؟

لا .. لا يجب ان افكر فى الزواج به الآن .. قد لا استطيع ان اتزوجه .. ان هذا الصنف من الشبان لا يتزوج فتاة مثلى .. انه من عائلة كبيرة .. غنية .. وهو وحيد امه .. ولد واحد وثلاث بنات .. وانا مطلقة ، ولى ابنة ، ثم انى فى مثل عمره .. وعندما يعرفنى اكثر لابد انه سيسمع عن مغامراتى .. كل هذا يخنق املى فى الزواج به .. انى اعرف .. هذا النوع من الشبان لا يتزوج الا صفقة .. فتاة صغيرة ، من عائلة غنية ، طيبة السمعة .. لابد ان امه تبحث له الآن عن صفقة ..

ولكن ...

لا يهم الزواج ..

اذا اردت الزواج ، فخالتى صبرية تستطيع ان تأتى لى بعريس ..

المهم هو ان احتفظ به ..

احتفظ بمحمد ..

انه لقطة .. حتى بلا زواج ..

ولكنه قد يسمع بعلاقتى بهاشم !!

وقررت أن أعترف له .. ان الاعتراف يمسح الخطيئة .. ويحصن الرجل ضد كلام الناس ..

وبدأت أعترف له بعلاقتى بهاشم ..

اعترف له ودموعى فى عينى ..

لم أعترف له بكل التفاصيل ..

ولكنى اعترفت له بما يكفى أن يحصنه ضد كلام الناس .. ان اى شىء يسمعه عنى بعد ذلك ، لن يكون جديدا عليه .

وتلقى محمد اعترافى بعينين حزينتين ، كأنه على وشك أن يبكى معى .. وتحمس فى السخط على هاشم كما تحمس فى السخط على عبد السلام .. ووعدنى .. وعدنى أن يعوضنى عن كل شقائى .. أن يمنحنى حياة جديدة .. حلوة .. رائعة ..

كان فى وعده حماس عمره الصغير ..

.. حماس الشباب واندفاعه ..

ونزلنا يومها من الشقة وأنا غير نادمة على ما اعطيته .. وعندما ركبت بجانبه فى سيارته ليوصلنى الى مصر الجديدة التفت الى الشارع الذى تقع فيه شقة هاشم .. لعلى أرى سيارته .. ثم عدلت راسى بسرعة كأنى خفت من محمد .. ولكنى ظللت طول الطريق أفكر فى هاشم ..

وعندما عدت الى بيت خالتى صبرية ، احسست بفداحة

الجرم الذى ارتكبته فى حقها .. أحسست بأنى خنت أمانتها .. خنت عطفها .. بأنى لوثت بيتها .. احسست بهذا الاحساس اكثر مما احسست به عندما كنت اقيم مع امى ، وعندما كنت اقيم مع ابى .. لم اكن احس بانى اخون ثقة امى او ابى ، كما احس بأنى خنت ثقة خالتى .. ربما لأن خالتى ليست مسؤولة عنى .. ولأن كل ما تقدمه لى هو تضحية منها .. كرم منها .. ورغم ذلك خنتها ..

لماذا يا ربى .. لماذا .. لا استطيع ان اكون فتاة طيبة ، تصون ثقة أهلها .. لا أدرى . .ربما كانت هذه طبيعتى .. ربما ورثت هذا الجنون عن ابى ..

ولم استطع ان اواجه خالتى صبرية عندما عدت اليها .. لم استطع ان ارفع عينى الى عينيها .. وربما امتقع وجهى وارتعشت أطرافى وهى تستقبلنى بابتسامتها الطيبة الحلوة .. وربما خيل الى أن فى نظراتها بعض الشك ، والتساؤل .. ولكنى لم اتوقف لأكشف ما فى عقلها .. جريت الى الغرفة المخصصة لى ، ورقدت على السرير احاول ان أواجه نفسى على حقيقتها .. وخيل الى انى لن استطيع ان أعيش فى بيت خالتى طويلا .. انى لا أطيق احساسى بأنى اخون ثقتها .. ولا أطيق طيبتها .. ولا اطيق تقييد حريتى .. لا أطيق أن اكون مسؤولة أمام احد .

ولكنى ، اذا تركت بيت خالتى ، فكيف أعيش ..

انى استطيع أن أعود الى ابى .. ولكن ابى لن يستطيع أن ينفق على ..

اذن يجب أن أعود الى هاشم .. انى لا استطيع ان اطلب من محمد أن ينفق على .. انه الى الآن يتصور انى فتاة من عائلة كبيرة ، تعيش فى رعاية أبيها ، ولا يمكن أن يتصور أنى فى

حاجة لرجل ينفق على .. وربما لو تصور هذا ، لخاف منى ، وابتعد عنى ..

اذن أعود الى هاشم ...

ولم تكن هذه هى كل الأسباب التى تدفعنى الى التفكير فى العودة لهاشم .. ولكن الواقع ، أن لقائى بمحمد أضعف مقاومتى لهاشم .. لقد كنت اقاوم هاشم فى كل دقيقة طوال الأسابيع التى مرت .. لقد كنت اقاوم حبى له .. وحاجة جسدى اليه .. وكنت أقاوم رغبتى فى الانتقام منه .. ولكن لقائى بمحمد كسر القيد الذى كنت أحاول أن اقيد به نفسى .. كسر ارادتى .. فتح القمقم الذى حاولت ان أحبس فيه عفريت جنونى .. وانطلق خيالى بكل قوته الى هاشم .. وتفتحت مسام جسدى كلها ظمأى اليه .. ان هاشم شىء آخر غير محمد .. انه يشبعنى .. يشبعنى بشخصيته القوية التى تسيطر على كل قطعة منى .. بغروره .. بصلفه .. باستهانته بى ..

وفى اليوم التالى ذهبت الى بيت خالتى سعدية ، واستطعت بمساعدة ابنتها ، ان أتصل بهاشم فى التليفون ..

وسمعت صوته بعد كل هذه الأسابيع ..

ثابتا رائقا لم يحدث له شىء .. كأنى لم أغب عنه .. كأنى لم أحتمل كل هذه المصائب من اجله ..

وقال فى مرح هادىء بمجرد أن سمع صوتى :

— انتى فين من زمان ...

قلت :

— انا حصل لى حاجات كتير يا هاشم .. مصايب وقعت على دماغى ..

قال فى لهفة :

ـ خير ..

قلت :

ـ تصور ان عبد السلام خطف البنت .

قال :

ـ مش معقول .. وعملتى ايه ؟

قلت :

ـ لسه مش عارفه اعمل ايه .. أنا قاعده عند خالتى دلوقت .. انما لازم اشوفك ..

قال فى تردد :

ـ ما بلاش .. خلينا نتعود اننا ما نشفش بعض ..

قلت :

ـ لا .. انا محتاجه لك .. ولازم تعرف ان كل اللى حصل كان بسببك .. عبد السلام ما خطفش البنت الا لانى اعرفك .. ومش ممكن دلوقت تسيبنى لوحدى .. لازم تساعدنى ..

وسكت برهة ثم قال فى قرف :

ـ حاضر ..

قلت بسرعة :

ـ بس مش حاشوفك فى شقتك ..

قال فى دهشة :

ـ ليه ؟

قلت :

ـ لأن خالتى وجوزها مضدقين على قوى .. ومراقبينى .. وكلهم عارفين شقتك فين ..

ولم يكن هذا صحيحا .. ولكنى كنت أخشى أن يرانى محمد ، عندما اذهب الى شقة هاشم القريبة من شقته ..

وقال هاشم بعصبية :
ــ امال اشوفك فين .. فى جنينة الحيوانات ؟
قلت :
ــ لا .. فى شقة صاحبك رؤوف ..
قال :
ــ طيب .. بكره الساعه اربعه ..
قلت :
ــ لا .. النهارده .. انا عايزاك ضرورى ..
قال فى سخط :
ــ طيب ..

واستطعت يومها ان اقنع خالتى بأن تتركنى اذهب الى بيت ابى لأحضر بعض ثيابى التى تركتها هناك ..

وذهبت الى هاشم .. وكنت أعرف عنوان شقة رؤوف ضمن العناوين الكثيرة التى اعرفها وأضمها فى ذاكرتى مع نمر التليفونات ، ونمر السيارات ..

احساس آخر غير احساسى وانا ادخل الى شقة لملاقاة اى رجل آخر ..

انى أحس وانا اضغط الجرس فى انتظار ان يفتح هاشم ، بكل ضعفى . أحس بكل شىء ينسحب منى .. وانى انهار .. انهار على صرير رجل يسلبنى كل شخصيتى .. وكل اعتزازى بكرامتى .. بل يسلبنى احساسى بجمالى وشبابى .. ولا أعود سوى شحاذة تشحذ رجولته ودفء شخصيته .. شحاذة مجنونة ..

وفتح لى هاشم الباب ..

وحاولت ان اكسو وجهى بطابع الحزن والأسى ، ولكنى لم

استطع ان اكبت ابتسامة صغيرة طافت بشفتى ، وانا انظر اليه والشوق ينطلق فى قلبى ..

ولم يأخذنى بين ذراعيه ..

لم يقبلنى ..

كأنه لم تمض أسابيع كثيرة لم نلتق فيها .. ولم نتلامس فيها ..

وقال وهو ينظر الى وشفتاه تبخلان بابتسامة :

ــ انتى خسيتى ..

ونظرت اليه فى لوم ثم ارخيت عينى قائلة :

ــ ما بستنبش ليه .. مش وحشاك ! ؟

ونظر الى برهة .. ثم جذبنى الى صدره ، وحاول ان يقبلنى قبلة صغيرة ، ولكنى تعلقت بقبلته الصغيرة وجعلت منها قبلة كبيرة .. شربت .. وشربت .. وقبل ان ارتوى ابعدنى عن صدره .. قائلا وهو يلتقط انفاسه :

ــ احكيلى .. حصل ايه ؟

قلت :

ــ ما تبعدنيش عنك يا هاشم .. انت واحشنى ..

قال :

ــ بس طمنينى الأول ..

وجلسنا على الأريكة ، وأخذت اروى له قصتى ، وعيناى تطوفان بوجهه وتعششان فوق أنفه الكبير .. وربما لم اكن متحمسة كثيرا فى رواية قصتى ، فقد كان هناك شىء يشغلنى عن الحماس لقصتى .. كنت اريد هاشم ..

وقال هاشم بعد أن أنتهيت من قصتى :

ــ انتى السبب ..

قلت مغتاظة :

ــ ليه ؟

قال :

ــ لأنك اهملت البنت .. سايباها دايما مع الخدامة .. ما كنتيش بتعملي حسابها ..

قلت :

ــ مش مهم الكلام ده دلوقت .. المهم أعمل ايه ؟

قال :

ــ مافيش الا انك تروحي لمحامي ..

قلت :

ــ وانت تدفع الاتعاب .. مش كده ؟

قال :

ــ انا مستعد ..

قلت :

ــ انت كل اللي بتعمله انك تديني فلوس ..

قال :

ــ انا باعمل لك اللي اقدر عليه ..

قلت :

ــ ما تقدرش على اكتر من كده ؟

قال في برود :

ــ لا ..

قلت :

ــ طيب بوسني ..

ونظر الي في دهشة ، فصرخت :

ــ بوسني .. دي الحاجة التانيه اللي تقدر تعملها ..

وقبلنى هاشم ..

واغمضت عينى لأتلقى قبلته .. وقبــلات اكثر .. ولكن هاشم ليس كعادته .. انه هادىء .. بل خيل الى انه يضـــغط على اعصابه حتى يستجيب لى ولقبلاتى ..

ورغم ذلك فقد اخذت منه اكثر مما يستطيع اى رجل آخر ان يعطينى ..

انه التعود ..

ليس الحب ..

صدقونى .. ليس الحب .. لقد كنت فى هذه الأيام اكره هاشم ..

وعادت حياتى كما كانت ..

مرتبكة ..

ممزقة بين رجلين .. هاشم .. ومحمد ..

ولكننى لم اكن قد اندمجت فى هذه الحياة بعد بكل طاقتى .. كنت لا ازال اقيم فى بيت خالتى .. وكانت خالتى لا تزال تراقبنى .. ولا ازال احسب حسابها .. وكنت افكر كيف استطيع ان افر من بيتها ، لأستعيد كل حريتى .. وكل طاقات جنونى .. انى اقيم عندها لأستعيد ابنتى .. ولكن ابنتى لم تعد لى .. فلماذا اقيم عندها .. ولماذا احيط نفسى بناس يراقبوننى ، ويزهقون حريتى ..

الى ان كان يوم ..

وكنت عائدة من لقاء محمد عندما اســتقبلتنى خالتى متهللة الوجه وقالت كأنها تزغرد :

ــ خلاص يا ستى .. لقينا العريس ..

هل يمكننى أن أرفض العريس الذى جاءت به خالتى ؟

لا ...

كنت محرجة ... وكانت شخصيتي أضعف من ان تقاوم هذا الحرج .. انضعف من ان اواجه أمي وخالاتي ورجال العائلة . لأقول لهم أني لا اريد الزواج .. لا اريد ان اكرر تجربتي مع عبد السلام .. التجربة الفاشلة .. وكنت قد تركت الجميع يؤمنون بأني اهتديت .. وأني اقتنعت بأن أتزوج حتى يكون لي بيت هادىء صالح استطيع ان اربي فيه ابنتي .. ولم اكن استطيع ، بعد كل ما فعلوه من اجلي ، ان اصدمهم .. ان أكشف لهم عن حقيقتي .. ان ابدو امامهم كأني لا زلت مجنونة .. وارفض الزواج ..

من اجل ابنتي .. يجب أن اتزوج ..

ومن أجل عائلتي ..

وجاء فريد ..

العريس ...

في التاسعة والثلاثين من عمره .. لعله في الأربعين ، فقد تعود الرجال أن يختصروا العام الأخير قبل الأربعين .. ابيض .. ملظلظ .. شعره فاتح ، وقع عن مقدمة راسه وتركها صلعاء .. وقد سبق له الزواج .. وعنده ولد .. ويعمل مديرا لاحدى الشركات .. ودخله يصل الى مائة جنيه في الشهر ..

ولم تكن عائلتي تطمع في رجل خير من هذا .. فأنا مطلقة .. ولي بنت ... في الخامسة والعشرين من عمري .. وفقيرة . ليس لي دخل خاص .. وسمعتي زفت .. ولا استحق اكثر من فريد .. انهم لا يعلمون ان هناك شبانا كمحمد يذوبون في حبي .. ولا يعلمون أن هاشم لا يزال مرتبطا بي .. بل لا يعلمون ان حسن ايضا ــ خطيبي السابق ــ لا يزال تحت أمري .. ربما لم يكن واحد من هؤلاء الثلاثة يرضى بأن يتزوجني .. ولكن كلا

منهم على الاقل كان مستعدا لان يتزوجنى ، لو لم يعرفنى على حقيقتى .. انا لست رخيصة كما يعتقدون ، حتى يفرحوا كل هذه الفرحة ، لانهم وجدوا رجلا كفريد يتزوجنى ..

ولم يكن فريد ــ هو الآخر ــ يعلم شيئا عنى . رغم انه يقيم فى القاهرة .. لقد اثبتت القاهرة مرة ثانية انها ليست مجتمعا واحدا ، وان كل فتاة مهما فعلت ، تستطيع دائما ان تجد رجلا لا يعلم عما فعلته شيئا ..

واكتفى فريد بما يعرفه عن عائلتى العريقة ، التى تضم اسماء كبيرة ... واكتفى بما احسه فى بيت خالتى من هدوء وطيبة واستقرار .. واعتقد انى انا ايضا لابد ان اكون هادئة ، طيبة ، مستقرة ... شريفة .. وانبهر بى .. انبهر بجمالى .. والرقة المصطنعة التى استطيع دائما ان اطبع بها حركاتى .. وتلهف على اعلان الخطبة .. بسرعة .. كأنه كان يخشى فى كل يوم ان ارفضه ، او ترفضه عائلتى الكبيرة العريقة ..

وكل ما استطعته ايامها هو اقناع خالتى بأن تؤجل اعلان الخطبة بعض الوقت ، حتى استطيع ان اعرف فريد اكثر .. وقالت خالتى وهى تبتسم لى كأننا صديقتان :

ــ بس انا خايفه الراجل يطير ..

قلت كأنى أتوسل اليها :

ــ بس انتى عارفه خالتى يا طنط .. انا لسه تعبانه ..

قالت :

ــ طيب يا مبتو .. فكرى على مهلك يا حبيبتى ..

قلت وانا ابتسم :

ــ وما تخافيش انه يطير .. ده واقع لشوشته ..

وضحكت خالتى فى ثقة ..

وقضيت اياما كثيرة افكر .. اياما خيل الى فيها انى لا اريد الزواج اطلاقا ، لا من فريد ولا من غيره .. خيل الى ان طبيعتى لا تطيق الزواج .. لا تطيق ان اتقيد برجل .. ربما لان الرجل الوحيد الذى احببته لم يقيدنى .. كان يكتفى منى بهذه المكالمات التليفونية السريعة ، ولقاء ساعة او ساعتين كل يومين او ثلاثة .. ثم يترك لى باقى ايامى حرة .. افعل ما اشاء بحريتى .. سواء تعذبت بها او سعدت ..

وخيل الى فى تلك الايام انى لا استطيع الزواج حتى من اجل ابنتى .. انى لا استطيع ان احتمل هذه التضحية من اجلها .. التضحية بحريتى .. وحتى لو احتملتها ، فلا يمكن لام تعيسة ان تربى ابنة سعيدة .. ولو تزوجت وعرفت رجالا آخرين فستنشأ ابنتى فى فساد . ثم من ادرانى ان ابنتى ستعود الى بعد ان اتزوج .. ربما صمم عبد السلام على الاحتفاظ بها ، خصوصا ان زواجى سينقل اليه الحق فى حضانتها .

وتجسمت فى راسى كل هذه الخيالات ، الى حد انى تصورت لنفسى حياة جديدة .. حياة حرة .. بعيدا عن اهلى كلهم .. بعيدا عن امى ، وعن ابى ، وعن خالاتى ، وعن ابنتى .. لم لا .. انى استطيع ان اقيم فى بيت وحدى .. وهاشم ينفق على .. ويتركنى حرة كعادته ، لالتقى بمحمد .. وغير محمد .. حياة منطلقة الى آخرها .. افعل ما اشاء .. لا يحاسبنى احد .. ولا احسب حساب احد ..

وحاولت ان اقيم فعلا هذه الحياة . وذهبت الى لقاء هاشم .. فى شقة رؤوف ايضا ، حتى لا يرانى محمد .. وقلت له :

ــ انا حاتجوز يا هاشم ..

وقال فى برود :

ـ مبروك ..
قلت :
ـ خالتى جايبالى واحد ..
قال :
ـ كويس ..
قلت :
ـ بس انا مش عايزه اتجوزه ..
ورفع عينيه فى دهشة وقال :
ـ ليه ؟؟
قلت :
ـ لأنى لسه باحبك ..
قال :
ـ بس انتى لازم تتجوزى .. ما فيش حاجه ممكن تعدل حياتك الا انك تتجوزى .. وانا مش حاتجوز ..
ـت :
ـ يعنى كويس انى اتجوز ، وافضل معاك ؟
قال :
ـ لا . ما حدش قال كده .. اتجوزى وسيبينى ..
قلت :
ـ طيب ايه رايك انى ما اتجوزش وما اسيبكش .. اعيش لوحدى .. تاخد لى شقة لوحدى وتبقى تجيلى فيها ..
قال فى دهشة كأنه لم يكن يعرف انى مجنونة الى هذا الحد ؟
ـ وتسيبى اهلك ؟
قلت :

— أيوه ..

قال :

— ما نبقيش مجنونة .. انتى مهما الناس قالت عنك ، انما لسه معروف انك بنت من عيله وقاعده مع أهلك .. يوم ما تسيبى أهلك حاتبقى حاجه تانية .. حاتضيعى مستقبلك .. وحاتلاقى نفسك انتقلت لمجتمع تانى .. مجتمع البنات فيه لهم صـــورة تانيه .. ووضع تانى .. مش حاتلاقى بيت كويس يستقبلك .. مش حاتلاقى بنت كويسه تصاحبك .. وما تنسيش بنتك .. حرام عليكى تعملى فيها كده .. حرام عليكى تخليها تنكسف من امها .. انا مش باهرب من مســـوليتك .. انما مش مســـتعد اتجنن معاكى ..

وهدم كلام هاشم كل ما بنيته فى خيالى ..

لم يبق الا أن اتزوج ..

أن اهلى لن يسكتوا عنى الا اذا تزوجت ..

واعلنت خطبتى الى فريد ..

وعجلنا بكتب الكتاب ..

كتبنا الكتاب بعد الخطبة بثلاثة أسابيع ، فقد كانت خالتى تخشى أن يسمع فريد عنى كلام الناس ، فيعدل عن الزواج .. وكانت تقول لى انه ، لانى مطلقة ، فلا يجب أن تطـــول فـــترة الخطوبة .. وافقت أنا لأنى اعتقدت فى لحظة أن كتب الكتاب سيقيدنى اكثر .. سيقيدنى عن الاندفاع فى جنونى .. انه ليس كالخطبة . لن أستطيع الفكاك من كتب الكتاب بنفس الســـهولة التى فككت فيها من خطوبتى الى حسن ..

والمهر أربعمائة جنيه .. فقط ..

المطلقات ثمنهن أرخص من البنات !!

وحتى ثمنى كمطلقة فى هبوط .. فقد كان المهر المتفق عليه عندما خطبت الى حسن ، هو سبعمائة جنيه .. غير الخاتم ..

وبكى محمد فى صباح يوم كتب الكتاب ..

كنت يومها أكاد أجن .. كنت أحس انى ابيع حياتى كلها .. وكنت فى حاجة لأن أقابل هاشم لعله يستطيع أن يعيد الى راسى .. لعله يستطيع أن يقنعنى .. يعيننى على احتمال مصيبتى .. ولكن هاشم كان مشغولا بمرضاه .. رفض أن يقابلنى .. فقابلت محمد ، قبل أن اذهب الى الحلاق لأصفف شعرى استعدادا لحفلة كتب الكتاب ..

وبكى محمد ..

بكى بدموع صادقة ..

وحاول أن يقنعنى بأن أعدل عن الزواج .. قال لى انى لا زلت صغيرة ، وحرام أن اتزوج رجلا لا أحبه .. حرام أن اقبر حياتى ... ثم قال انه مستعد أن يتزوجنى ، لو انتظرت حتى تتزوج أخواته البنات ..

ولكن كان الوقت قد فات لكل هذا الكلام ..

لا أستطيع ان أتراجع ..

وجاء المأذون ، وكتب العقد فى حفل عائلى صغير .. وفكرى شارد مع هاشم .. وأثار قبلات محمد لا تزال فوق شفتى منذ الصباح ..

وصالحنى زوج أمى بعد أن تزوجت ..

وبدأت العائلات التى كانت تستقبلنى فى برود ، تستقبلنى انا وزوجى بترحاب .. وعدت كما كنت أيام كان قرانى معقودا على عبد السلام .. أخرج مع فريد كل ليلة .. ولكنى لا أسمح

له بأن يلمسني ، محتجة بأننا لم ننتقل الى بيتنا بعد .. كل ما كنت اسمح به هو أن يقبلني على خدى ..

وكنت منذ ان تقدم الى أعامله بغطرسة ، وترفع .. كنت اشعره دائما بأنى شيء كبير ، أرقى منه وارفع .. وكان يطلق على لقب « البرنسيسة » وأحيانا « الامبراطورة » .. من كثرة ما اتعالى عليه .. ومن شدة محاسبتى له على كل هفوة من هفواته ..

وبعد ان كتب الكتاب اصبحت اتعالى عليه اكثر .. واقسو فى معاملته أكثر .. وتنقضى أيام كاملة لا أتحدث اليه خلالها سوى كلمات متقطعة باردة .. ويأتى ليسهر عندنا ، فأجلس امام التلفزيون صامتة ، وهو جالس خلفى على الأريكة ، حتى ينتهى البرنامج ، فأقوم وادخل غرفتى وأتركه وحده .. وكان يشكو لأهلى هذا التعالى .. ويرجو أمى أن تتدخل لتقنعنى بأن أعامله معاملة ارق .. ان اتنازل واهبه بعض حنانى .. شيئا منى .. ولكنى كنت معذورة فى هذا التعالى .. كنت فعلا لا أطيقه .. وكانت هفواته الصغيرة تبدو فى عينى كبيرة .. بشعة .. والساعات التى اقضيها معه تكاد تخنقنى .. واصبحت ابكى كلما خلوت الى نفسى .. ابكى من ثقل الحياة التى اقدم عليها مع فريد .. ابكى حظى فى أن تنتهى حياتى مع رجل مثله .. نسيت كل ما قاسيته فى حياتى الماضية .. نسيت عذابى مع هاشم ... بل خيل الى أن عذابى مع هاشم أرحم بكثير من حياتى التى اتصورها مع فريد .. لماذا رميت نفسى هذه الرمية .. لماذا ابيع كل عمرى فى سبيل كلام الناس .. او حتى فى سبيل بنتى .. انى لا زلت شابة .. وجميلة .. وذكية .. ان أمامى حياة

واسعة . حرة .. زاهية .. فلماذا أبيعها بحياة راكدة مظلمة مع رجل مثل فريد ..

وحاولت أن أتلهى عن هذه الأفكار السوداء ..

كنت أحادث هاشم فى التليفون ، ويرفض مقابلتى ..

وكنت اذهب الى لقاء محمد كلما سنحت لى الفرصة ..

ولكن افكارى السوداء لا تزال تلح على راسى .. واتصور هاشم قد صبح يعيش حياة ليس لى فيها نصيب .. حيـــاة مع فتاة أخرى . . وأتصور محمد وقد زهق من هذه اللقاءات السريعة التى يلقانى فيها ، وبحث لنفسه عن فتاة أخرى .. واتصور نفسى زوجة تلتقى بعشيق فى السر .. فى الظلام .. وعلى عجل .. تخطف الحب خطفا ..

ــ لا . . مستحيل ..

وبعد اسبوعين .. أسبوعين فقط .. من كتب كتابى كنت اضع الخطة للتخلص من فريد .

كنت أمهد للطلاق ..

وكانت أول خطوة أن اقنعت أمى وخالتى صبرية أن أعـــود لاقيم مع أبى فى الشقة التى لا يزال أبى يحتفظ بها لى ، حتى اكون قريبة من البلد فى ايام الجهاز ..

وخافت أمى ..

واقتنعت خالتى ، وهى ســـعيدة لأنهـــا قامت بمهمتهـــا وزوجتنى ..

ثم كان يجب أن اضمن هاشم . . فاتصلت به ، وقلت له :

ــ عاجبك كده .. عاجبك ترمينى الرميه دى ؟ . .

وقال دهشا :

ــ أنا رميتك !! انتى مش اتجوزتى ؟

قلت لها :

ــ ودى جوازه .. انا مش طايقاه .. مش قادره استحمل .. ولسه باحبك .. واذا ما كنتش حا اقابلك .. حاروح اقابل غيرك ..

ــ اعقلي يا امينه .. ما تبقيش مجنونه ..

قلت :

ــ اعقل يعني ايه .. يعني اتجوز وارافق علي جوزى .. هو ده العقل .. اذا كان كده يبقى الجنان أحسن .. أشرف ..

قال :

ــ يا أمينه انتى لسه ما تعرفيش اذا كنتى حاتستحملى ولا ما تستحمليش .. حاولى .. على الأقل حاولى .. اتجوزى سنه ولا سنتين ، وبعدين اذا ما قدرتيش ابقى اطلقى .. كل الناس بتعمل كده ..

قلت :

ــ انا أشرف من الناس .. لأنى مش عايزه اضحك على راجل عارفه ومتأكده انى مش حا اقدر انى اعيش معاه .. وانى اذا عشت معاه حا اخونه ..

قال :

ــ طيب وكنتى اتجوزتيه ليه ..

قلت :

ــ اهلي ضغطوا علي .. وكنت فاكره انى حا اقدر اتجوز ..

قال :

ــ حرام عليكى يا امينــه .. الرجاله مش تحت أمرك .. تتجوزيهم وتسيبيهم زى ما انتى عايزه .. دى مش اول مرة تعمليها .. الراجل ده ذنبه ايه ..

قلت :

ـ وانا ذنبى ايه .. نا باعمل ده كله علشان خاطرك يا هاشم .. انا باحبك .. مش قادره أستغنى عنك ..

ويئس هاشم من اقناعى ..

ويتركنى وهو مقتنع بأنى سأترك زوجى من اجله ..

وفى الوقت نفسه ذهبت الى لقـاء محمد .. وقلت له وانا ابكى :

ـ انا حاسيب جوزى يا محمد ..

وقال فى سذاجة :

ـ ليه ؟

قلت :

ـ لانى باحبك .. ما اقدرش استغنى عنك .. وما اقدرش اتجوز واحد واخونه معاك .. ما اقدرش .. ما اقدرش ابدا ..

وفرح محمد ..

وشجعنى على الطلاق ، وهو مقتنع بانى اشرف سيدة فى مصر .. سيدة ترفض أن تتزوج رجلا تخونه .. سيدة تضحى بزوجها فى سبيل أن تبقى لرجل واحد تحبه .. حتى بلا زواج ..

وهكذا ..

اصبح لى رجلان ، كل منهما يعتقد انى سـأترك زوجى من اجله .. رجلان يستطيعان أن يضمنا لى حياتى ..

ولكن .. هل انا قوية الى هـذا الحـد .. قوية الى حد ان اطلق بعد أسبوعين من الزواج ، ثم أواجه الدنيا كلها وحدى ..

ومرت على لحظات كنت اضعف فيها .. كنت أخاف .. اخاف من اهلى ومن الناس .. وأخاف من مواجهة الحياة وحدى ..

ثم اعود واسترد ثقتى بنفسى .. انى لست وحيـدة .. ان معى هاشم ومحمد .. و ..

وتغلب جنونى ..

بدات حملة الطلاق .. وكنت أعرف ان أحدا من عائلتى لن يقف فى جانبى .. كان يجب ان أعتمد على نفسى .. اعتمد على ان اثير فريد الى ان يطلقنى .. وبدات اخلق الأزمات .. خلقت ازمة كبيرة لأنه وهو يتحدث عن تاثيث بيتنا الجديد لم يفكر فى تخصيص حجرة لابنتى فى الوقت الذى فكر فى تخصيص حجـرة لابنه .. وخلقت ازمة لأنه لم حاول الاتصال بعد السلام لاستعادة ابنتى .. وخلقت أزمة لأنه يغالى فى طلبات الجهاز .

وصرخت فيه :

ــ انت مغشوش فى .. انت اتجوزتنى على طمع .. فاكرنى غنيه .. أحب قولك ان ما حلتيش ، ولا حيلة أبويا ، ولا مليم ..

والمسكين يحاول أن يصد كل هذه الأزمات .. ويوسط العائلة كلها فى كل ازمة .. واخيرا قلت له فى هدوء ، وكنـا وحدنا جالسين امام التلفزيون :

ــ اسـمع يا فريد .. احنا نطـلق .. أحسن لك .. واحسن لى ..

وقال والذعر فى عينيه :

ــ نطلق .. نطلق ازاى .. ده احنا لسه ما تجوزناش .

قلت :

ــ أنا ما بحبكش يا فريد .. وما اعتقدش انى حا احبك ..

قال :

ــ مش ممكن تحبينى دلوقتى .. ادينى فرصة لغاية ما خليكى تحبينى ..

قلت :

ـ انا عارفه نفسى .. مش ممكن حا احبــك .. وانت ما ترضاش انى أتجوزك واخونك مع واحد تانى ..

وجن مريد ..

وارتفعت الأزمة الى ذروتها .. وطافت السنة النار بكل بيت من بيوت العائلة .. ووقفت فى وجه الجميع مصممة على الطلاق . حتى لو تخلوا عنى كلهم ..

وبدأ فريد يبحث ورائى .. وبسرعة اكتشف حكايتى مع هاشم .. وعرف أسباب فسخ خطبتى الى حسن .. بل اكتشف أيضا علاقتى بمحمد .. بكثيرين ممن عرفتهم .. وصرخ فى وجه أمى وامام زوجها ، وامام خالاتى كلهم :

ـ ده مش الدكتور هاشم بس .. دول كتير ..

وطلقنى ..

ولكنه لم يكن نبيلا كحسن .. لقد استعاد المهر كله ، رغم ى كنت أستطيع أن أدعى عليــه أنه دخل على ، وان الخــلوة الشرعية قد وقعت بيننا .. واستعاد هداياه كلها واحدة واحدة .. وطالبنى بأن ادفع ثمن علبة الملبس السيفر التى أهداها لى فى كتب الكتاب .. بل رفض أن يستعيد الدبلة وطالب بثمنها .. وذهب الى أكثر من هذا .. طلب أن أدفع له نفقات السهرات التى سهرتها معه .. ثمن تذاكر السينما .. والعشاء فى المحــلات العامة ...

ودفعت ..

دفعت من نقود هاشم ..

وطردنى أهلى كلهم ..

لم أر خالتى صبرية من يومها ..

ولم اشعر بالندم ..
ابدا ..
لقد اصبحت حرة ..
حرة حتى فى ابنتى ..

ولى رجلان .. هاشم .. ومحمد .. اذا تركنى احدهما يبقى لى الآخر .. وكلاهما غنى ، اذا لم يتزوجنى ، فانه يستطيع ان ينفق علىّ ..

انى مطمئنة ..

مطمئنة على مستقبلى .. سواء بنيتــه على الحلال ، ام على الحرام ..

وسددت أذنى عن الضجة الكبيرة التى ثارت حولى عقب طلاقى .. وقد احتمل هاشم معى كل هذه الضجة .. فقد عاد الناس يرددون انى تركت زوجى لأتزوجه .. وربما لم يحتمــل هاشم هذه الضجة .. ولكنه لم يأبه بها .. غروره .. وصلفه ، وانشغاله بمرضاه ، سد اذنيه عن سماعها .. تماما كما ســد أذنيه عن الضجة التى ثارت بعد أن فسخت خطبتى بحسن ..

أين حسن ؟

انه لا يزال فى حياتى .. يتصل بى فى التليفون ، ويسأل عنى .. ويتذكر عيــد ميلادى ليهنئنى به .. انه لا يزال نبيلا .. ولكنى لا التفت اليه .. لم اعد فى حاجة اليه .. وحياتى كلها موزعة بين هاشم ومحمد .. لا يستطيع أحدهما أن يغنينى عن الآخر .. هاشم يذيبنى فى شخصيته القوية ، ومحمد يملؤنى غرورا بشبابه واندفاعه فى حبى ..

وقد قلت لهاشم عن محمد .. قلت له ربع الحقيقة كعادتى .. ولا أدرى لماذا اندفعت لأقول له :

ــ انا اتعرفت بواحد اسمه محمد .. ابن المرحوم مهران باشا .. تعرفه !

وقلب هاشم شفتيه امتعاضا ، وقال فى اختصار :

ــ لا ..

قلت :

ــ ده جدع مؤدب قوى ..

وقال وهو ينظر فى عينى وابتسامة ساخرة بين شفتيه كانه يعرفنى اكثر مما أعرف نفسى :

ــ وعرفتيه فين ؟

قلت :

ــ فى مصر الجديده .. فى النادى .. ما تتصورش اد ايه الجدع ده مهذب ومؤدب ..

وقال وهو زهق :

ــ كل واحد بيعرف واحده بيبقى مؤدب ومهــذب .. فى الأول ..

وقلب شفتيه وسكت ..

وقلت وانا أضع راسى فوق كتفه :

ــ انت زعلت .. ده صغير .. لسه ما كملش سبعه وعشرين سنه ..

وضحك هاشم ضحكة كبيرة ، وقال :

ــ فكرتينى بميمى شكيب .. قالت نفس الجمله فى روايه من روايات الريحانى .. كانت بتقولها نكته علشــان النــاس تضحك ..

وقلت :

ــ يعنى مش مصدق انى ما فيش بينى وبينه حاجه ..

ونظر الى كأنه يشفق علىّ ، وقال :

ــ لا .. مصدقك !

انه مغــرور .. انى أجن من غروره .. وقد كنت اتمنى ساعتها الا يصدقنى .. أن يحقق معى .. أن يثور .. أن يضربنى .. ولكنه لم يفعل .. المغرور البارد ..

وقد كان برود هاشم يتزايد يوما بعد يوم .. كان يبدو كأنه ينفر منى .. وكانت نظراته توحى لى بأنه يعرف عنى أكثر مما اقول له .. واصبحنا لا نلتقى الا ليأخذنى .. بسرعة .. واهمال .. كأنه فقط يؤدى واجبا تعود عليه .. كأنه يغسل اسنانه .. فاذا بقى له وقت بعد ذلك لا نجــد شــيئا نقوله الا أن ينصحنى بأن انتبه الى مستقبلى .. فأثور .. وأتهمه بأنه هو الذى ضــيع مستقبلى .. فيتركنى وينصرف عنى فى سأم .. والملل يكســو وجهه ..

وفى هذه الأيام .. نفس الايام التى حدثته فيها عن محمــد .. بدأ هاشم يحدثنى عن نجوى .. انى لم ار نجوى الى اليوم .. ولكنى رأيتها بعد ذلك فى عينى هاشم .. وقد ذهبت اليــه يوما ، فوجدته جالسا فى الشقة ، مقطب الجبين ، حزين العينين .. واســتقبلنى ســاهما كأنه لا يرانى .. ومــرت فترة طويلة لا يحدثنى خلالها ، ولا يقربنى .. فقلت له وأنا انظر اليه أحاول أن أكتشف سره :

ــ مالك ؟

قال :

ــ ولا حاجه .. متضايق شويه ..

ومرت فترة صمت أخرى .. ثم انطلق فجأة قائلا :

ــ تصورى .. بنت عندها تستعاشر سنه .. جميله ..

حلود .. زى الورده .. يجيلها روماتيزم فى القلب .. ليه .. ليه .. حاجه تجنن .. الروماتيزم ما يجيش فى قلبى أنا ليـه .. أنا كبرت وعشت .. انما دى .. تسعتاشر سنه .. قلبها لسه ما تمتعش .. يجيلها روماتيزم لية ..

وكنت أعرف أن هاشم يتعذب مع مرضاه .. ولكن ليس الى هذا الحد .. انى لم اره ابدا حزينا .. عطوفا .. الى هذا الحد .. واحسست بة كأن التى يتحدث عنها اكثر من مريضة بالنسبة له .. احسست بأنه يتكلم عن مخلوقة تعيش فى قلبه ، وفى عقله .

وانطلقت الغيرة فى صدرى .. وقلت فى حدة وسخط :

ــ ومالك زعلان قوى كده .. ما فيه مليون واحده عنـدها روماتيزم فى القلب .

وقال وعيناه هائمتان :

ــ بس مش نجوى .. دى رقيقه .. جميله .. لو تشوفى ابوها وامها عاملين ايه .. الاتنين عواجيز .. ومالهمش غيرها .. ابوها عنيه راحت من كتر بكاه عليها ..

وقلت وزوبعة من الحقد تقتلعنى :

ــ انشالله تموت ..

ونظر الى كأنه يخنقنى بعينيه ، وقال فى صوت بارد كحـد سكين :

ــ انتى مش انسانه .. انتى ما عندكيش قلب ..

ثم سكت .. كأنه يضن بان يتحدث عن مريضته امام مخلوقة مثلى ..

وسكت انا ايضا مدعية اللامبالاة .. والغيرة لا تزال تأكل فى صدرى ..

وقد بدات اغار على هاشم اكثر منذ ان عرفت محمـــد .. كانت مغامراتي مع محمد ، تجعلنى اخاف من ان افقد هاشـــم .. وكان تزايد برود هاشـــم ، يجعلنى أخاف اكثر .. فأنطلق وراءه لأتأكد فى كل لحظة اين هو .. وماذا يفعـــل .. واذهب الى شـــقته كلما غاب عنى لأبحث عنـــه .. وكان يغضب منى كثيرا لمضايقتى له ، ويلقى فى وجهى بســـماعة التليفون ، ثم يرفعها حتى لا استطيع أن أتصل به .. فكنت اجن .. كان يخيل الى انى لو تركته يوما واحدا غاضبا منى ، فسأفقده الى الأبد .. فكنت اجرى الى العيادة .. وكنت أعلم أنى لو صـــعدت فلن يسمح لى التومرجي بمقابلته ، فكنت أفتح سيارته الواقفة عنـــد الباب ، واجلس فيها ، انتظره .. انتظر ســـاعتين .. ثلاثا .. الى ان ينزل .. يرانى .. فيشهق .. ويتلفت حوله كأنه يخشى الفضـــيحة .. ثم يصحبنى الى البيت .. ويصالحنى .. فقط ليتجنب أن اسبب له فضيحة أخرى .. لقد أصبحت أبتز هاشـــم بالتهديد .. أبتز قواه ، ونقوده بالتهديد .. اصبحت مجرمة ..

وكنت اغار على محمد ايضا ..

ولكن غيرتى على محمد كانت نوعا من القلق .. فانى اعـــلم انه لم يكن فى حياته نساء اجمل منى .. ثم انى لا زلت جديدة فى حياته ، فلا يمكن أن أخشى مللة .. وشخصيتى وذكائى اقوى من شخصيته وذكائه .. ثم انه يعرف علاقتى بهاشم .. لقـــد اعترفت له .. لم اكن استطيع ان ادير حياتى بينه وبين هاشم . الا اذا اعترفت له .. اعترفت له بكل شيء .. قلت له ان هاشم هو الذى ينفق على . وينفق على منذ ست سنوات .. لأن ابى يضيع امواله على الزوجات والكونياك .. وقد رويت له كل ذلك فى صورة مأساة .. ودموعى تجرى على خدى .. كأنى ضحيه

.. ضحية انانية اب .. وضـــحية رجل احببه يوما م .. ن هاشم .. كل ما اضفته من عندى هو ان هاشم قد تزوجنى زواجا عرفيا .. وكنت مضطرة الى هذا الزواج لأنى فى حاجة اليـــه كى ينفق على ..

واحتار يومها محمد وقال والشك ملء عيونه :

ـ امال سبتى فريد ليه ؟

قلت وانا لا زلت ابكى :

ـ لأن فريد كان حايعيش معايا .. ما كنتش حا اقدر اقابلك انما هاشم مش عايش معايا .. ساايبنى حره .. اقدر اقابلك زى ما انا عايزه ..

قال :

ـ بس انا مستعد أصرف عليكى ..

وقلت :

ـ انا ما اقبلش يا محمد .. انت الحب الوحيد فى حياتى .. انا كان متهيالى انى باحب هاشم .. انما بعد ما قابلتك عرفت انى كنت راهمه .. ومش عايزه اخليك تتحمل مســئوليتى .. مسئولية ظروفى الوحشة .. عايزه احبك زى اى بنت بتحب حبيبها من غير ما يصرف عليها .. ده حقى .. حقى انى اكون زى اى بنت تانيه .. علشان كده رضيت ان هاشم يرجع يصرف على بعد ما سبت فريد .. ورضيت انى اتجوزه جواز عرفى .. وماما عارفه ..

وتاثر محمد بقصتى ..

اعتبرنى ضحية ..

ضحية ابى .. وهاشم ..

وقال وصوته ينبض باللوعة :

ــ مينو .. أنا مستعد انقذك من حياتك .. انقذك من ابوكى ومن هاشم المجرم .. مستعد اتجوزك بعد ما ..

وقاطعته :

ــ لا .. يا محمد .. ما تجيبش سيرة الجواز ..

وربما ارتاح محمد لانى أعفيته من سيرة الزواج .. وارتاح اكثر لانى أعفيته من مسئولية الانفاق على .. وارضى غروره ان اكون له .. وانا لرجل آخر ..

ولم أكن حتى هذه الأيام قد أحببت محمد .. ربما لم احبه أبدا حبا يغنينى عن هاشم .. ولكنى اندفعت معه .. واهمال هاشم لى جعلنى أندفع معه اكثر .. اصبحت أستهين بهاشم .. وازداد جراة فى الاستهانة به .. بل واتلذذ من الاستهانة به .. احس كأنى أذله .. كأنى احطم غروره .. كأنى انتقم منـــه .. وبلغ من استهانتى بهاشم انى كنت أذهب الى لقائه فى شـــقته فى الساعة الرابعة بعد مواعيد العيادة ، واعطيه نفسى ، ثم اتركه فى الخامسة والنصف ليذهب الى العيادة .. كنت انزل معه من الشقة .. واتركه يركب سيارته ، لأنه كان لا يحب أن يرانى احد معه فى النهار .. ثم اسير على قدمى أمام عينيه ، وبعد ثلاث دقائق .. مائة وخمسين خطوه بالضبط .. اصعد الى شـــقة محمد .. واعطيه نفسى ايضا .. ثم اتركه فى الساعة التاسعة ، واذهب الى البيت لأتصل بهاشم بالتليفون . واقسم له انى فى البيت منذ أن تركته ..

واصبحت هذه حياتى ..

هل كنت سعيدة ..

ابدا ...

انى اتعذب .. اتعذب بقلق يمتص دمائى .. وجهى يزداد

اصفرارا .. كأنى اصبت بسرطان الدم .. وافقد احساسى بجسدى يوما بعد يوم .. أحس به يموت بين ذراعى هاشم .. ويموت بين ذراعى محمد .. وانفعل .. افتعل النشوة .. افتعل انفاسى .. وافتعل صرخاتى .. افتعل وامثل حتى لا يحس احدهما بانه يأخذ جسدا يموت .. واعصابى ايضا تموت .. اصبحت فى حاجة الى عنف اكثر حتى اوقظها .. او حتى انسى نفسى .. انسى الحضيض الذى أعيش فيه .. فى حاجة لأن اضرب بعنف .. ولأن أتألم حتى الصراخ .. حتى انسى .. وحتى لا تذبل حواسى .. وحتى لا يموت جسدى ..

وأنا .. منساقة ..

منساقة فى التشبث بهاشم ..

ومنساقة فى الاندفاع مع محمد ..

وجد شىء آخر ..

لقد استطاعت امى .. وكنت قد عدت اقابلها سرا .. ان توسط بعض اصدقاء زوجى السابق عبد السلام حتى يسمح لى برؤية ابنتى .. كانت المسكينة تعتقد أن كل ما حدث لى ، وكل الجنون الذى اعيش فيه ، سببه أن ابنتى اخذت منى ..

ورضى عبد السلام أن يجعلنى ارى ابنتى .. بشرط ان اراها فى بيته بالسويس .. وذهبت اليه اول مرة مع صديقه وزوجته .. ودخلت بيته كأنى ادخل قطعة من ذكرياتى .. ذكريات كنت لا زلت خلالها فتاة منتشية بعمرها .. منتشية بجمالها .. منتشية بحبها ..

ولم تستقبلنى أمه .. تركونى مع الصديق وزوجته أكثر من نصف ساعة ، ثم جاء عبد السلام يشد فى يده ابنتى .. وما كدت

راها حتى سقطت امامها على ركبتى احتضنها الى صدرى .. وانا اصيح من خلال دموعى :

— هدى .. بنتى .. حبيبتى .. وحشتينى ..

واحسست وانا اضمها الى صدرى ، كأنه لا يزال فى حياتى شيء نظيف يمكن ان اضمه الى صدرى ..

ولكن هدى تنظر الى بعينين باردتين .

كأنها لا تعرفنى ..

والتفت الى عبد السلام وصرخت فيه :

— انت قلت لهـا ايه عنى .. قلت لها ايه .. البنت زى ما تكون مش عارفانى ..

وتدخل الصديق وزوجته ليهدئانى .. ورضيت بنصيبى الفاتر من حب ابنتى وتمنيت لحظتها لو استطعت ان اعود اما صالحة .. تمنيت لو بعت كل ما فى حياتى .. لأستعيد ابنتى .. استعيد حبها على الأقل .. واقسمت بينى وبين نفسى ان احاول .. يجب ان احاول ..

وقال لى عبد السلام وهو يودعنى بعد ان اتفقنا على ان يسمح لى بأن ارى ابنتى كل اسبوع ، فى السويس ..

— عامله ايه دلوقتى يا ميتو ..

قلت :

— كويسه ..

قال فى هدوء ووقار :

— ما كانش لك حق تسيبى فريد .. ده راجل كويس .. واعرفه ..

قلت :

— طبعا كان يهمك انى اتجوز علشان ما اطالبكش بالبنت ..

قال :

ــ ابدا والله .. أنا يهمنى انك تبقى كويسه .. حتى لو ما اخدتبش البنت .. دى بنتك وانتى أمها ..

قلت :

ــ انا كويسه .. احسن من اى ام فى الدنيا كلها ..

ونظر الى عبد السلام فى اشفاق، وهز راسه كأنه يعلم كل شيء عنى ..

ومضى يومان حاولت فيهما ان اتوب .. اتوب عن هاشم وعن محمد .. ولكنى لم احتمل اكثر من يومين .. انى وحيدة فى بيتى مع الخادمة .. وابى لا اراه الا ساعة او نصف ساعة عندما يعود فى المساء ، وقبل ان يصعد الى الشقة الأخرى التى تقيم فيها زوجته .. وكل ما يملأ حياتى فى البيت بعد ذلك هو مشاجراتى مع زوجة ابى .. مشاجرات حول اشياء تافهة .. حول طبق اخذته منى او اخذته منها .. حول خادمتها وخادمتى .. حول قطعة من اللحم فقدت من ثلاجتها او ثلاجتى .. حياة لا تساعدنى على أن احتمل .. حتى ولو من اجل ابنتى ..

وعدت ..

عدت الى الاثنين ..

وفى الاسبوع التالى ذهبت لأرى ابنتى فى السويس .. ولم اكن استطيع أن أذهب فى القطار او فى الأتوبيس .. فطلبت من هاشم ان يأخذنى فى سيارته .. وكان اليوم يوم الجمعة ، يوم عطلته .. ولكنه رفض .. ومنيته بكل ما استطيع ان اعطيه له .. منيته بأن نذهب بعد ذلك الى العين السخنة .. ومنيته بأن نقضى يوما هائلا يريحه من عمله الكثير .. ولكنه رفض .. واضطررت ان الجأ الى محمد .. وفرح محمد .. ولا ادرى لماذا

ثم ألجأ الى محمد من أول الأمر .. ربما لأنى لا زلت أعتبر نفسى ملكا لهاشم .. لا زلت أعتبره رجلى ..

وقطعنا الطريق أنا ومحمد ، ونحن نضع خططا صبيانية لخطف ابنتى من عبد السلام .. ثم نزلت من السيارة عند مدخل السويس حتى لا يرانى عبد السلام معه .. واتفقت مع محمد أن ينتظرنى فى نفس المكان بعد ساعتين .. ثم ركبت سيارة تاكسى وذهبت الى بيت عبد السلام .. ورايت ابنتى .. جلست معها ثلاث ساعات .. اربعا .. لم أكن أستطيع أن اتركها .. وقد بدا برودها يذوب .. وبدات تعطينى حبها وحنانها ..

وعدت فى سيارة اجرة ، لأجد محمد فى انتظارى .. وقد استبد بى الزهق .. وقررت أن أكافئه .. فلم اعد الى بيتى .. عدت الى شقته وبت معه حتى الصباح ..

ربما كانت أول مرة يبيت فيها محمد مع امراة حتى الصباح .. فقد ذعرت أمه .. خافت عليه .. وبدأت من يومها تناصبنى العداء .. وكنت قد عرفت أخوات محمد البنات من خلال التليفون كما عرفت أخت هاشم .. بل عرفت أمه أيضا .. كل الأخوات لهن أسلوب واحد وطابع واحد فى التحدث الى صديقات أخوتهن .. الرقة المفتعلة .. والفهم المتبادل .. والضحكات الخبيثة .. وكل الأمهات أيضا .. ولكن منذ بدا محمد يبيت معى ، تغيرت معاملة الأم اولا .. ثم تغيرت معاملة الشقيقات ..

وقد أصبحت أبيت مع محمد كل أسبوع كلما ذهبنا الى السويس ..

واشعر بالشماتة فى هاشم وانا اقضى الليل مع محمد .. ربما لم تكن شماتة .. ولكنها كانت حسرة لأن هاشم لم يقض الليل معى أبدا فى القاهرة .. وفى كل مرة .. ابتكر كذبة لهاشم

.. كنت نائمة عند بنت عمتى .. كنت نائمة عند خالتى .. ولم اتأكد بعد اذا كان هاشم يصدق كذباتى أو لا يصـــدق .. ولكنى كنت أتلذذ من الكذب عليه .. كان يخيل الى ان كل كذبة هى انتصار عليه ..

ثم حدث ان امى اقنعت عبد السلام بان يرســل لها ابنتى لتقيم معها شهرا فى الاسكندرية أثناء الصيف ، ورضى عبد السلام بعد ان تعهد له زوج أمى بأن تكون ابنتى فى رعايته ..

واصبحت اسافر مع محمد الى الاسكندرية كل اسبوع لارى ابنتى هناك .. كانت أمى تأخذ ابنتى فى كابين احدى صديقاتها واذهب لرؤيتها .. ثم اقضى الليل مع محمـــد فى شقة عائلته التى لم تكن تصيف فى هذا العام .. ومن بيت عائلة محمد كنت اتصل بهاشم فى القاهرة بالتليفون .. ومحمد واقف بجانبى .. مقتنعا ان هاشم زوجى .. زوجى العرفى .. وكنت اقول لهاشم انى ابيت فى بيت خالتى .. وانه يستطيع أن يتصل بى فى التليفون اذا أراد .. ثم أعطيه نمرة تليفون محمد .. ويقول هاشم فى برود :

ــ حاضر ..

والح عليه :

ــ بعد ما تخلص العيادة كلمنى يا هاشم .. ضرورى ..

ويرد هاشم :

ــ باذن الله ..

وكنت أنتظر بجانب التليفون وأنا فى أحضان محمد .. كنت أريد من هاشم أن يحدثنى ، حتى يزداد محمد اقتناعا باننا متزوجان .. وحتى أرضى غروره .. غرور محمد .. وهو يحس انه فى

احضان زوجة رجل مشهور مثل هاشم .. ثم لاحس بانى اذل هاشم ..

ولكن هاشم لم يكن يتحدث ..

ابدا لم يتحدث ..

كانه كان يعرف اين انا ..

بل انه لم يكن يسألنى شيئا بعد ان اعود من الاسكندرية او من السويس .

ومع مرور الايام .. لم اعد اسافر لارى ابنتى .. لم تعد ابنتى هى السبب الاول لسفرى .. اصبحت رؤيتى لها معادة مكررة لا اتحمس لها ، كأنها تقيم معى .. واختفت من راسى كل الخطط التى كنت اضعها لخطفها ، واستعادتها .. لقد حاولت فعلا ان انفذ بعض هذه الخطط ، ولكنى فشلت انا ومحمد .. انما اصبحت اسافر لابقى مع محمد .. ولاحس انى بعيدة عن هاشم .. مستقلة عنه .. ولو يوما او يومين واعصابى تزداد تلفا ..

واحساسى الجسدى يذبل ..

ولا زلت فى حاجة الى مزيد من العنف ..

وتفاصيل كثيرة لا يمكن ان تتعرض لها النساء المحترمات .. تفاصيل تؤثر حتى فى كيانى الداخلى .. اننى امراة اخرى .. اننى قريبة جدا من نساء الرصيف .. ان نساء الرصيف نساء ايضا ! ..

وكانت تمر على أيام تتجسم فيها الحالة التى وصلت اليها الى حد ان افكر فى الانتحار .. وابكى كانى اشيع جثتى .. كأنى فى جنازة عمرى .. وأتمنى على الله ان ينقذنى .. ينقذنى من نفسى .. من جنونى .. ولم يكن احد يستطيع انقاذى

الا هاشم . لو انه اهتم بى اكثر .. لو انه شعر بالغيرة على . لو انه عبر لى عن شكوكه التى تبدو فى عينيه .. لو انه هددنى .. لو انه طمأننى الى حبه .. فربما استطاع أن ينقذنى . واستطعت أن انقذ نفسى .. بل انى فكرت فى أن اعترف له بأن هناك رجلا آخر يأخذ جسدى .. رجلا اقضى فى أحضانه ليالى كاملة .. فربما بعد أن أعترف له يثور .. أو على الأقل يفتح لى بابا جديدا استطيع أن افر منه .. افر من حالتى .. ولكنى لم أعترف له .. خفت خفت أن أفقده .. وهو يزداد برودا واهمالا .. واحس به يبتعد عنى بقلبه وعقله .. وأحس أن هناك فى حياته فتاة أخرى .. لعلها مريضته نجوى .. انه يرفض أن يتحدث عن نجوى الا فى كلمات متناثرة .. ولكنى أراها فى عينيه .. فى شروده . وكل ما عرفته عنها أنها تسكن فى شارع الهرم ..

وكان هاشم احيانا يلقى الى بكلمات مبتورة يعبر بها عن شكوكه .. فاجأنى مرة قائلا :

ــ عامله ايه مع محمد ..

وفوجئت فعلا .. وكاد لسانى يسبقنى .. ولكنى استطعت أن اسيطر على ذكائى بسرعة ، وقلت وانا لا أنظر الى عينيه :

ــ محمد مين ؟

واتسعت ابتسامته وقال كأنه يستخف بى :

ــ ما تعرفيش واحد اسمه محمد ..

قلت :

ــ أعرف عشره اسمهم محمد .. تقصدك مين فيهم ؟

قال وهو يهز كتفيه :

ــ ولا واحد من العشرة .. اقصد محمد الحداشر ..

قلت وقلبى يدق :

ــ ما تجننيش .. اتكلم بصراحه ..

ــ مهما اتكلمت بصراحة حاتنكرى .. حاتحلفى ببنتك .. وحاتحلفى بالقرآن .. أنا عارفك .. انما كل ده مش مهم .. المهم انك غبية .. لأنك مش قادره تحسى انك حره ، مش قادره تعرفى انى ما ليش حق عليكى .. انا مش جوزك علشان تتعبى نفسك وتكذبى على .. وانتى تقدرى تعرفى واحد تانى ببساطة .. ونبقى أنا وانتى أصـــدقاء . .ويمكن لما نبقى اصدقاء نبقى احسن من كده ..

قلت وانا اضع عينى فى عينيه :

ــ انا ما باكذبش عليـــك .. ويوم ما حااعرف واحـــد حااقولك ..

قال وكأنه لم يسمعنى ورنة غيظ فى صوته :

ــ واحب اقول لك كمان ان من السهل على أى واحده انها تعرف اتنين وتلاته .. انما الصعب انها تعرف واحد بس .. الخيانه سهله .. والاخلاص صعب ..

وصرخت :

ــ انا مش فاهماك .. كلمنى بصراحه .. قصدك ايه ..

قال فى برود :

ــ مش ممكن تفهمينى .. لأنك غبيه ..

قلت :

ــ انا غبيه لانى باحبك ..

قال فى قرف :

ــ اذا كنت فاكره اننا كنا بنحب بعض .. فأحب اقولك ان

حبنا بيطلع فى الروح .. حبنا حالة سرطان .. ما فيش فايده منه ..

وسقطت دموعى .. دموع صادقة ، تحمل كل همى .. وقلت :

ـ انا لسه باحبك يا هاشم .. باحبك زى الأول واكتر ..

وقال وهو يزفر أنفاسه :

ـ طيب ..

وتركنى ..

لم يحاول أن ينقذنى من نفسى ..

لم يحاول أن يتتبع حياتى ، أو يتدخل فيها ليحد من حريتى .. حريتى التى تقتلنى ..

وأعصابى تزداد تلفا ..

واحس بها تختنق كلما رقدت فى فراش هاشم ، أو فى فراش محمد .. احس كأنى اريد ان اخلع جلدى .. كأنى فى حاجة الى سكين لأسلخ جلدى عن جسدى لعلى استطيع بعد ذلك أن انطلق .. كان جلدى سجن يخنق جسدى ويثير فيه كل هذا الاحساس بالاختناق .. فأحاول ان اهرب من جلدى .. ان اخلع جلدى ..

هل هذا تعبير مبالغ فيه .. ابدا .. لقد كنت أحاول فعلا أن اخلع جلدى ..

حدث هذا فى احدى المرات القليلة التى دعانى فيها هاشم للسفر معه لقضاء نهاية الأسبوع .. كان أيامها يشعر بصداع دائم نتيجة عمله الكثير ، فقرر أن يأخذنى أنا والصداع ، ويسافر الى منطقة العلمين التى تقع فى الطريق الى مرسى مطروح ..

وقلت لمحمد انى مسافرة مع هاشم .. لم اكن فى حاجه الى ان اكذب عليه ، فهو مقتنع تماما بأنى متزوجة هاشم .. عرفيا ..

وفى العلمين فندق صغير مكون من اربع غرف فقط .. هادىء .. انيق .. يطل على طريق مرسى مطروح .. وتمتد أمامه مقابر الحلفاء .. ويفصله عن البحر أرض مملحة واسعة ، تبرق فيها حبات الملح ، فتبدو كأنها ارض مزروعة بالنجوم .. بحبات الماس .. وبنات العربان فى ثيابهن الزاهية ، وابتساماتهن الحلوة الساذجة يطفن حول الفندق .. ولون مياه البحر زرقاء صافية لا تراها فى اى مكان آخر من البحر .. انها دنيا مسحورة .. احسست كأنى انتقلت الى أسطورة ..

وقيد هاشم اسمه فى سجل الفندق كعادته « هاشم محمد عبد اللطيف وحرمه » .. رفع لقب دكتور .. وأضاف اسم « محمد » .. وأنا .. حرمه .. ثم صعدنا الى غرفتنا ، وخلعنا ثيابنا وارتدى كل منا « المايوه » .. ارتديت المايوه المخطط بخطوط زرقاء ، الذى اشتراه لى هاشم فى احدى رحلاته .. ثم خرجنا نسير فوق الأرض المملحة .. فوق النجوم .. فوق حبات الماس .. الى أن وصلنا الى البحر .. لا احد معنا .. انا وهو وحدنا فى الدنيا كلها .. وهاشم هادىء .. سرحان .. صامت .. ربما كان يفكر فى مرضاه او فى مريضة معينة بالذات .. وانا سعيدة .. هائمة فى كل ما حولى .. والهواء يخبط فوق جسدى الذى يكشف عنه المايوه .. ويربت عليه .. فى رفق .. وحلاوة .. كأنه يد عاشق رقيق .. وأنظر الى هاشم .. انفه الكبير .. وعيناه المنتفختان .. وصدره العارى القوى .. وجسده المتسق .. واحس انى اريد ان ادخل فيه .. اريد ان أعيش فى داخله

.. احس انى احبه .. احبه .. واحس انى اريده .. اريده ..

ولكنى فجأة تذكرت محمد .. احسست ببصمات محمد فوق جلدى .. احسست أنى لن استطيع أبدا أن أعطى لهاشم جسدا نظيفا .. وانى لن أستطيع أبدا أن اتمتع به الا اذا غيرت جلدى ، ولبست جلدا نظيفا .. نفس الاحساس الذى احس به عندما اشعر بحاجتى الى أن استحم لأزيل الأتربة عن جسدى . حتى انام نظيفة .. ولكنه احساس مجسم اكثر .

والتوت اعصابى نتيجة هذا الاحساس ..

اعصابى تخنقنى ..

والتفت الى هاشم قائلة فى عصبية مباغتة :

ـ قوم نتمشى شويه يا هاشم ..

وكان هاشم مستسلما ، على غير عادته وقام من جلسته على الشاطىء ، وسار بجانبى .. والدنيا كلها ليس فيها الا انا وهو .. وانا اعانى احساسى بأنى اريد ان انطلق من جلدى .. اريد أن أفعل أى شىء أنسى بعده أن جلدى ليس نظيفا ..

ووصلنا الى منحنى فى الشاطىء تخفيه الصخور ..

وفجأة توقفت ..

وبلا ادنى تفكير .. خلعت المايوه .. وقذفت به بعيدا ..

انى عارية ..

عارية تماما ..

واحسست فجأة بالانطلاق .. الانطلاق من السجن .. احسن كأنى خلعت جلدى .. والمايوه ليس سوى قطعة صغيرة من القماش ، ورغم ذلك فقد احسست انى تخلصت من حمل ثقيل .. ثقيل جدا .. واحسست براحة .. راحة لذيذة .. ربما لم يكن السبب هو قطعة القماش .. ولكنها التقاليد ..

التقاليد التى تخلصت منها .. حتى لو كانت التقاليد مجرد مايوه ..
وارتميت عارية على الرمل وعيناى مبتهلتان الى هاشم ..
ونظر الى هاشم فى امتعاض ، وتمتم بكلمة لم أسمعها .. ولكنى أعرف هذه الكلمة .. « يا مجنونة » .

ثم ادار ظهره ، وجلس على احدى الصخور ..

وظللت أنظر اليه ، وقلبى يرتجف .. لا ادرى لماذا فعلت هذا .. ولا ادرى ماذا افعل بعد هذا .. ولكنى قمت بعدها ، والقيت نفسى فى مياه البحر .. عارية .. شىء آخر عندما كنت أنزل البحر وانا بالمايوه وصرخت فى هاشم :

ـ تعالى يا هاشم .. الميه لذيذه قوى ..

وقال فى برود :

ـ لا .. مش حانزل دلوقتى ..

ثم قام من جلسته ، وسار عائدا ، وخرجت من الماء . اجرى وراءه .. عارية .. وانا اصرخ :

ـ هاشم .. هاشم ..

ولحقت به .. تعلقت به وانا أتوسل اليه :

ـ ما تعملش فى كده يا هاشم .. انت مش عارف حالتى شكلها ايه ..

ونظر الى هاشم فى اشفاق ..

لقد تغير هاشم ..

لن يكون ابدا كما كان ..

انه لا يثور .. لا يضربنى .. ولا .. ولا .. انه فقط يشفق علىّ .. لم أعد فى نظره .. سوى مجنونة .

لماذا خلعت يومها المايوه ..

لانى كنت اريد ان اخلع جلدى .. جلدى المتسخ .. لعلى

اكتسب جلدا نظيفا .. او لعلى اغسل هذا الجلد وازيل ما عليه من بقع .. ولكن لا .. بقعة الجلد لا تمحى ابدا .. انهابقعة فى القلب .. وبقعة فى العقل ..

وازداد تلفا ..

ولكن ..

محمد يزداد حبا ..

ويزداد تحمسا لانقاذى من ظروفى ..

انه لا يطيق هاشم ..

يريد أن ينقذنى من هاشم ..

انه يريد أن يتزوجنى ..

يريد أن أترك هاشم ليتزوجنى ..

هل هذا معقول ..

هل يمكن أن يحدث ..

محمد يتزوجنى انا ؟ ! ..

لم لا ..

كان زواجى من محمد املا كبيرا .. اكبر من ان اصدقه .. أكبر من أن اتعلق به .. ان زواجى به هو الشىء الوحيد الذى يمكن أن يرد الى حياتى .. يرد الى سمعتى .. يرد الى اعتبارى امام أهلى وصديقاتى ، والمجتمع الذى اعيش فيه .. ان محمد أمل احسن بنات البلد .. وامه تخطب له بنات اكبر واشهر عائلات مصر .. فلو تزوجنى انا ، فمعنى ذلك انى أحسن من كل بنات البلد .. ثم ان محمد هو الذى يستطيع — لو تزوجته — أن يجعل منى فتاة هادئة .. أن يشفينى من جنونى .. أن يحررنى من الأنف الكبير الذى يتنفس من عمرى .. وقد كان محمد هو الرجل الوحيد — بعد هاشم — الذى احتفظت به كل هذه المدة الطويلة

.. اكثر من عام حتى الآن .. انباقون كلهم لم اطق ان احتفظ بهم اكثر من شهر او شهرين ..

ولكنى كنت اعلم ان محمد لن يستطيع ان يتزوجنى الا اذا تحدى اهله . تحدى امه واخوته واعمامه .. انهم ان يوافقوه ابدا على زواجه بى .. انهم يعلمون عنى اكثر مما يعلم محمد نفسه .. وكانوا ينقلون اليه قصصا عنى .. فلا يصدقها ، لأنه كان يصدقنى انا وحدى ..

فهل يستطيع محمد ان يتحدى امه . هل يستطيع ان يضحى بهم من اجلى .

لست واثقة ..

انه يعذبنى ..

انه يقسم لى ان امه ستستسلم فى آخر الأمر .. لأنها لا تستطيع أن تضحى به .. انه ابنها الوحيد فوق ثلاث بنات ..

وهو يريدنى ان اترك هاشم ..

ان أمزق هذا الزواج الموهوم الذى اقنعته به ..

ولكنى لا استطيع ان اترك هاشم .. ليس الآن .. ان هاشم هو سلاحى الذى اثير به محمد وادفعه الى التحدى .. تحدى اهله .. ان هاشم هو قوتى على محمد .. ولن أتنازل عن قوتى الا فى اخر .. الا بعد ان ارى المأذون بعينى ..

وبقيت مع الاثنين ..

هاشم ، ومحمد ..

وتعبت ..

يارب .. انى اتمزق .. مستحيل ان احتمل هذه الحياة طويلا .. جسدى نفسه لا يمكنه ان يحتمل كل هذا .. صحتى .. اعصابى ..

انى ممزقة بين اثنين كل منهما يرتاح فى يومه ما فيه الكفاية .. وانا وحدى التى لا ارتاح فى يومى ..

هاشم يقابلنى فى النهار ، وينام فى الليل .. ومحمد ينام فى النهار — بعد الغداء — ويقابلنى فى المســاء .. او العكس .. اما انا فلا انام .. اقابل هاشم ومحمد نائم ، واقابل محمد وهاشم نائم ، واطمئن الى ان كلا منهما نائم قبل ان اذهب الى لقاء الآخر .. بل انى احيانا كنت اقابل الاثنين فى ليلة واحدة .. اسهر مع هاشم حتى الساعة الواحدة ، ثم يعود بى الى البيت .. واجد نفسى وحدى .. واعصابى تالفة .. فأتصل بمحمد فى التليفون ، واطلب اليه ان يأتى .. وانزل معه لأبقى حتى الساعة الخامسة ..

واستأذن كلا منهما فى كل مناسبة لاقنعه انه رجلى .. اذا اردت ان انزل البلد اتصلت بهاشم واستأذنته ، ثم اتصلت بمحمد واستأذنته ..

وكل منهما اشعره بأنه مسئول عنى واستشيره فى امورى .. وكل منهما ينهال على بنصائحه ..

هاشم يقول فى لهجة تحذير وعينــاه غائمتان لا استطيع ان اعرف اذا كان ينظر بهما الى ام ينظر الى لا شىء :

— امينه .. انتى ماشيه فى سكه خطر .. خدى بالك .

ومحمد يصيح فى حماس شبابه وحبه :

— ميتو .. انتى مش حتقدرى تستمرى بالشكل ده .. لازم تسيبى هاشم ..

وانا اسد اذنى عن نصائح كل منهما .. ولا اطمئن الى واحد منهما .. ان كلا منهما يستطيع ان يتركنى فى اى لحظة دون كلمة

وداع .. فكيف أطمئن .. ولماذا لا يتزوجنى أحدهما ، بدلا من ان ينصحنى ..

ومحمد يرى العلامات الزرقاء التى يتركها هاشم عنى جسمى .. فيغضب . ويثور .. ويجن غيرة ..

وهاشم يرى العلامات الزرقاء التى يتركها محمد على جلدى .. فيقرف .. وينظر الى كأنى شىء يقززه .. رغم انى أقسم له بأن هذه العلامات ليست سوى اثر لارتطام ساقى بحافة المائدة ؛ او اثر من سقطتى وانا نازلة على السلم .. واقول له كأنى اتوسل اليه ان يصدقنى :

ــ انت عارف ان جلدى حساس .. اى حاجه بتعلم فيه ..

وينظر الى كأنه لن يصدقنى ابدا ..

واصبحت ابذل مجهودا كبير حتى لا يترك احدهما علامة زرقاء على جسدى ، فيحاسبنى الآخر عليها .. مجهودا كان يفقدنى كثيرا من متعتى ..

ولم يكن هاشم يشغل وقتى قدر ما يشغله محمد .. فهاشم مشغول عنى بمرضاه .. ويهملنى .. ولكن محمد فاضى .. انه يذهب الى الشركة التى يعمل فيها فى الصباح ، ويخرج منها فى الساعة الواحدة .. ثم يتفرغ لى حتى صباح اليوم التالى .. اما معى .. واما فى بيته يحدثنى فى التليفون ، او ينتظر ان احادثه فى التليفون ..

ولم اكن ابذل مجهودا كبيرا فى خداع هاشم ، فهو يتقبل خدعتى بسرعة حتى لو اكتشفها .. كأنه يدفعنى فى طريق يريدنى ان اسير فيه .. وكلانا يعلم ان حبنا يذبل ويموت ؛ او على حد تعبيره ، حب أصيب بالسرطان .. فكان كأنه يترك حبنا للسرطان .. اما محمد فحبه جديد ، لا يزال محتفظا بكل

حرارته .. انه يكلفنى مشقة فى خداعه ، واضطر أن أمثل أمامه دور الفتاة المظلومة التى رماها القدر فى يد رجل أحبته ورفض أن يتزوجها الا زواجا عرفيا خوفا من أهله ، وتركها تعيش وحدها فى بيت أبيها .. فلا هى زوجة ، ولا هى حرة .. ومحمد يتحمس وينقل الى أخبار أمه يوما بيوم ، ويؤكد أنه ينتظر اللحظة المناسبة ليفاتحها فى زواجه بى .

ولكنى كنت أخاف على هاشم أكثر .. كنت أخاف أن يتركنى فجأة ، وقبل أن أتزوج محمد .. كنت لا أريده أن يتركنى الا فى اليوم الذى أحدده أنا .. أكثر من ذلك .. كنت أريد أن أتركه أنا قبل أن يتركنى هو .. وكنت أعلم أنى سأجن لو تركنى قبل أن أتركه .. وكل ذلك يدفعنى الى ملاحقته أكثر .. الى الاطمئنان دائما الى أنه فى عيادته ، أو فى بيته ، أو مع أصدقائه .. الاطمئنان الى أن امرأة أخرى لم تأخذه منى ..

الى أن كان يوم ..

وبحثت عن هاشم بالتليفون فلم أجده .. ونزلت كالمجنونة وركبت تاكسى واخذت ــ كعادتى ــ ابحث عنه .. ولم أجده فى شقته .. ولا فى شقة أحد من أصدقائه .. ثم تذكرت فجأة « نجوى » .. الفتاة المريضة التى تشرد عيناه كلما لفظ اسمها .. وتذكرت انه قال لى مرة انها تسكن فى شارع الهرم .. فأمرت سائق التاكسى بأن يتوجه الى هناك .. وما كادت السيارة تتعدى النفق الذى يقع فى أول الشارع .. حتى لمحت هاشم فى الناحية الأخرى من الشارع ، عائدا فى سيارته .. يقودها فى بطء .. ويدخن سيجارته فى هدوء وبين شفتيه ابتسامة نائمة .. كأنه أسعد رجل فى العالم ..

وأمرت سائق التاكسى ان يلف ويتبع سيارة هاشم .. وما كاد التاكسى يوازى سيارة هاشم ، حتى أوقف سيارته بسرعة ..

وأوقفت التاكسى ، ونقدته اجرته ، وتقفزت الى سيارة هاشم .. وقلت وعيناى تنبشان وجهه :

ـ كنت فين حضرتك ؟

وقال وقد قطب جبينه كأنه افاق من حلمه الجميل :

ـ ما تسألنيش .. انتى مالكيش حق تسالينى .. لازم نعرفى اننا سبينا بعض من زمان .. وانا سايبك تعملى اللى انتى عايزاه ، وكل اللى باطلبه منك انك تسيبينى اعيش زى ما انا عايز ..

وقلت وقد صدمتنى المفاجأة :

ـ انت بتتكلم جد يا هاشم ؟

قال فى اصرار :

ـ طبعا . باتكلم جد ..

قلت والدموع تملأ عينى :

ـ يعنى احنا سبنا بعض خلاص ..

قال وهو ينظر الىّ :

ـ انتى عارفه اننا سيبنا بعض من زمان ..

قلت وقد انهمرت دموعى وارتفع نشيجى :

ـ لا .. مش عارفه .. أنا ما سبتكش .. وانت مش من حقك انك تسيبنى .. ما تقدرش تسيبنى بعد ما عملت فىّ كل ده ..

ولم يرد هاشم ..

ظل صامتا مزموم الشفتين ...

واشتد بكائى .. وارتفع نشيجى اكثر .. واخذت الطم على

حدى .. وادبدب على ارض السيارة بقدمى .. وهاشم لا يتأثر .. لم تعد دموعى لها قيمة عنده من كثرة ما بذلتها له ..

وقال فى صمت جامد :

ـ تسمحى تبطلى عياط .. احنا فى الشارع ..

وصرخت فيه :

ـ انت ما يهمكش حاجة الا نفسك .. مش كده .. عايزنى اصرخ والم الناس عليك ، علشان يشوفوا الدكتور المشهور بيعمل فى بنات الناس ايه ..

وقال فى برود :

ـ بنات الناس ما يصوتوش فى الشارع ..

وامتلأ قلبى بالغل .. وخيل الى انى سأضربه .. سأمزق وجهه باظافرى .. ولكنى لم استطع الا ان ابكى ..

واوصلنى هاشم الى بيتى فى الروضة .. وقال وانا انزل من السيارة دون أن يلتفت الى :

ـ مع السلامة ..

وقلت وانا اخبط باب السيارة ورائى كأننى اصفعه به :

ـ ربنا ينتقم منك ..

وانطلق بسيارته قبل أن ادخل من باب العمارة ..

وسكتت دموعى بمجرد ان دخلت بيتى .. لم تكن كلها دموعا حقيقية .. ان دموعى فى حقيبتى واستطيع ان اذرفها وقتما اشاء ، واستطيع ان اخفيها وقتما اشاء .. ولم اكن فى الواقع قد صدقت هاشم عندما قال لى انه تركنى .. انى أعلم انه لم يقل ذلك الا تخلصا من الحرج الذى يعانيه بعد ان ضبطته عائدا من عند نجوى .. ثم انى أستطيع دائما ان أعيد هاشم الى .. انى واثقة انى استطيع ان اعيده ..

واتصلت بمحمد بالتليفون واتفقت معه على ان ياتى ليأخذنى فى الساعة التاسعة مساء .. ودخلت الحمام لأقف تحت الدش . وافكر فى الطريقة التى اصالح بها هاشم وأعيده الى .. وخرجت من الحمام وبدأت ألبس ثيابى .. لبست الثوب الأسود الذى يكشف عن كتفى .. ورفعت شعرى الى أعلى .. وعلقت فى أذنى الحلق الماسى الطويل الذى اشتراه لى هاشم .. كنت قد قررت أن اقضى ليلة كبيرة مع محمد انتقاما من هاشم .

وفجأة .. قبل أن أتم زينتى ، خطرت لى فكرة أسترد بها هاشم ..

ضغطت على عينى حتى استدررت دموعى .. اخرجت دموعى من حقيبتى .. ورفعت سماعة التليفون ، واتصلت بمديحة أخت هاشم .. وما كدت اسمع صوتها حتى انطلقت قائلة وأنا انشج :

— مديحه هانم .. أنا أمينه .. أحب اقول لك ان اذا حصل لى حاجه فالسبب اخوكى .. انا خلاص .. مش ممكن اعيش بعد كده .. استحملت كفايه .. ما بقاليش حد اروح له الا ربنا .. انا رايحه لربنا .. قولى لاخوكى انه مش حايقدر يعيش بعدى .. مش حايقدر .. ربنا حاينتقم لى منه ..

وصرخت الست الطيبة :

— ما تقوليش كده يا أمينه يا حبيبتى .. اهدى بس وقوليلى حصل ايه ، وانا اعمل لك كل حاجه ..

قلت ودموعى تتجمع فى سماعة التليفون :

— ما فيش فايده .. أنا خلاص يئست .. استحملت ست سنين .. كفايه .. كفايه .. مافيش قدامى بعد كده الا انى أموت .. قولى لاخوكى انى مت .. واستريحت منه ..

ووضعت سماعة التليفون ..

وعدت الى مرآتى ، امسح دموعى ، واتم زينتى ..

وكنت اعلم ان مديحة لن تستطيع ان تتصل باخيها الا فى صباح اليوم التالى ، او فى اخر الليل بعد ان يعود من سهرته .. وسيحاول هاشم ان يتصل بى ليطمئن على ، فاقنعه بانى حاولت الانتحار ، وان ابى انقذنى صدفة .. فيشفق على ويصالحنى ..

كانت هذه هى خطتى ..

واتممت زينتى .. ووضعت على كتفى الفراء الفيزون الذى اشتراه لى هاشم ايضا .. ونزلت للقاء محمد ..

ونزل محمد من سيارته ليستقبلنى كعادته ..

وفجاة ..

وقفت سيارة بجانبنا ..

ونزلت منها سيدة ملهوفة ، وبجانبها رجل ..

وصعقت ..

انهـا مديحة اخت هاشـم ، وزوجها .. جاءا لينقذانى من الانتحار ..

ووقفت امامى مديحة مذهولة .. تنظر الى ثم الى محمد .. كأنها لا تفهم شيئا .. ثم تمتمت :

ـــ انا آسفة .. انا جيت اطمن عليكى ..

ثم عادت تنظر الى محمد ثم تنظر الى ..

وتمالكت اعصابى ، وقلت فى هدوء ..

ـــ انا كويسة والحمد لله .. رقت .. لقيت ان فيه طريقه تانية ..

ثم قدمت محمد لها ولزوجها ..

ـــ محمد مهران ..

ولم أعلق شيء .. ولا ارتعشت ..

وهزت مديحة راسها ، ثم صحبت زوجها وعادا الى سيارتهما .. والتفتنا ليرياني وانا اركب بجانب محمد في سيارته ..

وبدات افيق من المفاجأة .. وبدأ قلبي يرتجف .. وقلت وأنا انظر امامي في سواد الليل :

— تعرف دي مين ؟

وقال محمد بلا اهتمام :

— مين ؟

قلت :

— دي اخت هاشم ..

والتفت الى وقد اتسعت عيناه ، وقال في دهشة :

— صحيح ..

قلت :

— تقدر تعتبر اني سبت هاشم خلاص ..

قال :

— تفتكري ان اخته حاتروح تقوله ؟

قلت :

— طبعا .. وحتى لو ما قالتش له .. انا كنت مقرره من الصبح اني اسيب هاشم .. خلاص ما بقتش قادره استحمله .. ما كنش ممكن احبك ، وافضل معاه .

ثم انطلقت ابكي ..

ابكي بدموع حقيقية .. كنت ابكي غيظي لفشل خطتي .. وكنت ابكي خوفي من أن افقد هاشم .. وانطلق من قلبي صاروخ حاد من الكراهية لاخت هاشم .. اني اكرهها .. اكرهها ..

اكره السيدة الطيبة التى صدقتنى نجاعت تنقذنى من الانتحار .. اكرهها لانها لم تحاول اقناع هاشم بأن يتزوجنى عندما ذهبت اليها وأطلعتها على حبى له .. وأكرهها لأنها كشفت حيلتى .. كشفت حقيقتى .. واكرهها لأنها انسانة سعيدة شريفة لها بيت وأولاد .. وانا أكره كل النساء السعيدات الشريفات .. اكرهها .. ولا زلت اكرهها حتى اليوم ..

وبدأ عقلى يفكر وانا ابكى .. ربما كان فيما حدث مصلحة لى .. ان محمد الآن قد ازداد تأكداً من أنى ستزوجة بهاشم بعد ان راى اخته تأتى لزيارتى .. وانا الآن استطيع ان احمله مسئولية كل ما يحدث لى .. استطيع ان اقول له دائما انه هو السبب فى طلاقى الموهوم من هاشم .. ولن يستطيع ابدا أن يفر من هذه المسئولية .. انى أملك اليوم اكثر من اى يوم آخر ، ان اتزوجه ، بالالحاح على ضميره وعلى شهامته ، ومهما عارضت أمه واخوته البنات ..

وضغطت على عينى ، وقلت فى صوت الشهيدة :

— أنا خلاص يا محمد .. ما بقاش لى فى الدنيا كلها الا انت ..

ومد محمد يده والتقط يدى ، وضغط عليها فى حنان . وقال فى حماس صادق :

— احنا حنتجوز يا ميتو .. تأكدى اننا حانتجوز ..

وبقيت معه ليلتها حتى الخامسة صباحا ابكى .. واروى له قصصا عن نذالة هاشم ، والعذاب الذى سقاه لى . ثم اعطيه من نفسى .. اعطيه كانى أرشوه ليتزوجنى .. واعطيه لأنسى .. انسى هاشم .. ولم اكن ليلتها اريد ان اترك محمد

ابدا .. كنت اخاف أن اعود الى بيتى فأغرق وحدى فى لوعتى على هاشم .. وخوفى من حياة لا يشاركنى فيها ..

وما كاد محمد يوصلنى الى البيت حتى سقطت فى البئر .. البئر العميقة التى حفرها هاشم فى صدرى .. نسيت فى لحظة واحدة كل الساعات التى قضيتها مع محمد .. ووجدت كل عقلى ، وكل قلبى وراء هاشم .. يبحثان عنه ليعيداه .. واتعذب .. كل قطعة منى تتعذب باللهفة اليه .. صدرى ينقبض .. معدتى تنقبض .. عقلى ينقبض .. اوصالى تنقبض .. والخوف .. الخوف وانا اتصور نفسى أعيش بلا هاشم .. لقد انقضت سنوات طويلة وانا أعيش معه .. كل ما فعلته ، فعلته وانا معه .. كل يوم من ايامى كنت استمده منه .. وكان رجلى .. كل الذين عرفتهم كانوا شيئا آخر .. هاشم وحده كان رجلى ..

وخيوط من الأمل تلمع فى راسى ، ثم تنطفىء .. لعل اخته لم تبلغه بما رأته .. لعله يقتنع بأن ما فعلته كان مجرد غلطة عابرة ارتكبتها وانا غاضبة منه ..

ولم انم ..

بقيت مفتحة العينين حتى جاء موعد ذهاب هاشم لعيادته ، ثم اتصلت به فى التليفون .. وقلت فى لهجة حاولت أن تكون هادئة :

ــ صباح الخير ..

وسكت .. لم احاول ان ابدأ بالاعتذار .. كنت لا ازال متعلقة بالأمل فى الا تكون أخته قد ابلغته ..

ورد هاشم وصوته ينضح بالم يبدو انه يبذل جهدا ليخفيه عنى :

ــ صباح النور يا أمينه ..

ثم سكت هو الآخر ، كأنه ينتظر منى ان ابدأ فى الكلام ..

وعدت أقول وصوتى يرتعش :

ـ انت ماضى النهارده ، اشوفك !

قال وقد خيل الى أن على شفتيه ابتسامة مرة :

ـ أظن ما فيش لازمه نشوف بعض بعد كده ..

وقلت فى صوت متردد ذليل :

ـ اختك قالت لك .. مش كده ؟

قال فى حدة :

ـ طبعا قالت لى ..

قلت وانا أتجرأ وارفع صوتى :

ـ اختك بتكرهنى .. لو ما كانتش بتكرهنى كانت سابتنى اقول لك أنا .. انا كنت ناويه اقول لك على كل حاجه ..

قال فى لهجة ساخرة :

ـ كنتى ناويه تقوليلى ايه ؟

قلت :

ـ كنت ناويه اقول لك انك انت السبب .. ما كانش ممكن اضبطك راجع من عند واحده .. وتقول لى انك سبتنى .. وبعدين ما اغلطش .. يعنى كنت عايزنى انتحر .. كان أحسن لك انى أنتحر !!

قال :

ـ على كل حال اعتبرى اننا سبنا بعض فعلا ..

قلت فى توسل :

ـ بس انا مش عايزه اسيبك .. ما اقدرش اسيبك ..

قال :

ــ انا حاسيبك علشان مصلحتك .. انتى مش عارفه انتى بتعملى ايه .. تأكدى ان اسوا حاجه ممكن تعمليها فى نفسك ؛ انك تعرفى رجلين فى وقت واحد .. لو اتعودتى على كده حاتلاقى نفسك بعد شويه ، واقفه فى الشارع تحت فانوس .. وما دام عرفتى واحد تانى ، انا متنازل .. منسحب .. علشان ما تتعوديش على انك تعرفى رجلين فى وقت واحد ..

قلت :

ــ بس انا ما بحبوش .. انا باحبك انت يا هاشم ..

قال :

ــ امال خرجتى معاه ليه ؟

قلت :

ــ لانك جننتنى .. انت اللى خليتنى اعمل كده .. انت السبب ..

قال :

ــ البنت الكويسه ما تعملش كده ، مهما اتجننت . وانتى مش كويسه .. انتى ما تعرفيش تحبى .. وانتى عمرك ما حبيتى ، انما كنت محتاجه لى .. وانا مستعد اعمل لك كل حاجه ، الا انى اشوفك .. ومع السلامه ..

والقى سماعة التليفون فى وجهى .. وجننت ..

حاولت ان اتصل به مرة ثانية ، ولكنه رفع سماعة التليفون .. وحاولت ان اتصل به فى تليفون العيادة العمومى ، ولكنه لم يرد على .. وقضيت طول اليوم بجانب التليفون احاول ان اتصل به .. حاولت اكثر من ثلاثين مرة .. اتصلت به فى كل مكان اتصور ان اجده فيه .. ولكن بلا امل ..

والدنيا تضيق امام عينى .. ويخيل الى انى اصبحت فعلا واقفة فى الشارع تحت فانوس نور ..

وجريت الى محمد لينقذنى من نفسى .

قضيت معه ليلة اخرى حتى الخامسة صباحا ..

وما كدت اتركه حتى عاودنى الضيق .. والجنون .. ولهفتى على هاشم .. وكنت اتعجب من نفسى .. لماذا لا اشعر بكل هذه اللهفة . بكل هذا الحب ، الا عندما يهم هاشم بأن يتركنى .. فاذا اطمأننت الى انه لن يتركنى ، عدت استهين به .. والعب .. ربما لأنى كنت كالطفل الصغير الذى يشتط فى لعبه وهو بجانب امه ، مطمئنا الى حمايتها له .. حمايتها من نفسه .. فاذا ابتعدت عنه امه ، كف عن اللعب .. وخاف من نفسه .. وبكى .. لقد كان هاشم بمثابة امى .. انه امى .. وابى .. واخى .. وحبيبى ..

واستطعت ان اتصل بهاشم فى اليوم التالى ..

ولكنه رفض ان يلقانى .. انه لا يزال مصرا على أن نفترق ..

وفى اليوم الثالث ..

والرابع ..

وانا ازداد جنونا .. لم اعد اطيق ان ابقى لحظة واحدة وحدى .. فأجرى الى محمد .. القاه فى الصباح .. وفى المساء .. واتغدى معه .. واتعشى معه .. ثم يتركنى ساعات لا انام فيها .. وهاشم يملأ قلبى وعقلى ..

الى أن كان اليوم الخامس .. وكنت عائدة من شقة محمد فى سيارة أجرة ، عندما لمحت هاشم فى سيارته .. ولمحنى .. ونظر الىّ وفى عينيه نظرة ميتة لا حياة فيها . وشفتاه مزموتان

.. ليست بينهما هذه الانفراجة الصغيرة التى جذبتنى اليه وحيرتنى فيه يوم أن رأيته لأول مرة منذ ست سنوات ..

وابتسمت له ..

ابتسامة مرتعشة خائفة ..

ولم يرد ابتسامته .. وتقدم بسيارته السيارة التى اركبها .. فأمرت السائق أن يتبعه .. ولمحنى فى المرآة وأنا أتبعه .. فأطلق سرعة السيارة .. وأخذ يدخل من شارع الى شارع .. وسائق التاكسى يتبعه ..

وكنت أعلم أن هاشم سيقف أخيرا .. سيقف لأنه يخشى الفضيحة .. يخشى أن يلحظ الناس أن هناك فتاة تطارده ..

ووقف فعلا ..

وقف فى مكان هادىء من الشارع الذى يقع فيه بيت ام كلثوم ..

وقفزت من التاكسى ، وركبت بجانبه وأنا ارتجف .. ودمائى باردة فى عروقى .. ووجهى ضاع لونه ..

وقال فى صوت صارم :

— عايزة ايه ؟

قلت وأنا أحاول أن ابتسم :

— عايزاك ..

وتمتم كأنه يخاطب نفسه :

— أنا ربنا بيعذبنى بيكى .. أنا لازم عملت ذنب كبير .. ذنب كبير قوى ..

قلت فى هدوء :

— ذنبى ..

وقال وهو يرفع صوته فى غيظ :

ــ واكفر عن الذنب ده ازاى .. قوليلى أعمل ايه .. عاوزه منى ايه ..

قلت :

ــ اتجوزنى ..

ونظر الى كانى مجنونة ، وقال ساخرا :

ــ تانى .. حانعيد سيرة الجواز من اول وجديد .. وبعد كل اللى عملتيه ؟

قلت :

ــ أنا ما عملتش حاجة ..

ونفخ صدره ثم زفر أنفاسه فى زهق كأنه يطلق من انفه نارا .. ثم التفت الى بكل جسمه وقال كأنه يتشبث بأخر امل له :

ــ اسمعى يا أمينه .. أنتى عارفه ومتأكده اننا مش حانتجوز ابدا .. وعارفه ومتأكده انك ما تقدريش تعيشى معايا من غير جواز .. وبقالك ست سنين وانتى تحاولى تسيبينى .. اتجوزتى .. لكن ما قدرتيش ، واتطلقتى .. وبعدين اتخطبتى وما قدرتيش . فكيتى خطوبتك .. وبعدين كتبتى كتابك على واحد تالت ، وبرضه ما قدرتيش ، واتطلقتى قبل ما تدخلى عليه .. مش كده ..

وتمتمت هامسة ، وانا أصغى اليه نصف اصغاءة ، فقد كان كل ما فى عقلى هو لن يعود الى ..

ــ أيوه ..

قال فى لهجة الفيلسوف :

ــ يبقى الطريقه الوحيده علشان تسيبينى ، انك تحبى واحد تانى .. مش كده !

قلت :

ــ أيوه ..

قال :

ــ لغاية كده متفقين .. دلوقتى انتى بتعرفى واحـــد تانى .. و ..

وقاطعته وانا أنظر اليه فى جرأة :

ــ لا .. ما اعرفش ..

ونظر الى كأنه بهت لجراتى :

ــ أمال اللى خرجتى معاه ده يطلع ايه ..

قلت :

ــ مش معنى انى خرجت معاه ، انى باعرفه ولا باحبه .. دى اول مره اخرج فيها معاه .. وخرجت معاه لأنك جننتنى ..

قال ساخرا :

ــ يا سلام .. يعنى كان واقف تحت شـــباكك .. أول ما اتجننتى طلع لك على طول وخرجك ..

قلت وانا أحاول الا افقد حبل الكذب :

ــ انت عارف انى أعرف اخته عليه .. ضربت لها تليفون ساعة ما كنت متضـــايقه ، رد على هو .. طلبت منه انه يبجى يخرجنى ..

قال :

ــ انا ما اعرفش انك تعـــرفى أختــه .. بس اعرف انك تعرفيه هو .. وتعرفيه من زمان .. واعرف انك بتروحى شقته .. فيه ناس شافوكى بعينهم .. وشقته بالأماره جنب شـــقتى اللى فى الزمالك ...

وصرخت :

ــ كذب .. ما حصلش .. انا عارفه مين اللى قال لك كده .. كلهم بنات متغاظين منى لأنى باعرفك .. لانى باحبك ..

قال كأنه يريد ان يطمئن الى شيء يهمه :

— يعني ما رحتيش شقته ؟

قلت ؟

— وحياة بنتي .. وحياتك يا هاشم .. ابدا .. مش معقول .. مش معقول انك تصدق حاجات زى دى ..

وقال كأنه يعاتبني :

— ومش عيب تضحكى على أختى وتفهميها انك كنتى حاتنتحرى ؟

قلت وانا اخفى عنه عينى :

— انا بافكر فى الانتحار فعلا ؟

قال فى حدة :

— بتفكرى فى الانتحار ازاى ، واختى جاتلك بعد تلت ساعه لقيتك لابسه ومتزوقه وعامله شعرك ..

قلت فى جراة :

— كذب .. انا ما كنتش عامله شعرى ولبست فى عشر دقائق .. أنا عارفه .. انت بتتمنى انى أنتحر .. بتتمنى انى اموت واريحك منى ..

ونظر الى كأنه يستجير بالله منى ، وقال :

— انتى مجنونه ..

قلت :

— مجنونه ليه ..

قال :

— لانك مش فاهمانى .. لانك بالشكل ده مش حاتوصلى لحاجه .. لو فضلتى تكذبى على حاسيبك غصب عنك .. انما لو قلتى الحقيقه حافضل معاكى .. وحافضل مسؤول عنك ..

لغاية ما ييجى اليوم اللى تقوليلى فيه ، خلاص يا هاشـــم ، انا حببت واحد تانى ، ومش حا اقدر اشوفك .. مع السلامه ..

هل اصدقه .. هل أصدق انه سيبقى معى الى ان يتزوجنى محمد .. وانه لن يتخلى عنى .. ولن يضعفنى امام محمد بأن يتركنى له .. وحدى ..

وقلت فى تردد :

ــ بس انا لسه ما حبيتوش ..

قال :

ــ بس فيه أمل انك تحبيه ..

قلت :

ــ ليه ؟

قال :

ــ لأن هو اللى اخترتيه علشان تخرجى معـــاه .. اذا ما كنتيش تحبيه ، يبقى على الأقل بتستلطفيه ..

ولم ارد عليه .. كل عقلى مشـــغولا ، احاول ان أقنع نفسى بأن اقول له كل الحقيقه .. لعله صادق فى وعده بألا يتركنى بعد أن يعرف كل شىء .. لم لا .. ان هاشم ، مهما قيل عنه ، فهو كريم .. لا تهمه الأموال التى ينفقها على .. بل انه كريم مع كل الناس ، ليس على وحدى .. ولن يهمه ان يظل ينفق على الى ان أتزوج محمد ، وربما بعد ان اتزوجه أيضا .. ثم انه ليس من هذا الصنف من الرجال الذى ينقاد وراء غيرته .. ان غروره يدفعه دائما الى ان يخفى غيرته على اى فتاة .. وكل ما يفعله هو ان يصاحب فتاة اخرى .. انى استطيع أن اســـمح له بأن يصاحب اخرى ، ويسمح لى بأن اصـــاحب محمد .. ونلتقى فى نفس الوقت . كما كنا نلتقى .. ويبقى مسئولا عنى .. الى

ان احب محمد الى حد ان استغنى عنه .. او الى ان اتزوج محمد .. أن هذا الوضع يتلاءم مع عقلية هاشم اكثر .. العقليه المتحررة الواقعية .. ويريحه أكثر مما يريحه الكذب .. انه يحس بالكذب حتى ولو لم يكتشفه ، واحساسه به يجعله يبتعد عنى . ويعذبنى . ويجننى .

وعاد هاشم يقول كأنه وصل معى الى اتفاق :

— وبقالك اد ايه بتخرجى مع محمد ؟

وقلت فى تردد وانا انكس عينى بين يدى .

— خرجت معاه تلات اربع مرات ..

قال وهو يبتسم :

— وصلتم لغاية فين ؟

قلت وأنا انظر اليه فى غضب .

— ما وصلناش لغاية حاجه .. تصدك ايه ؟

قال :

— يعنى مثلا .. ما باسكيش ؟

قلت فى صوت خفيض وانا ارخى عينى :

— باسنى ..

ثم رفعت عينى اليه ، واستطردت بسرعة :

— فى خدى ..

وابتسم هاشم ساخرا كأنه لا يصدقنى .. وأدار موتور السيارة ، ثم قال وهو يأخذنى الى بيتى ..

— اسمعى يا أمينه .. أنا حاقف جنبك لغاية ما تتجوزى محمد .. ولازم تعرفى انك حلوه .. ولما تحبى تبقى كويسه بتقدرى تبقى كويسه .. ما تفتكريش انك اقل من الستات التانيه .. واوعى تصدقى ان سمعتك ضاعت وانك مش ممكن تتجوزى

شاب كويس زى محمد .. أبدا .. ياما بنات عملوا ، واتجوزوا شباب كويسين .. وكمان ما تفتكريش ان محمد من عينه محافظه وكبيره ، ومش ممكن يتجوز واحده مطلقه ومخلفه ، وحتى لو عرف كل حاجه عنك وعنى .. أبدا .. المهم انه يحبك .. بس لازم تعرفى ان فيه فرق بين واحده بتمشى مع واحد علشان يتجوزها ، وواحدة تمشى مع واحد وهى عارفه انه مش حايتجوزها .. فيه فرق كبير .. لو عرفت الفرق ده حاتقدرى تتجوزى محمد .. خصوصا انه شاب صغير وما اتعقدش من الجــواز والبنــات زيى ...

واحسست بكلمات هاشم كالدبابيس تشك قلبى ، وتشــك عقلى ، وتشك جلدى .. انى لا استطيع أن أحتمل .. لا استطيع ان اكون رخيصة عند هاشم الى هذا الحد .. الى حد ان يتفق معى على أن يعطينى لرجل آخر ، حتى ولو أعطانى كزوجة .. لم اشعر ساعتها اننا نحن الاثنين نحاول أن نتفق على اصــطياد محمد .. لم افكر فى محمد اطلاقا .. ولكن كان كل ما احس به انى هنت على هاشم الى هذا الحد .. انى رخيصة عليــه .. انى تافهة بالنسبة له ..

وصرخت فيه :

ــ هاشم .. انا كذبت عليك .. انا ما اعرفش محمــد .. وعمرى ما خرجت معاه الا يوم ما اختك شافتنى .. وحيــاة بنتى .. وحياة ماما .. ان شاالله افقد نظرى .. انا كنت باكذب عليك ..

ونظر الى هاشم كأنه بوغت ، وقال :

ــ وكنت بتكذبى على ليه ؟

قلت فى حرارة كاذبة :

ــ لأنك ما كنتش راضي تصدقني .. حبيت انى اريحك .. انما اذا وصلت لدرجة انك تسيبنى له .. وتقول لى اتجوزى وما تتجوزيش .. يبقى لازم تعرف الحقيقه .. والحقيقه انى ما اعرفوش .. ومش عايزه أعرفه .. مش عايزه أعرف الا انت .. واذا كنت حاتجوز ، حاتجوزك انت .. واللا مش حاتجوز خالص ..

ونظر الى هاشم من خلال عينيه المتنفختين ، وقلب شـفتيه فى قرف ، وقال :

ــ انتى عبيطه ..

محمد الآن يعتقد انى تركت هاشم ، وانا لا ازال مصرة على ان اكذب على هاشم ، واؤكد له ان ليس بينى وبين محمد علاقة .. تغير الوضع ..

فقد كان محمد ــ من قبل ــ يعلم بعلاقتى بهاشم .. وكان يعتقد اننا متزوجان زواجا عرفيا ..

وكان هاشم وحده هو الذى اضطر ان اكذب عليه ، لاخفى عنه علاقتى بمحمد ..

ولكنى الآن مضطرة ان اكذب على الاثنين .. واقنـع كلا منهما بأن ليس لى علاقة بالآخر ..

هذا الوضع الجديد يكلفنى اكثر .. انه يستنزف كل اعصابى وكل ذكائى .. انه وضع آخر غير وضع الزوجة الخائنة .. فالزوجة التى تخون زوجها ، لها جانب مستقر فى حياتها تستطيع دائما أن تعود اليه وتستريح .. اقصد بيتها .. بيت الزوجية .. اما انا فلست زوجة لهاشم ، ولا زوجة لمحمد ، وليس لى بيت استريح فيه .. اذا تقلبت على هذا الجانب أو الجانب الآخر دهمنى القلق ، وتأوهت .. والزوجة الخائنة تستطيع ان تقنع

نفسها بأنها عندما تكون لزوجها فهى له باسم الشرع .. وعندما تكون لحبيبها فهى له باسم الحب .. تستطيع أن تجد مبررا لتصرفاتها . . تستطيع أن تسكت ضميرها بأنها ظلمت فى زواجها . أو ان أهلها زوجوها رغم ارادتها رجلا لا تحبه ، أو انها مضطرة أن تحتفظ بزوجها حتى لو خانته ، من اجل الاولاد ، ومن اجل المركز الاجتماعى .. الى آخر هذه المبررات .. اما انا .. فلا اجد مبررا لتصرفاتى .. انى أعيش فى معركة مستمرة مع ضميرى .. احاول دائما أن انصر ذكائى الاصفر على ضميرى الهزيل .. ولم يكن فى ذكائى الاصفر سوى أطماعى .. وكانت أطماعى تصور لى ان احتفظ بالاثنين ، هاشم ومحمد .. فكل منهما يمثل لى املا غاليا .. هاشم برجولته وثروته وشهرته .. ومحمد بشبابه وعائلته الكبيرة .. كنت أطمع فى أن احتفظ بهما حتى او تزوجت احدهما .. ولكنى كنت اداری الطمع واحاول ان اقنع نفسى بأنى لو تزوجت احدهما فسأترك الآخر فورا .. كنت اقنع نفسى بأنى مضطرة الى الاحتفاظ بهما الاثنين لانى لست زوجة احدهما .. كنت اقنع نفسى بأن سر كل تصرفاتى انى لم اتزوج هاشم منذ عرفته .. وان هذا عذر كاف كى أخونه مع محمد .. ولكنى لم اجد عذرا ابرر به خيانتى لمحمد مع هاشم رغم أن محمد وعدنى بالزواج ... وكنت اقول لنفسى انى اخون محمد لأنى لست واثقة من وعده ..

وعندما اعود لنفسى الآن استطيع ان ارى حقيقتى بوضوح اكثر .. استطيع أن أرى انى لم اكن اعلم ايهما اريد أن اتزوج .. محمد .. او هاشم .. ؟ واستطيع ان ارى انى لم اكن قد يئست من زواجى بهاشم رغم كل هذه السنين ورغم كل ما مر بى .. بل انه مرت بى فترة طويلة لم اكن واثقة من الذى احب

منهما .. رغم كل ما اعطيته لكل منهما .. كنت أحيانا اقتنع بأنى خلاص ، اصبحت أحب محمد .. ثم لا تمضى ساعات حتى أجد نفسى ملهوفة الى هاشم ، واحس انه الرجل الوحيد الذى احبه .. ثم أعود بعواطفى الى محمد .. وهكذا ..

هذا التردد .. أو هذا الطمع .. هو سر شقائى .. كنت كالطفلة الجشعة الغبية التى تأكل كل شىء ، الى ان تمرض وتصاب بتلبك معوى . وقد مرضت ، وأصبت بتلبك فى أعصابى ، وتلبك فى عقلى ، وتلبك فى جلدى ..

وربما لم يكن هذا التحليل لنفسى صحيحا .. ربما كان سر تصرفاتى هو محاولتى الهرب من حب هاشم .. أن انساه .. أن اتحرر منه .. أن اتخلص من تعودى عليه .. أو .. ربما كنت مجرد ضحية لطبيعتى المنحلة التى ورثتها عن أبى ..

المهم ..

لقد اصبح لقائى بهاشم فى هذه المرحلة من عمرى ، صعبا .. فقد كان محمد متفرغا لى .. كان — كما قلت — ينتهى من عمله فى الساعة الواحدة بعد الظهر ، ثم يتفرغ لى حتى الصباح اليوم التالى .. فهو اما معى ، أو يحادثنى فى التليفون .. وكان يشك فى كل تصرفاتى .. وغيرته تكاد تخنقنى .. ورغم ذلك فقد كنت أجد دائما وسيلة للقاء هاشم .. لقد ساعدت المرات التى نلتقى فيها .. كانت تمضى ثلاثة ايام او اربعة لا اراه فيها .. وهاشم لا يهتم .. غروره بنفسه كان يمنعه دائما من أن يطلب لقائى ، وكان ينتظر منى أن اطلب انا اللقاء .. ثم لا يقبل الا بعد ان الح ، والح كثيرا .. وقد استطعت أن أقنعه أكثر من مرة بأن يأتى للقائى فى بيتى فى الصباح وقبل أن يذهب الى العيادة ليشرب معى فنجان قهوة ، كما كنت أقول له .. وكان هذا الموعد

هو انسب الأوقات لى .. فأنا مطمئنة الى ان محمد فى عمله .. وكنت احرص عندما يأتى هاشم أن اضع التليفون فى غرفة اخرى غير غرفة النوم التى اجلس فيها معه حتى اذا اتصل بى محمد ، رددت عليه دون أن يسمعنى هاشم ..

وقد لاحظ هاشم مرة انى ارد على التليفون فى الغرفة المجاورة بصوت منخفض .. فبيتى صغير وكنت اخشى أن ارفع صوتى ، فيسمعنى ..

وقال بعد أن عدت اليه ، وبين شفتيه ابتسامته الساخرة :

ــ بتتكلمى بصوت واطى ليه .. ؟

قلت وانا احاول أن أبدو طبيعية :

ــ انت عارف انى دايما اتكلم فى التليفون بصوت واطى ..

وضحك هاشم ضحكة صغيرة ، وسكت ..

وكان دائما باردا ..

انه يبدو كأنه لا يريدنى .. لم يعد شىء فىّ يحركه نحوى .. او يفتح عينيه المنتفختين .. أو يطلق السخونة فى أنفاسه .. انه ينظر الى كأنه يشفق على .. ويقبلنى كأنه يؤدى واجبا مفروضا عليه .. ويعتذر فى مرات كثيرة بأنه على موعد لزيارة احد مرضاه .. فاذا لم يعتذر ، فهو ثقيل ، كسول ، يتدلل ..

وانا لم اتغير .. انى لا ازال اريده كما كنت اريده دائما .. لا يزال يثير كل قطعة منى كما تعود أن يثيرها .. انه يعيش فى مسامى .. وكان بروده يجننى ويصور لى انه على علاقة بفتاة أخرى .. وكنت أحتار فيمن تكون هذه الفتاة .. هل هى مرفت التى ضبطتها فى شقته أكثر من مرة .. ام هى نجوى مريضته التى تلمع عيناه كلما ذكرت اسمها كأنى قد دنست اسمها الشريف بلسانى .. من يدرى .. لعلها ليست مريضة ولكنها

تمثل علية دور المريضة كما فعلت انا عندما ذهبت اليه لاول مرة .. ومن يدرى .. لعلها ليست مرفت ، ولا نجـوى .. ولكنها فتاة اخرى ..

وكانت هذه التصورات تلهب الغيرة فى صدرى .. فأندفع وراءه .. اذهب اليه فى شقته .. واطارده .. ولكنى لم افقد ذكائى ابدا ، ذكائى الذى أحمى به علاقتى بمحمد .. ان محمد ــ رغم شكوكه ــ لم يستطع أبدا أن يكتشف لقائى بهاشـم ..

وفى هذه الاثناء بدأت أتعمد أن آخذ من هاشم نقودا اكثر .. كنت غير مطمئنة الى بقائه لى .. وكنت أريد أن أضمن اذا تركنى ، أن أكون قد ادخرت مبلغا كبيرا يكفى حياتى .. وقد قلت له ذلك صراحة .. قلت له انى اريد ان اضمن مستقبلى .. واريد ان اضمن الا اتشرد يوم يتركنى .. واشـحذ .. ورغم انه اكد لى انه سيظل يحمل مسئوليتى المادية دائما حتى لو افترقنا ، فقد وافق على أن افتح حسابا بأسمى فى صندوق التوفير .. واعطانى مائة جنيه لأضعها فيه .. ثم مائة اخرى .. وفى خلال شـهور وصل ما ادخرته الى سبعمائة جنيه .. لم استطع ان اصل الى الألف ..

وكان محمد منذ ان اقتنع بانى تركت هاشم ، يعرض على أن يكون مسئولا عنى .. كان يقول لى :

ــ أنا عايز أحس انى الراجل بتاعك .. انى مسـئول عنك .. مش عايز اشوفك لابسة فستان من فلوس هاشـم .. ولا ماسكه شنطه مش انا اللى جايبها ..

وكنت أقول له مبتسمة :

ــ بعدين .. لما نتجوز .. لغاية دلوقت ماحدش مسـئول عنى الا بابا .. أوعى تكون فاكر أن بابا ما بيصرفش علىّ ..

صحيح ان حالته مرتبكة .. انما مش لدرجة انه ما يصرفش عليّ ..

رفضت أن ادعه يتحمل مسئوليتى المالية ؛ لأنى كنت اعلم انى يوم اقبل منه أن يصرف عليّ ، فكأنى اعفيته من الزواج ..

وعوضنى محمد بكثير من الهدايا ..

اشترى لى مرة خاتما من الذهب له فص فيروز .. ووضعته فى اصبعى وذهبت للقاء هاشم ..

ونظر هاشم الى الخاتم وقال ساخرا :

— مبروك الخاتم .. ورينى كده ..

وخلعت الخاتم من اصبعى ، والقيته اليه ، وهو جالس على المقعد العريض .. ونظر فيه طويلا .. ثم وضعه فى أصبعه .. وضحك ضحكة صغيرة ، وقال :

— جبتيه منين ؟ ..

قلت ورموشى ترتعش :

— بابا اهداه لى ..

ورفع هاشم يده وفى اصبعه الخاتم . واخذ يقلبه أمام عينيه .. ثم خلع الخاتم ، والقاه اليّ كأنه يلقيه فى وجهى ، وقال :

— من امتى أبوكى بيهديكى خواتم ..

وقلت ورموشى لا تزال ترتعش :

— وايه يعنى .. ده خاتم رخيص .. ما يساويش أكتر من خمسه جنيه .. يعنى بابا ما يقدرش يعمل لى هدية بأكثر من خمسه جنيه ..

وسكت هاشم .. أدار وجهه عنى فى قرف ..

وفى مرة ثانية اهدانى محمد حقيبة لها مقبض من ذهب .. اشتراها لى من الاسكندرية ، عندما سافرت معه لأرى ابنتى ..

وحملت الحقيبة أيضا وذهبت الى لقاء هاشـــم .. لا ادرى لماذا .. ربما لأنى كنت أتلذذ وأنا أذهب اليه ومعى قطعة من محمد .. أو ربما لأنى لم أكن أستطيع أن أخفى عنه شـيئا .. كان ما اخفيه عنه بلسانى ، اتمنى أن يعرفه باحساسه .

وامسك هاشـــم الحقيبـــة بيديه ، وقال وهو يلوى شـفته السفلى :

— جبتيها منين ؟ ..

قلت :

— اشتريتها من اسكندرية ..

وظل هاشم يقلب الحقيبة بين يديه برهة ، ثم كسر مقبضها الذهبى . والقى به من الشباك ، وأعادها الى قائلا فى برود :

— كده أحسن .. شكلها كده اشيك ..

وجننت ..

قفزت من جلستى ، ونظرت من الشباك وراء المقبض الذهبى . ثم جريت بعد أن صرخت فى وجه هاشم :

— انت مجنون .. سافل ..

ووجدت المقبض فى الشارع ..

وحملته وعدت الى الشقة ، فوجدت هاشـــم قد غادرها ..

ومن يومها فكرت فى طريقة أخرى .. اصبحت كلما اهدانى محمد هدية ادعيت انى اشتريتها ، واخذت ثمنها من هاشم .. وبهذه الطريقة لم يعد هاشم يلقى بهدايا محمد من الشباك ..

وكان محمد قد أهدانى فى عيد ميلادى ، خاتما محلى بفصوص صغيرة من الماس ، وفوقه لؤلؤة كبيرة .. خاتم جميل غال .. ولم أضع الخاتم فى أصبعى وأذهب الى هاشم .. ذهبت اليه بلا خاتم ، وقلت له وهو مسترخ فى الفراش بجانبى :

ـ هاشم .. بنت عمى عندها خاتم جنان .. وعايزه تبيعه بخمسين جنيه .. ايه رايك ..

وقال فى بساطة :

ـ اشتريه ..

قلت :

ـ ده حايعجبك قوى .. لقطه .. ولولا انها معذوره ، ما كانتش باعته ..

ثم ملت عليه اقبله من شفتيه المنفرجتين نصف انفراجة ، وانا اقول له :

ـ مرسى يا هاشم .. ربنا يخليك لى وتجيب لى ..

ووضع هاشم يده فى جيبه قبل أن نخرج من الشقة .. واعطانى خمسه وعشرين جنيها ، وقال لى :

ـ دول من تمن الخاتم .. وبكره اديكى الباقى ..

ولا أدرى لماذا حددت ثمن الخاتم بخمسين جنيها .. كنت أستطيع أن احدد ثمنه بمائة وخمسين جنيها .. ربما لأن ضميرى قد وبخنى وأنا أرتكب جريمة نصب ، فأردت أن أخفف من أثر الجريمة على هاشم .. أشفقت عليه .. صعب على .. انه حبيبى .. حبيبى الذى انصب عليه ..

ولم أر هاشم فى الغد ..

ولكنى رايته بعدها بأيام ..

ذهبت اليه وفى اصبعى الخاتم .. وقلت له فرحة :

ـ أهو الخاتم .. حلو ؟ .. اديت لبنت عمى الخمسه وعشرين جنيه ، وخدته منها ، لغاية ما جيب لها الباقى ..

وأخذ هاشم الخاتم بين أصابعه ، وقلبه امام عينيه ، ثم رده الى وشفتاه مقلوبتان فى قرف ، وقال :

ـــ ده يسوى اكتر من خسمين .. اكتر بكتير .. مش ممكن تكون بنت عمك مغفله للدرجه دى ..

ثم نظر الىّ فى عينى .. نظرة غاضبة .. وتمتم :

ـــ مش معقول تكونى وصلتى للدرجه دى ! ..

ثم سكت ..

ولم اردّ ..

شيء وقف فى حلقى يكاد يخنقنى .. لم استطع ان اتكلم الا بعد فترة طويلة .. وبعد ان التقط هاشم احد كتبه الطبية واخذ يقرأ فيه كعادته عندما يكون غاضبا .. وقلت فى صوت مرتعش :

ـــ عجبك الخاتم ؟ ..

ورفع عينيه من فوق الكتاب ، ونظر الىّ نظرة ميتة ، ولم يرد علىّ ..

وحمدت الله انه لم يرد ..

ولكنه لم يعطنى الخمسة والعشرين جنيها الأخرى ..

ولم اجرؤ على أن اطالبه بها ..

كنت واثقة انه كشفتّ سرى .. وانه عرف ان الخاتم هدية من محمد .. ووجهه غارق فى سحابة قاتمة من الألم ..

ثم ..

حملت ..

ولم أقرف فى حياتى من نفسى قدر ما قرفت هذه المرة .. احسست كأنى افقت من ذهولى .. احسست كأن كل مصيبتى قد تجمعت فى بطنى ، ولم تعد معدتى تستطيع ان تهضمها .. احسست كأنى ، فضحت .. لم أفضح أمام الناس ولكنى فضحت أمام نفسى ..

وساءلت نفسى ، ابن من هذا الذى احمله فى بطنى .. ابن هاشم .. ام ابن محمد .. وحاولت أن أتذكر اللحظات التى يمكن أن أكون قد حملت فيها ، لأحدد أبا للجنين .. ولكن تساؤلى لم يدم طويلا .. انى لست فى حاجة الى هذا التساؤل ، فسواء كان ابن هاشم ، أو ابن محمد ، فهو ابن حرام .. ومصيره محتوم .. الاجهاض ..

وحالتى النفسية تسوء أكثر ..

اكاد أختنق .. كأن يد الجنين تمتـــد فى داخلى الى زورى لتخنقنى ..

وحاولت أن اقنع نفسى بأن الأمر ليس جديدا على .. لأريح نفسى من العذاب .. فقد سبق أن احترت فيمن يكون أبا ابنتى عدى عندما حملت فيها .. وكنت أيامها لرجلين ، زوجى عبد السلام وهاشم ، كما أنا اليوم لرجلين هاشم ومحمد .. ولكن .. هناك فرق .. فرق كبير .. فعندما كان احد الرجلين زوجا لى ، كان هناك دائما أمل فى أن يكون ابنى ابن حلال .. كنت أستطيع أن أتعلق بهذا الأمل .. وأخفى وراءه خجلى من نفسى .. ولكنى اليوم لا أجد أملا أتعلق به ، وأضحك به على نفسى .. ان ابنى ابن حرام مائة فى المائة .. بل ان هناك فرقا بين حملى هـــذه المرة ، والمرات التى حملت فيها عندما كنت لهاشم وحده .. كنت أستطيع عندما احمل من هاشم أن أقنع نفسى بأن الجنين هو ابن الحب .. حتى لو كان هذا الكلام مجرد تبرير وهمى .. أما اليوم ، فلا أستطيع أن أقنع نفسى بأن الجنين الذى أحمله فى بطنى هو ابن الحب .. حب من ؟ حب هاشم .. أم حب محمد ؟ لا .. انه ليس ابن الحب .. انه ابن الجنون .. جنونى ..

واتصلت بهاشم فى التليفون وطلبت منه أن يأتى لزيارتى

فى الصباح ليشرب معى فنجان القهوة ، كما عودته اخيرا .. وعندما جاء لم استطع ان اواجهه وانا قوية كما تعودت كلما حملت منه .. لم استطع أن اتدلل عليه بحملى .. واطالبه بأن يدفع لى الثمن غاليا .. لم استطع .. كنت ضعيفة .. والعذاب مكوم فى بطنى .. وقلت له وراسى مدلى على صدرى :

— هاشم .. انا حامل ..

ونظر لى هاشم كأنه يحاول ان يكتشف سرى .. وتردد قليلا .. ثم رضع يده فى جيبه واخرج عشرين جنيها اجر الطبيب الذى يجهضنى ، والقى بها فى حجرى ، وهو يقول فى جفاف :

— أنا مش قلت لك تاخدى بالك .. بالشكل ده حاتقطعى نفسك .. وكتر العمليات دى حايأثر عليكى بعدين ، لما تكبرى ..

وقلت فى صوت خافت :

— انت مش شاطر الا فى الكلام ..

وودعنى وخرج ..

وخرجت وراءه الى لقاء محمد فى شقته ..

وكنت اقوى مع محمد منى مع هاشم .. ربما تزودت بهذه القوة من هاشم ..

وتركت محمد يضمنى الى صدره ، ويضغطنى بذراعيه الشابتين ، ويقبلنى فى شفتى بشفتيه الملتهبتين بحرارة حبه .. ثم فجأة ازحته عنى فى حركة عصبية متعمدة ، وابتعدت عنه . وجلست على مقعد بعيد ..

وخطا ورائى ملهوفا .. كأنه ترك شفتيه بين شفتى ، ويجرى وراءهما ..

ورفعت راسى اليه وقلت فى توسل حزين :

— سيبنى دلوقت يا محمد .. اعمل معروف ..

وقال وانفاسه الساخنة لا تزال تتردد فى صدره :

ـ مالك يا ميتو ..

ووضعت راسى بين كفى كانى على وشك البكاء .. وأحاطنى محمد بذراعه ، وقال فى لهفة :

ـ حصل ايه ؟ ..

ورفعت اليه راسى ، وقلت وفى عينى نظرة الشهيدة ..

ـ مش عايزه اقول لك يا محمد ..

قال فى حماس :

ـ ازاى ده .. لازم تقوليلى ..

وترددت قليلا ، ثم قلت :

ـ لأ .. بلاش ..

وعاد يقول فى حدة :

ـ بلاش ازاى .. لازم اعرف كل حاجه ..

وجسمت نظرة الشهيدة فى عينى ، وقلت فى صوت مخنوق :

ـ انا حامل يا محمد ..

وقفز حاجباه من فوق عينيه وقال كأنه ذعر :

ـ مش معقول .. وحانعمل ايه ؟

قلت :

ـ ما عرفش يا محمد .. أنا خايفه من العملية .. خايفه ..

ورفع محمد ذراعه من فوق ظهرى واحنى راسه وقال كأنه وقع فى مشكلة :

ـ انا مستعد اعمل اللى تقولى عليه ..

قلت :

ـ ما فيش حاجه تتعمل دلوقت الا العمليه .. وانا خايفه .. خايفه اموت فيها ..

ولم احاول ساعتها ان اذكر سيرة الزواج .. فقد تعلمت من هاشم الرد الطبيعى الذى يقوله الرجل فى مثل هذه الحالة اذا طالبته بالزواج .. والرد هو أن الزواج كان يجب أن يتم قبل الحمل . حتى لا يخرج الطفل الى الناس قبل موعده ..

وتركت محمد يشجعنى ويخفف عنى الخوف الموهوم ..

وكان محمد هو الذى صحبنى الى الطبيب ، ولكنى لم اسمح له بأن يصعد معى الى العيادة ، تركته ينتظرنى فى الشارع .. واصر قبل ان اتركه ان يدفع لى أجر العملية .. وحاولت ان أرفض ، ولكنى لم احاول كثيرا ، فأنا — كما قلت — ضعيفة امام النقود .. وصاح محمد فى حماس صادق :

— أزاى ده .. ده أنا أبوه ..

ثم أعطانى عشرين جنيها أخرى ..

ودخلت الى عيادة الطبيب .. نفس الطبيب الذى ذهبت اليه أول مرة .. وكانت هذه هى رابع مرة اذهب فيها اليه .. ولم تكن الممرضة والطبيب هما وحدهما اللذان يبدو عليهما القرف منى .. فأنا أيضا كنت قرفانة من نفسى .. قرفا يكاد يقلب معدتى ويجهضنى دون عملية ..

ورقدت على سرير العمليات بلا خوف . وبنفس البساطة التى اجلس بها على مقعد الحلاق .. وفى رأسى تصميم هائل على ان انهى هذه الحياة التى تمزقنى .. وغبت عن الوعى وفى رأسى هذا التصميم ..

ونزلت الى الشارع بعد اربع ساعات .

ووجدت محمد فى انتظارى ووجهه غارق فى القلق ..

ولم افرح به كما فرحت بهاشم عندما وجدته فى انتظارى

عقب ان اجريت اول عملية اجهاض .. ان كل هـــذه المظاهر لم تعد جديدة على حتى افرح بها ..

وفى راسى التصميم الهائل ..

يجب ان اتزوج محمد ..

يجب اولا ان ايأس من هاشم ..

ان محمد هو املى الوحيد ، اذا اردت ان اخرج من هـــذه الحياة الممزقة ، ويكون لى بيت واولاد .. وان احيا حيـــاة استطيع أن ابدو بهـــا امام النـــاس .. انى لست اقل من ابنـــة خالتى ، ولا اقل من ابنة عمى ..

وبدات اضغط على محمد ..

ولم يعد بيننا الا موضوع الزواج ..

واصبحت اهدده .. اذا لم تتزوجنى فسأتركك ..

وقلت له مرة :

ــ تعرف مين كلمنى النهارده فى التليفون ..

قال فى سذاجة :

ــ مين ؟ ..

قلت :

ــ هاشم ..

واحتقن وجهه وقال فى حدة :

ــ وعايز ايه منك ؟ ..

قلت فى لهجة جدية :

ــ عايز يتجوزنى ..

قال :

ــ زى ما كان متجوزك اظن ؟ ..

قلت :

ـــ لا .. عايز يتجوزنى شرعى .. وفضـــل يتحايل على علشان احدد له ميعاد مع بابا .. كان عايز يقابله بكره .

قال وهو يتلوى فى عصبية :

ـــ وقلتى له ايه ؟ ..

قلت :

ـــ ما اديتوش كلمه ..

قال فى صخب :

ـــ مش ممكن تتجوزيه يا ميتو .. ده راجل سافل .. ومش حايقدر ينسى انك سبتيه .. وحايجننك ..

وقلت فى حزم :

ـــ انا لازم اتجوز يا محمد .. ما اقدرش اعيش بالشـــكل ده .. واذا ما اتجوزتكش انت ، حاضطر اتجوز هاشم ..

وقال فى توسل :

ـــ انتى عارفه اننا حانتجوز .. بس استحملى لغاية ما اقول لماما ..

وقلت فى حزم اشد :

ـــ ما اقدرش استحمل اكتر من كده .. انت ناسى اننا بقالنا مع بعض سنتين ..

وقال وعيناه معلقتان فى وجهى :

ـــ ثقى بى .. صـــدقينى .. انتى عارفه ظـــروفى ولازم تستحمليها معايا ..

ولم اكف عن الضغط عليـــه .. الضغط على عواطفه .. بالتهديد .. وباثارة غيرته .. وبدموعى .. وبحاجته الىّ ..

واخيرا قال لأمه ..

قال لها انه يريد أن يتزوجنى ..

وشقت أمه ثوبها كأنها ترى ابنها ينتحر أمام عينيها .. ولطمت اخوته البنات على خدودهن .. والتفت عائلته كلها تعارضه .. وكل أصدقائه ايضا .

وكان على أن أواجه كل هؤلاء وحـــدى .. بدأت اعيش فى حرب ..

وكنت قوية .. وكان سر قوتى أن هاشـــم لا يزال معى .. مهما حدث لى ، فأستطيع دائما أن اتزود منه بالقوة .. واستطيع دائما ان استند عليه ..

وكانت الطريقة التى خضت بها الحرب هى ان اخذت محمد من كل هؤلاء .. اخذته من بيته .. من امه واخوته .. واخذته من اصدقائه .. أصبحت حياته كلها لى .. اصبح لا يســـتطيع أن يعيش الا معى .. واذا ارادته أمه ، فيجب ان توافق اولا على زواجنا ..

بل انى بلغت أيامها من القوة الى حد انى رفضت أن اتزوج محمـــد فى السر .. رفضت مجـــرد الفكرة .. وصممت على الا اتزوجه الا بموافقة أهله .. وان يقام لى فرح كبير .. وارى بعينى كل الناس الذين اطلقوا السنتهم علىّ خلال كل هذه السنين ، وهم ملتفون حولى يهنئوننى بزواجى من احد العـــرسان الثلاثة الذين تحلم بهم بنات مصر .. وكنت فى كل هــذه الأحـــلام واثقة من وعده . انه يحبنى .. يموت فى حبى .. وهو شاب نظيف لا يمكن أن يحنث بوعده ..

وباعد تفرغى لمحمد من فترات لقائى مع هاشم .. ولكنى كنت اجد دائما طريقة لأحادثه كل يوم فى التليفون مرتين على الأقل سواء جاء ليشرب قهوة الصباح عندى ، او ذهبت اليـــه فى شقته ..

ولم اكن أقول لهاشم شيئا عما يجرى بينى وبين محمـــد .. كنت لا زلت ادعى امامه بأنى ليس لى علاقة بأحد غيره .. وهو لم يكن يسألنى عما افعله .. وكنت الاحظ فى صـــوته رنة اليأس منى .. ربما كان يعرف أكثر مما أظن .. ولكنه لم يكن يفصـــح لى عن شيء .. لم يكن يبدو منه الا هذه الرنة فى صوته .. رنة اليأس ..

وفى مرة قلت له فى التليفون :

ــ أنا حاسه انك مخبى عنى حاجه يا هاشم .. فيه حاجه عايز تقولها وما بتقولهاش ..

قال وهو يضحك ضحكة مرة :

ــ اصلى لو قلت لك ، حاتحلفى بحياة بنتك .. وانا مش عايزك تحلفى بحياة بنتك كدب .. بتصعب على البنت .

وضحكت فى مرارة انا الأخرى ، ولم الح عليه فى ان يقول لى ما يخبئه فى صدره ..

الى أن كان يوم ..

وسافرت مع محمد الى الســـويس لأرى ابنتى .. وكان من عادتى بعد ان ارى ابنتى ان اقضى ليلتى مع محمد ، ثم اعـــود الى بيتى فى الصباح .. ولكننا فى هـــذه المرة قـــررنا فجأة أن نسافر من السويس الى الاسكندرية مباشرة .. وقضينا هنـــاك ثلاثة أيام فى فندق العجمى .. ثلاثة أيام هائلة .. ثم عدنا فى مساء اليوم الثالث .. وطول طريق العودة وانا أفكر فى هاشـــم .. واحشنى .. واحشنى موت ..

وما كاد محمد يتركنى فى بيتى بعد أن سمحت له أن ينام فى بيته .. حتى اتصلت بهاشم فى التليفون ، وما كاد يسمع صوتى حتى فاجأنى قائلا :

ـ مبروك . . سمعت انكم اتجوزتم . .
وغاب عنى ذكائى لحظة خاطفة . قلت فيها :
ـ ابدا . . لسه . .
ثم تنبهت الى انى انزلقت بلسانى وعدت اقول بسرعة :
ـ تقصدك ايه . . اتجوزت مين . . علشـان يعنى ما اتاخرت اربعة أيام فى السويس . . وفيها ايه . . بنتى كانت عيانه وواخده اجازه من المدرسه ، قعدت جنبها . .
وقال هاشم ، وصوته ينضح باليأس :
ـ كفايه كذب يا امينه . . تأكدى انى حا افرح يوم ما تتجوزى اكتر من فرحتك . . ليه ما تخليش كل حاجه بينـا تبقى حلوه وصريحه . . ليه . . انتى ناسـيه ان حبنا ما كانش شويه . . ناسيه السنين دى كلها اللى عشناها مع بعض . . ليه نخسر السنين دى كلها . . ونسودها بالكذب . .
وكانت مرة من المرات القلائل التى يتكلم فيها هاشم بكل هذا الصدق . . وبكل هذا الاحساس . . وضـعفت امام صـدق احساسه وقلت فى صوت هفتان :
ـ محمد فعلا عايز يتجوزنى . . بس لسه ما تجوزناش . .
قال :
ـ وكنتى مخبيه على ليه . .
قلت :
ـ كنت خايفه منك . . خايفه انك تعمل حاجه تطفش منى محمد ، وانا ما صدقت لقيت عريس كويس . .
قال يقاطعنى :
ـ ما تقولبش كده . . كل اللى تقدموا لك كانوا كويسين . . حسن كان كويس . . وفريد كان كويس . .

قلت اغاطعه :

ـــ بس محمد احسن منهم .. واصغر منهم .. واصله هو دلوقتى متأكد انى سبتك خلاص .. ولو عرف انى لسه باكلمك مش ممكن يتجوزنى ، خصوصا انه لسه بيشك فى ..

قال :

ـــ اخص عليكى يا أمينه .. بعد ده كله تفتكرى انى ممكن اقف فى طريقك .. تأكدى ان كل اللى عايزاه منى حاعمله .. مهما طلبتى ..

قلت :

ـــ عايزاك تفضل زى ما انت .. وتأكد لكل الناس اننا سبنا بعض ..

قال فى استسلام لم اتعوده منه :

ـــ حاضر ..

قلت :

ـــ وكلها شهرين ولا تلاته واتجوز .. انا متأكده .. وفى الفتره دى حابقى أشوفك فى السر .. بس مش كتير ..

وقال هاشم :

ـــ حاضر .. بس لو ما اتجوزكيش حاتعملى ايه ..

قلت :

ـــ انا متاكده انه حايتجوزنى .. ولو ما اتجوزنيش بعد ده كله حانتحر .. واذا ما انتحرتش حارجع لك .. ومن غضلك سيبنى متأكده من اللى باعمله .

قال :

ـــ حاضر ..

قلت :

ــ فوت على بكره الصبح ، اشرب معايا القهوة ..

وقال هاشم وهو يضحك ضحكة صغيرة :

ــ حاضر يعني

وهكذا .. انقلب الوضع مرة خرى .. اصبحت ابدو مع محمد فى العلن ، والقى هاشم فى الخفاء .. واخفى عن محمد علاقتى بهاشم ، واقول لهاشم ما يجرى بينى وبين محمد .. انقل اليه الأحاديث التى نتبادلها ، بل ابلغه بكل لقاء لنا .. الليله سنذهب الى السينما .. الليله كان لقاؤنا فى الشقه .

وكنت أشعر بالجهد الكبير الذى يبذله هاشم ليخفى آلام الغيرة التى تفتك به وهو يسمع اخبارى مع محمد .. وكنت اتلذذ بألمه .. كنت احس كأنى احقنه بكل آلامى التى اذاقها لى عندما كنت له وحده ..

ولم يكن هاشم يبدى تفاؤله من زواجى بمحمد .. كان يبدو عليه كأنه واثق ان هذا الزواج لن يتم .. ولكنه لم يكن يفصح عن تشاؤمه صراحة .. ربما لأنه كان يخشى أن أتهمه بالغيرة من محمد ..

وفى هذه الأيام بدأت اسمع اشاعات خافتة عن هاشم ونجوى ، قالت لى احدى صديقات أمى وكنت قد قابلتها صدفة ، ان هاشم يجرى هذه الأيام وراء فتاة اسمها نجوى .. وانطلقت الغيرة فى صدرى .. كدت أجن كعادتى ، ولكنى كتمت غيرتى .. انى على الأقل استطيع ان اسمح له بأن يتسلى مع فتاة اخرى ، الى ان يتم زواجى بمحمد .. واتصلت به بالتليفون وقلت له وانا احاول كل جهدى ان ابدو هادئة :

ــ ايه حكايتك مع ست نجوى دى كمان ..

وقال كأنه يدافع عن نجوى لا عن نفسه :

ــ ما ميش حاجه .. ما فبش حكايه .. دى عيانه عنـدى باعالجها .. وارجوكى .. انتى عارفه اد ايه انا بتضايق لما حد يتكلم عن عيان من بتوعى ..

قلت وأنا احاول أن ابدو ساخرة :

ــ على كل حال انا اسمح لك تعرفها .. و ..

وقاطعنى هاشم ضاحكا :

ــ متشكر قوى ..

واستطردت فى لهجة جادة :

ــ بس على شرط ما تحبهاش .. انا ما باحبش محمد .. أنا بس حاتجوزه ..

وقال هاشم وآثار ضحكته لا تزال بين شفتيه :

ــ انتى جباره ..

ثم كان يوم آخر ..

يوم راس السنة الميلادية ..

لقد قضيت ليلة راس السنة مع محمـد .. وحدنا .. فى الشقة .. وكانت أول ليلة لراس السنة اقضيها مع رجل املكه .. فان هاشم كان من عادته أن يقيم حفلة فى بيته كل راس سنة .. وخلال السبع سنوات التى عشتها معه لم يدعنى الى هـذه الحفلة أبدا .. كان يتركنى وحدى .. لأسهر مع بعض أقاربى . او لأبقى فى البيت .. وكنت عادة أقضى الليلة باكية ، ثم ارفع عينى الباكيتين ، عندما تدق السـاعة منتصف الليـل ، وارسل لهاشـم قبلة فى الهواء .. ثم تدهمنى خيالات بأنه ربما كان فى هذه الساعة يرقص مع فتاة أخرى ، وربما قبلها عندما اطفئت الانوار .. فيشتد بكائى .. وأنام فى بحر من دموعى ..

اما هذا العام .. فان لى رجلا املكه .. استطيع ان اعوض به كل السنين التى تركنى فيها هاشم وحدى .. وعندما دقت الساعة الثانية عشرة .. قبلت محمد .. وفى نفس الوقت ارسلت قبلتى المعتادة الى هاشم فى الهواء .. ثم انطلقنا انا ومحمد نقضى ليلة مجنونة حتى الفجر .

وبمجرد أن فتحت عينى فى الصباح .. لا .. فى الظهر .. اتصلت بهاشم فى التليفون .. وقلت له وانا اتثاءب واتمطى واحس انى اسعد امرأة فى العالم :

ــ كل سنة .. وانت طيب ..

قال فى صوت قلق كأنه يتحفز لنقاش طويل :

ــ وانت طيبه .. انبسطى امبارح ..

قلت فى صوت مسترخ احاول ان اكيده به :

ــ ما خرجتش .. قعدت انا ومحمد فى الشقة لوحدنا لغايه خمسه الصبح .. ولسه صاحيه من النوم دلوقت .. هلكانه يا هاشم ..

وقال كأنه يكتم غيظه :

ــ بالهنا والشفا ..

قلت :

ــ وانت عملت ايه ؟ ..

قال :

ــ ولا حاجة .. نمت الساعه واحده .

وفوجئت .. فقد تصورته طوال ليلة امس وهو يرقص ويضحك ويغازل النساء .. بل تصورته وقد صحب امرأة الى شقته فى آخر الليل ، وكانت هذه التصورات هى التى دفعتنى الى الاندفاع فى جنونى مع محمد .. وقلت وانا اشعر بالخيبة ..

ـ ازاى ده .. نمت بدرى ليه ؟
قال :
ـ الجماعه اللى كنت عازمهم كانوا معزومين فى حفلات سنيه .. وانا كنت تعبان ما رضتش اروح معاهم .. نمت ..
ومرت بيننا فترة صمت . كأن كلا منا يتحفز لشىء ينطلق من صدر الآخر .. ثم قال هاشم وهو يحاول ان يبدو هادئا جادا :
ـ اسمعى يا امينه .. ايه رايك نبتدى سنه نظيفه ؟
وقلت فى حدة :
ـ يعنى ايه ؟
قال :
ـ يعنى تبتدى تعودى نفسه على انك ما تعرفيش الا محمد .. تبقى لواحد بس .. وتبطلى تشوفينى .. وتبطلى تكلمينى فى التليفون .. ونقعد على كده سنه بحالها .. والسنه الجايه زى النهارده . تكلمينى فى التليفون . وباذن الله تقوليلى خبر كويس ..
وصرخت فى وجهه وقد قفزت جالسة فى سريرى :
ـ أنا عارفه أنت عايز ايه .. انت عايز تضعفنى قدام محمد .. وعارف انك لو سبتنى دلوقت حاضعف قدامه .. الا .. مش حاسمح لك تسيبنى . مش ممكن تسيبنى الا بعد ما اتجوزه .. ما سمحش لك ولا له انكم تلعبوا بى .. لازم واحد فيكم يتجوزنى قبل التانى ما يسيبنى ..
وقال وهو يحاول أن يحتفظ بأعصابه هادئة :
ـ يا أمينه اعقلى .. عمر الست اللى تعرف اتنين ما تبقى قويه .. الست القويه هى الست اللى عندها مبادىء قويه ..

وما فيش مبادىء قويه تقول ان الست تعرف اتنين فى وقت واحد ..

وقلت ، وانا اصرخ :

ــ ده كلام فاضى .. المبادىء ما بقتش تنفع اليومين دول .. انا خلاص كبرت .. وبقيت واحده عمليه .. لو كانت المبادىء بتنفع كنت اتجوزتنى لما كنت كويسه ..

وقال :

ــ يا امينه انتى عارفه اننا لازم نسيب بعض .. واننا جربنا ميت طريقه علشان نسيب بعض .. ما فضلش الا اننا نقطع علاقتنا . مهما تعبنا ومهما تعذبنا .. لازم نقطع علاقتنا ..

وقلت صارخة :

ــ مش دلوقتى .. ما تفتكرش انى عابزه افضل معاك .. انما مش دلوقت ..

وقال فى حزم :

ــ انا قررت خلاص يا امينه .. وانا حاسيبك وأنا ضميرى مستريح .. أنا سايب لك فلوس تكفيكى سنتين .. وسايب لك حاجات تقدرى تبيعى فيها وتعيشى بثمنها خمس سنين .. وسايبك مع شاب كويس وبيحبك وتقدرى تعتمدى عليه ..

وصرخت :

ــ انت ما عندكش ضمير .. ومش من حقك انك تسيبنى .. مش من حقك ..

وقاطعنى قائلا كأنه يطلق على صدرى رصاصة :

ــ آسف .. إنا قررت ..

وعدت اصرخ :

ــ قررت يعنى ايه .. انت فاكر انك تقدر تستغنى عنى ..

انت دلوقتى بأه عندك اربعين سنه ، ومش ممكن تلاقى واحده زيى ، ولا واحده تحبك زى ما حبيتك ..

وسكت برهة كأنه يبتلع المه ، ثم قال فى هدوء مفتعل :

ــ مع السلامة يا أمينه .. ربنا معاكى .

والقى سماعة التليفون فى وجهى ..

وجننت ..

وعدت بيد ترتعش بجنونى أدير رقم تليفونه .. وما كاد يسمع صوتى حتى قال ثائرا :

ــ أنا قلت لك ما تضربيش تليفون الا السنه الجايه ..

ثم القى السماعة فى وجهى ..

ورفعها ..

ابقاها مرفوعة ..

مرت ساعتان والسماعة مرفوعة .. وانا ادير رقمه كل دقيقة ، منتظرة أن يعيد السماعة الى مكانها .. ومطمئنة الى ان محمد لن يلحظ أن تليفونى مشغول ، لأنه نائم فى بيته ..

وأعاد سماعة التليفون الى مكانها .. بعد ساعتين .. وما كاد يعيدها حتى كنت معه عبر الأسلاك .. وقلت بمجرد ان رفع السماعة :

ــ ما تقفلش السكه من فضلك .. أنا ما بتدلعش معاك .. أنا عايزاك فى حاجه مهمه ..

وتردد قليلا ، ثم قال فى صوت جاف :

ــ عايزه ايه ؟ ؟

قلت :

ــ عايزه فلوس ..

وكنت خلال هاتين الساعتين قد فكرت فعلا فى أن آخذ من

هاشم نقودا قبل ان يتركنى .. آخذ منه ثلثمائة جنيه على الأقل ، حتى اصل بالمبلغ الذى ادخره الى الف جنيه .. ولكن لم تكن النقود فى حد ذاتها هى كل شيء ، ولكنها كانت حجة استطيع بها ان اقنع هاشم بلقائى ، ولعلنى بعد ان القاه استطيع ان اقنعه بأن يبقى لى ..

ولكن هاشم اجابنى فى وقاحة لم اتعودها منه :

ــ انا مش حاديكى فلوس بعد كده . انتى دلوقتى معاكى راجل يقدر يصرف عليكى .. روحى اطلبى منه ..

وصرخت فى حدة :

ــ يعنى انت زى بقية الرجالة .. ما تدفعش الا لما تاخد قصاد اللى بتدفعه .

وقال وهو يصرخ فى وجهى كأنه يشتمنى :

ــ لا .. انا احسن من بقية الرجالة .. وبكره تعرفى ..

ثم القى سماعة التليفون فى وجهى ..

ولم اياس ..

هل فقدت كرامتى الى هذا الحد ؟

لم اكن افكر فى كرامتى .. لا اعتقد ان كرامتى كانت مشكلة بالنسبة لى أبدا .. ولكنى كنت اشعر بأنى افقد قوتى .. قوتى على هاشم وبالتالى قوتى على محمد .. وكنت احاول أن استرد قوتى ..

وبقيت احاول ان اتصل بهاشم بالتليفون خمسة أيام .. كل يوم أدير رقمه اكثر من عشرين مرة .. وهو يلقى السماعة فى وجهى ، أو يرفع السماعة من مكانها ، أو لا اجده .. ولكنى لم احاول فى هذه الأيام ان أطارده بتاكسى كما كانت عادتى . فقد بدأت اخاف .. اخاف من محمد .. اخاف أن يضبطنى وانا

اطارد هاشم فيتركنى هو الآخر .. وكانت هذه هى أول مرة اخاف فيها من محمد الى هذا الحد .. لقد بدات فعلا أفقد قوتى .. وبدات مظاهر الضعف تصبغ تصرفاتى .. واول مظاهر الضعف . هى الخوف .. سواء خفت من هاشم أو من محمد ..

اكتفيت بأن الاحقه بالتليفون ..

وكنت أعتمد على أن هاشم مهما كان مصرا على هجرى ، ومهما كان قويا فى اصراره ، فلابد أن تمر به لحظة ضعف يستريح فيها من هذا الاصرار .. لحظة يكون فيها زهقانا ، أو يائسا ، أو سكرانا .. ولو صادفته فى هذه اللحظة فانى أستطيع أن أستغل ضعفه ..

وجاءت اللحظة ..

كنت سهرانة مع محمد ، وأعادنى فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .. وما كدت ادخل بيتى حتى رفعت سماعة التليفون وأدرت رقم هاشم ..

ورد علىّ ..

وسمعت فى صوته رنة الضعف ، والاستسلام .. كأنه كان يبحث عن شخص يرفه عنه .. ولم يلق السماعة عندما سمع صوتى .. بل ظل ممسكا بها دون أن يتكلم ..

وقلت فى صوت رقيق كأنى أدلك به أعصابه :

ــ مش حرام عليك يا هاشم ، تجننى لغاية ما ترد عنى ..

وقال وهو يتنهد :

ــ كان لازم اعمل كده يا أمينه ..

قلت برقة :

ــ بس مش بالشكل ده يا هاشم .. الناس لازم تتفاهم قبل ما تسيب بعض .

قال :

ــ أنا يئست من التفاهم معاكى ..

قلت :

ــ بس فيه حاجات كتير لازم أقولها لك .. ده عمر طويل يا هاشم .. مش سنه ولا سنتين ..

قال فى استسلام :

ــ عايزه تقولى ايه ؟

قلت :

ــ تقدر تفوت على ؟

وتردد قليلا ثم قال :

ــ امتى ؟

قلت :

ــ دلوقتى ..

وتردد ايضا ، ثم قال كأنه فى حاجة الى مغامرة تريح اعصابه :

ــ طيب .. بعد نص ساعه حاكون عندك ..

قلت فى فرح :

ــ مستنياك .. ما تضربش الجرس .. أنا حافتح لك على طول ..

واعدت سماعة التليفون .. وقمت وقلبى يخفق بالفرحة .. فرحة الانتصار .. ودخلت الحمام ، واستحممت بماء ناتر .. ثم ارتديت قميص نوم من الحرير .. وسرحت شعرى وتركته سائلا على كتفى .. وتعطرت بعطرى الذى يحبه هاشم وانتظرته وراء الباب .. وما كدت أسمع صوت أقدامه حتى فتحت له ..

ولم اضيء النور .. وسحبته من يده الى غرفة النوم .. وانا اهمس :

— ما تعملش صوت .. احسن البت الخدامة تصحى ..

ولم يكن هذا صحيحا .. فخادمتى كانت مستيقظة ولكنى نبهت عليها ان تدخل حجرتها ولا تخرج منها ..

ورقدت على فراشى .. وقميص النوم يكشف عن لحمى .. وشعرى ملقى فوق الوسادة .. وعطرى ينطلق ويشد هاشم من انفه الكبير ..

وجلس هاشم على حافة الفراش ، ومد يده والتقط ولاعة سجائر ذهبية موضوعة فوق الكومدينو .. وكانت هدية من محمد ومنقوش عليها الحرفين الأولين من اسمى واسمه وقال وهو يعبث بها :

— دى هديه من محمد ؟

— آ .. حلوه ؟ ..

قال وهو يشعل الولاعة كأنه يحرقنى بها :

— انتى عبيطه .. بتجرى وراء الحاجات الصغيرة ..

قلت كأنى أغيظه :

— د بيجيب لى هدايا كتير قوى ..

قال :

— وحاتتجوزوا امتى ..

قلت :

— لما توافق امه ..

قال :

— واذا ما وافقتش امه ..

قلت :

ـــ برضه حانتجوز ..

قال :

ـــ طيب اعملي حسابك انها مش حاتوافق ..

قلت :

ـــ ليه ؟

قال وهو يهز كتفيه :

ـــ لأنها مش ممكن توافق ..

قلت :

ـــ لا .. حاتوافق .. انت ما تعرفش اد ايه هى بتحب ابنها .. واد ايه ابنها بيحبنى ..

وابتسم هاشم ابتسامة ساخرة ، وقال :

ـــ ابنها بيحبك صحيح ، بس ما اظنش انه حا يتجوزك ..

قلت وانا انظر اليه كأنى أتحفز للدفاع عن نفسى :

ـــ ما يتجوزنيش ليه ؟

قال :

ـــ لأن مافيش راجل عاقل يتجوز بالطريقه دى ..

قلت :

ـــ أمال الراجل العاقل يتجوز ازاى ؟ ..

قال :

ـــ يتجوز البنت اللى تقنعه بأنها عاقله .. وانتى اقنعتى محمد بانك مجنونه ..

قلت فى حدة :

ـــ محمد فاهمنى كويس .. فاهم انى واحده صريحه . مش مجنونه . أنا ما بعملش أكتر من اللى بتعمله البنات التانيه

.. بس ما خبيش .. صريحه .. ما بضحكش عليه وافهمه غير حقيقتى ..

قال وفى عينيه اشفاق :

ــ ما تقفيش لوحدك يا امينه فى الموضوع ده .. ما تكرريش غلطتك معايا ..

قلت فى زهق :

ــ يعنى عايز أعمل ايه ؟

قال :

ــ أنا من رايى تصالحى جوز مامتك وتروحى تقعدى فى بيته .. علشان محمد يحس انك مش سايبه .. وإن لك عيله ..

قلت وزهقى يزداد :

ــ يا حفيظ يا رب ، ده انا اتخنق لو قعدت مع جوز أمى يوم واحد .. وبلاش تكلمنى فى الموضوع د ، لانى مش حاسمع كلامك ..

قال :

ــ لك حق ..

ومرت بيننا فترة صمت طويلة ، وهاشم ينظر فى وجهى كأنه يبحث فيه عن فتاة كان يعرفها ، ثم قال :

ــ وانتى مبسوطة دلوقتى ؟

قلت :

ــ مبسوطة لأنى قدرت أخليك تيجى .. مش انا شاطره ..

وعاد هاشم يبتسم ابتسامته الساخرة وقال :

ــ وعايزه تقوليلى ايه ؟

قلت وأنا انظر فى عينيه المنتفختين :

ــ عايزاك تبوسنى .

ونظر الى هاشم طويلا ، ثم قام وهو يتنهد كأنه يؤدى واجبا ثقيلا ، وخلع سترته ، ثم عاد الى ، وأخذنى بين ذراعيه وقبلنى ..

ولأول مرة أحس أن شفتيه تاهتا عن شفتى ..

كأنه لا يعرف موضع قبلتى ..

القبلة التى عودنى عليها كل هذه السنين الطويلة ..

واحسست أنه يضغط على أعصابه ، ليفتعل الحماس ..

وبدات انا الأخرى أفتعل ..

أفتعل الحماس .. وافتعل التفانى .. وافتعل آهاتى .. لعلى ارضيه .. لعلى أعيده كما كان .. ولكنه ليس كمحمد الذى كنت فى أحضانه منذ اقل من ساعتين .. انه بارد .. لا يكلف نفسه أن يهتم بحاجتى اليه .. انه يأخذنى فى زهق ..

وقام وارتدى ثيابه بسرعة ..

وعاد يجلس على حافة السرير ، وقال وهو ينظــر الى فى شفقة :

ـــ احنا اتغيرنا ياأمينه .. ما بقيناش زى الأول ..

قلت :

ـــ أنا ما تغيرتش .. وانت عارف الحاجات دى ما تهمنيش ..

قال :

ـــ انا عايز اكلمك بصراحه يا أمينه .. انتى عارفه أنا جيت لك الليلة دى ليه .. لانك قبل ما تكلمنى فى التليفون .. كنت قاعد اكلم نفسى ، وكان متهيالى انى ظلمتك .. كنت باقول لنفسى انى ما كانش لازم اسيبك وجيت مخصوص علشان أؤكد انى ما غلطتش .. انك انتى الى غلطتى .. انتى مش كويســه يا امينه .. ما تقدريش تبقى كويسه .. ما تقدريش تصونى كرامة اى راجل

.. انتى كنت متجوزه وبتخونى جوزك معايا .. وبعدين انخطبتى واحد وخنتيه برضه .. وبعدين اتجوزتى واحد تالت وخنتيه .. وكنتى بتحبينى وتخونينى .. ودلوقتى بتحبى واحد تانى وبتخونيه برضه .. يبقى مش معقول الـــ ..

وقاطعته :

ــ انا كنت باعمل كل ده علشان خاطرك .. كل اللى عملته ده كان بسببك ..

قال فى هدوء :

ــ مش علشان خاطرى يا امينه .. انت عمرك ما عملتى علشان خاطر حد ..

قلت وانا اصرخ :

ــ انت سافل .. انا ضحيت بكل حياتى علشان خاطرك .. ولو كنت اتجوزتنى كان زمانى بقيت كويسه ..

قال فى صوت بارد :

ــ لو كان ممكن تبقى كويسة كنت اتجوزتك ..

قلت وانا انهار ضعفا :

ــ انا مش عايزه اتجوزك دلوقتى يا هاشم .. عارفه ان مش ممكن تتجوزنى .. بس خليك معايا لغاية ما اتجوز محمد ..

وابتسم ابتسامة لا معنى لها ، ثم قام واقفا :

ــ تأكدى لو كان فيه حاجه ممكن اعملها ، كنت عملتها ..

وخرج ..

وجريت وراءه الى باب الشقة ، وتعلقت فى رقبتـــه وقبلته .. وازاحنى عن صـــدره فى رفق .. ونظر فى وجهى ، ثم عاد واحتضننى ، وضمنى الى قلبه فى هدوء ، وترك خده فوق خدى فترة ، ثم قبلنى فوق جبينى .. وابعدنى عنه ..

وقلت له قبل أن اغلق الباب وراءه :

ـــ هاشم .. بكره حا اضرب لك تليفون .. وترد على ..

قال :

ـــ بإذن الله ..

وخرج ..

واحسست أنه خرج من حياتى الى الأبد .. وحاولت أن أبعد هذا الاحساس .. حاولت ان أثق بقوتى على الاحتفاظ به . واستعادته كلما هم أن يتركنى .. ولكن موجة من الضعف كانت تزحف عليّ ..

انى ضعيفة ..

والقيت نفسى فى فراشى وبكيت ..

ـ ٧ ـ

بدا هاشم يتبع طريقة جديدة ليتخلص منى ..

لم يعد يلقى فى وجهى بسماعة التليفون . لم يعد يهرب .. كان يرد على فى التليفون بكلمات رقيقة ويضحك ويدللنى كأنه لم يحدث شيء بيننا أغضبه منى .. وكنت أروى له أخبارى مع محمد . فيسمعها باهتمام الصديق الوفى ، ويحل لى مشاكلى ، وينصحنى كأنه فعلا صديق وفى .. ثم .. عندما أطلب لقاءه يقبل بسرعة .. ويحدد لى موعد اللقاء .. ثم .. قبل الموعد بساعة أو ساعتين يعتذر .. ويعتذر فى رقة :

ـــ آسف يا أمينه .. جاءت لى حاجه مستعجله .. معلهش .. مره ثانيه .. اضربيلى تليفون بكره ..

وتكرر اعتذاره ثلاث او اربع مرات .. وبدات اكتشف خطته .. وقلت له فى التليفون :

ــ انا عارفه يا هاشم . انت مش عايز تشوفنى ..

رد فى حرارة كاذبة :

ــ ابدا يا امينه .. وحياتك مشغول .

وقلت فى مسكنة :

ــ طيب فوت على دلوقت ، وانت رايح للعيـــان بتاعك .. دقيقه واحده بس ..

وقال بنفس الحرارة الكاذبة :

ــ مش ممكن يا امينه .. انتى عارفه ..

وقلت وانا اكاد ابكى :

ــ اللى تشوفه يا هاشم ..

وازداد ضعفا يوما بعد يوم .. احس انى فقدت تاثيرى على هاشم .. واحس بالخوف من ان افقد تاثيرى على محمد ايضا ..

وكنت فى هذه الأثناء استعمل كل ما بقى فى من قوة للضغط على محمد حتى يتزوجنى .. ومحمد يتعلل بمختلف الأعذار .. ويؤكد لى ان امه على وشك الاقتناع .. وانا احتار فى تصديقه .. ولكنى مضطرة ان اصدقه .. ليس لى طريق آخر الا ان اصدقه ..

وفى يوم . ادرت رقم تليفون هاشم فسمعت الجرس يرن ، ثم لم يرد احد .. وكررت الاتصال به .. والجرس يرن .. ولا احد يرد .. وفى اليوم التالى ، الجرس يرن ولا يرد احد ..

لقد غير رقم تليفونه الخصوصى .. الرقم السرى .. السافل .

وحاولت الاتصال به فى تليفون العيادة العام ، ولكن التومرجى هو الذى يرد دائما ، او المرضة اليونانية ، وكلاهما يعـــرفان

صوتى .. وكل منهما يعتذر لى بأن الدكتور مشغول .. كانهما تلقيا أمرا بطردى كلما سمعا صوتى ..

وحاولت الاتصال به فى بيته .. فى كل ساعة يخيل الى انه فى بيته .. حتى فى الساعة الثانية صباحا .. فى الخامسة صباحا .. ولكنه لا يرد أبدا .. لم يعد يضع التليفون بجانب فراشه كما تعود .. ان التليفون بجانب فراش أخته .. هى التى ترد دائما .. وأعيد السماعة بمجرد أن أسمع صوتها .. انى لا زلت أكرهها .. أكرهها .. وبدأ عذاب كبير يزحف على ..

صحيح انه مضى على أكثر من شهر لم ألتق فيه بهاشم .. ولكن صوته الذى كنت أسمعه فى التليفون كان يحتفظ لى بالأمل فى انه لا يزال بجانبى .. لا يزال لى .. بل انى كنت قد بدأت أفكر جديا فى أن أقطع علاقتى بمحمد ، وأعود لهاشم بكلى .. فهاشم يريحنى أكثر من محمد .. وأشعر بجانبه باطمئنان أكبر .. وهو لا يكذب على ، وقد بدأت أشك فى أن محمد يكذب علىّ .. يغرر بى .. يشدنى وراءه بوعد لن يحققه ..

ولكن هاشم حرمنى من صوته ..

حتى صوته حرمنى منه ..

حرمنى من مجرد الأمل ..

وعندما أحسست أنى فقدته ، عادت مسامى كلها تتفتح له .. عادت أعصابى كلها تناديه .. وأشعر بالاختناق .. وأتلوى فى فراشى كأنى راقدة فوق جمر النار ..

انى أتعذب ..

أختنق ..

هل يمكن أن يكون هذا هو الحب ؟

لا .. لا يمكن .. انه ليس الحب .. لا يمكن أن يكون هذا

حبا .. لا يمكن ان أكون حتى اليوم أحب هاشم الى حد ان اتعذب كل هذا العذاب .. بعد كل ما فعله بى .. وبعد كل ما فعلته به .. حتى لو كنت قد أحببته يوما ما فان ما حدث بيننا كان كفيلا بأن يذيب هذا الحب .. يمزقه .. يقتله ..

لا ليس الحب ، انه التعود ..

انى مرتبطة به بحكم العادة .. عقلى تعود عليه .. جسدى تعود عليه .. اسلوب حياتى كلها يعتمد على التعود عليه ..

والتعود أقوى من الارادة ..

ان الذى يتعود على الحشيش يعلم أنه يزهق أنفاسه .. والذى يتعود على الكونيك يعلم أن الكونياك يكوى أمعاءه .. ورغم ذلك لا يستطيع أن يستغنى عن الحشيش أو عن الكونياك .. لأن العادة أقوى من الارادة ..

واذا كان تعودى على هاشم يسمى حبا ، فانى أحبه كما يحب الحشاش الحشيش .. وكما يحب السكير الكونياك ..

واكتشفت أن محمد لم يستطع ان يشفينى من هذه العادة .. لم يستطع أن يشفينى من هاشم .. لقد خيل الى يوما ما انى شفيت منه .. وأن محمد شفانى .. ولكن الآن .. وبعد أن تركنى هاشم فعلا .. عاد سلطان التعود يسيطر على بكل جبروته .. بكل حدته .. أصبحت أركب بجانب محمد فى سيارته وعيناى زائغتان فى الطريق تبحثان عن هاشم ، لعلى أتزود منه بنظرة .. واجلس مع محمد وعقلى سارح وراء هاشم .. وأنام فى أحضانه فأحتاج لكل ارادتى حتى أنسى هاشم وأتفرغ له ، ولم أكن دائما أستطيع .. ثم لا يكاد محمد يتركنى وحدى حتى يهجم على ريح هاشم بكل قوته .. وأحس بصوته يملأ أذنى .. وأحس برائحته

تملأ انفى ، واحس بلمساته فوق كل قطعة من جسدى .. اتلوى .. اجرى الى محمد لعلى انسى فيه هاشم ..

ولم اكف عن محاولتى لاستعادة هاشم ..

ارسلت له خطابا ، لا زلت حتى اليوم اذكر كلماته .. قلت له فيه :

« هاشم حبيبى ..

« انت تعلم انى احبك .. ولا زلت احبك .. اكثر من روحى .. اكثر من ابنتى .. اكثر من اى شىء فى الدنيا .. وقد ضحيت بكل شىء فى الدنيا لانى احببتك .. ضحيت بابنتى وبعائلتى ، وبمستقبلى ، وبالناس .. ثم اخطات .. انى اعترف لك انى اخطات .. ولكن كن رحيما وتذكر انك انت الذى دفعتنى الى الخطأ .. وقد صفحت عما فعلته بى .. فكن كبيرا واصفح عما فعلته بك .. واعدك بمجرد عودتى .. عودتى اليك .. انى سأكفر عن خطئى .. ستجدنى فتاة اخرى .. فتاة تحبك اكثر .. وتحرص عليك اكثر .. والمثل يقول : الطبق المشروخ يعيش اكثر .. وقد شرخ حبنا ، ولكنه سيعيش .. سيعيش اكثر .. ارجوك .. دعنى اعود اليك » ..

وارسلت له الخطاب بالبريد المسجل على عنوان العيادة ..

ولكن هاشم لم يرد على ..

السافل ..

المجرم ..

واشتد عذابى بعد ان ارسلت له هذا الخطاب .. احسست أنه امتص كرامتى .. انه اذلنى اكثر مما ذللت له .. عذاب تنطلق فيه نار الغيظ .. الغيظ من السافل الأكبر .. دكتور السفالة .

ولكن ..

كان لا يزال فى بقية من كرامة يجب ان ابذلها .. قبل ان استسلم لليأس ..

اتصلت بصديقه رؤوف ، الذى التقيت مع هاشم فى شقته اكثر من مرة .. وبكيت له فى التليفون .. بكيت بحرقة .. كان يكفى ان اسمع صوتا قريبا من صوت هاشم ، لأستريح من كل دموعى .. وقلت له ان هاشم تركنى لانى عرفت شابا يريد ان يتزوجنى .. وانى مستعدة ان اترك هذا الشاب ، بل قلت له انى تركته فعلا . وانى الآن اريد هاشم .. يجب ان يعود الىّ .. انه مسئول عنى .. ليس من حقه أن يتركنى فى الحياة وحدى ..

واشفق رؤوف علىّ ..

كاد يبكى معى .. انى استطيع دائما عندما اروى قصتى ان اثير شفقة الناس علىّ ..

ووعدنى أن يتصل بهاشم ، ويرد علىّ ..

وغاب ثلاثة ايام ، ولم يرد علىّ .. فعدت واتصلت به مرة ثانية ، وقال لى بصوت حزين :

ــ آسف يا امينة هانم .. هاشم مصمم على موقفه .. والحقيقة انه اقنعنى بأن ده احسن لك ..

وصرخت :

ــ احسن لى انه يقعد معايا سبع سنين ، وبعدين يرمينى زى الكلبه ..

وقال رؤوف فى حنان :

ــ انتى عارفة يا امينه هانم ان هاشم مش حايتجوز .. وانتى استحملتيه كتير من غير فايده .. يبقى احسن انكم تنتهوا من الحكايه دى ..

وقلت وانا اشهق بالبكاء :

ــ طيب من فضلك ادينى نمرة تليفونه الخصوصية ..

وتردد رؤوف ثم قال :

ــ آسف .. ما اعرفهاش ..

ثم تردد مرة اخرى واستطرد قائلا :

ــ الحقيقة انى اعرفها بس ما اقدرش اقول لك عليها .. لازم استأذنه الأول .

قلت :

ــ بلاش . مش عايزاها ..

والقيت سماعة التليفون ..

وعدت الى العذاب ..

عذاب قلبى المشروخ .. وعقلى المشروخ .. وجسدى المشروخ .. والشروخ ينزف منها الألم .. وتنزف منها ارادتى .. قوتى .. وتنزف منها كرامتى ..

ومضت اربعة شهور لم استطع خلالها ان اتصل بهاشم فى التليفون .. ولم اره .. ولا حتى صدفة .. لم اكن اعتقد ان القاهرة واسعة الى هذا الحد .. واسعة الى حد ان يتوه فيها هاشم منى .. ثم رايته مرة واحدة فى سيارته .. فى طريق مصر الجديدة .. وبجانبه فتاة .. لابد انها نجوى .. ان الأوصاف التى سمعتها عنها تنطبق على الفتاة التى رايتها .. انها جميلة .. ولكنى اجمل منها .. هل انا اجمل منها حقيقة .. لا ادرى .. لا ادرى .. فانى فقدت الثقة فى نفسى .. فى جمالى .. وعندما رايتهما انشق قلبى .. احسست بالسنة النار تنطلق فجأة فى كيانى .. وقضيت يومين ابكى .. واشرد .. وسكين من الالم يمزقنى .. وتمنيت يومها الا ارى هاشم مرة ثانية .. لا اريد ان اراه .. لا اريد .. حتى لا يثير فى كل هذا العذاب ..

وكان يجب ان اياس ..

اياس من هاشم ..

ولكى اياس ، يجب ان اكرهه .. اكرهه بكل طاقتى .. وبدات اقتنع نفسى بكراهيته .. كرهت كل يوم من ايامى معه .. ونسبت اليه كل مصيبة حلت بى .. هو الذى ضيع عمرى .. هو الذى تركت من أجله زوجى .. ثم خطيبى .. ثم زوجى الثانى .. هو الذى ضيع منى ابنتى .. هو الذى عرضنى لكل هؤلاء الرجال الذين مروا فى حياتى وعبروا على جسدى .. هو الذى افقدنى عائلتى .. سمعتى .. الناس .. افقدنى كل شىء .. ولم يفقد هو شيئا .. لم يفقد دقيقة واحدة من عمره .. عجزت عن أن افقده شيئا .. لقد تركته فى أخر يوم من ايامه ، كما كان فى اول يوم التقيت به .. هو هو .. بل كبر .. كبر فى عين الناس كطبيب ، واصبح مشهورا اكثر ، ويكسب اكثر .. انا وحدى التى تغيرت .. انا التى دفعت كل الثمن .. انى اكرهه .. اكرهه .. وتستبد بى الكراهية الى حد ان اتمنى موته .. وتتوالى امام عينى صور للانتقام منه ..

ولكنى عاجزة عن الانتقام .. فارفع راسى الى السماء واصرخ من كل قلبى : « يارب انتقم لى منه » .. ثم ادفع محمد ليتحدث عنه حتى يملأ اذنى بشتيمته ، ويصوره لى وحشـــا ادميا يأكل البنات .. لعلى بذلك اقتنع بكراهيتى له ..

ولكنى اكتشفت ان الكراهية كالحب .. كلاهما ذروة من ذرى العاطفة .. كلاهما يضعك دائما امام الشخص الآخر .. يذكرك به .. ويعذبك بذكراه .. واكتشفت انى اكره هاشم لانى لازلت احبه .. وكلما ازددت كراهية له ، ازددت حبا ..

لا .. لن اكرهه ..

سأنساه ..

وبدأت احس لسانى عن ذكر اسمه .. واتجاهل الأشـــياء التى تملأ بيتى وتذكرنى به .. انظـــر اليها بعينين ميتتين كأنى أنظر الى أشياء ليس لها حقيقة فى عمرى .. وبدأت أبتعد عن كل صديقة من صديقاتى يمكن أن تحدثنى عن هاشم .. بل كنت أتعمد الا أمر فى ميدان سـليمان باشا حتى لا تقع عينـــاى على اليافطة التى تحمل اسمه والمعلقة فوق باب العمارة .. وحتى لا تقع عيناى على سيارته .. وبدأت أيضـــا أتجاهل عواطفى التى تثور فى صدرى ، ولا احاول أن اناقشها .. كان هـــذه العواطف عواطف فتاة أخرى ليس لى شأن بها .

انى فى معركة .. معركة مع نفسى .. معركة أشق ما فيها هى الأشياء الصغيرة .. ان هاشم ليس شـــيئا واحدا .. انه ملايين الأشياء الصغيرة .. أشياء كنت أعتقد أنى نسيتها من زمان ، ولكنها تقفز الآن الى خاطرى واحدة بعد الأخرى .. تقفز ساخنة حية .. كلمة سبق ان قالها لى .. بيجامته المخططة .. الطريقة التى يمشط بها شعره .. دخان سيجارته وهو ينطلق من انفه الكبير .. أصابعه الرفيعة الطويلة .. الخاتم الأخضر الذى يضعه فى أصبع من يده اليمين .. ضحكته .. أسنانه .. الطريقة التى يمضغ بها الطعام .. و .. و .. ذكريات لا تنتهى .. ملايين الأشياء الصغيرة ، كان على أن أحاربها ، حتى اقتلها .. فلا تعود تنغص على عيشتى ..

وكان على حتى أتخلص من تعودى على هاشم ، أن أتعود على محمد وحده ..

انى لم أتعود بعد على محمد وحده .. لم أكن له وحده أبدا .. كان هاشم دائما معه .. بل ان هاشم كان مع كل رجل عرفته

.. ليس فى حياتى رجل تعودت عليه وحده الا هاشم عندما كنت مخلصة له فى السنوات الأولى من معرفتى به ..

وبدأت أرسم حياتى لأكون لمحمد وحده ، واتعود على هذه الحياة ..

ولكن محمد تغير ..

ربما لأنه أحس بأنى ازددت حاجة اليه .. احس بضعفى بعد أن تركت هاشم .. وقد كنت احاول جهدى أن أخفى ازدياد حاجتى اليه .. أخفى ضعفى .. كنت احاول أن أظل محتفظة بقدرتى على السيطرة عليه .. ولكنى يوما بعد يوم ، بدأت أكتشف أن محمد ليس ساذجا كما كنت أعتقد .. وليس ضعيفا .. وليس مهذبا ولا مؤدبا .. انه سخيف .. أحيانا يصل فى سخافته الى حد لا يطاق .. سخافة الشاب المغرور .. وانا التى ملأته بالغرور .. لقد أعطيته اكثر مما كان ينتظر ، فاغتر .. وبدأ فى نوبات غروره يحدثنى عن زواجنا بلهجة جديدة .. وبدأ يحاسبنى من جديد على علاقتى بهاشم .. ثم انطلق مرة اخرى يعلن لى انه يعلم انى لم اكن متزوجة بهاشم .. اعلنها كأنه كان يختزنها فى صدره مدة طويلة .. ثم بدأ يبعدنى عن أصدقائه وزوجاتهم بعد أن عودنى على الاندماج فيهم ، حتى يظل محتفظا بأملى فى الزواج به .. حتى يجعلنى اشعر بأننا فى يوم ما سنكون مثل هؤلاء .. زوجا وزوجة .. انه يخيفنى الآن .. يبتعد بعلاقتنا عن المجتمع .. كأنها شىء لن يعترف به المجتمع ابدا ..

ولم اكن اسكت على هذه السخافات دائما ، كنت اقاومها بعنف .. وكنت اخاصمه اياما .. ومرتين أو ثلاث مرات جننت .. وفى جنونى عدت أحاول أن اتصل بهاشم كأنى أستغيث به .. أدرت رقم تليفونه .. الرقم القديم الذى أعرفه .. ثم

افقت برهة لأذكر نفسى بأن الرقم قد تغير .. فعدت اتصل به فى البيت .. وصحت فى وجه أخته :

ــ ادينى أخوكى .. خلينى أكلمه .

وردت أخته كأنها لا تعرفنى ، ولا تريد أن تعرفنى :

ــ آسفة يا افندم .. الدكتور مش موجود ..

ثم ألقت السماعة ..

وصرخت ..

صرخت يومها كثيرا ، وأنا اشد شعرى .. والطم على خدى .. كنت أصرخ على خيبتى .. على غبائى .. على ضعفى . كنت أصرخ لأنى فقدت هاشم ، ولم اتزوج محمد ..

واخيرا ..

استسلمت ..

اقنعت نفسى بأنى لن اتزوج محمد .. ما حاجتى الى الزواج من محمد أو من غيره .. كده أحسن .. لا ينقصنى شىء .. عندى بيت ، ورجل .. كل ما ينقصنى ورقة .. ورقة ليس لها قيمة .. انها ورقة .. ورقة تطلق البرودة والجفاف والملل فى حياة كل رجل وامرأة يملكانها .. ورقة لا يمكن أن تزيدنى شيئا ، ولا يمكن أن تحمينى من شىء .. ورقة يستطيع الرجل أن يمزقها فى أى وقت ، ثم يدفع المؤخر والنفقة .. وأنا آخذ المؤخر مقدما .. والنفقة ..

وبدأت آخذ نقودا من محمد .. ولكن محمد لا يدفع بنفس البساطة التى كان يدفع بها هاشم .. انه يحسب حساب كل قرش .. ويحس بكل قرش .. ويطالبنى بالبضاعة كاملة يطالبنى بكل دقيقة من عمرى ..

وكنت قد اتفقت مع محمد على أن يغير شقته التى تقع

بجوار شقة هاشم .. حتى أبتعد عن كل ما يثير ذكرياتى .. ويثير احساسى بالأشياء الصغيرة ..

واستأجر محمد شقة فى مصر الجديدة .. وتليفون ..

وبعد مدة ، تركت الشقة التى يستأجرها لى ابى .. قطعت اخر خيط يربطنى بعائلتى .. وانتقلت الى شقة محمد .. عشت فيها .. عدت الى مصر الجديدة .. الحى التى تركته وانا ابنة عائلة كبيرة محترمة ، عدت اليه بلا عائلة .. لا كريمة ولا محترمة ..

وعشت فى وهم نسجته من خيالى .. اوهمت نفسى ان هذا البيت بيتى .. وان هذا الرجل زوجى .. وان سيارته سيارتى .. وعزبته عزبتى .. ونقوده نقودى .. واشتريت دبلة زواج من الماس نقشت فى داخلها اسم محمد وعلقتها فى اصبعى .. ولم اكن فى كل هذا احاول ان اقنع الناس بانى تزوجت محمد .. لا .. لم اعد اهتم بالناس .. ولكنى احاول ان اقنع نفسى .. كنت احاول ان اضحك على نفسى ..

وليس معنى ذلك انى طمأنت محمد الى انى لن اتزوجه .. لا ..

كنت لا زلت اطالبه بالزواج .. وكنت اخفى يأسى واستسلامى فى صدرى .. ولكنى بينى وبينه اتمسك بالأمل ، والح فيه .. ولكن هذا الأمل أصبح مفهوما على انه مجرد تبرير لعلاقتنا ..

وما كنت أحرص عليه أكثر من الزواج ، هو الا يتزوج محمد غيرى .. كان هذا الاحتمال يجننى .. وكنت احرص على ان يعرف كل المجتمع الراقى بعلاقتنا ، حتى أسىء الى سمعة محمد بين العائلات الكبيرة ، فترفض العائلات الكبيرة تزويجه من بناتها .. وكانت امه تسعى فعلا الى ان تخطب له .. كنت أسمع عن

تنقلاتها بين البيوت كأنها تستجدى فتاة تنقذ بها ابنهـا منى .. وكنت اقول لمحمد أن أمه تخطب له .. فيرد فى برود :

ـ خليها تعمل اللى هى عايزاه .. المهم انا .. وانا مش حاتجوز .. انتى عارفه ان مش ممكن اتجوز غيرك ..

ولكنى لم اكن اسكت ..

كنت اثور .. واطالبه بأن يضمن لى مستقبلى .. وأن يتزوجنى رغم ارادة أمه وعائلته .. وكنت اغالى فى ثورتى حتى أزهق أنفاسه .. ولكنه لم يتزوجنى .. وجـد حلا آخر .. كتب لى كمبيالة بخمسمائه جنيه تستحق الدفع عند المطالبة .. حتى أطمئن الى انه لى تركنى .. واذا تركنى استطيع ان أطالبه بالكمبيالة ..

وكتب كمبيالة اخرى ..

وثالثة ..

اصبحت قيمة الكمبيالات التى كتبها لى الف وخمسمائة جنيه .. اكبر من مؤخر صداق اى فتاة من اى عائلة كبيرة ..

ورغم ذلك كنت خائفة ..

الخوف فى قلبى دائما ..

وكنت فى حالات كثيرة اتمرد على هذا الخوف .. ولكن الخوف يعود ويغلبنى .. كنت اخاف ان افقد محمد .. وكانت تجربتى السابقة مع هاشم تزيدنى خوفا .. لقد فقدت هاشم وكنت أعتقد انى لن افقده ابدا .. وقد افقد محمد ايضا .. وكان هذا الخوف يجبرنى على الاخلاص لمحمد .. خصوصا ان محمد ليس كهاشم .. هاشم كان مشغولا عنى .. ولم يكن يعيش معى .. ثم انه كان يقنعنى دائما بانى حرة استطيع ان افعل ما اريد ، ولا يربطنى بشىء اكثر من رغبتى فى الارتباط به .. ولكن محمد ليس مشغولا عنى .. انا عملة الأساسى .. وهو يعيش معى .. ويحاسبنى

على كل لفتة وكل نظرة .. ويطالبنى بكل نفس من أنفاسى نظير كل مليم ينفقه على ...

مرتين فقط استطعت أن اغلب الخوف .. وانطلق الى رجل آخر ...

مرة انطلقت مع حسن .. خطيبى السابق .. انه لا يزال الرجل النبيل الذى يذكر تاريخ ميلادى ، وتاريخ اعلان خطوبتنا ، وتاريخ فسخ خطوبتنا .. ويحدثنى فى كل مناسبة بالتليفون .. ويرسل لى هدية .. وهو الوحيد الذى أصبح موضع سرى .. واشكو له من محمد .. واثق فى اخلاصه .. ورغم ذلك لم أكن له خلال هذه المدة الا مرة واحدة .. انه صاحب حق على ..

والمرة الثانية كانت صدفة .. كانت مع شـــاب لبنـــانى .. التقيت به عندما ذهبت الى زيارة صــديقتى سميحة .. واسمها « سمح » .. كنت يومها قد استأذنت محمد لأنزل الى البلد لأطوف بالدكاكين .. ولكنى وجدت نفسى زهقانة ، فمررت على سمح فى بيتها بشارع معروف .. وكان هذا الشـــاب هناك .. واخذ يعلمنى رقصة التويست .. و ضحكت كثيرا .. وشجعتنى سمح ، كى اضحك اكثر .. ثم تركتنى له .. وخرجت لتذهب الى مدام ليلى الخياطة لتجرى بروفات على الثوب الذى ســـتظهر به فى الديفليــه .. ان ســـمح تشتغل مانيكان .. وكنت لازلت فى حاجة لأن اضحك اكثر .. وارقص اكثر .. واتحرر من الخوف .. وتركت الشاب اللبنانى يحررنى .. انى لا أذكر الآن اســـمه .. ولم أره من يومها ..

واكثر من هذا ، لا شىء .. كنت مخلصة لمحمد .. اخلاصنا دام عامين .. وحب هاشم تقلص وتحجر الى أن اصـــبح كأنه « كاللو » فى قلبى .. لا يؤلمنى الا كلما ضغطت عليه بالذكريات

.. تماما كما يؤلمنى الكاللو الذى فى اصبع قدمى عندما يضغط عليه الحذاء ...

ثم ...

تزوج محمد ...

قرأت خبر زواجه فى الصحف ..

لقد كان معى فى اليوم السابق على زوجى .. ونام عندى .. وفى الصباح ابلغنى أنه مسافر الى العزبة .. وفى الصباح التالى قرأت خبر زواجه ..

وسقطت باردة كالثلج ..

جننت .. ولكنه جنون من نوع جديد .. جنون بارد .. اخطر وأشد الما من الجنون الصارخ .. ثم فكرت فى أن اقتل محمد ... ومرت على صور كثيرة للانتحار ..وصور كثيرة للقتل ...

ولكنى لم انتحر ..

ولم اقتل محمد ...

ظللت ملقاة على ظهرى .. باردة كالثلج .. وعيناى معلقتان فى السقف ... وانا أشعر بكل شيء يتغير فى .. اشعر ان شيئا فى عقلى يتغير .. وشيئا فى صدرى يتغير .. وشيئا فى معدتى يتغير .. بل اشعر أن دمائى تجرى فى قنوات جديدة .. سرعتها تتغير .. ولونها داخل عروقى يتغير ...

ونوبة الجنون تخف .. يخففها انى فى كل يوم كنت أنتظر اليوم الذى يتزوج فيه محمد ..

ومضى يومان لم أحاول خلالهما أن أتصل بمحمد او ابحث عنه .. وفى اليوم التالى اتصل بى هو بالتليفون ... وسمعت صوته باعصاب باردة ، وقلت وشفتاى تتحركان كقطعتى خشب :

ـــ مبروك يا محمد ..

وانطلق قائلا كأنه يبكى :

ــ اعذرينى يا ميتو .. انتى عارفه اد ايه أنا قاومت .. لغاية أمي ما جات لها ذبحه وكانت حاتموت .. وكان لازم اسمع كلامها واتجوز ..

وقاطعته فى صوت كالخشب :

ــ على كل حال .. ده حقك يا محمد ..

قال فى حرارة :

ــ لأ .. مش من حقى .. انا عملت كده علشان انقذ حيـــاة امى .. انا ما بحبش الا انتى .. ومش عايز أتجوز .. اللى جوزوهالى مش طايقهـــا .. مش قادر ابص فى خلقتهـــا .. لو عرفتى حالتى حاتعرفى انى متعذب أكتر منك ..

قلت :

ــ مسكين ..

قال :

ــ ما تعملنيش كده يا ميتو .. اشتمينى .. العنى ابويا .. بس ما تعملنيش كده ..

قلت :

ــ انت عارف ان عمرى ما احب اشتم حد ..

قال :

ــ ميتو .. أنا لازم اشوفك ..

قلت وانا اهز كتفى بلا مبالاة :

ــ وماله .. تعالى ..

قال فى حماس :

ــ مسافة السكه حاكون عندك ..

ولم اهتم بان اتزين له ..

بقيت فى فراشى كما استيقظت من النوم .. وجاء بعد عشر دقائق .. وانطلق فى البيت يبحث عنى الى أن اصطــدم بعينى الباردتين ..

وقلت فى فتور :

ــ جبت الألف وخمسميت جنيه ..

وبوغت .. كأنه قد نسى الكمبيالات .. وقال وهو يتلعثم :

ــ هو ده كل اللى يهمك يا ميتو ..

قلت فى بساطة :

ــ تعتقد ان فيه حاجه تانيه ممكن تهمنى ..

قال وهو يجلس على حافة الفراش :

ــ حبنا ...

قلت فى وقاحة :

ــ نتكلم فى الفلوس ..

قال :

ــ انا عايز أؤكد لك يا امينة ان ما فيش حاجه حا تتغير بينا .. حانفضل زى ما احنا .. وحافضل مسئول عنك .. مش معنى انى اتجوزت انى سبتك .. ابدا اللى اتجوزتها مش حايكون لها اهمية فى حياتى .. حاجيلك كل يوم .. وحابات عندك .. ونقدر نتجوز .. حتى لو ما طلقتش اللى اتجوزتها .. انما انا ناوى أطلقها .. من قبل ما اتجوزها وانا ناوى اطلقها .. و ..

قلت فى صوت جديد انا نفسى لم اتعوده من نفسى .

ــ ادفع الفلوس الأول وبعدين نتكلم .

ونظر الىّ فى تعجب ، كأنه فوجىء بامرأة جديدة امامه ، وقال فى تلعثم :

ـ بس انتى عارفه انى ما عنديش فلوس اليومين دول ..

قلت فى سخرية حادة :

ـ ما فضليش حاجه بعد المهر والشبكه ؟

قال :

ـ انا ما دفعتش مهر ولا شبكه .. أمى اللى دفعت ..

قلت كأنى أهدده :

ـ انا ما يهمنيش مين اللى دفع .. المهم انى آخد الفلوس .. ولا ناقص تودينى محكمه ..

قال فى خبث :

ـ انتى عمرك ما حاتدخلى محكمه يا ميتو .. ثم ان المحكمه مش ممكن تحكم لك فى مسائل زى دى .. دى تبقى فضيحه من غير لازمه ..

قلت فى حدة :

ـ قصدك ايه ؟ ..

قال وهو يزفر انفاسه :

ـ انا حادفع لك دلوقتى خمسميت جنيه .. وبعدين نتكلم فى الباقى .. انما مش ده المهم .. المهم اننا نفضل مع بعض .. انا ما اقدرش اعيش من غيرك يا ميتو .. صدقينى .. انا باحبك .. واعذرينى على اللى عملتـه .. ما كنتش اقدر اسيب امى تموت ..

قلت فى هدوء :

ـ حاتجيب الخمسميت جنيه امتى ..

قال وهو يرخى عينيه :

ـ بكره الصبح ..

ثم رفع عينيه ، ونظر بهما الى وجهى طويلا .. ثم قال فى استجداء :

— اقدر ابوسك ..

وابتسمت ابتسامة لا مبالية ، وقلت :

— بوس ..

وتركته يقبلنى .. وتركته ياخذ ما يريد .. ولم احس به .. حواسى كلها ميتة .. ربما ماتت الى الأبد .. وكان كل ما أراه فى خيالى ، هو عروسة محمد .. المسكينة .. وينطلق فى صدرى صاروخ من الشماتة .. الشماتة فيها .. انى شريرة .. انى اعلم انى شريرة .. واريد أن اكون شريرة ..

ولا لزوم لكل التفاصيل ..

ان محمد لم يدفع الا خمسمائة جنيه .. دفعها خوفا من الفضيحة .. واسترد الكمبيالات الثلاث .. كان هذا أفضل من لا شىء .. وظل يتردد على .. كل يوم .. فى الأوقات التى يتردد فيها الأزواج عادة على عشيقاتهم .. ويدفع اجر البيت ، وينفق علىّ ..

ولاحظت ايامها انى بدابت اضع السوار الذهبى الذى أهدانيه هاشم فى معصمى .. وتتعلق به عيناى وانا راقدة فى احضان محمد .. لم أعد أحس بشىء .. الا بكراهيتى لهاشم .. وبالكاللو الذى تركه فى قلبى .. انى لا اكره محمد .. ان محمد ليس الا نتيجة لهاشم .. ولكنى اكره هاشم .. السافل .. دكتور السفالة اكرهه ..

ولم احتمل طويلا حياتى مع محمد .. تركت البيت ، وانتقلت لأعيش مع صديقتى سمح .. وفكرت فى أن اعمل مثلها « مانيكان » ، ولكن كان يجب أن اتبع نظاما خاصا حتى اخسس

نفسى ، فقد سمنت فى هذه الفترة قليلا .. قوامى مثير .. ولكنه لا يصلح لبكون قوام مانيكان .. وانا لا طاقة لى على اتباع نظام خاص لأخسر نفسى .. ولا طاقة لى على العمل .. انى استيقظ من النوم فى الساعة الثالثة بعد الظهر .. واسهر حتى الصباح فى « الستريو » أرقص ..

إن « مارلو » مترودوتيل الستريو صديقى العزيز الآن .. وهو يعرف رقم تليفونى .. ويقدمنى الى كثير من معارفه .. بينهم امريكان ، وانجليز ، وفرنسيين ، وسعوديين ، ولبنانيين ، وكويتيين .. انه يعرف كل العالم .. وهو يأخذ من كل منهم مبلغا يتراوح بين عشرين وعشرة جنيهات .. يحتفظ لنفسه بعشرين فى المائة ويعطينى الباقى .. وهذا خير من ان اتعود على وجل واحد .. لم اعد مغفلة حتى أتعود على رجل واحد .. ومحمد لا يزال يتردد على ، انه لا يدفع الآن بالشهر ولكنه يدفع بالليلة .. حسن هو الوحيد الذى لا يدفع .. تكفى هداياه .. وهو انسان نبيل .. انى أخجل من أن أبدو امامه كامرأة تتقاضى نقودا .. اريد ان اقنعه دائما بانى لم اصل الى هذا الحد .. وسوار هاشم دائما فى معصمى .. و ..

ولكن ، مالنا وهذه السيرة ...

انا وصديقتى سمح نضحك كثيرا .. كل ايامنا ضحكات .. وانا أحب الرقص .. استطيع أن اقول انى اصبحت ملكة الستريو .. انى أرقص أحسن من البنات الصغار ، رغم أنى فى الثلاثين من عمرى .. ولكنى اقول انى فى الخامسة والعشرين .. انا لا اكذب .. فانى أرقص كأنى بنت الخامسة عشرة .. والعمر يحتسب بالقدرة على الرقص ، لا بالسنين .

التويست الآن رقصة قديمة ، وكذلك الهالى جالى .. الرقصة الجديدة هى « تشكن » أى رقصة « الفراخ » .. ثم رقصة اللمبو ..

انى أحب رقصة الفراخ .. دمها خفيف .. يجمع الراقصون والراقصات فى حلقة .. كل ولد بجانبه بنت .. ويرفعون أيديهم فى حركة دائرية و ..

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

دار الحمامي للطباعة

٣٧ شارع كامل صدقي

سعيد حمزة النجار وشركاه

رقم الايداع ٢٨٦٤

الترقيم الدولى ٤ — ٤٤٥ — ٣١٠٦ — ٩٠٩٧٧

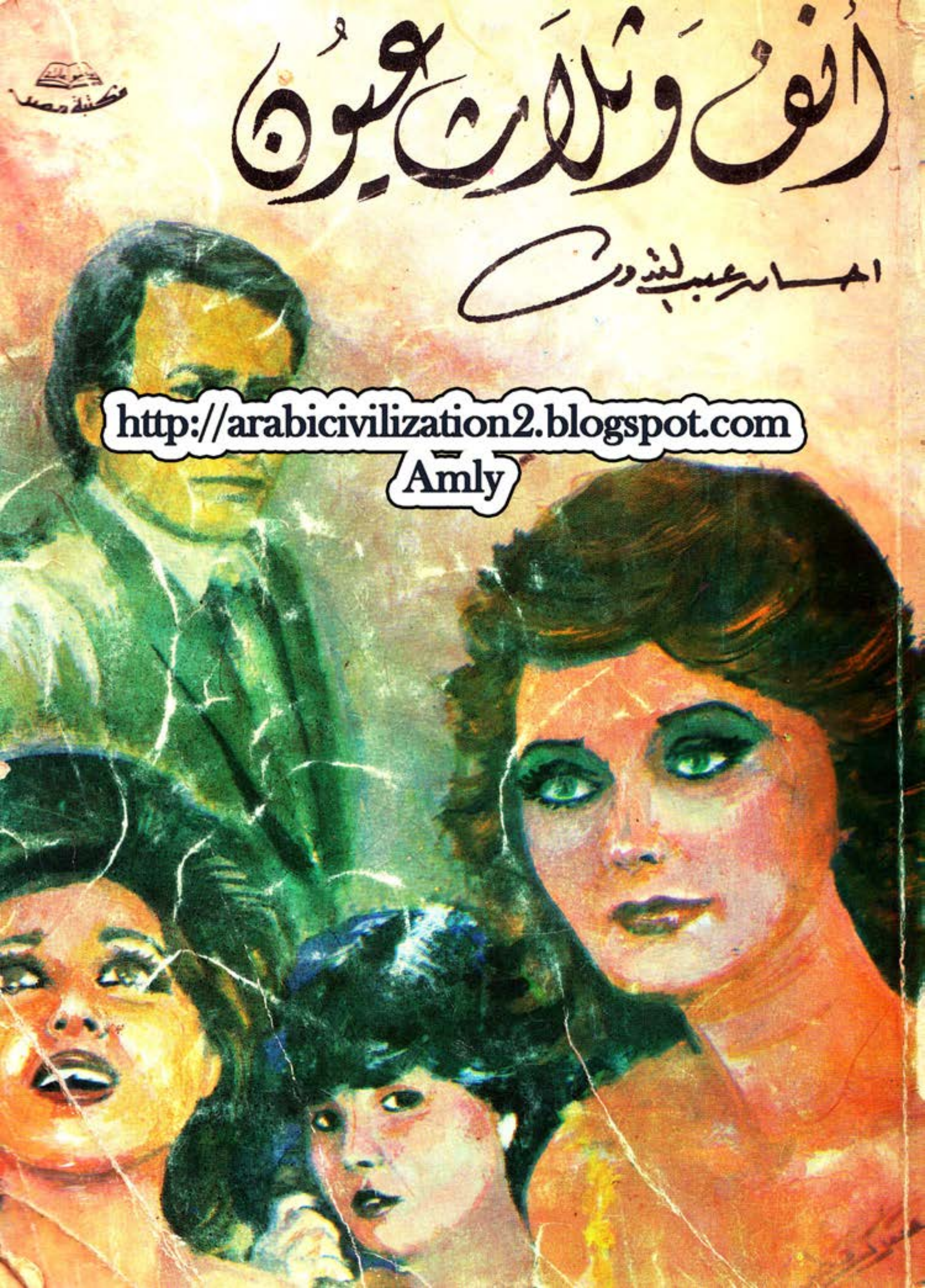

http://arabicivilization2.blogspot.com
Amly

أنفٌ وثلاثُ عيون

إحسان عبد القدوس

أنف وثلاث عيون

٢

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الفجالة"

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

http://arabicivilization2.blogspot.com
Amly

العــــين الثانيـــــة

- ١ -

انا نجوى ..

نجوى طاهر ..

امى تعتقد أنى جميلة .. انها لا تكف لحظة عن التغنى بجمالى والتباهى بى امام صديقاتها .. شعرى النحاسى اللون .. وعيناى المشروطتان الضاحكتان ، كلوزتين مقشرتين شهيتين .. وشفتاى المنتفختان كورقتى الورد .. وعنقى المفرود كأنه يتباهى برأسى .. و .. و ..

ان امى تجد لكل قطعة منى الف وصف ، وألف أغنية .. وتضعنى امامها وتنظر الى بعينين عابدتين ، كأنها ترى الله فى .. وتعلق تحت ابطى حجابا يحمينى من الحسد .. وعلى صدرى مصحفا رخرزة زرقاء .. ولا أخرج من البيت الا بعد أن أخطو فوق البخور سبع مرات ..

ورغم ذلك .. وسواء كنت جميلة أو لم اكن ، فان احساسى بجمالى لم يكن له اثر فى حياتى .. كنت اترك كل احساسى بهذا الجمال لأمى ، اما انا فكان احساسى دائما محصورا فى أن اكون شيئا .. شيئا له شخصيته وله أهميته .. واستطعت أن أكون أولى طالبات المدرسة .. كل مدرسة دخلتها .. وكنت رئيسة فريق التمثيل .. وكنت فى فريق كرة السلة .. ومندوبة فصلى

فى النشاط الاجتماعى .. ومندوبة المدرسة كلها فى مجلس اتحاد المدارس الثانوية .. كنت أحب أن أكون هـذا الشىء الكبير المتميز .. وكنت أحب أكثر أن أكون محبوبة .. محبوبة من زميلاتى ، ومن مدرساتى ، وصديقات أمى .. ومحبوبة من أبى وأمى .. وأنا وحيدتهما ولكن لم يكن هذا يكفى لأطمئن الى حبهما .. كنت أعمل دائما حتى أستزيد من هذا الحب .. كنت أحاول أن أجعل من كل دقيقة تمر بهما نغمة حلوة يسعدان بها ويحباني من أجلها أكثر .. كنت أشعر بمسئوليتى عن اسعادهما أكثر من احساسى بمسئوليتهما عن سعادتى .. فجعلت من نفسى كل شىء فى حياتهما .. أنا الضحكة فوق شفاههما .. أنا خفقة قلبيهما .. أنا كل حياتهما .. وأنا سعيدة بهما .. بحبهما .. وهما يسعدان بى .. بحبى ..

ان الحب هو كل شىء ..

هو السعادة .. الهناء .. الراحة .

هو الذكاء ..

هو النجاح ..

انى اعجب للبنات اللاتى ينكرن وجود الحب .. كيف يا بنات .. أن الحب موجود .. انه الحقيقة الوحيدة الثابتة فى حياة الانسان .. بل انى أستطيع الآن وبعد أن أصبحت طالبة فى الجامعة ، أن أقرأ تاريخ الانسان ، فأجد أنه تاريخ الحب .. وكلما ارتقى الحب ، تقدم الانسان .. لقد خلقت البشرية أفرادا يقتل بعضهم بعضا .. اخوة كل منهم يقتل الآخر ، كما فعل هابيل وقابيل .. ثم جمع الحب هؤلاء الأفراد فى عائلة .. أصبح المجتمع الانسانى عائلات .. وتحابت العائلات ، فأصبحت قبائل .. وتحابت القبائل فأصبحت شعوبا .. وسيرتقى الحب

أكثر .. سيكبر الحب .. ويكبر الانسان .. ويصبح شعبا واحدا .. الانسان الأبيض والانسان الأسود ، والانسان الأصفر .. سيصبحون انسانا واحدا .. شعبا واحدا .. يحب بعضه بعضا ، ويعيش في سلام ..

ثم ..

الحب الخاص ..

حب الولد والبنت .

موجود أيضا ..

ان الانسان مهما تفانى فى مجتمعه لا يمكن أن يستغنى عن بيت يعيش فيه وحده ، ويحس فيه بفرديته .. ان الاحساس بالمجتمع لا يتعارض مع الاحساس بالفردية .. الآلة الكبيرة ليست قطعة واحدة ولكنها آلاف القطع .. كل قطعة لها وظيفتها ، ولها احتياجاتها ، ولها شخصيتها .. وكذلك الحب .. مهما تفانينا فى حب المجتمع لا يمكن أن نستغنى عن الحب الفردى .. انه احتياج فى صميم تكويننا .. وما دام الحب حاجة ، فهو موجود .. ولقد بحث الانسان عن الطعام منذ بدء الخليقة ، لأنه فى حاجة اليه . ووجده . وكذلك وجد الحب لأنه فى حاجة اليه .. لأنه نابع من تكوينه .. وقد أحببت أبى وأمى لأن حبهما انبثق من طبيعة تكوينى كانسانة .. وأحببت زميلاتى لأن حبى لهن نابع من حاجتى الاجتماعية .. وأحببت حبيبى لأنى لا أستطيع أن أحس بوجودى الا اذا أحببت .. أنا احب ، فأنا موجودة ..

والحب ليس الجنس ..

صدقونى ..

انه ليس الجنس ..

لو كان الحب هو الجنس لما كان هناك فرق بين رجل وآخر .

ولا بين فتاة وأخرى .. كما أن ليس هناك فرق بين مطعم وآخر ..

ما الذي يجعل هذه الفتاة تحب هذا الفتى بالذات ، وليس فتى آخر ..

الظروف ؟

لا .. فالظروف تجمع الفتاة بعشرات الشبان ، ولكن الفتاة لا تحب الا واحدا .. والظروف قد تجمع الأصدقاء ، ولكنها لا تكفي وحدها لتجمع اثنين يحب بعضهما بعضا ..

الزواج ؟ ..

لا .. الزواج قد ينشيء عائلة ، ولكنه لا يكفى للحب .. مهما طال أمده .. فقد يطول أمد الزواج لأن كلا من الزوجين يحرص على حياة اشترك فى اقامتها ، كشريكين تربطهما مصلحة واحدة .. ولكن لا يكون معنى ذلك أن كلا منهما يحب الآخر .. فالحياة ليست مصلحة .. انا أحيانا نضحى بالمصلحة فى سبيل الحياة .. اذن .. ما هو الحب ؟ ..

هو أن تجدى نفسك فى شخص آخر .. تجدين فيه عقلك ، وقلبك .. تجدين فيه يومك وغدك .. تجدين فيه ضحكتك ودمعتك .. تجدين فيه حياتك .. تجدين فيه جسدك أيضا .. ولكنك لا تجدين فيه الجسد وحده .. ان جسدك ليس شيئا قائما بذاته .. ان فيه عقلك وقلبك ..

ومصيبتنا أننا خلطنا بين الحب والجنس .. ثم اعتبرنا أن الحب هو الجنس .. انها ليست غلطة الأولاد فقط ، غلطة البنات أيضا .. كثيرات من زميلاتى اندفعن فى الجنس على أنه حب .. وشعلة الجنس تنطفىء بسرعة ، وشعلة الحب لا تنطفىء أبدا ..

وكثيرات منهن أيضا خفن الحب وهربن منه لأنهن كن يهربن من الجنس ..

ما الذى دفعنا الى الخلط بين الحب والجنس ..

ربما كانت التقاليد القديمة التى اعتبرت المرأة متعة .. متعة تباع فى الأسواق ، وتسبى فى الحروب كالغنائم .. ويقاس بها ثراء الرجل ، فكما تعددت أصناف الطعام على مائدته ، تعددت أصناف النساء على فراشه .. وتركت هذه التقاليد أثرها فى أنظمة الزواج .. لم يكن الزواج فى حاجة الى التفاهم بين الرجل والمرأة .. كل ما يحتاج اليه الزواج هو عقد .. عقد بيع وشراء .. بل لم يكن من حق المرأة ان توقع هذا العقد ، فهى بضاعة .. والبضاعة لا توقع ، ولكن يوقع عنها صاحبها .. ابوها ..

هذه التقاليد لا تزال فى نفوسنا .. ليست فى نفوس الرجال وحدهم ، فى نفوس النساء أيضا .. الرجل يعتبر المرأة متعة ، والمرأة تعتبر نفسها متعته .. وبعض زميلاتى اردن أن يتطورن .. ان يثرن .. فاعتبرن الرجل ايضا متعة ! ..

والمتعة هنا ، هى متعة الجنس ..

وتطغى المتعة البراقة السريعة ، على المتع العميقة الثابتة .. متعة الابتسامة المشتركة .. متعة الفكرة الحلوة .. متعة الهدوء النفسى .. متعة بناء الحياة ..

وهكذا خلطنا بين الحب والجنس ..

بل ان هناك من يعتقد ان الحب ضعف .. استسلام المرأة ، او استسلام الرجل ..

لا ..

ابدا ..

الحب ليس ضعفا .. انه قوة كبيرة .. وكلما ازداد الانسان قوة ازداد حبا .. فالحب معرض لكل الكوارث .. الحب كالانسان

نفسه .. معرض المرض .. ومعرض للأنانية .. ومعرض للنزوات .. ومعرض لسوء الفهم .. وقد تعرض حب المجتمع لكثير من الكوارث .. تعرض للحروب .. وتعرض للظلم .. وتعرض لنزوات الطغاة .. واحتاج لقوة كبيرة ليسلم من الحروب ويقاوم الظالمين والطغاة .. وكذلك الحب الخاص .. حب الولد والبنت .. محتاج لقوة .. قوة العاطفة .. وقوة الذكاء .. وقوة الايمان .. قوة اكبر من الأنانية .. واكبر من النزوة .. واكبر من الحياة نفسها .. ان الرجل القوى هو الرجل الذى يحب .. ويستطيع أن يحمى حبه من نفسه ..

وقد وجدت هذا الرجل ..

الرجل القوى ..

الرجل الرائع ..

وجدت حبيبى هاشم ..

الدكتور هاشم عبد اللطيف ..

وجدته وانا اقف فى الحياة على حافة اليأس .. اليأس من الحب .. واليأس من الحياة نفسها .. وكنت قد قاومت طويلا .. قاومت طول عمرى حتى لا ايأس .. وحتى ابقى على ايمانى بالحب .. ايمانى بالحياة .. وكنت قوية .. واستطاعت بقوتى أن اجتاز كثيرا من الازمات .. ولكن المقاومة الطويلة كانت تمتص من قوتى ، الى أن واجهت أزمتى الأخيرة ، فلم أعد استطيع أن اقاوم .. انهرت .. يئست .. فقدت ثقتى فى الحياة ، وفى الحب ، وفى نفسى .. الى أن جاء هاشم .. فأضاء النور فى قلبى .. وفى عقلى .. واعاد الى الحياة والحب .. والايمان .. الايمان بأن الحياة يمكن أن تضم رجالا مثل هاشم ..

منذ متى كنت اقاوم ؟ ..

ربما منذ كنت فى السابعة من عمرى ..

وكنت أعيش بين أمى وأبى كأسعد طفلة فى العالم ..

أبى عجوز فى الستين من عمره . وربما أكثر .. طيب حنون .. مستسلم لأمى ..

وأمى فى الخمسين يبدو الحزم على وجهها أكثر مما تبدو الطيبة .. لا تبتسم الا نادرا .. وملامح القسوة تخفى جمالها .. ولكن وراء قسوتها تبدو آثار جمالها القديم . ان فيها ملامح كثيرة منى .. وهى نشيطة .. أنشط منى .. قوية .. أقوى منى .. وتمسك بيديها كل خيوط البيت .. هى صاحبة الكلمة .. وهى التى تدير ثروة أبى .. وتديرها بحزم ، لا أحد يستطيع أن يخدعها فى مليم واحد .. والثروة ليست كبيرة .. انها عشرة أفدنة فقط .. ومعاش أبى .. وأنا وحدى التى أعلم مدى طيبتها .. وباقى الأطفال يخافونها ويخافون ملامح القسوة المرتسمة على وجهها .. ولكنها طيبة .. قلبها أبيض .. وتحبنى .. تحبنى أكثر مما تحب أى أم ابنتها .. تحبنى حبا غريبا ..

ولم أتساءل وأنا طفلة : كيف يكون أبى وأمى عجوزين الى هذا الحد ، وأنا صغيرة الى هذا الحد .. كان يخيل الى أن كل الآباء فى مثل عمر أبى ، وكل الأمهات فى مثل عمر أمى .. بل ربما لم أتنبه أصلا الى أنهما عجوزان .. لم يكن هناك شىء ينبهنى الى عمريهما .. كنت أعيش حياتهما ، ويعيشان حياتى .. حياتى ملتصقة بهما الى حد غريب .. أنام بينهما على فراش واحد . رغم أن لى حجرة خاصة بى .. وأمى تصحبنى الى المدرسة كل صباح بعد أن أخطو فوق البخور سبع مرات ، وبعد أن تقرأ فوق رأسى آيات من القرآن .. ثم تعود لتنتظرنى أمام باب المدرسة .. تقف بين الخادمات . لتعود بى الى البيت .. ولم تكن تطمئن

الى الخادمات لتذهب بى او تعود بى .. لم تكن تطمئن الى الخادمات أبدا .. فهى التى تطعمنى بيدها ، وهى التى تسقينى وهى التى تبدل ثيابى .. كما تحب الطفلة عروستها .. تلعب بها .. ولا تسمح لأحد بأن يلمسها ..

وكانت أمى تصادق ناظرة المدرسة .. كل مدرسة ادخلها .. وتصادق المدرسات .. وتسألهن عن كل دقيقة قضيتها فى المدرسة . كل حركة من حركاتى .. كل كلمة قلتها .. لم أكن استطيع ان اخفى عنها شيئا .. ابدا لم اكن استطيع .. كانت مدهشة فى قدرتها على معرفة أخبارى قبل أن ارويها لها .. فاذا عدت الى البيت افلت من يد امى واجرى لأجلس على ركبتى أبى .. ويستقبلنى والفرحة تلمع على خديه المجعدين . كأنه يستقبل الحياه من جديد .. واروى له الحكايات التى روتها لنا المدرسات فى المدرسة . وأطلعه على كتبى وكراريسى . والقنه الأناشيد التى حفظتها حتى يحفظها مثلى .. وهو يضحك .. ويفرح كالأطفال .. لقد كنت احب أبى ، ربما اكثر مما احب امى ..

وكانت لى خالة واحدة .. تركها زوجها وترك لها ستة من البنات والصبيان .. وهى خالة فقيرة .. تعانى كثيرا فى تدبير حياتها .. وامى تعطف عليها .. ولم تكن خالتى تتردد علينا الا نادرا .. ولم نكن نزورها الا نادرا .. ورغم ذلك فقد كنت احبها .. كنت كلما رأيتها تعلقت بها وارتميت على صدرها .. واضحك ، عندما تغار منها أمى .. ان أمى تغار على فعلا .. خصوصا من خالتى ..

وكانت لأمى صديقات يجتمعن عندها كل أسبوع .. ولم أرهن الا وكل واحدة تلف راسها وعنقها بطرحة بيضاء تسدلها على كتفيها .. وكل منهن ترتدى معطفا سواء فى الشتاء أو الصيف ،

ينزل حتى كعب قدمها . ويرتفع حتى أعلى رقبتها .. وقد عرفت فيما بعد أنهن أعضاء فى جمعية « نور الهدى للسيدات المسلمات » .. ولم تكن أمى عضوا فى الجمعية .. ولكنها كانت صديقة لأعضائها ، تؤمن بهن .. وتؤمن بأهداف الجمعية .. ولا أستطيع أن أذكر طفولتى الا اذا ذكرت سيدات جمعية نور الهدى .. لقد عشن فى حياتى كلها كالأشباح .. لا ادرى كلما التقيت بهن ، أانا فى حلم ، أم فى يقظة ..

وكنت فى المدرسة ذات يوم .. وأنا فى السابعة من عمرى .. عندما دخلت المشرفة الى الفصل .. وأخذت تنادى أسماء الطالبات .. ولا اذكر المناسبة الآن .. وظلت تتلو أسماء الطالبات واحدة بعد الأخرى الى أن صاحت باسم .. نجوى عبد الحميد ..

ولم يرد احد ..

وعادت تصيح :

ــ نجوى عبد الحميد .. موجودة ؟ .

الى أن التقت بوجهى ، فجاءت الى ، وقالت فى حدة :

ــ انتى مش نجوى عبد الحميد ؟ ..

وقلت وأنا أرفع اليها عينى الصغيرتين فى دهشة وخوف :

ــ لا يا أبله .. أنا نجوى طاهر .

وقالت المشرفة وهى أكثر حدة :

ــ لأ .. انتى نجوى عبد الحميد ..

وقلت والدموع تنبثق من عينى :

ــ لا والنبى يا أبله .. ابدا .. أنا نجوى طاهر ..

وقلبت المشرفة فى الأوراق التى تحملها .. وعادت تقول :

ــ ابوكى مش اسمه راغب عبد الحميد .

قلت وأنا اتراجع عنها كأنها على وشك أن تطعنني في قلبي :

ــ لأ . . بابا اسمه عثمان طاهر . .

ونظرت الى المشرفة بكل عينيها ، ثم قالت :

ــ أمال يبقى مين راغب عبد الحميد .

قلت وقد انطلقت كل دموعي :

ــ يبقى جوز خالتي . .

وظلت المشرفة تنظر الى بكل عينيها ، ثم قالت :

ــ طيب تعالى . .

وجذبتني من يدي . . وسرت وراءها الى حجرة الناظرة . . وأنا انشج بالبكاء . . وقلبي الصغير يرتجف . .

ووقفت بعيدا ، ومالت المدرسة على النــاظرة تهمس في اذنها وتعرض عليها أوراقها . . ورأيت من خلال دموعي قلبي الصغير يزداد ارتجافا . . وكنت خائفة . . كنت اشعر بأن شيئا سيحدث لي . . شيئا لا اريده . . وبقيت أبكي في الفصل الى أن اضطرت المدرسة ان تستدعي المشرفة لتأخذني وتجلس بي في الفناء ، تحاول أن ترفه عني . .

وبعد فترة . . جاءت الفراشة تستدعيني الى حجرة الناظرة . . وامسكت المشرفة بيدي وهي تبتسم لي ، وقالت :

ــ لازم ماما جت . .

وسحبت يدي من يدها ، وجريت الى حجرة الناظرة ودموعي تسبقني . .

وجدت أمي . .

والقيت نفسي بين احضانها . . وعدت أبكي . . وهي تربت عليّ ، قائلة :

ــ بس يا حبيبتي ، ما تزعليش . .

ورفعت رأسى اليها ، قائلة وانا انشج :

— شفتى ابله المشرفه بتقول ايه ؟

وقالت أمى ووجهها غارق فى الألم :

— عارفه .. عارفه كل حاجه ..

ثم قامت من جلستها ، ويدى فى يدها ، وقالت للناظرة :

— بكره حارد عليكى ..

ثم التفتت الى قائلة :

— تعالى يا نوجا نروح البيت .. تغسلى وشك ..

ابله الناظرة ، تهز رأسها هزات متتابعة .. ثم تلتفت الىّ وعلى شفتيها ابتسامة كبيرة وقالت لى :

— تعالى يا نجوى . بتعيطى ليه يا حبيبتى ..

وخطوت اليها فأخذتنى تحت ذراعها ، وضمتنى اليها .. وخبأت رأسى فى صدرها كأنى أحتمى بها من المشرفة . وعدت أجهش بالبكاء ..

وعادت الناظرة تقول فى حنان :

— بس يا حبيبتى .. ما تعيطيش .. احنا نقدر على زعل نجوى أبدا ..

ثم متحت درج مكتبها ، واخرجت قطعة من الحلوى قدمتها لى ، وهى تقول :

— خدى يا حبيبتى .. ودلوقت ارجعى الفصل بتاعك .. ولا نزعليش ابدا .

ورفعت رأسى اليها وأنا التقط قطعة الحلوى . وأمسح دموعى بكم ثوبى ، وقلت :

— أنا اسمى نجوى طاهر .. مش كده يا ابله .

وقالت الناظرة وابتسامة الحنان تملأ شفتيها :

ـــ طبعا يا حبيبتى .. طبعا .. روحى الفصل بتاعك بأه ..
وما كدت أخرج من حجرة الناظرة حتى عاودتنى دموعى كلها .. لم أستطع أن أضع فى فمى قطعة الحلوى ..

★ ★ ★

وفى آخر النهار خرجت من المدرسة فوجدت أمى فى انتظارى وركبنا سيارة اجــرة ، رغم ان البيت قريب ، لا يبعــد عن المدرسة أكثر من عشر دقائق سيرا ..

وقالت أمى وهى تضمنى اليها داخل السيارة وتضحك فى وجهى :

ـــ انتى اسمك ايه ؟ ..

قلت ودموعى لا تزال فى عينى :

ـــ نجوى ..

سألت :

ـــ نجوى ايه ؟ ..

قلت :

ـــ نجوى طاهر ..

قالت :

ـــ وبابا اسمه ايه ..

قلت :

ـــ اسمه عثمان طاهر ..

قالت :

ـــ ومين مامتك ؟

قلت :

ـــ انتى ..

قالت :

ـــ خلاص .. تبقى زعلانة ليه ..

قلت فى حدة :
أمال المشرفة قالت ان اسمى نجوى عبد الحميد ليه ؟
وانطلقت نظرات أمى من تحت جفنيها المكرمشين ، وهامت بها فى الفراغ ، وقالت كأنها تحادث نفسها .. وفى صوتها لهجة حزم .. حزم قاس :
— غلطة وحاتتصلح .. اتصلحت خلاص ..
وفى البيت بدأت أحس بتصرفات غير طبيعية .. لم أعتد عليها .. لقد نادت أمى الخادمة ، وقالت لها فى عنف كأنها تعانى ألما فى داخلها :
— خدى ستك نجوى اغسلى لها وشها .. وغيرى لهـا هدومها ..
ثم نظرت الى أبى قائلة :
— تعال يا عثمان بيه .. عايزاك .
ودخل وراءها الى حجرة النوم ، وأغلقا بابها عليهما .
وقلبى لبدن مستريحا ..
لا زلت احس بشىء كبير على وشك أن يقع علىّ ..
وفى العصر ، جاءت سيدات نور الهدى ، والتففن حول أمى فى حجرة الصالون .. وعندما دخلت اليهن ، تلقفننى بنظرات غريبة .. ربما كان فيها اشفاق .. ربما كان فيها رثاء .. لم اكن فى سن تسمح لى بتفسير النظرات .. ولكنى أذكر أنى لم استرح الى نظراتهن .. خيل الى أن الشىء الكبير أوشك ان يقع .. وعاد قلبى يرتجف .. واخذتنى كل منهن بين يديها تقبلنى .. ويرددن كلاما فى لهجة التعديد .. والله كبرتى يا نوجا .. احلويتى يا حبيبتى .. مين كان يصدق يا اخواتى .. و .. خطوت الى أمى التصق بها كأنى أحتمى فيها من هذه الأشباح الملتفة فى ملاءات

بيضاء .. وقلبى يزداد ارتجافا . وصدتنى أمى قائلة :

ــ انتى سايبه بابا جوه لوحده يا نوجا .. ما يصحش .. روحى يا حبيبتى اقعدى معاه ..

ونظرت اليها كانى أقول لها .. حتى انت يا ماما .. وجريت الى بابا فى حجرته . وأنا أكتم دموعى بكل ارادة الطفلة .. وأخذ أبى يلاعبنى ، وعقلى كله فى حجــرة الصالون مع الأشباح البيضاء .. وقلبى يرتجف ..

وخرجت الأشباح من البيت .

وعادت أمى الينا ووجهها المكرمش يبدو أكثر قسوة وأكثر حزما .. وجلست ساهمة .. ثم التفتت الى فجأة ، وبين شفتيها ابتسامة مهمومة .. وقالت :

ــ تعالى لمامتك يا حبيبتى ..

وضمتنى الى صدرها ، كأنها تحاول أن تختبىء فيه من هذا الشىء الكبير الذى يكاد يقع .. وعادت تقول وهى تهزنى كما تهز الأم طفلها لتنبيه :

ــ انتى اسمك ايه ؟ ..

وقلت ولسانى يرتعش بارتعاشة قلبى ..

ــ اسمى نجوى ..

قالت :

ــ نجوى ايه ؟

قلت :

ــ نجوى طاهر ..

قالت وهى لا تزال تهزنى :

ــ وبابا اسمه ايه ؟

وقاطعها ابى قائلا فى حدة :

ـــ ما فيش لزوم للكلام ده دلوقتى يا عزيزه هانم .. ما تأثريش على البنت ..

وسكتت أمى ..

استدلمت لأبى على غير عادتها .. ووجهها المكرمش الحازم تطوف به سحابة من الحزن .. والالم ..

وفى المساء فوجئت بزيارة خالتى وزوجها السابق لنا ..

لم يكن من عادة خالتى أن تزورنا الا فى مناسبات قليلة .. وليس هكذا فجأة ..

ولم يزرنا زوج خالتى أبدا من قبل .. بل انى لم أكن رأيته الا مرة واحدة فى العام الماضى عندما ذهبت أنا وأمى لزيارة خالتى ، وجاء هو صدفة لزيارة أولاده .. لقد أجلسنى يومها على ركبتيه ، وقبلنى كثيرا كأنى ابنته ..

ونظرت الى خالتى فى غباء وهلع ..

وقبلتنى خالتى ..

وحملنى مطلقها بين يديه ورفعنى فى الهواء ، وقال وهو يضحك ضحكة كبيرة :

ـــ شايفين الحلاوه ..

وامى وجهها صارم ..

وابى يبتسم فى طيبة ..

وجذبتنى أمى من بين يدى مطلق خالتى كأنها تنتزعنى منه ..

وقالت فى لهجة حازمة أقسى مما تعودته منها :

ـــ روحى أودتك يا نوجا .. وبعدين حانبقى ننده لك ..

ونظرت اليها فى دهشة .. وخيل الى انى سأبكى .. ولكنى لم ابك .. وقفت الدموع خلف عينى تحرقهما كأنها تبحث عن ثقب تنهمر منه ..

وذهبت الى حجرتى ، وضباب كثير يملأ راسى .. ويملأ قلبى الصغير .. احاول أن افهم شيئا عما يدور حولى ، فلا أفهم .. أحاول أن أفهم سر هذا الخوف الذى ينتابنى ، فلا أفهم ..

وبعد أكثر من ساعة سمعت صوت أمى ينادينى ..

وخرجت من غرفتى وانا أزحف اليها بخطوات بطيئة مترددة ..

وشدتنى أمى اليها بسرعة ، كأنها تخاف أن تسبقها يد أخرى الىّ ، وقالت وهى تجلسنى بجانبها :

ــ اسمعى يا نوجا .. أنا حاكلمك وعايزاكى تاخدى بالك من الكلام كويس .. و ..

وقاطعها أبى فى حزم كأنه قرر ان يأخذ الخيوط كلها بين يديه :

ــ اسكتى انتى يا عزيزه ... انا اللى حا اقول لها ..

وخالتى تنظر الى باشفاق وفى عينيها اثار دموع ..

وقال أبى وهو ينظر الىّ فى حنان ، ويبتسم ابتسامته الطيبة :

ــ تعالى يا نوجا .. تعالى عندى هنا ..

واجلسنى على ركبتيه وانا انظر اليه وارتعش ، وقال فى صوته الهادىء :

ــ أنا حاحكى لك حكايه .. بس قبل ما احكى لازم تبوسينى بوسه كبيره .. وتضحكى لى ضحكه كبيره .. كبيره قوى ..

وقبلته ..

ونظر الى شفتى وقال :

ــ وفين الابتسامه الحلوه ...

وابتسمت ... دون أن أحس بابتسامتى ..

وقال وهو يجذب رأسى ويسندها الى كتفه :

ــ شوفى يا ستى .. كان فيه اتنين متجوزين .. ربنا اداهم

ل حاجه ، ما عدا الأولاد .. وفضلوا لغاية ما عجزوا وبقوا
هنة وهم ما يخلفوش .. لا أولاد ولا بنات .. راحوا لدكاتره
كتير .. ولدجالين كتير .. ونصابين كتير .. وزاروا المشايخ
والأولياء .. وحجوا هم الاتنين .. ما فيش فايده .. ارادة ربنا
.. ربنا عايز كده .. وبعدين يا ستى ؛ الاتنين العواجيز دول
راحوا يزوروا ناس قرايبهم .. ولقوا عندهم أولاد وبنات كتير
.. وكان بينهم بنت صغيره .. صغيرة قوى ما كملتش سنتين ..
وحلوه .. حلوه قوى .. مافيش احلى منها فى الدنيا كلها ..
فقعدوا يرجوا ام البنت الحلوه دى علشان تديها لهم .. تقعد
معاهم .. وتونسهم فى وحدتهم .. وتملا حياتهم بالنور والأمل
.. ورضيت الأم انها تديهم البنت .. اصل كان عندها بنات كتير
غيرها .. و ..

وقاطعته قائلة :

ــ فهمت ..

كان ذكائى يتبع كلماته حرفا بحرف ، واستطعت أن أستنتج
بقية القصة ..

وقال أبى كأنه فوجىء :

ــ فهمتى ايه ؟

وانطلقت دموعى كلها ، وقلت وأنا أنشج وأخبط بقدمى فى
الهواء :

ــ فهمت ان اسمى نجوى عبد الحميد .. انا مالى ..
ماليش دعوه .. أنا نجوى طاهر .. انت بابا .. ماليش بابا
الا انت .. مش عايزه بابا تانى ..

وبدأت أصرخ ..

وقامت خالتى من جلستها ملهوفة على .. فنظرت اليها نظرة

سريعة .. ثم صرخت اكثر .. وقلت فى حدة :

ــ سيبينى .. مش عايزاكى .. انا ما اعرفكيش ..

وعادت خالتى الى مكانها صامتة ..

وخالتى هى أمى الحقيقية ..

وأمى الثانية جالسة صامتة .. ووجهها واقف .. كل شىء فيه واقف .. كأنها أصيبت بالشلل ..

وقال أبى .. أبى الذى ليس أبى :

ــ بس يا نوجا .. ما تبقيش عبيطه .. انتى لازم تكونى أسعد بنت فى الدنيا .. البنات كلها عندها أب واحد وانتى عندك اتنين .. والبنات كلها عندها أم واحده وانتى عندك اتنين ..

وقالت أمى الحقيقية .. تقاطعنى :

ــ والنبى عزيزه أختى أحق بيها منى .. انا شلتها سنتين وتسعة أشهر .. وهى شالتها خمس سنين .. ومش مخليه حاجة تتعمل وما عملتهاش . دى أكتر كمان من أمها ..

وعدت أصرخ :

ــ أنا ماليش دعوه .. أنا ما ليش أب الا انت ..

وقال أبى :

ــ ماهو أنا أبوكى .. والأستاذ عبد الحميد كمان يبقى أبوكى .. وانتى اللى تختارى تحبى تقعدى مع مين فينا ..

وصرخت فورا :

ــ معاك انت .. انت بابا ..

وأضاء وجه أبى ، وقال :

ــ خلاص .. نقعدى معايا .. بس لازم تقوليلى .. انتى اسمك ايه ..

قلت وصراخى يهدأ :

ـــ نجوى ..

قال :

ـــ مضبوط .. ونجوى ايه ؟

قلت وانا امسح انفى بكم ثوبى :

ـــ نجوى طاهر ..

قال وهو يبتسم ابتسامة كبيرة :

ـــ مضبوط .. وبابا اسمه ايه ؟

قلت وأنا أنشج :

ـــ اسمه عثمان طاهر ..

قال :

ـــ مضبوط .. وماما اسمها ايه ؟

قلت وانا امسح دموعى من فوق شفتى بلسانى :

ـــ اسمها عزيزه هانم ..

وقالت أمى وهى تخفى سعادتها وراء قناع حزمها ، وكأنه لم يحدث شىء :

ـــ قومى يا نوجا اغسلى وشك .. وادخلى السرير ..

وقمت من فوق ساقى ابى .. وقبل أن أخرج من الغرفة صاحت خالتى .. أى امى الحقيقية :

ـــ مش تبوسينى يا بنت ..

واستدرت اليها ..

وبحلقت فيها ..

ثم نظرت الى مطلقها .. ابى الحقيقى .

وجريت ..

لم اقبلها .. ولم اقبله ..

وجاءت أمى ورائى والابتسامة منطلقة على وجهها .. واخذت

تقبلنى .. قبلات كثيرة عنيفة .. قبلتنى فى كل قطعة منى .. ثم قبلت يدى ..

ومن يومها عرفت أن أمى هى خالتى .. وأبى ليس سوى زوج خالتى .. وقضيت عمرى كله بعد ذلك احاول أن أتجاهل هذه الحقيقة ..

ولا ادرى ما هى الاجراءات الرسمية التى اتخذت .. ولكن من يومها .. واسمى فى كل مدرسة أدخلها هو نجوى طاهر .. واسمى فى شهادة الميلاد .. نجوى طاهر ..

وكانت هذه أول ازمة واجهتها فى حياتى ..

ولكنى أيامها لم اتبين انها ازمة .. لم انتبه الى أنى بدأت افسر تصرفات أمى وابى تفسيرا جديدا .. واتساءل كيف تنازلت عنى أمى الحقيقية بهذه البساطة .. ثم على مر الأيام بدات اضع جوابا لكل سؤال .. اقنعت نفسى بأن أمى الحقيقية تنازلت عنى لأنها تحبنى اكثر .. لأنها ارادت أن توفر لى حياة خير من الحياة التى كان يمكن أن اعيشها معها .. فهى فقيرة .. مرتبكة .. تعيش مع أولادها الستة فى غرفتين بشارع الوايلية بالعباسية .. وقد ضحت بى من أجل حياة أرقى نسبيا .. لأعيش مدللة بين أبوين عجوزين يحتاجان الىّ بقدر حاجتى اليهما .. ان أمى لم تكن تكرهنى يوم تنازلت عنى .. كانت تحبنى .. تحبنى أكثر .. وقد بقيت حتى بعد أن عرفت الحقيقة أنادى أمى .. أمى التى ولدتنى .. بلقب « خالتى » وأنادى ابى .. ابى الحقيقى .. بلقب « عمى » .. وبابا وماما هما اللذان أعيش معهما ..

وقد حرصت ماما اكثر من الأول على الا تزور خالتى ، والا تزورنا .. وكنت فى الأيام السابقة لا أضع تفسيراً لهذه

الظاهرة .. ولا تفسيرا لغيرة ماما من خالتى .. ولكنى الآن أعرف أنها تتعمد ابعاد خالتى عنى حتى لا أتعود عليها .. حتى لا تلح على الحقيقة فأحب خالتى أكثر من ماما .. أو ألجأ الى خالتى اكثر مما ألجأ الى ماما .. واستسلمت .. كنت أنا أيضا فى حاجة الى الابتعاد عن خالتى حتى لا تذكرنى بأنها أمى .. كنت أريد أن أتفرغ بكل عواطفى لحب بابا وماما .. ان الحب يستطيع أن يخلق من خالتى أما لى ، ومن زوج خالتى أبا لى .. ان الأمومة والأبوة يكتسبان .. الأم تكتسب حبها لابنها يوما بعد يوم منذ تحمله فى بطنها ، وبعد أن تلده .. وكذلك الابن يكتسب حب والديه بمرور الأيام .. لأنه يراهما فى كل لحظة .. ولأنه فى حاجة اليهما فى كل لحظة .. هكذا ينشأ الحب .. وأنا فتحت عينى على هذا العجوزين الطيبين اللذين أعيش بينهما ، وأستطيع أن أكتسب حبهما .. حب الابنة .. لا فرق بين حبى لبابا وماما ، وحب أى بنت أخرى لأبيها وأمها ..

ولم يكن حبى الأبى يكلفنى شيئا .. أن طيبته وحنانه يملآن قلبى ويسريان فى دمى .. لم كن أنعمد معه شيئا لأحبه أكثر أو يحبنى أكثر .. انه لا يريد منى شيئا الا أن يرانى سعيدة .. وسعادتى هى كل حياته .. ولكن المشكلة كانت مع أمى .. ان أمى مع كل حبها لى ، لا تستطيع أن تنسى انى لست ابنتها .. وهذا الاحساس يولد عندها عقدة الخوف .. الخوف من أن تفقدنى يوما ما .. وحتى لا تفقدنى فهى تحاول أن تفرض سيطرتها على .. تحاول أن تسيطر على كل دقيقة من عمرى .. وعلى كل صغيرة وكبيرة من حياتى .. انها لا تترك أبدا شيئا لى وحدى .. كل شىء تشاركنى فيه .. بل كانت تستطيع أن تدخل فى عقلى لتشاركنى فى كل فكرة .. وتحاول أن تدخل فى قلبى لتشاركنى كل

خلجة من خلجاته . ليست لى حرية .. حتى فى نومى .. فقد عودتنى على ان انام معها .. بينها وبين ابى ..

واستسلمت لسيطرتها .. فقد كانت سيطرة مبعثها الحب .. حب غريب .. لم ار أما تحب ابنتها مثل هذا الحب .. وكان استسلامى لسيطرتها يمنحنى حق التدلل عليها .. كنت اتدلل عليها الى حد أن آمرها واشخط فيها .. قومى يا ماما هاتى لى كباية ميه .. ماما انزلى اشترى لى قلم رصاص .. ماما .. ماما .. لم أعد اخاف من وجهها المكرمش ولا من قناع الحزم والقسوة التى تضعه فوقه والذى يخيف كل البنات ..

وكانت حياتى المنطلقة هى حياتى فى المدرسة .. كنت فى المدرسة احس بشخصيتى اكثر .. اتحرر من سيطرة أمى ، ومن احساسى المتجسم بحاجتى الى ابى .. وانطلق بين زميلاتى .. واشارك فى كل النشاط المدرسى .. واتفوق .. واضحك .. وامرح .. واحس بقوتى كلها .. انى لا زلت الى اليوم احب حياتى فى المدرسة .. ثم فى الجامعة .. ولا ادرى كيف سأعيش بعد ان اتخرج ..

ونحن لسنا اغنياء .. معاش أبى ثلاثون جنيها .. وايراد عشرة أفدنة .. نحن عائلة متوسطة ، تعيش فى شقة متواضعة بشارع الجيزه ..

ولكن أمى تحب كثيرا أن تتعرف الى العائلات الغنية .. وخصوصا العائلات القديمة .. ولها أسلوب خاص فى اكتساب صداقة هذه العائلات .. وتتباهى بصداقتها .. وسيدات جمعية نور الهدى ينقلن اليها الاخبار العائلية أولا بأول ... وتتباهى بمعرفة هذه الأخبار .. وتحفظ كل الأنساب .. حتى يخيل الى انها تستطيع أن تربط كل عائلات مصر بخيط واحد . وهى عائلة

واحدة .. و .. تعرفى فلان ، ده يا ستى يبقى متجوز بنت خالة سحبة هانم اللى تبقى واخده عبد الغنى بيه ابن أخت شربات هانم مرات عبد المعطى باشا .. وهكذا .. هذا هو الحديث المفضل عندها ..

وكانت أمى تحب أن تتظاهر دائما بأنها من عائلة كبيرة غنية . وصنعت لنفسها نسبا يمتد الى أحد الباشوات .. وكانت تحرص على أن تنادى زوجها « عثمان بيه » وتحرص على أن يناديها زوجها « عزيزه هانم » .. رغم أن بقية العائلات التى فى مستوانا لا تستعمل « بيه » ولا « هانم » ..

وكان بين العائلات التى تصادقها أمى عائلة تسكن فى حلوان .. عائلة كبيرة .. قديمة معروفة .. ليست عائلة غنية جدا .. ولكنها على الاقل اغنى من عائلتنا .. وكانت سيدة هذه العائلة تتفق مع أمى فى ايمانها بسيدات نور الهدى .. ولا يمضى أسبوع الا وتزورها أمى .. دائما تأخذنى معها والعب مع بنات العائلة .. وكانوا كلهم يحبوننى .. فانى أستطيع دائما أن اكتسب صداقة البنات ، كما اكتسب صداقة زميلاتى فى المدرسة ..

ثم ..

حدث شىء غريب ..

كنت فى الثانية عشرة من عمرى .. وكنا فى زيارة العائلة .. وكنت العب مع البنات عندما نادتنى أمى وقالت لى :

— بوسى ايد عمتك يا نوجا .. انتى خلاص .. اتخطبتى لعادل .

ووقفت كالمبهورة لا افهم شيئا ..

وعانقتنى « حماتى » وضمتنى الى صدرها وقبلتنى .. وهى تقول :

ـ ده أنا اللى أبوسها وابوس ايدها كمان .. هو أنا كنت حلاقى عروسه لابنى أحلى من كده .. جمال ، واخلاق ، وأصل ..

وأنا لا استطيع أن افهم شيئا ..

بل لا استطيع أن اتبين صورة عادل الذى خطبت له .. لقد كنت أراه يروح ويجىء فى البيت .. ولكنى لم اكن اتعمد أن ادقق فيه النظر . أن استوعب ملامحه .. انه أكبر منى .. كان أيامها فى الثالثة والعشرين .. طالب فى كلية التجارة .. ولم أكن فى هذه السن قد تعودت على أن التفت الى الشبان وادقق فى ملامحهم ..

واعتقدت أن الأمر ، هزار ..

كلام ستات ..

ولكن لا ..

الأمر جد ..

خطبت وأنا فى الثانية عشرة من عمرى ولبست الدبلة ..

هل هذه عجيبة ..

ان هاشم عندما سمع هذه القصة رفع حاجبيه فوق عينيه الحانيتين ، واطلت من تحت أنفه القوى ، ابتسامته الطيبة الحلوة . وقال :

ـ مش معقول ..

انى أستطيع الآن ان افهم لماذا خطبتنى أمى لعادل وأنا فى الثانية عشرة من عمرى ..

ارادت أن تحكم سيطرتها على ..

خافت من عمرى أن يصل بى يوما الى التمرد عليها .. خافت من قلبى أن يشب على حب رجل لا ترضى عنه .. خافت من جمالى أن يكبر يوما الى حد لا تستطيع احتكاره لنفسها .. خافت

أن يسرقني منها أحد ، فوضعتني في خزانة واحتفظت بمفتاحها في جيبها .. والمفتاح ، كما كان يخيل اليها ، هو عادل ..

وليس معنى ذلك انها لا تحبني .. انها تحبني الى حد الجنون .. ولكنه حب يختلف عن حب الأم الطبيعية .. حب يغلب عليه الاحساس بالملكية .. انها تحس بكل كيلو من لحمي وعظامي كأنها دفعت ثمنه ، وأصبح حقا لها .. وليس لأحد آخر حق فيه ..

وفرق كبير بين الحب والاحساس بالملكية ..

الحب هو ان تعطي من تحب ..

والملكية هي ان تأخذ ممن تملكه ..

وربما كان هذا هو الفرق بين الأم الطبيعية ، والأم بالتبني .. الفرق بين أمي الحقيقية ، وأمي التي أعيش معها ..

ولكني أيامها لم احس بهذا الفرق .. بل لم اتساءل لماذا خطبتني امي الى عادل في هذا السن المبكر .. فرحت .. فرحت بخطبتي كأن أمي اشترت لي حذاء جديدا .. وفرحت اكثر عندما احسست بأنني اصبحت شيئا مميزا بين كل زميلاتي في المدرسة .. انا البنت المخطوبة الوحيدة في المدرسة كلها .. لي رجل .. وفي اصبعي دبلة ..

وبدات في هذه السن المبكرة افكر في الرجل ..

بدأ احساسي يتشكل رغما مني ليصبح احساس امرأة .. امرأة في الثانية عشرة من عمرها ..

لم أفقد مظاهر طفولتي .. كنت لا ازال أجري ، والعب الاستغماية ، وانط الحبل ، واضحك كما يضحك الأطفال ، وابكي كما يبكي الأطفال .. ولكن من وراء هذه المظاهر كان احساسي يتجه الى عالم أكبر من عالم الأطفال ، وعقلي يتفتح لخواطر

وخيالات لا يمكن أن تكون خواطر وخيالات طفلة فى مثل عمرى ..

وبدأت ارى عادل كما لم أتعود أن أراه ..

نظرته التى تطل من عينيه الواسعتين تثير أحاسيسى وتطلق دمائى فى وجنتى .. كأنه يلقى بها فى ماء نائم فيوقظه ، وتتفتح فيه دوائر ، ودوائر ، تشملنى كلى ..

وشاربه الصغير الأنيق أحس به يدغدغ أنفى .. دون أن يقترب منى ..

وقوامه الطويل العريض أحس بثقله ، وهو بعيد عنى ..

بل أنى بدأت أنظر الى كل الرجال نظرة جديدة .. لم يعد الرجل مجرد مخلوق يتحرك أمام عينى الطفلتين .. بل أصبح شيئا آخر .. أصبح له معنى آخر .. أصبحت أبحث فى كل رجل عن الجمال . عن الشخصية .. عن معانى الرجولة .. ثم أقارنه بعادل ..

وعادل هو رجلى الوحيد ..

صحيح أنى لم أختره من بين بقية الرجال ، ولكنى وجدته كرجل لى ، كما وجدت أبى وأمى ، دون أن أختارهما .

وأصبحت أشرب من ملامح عادل يوما بعد يوم .. قلبى يتفتح لحبه يوما بعد يوم .. قلبى يتحرك بين ضلوعى كأنه عصفور يحاول أن يكسر قشرة البيضة ليخرج الى الحياة ..

ولكن عادل بعد خطبتنا ظل يعاملنى كطفلة .. لم يكن يتصور أن كل هذه الأحاسيس يمكن أن أحملها فى صدرى وأنا لا زلت فى الثانية عشرة .. فكان — بلا قصد — يستهين بى .. نظرته الى لم تختلف عن نظرته لكل البنات اللاتى يملأن البيت ، ويلعبن نط الحبل ، وكان ينظر الى قائلا :

— ازيك يا نوجا .. عاملة ايه فى المدرسه ؟

ويجلس بجانبى قليلا ، ومعنا امه وأمى ، ثم يقوم ويدخل الى غرفته .. وقد تجرأت بعد فترة وتسللت وراءه .. دخلت غرفته .. وقفت أمامه كالغبية . وأنا لا أدرى ماذا أريد منه . ولكنى احس بأنى أريد منه أشياء كثيرة .. احس انى بالنسبة له لست كبقية البنات اللاتى فى سنى .. لى عليه حقوق اكثر .. ولى مطالب لا استطيع أن اتبينها .. مطالب الحب .. ولكن الحب كان لا يزال فى فهمى كأسطورة من الأساطير التى ترويها لى أمى قبل أن أنام ، وتنقلنى بها الى عالم بعيد لا أجد له أثرا فى واقعى ...

ونظر الى عادل يومها كأنه يزن كل قطعة منى .. احسست بنظرته تسقط على عنقى .. ثم على صدرى .. ثم على خصرى .. ثم على ساقى .. ثم هز رأسه كأنه قرر أنى لم انضج بعد .. واندنى وقبلنى فوق رأسى ، وقال وهو يبتسم لى كأنه يبتسم لطفلة :

— روحى يا نوجا اقعدى مع اخواتى .. أنا عايز اذاكر ..

وخرجت من غرفته وأنا تائهة فى ضباب كثيف يملأ قلبى وعقلى ..

وربما كان يمكن فى هذه الأيام ان أتناسى كل هذه الأحاسيس .. أن اتركها تسقط فى قاع قلبى ، وأكومها فى مؤخره عقلى . واتفرغ لطفولتى .. الى ان انضج .. ولكن أمى لم تتركنى أنسى .. كانت تصر على أن تثير فى دائما احساسى بأنى فتاة ناضجة . وتحملنى مسئوليات الفتاة الناضجة .. ما تجريش كده يا نوجا . ما تنسيش انك ما بقتيش عيله .. انتى مخطوبه .. غطى ركبتك أحسن والله العظيم اقول لعادل .. واقفه فى الشباك ليه .. مش خايفه عادل يعرف ويفتكر انك بتبصى للواد اللى قصادنا .

عادل .. عادل .. عادل .. كانت امى تكرر اسم عادل على اذنى الف مرة فى اليوم .. كأنها تشدنى اليه بألف حبل واصبحت لا اخرج ولا ادخل الا باذن عادل .. اذا قلت لأمى انى اريد ان اذهب لألعب مع صديقتى ، قالت فى برود :

ـ اسالى عادل الأول ..

اذا اردت ان اشترك فى رحلة من رحلات المدرسة ، قالت كأنها تقنعنى بأنها لم تعد مسئولة عنى :

ـ أنا مالبش دعوه .. استأذنى عادل ..

وكان عادل لا يقول لى الا ما تريد امى ان تقوله .. لا يأمرنى الا بما تريد أمى أن يأمرنى به .. رايها هو رأيه .. لقد استطاعت فعلا ان تحكمنى بعادل .. أن تزيد من سيطرتها على .. وكان عادل يؤمن بها ويحترمها .. كان يجلس معها أكثر مما يجلس معى .. وتحادثه فى التليفون فى اليوم الذى لا يأتى لزيارتنا او لا نذهب لزيارته .. كانت تحادثه طويلا اكثر مما أحادثه ، وأحيانا تحادثه دون ان ادرى .. وافاجأ بأوامر عادل لى ، كأنها تخرج من بين شفتى أمى ..

هذا الالحاح من أمى فى ربطى بعادل ، هو الذى أسرع بى الى حبه .. أصبحت أحبه وانا فى الثالثة عشرة من عمرى .. واعترفت بينى وبين نفسى بهذا الحب .. حب ساذج فيه براءة الطفولة ، وخيالها ، وطهرها .. وكلما ازددت حبا لعادل ، ازددت استسلاما لأمى ، فهى التى تملك عادل ..

وقد بدأت فى هذه الأيام أقحم نفسى على حياة عادل اكثر .. اصبحت كلما ذهبنا الى زيارة عائلته ، أجرى اليه فى غرفته .. أجلس على سريره .. والعب بكل محتوياتها .. وأبقى فيها .. لا اريد شيئا الا ان ابقى فيها .. احدثه ويحدثنى .. وانظر اليه

كأنه الشيء الوحيد الذى أملكه فى حياتى .. كأنه كل مستقبلى .. كل شخصيتى .. وهو لا يزال يعاملنى كطفلة .. لا يقبلنى الا فوق راسى ..

الى ان كان يوم فتحت فيه أحد ادراج مكتبه ، فلمحت فيه صورة لفتاة .. فتاة غيرى .. وقبل ان أتمعن فى الصورة رآنى عادل فصرخ فى وجهى :

ــ اوعى تفتحى الدرج ده تانى ..

ثم خطا نحوى خطوة سريعة ، واغلق الدرج بعنف حتى كاد يغلقه على أصابعى ..

وقلت وأنا انظر اليه واحس بشىء يسيل من قلبى كأنه دمى :

ــ اشمعنى الدرج ده اللى مش عايزنى أفتحه ..

قال :

ــ علشان ما يصحش تفتحى ادراجى .

قلت فى براءة :

ــ انا شفت فيه صورة واحدة ..

قال :

ــ دى صوره بتاعة واحد صاحبى شايلها عندى ..

قلت :

ــ ليه ؟

قال :

ــ لده ايه ؟

قلت :

ــ ليه شايلها عندك ؟

قال وهو يضيق بى :

ـــ مالكيش دعوه .. انتى لسه صغيره .. ما يصحش تتكلمى فى الحاجات دى .

ولم أكن صغيرة الى هذا الحد ..

لقد بدات اشعر بالغيرة وانا فى الثالثة عشرة من عمرى .. الغيرة بكل آلامها ، وكل قسوتها ..

بدات أحس بصغر سنى .. واعتقدت ان عادل يعرف بنات غيرى لأنى صغيرة .. ودفعنى هذا الاعتقاد الى أن احاول ان اسبق عمرى .. ان أبدو أكبر .. فتحايلت على أمى حتى سمحت لى بأن البس حذاء بكعب ، ثلاثة سنتى .. واستطعت بواسطة احدى زميلاتى فى المدرسة ان احصـــل على اصـــبع روج .. واصبحت اقلب فى المجلات فتتوقف عيناى على صور البنات اللاتى يكبرننى .. واتجه ذوقى الى ازياء لا تليق بسنى .. وأمى لا تفهم فى الأزياء ، فانقادت ورائى ، واصبحت تفصل لى ثيابا اكبر من عمرى وسمحت لى بأن اصبغ شفتى بالروج فى مناسبة او مناسبتين .. وهى فرحة بى كما تفرح الطفلة بعروستها ..

وجاء عادل لزيارتنا يوما ..

وجلس مع أمى وابى ..

وتأخرت فى غرفتى أعد لعادل مفاجأة .. تخيلتها مفاجأة كبرى ..

وقفت امام مرآتى أصفف شعرى بحيث أرفعه فوق راسى كما تفعل البنات الكبيرات .. ووضعت الكحل حول عينى .. وصبغت شفتى بالروج .. وارتديت ثوبا جديدا ، شددت فتحة صدره ، حتى كشف عن مساحة كبيرة من لحمى .. ولبست جوربا وحذاء بكعب .

لقد كنت جميلة .. جميلة فعلا .. رغم أنى لم استطع ان

أسفف شعرى كما يجب .. ورغم أن خطوط الكحل كانت مهتزة حول عينى .. ورغم أن « الروج » فوق شفتى كان ماسخا ..

وخرجت الى عادل ..

وفوجىء ..

رأيت المفاجأة فى ارتعاشة رموش عينيه ..

ولم يغضب .. ولكنه ظل ينظر الىّ كأنه يرانى لأول مرة .. وكأنه ينظر الى فتاة كبيرة ..

وابتسمت أمى ، وشاعت ابتسامتها فوق وجهها المكرمش الناسى ، كأنها ترانى امامها اجمل فتاة فى العالم .. وقهقه أبى قائلا :

ـ مالك كبرت مره واحده كده .. ده انتى لغاية النهارده الصبح كنتى لسه عيله ..

وقلت وانا أبتسم فى دلال وأنثنى بقوامى الطويل فى افتعال :

ـ من فضلك يا بابا .. ما تقولشى علىّ عيله ..

وقال عادل وهو يقاوم المفاجأة :

ـ من امتى بتحطى روج يا نوجا ؟

وقلت وانا أهز له كتفى :

ـ بابا سمحت لى ..

وقالت أمى :

ـ والله يا عادل يا ابنى .. ما دام اتخطبت لك يبقى من حقها تحط روج .

وظل عادل محتفظا بنظرة الدهشة فى عينيه ..

ومن يومها بدأ يبدى نحوى اهتماما أكثر ..

وتسللت قبلته من فوق راسى الى خدى ..

انى اذكر قبلته الأولى فوق خدى .. لقد دخلت اليه فى غرفته

عندما كنا فى زيارة عائلته .. وكنت ألبس الحذاء ذا الكعب .. وثوبى ضيق ، مفتوح الصدر ، وشعرى مفروق من منتصف راسى ، ومسدل حول وجهى .. وفى نظراته هذا الشىء الجديد .. ووجهه يلمع .. ثم حاول أن يتشاغل عنى بالعبث فى أدراج مكتبه .. ثم قام فجأة ، واقترب منى ، وامسكنى من كتفى ، وقال فى صوت لاهث :

— انتى كبرتى يا نوجا .. واحلويتى .. ما كنتش فاكر انك حاتكبرى بالسرعه دى ..

وظل ممسكا بى ..

عيناه فى عينى ..

وعيناه ترتعشان .. وأحاسيسى كلها متيقظة مرتبكة ، كأنها تواجه ضوءا شديدا لا تحتمله ..

وانحنى ، وقبلنى فوق وجنتى ..

اول شفتين ساخنتين فوق وجنتى ..

وحاولت ان احتمل لمستهما ..

ولكنى لم أحتمل ..

احسست بدمائى كلها تندفع فى عنف .. واحسست بقلبى يطير بين ضلوعى . كأن العصفور قد كسر قشرة البيض وانطلق فى عالم لا يعرفه بعد .. واحسست بركبتى ترتعشان .. احسست بأنى فى حاجة الى قوة كبيرة .. قوة لم اتعودها بعد حتى أحتمل كل هذا ..

ولم أجد هذه القوة ..

فنزعت نفسى من بين يديه ، وجريت من أمامه ، ويدى على خدى مكان قبلته اخشى عليها ان تطير منى ..

وانزويت فى حجرة الصالون ، ولم يكن فيها أحد .. وبقيت

فيها وحدى ، هائمة فى أحاسيسى .. أحاسيس حلوة .. والنشوة تضج فى عروقى .. ويدى لا تزال على خدى كأنى أخشى أن تطير قبلته من فوقه .

وبقيت وحدى فى حجرة الصالون ، الى أن سمعت صوت أمى تنادينى لنعود الى بيتنا ..

وركبنا قطار حلوان ، وانا بجانب أمى .. صامتة .. منتشية .. هائمة فى أحاسيسى ..

ونظرت الى أمى كأنها تحاول أن تكتشف سرى ، وقالت :

ــ مالك ؟

قلت وانا أنظر من شباك القطار :

ــ اقول لك حاجه ؟

قالت :

ــ خير .. قولى ..

قلت كأنى أزف اليها فرحتى :

ــ عادل باسنى ..

وبدا الاهتمام على وجه أمى وجذبتنى اليها قائلة :

ــ باسك فين ؟

قلت :

ــ فى أودته ..

قالت :

ــ يعنى باسك فى أى حته ..

قلت وانا ابتسم :

ــ باسنى فى خدى ..

وسكتت امى قليلا كأنها تبلع الما وقالت :

ــ كام مره ؟

قلت :

ـ مره واحده بس .. بوسه واحده ما فيش غيرها ..

قالت :

ـ وكنتم قاعدين واللا واقفين ..

قلت :

ـ واقفين ..

قالت :

ـ وكان ماسكك ازاى ..

قلت وأنا احاول أن اتذكر :

ـ مش فاكره . .مش فاكره اذا كان ساعتها كان ماسكنى واللا لأ ..

قالت فى حدة :

ـ يعنى كان حاضنك ؟

قلت :

ـ لا .. كان مسكنى من دراعى ..

قالت :

ـ وعملتى ايه ..

قلت :

ـ جريت وقعدت فى الصالون ..

وسكتت أمى قليلا ووجهها يزداد قسوة ، ثم قالت كأنها تحادث نفسها :

ـ مش حاجه .. ما هو برضه خطيبك .. انما أكتر من كده مش من حقه ..

والتفتت الى وقالت فى حدة :

ـ فاهمه ..

قلت بلا مبالاة وانا لا زلت هائمة فى نشوتى :

ــ فاهمه ..

ومن يومها وأمى تسألنى دائما عن كل التفاصيل .. أدق التفاصيل .. وتعودت بعد ذلك وخلال حياتى كلها أن اقول لها كل شيء .. لم اكن اشعر بأى خجل وانا أطلعها على كل شيء .. وقد أطلعتها على تفاصيل كثيرة .. كثيرة .. كان أهم ما تسعى وراءه هو هذه التفاصيل .. لم يكن يهمها المبادىء ، ولكن تهمها التفاصيل ..

وحبى لعادل يكبر ..

وكل شيء فى يكبر مع حبى ..

صدرى يكبر .. جسدى يكبر .. عقلى يكبر .. احاسيسى تكبر .. وعمرى يكبر .. كل شيء يكبر بين يدى عادل .. كل قطعة منى يلمسها ، تكبر .. وكل كلمة يقولها يكبر بها عقلى ..

وكل لحظة من لحظاته يكبر بها قلبى ..

خيل الى ايامها انى لا اكبر بعمرى .

ولكنى أكبر بحبى ..

وقد احببت بكل ما فى طاقة الحياة من حب .. أحببت حبا فيه كل شيء .. فيه الخيال .. وفيه سذاجة الطفولة .. وفيه النشوة .. نشوة المرأة .. وفيه الأمل المستقر الهادىء .. وفيه الألم .. ألم الغيرة ..

كنت احبه كطفلة .. تندفع بحبها بلا حدود .. وكنت احبه كفتاة كبيرة تعد نفسها للزواج .. وكنت احبه كأم تختار اسم أولادها قبل ان تراهم ..

واحبنى عادل ..

أحبنى قدر ما احببته .. وحبه يكبر كلما كبرت .. والنظرة فى عينيه تكبر وتزداد لمعانا يوما بعد يوم ..

أصبحنا لا يستطيع أحدنا أن يستغنى عن الآخر ..

كنت أكتب له فى كل يوم خطابا حتى فى الأيام التى أراه فيها .. خطابات مليئة بالكلمات الحلوة التى أقرؤها فى القصص ، وأحيلها الى واقع أعيش فيه ..

وكان عادل يكتب الى أيضا كل يوم خطابا .. ولو كلمتين .. وربما كانت كلماته ساذجة ، فيها محاولة لشاب مغرور يحاول أن يثبت لنفسه أنه أديب كبير .. ولكنى أيامها كنت أعتبر خطاباته أرقى ما يستطيع الانسان أن يكتب .. كنت أعيش فى كل كلمة من كلماته ..

ان حياتى فى هذه الفترة ، كانت أغنية .. أغنية أغنيها فعلا .. أغنيها مع كل أغنية تنطلق من الراديو .. ليست أغانى عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ فقط ، بل كل الأغانى .. أغان لا يخطر على بال احد أن يحفظها ، ويغنيها مطربون من الدرجة الثانية والثالثة ، ولكنى كنت أحفظها .. أحفظها لأنى كنت أجد فى كل كلمة حب . حبى ..

وقد نال عادل بكالوريوس التجارة قبل أن أتم الخامسة عشرة من عمرى .. وأذكر فى هذه الأيام أنه سافر الى السعودية فى رحلة قصيرة مندوبا عن الشركة التى عمل بها .. وكنا فى عز الصيف .. ولم أحتمل أن يعيش عادل فى لهيب السعودية ، بينما أنا فى القاهرة أعيش فى صيف أرحم .. فما كان منى الا أن أغلقت جميع نوافذ غرفتى « شيش وزجاج » وحبست نفسى فيها بعد أن ارتديت بلوفر من الصوف ، حتى أعانى نفس ما يعانيه عادل من لهيب الصيف فى السعودية .. وبقيت هكذا ثلاثة

أسابيع ، لا أفعل شيئا الا أن أكتب لعادل .. كتبت له عشرات الخطابات .. كلها حب .. وأمى تدخل وتخرج ، وهى تصرخ :

ــ يا بت ما تبقيش مجنونه .. بلاش لعب عيال ..

ولكنى لم أتحرك من غرفتى .. ولم أفتح نوافذها .. ولم أخلع البلوفر الصوف .. الا بعد أن عاد عادل من السعودية ..

الى هذا الحد أحببته ..

وأحببت معه كل الدنيا ..

كل الناس ..

كل شىء ..

وكان الحب يضىء عقلى بنور الذكاء .. ويملأ كيانى بالمرح .. ويدفعنى الى النجاح والتفوق .. ويصنع لى شخصية قوية ، حلوة ، يحبها الناس .

كم كنت سعيدة ، أيامها ..

ولكن ..

كانت هناك فترات من الألم .. فقد كان لعادل بعض المغامرات النسائية .. ضبطت فى منديله مرة آثار أحمر شفاه .. وضبطت فى درج مكتبه صورة لسيدة ربما كان عمرها أكبر من الخامسة والثلاثين .. وكنت أثور .. وأبكى .. ولكن عادل كان يقنعنى سريعا بأنه فى حاجة الى هذه العلاقات ليطلق فيها شبابه ، الى أن نتزوج ويتوب عنها .. كان يقنعنى دائما بأنها علاقات عابرة لا تترك خدشا فى قلبه ولا فى حياته .. علاقات يحتاج اليها كل رجل قبل أن يتزوج .. وكانت تمر بى لحظات أفكر فيها أن أمنح عادل من نفسى ما يغنيه عن هذه العلاقات ، حتى قبل أن أتزوج .. ولكنى كنت أعود وأجبن .. لا ، لم يكن جبنا .. ولكنى كانت أضع نفسى فوق مستوى هذه العلاقات العابرة .. أنا شىء

أكبر من حاجة الرجل العابرة .. لا يمكن أن انزل الى مستوى الحاجة العابرة .. انا الحب .. انا الحياة كلها .. حب عادل ، وحياته .. فكنت اكتم الم الغيرة في قلبى الصغير .. وازيح من أمام عينى خيال عادل وهو يقبل على امراة اخرى كبيرة يقبلها ويحتضنها .. واسمو بحبى الى حد أن اقنع نفسى بأن هذا من حق عادل ، وانه حرام على ان احرمه من حقه ، وان اعذبه بحاجته التى لا استطيع أن أريحه منها الا بعد ان نتزوج .. ولكنى بدات فى هذه الأثناء اكره النساء الكبيرات .. لا ، لم اكرههن .. فقلبى لم يكن يتسع للكراهية .. ولكنى كنت أخاف منهن على حبى .. كنت أتصور أن كلا منهن يمكن أن تنقض على عادل وتأخذه منى ، ولو أخذا عابرا ..

وكانت قبلاتنا قد كبرت فى هذه الأثناء ..

وصلت قبلة عادل الى شفتى البكر .. العذراوين ..

وكنت أذوب فى قبلته ..

أذوب كلى ..

احس كأنه يسحب بشفتيه كل ما فى .. يسحب قلبى .. ويسحب عقلى .. ويسحب أعصابى .. ويسحب كل قطعة منى .. احس بكل ما فى من حياة يتجمع بين شفتيه .. لم تعد لى حياة الا هنا .. بين هاتين الشفتين ..

وكانت أمى تدير نشاط قبلاتنا كأنها قائد فرقة موسيقية يدير انغام عصفورين يتناجيان بأعذب الألحان ..

كانت قد اعترفت لنا بحق تبادل القبلات .. ولكن .. تحت اشرافها .. فكانت عندما يأتى عادل لزيارتنا .. تجلس بيننا كالحارس الأمين .. ونحن نتبادل حديثا فاترا ، ونتبادل نظرات ساخنة .. الى ان تقرر أمى فجأة أن هناك ما تعمله داخل البيت

.. فندخل لتجلس مع ابى ، وتتركنا وحدنا .. وبمجرد أن تدير ظهرها لنا ، تلتقى شفاهنا العطشى .. ونعيش فى قبلة واحدة طويلة .. طويلة .. كأن كلا منا يبخل على نفسه بلحظة يتنفس فيها .. ثم فجأة أيضا ، تعود أمى .. وتفترق شفاهنا ، وهى لا تزال عطشى ..

فاذا ذهبنا الى زيارة عائلة عادل ، حدث نفس الشىء .. نجلس جميعا معا ويدور بيننا الحديث الفاتر ، والنظرات الساخنة .. نظرات الشوق الكبير .. ثم يقوم عادل ويدخل الى غرفته ، واهم أن الحق به ، ولكن امى تشغلنى فى حديث وتظل تشغلنى الى ان تقرر بينها وبين نفسها ان تسمح لى باللحاق بعادل .. فترحمنى من حديثها .. واجرى اليه .. ونلتقى فى قبلتنا الطويلة الطويلة .. الى ان اسمع صوت امى ينادينى من بعد كأنها تشدنى من الجنة ..

وكان اقسى ما توقعه امى على من عقاب .. هو الا تتركنى لعادل .. وكانت المدة التى تتركنى له فيها ، تطول وتقصر حسب رضائها عنى .. أحيانا تتركنى له ربع ساعة .. أحيانا خمس دقائق .. احيانا دقيقة واحدة ..

وكانت امى تتظاهر امام عادل بأنها لا تتعمد أن تتركنا وحدنا .. ولكن كان هذا امرا صريحا بينى وبينها .. كانت تصارحنى بأنها تتعمد ان تتركنى له .. حتى تهددنى بألا تتركنى له .. ..

ثم بمجرد أن ينصرف عادل .. كانت تسألنى عن التفاصيل .. كل التفاصيل .. تسألنى وفى عينيها نهم مثير كأنها طفل جائع ينتظر ما يشبع جوعه :

— عملتم ايه .. احكيلى ..

واقول وانا اتدلل عليها :

ـ هو احنا لحقنا نعمل حاجة .. ده انتى ما بعدتيش عنا الا يدوبك دقيقه ؟

وتقول :

ـ ..علهش .. بكره تشبعى منه .. قوليلى .. باسك ؟

واقول بلا خجل :

ـ طبعا .. باسنى ..

وتقول أمى والنهم فى عينيها :

ـ توفو البجاحه .. وايه كمان ! ؟

وأرد وانا اتغالى فى دلالى كأنى عروس فى صبيحة ليلة الزفاف :

ـ ولا حاجه .. هو فيه ايه كمان ؟ !

وتقول أمى :

ـ يعنى حضنك ؟ !

واقول :

ـ لا ..

وتعود تسألنى :

ـ حط ايده على صدرك ! ؟

واقول وأنا ابتسم :

ـ ايه ده يا ماما .. أنا ما اسمحلكيش تكلمينى بالشكل ده ..

وترد أمى فى حزم :

ـ اوعى تخليه يحط ايده على صدرك .. اولا صدرك يخسر وانت لسه بنت بنوت .. وثانيا ده مش من حقه ..

ويستمر هذا الحوار بيننا طويلا .. تسألنى .. وتسألنى .. كل لمسة .. كل حركة .. كل كلمة .. وهى تنظر الى كأنها تفتش

ى قلبى .. وفى أحاسيسى .. ورغم ذلك . فلم اكن اتضايق .. كنت احب هذا الحوار .. واحب ان يطول ، كأنى اردد اخر اغنيات حبى .. كأنى اطلع صديقتى الوحيدة على اعز اسرارى .. رغم الخلاف الكبير بينى وبين أمى حول معنى الحب .. امى تعتقد أن الحب هو ان يأخذ الرجل المراة ، ولا شىء اكثر .. وأنا اعتقد أن الحب هو التقاء .. التقاء شخصيتين .. والتقاء فكرتين .. والتقاء قلبين .. والتقاء حياتين ..

ولكن ..

الأيام الحلوة لم تدم طويلا ..

بدأت تغوص فى الضباب ..

مرض ابى .. وانا فى السادسة عشرة من عمرى .. اصيب بشلل نصفى خنق الكلمات فوق لسانه .. لم يعد يستطيع أن ينطق .. ولم يعد يستطيع أن يتحرك الا اذا حملناه من مكان الى مكان .. اصبح لا شىء .. ففقدته .. وأحسست أنى فقدت ميزان حياتى كلها .. لم اشعر بأن ابى كانت له كل هذه الاهمية فى حياتى الا بعد ان أصبح لا شىء .. لقد كان بالنسبة لى صمام الأمان من طغيان امى .. كان العقل المتزن الذى يحمينى من نزواتها .. كان الصدر الطيب الحنون الخالى من العقد النفسية ومن الأنانية ، الذى ألجأ اليه كلما خنقتنى انانية أمى وخوفها الدائم من أن تفقدنى يوما ما .. كان ابى هو الذى يحبنى كابنته .. وامى لا تستطيع أن تنسى انى لست ابنتها .. فقط تبنتنى ! ..

وقد زاد طغيان أمى بعد مرض أبى ..

اصبحت انانيتها حادة كالسكين ..

وأصبحنا نتشاجر دائما .. ونتصارخ .. هى تصرح

وانا أصرخ .. ثم أجرى الى ابى وهو راقد فى فراشه .. ليس فيه شىء حى الا عيناه المحدقتان المنهوكتان والقى بنفسى على صدره وابكى . وينظر الى أمى بعينيه وقد وضع فيهما كل ما بقى له من قدرة على الغضب والسخط .. ويشوح فى وجهها بذراعه السليمة .. ويطلق من زوره اصواتا مشروخة تثير الشفقة كأنها خوار ثور جريح على وشك ان يموت .. ثم يدير عينيه الىّ ، وفيهما دموع تهم أن تنطلق .. وتسقط ابتسامة ضـــعيفة على جانب شفتيه المشلولتين . ويمسح وجهه على شعرى كأنه يربت علىّ .. ثم لا يستطيع أكثر من ذلك ..

وكان لمرض ابى أثر على حبى لعادل أيضا .. نقل حبى الى طور آخر ، لم يعد حبا فيه مرح الطفولة وانطلاقها وسذاجتها .. ولكن أصبح حبا جادا عميقا يحمل مسئولية الحياة كلها ..

لقد اصبح عادل هو القوة الوحيدة لى .. هو سندى الوحيد .. وأحس هو بنفس ما بدأت احس به .. فاكتملت لحبنا شخصيته .. لم يعد حبنا يقبل أن يعيش تحت اشراف امى وادارتها .. اصبح لحبنا شخصية مستقلة عن شخصية أمى .. أصبحت لنا أحاديثنا الخاصة ، ومشاريعنا الخاصة ، واحلامنا الخاصة .. ولم اعد ارحب بالحوار الطويل الذى يدور بينى وبين أمى بعد أن التقى بعادل .. واصبح لى ولعادل رأى خاص فى كل ما تقوله أمى .. اصبحنا نرد عليها ونعارضها .. لم نكن نتحداها او نتهجم عليها .. ابدا .. كان كل ما نطالب به هو حقنا فى رسم حياتنا ، وفى تصرفاتنا .. وبالعكس .. كنا نحرص دائما على ان نحيطها بحبنا ، وأن نبدى لها هذا الحب . .ونحرص ايضا على الا نصدمها فى انانيتها وفى طريقة تفكيرها ..

وبدأت امى تلحظ هذا التطور .. بدأت تحس انى أصبحت

.. ملتصقة بعادل اكثر من التصاقى بها .. اتأثر به وبكلامه ، أكثر مما اتأثر بكلامها .. بدات تحس أن عادل لا يصلح ليكون مفتاح الخزانة التى تضعنى فيها ، وتحتفظ به فى جيبها .. لقد اصبح عادل اكبر من أن يسعه جيبها .. وتحركت عندها عقدة الخوف من أن تفقدنى يوما .. تفقد شيئا تملكه .. فبدأت تحارب عادل .. تحارب حبى .. ووجهها المكرمش يزداد قسوة يوما بعد يوم ..

وقد بدأت تقلل من زيارتنا لعائلة عادل .. فاذا جاء عادل لزيارتنا استقبلته استقبالا رسميا كأنه غريب .. وجلست أمامنا كالسجان .. لا تتركنا لحظة .. ووجهها المكرمش يقف بيننا كالحائط المصفح .. ثم بدات تنقل الى اخبار علاقات عادل النسائية .. كانت تبحث بنفسها عن أخبار هذه العلاقات وتقطرها فى أذنى كالسم .. وكنت أصرخ فى وجهها :

ــ عارفه .. عارفه .. مش ممكن حاتقوليلى حاجه عن عادل انا مش عارفاها ..

ولكنها كانت تعايرنى بهذه العلاقات .. بل أنها اتصلت بامرأة فى الأربعين من عمرها مطلقة رجل غنى ، كان عادل على علاقة معها فى فترة من فترات نزواته .. وجعلتها تحادثنى فى التليفون وتروى لى تاريخها مع عادل ، وتغيظنى ، وتقسم لى انها كانت تنفق عليه .. و ... عارفه البدله البنى اللى بيلبسها ، اسائيه كده مين اشتراها له .. و ..

وكنت احتمل .. لم أكن احتمل ببساطة .. كنت أعانى الألم .. ألم الضيق .. الم الغيظ .. الم الغيرة .. الم الاحساس بعجزى امام جبروت أمى .. ورغم ذلك كنت لا ازال اقنع نفسى بحبها .. كنت أخاف من أن اكرهها ..

وأخيرا قرر عادل أن المخرج الوحيد لنا هو أن نعجل بزواجنا .. وكلم أمى .. ورفضت .. رفضت فى حزم قاس كأنها لن تقبل أبدا أن نتزوج .. وكانت حجتها الأولى أننا يجب أن ننتظر حتى انتهى من دراستى الثانوية .. وعندما تعهد عادل بأن يتركنى أتم دراستى بعد أن نعقد القران .. بدأت تضع العراقيل .. عراقيل كثيرة .. انها تغالى فى طلب المهر .. وفى المؤخر .. وفى شروط الشقة التى يجب أن يبحث عنها عادل لنسكن فيها .. والموقف يتطور بسرعة عجيبة .. كلام كثير .. كثير .. وخناقات بين أمى وأم عادل .. وسيدات جمعية نور الهدى يتنقلن بين بيتنا وبيت عادل .. وينقلن اخر الأخبار .. وأخر الكلام .. ويحرفن كلمة تقال هنا .. وكلمة تقال هناك .

وأنا أصبحت تائهة .. كالفرخة الدائخة ..

وأصبحت لا أرى عادل .. أحادثه فى التليفون خلسة .. وأنام باكية على صدر أبى المشلول .. ومرة أو مرتين أقتحم عادل بيتنا ليرانى رغما عن أمى .. ولكنها وقفت فى وجهه ، ووصلت الى حد تهديده باستدعاء البوليس ..

وشبت النار فى صدر أمى عندما علمت أن عادل مرشح لوظيفة كبيرة فى الكويت .. كان عادل فى حاجة الى هذه الوظيفة ليبنى مستقبله . وليجمع ثروة لنا .. ولكن معنى هذا نه سيأخذنى بعيدا عن وجه أمى ..

مستحيل ..

لا أحد يستطيع أن يأخذنى بعيدا عنها ..

انها تملكنى ..

تملك كل كيلو من لحمى وعظمى .. ولا يمكن أن تسمح لأحد بأن يأخذنى منها .. لا عادل ولا غيره ..

واعلنت أمى فسخ الخطبة .. من جانبها وحدها ..

وسرقت دبلتى من اصبعى وانا نائمة ، واخفتها عنى ..

وجننت ..

جننت اصرخ كالمجنونة .. واتكلم كالمجنونة .. وأحطم كل شىء حولى كالمجنونة ..

وأمى لا تشفق علىّ .. لقد أعلنت الحرب .. وقد تعودت أن تنتصر فى كل حرب تعلنها ..

لقد سلطت على كل أفراد العائلة ليقنعونى بأن أنسى حبى لعادل .. حتى أمى الحقيقية جاءت لتقنعنى بفسخ الخطبة .. وتؤكد لى ان عادل لا يصلح لى ..

وسلطت كل الدنيا التشهير بعادل وعائلته .. بل انها ذهبت الى رؤسائه فى عمله لتشكوه اليهم ، وتقنعهم انه يحاول أن يغوينى ويخطفنى ..

وعادل جن أيضا ..

انه يتكلم فى التليفون ويصرخ فى أمى :

ـــ أنا حاتجوزها غصب عنك .. اذا ما اتجوزتهاش بالذوق حا اتجوزها بالعافيه .. حاخفها .. لو كنت أمها بصحيح ما كانتش عملتى فيها كده ..

وأمى تقبل التحدى ..

ولا تكف عن الحرب ..

وانا احاول ان احتمل .. احاول أن اصبر .. احاول أن أجد شقا ينفذ منه النور .. نور الأمل .. ولكن وجه أمى المصفح ليس فيه منفذ للنور ..

وفجأة ..

هربت ..

كانت مفاجأة بالنسبة لى ايضا .. فانى لم أفكر قبلها فى الهرب ... ربما كنت أفكر فى الهرب بعقلى الباطن ، ولكنى لم أفكر فيه بعقلى الواعى .. وقد صحبتنى أمى يومها الى المدرسة ، واوصت علىّ الناظرة والمدرسات وحذرت عليهن أن يتركننى أغادر المدرسة الا اذا جاءت وتسلمتنى بنفسها .. وقضيت طول الصباح شاردة .. لا استطيع أن أندمج فى حديث مع زميلاتى .. لا استطيع أن أتكلم ، ولا أن أبتسم شاردة .. ساهمة .

وفى فسحة الظهر ، كنت فى فناء المدرسة ، ولمحت الباب الكبير مفتوحا .. وبلا ارادة منى .. وأنا لا زلت شاردة ، ساهمة .. خطوت نحو البا ب.. وخرجت .. خرجت من المدرسة .

ولم اتنبه الا وانا فى الشارع بعيدا عن المدرسة .. ووقفت برهة كأنى أشد خطة تعيش فى عقلى الباطن .. ثم جريت الى أقرب تليفون ، واتصلت بعادل فى مقر الشركة التى يعمل بها ..

وجاء عادل فى سيارة اجرة بعد ربع ساعة .. وأنا واقفة فى الشارع مرتدية زى المدرسة ، وكل ما فى شارد ..

وجريت اليه بمجرد أن لمحته ، وقفزت جالسة بجانبه .

ولم نتكلم ..

كأن كلا منا كان ينتظر هذه اللحظة .. وكأننا دبرنا خطة الهروب معا ..

اكتفى عادل بأن أخذ يدى فى يده ، وأمر السائق أن يتجه الى العجوزة .. وطول الطريق ونحن الاثنين صامتان . ويدى فى يده .. وقلبانا يخفقان فى صدرينا .. والنظرة الساهمة فى عينى .. وفى عينيه نظرة تحد .. تحد لأمى .

واخذنى عادل الى بيت شقيقه الأكبر ..

وكان شقيقه يسكن وحده فى شقة بالعجوزة ..

وفتح عادل الباب بمفتاح اخرجه من جيبه ؛ ولم أفكر ساعتها فى أن أسأله لماذا يحتفظ بمفتاح شقة شقيقه فى جيبه ..

وقال عادل ونحن ندخل :

ـــ أنا ما رضيتش اخدك عند أمى ، علشان مامتك ما تحصلناش هناك .

وهززت راسى موافقة ..

واغلق عادل الباب وراءه ..

ولم احاول أن أنظر حولى الى محتويات الشقة .. كانت عيناى معلقتين بوجه عادل ..

وقال عادل :

ـــ احنا نستنى لما اخويا يرجع من الشغل الساعة خمسة .. ونبعت نجيب المأذون ونتجوز ..

وقلت فى صوت ضعيف وأعصابى منهوكة :

ـــ اعمل اللى انت عايزه يا عادل .

ولم اكن ساعتها افكر فى الزواج .. كان كل ما افكر فيه هو انى اصبحت مع عادل وحدنا بعد كل هذا العذاب الطويل .. بعد كل هذا الشوق المضنى .. وحدنا .. ولا ننتظر أن تدخل أمى علينا فى كل لحظة .. لأول مرة نلتقى بعيداً عن شبح أمى ..

وركنت راسى على صدره ، وقلت كأنى اتنهد :

ـــ انا تعبانه يا عادل .. تعبانه .

وقال فى حزم كأنه قبض على عنق القدر :

ـــ خلاص .. النهارده اخر يوم تتعبى فيه .. بعد النهارده مش ممكن حد يفرقنا عن بعض ..

ثم رفع رأسى اليه ..

شفتاه تتطلعان الى شفتى ..

والتقينا ..

قبلة طويلة .. طويلة .. لن تنتهى أبدا .. وكل منا يبخل على نفسه بلحظة يضيعها فى التقاط نفسه ..

واحسست كأن عمرى كله يستريح بين شفتيه .. كل ما عانيته .. كل ما تحملته .. كل عذابى . كل حرمانى .. كل حيرتى .. كل أعصابى الملتهبة تنطفىء نارها وتهدأ بين هاتين الشفتين .

وقال عادل وهو يجلسنى على الاريكة :

— انتى مراتى يا نجوى .. مراتى قدام ربنا وقدام الناس .. مراتى من خمس سنين ، من يوم ما تخطبنا ..

وتعلقت بعنقه ، وانا اهمس :

— يا حبيبى يا جوزى ..

ولم ننتظر الى أن يأتى المأذون .

لم نكن نستطيع أن ننتظر بعد كل هذا العذاب .. وكل هذا الحرمان ..

واستسلمت ..

لا ..

كل منا استسلم للآخر .. فلم يكن عادل يريد شيئا أكثر مما اريده ..

لم أشعر بأنى أفقد شيئا . لم اشعر بأنى اضحى بشىء .. كل ما كنت اشعر به هو أنى لا اريد أن افقد عادل مرة أخرى .. لا اريد أن يقف شىء بينى وبينه .. لا اريد ان اعود الى عذاب الشوق اليه ، والحرمان منه .. أريد أن تستقر حياتى كلها هنا .. بين ذراعيه ..

وعيناى مغمضتان ، وشفتاى مدسوستان بين شفتيه ، كأنى

أتشبث بهما من خوف الالم .. لا .. لم يكن بيننا الم .. ليس كما كنت أتصور .. الحياة فى هذه اللحظة تجرى وحدها ، بلا ارادة منى ، ولا ارادة منه .. كأننا لم نتعمد شيئا .. اننا فعلا لم نتعمد شيئا .. لم نتعمد الا ان يلتصق احدنا بالآخر ، والى الأبد ..

وكان خيال أمى يطوف بى .. ووجهها المكرمش القاسى ينقض علىّ كأنه يحاول أن يشدنى من بين ذراعى عادل .. ولكنى كنت ابتسم فى شماتة .. انى أعى تماما ما افعله .. انى أضع أمى أمام الأمر الواقع حتى تسلم بزواجنا .. لن تستطيع أن تنتصر على حبى .. ستخضع .. ستستسلم ..

ثم ..

رقدت بين ذراعى عادل مغمضة العينين .. لست نائمة .. ولكنى هائمة . مستريحة .. وابتسامة النصر على شفتى .. النصر على أمى ..

الى أن عاد شقيقه مدحت .. وقفز عادل واقفا بمجرد أن سمع المفتاح يدور فى قفل الباب ، واعتدلت جالسة وانا اشد ثوب المدرسة فوق ركبتى . وارتسمت دهشة كبيرة على وجه مدحت عندما رآنى . .وقال كالمبهوت :

ــ نجوى .. ايه اللى جابك ..

وقال عادل يقاطعه :

ــ احنا حانتجوز دلوقتى يا مدحت .. كنا مستنيينك علشان تجيب لنا المأذون وتشهد على العقد ..

وقال مدحت وهو ينظر الىّ كأنه يتصورنى مجنونة :

ــ مش احسن نقول لمامتك ونبعت نجيبها ..

وقلت فى اصرار :

ـ ماما مش حاترضى اننا نتجوز ..

قال :

ـ بس لما تعرف أن المسأله وصلت للدرجه دى ضرورى حاترضى ..

وقال عادل فى حدة :

ـ ما فيش فايده يا مدحت يا خويا .. انت عارف عزيزه هانم .. راسها زى الحجر .. وعمرها ما ترحم حد .

وقال مدحت :

ـ ما هو علشان كده .. دى لو عرفت انكم اتجوزتم حاتقلب الدنيا على دماغكم .. ويمكن توديك محكمة الجنايات .. دى جباره .. أنا عارفها أكتر منك ..

وقال عادل وهو يكاد يفقد أعصابه :

ـ ما هو ما فيش فايده من الكلام دلوقتى .. حانتجوز يعنى حانتجوز ..

وأدار مدحت عينيه بينى وبين عادل ورأى علامات التصميم على وجهينا ، فقال وهو يبتسم كأنه يبارك حبنا :

ـ أنا موافق .. بس سيبونى على الأقل أقول لأمى .. علشان المسأله تبقى عائليه ، وما تبقاش اتنين هربوا مع بعض .. خصوصا ان نجوى لسه ما كملتش تمنتاشر سنه .

وقال عادل :

ـ وأمى حاتعمل ايه يعنى .. حاتكبر نجوى .. ولا حاتعمل ايه ..

وقلت لمدحت ..

ـ لو مامتك عرفت قبل مامتى .. مامتى تتجنن أكتر .

وقال مدحت وابتسامته تتسع :

ــ سيبوا المسأله على أنا .. اصلكم مش شايفين حاجه .. الحب مخبى عنكم حاجات كتير .. يا بختكم ..

ثم أسرع الى التليفون واتصل بأمه ، وعاد قائلا فى مرح :

ــ أمى حاتكون هنا بعد عشر دقائق . وحاتحضر كتب الكتاب ..

وقال عادل :

ــ وافقت !؟

وقال مدحت :

ــ باين عليها فرحت لما قلت لها .

وجلسنا فى الانتظار ...

ولم تنقض عشر دقائق ... حتى سمعنا صوت اقدام كثيرة تقترب من الباب .. ثم .. دق الجرس ..

وارتعشت ..

لا ادرى لماذا ..

ولكنى ارتعشت .. وأحسست كأن دمائى كلها تنسحب من عروقى وتتسرب من قدمى ..

وفتح الباب ..

ووجدت أمامى امى ..

امى انا ..

وجهها المكرمش القاسى ..

ومعها خالى .. وابن خالى .. وام عادل .. وابوه .. وشخص آخر لا اعرفه ..

ونظرت الى امى بكل عينيها ..

لم تنظر الى احد آخر .. لا الى عادل .. ولا الى مدحت ..

ثم تقدمت نحوى ، ونظراتها الثابتة القاســية مركزة فوق وجهى ، وقبضت على ذراعى بيد قوية ، وقالت فى صوت صارم ،

ــ اللا يا بنتى ارجعى بيتك ..

وحاولت أن اشد ذراعى منها .. ولكن قبضتها قوية .. وانا ضعيفة .. منهوكة .. أرتعش .. والجميع من حولى صامتون كأنهم يشهدون موتى .. وهذا الصمت يزيدنى خوفاً .. وضعفا .. وارتعاشا ..

وجذبتنى أمى ناحية الباب ..

وصرخ عادل :

ــ إحنا لازم نتجوز .. نتجوز دلوقتى .. خلاص ، ما فيش فايده .. لازم نتجوز ..

والتفتت امى الى من اتوا معها ، وقالت فى ثبات :

ــ شوفوا انتم ابنكم ..

ونزلت بى .. ووضعتنى فى سيارة أجرة ..

وطول الطريق وهى تردد :

ــ يا خسارة تربيتى فيكى .. كده تعملى فى أمك يا نوجا ..

وانا بجانبها صامتة ..

أرتعش ..

وضباب كثيف يملأ عينى ..

وما كدنا ندخل البيت حتى التفتت الىّ قائلة فى حزمهــا القاسى :

ــ اسمعى يابت انتى .. و ..

وقاطعتها وانا استعين بما بقى فى من قوة لأتحداها :

ــ من فضلك .. انا خلاص ما بقتش بنت ..

ونظرت الىّ بعينين متسعتين من الهلع .. وقالت فى صوت مجروح :

ـ قصدك ايه ؟ .

قلت وانا استند على حافة المائدة حتى لا اقع من الانهاك :

ـ قصدى انى ست .. بنتك خلاص بقت ست يا ماما ..

ورفعت كفها وهوت به على صدغى ..

بكل ما فيها من قوة .. بكل ما فيها من قسوة ..

ورفعت يدى ووضعتها مكان الصفعة وانا انظر اليها كالمجنونة ..

وهدأت امى سريعا .. استعادت كل اعصابها .. وقالت كأنها فكرت وانتهت الى قرار :

ـ وماله برضه مش حاتتجوزيه .. فاهمه انك انتى والواد بتاعك حاتجبرونى .. ابدا .. اللى عملتوه ده لعب عيال .. ما بقاش مهم اليومين دول .. عملية بسيطة وترجعى بنت تانى ..

وصرخت بكل صوتى :

ـ انتى مش امى .. مش امى .. انا مش عايزه اعرفك .. مش عايزه اقعد معاكى .. انا عايزه امى .. خدينى لأمى ..

وكانت هذه هى أول مرة اواجه امى بالحقيقة التى حاولنا انا وهى أن نتجاهلها طول حياتى ..

وسقطت بعدها مغشيا على ..

وفتحت عينى فى اليوم التالى ، لأجد نفسى فى فراشى ، وامى بجانبى وقد غاص وجهها المكرمش فى اللهفة .. والم حاد اشعر به فى معدتى ، وفى صدرى .. وفى حلقى .. الم حقيقى .. الم لم اشعر بمثل قسوته من قبل .. كأن كل شىء فى مختنق

.. امعائى مختنقة .. رئتاى مختنقتان .. حلقى مختنق .. وفى راسى صداع .. صداع هائل ..

وتأوهت قائلة :

ــ ماما .. أنا تعبانه ..

ومدت أمى يدها تربت على يدى قائلة فى لهفة :

ــ بعد الشر عليكى يا بنتى .. انشا الله أنا ..

وفى هذه الأيام رأيت هاشم لأول مرة .. الدكتور هاشم ..

لم يكن هاشم هو أول طبيب عادنى فى مرضى .. سبقه طبيب آخر تاه بين معدتى وكبدى ومرارتى ، ووصف لى أدوية كثيرة .. ومع كل دواء تسوء حالتى اكثر .. الألم يفرى كل قطعة من جسدى .. وكل عضلة فى داخلى تنقبض وتخنقنى .. تخنق قلبى .. وتخنق معدتى .. وتخنق حلقى .. كل شىء فى يتقلص ويتحول الى آلة تعذيب ..

وكنت أرفع عينى الى أمى واقول لها فى توسل :

ــ ماما .. عايزه اشوف عادل .. ابعتى له خليه ييجى ..

وترد أمى دون أن تخفف لهفتها علىّ من حقدها على عادل :

ــ خفى انتى الأول .. وبعدين نبقى نشوف حكاية عادل ..

واقول وانا اهز راسى فوق الوسادة كأنى أحاول أن اتخلص من قيد حول عنقى :

ــ مش حاخف الا لما اشوف عادل .. هاتى لى عادل ..

وتنظر امى الىّ فى شفقة ليس فيها صفح ، وتقول :

ــ عادل مش حايخففك .. عادل لو شافك حايخلص عليكى ..

وتجرى دموعى فوق خدى واهمس :

ــ حرام عليكى يا ماما ..

وتميل أمى فوقى وتهمس وفى عينيها نهم لا مع :

ـ احكيلى .. الحكايه دى حصلت ازاى ؟

انها تريد أن تعرف التفاصيل .. تفاصيل اللحظة التى اصبحت بعدها سيدة .. أو اصبحت بنتا ليست عذراء .. كل آلامها وكل لهفتها علىّ ، لم تستطع أن تتغلب على نهمها الغريب لمعرفة التفاصيل .. عن جوع خيالها الى ما يجرى بينى وبين عادل بعيدا عنها .. ما يجرى بين البنت والولد ..

واصرخ :

ـ مش حا احكيلك حاجه الا بعد ما اشوف عادل .. هاتى لى عادل الأول ..

وتنتابنى رعشة ..

رعشة تهز كيانى كله ..

وتأخذنى أمى بين ذراعيها وتضمنى الى صدرها بقوة ، كأنها تريد أن تعوضنى بحنانها عن حب عادل .. وبذراعيها عن ذراعى عادل .. وتهمس ودموعها تملأ تجاعيد وجهها المكرمش القاسى :

ـ دول عاملين لك عمل يا بنتى .. سحروا لك .. أنا عارفاها خديجه هانم .. الله يجازيكى يا خديجه يا بنت جلسن ..

واقتنعت أمى فعلا بأن خديجة هانم والدة عادل قد سحرت لى .. عملت لى عمل .. وبدأت تجتمع بمجلس ادارة جمعية نور الهدى ليبطلن السحر ، ومفعول العمل ..

وأصبحت سيدات نور الهدى يجتمعن فوق راسى كل صباح بعد صلاة الفجر ، وكل مساء بعد صلاة العشاء .. ملتفات فى طرحهن البيضاء .. منتصبات أمام عينى كالأشباح ؛ ويقرأن القرآن ، وكثيرا من التعاويذ .. وكنت أجن .. راسى يلتهب كالنار ، وأذناى تطنان .. والأشباح البيضاء تملأ عينى فأحس

بدوار .. واقفز من فراشي واجرى الى أبى المشلول .. والقى بنفسى فوق صدره ، وانا أصرخ فى فزع .. ويشوح أبى بذراعه السليمة فى وجه أمى .. وعيناه تلمعان بكل ما بقى فيه من قدرة على الغضب والسخط .. ويخرج من حلقه أصواتا ممزقة كخوار ثور جريح على وشك ان يموت .. ثم لا يستطيع أن يفعل اكثر من ذلك . وأمى تستطيع دائما أن تستعيدنى ، لتضعنى تحت رحمة الأشباح البيضاء ..

وحالتى تسوء اكثر ..

هل يمكن ان يفعل بى الحب كل ذلك ؟ ام هو فعلا السحر ؟

لا ادرى .. لا ادرى .. لم اعد أستطيع أن أدرى شيئا ..

وقررت سيدات جمعية نور الهدى أن يستعن بالشيخة زين لتبطل عمل السحر .. وجاءت الشيخة زين .. امراة سمينة قوية مزججة الحواجب . وجلست فى غرفتى تحرق البخور ، وتقرأ تعاويذ لا التقط منها سوى بعض كلمات فارغة كأنها الهلوسة .. ثم وضـــعت تحت راسى حجابا واقسمت انه يبطل السحر ويجعلنى اكره عادل بعد ثلاثة مواعيد .

ثم بعد أيام عادت الشيخة زين ، واعلنت ان حالتى تستدعى ان تكتب التعاويذ على قشرة بيضة ، ثم تدفن البيضة فى قبر مهجور ..

ودفعت امى الثمن .. وطلبت من احدى صديقاتها من أعضاء جمعية نور الهدى أن تذهب بنفسها مع الشيخة زين لدفن البيضة فى القبر المهجور ..

وبعد أيام أخرى ، عادت الشيخة زين لتعلن أنه يجب أن

أخطو فوق تراب يؤخذ من تحت راس ميت ، لم يمض على موته سوى ليلتين ..

وخطوت فوق التراب ..

ولكن ..

حالتى تسوء ..

وقرر مجلس ادارة جمعية نور الهدى ان حالتى أكبر من قدرة الشيخة زين .. وأن العمل الذى عملته لى طنط خديجة هانم ، لابد أنه عمل نصرانى ، فلابد والحالة هذه من الاستعانة بالست فيكتوريا ..

وكل هذه الاتفاقات والأحاديث كانت تدور بجانب فراشى ، واشترك فيها احيانا .. وأصرخ فى وجوه الأشباح البيضاء :

ــ كل ده كلام فاضى .. أنا مش مؤمنه باللى بتعملوه ده .. هاتو لى دكتور كويس ..

وتردد احدى عضوات نور الهدى :

ــ كلام فاضى ازاى يا نوجا .. ده السحر جه فى القرآن ..

وترد أمى :

ــ هو أنا بخلت عليكى بالدكاترة .. امال الأدوية المترصصه جنبك دول يبقوا ايه ؟ ..

وتستمر الاجراءات ..

وجاءت الست فيكتوريا .. سيدة عجوز قبيحة الشكل ، ولكنها خفيفة الدم .. لقد استطاعت أن تضحكنى .. وعندما ضحكت اعتقدت أمى ان الست فيكتوريا سرها باتع ..

واستطلعت الست فيكتوريا حالتى ، وقررت انها خطيرة ، وانها ستضطر أن تبيت ليلة معنا ، فى النصف الثانى من الشهر العربى ، عندما يبدأ القمر فى التناقص .. ثم أخذت أحد أمشاط

شعرى وحفرت عليه بمسمار بعض الرموز .. وأوصتنى أن أمشط به شعرى كل يوم سبع مرات .. وحرصت أمى على أن تنفذ هذه التعليمات بدقة .. كانت هى التى تمشطنى بالمشط سبع مرات فى اليوم ..

وفى النصف الثانى من الشهر العربى عادت الينا الست فيكتوريا ساعة الغروب .. وجلست معنا ، أمى وأنا ، تروى لنا أسرار العائلات التى استعانت بها فى طرد السحر ، أو فى عمل السحر .. وكانت تذكر العائلات بأسمائها .. وبوقاحة .. وأمى تستزيدها وأذناها منتصبتان ، جائعتان الى التفاصيل .. وأنا أغفو وأصحو لأجد الست فيكتوريا لا تزال تتحدث ، وأذنا أمى منتصبتان ..

وفتحت عينى فجأة بعد منتصف الليل فرأيت الست فيكتوريا تخلع ثيابها .. خلعتها كلها .. أصبحت عارية كما ولدتها أمها .. ثم أمسكت بشمعة وأوقدتها .. ثم خرجت الى الشرفة ، وأغلقت بابها وراءها .. وأمى تنظر اليها فى وقار وتقديس كأنها فى محراب الشيطان ..

وهمست فى ذعر :

ــ الحقى الست المجنونه دى يا ماما .. أحسن حد يشوفها ..

وردت أمى فى صوت يهزه التقديس :

ــ ما حدش يقدر يشوفها دلوقتى يا بنتى .. دى دلوقت مع الملايكه ..

وظلت الست فيكتوريا فى الشرفة الى أن بدأت خيوط الفجر تشق الليل ، ففتحت الباب وعادت الينا .. عارية .. وبقايا الشمعة مطفأة فى يدها .. وقالت وهى تبتسم فى مرح :

ــ خلاص يا مدام .. كله حاييجى كويس ..

ودفعت لها أمى عشرة جنيهات ..

ربما دفعت أمى فى هذه الأيام نصف ما ادخرته للسحرة والمشعوذين ..

كل ذلك لاكره عادل ..

ولكنى لم اكرهه ..

انى فى كل يوم أزداد الحاحا على أمى لتتصل به ، وتدعه يحادثنى .. واتوسل اليها ان تتركنا نتزوج ..

وهى ترفض ، بحجة أن عادل لا يصلح لى .. وتكرر على مسامعى قصصا من فضائح عادل .. وتؤكد لى أنه لا يحبنى .. ويكفى انه خدعنى ..

وفى يوم .. قالت لى وهى تنظر فى عينى :

ــ اسمعى يا نوجا ، انا حا اقول لك حاجه ما كنتش عايزه اقولها لك ، الا بعد أن تخفى .. أنا مضطرة اقولها ما دام مش راضيه تبطلى سيرة عادل ..

ورفعت اليها عينين متسائلتين ..

واستطردت امى قائلة ووجهها مصفح وعيناها واقفتان :

ــ تعرفى عادل اللى بتحبيه ده كان عايز يمشى مع مين ؟

وزفرت أنفاسى وقلت فى ضيق :

ــ مع مين ؟

قالت فى صرامة :

ــ مع بنت خالتك .. يعنى مع أختك ..

وقفزت جالسة فى فراشى كأنى لدغت ، وصرخت :

ــ كدابه .. ستين كدابه ..

وقالت امى فى قسوة :

ــ طيب أنا حابعت أجيب أختــك . وتقول لك بنفســها كل حاجه ، علشان تعرفى اذا كنت كدابه ولا انتى اللى عبيطه ..

وانهمرت دموعى .. وعدت أصرخ .. وأنا أشد فى شعرى ، وأضرب الوسادة بيدى :

ــ كدابه .. كدابه .. انتى بتكرهيه .. وعايزانى أكرهه .. انتى أهون عليكى انى أموت من انى أتجوزه .. خلاص حاموت .. حاموت .. حاموت علشان خاطرك .. علشان تستريحى منى ..

ولم تتأثر أمى ..

وأرسلت الخادمة الى الوايلية لتستدعى خالتى ــ أى أمى الحقيقية ــ ومعها أختى .

أختى تكبرنى بعام واحد .. وهى جميلة .. ربما كانت أجمل منى .. وتبدو فعلا أجمل منى رغم الضيق الذى تعيش فيه ..

وتشبثت بيد أختى ، وقلت لها ودموعى فوق خدى :

ــ وحياتى عندك يا سميرة .. قولى لى .. عادل عاكسك .. كان عايز منك حاجه ..

ونظرت سميرة الى أمى .. والى أمها .. وترددت .. ترددت طويلا .. الى أن قالت خالتى ورموشها ترتعش فوق عينيها :

ــ ما بلاش السيره دى يا نوجا .. انتى فى ايه واللا فى ايه ..

وقالت أمى كأنها تملى ارادتها :

ــ لا .. خليها تقول ..

وقالت سميرة وهى تتلعثم :

ــ الحقيقه انه السنه اللى فاتت لما شافنى عندكم هنا ،

عرف انى بادور على شغل ، فادانى نمرة تليفون ، وطلب منى انى أكلمه ووعدنى انه يشغلنى فى الشركة بتاعته .. انما الحقيقه ما استريحتش للطريقه اللى كلمنى بيها ، خصوصا انه ادانى نمرة التليفون وأنا خارجه ومن غير ما حد يشوفه .. وماقلتلكيش حاجه .. قلت خليه هو يقول لك .. انما يظهر انه ما قلكيش لأنك لغاية دلوقت ما تعرفيش ..

وقلت وأنا أشعر بضلوعى تضغط على قلبى :

ـ وبعدين ..

وعادت تنظر الى أمى وأمها ثم قالت :

ـ اتصلت بيه بعد شهرين .. وطلب انه يقابلنى .. ادانى ميعاد على باب الشركة ..

وصرخت :

ـ ورحتى ..

وقالت سميرة :

ـ رحت .. كنت فاكره انك عارفه .. انه قالك .. ولقيته مستنينى على باب الشركة .. وأول ما شافنى راح واخدنى من ايدى ، ونده تاكسى .. قلت له ، على فين يا عادل .. قال لى ، بس تعالى ، مالكيش دعوه .. واخدنى على شقه فى العجوزه ..

وصرخت :

ـ كدابه .. كدابه .. مش ممكن .. مستحيل .. انتم كلكم بتكدبوا على .. عايزنى أكرهه .. عايزنى أسيبه .. مش حاكرهه .. ومش حاسيبه ..

وقالت سميرة :

ـ على كل حال أنا من يومها ما شفتوش .. ولو انه جه لنا فى الوايلية أكتر من مره .. ساعات يطلع يسلم علينا ..

وساعات يستنى قدام البيت لغاية ما انزل ، ويمشى معايا .. وغلبت انصحه .. وافهمه ..

وعدت أصرخ :

ــ كدابه .. مش حاصدق .. مش حاصدق ..

وقالت أمى كأنها القدر الغاضب :

ــ اذا ما كنتيش مصدقه . خليها تكلمه بالتليفون قدامك ..

ثم جذبت آلة التليفون ووضعتها أمام سميرة ، واستطردت :

ــ خدى كلميه .. علشان تعرف انها عبيطه ومضحوك عليها ..

وخالتى ــ أمى الحقيقية ــ فى ركن من الغرفة ، تبكى بدموع صامتة ..

ورفعت أختى سميرة سماعة التليفون بيد مرتعشة .. وادارت الرقم باصبع أكثر ارتعاشا .. ثم جذبتها أمى ، ووضعت راسها بجانب راسى حتى اسمع كل ما يقوله عادل ..

وما كاد عادل يسمع صوت سميرة ، حتى صاح .. كأنه يعرف صوتها من الف صوت :

ــ سميرة .. ازيك .. ايه اخبارك ؟

وقالت سميرة ، وهى تقرب السماعة من أذنى :

ــ ما عنديش أخبار يا عادل ..

وقال عادل فى حماس :

ــ وحاشوفك امتى ؟

وقالت سميرة وهى تنظر فى وجهى :

ــ مش حاالقدر يا عادل .. بلاش نشوف بعض أحسن ..

وقال عادل كأنه صدم :

ــ ليه يا سميره .. احنا مش اتفقنا .. و ..

ولم أعد أحتمل أكثر من ذلك .. خطفت السماعة من يد سميرة ، وقلت وأنا أضغط بيدى الأخرى على قلبى المطعون :

ـــ كده برضه يا عادل .. كده .. كده برضه .. كده ..

وسقطت السماعة من يدى ، وأنا أسمع صرخته :

ـــ نوجا .. نوجا ..

والتقطت أمى السماعة التى سقطت من يدى فوق السرير ، وأعادتها الى مكانها ..

وارتميت فوق فراشى ورأسى يدور ، وفى معدتى ألم حاد .. وكان آخر ما سمعته خالتى ـــ أمى الحقيقية ـــ وهى تقول :

ـــ والنبى ده حرام عليكم ..

ثم غبت عن الوعى ..

وقد عرفت فيما بعد .. بعد أكثر من ثلاث سنوات .. أن كل هذا لم يكن سوى تمثيلية ألفتها أمى ، واشتركت فى تمثيلها أختى وخالتى ، بعد أن أقنعتهما أمى بأن عادل لا يصلح لى ، وانه يخدعنى .. وعرفت أن عادل كان يتردد فعلا على بيت خالتى ، ولكن ليسأل عن أخبارى ، يحاول أن يوسط أمى الحقيقية فى زواجنا ، لا ليغازل أختى ..

ولكن أيامها صدقت ..

صدقت أن عادل حاول أن يكون على علاقة مع أختى ..

وانهرت ..

انهرت كلى ..

واشتد بى المرض الذى لا اجد له دواء .. لم أعد أستطيع أن أقف على قدمى .. ووجهى أصفر يميل الى الاخضرار .. وكلما نظرت فى المرآة ، بكيت ..

وقد حاول عادل فى هذه الفترة أن يتصل بى فى التليفون ،

ولكنى كنت أرفض أن أرد عليه . .كانت امى تحمل الى آلة التليفون عندما يتحدث عادل ، وتقول لى وعيناها فى عينى كأنها تحاول أن تسلب ارادتى :

ــ عادل ...

واهز رأسى فوق الوسادة . وأقول بصوتى الضعيف المنطلق من تحت أثقال قلبى :

ــ مش عايزه أكلمه .. مش عايزه اسمع صـــوته .. ولا سيرته ..

وتلمع عينا أمى بالنصر ، وتقول فى سماعة التليفون :

ــ آسفه يا عادل يا ابنى .. نوجا تعبانه ، مش قادره تتكلم ..

وييئس عادل ويسافر الى الكويت ليتسلم عمله الجديد .. وارسل من هناك أكثر من خطاب .. لم يصلنى أى منها .. كانت أمى تستولى عليها وتخفيها عنى ..

وانا منهارة ..

احس انى تيتمت .. كل قطعة منى اصبحت يتيمة .. كل قطعة فقدت اباها الذى رباها وكبرت فى أحضانه .. شفتاى يتيمتان .. نهداى يتيمان .. عنقى يتيم .. كل قطعة منى لا تدرى مصيرها بعد أن فقدت عائلها .. كل قطعة لمسها عادل تبكى لمسته ، كل قطعة سقاها بنظرته تبكى نظرته .. واحساسى باليتم يذيبنى .. والحيرة تمزقنى . الحيرة فى تصور مستقبلى .. لم اكن اتصور ابدا ان يكون فى حياتى رجل آخر .. رجل يقبلنى كما كان يقبلنى عادل .. ويلمسنى كما كان عادل يلمسنى .. ويعيش فى قلبى كما كان عادل يعيش فى قلبى .. مستحيل ..

مستحيل أن أكون لرجل آخر .. أبدا .. ان مجرد الفكرة تخنق أنفاسى ..

وأمى لا تبخل على علاجى ..

السحرة والدجالون لا ينقطعون عن البيت ..

والأطباء ..

وقد أشار أحدهم بضرورة اجراء عملية المصران الأعور .. وفرحت برأيه .. كنت أريد أن يحدث لى أى شىء يلهينى عن عذابى .. أن أنتقل من هذا البيت .. وأدخل مستشفى .. وأغيب تحت البنج .. ويفتح بطنى .. وأجد نوعا آخر من الألم الذى يضيق به صدرى .. والمرضات .. وباقات الزهور .. والاهتمام الذى يحيط بى .. كل ذلك قد يلهينى عن عذابى ..

ولكن أمى ترددت فى اجراء العملية ..

تخاف على من شق بطنى .. رغم أنها لم تخف على من شق قلبى ..

وكانت قد سمعت فى هذه الأثناء عن هاشم .. أقصد الدكتور هاشم عبد اللطيف .. سمعت عنه ، وعن معجزاته ، من كثير من العائلات الكبيرة التى تعرفها وتتودد اليها .. فقررت أن تستدعيه ليقول رأيه قبل اجراء العملية .. ولم يكن استدعاء الدكتور هاشم سهلا .. انه دائما مشغول .. ومواعيده تحجز قبلها بأسبوع أو أسبوعين ... ولكن أمى لا تعجز .. لقد استطاعت أن تصل الى عائلة صديقة لعائلة الدكتور هاشم ، واستطاعت أن تحدد معه موعدا لزيارتى عن طريق أخته ..

وجاء هاشم بيتنا ..

رأيته لأول مرة ..

عيناه الواسعتان الطيبتان .. وجفناه المنتفخان كأنه يحمل تحتهما بلسما يكفى لشفاء الناس كلهم .. وأنفه الكبير الصامت كأنه ينوء بعبقريته .. وشفتاه المبتسمتان دائما كأنه يمسح بابتسامته آلام مرضاه .. وشعرات بيضاء منتثرة فوق راسه كأنها بريق ذكائه .. ورائحته نظيفة تفوح منه كأنها رائحة الهواء النقى ..

انه شخصية ..

شخصية ملأت البيت كله ..

ان شخصيته أراحت أعصابى واطلقت ابتسامتى بمجرد أن رايته ..

وجذب هاشم مقعدا وجلس بجانب الفراش ببساطة كأنه صديق قديم ، وقال وهو يبتسم وينظر فى عينى ليختبر صفاء بياضهما :

— ازيك يا حلوه .. مش عيب تعيى وتزعلى ماما بالشكل ده ..

وقلت وانا اتأوه :

— أنا تعبانه يا دكتور .. تعبانه .. حاسه أنى مخنوقه .. و ..

وقاطعنى وهو يبتسم فى وجهى :

— حانشوف دلوقتى ..

وقالت أمى وهى واقفة عند راس السرير :

— اعمل لك قهوه يا دكتور ..

وقال هاشم بسرعة دون ان يلتفت اليها :

— مضبوط من فضلك .. بس ما تجيبهاش دلوقت .. بعدين ..

وترددت أمى قليلا .. لم تكن تريد أن تتركنى وحدى مع الدكتور .. ولم تستطع أن تهمل طلب الدكتور للقهوة ولأول مرة أحس أن شخصية أمى تهتز كأن شخصية أخرى على وشك أن تبتلعها .. ثم خرجت لتأمر باعداد القهوة للدكتور ، وعادت بسرعة .. لتقف بجانبى ..

وأخرج هاشم مفكرة صغيرة من جيبه ، وشد من جانبها قلما أنيقا رفيعا ، وأخذ يسألنى عشرات الأسئلة .. ويسجلها .. ثم أعاد المفكرة الى جيبه .. وبدأ يفحصنى .. وقد عقد ما بين حاجبيه ، كأنه يركز ذهنه كله فى أصابعه التى يتحسسنى بها .. وأصابعه رقيقة حانية مهذبة ، خيل الى أن الألم يهرب من تحتهما .. كلما لمس قطعة منى أحس أنها شفيت ، وأحتار ماذا أقول له .. انى أذكر أن الألم كان هنا ، ولكنى الآن لا أشعر به .. وصمت كبير يحيط بنا وهو يفحصنى .. البيت كله صامت فى خشوع .. وأمى تكاد تحبس أنفاسها .. بل خيل الى أن حى الجيزة كله قد صمت وهاشم يفحصنى ..

وانتهى هاشم من فحصى ، ونظر الى طويلا ، كأنه حائر فى .. ثم أخذ يقلب فى روشتات الأطباء الذين سبقوه فى الكشف على .. ثم هز رأسه وقال كأنه اتخذ قراره ، وابتسامته تملأ شفتيه :

ـ أقول لك حاجة بس ما تزعليش ؟

ورفعت اليه عينين متسائلتين .. واستطرد قائلا :

ـ انتى ما عندكيش حاجه .. كل حته فيكى سليمه وزى البمب .. كل اللى عندك تقلصات شديده فى المصارين وفى المعدة ، وفى عضـــلات الصدر .. نتيجة أزمة عصبية .. وضعيفة ..

ونظرت اليه كأنه كشف سرى ، وقلت :

ــ بس أنا تعبانه قوى يا دكتور .

وقال مبتسما :

ــ عارف .. الاعصاب بتتعب ، أكتر من المرض العضوى .. وانا حاكتب لك على دوا مقوى ، ودوا يريح أعصابك .. انما الدوا مش كفايه ، لازم انتى تساعدى نفسك ..

وقالت امى :

ــ يعنى ما تعملش عملية الأعور يا دكتور ؟ ..

ــ هى ما عندهاش الأعور .. انما لو حبت تعمل عمليه علشان تتسلى ، مافيش مانع .. بس مش دلوقتى .. بعد ما تتقوى ..

ونظرت اليه مرة ثانية كأنه قرأ ما فى راسى ، وقلت :

ــ واساعد نفسى ازاى ؟ ..

ونظر فى ساعته ، ثم ابتسم لى كأنه يربت بابتسامته على خدى ، وقال :

ــ أنا قدامى ربع ساعه اقدر اشرب فيها القهوه ، واشتغل لك دكتور نفسانى .. احكيلى ..

وقلت وانا أنظر الى وجهه كأنى أبحث عن مكان أستريح فيه :

ــ أحكيلك ايه ؟ ..

قال فى هدوء :

ــ احكيلى عن آخر حاجه زعلتك ..

ونظرت الى امى متسائلة ..

وتبع نظراتى ، ثم قال :

ــ بلاش ماما تقعد معانا .. عن اذنك يا هانم سيبينى مع ..رى .. وابعتى لى القهوه ..

كان هاشم يتكلم ببساطة مذهلة ، رقيقة ، مهذبة ، كأنه الى وصاحب حق علىَّ .. ولم تستطع أمى أن تقاوم بساطته ..رددت برهة ، ونظرت الىَّ ، ثم نظرت اليه ، وقالت وهى تخرج .ن الغرفة :

ــ طيب يا دكتور .. بس على الله يكون الشفا على ايديك ..

وبقيت معه وحدى ..

واحسست بالحرج ..

لا ادرى لماذا ..

واحترت ماذا اقول له .. احترت من اين ابدا .. ونظر الى وابتسامته لا تزال تربت على خدى ، وقال :

ــ تحبى اساعدك .. انتى يا ستى بتحبى واحد .. وبعدين .. كملى انتى بأه ..

وقلت وانا أرخى أهدابى فوق عينى :

ــ ما كانش حبيبى بس .. كان خطيبى .. اتخطبت له من خمس سنين .. كان عندى اتناشر سنه .. و ...

وبدات اروى له القصة كلها .

رويت له كثيرا من التفاصيل .. تفاصيل صغيرة لا تهمه وليس لها اثر فى حياتى .. ولكنى كنت أختزن الكلام طول عمرى ، فانطلقت افرغ كل طاقتى على الكلام .. ولا اريد أن انتهى .. وكلما تكلمت أكثر ، استرحت أكثر .. وهو يستمع فى هدوء ، وصبر ، واهتمام ، كأن قصتى تعنيه فعلا ..

اخفيت عنه انى ابنة متبناة ..

واخفيت عنه انى لست عذراء ..

واخفيت عنه ايضا ان عادل كان يغازل أختى ..

لقد حاولت الا اخفى عنه شيئا .. ولكنى لم استطع .. لا لعدم ثقتى به .. فقد اعطيته كل ثقتى ، ولكن لأنى احسست بالخجل .. لم ارد ان ابدو امامه بشىء يشيننى .. ربما لأنى احسست منذ اليوم الأول ان هاشم بالنسبة لى لا يمكن أن يكون مجرد طبيب .

وقلت بعد ان تعبت من الكلام :

ــ أنا حيرانه يا دكتور مش عارفه حاعمل ايه .

ونظر الى كأنه يمسح آلامى برموش عينيه ، وقال :

ــ ما حدش حايقدر يقول لك تعملى ايه .. لأن ماحدش يقدر يحس باللى انتى حاسه بيه .. يعنى انا عارف دلوقتى انك بتحبى عادل .. انما ما اقدرش أعرف انتى بتحبيه قد ايه .. وماقدرش أعرف الحب ده يستحمل ايه وما يستحملش ايه .. لا انا .. ولا مامتك .. ولا حد فى الدنيا يقدر يعرف .. انتى لوحدك اللى تقدرى تعرفى ، وانتى لوحدك اللى تقدرى تاخدى قرار ...

قلت وانا انظر اليه مبهورة به :

ــ بس انا حيرانه يا دكتور .. مش قادره آخد قرار ..

ونظر الى كأنه يفحصنى من جديد ، وقال :

ــ الحيرة بين عقلك وقلبك .. يمكن بتحبيه انما مش مقتنعه بيه ..

قلت :

ــ وممكن الواحده تحب من غير ما تقتنع ؟

قال :

ـــ ممكن .. ويبقى حب مشوه .. زى المولود اللى يتولد من غير عقل .. يعيش طول عمره معتوه ..

قلت وعيناى سارحتان وراء خيال عادل :

ـــ الحقيقه أنا مش مقتنعه بيه قوى .. اصله شقى .. وعينه زايفه ..

ووضع الدكتور هاشم فنجال القهوة من يده ، وقال :

ـــ المهم انك تاخدى قرار .. تاخديه بقلبك وبعقلك .. ويوم ما تاخدى القرار ده ما تخليش حاجه تقف فى سكتك .. اذا قررت انك تتجوزيه اتجوزيه مهما حصل .. واذا قررت انك تسيبيه ، سيبيه مهما حصل برضه ..

قلت كأنى أتشبث به حتى لا يتركنى :

ـــ والألم اللى باحس بيه يا دكتور ؟

قال :

ـــ كله من أعصابك .. أى صدمة عاطفية بتأثر على الأعصاب .. وأكتر حته بتأثر فيها الأعصاب هى الجهاز الهضمى ، ومنطقة الصدر .. ودول اللى بتتألمى منهم .. والدوا اللى كتبته لك حايرخى أعصابك .. وينيمك كويس .. انما زى ما قلت لك .. مش كفاية .. لازم تواجهى مشكلتك ، وتحليها .. خدى قرار .. واستحملى نتيجته .. وأول حاجه تعمليها دلوقتى ، انك تقومى من السرير ..

وقام واقفا ..

وبسرعة مد يده الى غطاء السرير وجذبه من فوقى ، وقال وهو يبتسم :

ـــ قومى قدامى لما اشوفك ..

ومددت يدى بسرعة أجذب قميص نومى فوق ساقى .. وأنا

احس بدمائى تجرى بسرعة فى عروقى وتزدحم فى وجنتى .. وقلت هامسة :

ـ مش قادره يا دكتور ..

وقال فى لهجة آمرة :

ـ لا .. تقدرى .. واندهى لماما علشان تفرح بيكى ..

ورفعت صوتى الضعيف أنادى امى :

ـ ماما .. ماما ..

وكانت امى بجانب الباب .. ربما سمعت كل كلمة قلتها للدكتور .. ودخلت قبل أن يضيع صدى ندائى . وقال لها هاشم :

ـ نجوى حاتقوم من السرير .. ومش عايزها ترقد فيه تانى الا لما تحب تنام .

ومدت امى ذراعها لتعيننى على مغادرة الفراش ..

وقال هاشم فى لهجة آمرة :

ـ سيبيها تقوم لوحدها ..

وشدت امى ذراعها بعيدا عنى كأن أمر هاشم قد سرى فيه ..

وقمت من الفراش ..

كان قد مضى علىّ اكثر من شهر وانا راقدة .. واحسست بقدمى وهما تلمسان الأرض ، كأنهما تسقطان على شوك .. وشعرت بدوار .. كدت أقع .. فسندتنى أمى ، وأخذتنى فى صدرها .. وعاد هاشم يقول بلهجته الآمرة :

ـ قعديها على الكرسى .

وأجلستنى أمى على المقعد الذى كان يجلس عليه هاشم .. وجلس هاشم على حافة السرير .. وقرب وجهه من وجهى ، وقال :

— أسمعى يا نجوى .. انتى ضعيفه .. ضعيفه قوى .. ولغاية ما تتقوى انتى معرضه لحاجات كتير .. ولازم تاخدى بالك من نفسك كويس .. أنا ماالقدرش أعالجك من غـــير ما تساعدينى .. كلى كويس .. ونامى كويس .. واضحكى .. واخرجى من البيت أول ما تحسى انك تقدرى تخرجى .. اتفسحى .. وشمى هواء ..

وهززت رأسى قائلة فى ضعف :

— حاضر ..

والتفت الى أمى قائلا :

— أرجوكى يا هانم .. ما تخليش نجوى تقعد لوحدها .. لمى لها صاحباتها .. واللى بتحبهم .. واعملى لها كل حاجه هى عايزاها ..

ثم عاد الى وقال ضاحكا :

— لو ما كنتش دكتور .. كنت قلت لك اعملى زار ..

وقالت أمى وقد تهلل وجهها :

— والنبى دى الست سكينة قالت نفس الكلام .. ووصفت لنا الزار ..

وقال هاشم وهو لا يزال يضحك :

— ما تصدقيش الست سكينه ..

ثم عاد الىّ قائلا :

— بدل الزار روحى ارقصى واسمعى مزيكه .. انتى بتحبى المزيكه ؟

وهززت رأسى بالايجاب وأنا أحس بدمائى تعود وتزدحم فى وجنتى .. وقالت أمى :

— دى طول النهار والليل فاتحه الراديو على أخره ..

وقال هاشم ضاحكا :

ــ خليه مفتوح على اخره ..

ثم مد يده الى وهو محتفظ بيدى فى يده :

ــ خلاص يا نجوى .. توعدينى انك تعالجى نفسك .. وانا اوعدك انك لو خففى نفسك حا اشغلك معايا دكتوره عنشان نخفى كل الناس ..

وتركنا هاشم .

تركنا بعد أن ملأ البيت حياة .. وملأنى تصميما على أن اتخلص من الحالة التى أعانيها .. وقالت أمى بعد أن أوصلته الى الباب وعاد تالى :

ــ ده باين عليه دكتور شاطر قوى .. على طول عرف الى فيكى .. والنبى كان حقنا خليناه يكشف على ابوكى بالمره ..

وقلت وانا ساهمة وراء هاشم :

ــ المره الجايه ..

وقالت امى وهى تنظر فى وجهى كأنها لا تفهمنى :

ــ المره الجايه ليه باه .. الراجل قالك انك ما فيكيش حاجه .. بس تتقوى ، وتنسى الحكايات اللى فى مخك .. واللا يعنى لفاويه تغرمينى خمسه جنيه كمان ..

قلت وأنا لا زلت ساهمة :

ــ ده يستاهل عشره ..

وقد ارتحت يومها فعلا ...احسست بأنى أزحت عن صدرى حملا ثقيلا .. واستطعت أن انسى عادل لساعات طويلة .. ثم نمت نوما عميقا بعد أن تناولت حبة من حبوب « الليبرم » التى وصفها لى الدكتور هاشم ..

ولكنى فى اليوم التالى بدأت أضعف من جديد أمام قصتى مع

عادل .. بدأت ألاف الذكريات تدهمنى .. وأتذكر أنى لست عذراء .. واتذكر أن عادل غازل أختى .. وأتذكر أنى لن أتزوجه .. وأتذكر أنى معرضة لرجل آخر فى حياتى .. وبدأت أعصابى تتلف من جديد .. وعضلات صدرى تنقبض وتؤلمنى .. ومعدتى تنقبض كأن يدا قاسية تعصرها .. وراسى يلتهب كالنار ..

واليوم التالى ..

واليوم الثالث ..

وأنا أتألم .. اتعذب .. الاحساس بالاختناق يعاودنى ..

وصرخت فى أمى :

ــ ابعتى هاتيلى الدكتور هاشــــم .. كلميه فى التليفون دلوقتى ..

ونظرت الى أمى وقالت :

ــ ولازمته ايه بس الدكتور ..

وصرخت :

ــ ما هو يا تجيبيلى الدكتور هاشم ، يا تجيبيلى عادل ..

وامتلأت عينا أمى بالدهشة ..

ولم أكن أقصد شيئا ..

أمى فهمت أشياء لم أقصدها فى هذه الأيام ..

ربما لمحت فى عينى ، مستقبلى ..

كانت أمى مستعدة أن تفعل أى شىء لتبعد عنى شبح عادل ، فاستدعت لى الدكتور هاشم مرة ثانية .. وقد دهش هاشم عندما طلبته أمى فى التليفون .. كان متأكدا أن حالتى لا تستدعى أن يعود لزيارتى .. ورغم ذلك استسلم لالحاح أمى ، وجاء ..

وانتظرته كأنى على موعد معه .. ليس موعدا مع طبيب ، لكن موعدا مع رجل .. غيرت قميص نومى ، وارتديت قميصا

من « الفيللا » ، لونه فى لون الورد الفاتح ، طويل الأكمام ، يغطى صدرى حتى رقبتى .. وطلبت من امى ان تغير ملاءات السرير .. فرشت ملاءات لونها أزرق سماوى .. ورقدت مستندة ظهرى الى الوسائد .. وامسكت فى يدى بمرآتى الصغيرة ، واخذت أمشط شعرى بالمشط المسحور الذى حفرت عليه الست فيكتوريا رموزها السحرية .. ثم .. خرجت من صدرى تنهيدة عميقة ساخنة .. كأنها شياط قلبى .. ففى هذه اللحظة ، وأنا أستعد للقاء هاشم تذكرت عادل .. لا شىء يمكن أن ينزع عادل من قلبى حتى ولا هاشم ..

وكانت امى ترقب حركاتى .. وترقب كل نظرة فى عينى .. وتبدو الدهشة على وجهها وهى ترى اهتمامى باستقبال هاشم .. ثم تبتسم دون أن تعلق بشىء .. كأنها وجدت اخيرا الدواء الذى يشفينى من عادل .. وقالت وابتسامتها تتعثر فى وجهها المكرمش :

— نعمل ايه كمان يا نوجا .. مش تفتكرى نبعت نجيب شوية شيكولاتة نقدم له منها ..

ورفعت اليها عينين غاضبتين وقلت :

— ما فيش لازمه ..

ثم ألقيت بمرآتى الصغيرة جانبا كأنى خجلت لأن أمى كشفت سرى ..

وجاء هاشم ..

الشعرات البيض فوق رأسه كأنها بريق ذكائه .. وعيناه الطيبتان .. وجفناه المنتفختان كأنه يحمل تحتهما بلسما يكفى لشفاء البشر كلهم .. وابتسامته الهادئة التى يربت بها على خدى .. ورائحة نظيفة تحيط به كأنها رائحة الهواء الطلق ..

وتعلقت بعينيه كأنى استجير بهما من عذابى ..
وقال وابتسامته تتسع لى :
ــ انتى لسه راقده يا نجوى .. انا مش قلت لك تقومى من السرير ..
وقلت وعيناى تتبعان عينيه :
ــ مش قادرة يا دكتور .. كل ما أقوم أحس بدوخه ..
وقال وهو يجلس على مقعده :
ــ انتى بتدلعى ..
وقلت كأنى اتأوه :
ــ ابدا والله يا دكتور .. صدقنى .. أنا تعبانه ..
وامسك بيدى يعد نبضى .. وشد جفن عينى ليرى لونه ..
وامى واقفة على راس السرير ، تدير عينيها بينى وبينه ، كأنها تحاول ان تقرأ ما فى راسى وما فى راسه ..
وقال هاشم وابتسامته لا تزال تربت على خدى :
ــ مش بتنامى كويس بعد ما بتاخدى الدوا ..
قلت :
ــ بنام كويس .. بس باقوم من النوم زى المفزوعه .. ومن أول ما اقوم من النوم باحس بالتعب .. الم فى صدرى ، والم فى معدتى ..
وقال وهو ينظر الىّ فى حنان كأنى ابنته :
ــ انا مش حاكشف عليكى تانى .. ومش حا اغير لك الدوا .. لانك لسه ما خدتيهش ..
قلت كأنى أنفى عن نفسى تهمة :
ــ ابدا والله باخد الدوا كل يوم ..
قال :

ــ الدوا المهم انك تخرجي وتتفسحي وتضحكي ..
قلت :

ــ مش قادره يا دكتور .. ماليش نفس ..

ونظر الىّ في حيرة .. واحسست فجـأة كأني أعذبه .. احسست كأني نادمة لأني اتعبه معي .. صعب عليّ في حيرته ..
وقال وهو يتنهد :

ــ مش عارف أقول لك ايه يا نجوى .. حالتك مش ممكن تخفي منها الا بارادتك .. انك تكوني قويه .. وزي ما قلتلك .. تاخدي قرار وتصممي عليه مهما كانت الظروف .. ومهما تعبت فيه ..

وأحنيت رأسي وقلت كأني اخاطب نفسي :
ــ اصل فيه حاجات ما قلتهاش لك ..
ورفعت رأسي ونظرت الى أمي قائلة :
ــ تسمحي تسيبينا لوحدنا يا ماما ..

ونظرت أمي الىّ في دهشة ، ولوم ، كأنهـا تؤنبني على وقاحتي .. ثم التفتت الى هاشم وقالت كأنها تستر وقاحتي :

ــ تحب أعمل لك قهوه يا دكتور ؟
وقال هاشم وهو يبتسم ابتسامة صغيرة :
ــ لو سمحت ..

وخرجت أمي .. وقبل أن تصل الى الباب التفتت اليّ ، ثم التفتت الى هاشم .. كأنها توصيه بي ..

ونظر اليّ هاشم ينتظر مني أن اتكلم ..
وقلت وأنا اعبث بأصابعي في ملاءة السرير :
ــ عايزة اقول حاجه لازم تعرفها علشان تعرف حالتي ..
وقال وهو يبتسم لي كأني طفلة :

— خير ..
ورفعت اليه عينى كأنى أعده بمفاجأة كبيرة ، وقلت :
— تعرف أن ماما دى ، ما تبقاش ماما ..
ورفع هاشم عينيه كأنى فعلا فاجأته :
— ازاى ..
قلت بسرعة :
— دى تبقى خالتى ..
قال :
— ومامتك عايشه ..
قلت :
— أيوه .. انما فتحت عنيه لقيت نفسى عايشه مع خالتى .. لقيت خالتى تبقى أمى ..
ومسح هاشم علامات الدهشة من فوق وجهه بابتسامته . وقال :
— وتفتكرى لو كنتى عايشه مع مامتك ، كانت حياتك اتغيرت ..
قلت :
— ما اعرفش .. انا عمرى ما عشت مع ماما ..
وقال الدكتور هاشم وابتسامته تتسع :
— شوفى يا نجوى .. انا مش حا اعالجك علاج نفسانى .. مش لأن ده مش اختصاصى .. انما لأنك مش فى حاجه لعلاج نفسى .. انتى مش معقده .. انتى قويه .. وشخصيتك قويه .. وظروفك كلها واضحه قدامك .. كل ما هنالك انك صدمت صدمة أثرت فى أعصابك ، وأعصابك أثرت على صحتك .. وكل اللى لازم تعمليه دلوقتى انك تستردى صحتك .. وبعد

ما تستردبها أعصـــابك حاتستريح وتقدرى تحلى مشكلتك .. تقدرى تاخدى قرار وتنفذيه .. تقدرى تنسى عادل .. أو تقدرى تهربى معاه .. تقدرى تعملى كل حاجه .

وقلت وعيناى معلقتان فى عينيه :

ـ ما أنا مش عارفه اعمل ايه .. حيرانه .. وحيرتى هى اللى تعبانى ..

قال وهو ينظر الىّ فى حنان :

ـ بكره حا افوت عليكى الساعه أربعه ، واخـــدك انتى وماما ، واخرجك من البيت ..

ونظرت اليه فى دهشة ..

ولكنى لم أصدم .. احسست أن من حقه أن يدعونى للخروج معه .. لقد دعانى ببساطة وقلب مفتوح .. احسست انه بالنسبة لى أكثر من طبيب .. وكأنى أعرفه من زمن طويل .. كأنى اكتشفته فى حياتى .. اكتشفت انه كان دائما فى حياتى .. كأنه اخى .. او ابن عمى .. وفرحت بهذا الاكتشاف .. فرحت فرحة كبيرة .. ودفعتنى فرحتى الى الاحساس بأنى شىء هام .. شخصية متميزة الى حد أن الدكتور هاشم يهتم بى كل هـــذا الاهتمام .. لا يمكن ان يكون هاشم يدعو كل مرضاه الى أن يصحبهم فى نزهة .. أنا وحدى .. انا شىء آخر .

وعادت أمى تحمل له فنجان القهوة ، وقال لها وعلى شفتيه ابتسامة كبيرة :

ـ بكره يا هانم حا افوت عليكم الساعه أربعة .. وآخدك انت ونجوى نتفسح فى العربيه شويه ..

واتسعت عينا أمى ..

ثم استراحت عيناها ، ولمعت فوق شفتيها ابتسامة ضيقة ، كأنها بدأت تفهم شيئا جديدا ..

وقالت :

ــ ده انت تعمل فينا جميل ما يتنسيش يا دكتور .. أصل ما حدش قادر على نجوى ابدا .. دى مجننانى ..

وشدت مقعدا وجلست بجانب هاشم وهو يرشف القهوة ..

ولأمى طريقة عجيبة فى اكتساب صداقة الناس عندما تحتاج الى صداقتهم .. انها تستطيع بسرعة أن تقنعهم بأنها ضعيفة ، وانها حائرة ، وتثير الاحساس بأنها فى حاجة الى رجل يقف بجانبها ويساعدها على مشاكلها .. لأنها سيدة كبيرة وحيدة ، ولأن زوجها عجوز مشلول .. وبسرعة تستطيع أن تحمل من تريد مسئوليتها ، ومسئولية مشاكلها .. وتشعره انه أصبح عضوا فى العائلة الصغيرة المكونة منها ، وأبى ، وأنا ..

واستطاعت بهذه الطريقة ان تكتسب صداقة هاشم .. وأن ترفع الكلفة بينها وبينه .. واستطاعت أيضا أن تمد نسبا بين عائلتها وعائلته .. وأخذت تحدثه عن العــائلات الكبيرة التى تعرفها ، واحدة بعد أخرى ، حتى وصلت الى عائلته .. وبدأت تستخرج منها أنسابا وفروعا الى أن فاجأته بأننا .. نسايب ! ..

وهاشم يستمع فى صبر ، وابتسامته بين شفتيه .. كأنه جالس مع صديق على مقهى يقطع معه الوقت فى كلام فاضى .. وينظر الى بين الحين والآخر ، نظرة ملؤها الطيبة والحنان كأنه يثبت لى انه لم ينشغل عنى بحديث أمى .. وبينى وبينه ابتسامة كأننا متفقان على أن كلام أمى ، كلام فاضى ..

الى أن فاجأته أمى قائلة :

ــ انما قول لى يا دكتور ، انت ما تجوزتش لغاية دلوقتى ليــه ؟

واحمر وجهى كأن امى جرحتنى ..

لا ادرى لماذا .. ولكنى احسست أن هذا السؤال يمسنى ، ويجرحنى ..

وقال الدكتور هاشم ، وهو يضع فنجال القهوة من يده :

ـــ يمكن ما لقتش لغاية دلوقتى اللى تقنعنى بالجواز ..

وقالت امى :

ـــ لا مالكش حق يا دكتور .. ده ..

وقبل ان تتم كلامها قام هاشم واقفا وهو يقول :

ـــ تسمحى لى يا هانم .. ميعاد العياده قرب ..

وفزعت أمى من فوق مقعدها قائلة :

ـــ ده انا كان نفسى تكشف على البية جوزى ..

ونظر هاشم فى ساعته وقال :

ـــ حاضر ..

ثم التفت الى وعيناه مبتسمتان ، كأنه يقول لى ان كل ما يحدث له من تحت رأسى ..

وصحبته امى الى غرفة أبى ..

وسرحت قليلا ..

ثم فجأة وجدت نفسى أنزع الغطاء من فوقى واجرى خلفهما وانا بقميص النوم حافية القدمين .. كانى لم اكن استطيع ان تفوتنى لحظة ارى فيها هاشم .. وكانى تخلصت من ضعفى ومن ضيقى ، من الم التقلص الذى كان يخنق كل قطعة من جسدى ..

ورفع هاشم راسه من فوق قلب ابى ، ورآنى واقفة امامه فابتسم ابتسامة كبيرة فرحة .. ثم رآنى فى قميص النوم فخفض

... بسرعة ، وخيل الى انى لمحت لمسة حمراء تطوف ... وجنتيه ..

واتم هاشم فحص ابى ..

واقر علاج الأطباء الذين سبقوه ..

وصافحنى وهو يقول مبتسما :

— بكره حا اشوفك يا نجوى .. وما ترجعيش السرير تانى الا ساعة ما تيجى تنامى ..

ورفض ان يأخذ اتعابه ، وقال لأمى وهى تلح عليه :

— احنا خلاص بقينا عيله واحده ..

وخرج ..

وعينا ابى تبتسمان خلفه ، وتهتهات خافتة تخرج من شفتيه المشلولتين ، كأنه يباركه .. لقد احبه ابى ..

وانا واقفة كالمسطولة .. احاسيس كثيرة تنتابنى ، لا ادرى سببها ولا ادرى حقيقتها ..

ولم أعد الى فراشى ..

بقيت ادور فى البيت .. ولا ازال مسطولة .. واجد نفسى افكر فى هاشم ، فأحس انى سخيفة .. لا يمكن ان يتجه تفكيرى اليه فى هذا الاتجاه ، لمجرد انه طبيب طيب القلب كل ما يحاوله ان ينقذنى من ازمتى ، ويساعدنى على ان استرد صحتى .. ليس من حقى أن افسر تصرفاته بأكثر من هذا .. وابعد هاشم عن تفكيرى وانصرف الى التفكير فى عادل .. خيل الى انى اصبحت افكر فى عادل حتى لا افكر فى هاشم .. واصرخ فى أمى :

— وحياتى عندك .. انشاء الله تعدمينى .. قولى لى الحقيقة .. عادل ما بعتش جوابات ؟

وترد امى وهى تتشاغل عن النظر فى عينى :

— ما بعتش ..

واعود ادور فى البيت .. افتح الراديو .. ثم اغلقه .. وافتح كتبى المدرسية .. واحاول أن أذاكر .. ثم القى بها على مدى ذراعى .. ثم اجد نفسى أعود لأفكر فى هاشم .. واشعر بسخافتى .. واشعر انى احلم بشىء لا يمكن أن يتحقق .. شىء كبير .. شىء غال .. لا يمكن أن يكون من نصيبى ..

وامى ترقبنى بعينين يقظتين كأنهـــا تخنـــق كل حركة من حركاتى ..

واخذتنى فى حضنها فى المساء واخذت تحدثنى عن الدكتور هاشم .. حديثا يبدو عاديا .. ولكنى اعلم خبث أمى .. انى افهمها جيدا ، كما تفهمنى جيدا .. انها تحاول أن تضع هاشم فى قلبى مكان عادل .. وتثير به احلامى .

وقالت :

ـــ انما تفتكرى الدكتور هاشم عنده كام سنه ؟ ..

قلت وأنا ادير لها ظهرى :

ـــ ما اعرفش ..

قالت كأنها لن تكف عن الحديث عنه أبدا :

ـــ ده راجل فى عزه .. ولا باين عليه سن .. وعيله .. ومركز .. وغنى .. يا بخت اللى تتجوزه .

وتركتها تهرف ..

وتناولت حبة « الليبرم » وحاولت أن انام ..

نمت نوما متقطعا رغم « الليبرم » ..

وفى اليوم التالى ..

جاء هاشم ..

كنت اريده الا يجىء .. كنت اريد أن اقنع نفسى بأن كل ما تخيلته كان مجرد حلم ومضى .. ولكن الطبيب جاء لينقذ مريضنه

.. ويذكرنى بأحلامى .

وارتدت أمى البالطو الأسود ، ووضعت فوق راسها العمامة او « التيربون » الأسود . وهو الزى الذى تخرج به دائما .. وارتديت انا ثوبا أحمر .. اكمام طويلة وصدر مقفول .. لعل اللون الأحمر يخفف من هزالى واصفرار وجهى ..

واختارت أمى المقعد الخلفى ، قبل أن يختاره لها أحد ..

وتركتنى أجلس بجانب هاشم ..

وانجهنا الى طريق المعادى .. وهاشم يتحدث طول الطريق .. ويحرص على أن يوزع الحديث بينى وبين أمى ، بل كان يتعمد أن يتجه بحديثه الى أمى أكثر مما يتجه به الى .. كمظهر الأدبه ، ورقته .. وكان مرحا ، منطلقا .. اضحكنى كثيرا .. نسيت فى ضحكانى كل حيرتى فى أحاسيسى نحوه .. بل انه اضحك أمى ايضا ، التى لا تضحك الا نادرا ..

وفجأة انقطعت ضحكتى . كأنها اصطدمت بصخرة كبيرة صرعتها ..

تذكرت شيئا ..

شيئا كان مركونا فى جانب عقلى ، ولم اشعر بأهميته أبدا وانا افكر فى عادل .. ولكنى الآن وانا بجانب هاشم ، اشعر به كبيرا بشعا كأنه شق مفتوح يمتد فى جسمى كله ، من أول عنقى الى قدمى ...

تذكرت انى لست عذراء ..

ماذا يعنى هذا ؟

لا شئ ..

لا شىء بالمرة ..

لا شىء جديد يبدو على وجهى ، او على جسمى .. م

تتغير مشيتى ، ولم تتغير رنة صوتى ، ولم يتغير منطق تفكيرى ... لا شىء حدث لى . لم اكن فتاة فاضلة ، واصبحت غير فاضلة .. لم اكن فتاة صغيرة واصبحت كبيرة .. انى لا احس باحساس المراة .. لا اعرف ما هو احساس المراة .. احاسيسى الجسدية لم تتغير .. لا شىء .. لا شىء ..

ورغم ذلك فانى لا استطيع ان اقنع نفسى بأنى لم اتغير . ان احساسا جديدا ينتابنى .. احساسى بأنى فتاة ليست عذراء .. أو هو احساسى بأنى فتاة ناقصة .. لست كباقى البنات .. ربما لم يعد من حقى أن ارتبط بهذه الارتباطات البريئة الساذجة التى تجمع بين الأولاد والبنات .. لا يمكن أن تقوم بينى وبين هاشم ، علاقة بريئة .. انى امراة .. لست فتاة ..

ووجدت نفسى اطل من نافذة السيارة واتتبع كل بنت المحها فى الطريق .. واتساءل ، هل هى عذراء .. أم هى مثلى .. وخيل الى فى لحظة ان كل البنات عذارى .. حتى السيدات الكبار عذارى .. انا .. انا وحدى التى ليست عذراء ..

والتفت الى هاشم كأنى اهم ان اكشف له عن سرى .. مرت بى لحظة قررت فيها فعلا ان اصرح له بأنى لست عذراء ..

ولكن لسانى تخشب فى حلقى ..

ولكن لماذا اصرح له ؟ ..

ان أحدا لا يعلم ستوى أمى وعادل .. فان عادل لم يطلع احدا على ما حدث بيننا ..

وامى تقول ان ما حدث لا يهم .. عملية صغيرة بسيطة ، واعود عذراء .

وبصرف النظر عن العملية ، فانى لم افقد الأمل بعد فى زواجى من عادل ..

فلماذا أفضح نفسى ..

ثم ان هذا الموضوع ليس مشكلتى .. ان مشكلتى هى زواجى من عادل فلماذا أطلع هاشم عليه .. وما يستطيع هاشم أن ينصحنى به ..

ولكن لماذا أخفى هذا الموضوع بالذات عن هاشم .. ربما لانى أخشى ان اسقط من عينه .. اخشى ان ينظر الى نظرة جديدة .. نظرة الرجل الى فتاة ليست عذراء ..

ما هذا الهراء .. لماذا اتعب نفسى .. ثم من هو هاشم بالنسبة لى .. انه لا شىء .. لا شىء .. مجرد طبيب طيب القلب يعالجنى .. فلماذا اخلق فى حياتى مشكلة بسببه ... ولماذا انقاد الى خيالات واحلام ، ستبقى دائما مجرد خيالات واحلام ..

وزفرت أنفاسى فى ضيق ..

وسمعت صوت هاشم الملىء الكسول ، يقول لى :

ــ مالك .. سرحانة فى ايه ؟ ..

والتفت اليه وقلت وعلى شفتى ابتسامة مهتزة :

ــ ولا حاجه ..

وقال وهو يبتسم فى اشفاق :

ــ انا عارف انتى سرحانه فى ايه ؟

وابتسمت ابتسامة مسكينة ..

وبعد قليل اوقف هاشم السيارة على كورنيش النيل ، وهو يقول :

ــ ننزل نتمشى شويه ؟

ثم التفت الىّ وقال :

ــ علشان ما يبقاش لك حجه ..

ونزل من السيارة ..

وفتح الباب لأمي أولا .. ثم فتح الباب لي ..

ومشينا قليلا .. وانا اشعر بأن التقلصات التي أعاني منها بدأت تذوب فعلا .. أشعر بعضلات صدري مرتاحة .. ومعدتي مرتاحة .. ورغم ان خطاي كانت مهتزة من ضعفي ، الا أني اتعب من المشي .. وصدري منشرح .. أصبحت كل مشكلتي متجمعة في عقلي وحده ..

ووقف بنا هاشم يطل على النيل ..

وترددت امي قليلا ثم قالت :

— انتم حا تقفوا .. طيب انا حامشي شويه .. الين ركبي ، دنا بقالي شهر ما خرجتش من البيت ..

وتركتنا امي ومشت وحدها ..

ولم تكن سليمة النية ..

اني اعرف امي ..

لقد ارادت ان تتركني وحدي مع هاشم .. تعمدت أن تتركني له .. حتى تقرب بيننا .. وربما خيل اليها في هذه اللحظة أن هاشم سيصارحني بحبه .. واصارحه بحبي .. ويقبلني واقبله .. وينتهي موضوع عادل .. ويبدأ موضوع هاشم .. هذه هي طريقة تفكيرها .. اني أعرفها ..

واستند هاشم على سور الكورنيش ثم قفز جالسا على العمود الحجري .. قفز في رشاقة .. كأنه لا يزال في العشرين من عمره ..

ووقفت بجانبه أكاد التصق به ، وأنا احس بنفسي بجانبه صغيرة .. صغيرة .. لست صغيرة في حجمي ، ولكن صغيرة في شخصيتي ..

وأسقط هاشم نظراته فوقى ، وهو جالس اعلى منى ، فأسقط على دشا من الحنان يغسل به قلبى .. ثم قال :

ــ خدتى قرار فى مشكلتك ؟

ورفعت اليه عينى ، وقلت :

ــ ابدا .. لسه محتارة ..

قال :

ــ أنا عارف انه صعب .. ناس كتير بتحتار حيرتك .. مشكلتك مش مشكلتك انتى لوحدك .. مشكلة ناس كتير .. ساعة ما القلب بيقى فى ناحية ، والعقل فى ناحية .. يبقى من الصعب ان الواحد يستريح ، او ياخد قرار ..

وخيل الى ساعتها انه يتحدث عن نفسه ..

فى صوته رنة أسى وضيق ..

وقلت له وانا انظر فى عينيه أحاول أن اكتشف سره :

ــ لو كنت انت محلى يا دكتور .. كنت عملت ايه ..

وابتسم ابتسامة ساخرة ، يسخر بها من نفسه ، وقال :

ــ أنا محلك فعلا ..

قلت فى دهشة :

ــ ازاى ؟

قال وهو يشكو لى همه :

ــ انا كمان باعرف واحده ومش مقتنع بيها .. بقالى ٨ سنين باعرفها ، ولغاية دلوقت مش عارف أحدد موقفى منها .. مش قادر أسيبها ، ومش قادر أفضل معاها .

قلت وقد احسست فجأة انى كبرت .. أصبحت اكبر منه .. كأنى امه . واحساس باللهفة عليه ينتابنى :

ــ بتحبها ؟ !

قال وهو يلتفت براسه الى النيل ، ويغرق نظرته فى مياهه . كأنه يحاول أن يكتشف أعماقه :

ــ مش عارف . . ساعات بيتهيألى انى باحبها ، يرجع عقلى يقول لى انى مش ممكن أكون باحبها . . لما اكون بعيد عنها أبقى عايز أشوفها ، ولما اكون معاها أبقى عايز أهرب منها . . مش عارف . . مش عارف . . كل اللى انا متأكد منه هو احساسى بأنى مسئول عنها . . ويمكن ده الاحساس الوحيد اللى رابطنى بيها . .

قلت له وعقلى يتخيل مختلف الصور :

ــ مسئول عنها ازاى ؟

قال :

ــ مسئول عن غلطتى معاها . . مسئول عن أول يوم شفتها فيه وخرجت معاها ، وضعفت قدامها . .

وقفز الى ذهنى ما جرى بينى وبين عادل يوم ذهبت مع عادل الى شقة اخيه . . يوم اصبحت بنتا ليست عذراء . . هل حدث نفس الشىء بين هاشم وفتاته . . وقلت له ورموشى ترتعش فوق عينى :

ــ هى بنت زيى كده ؟

قال مبتسما :

ــ لأ . . اكبر منك بسبع سنين . . وكانت متجوزه ومطلقه . .

واسترحت . .

لا أدرى لماذا استرحت . . ربما لأنى كنت اريد أن احتفظ لهاشم بمكانة اكبر من بقية الرجال بما فيهم عادل . . وقلت وأنا ابتسم فى سذاجة ، محاولة أن اكون السيدة الكبيرة العاقلة التى تحل له مشاكله :

— وما تتجوزهاش ليه .. يمكن أما تتجوزها تستريح ..
قال :
— مش ممكن .. لأنى مش مقتنع بيها .. زى ما انتى مش مقتنعه بعادل ..
وأحنيت رأسى وقلت :
— أنا كنت مقتنعة خالص بيه .. انما الحاجات اللى عرفتها عنه طيرت اقتناعى .. وأهلى كمان مش موافقين .. كل أهلى .. أمى اللى عايشه معاها ، وأمى التانيه .. وأبويا اللى مربينى ، وأبويا الحقيقى .. كلهم .. كلهم .. ماحدش موافق أبدا ..
قال وهو يبتسم ابتسامته الهادئة :
— لو كنتى مقتنعة بيه ، كنت اتجوزتيه حتى لو كانوا أهلك مش موافقين ..
قلت كأنى أخاطب نفسى :
— وسافر .. سافر الكويت ..
قال :
— برضه كنتى اتجوزتيه ..
وبقيت صامتة ، وعقلى سارح ..
واستطرد :
— اللى عايز أقوله لك .. انك مش مظلومة .. ومش ضحية .. ومامتك مش السبب .. لو كنتى انتى مقتنعة بالجواز .. كان زمانك هربتى له .. كان زمانك كسرتي الدنيا علشان توصلى له .. النهارده ما فيش بنت ما بتعملش اللى هى عايزاه خصوصا فى مسألة الجواز .. وانتى قويه .. وذكيه .. مش ناقصك حاجه .. لكن مش مقتنعه ..
هل هذا صحيح ..

لا ادرى ..

ولكنى لا أحس بأنى أريد أن أهرب من بيتى ومن أمى لأتزوج عادل .. لقد أصبحت مترددة .. أصبحت أخاف من عادل .. لا أثق به .. انى فعلا غير مقتنعة به .. ولكن هل برئت من حبه .. لا .. لا اظن .. انه لا يزال يعيش فى قلبى .. ويعيش فى جسدى .. انه الرجل الوحيد الذى وهبته هذا الجسد .. ولا استطيع ، حتى اليوم ، ان اتصور رجلا آخر يلمسنى ..

ولم اتكلم .. بقيت صامتة ..

وقال هاشم كأنه يرد على خواطرى :

— متهيأ لى ان مش كل حب ينفع للجواز .. الجواز يعنى هدوء ، واستقرار ، واولاد ، ومستقبل ، ومحتاج لحب يساع ده كله .. انما فيه حب مجنون ما يستحملش الاستقرار ، ما يقدرش عليه .. حب ناقص .. تعرفى أنا ما اتجوزتش الست اللى قلت لك عليها ليه .. لأنى مقدرتش احترمها .. عمرى ما احترمتها .. عمرى ما حسيت ان عندها كرامة علشان احترمها .. والحب اللى ينقصه الاحترام ، مش ممكن ينفع للجواز ..

وقلت وانا ساهمة :

— ده صحيح ..

ومرت بيننا فترة صمت ، وكل منا ينظر فى صفحة النهر الكبير ، كأنه يغرق فيه مشاكله ..

وفجأة رفع هاشم راسه ، كأن جرس منبه رن فى صدره .. ونظر فى ساعته .. وقال مبتسما :

— ميعاد العياده جه ..

ثم ضحك قائلا :

— احمدى ربنا انك ما حبيتيش دكتور .. كان عكنن عليكى

كل ساعه بالعيانين بتوعه ..

ورفعت اليه عينى وفيهما نظرة لوم .. ثم قلت وأنا أبعد عينى عنه وابتسامة خجلة فوق شفتى :

ــ ليه . . فيه دكاتره كل البنات تتمنى تحبهم ..

وابتسم هاشم ..

وخطونا نحو السيارة ..

وفجأة وقفت ورفعت اليه وجهى ، وقلت فى رنة اصرار كأنى طفلة صغيرة مدللة :

ــ أقدر أعرف اسم البنت اللى بتحبها ..

ورفع هاشم حاجبيه دهشة ، وأطلت ابتسامة حائرة من تحت أنفه الكبير ، وقال :

ــ ليه ..

قلت وأنا ابتسم :

ــ نفسى أعرف البنت اللى ممكن يحبها الدكتور هاشم يكون اسمها ايه .. أول اسمها بس ..

وتردد قليلا ثم هز كتفيه ، وقال :

ــ اسمها أمينه ..

وأحسست انه اسم عادى ، لا يمكن أن يعبر عن شخصية متميزة يحبها الدكتور هاشم ، وقلت فى صوت خافت :

ــ اسم حلو ..

ونظر الى هاشم وقال وكأنه يعتذر لأمينة :

ــ أنا قلت لك حكايتى معاها علشان تعرفى ان مشكلتك مش مشكلتك لوحدك .. وان راجل زيى عنده أربعين سنه واقع فى نفس المشكله ومش عارف يحلها .. وكل ده علشان ترتاحى ، وأعصابك تهدى ، وصحتك تبقى كويسه ..

وقلت :

ـــ أنا عارفه يا دكتور .. ومش حانسى أبدا .. ربنا يخليك لى ..

وكانت أمى قد عادت مقبلة علينا ، وعلى شفتيها ابتسامة صغيرة ، ووجهها ترتسم عليه براءة مزيفة .. وعيناها مسلطتان على وجهى ، تحاول أن تعرف كل ما حدث .. كل التفاصيل ..

واستقبلها هاشم وابتسامة كبيرة على فمه قائلا :

ـــ خلاص يا هانم .. اعتبرى نجوى خفت خلاص .. بس كل يوم لازم تخرج تتفسح ..

وقالت أمى كأنها تحاول أن تضع فى كلامها معنى خفيا :

ـــ البركة فيك يا دكتور .. دى ما بقتش بتسمع كلام حد الا كلامك ..

وعدنا ..

وكنت أميل الى الصمت فى طريق العودة ..

وكنت قد بدأت أشعر بالضعف يعاودنى ..

ركبتاى مخلخلتان .. وتقلصات فى معدتى .. وصدرى يضيق ..

ولكنى لم أشك ..

وأوصلنا الدكتور هاشم الى باب البيت ، وخرج من سيارته ليصافحنا ، وألحت عليه أمى أن يصعد ليتناول فنجالا من القهوة أو الشاى .. ولكنه اعتذر فى رقة .. واحتفظ بيدى فى يده فترة طويلة .. أحسست خلالها كأن يدى التصقت بيده لا تريد أن تفارقها .. وقال وهو يربت على خدى بابتسامته :

ـــ خلاص يا نجوى .. حاتبقى كويسه .. مش عايز أسمع تانى انك عيانه ..

وقلت كأنى أودعه الوداع الأخير ، وصوتى حزين :

ــ باذن الله يا دكتور ..

وعاد الى سيارته ..

وقد ابتعد هاشم عنى فعلا .. ابتعد طويلا .. مرت شهور عشرة قبل أن أراه مرة ثانية .. وقبل أن تبدأ قصتى معه من جديد .

وجذبتنى يومها أمى وصعدت بى الى البيت فى خطوات سريعة ولهفتها تتقدمها ..

وكنت أعرف سر لهفتها ..

تريد أن تعرف التفاصيل ..

وتدللت عليها .. أخذت أخلع ثيابى فى بطء .. وهى جالسة أمامى دون أن تخلع ثيابها تسألنى :

ــ قولى لى يابنتى ، ربنا يهدى سرك ، كنت بتحكوا فى ايه ..

قلت وانا مديرة لها ظهرى :

ــ ولا حاجه ..

قالت فى حدة :

ــ ولا حاجه ازاى بس .. ده انتم ما بطلتوش كلام ..

قلت فى برود :

ــ كنا بنتكلم عن عادل ..

وخبطت على صدرها قائلة :

ــ عادل !! يا خيبتك .. يا خيبتك .. وده موضوع تكلمى عنه الراجل .. انتى مش شايفاه طول الوقت بياكلك بعينيه ..

والتفت اليها فى غضب :

— من فضلك ما تقوليش كده يا ماما .. هو كل راجل يبص لى يبقى حايكلنى بعنيه .. انا ما شفتش فى عنيه غير طيبته ورقته .. ده الدكتور هاشم حاجه تانيه ..

وصاحت أمى :

— ولا حاجة تانيه ولا تالته .. احلفلك ميت حلفان انه معجب بيكى ..

وقلت كأنى أصدمها :

— ادب اقولك انه بيحب واحده ..

ونظرت الى أمى كأنها لا تصدقنى .. ثم خفت حماستها مرة واحدة ، وقالت فى صوت خافت :

— وجبتى منين الكلام ده ..

قلت :

— هو اللى قال لى .. واسمها امينه ..

قالت :

— امينه ايه ؟

قلت :

— ما اعرفش .. ما قاليش ..

وقالت امى وهى تمصمص شفتيها :

— يمكن ..

وسكتت كأنها تفكر فى خطة جديدة .

وقلت لها كأنى اغيظها :

— انتى عارفه ان عنده أربعين سنه ..

قالت :

— ولا باين عليه ..

قلت كأنى لم أسمعها .. كأنى أخاطب نفسى :

— يعنى أكبر منى بواحد وعشرين سنه ..

قالت :

— وده يفرق ايه .. ده انتى كنتى واقفه جنبه زى ما تكونوا متجوزين بقالكم سنين .. لايقين على بعض زى تفاحه وانشقت نصين ..

وابتسمت لها كأنى أسخر منها ومن عقليتها ..

ولم تكف أمى عن الحديث عن هاشم .. ظلت تتحدث عنه طول الليل .. ولم أكن أستمع لها .. ولم أكن متضايقة من حديثها .. وكانت تحاول أن تقنعنى بأن هاشم معجب بى .. وتقارن بينه وبين عادل .. وتصعد بهاشم الى السماء وتخسف بعادل الأرض .. وكنت أنا سرحانة .. أفكر فى اتجاه مختلف تماما عما تقوله أمى .. كنت متأكدة أن هاشم ليس معجبا بى .. ليس الاعجاب الذى تعنيه أمى .. ربما كان معجبا بى كفتاة رقيقة ضعيفة قرر أن يساعدها فى أزمتها .. ولكن لا أكثر من ذلك .. وكنت اقاوم كل ما فى خيالى من أحلام متعلقة بهاشم .. كنت أعرف أنه الرجل الوحيد الذى استطاع أن يثير أحلامى بعد عادل .. وربما كان الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يحل فى قلبى مكان عادل .. بل انى كنت افكر فيه بطريقة أخرى غير التى تعودت أن افكر بها فى عادل .. طريقة قد تقودنى الى نوع آخر من الحب .. حب أكبر وأعمق وأكثر استقرارا .. ولكنى يجب أن اقاوم اندفاعى فى هذه الأحلام .. انى ذكية واستطيع

ان أقدر انها احلام لا يمكن أن تتحقق .. اين انا من هاشم .. ماذا فى حتى يحبنى .. ثم انه يحب فتاة اخرى ..

ورنت فى اذنى كلمة هاشم « الحب اللى ينقصه الاحترام مش ممكن ينفع للجواز » .. ترى هل يمكن ان يحترمنى هاشم لو علم انى لست عذراء .. وهل يمكن ان اجعله يحترمنى لو احبنى وهو يجهل أنى لست عذراء ..

ولكن لماذا انساق وراء كل هذه التفاصيل ..

من قال ان هاشم يحبنى ..

او انى احب هاشم ..

وأمى تقول كأنها تخطرف فى نومها :

ــ صدقينى .. ما تبقيش عبيطه .. الدكتور هاشم معجب بيكى .. ما تضيعيش راجل زى ده من ايدك .. دى فرصة .. اعقلى يا نوجا .. وسيبك من لعب العيال بتاع سى عادل ده ..

وادرت لها ظهرى .. وانا اشعر بسخافتها .. بل اشعر بالاشمئزاز منها .. دكتور جاء ليعالجنى وبلغ من اهتمامه بى ان صحبنى فى نزهة قصيرة ، وبدل ان تشكر نبله ، تحاول اصطياده .. شىء مقرف ..

وتناولت حبة « الليبرم » وحاولت أن انام ..

وقمت من نومى عصبية .. ضعيفة .. منهكة .. اريد ان اتحرك ان اخرج .. اريد ان اتلهى عن افكارى وخواطرى ..

وفكرت ان اذهب الى المدرسة .. كان يجب ان اذهب الى المدرسة .. فأنا استعد لنيل الشهادة الثانوية السامة .. ولم يبق على الامتحان الا شهور ..

ولكننى جبنت ..

أحسست انى لست قوية الى حد أن أواجه زميلاتى .. خيل الى أن كل من تنظر الى ستكشف فى الحال انى لست عذراء .. وخيل الىّ انى لن احتمل ان ابقى وانا لست عذراء وسط مئات البنات العذارى .. لن استطيع أن أجرى مثلهن .. ولن استطيع أن أمرح مثلهن .. ولن استطيع ان اتكلم كلامهن ..

ولم اذهب الى المدرسة ...

وصرخت فى أمى :

ــ ماما .. عايزه أخرج ..

وقالت أمى :

ــ تروحى فين ؟

قلت :

ــ ما اعرفش .. عايزه اخرج والسلام ..

قالت :

ــ طيب مش نكلم الدكتور هاشم فى التليفون الأول ..

وصرخت :

ــ أوعى تكلميه .. لو كلمتيه حارمى نفسى من الشباك .. انا مجنونه .. وانتى عارفه انى مجنونه ..

وقالت أمى فى دهشة :

ــ ليه بس يا بنتى ..

وعدت أصرخ :

ــ اهو كده والسلام .. انا عايزه أخرج لوحدى ..

والتمعت القسوة على وجه أمى المكرمش ، وقالت فى حدة :

ــ الا دى .. اظن عايزه تخرجى لوحدك علشان تهربى مره تانيه .. من هنا ورايح ما فيش خروج الا رجلى على رجلك ..

انشاء الله حتى تكونى رايحه كباريه ، برضه معاكى .. اننى لسه بتقولى انك مجنونه .. ما فيش مجانين يخرجوا لوحدهم ..

ومن يومها ..

لم أعد اخرج الا وامى معى .. رجلى على رجلها ..

وقد ذهبنا معا الى بعيد .. الى العن من « الكباريه » ..

سرنا معا طريقا طويلا ..

طريق اليأس ..

— ٢ —

فكرت أمى بسرعة ، ثم قالت وهى تنظر الى بعينين تائهتين كأنها ترى بهما مستقبلا يحيرها :

— قومى نروح عند زيزى ..

وكانت زيزى ابعد ما يمكن أن يخطر على بالى فى الحالة التى كنت أعانيها .. لقد كان كل ما افكر فيه أن اتصل ببعض صديقاتى وانزل معهن لنطوف بالدكاكين ، أو نجتمع فى بيت واحدة منهن لنتبادل قصص حبنا .. صديقات فى مثل سنى .. قلوبنا تدور فى دوائر متشابهة ، وعقولنا تنطلق فى افق واحد .. أما زيزى فهى شىء آخر .. انها سيدة متزوجة .. زوجها يعمل فى وظيفة كبيرة فى بنى سويف ، وهى تقيم فى القاهرة وحدها .. حرة .. منطلقة الى ابعد حدود الانطلاق .. والناس يتحدثون عنها ، ويروون عنها قصصا عجيبة .. وتعيش فى مستوى اعلى من المستوى الذى يمكن أن يوفره لها زوجها ، او عائلتها .. انها تملك سيارة كبيرة شيفروليه ..وسيارة أخرى

صغيرة لأولادها .. وتسكن فى شقة فاخرة بمصر الجديدة .. وتشترى ثيابها بالدستة .. معروف عنها أنها مسرفة الى حد الجنون فى اقتناء الثياب .. والناس تتحدث .. ولكن زيزى لا تهتم بكلام الناس ..

وكانت أمى تعرف زيزى من زمن طويل .. وتعرف أمها واخواتها .. وربطت بيننا وبينهم بصلة نسب كعادتها .. تمد فروع العائلة لتصل الى كل من تريد أن تصل اليه ..

وكانت أمى معجبة بزيزى اعجابا خفيا ، لا تعبر عنه الا نادرا .. كانت تعتبرها سيدة شاطرة ، استطاعت أن تلعب بالرجال ، وأن تستخدمهم ليوفروا لها الحياة الفخمة الهنية التى تعيشها ..

ان أمى تؤمن بأن دور المرأة فى الحياة هو أن تستغل الرجال .. ولا شىء أكثر .. لا تؤمن بأن هناك ما يمكن أن تقدمه المرأة الا جسدها .. وأن عليها ان تساوم على هذا الجسد لتحصل على اكبر ثمن .. حتى الزواج .. ليس له معنى عند أمى ، الا معنى الشراء والبيع .. ولهذا كانت أمى معجبة بزيزى .. لأنها تستطيع أن تساوم ، وتستطيع أن تحصل على ثمن كبير ..

وسيدات جمعية نور الهدى ، كن أيضا معجبات بزيزى ، لأنها تتبرع للجمعية كثيرا .. ولأنها تلجأ اليهن فى أعمال السحر التى تحتاج اليها بين الحين والحين ..

ولكن أمى كانت حتى تلك الأيام ، تبقينى بعيدا عن زيزى .. لم تكن تنفرنى منها .. ولكنها لم تكن تشجعنى على الاختلاط بها .. لذلك دهشت عندما اقترحت أمى أن نذهب الى زيزى .. ونظرت اليها وأنا أبحث فى وجهها لعلى اكتشف سرها وقلت :

— اشمعنى زيزى ..

وقالت أمى وهى تخفى عينيها عنى :

ــ أصلها ست دمها خفيف .. يمكن تضحك وتنسيكى اللى انتى فيه . وكمان ناخد رايها فى حالتك .. دى ست بتفهم ..

وهززت كتفى وقلت بلا مبالاة :

ــ مافيش مانع ..

وقمت أرتدى ثيابى بنفس مصدودة .. والضعف يسرى فى مفاصلى .. ولونى اصفر يميل الى الاخضرار .. وعقلى مشتت بين يأسى من عادل ، وأملى فى هاشم .. وأحاول أن فلا أستطيع ان أيأس .. ولا استطيع ان اعيش لحظات بلا أمل ..

وارتدت أمى معطفها الأسود ، وعمامتها السوداء ، ووقفت على باب غرفتى تقول لى وانا سارحة فى عذابى :

ــ ياللا يا نوجا .. استعجلى شويه .. ده احنا لسه حانطلع مصر الجديده ..

ونظرت اليها فى حدة ، كأنها شكتنى بدبوس لتوقظنى .. وصدمت بشكلها وهى فى معطفها الأسود ، وعمامتها السوداء ، كأنها جلاد يواجهنى ليذبح قلبى .. وصرخت فيها كأنى أصرخ من فزعى :

ــ ما تستعجلنيش .. احسن والله احلف ما اخرجش .. انا مش طايقه حد يكلمنى ..

وارتعشت رموش أمى كأنها خافت من صرختى .. وتنهدت .. ثم قالت فى صوت ضعيف :

ــ طيب يا نوجا .. ما تزعليش .. على مهلك يا حبيبتى ..

ثم ابتعدت عن غرفتى ، وعادت بعـد لحظات وفى يدها « وابور السبيرتو » مشتعل وفوقه لوح من الصفيح ، يطقطق

فوقه البخور .. ووضعته على الأرض ، لأخطو فوقه سبع مرات ، كما عودتنى فى كل مرة أهم فيها بالخروج من البيت .

ودون أن أفكر ، استدرت من أمام مرآتى ، وقذفت وابور السبيرتو بقدمى ، بما فوقه من بخور ، وانا أصرخ :

— مش عايزه أتبخر .. ما فيش حاجه جابتلى الكافيه الا البخور بتاعك ده .. بتبخرينى على ايه .. الناس حاتحسدنى على ايه .. على خيبتى ! ؟

واسرعت أمى والتقطت وابور السبيرتو من على الأرض قبل أن يشعل فى البيت نارا .. وخرجت وهى تتمتم :

— ربنا يهديكى يا بنتى ..

ومن يومها تعودت أن أصرخ فى أمى .. وتعودت أن تحتمل صراخى .. ولكن احتمالها لم يكن يعنى استسلامها لى .. انها لم تستسلم لى ابدا ..

وخرجنا من البيت ..

وركبنا سيارة تاكسى الى محطة المترو .. ثم ركبنا المترو الى مصر الجديدة .

ووصلنا الى بيت زيزى ...

بيت فخم ، لا يمكن أن يكون بيت موظف ، حتى لو كان موظفا فى الدرجة الأولى .. الأرض الباركيه مغطاة بقطع من السجاد العجمى .. والأثاث على الطراز الحديث ، يبدو كله جديدا .. ان زيزى تبدل أثاث بيتها كل سنة أو سنتين .. والنجف ، والتماثيل .. مظاهر الاسراف فى كل ركن من اركان البيت .. ورغم ذلك لم استرح .. احسست كلما نظرت الى شىء كأن نظرتى تقف فى حلقى .. كأن هناك شيئا مفقودا فى هذا البيت .. لعله الذوق .. او لعله الاحساس بقيمة الأشياء التى

يضمها .. لا شك انها اشياء قيمة .. غالية .. نقود كثيرة دفعت فيها .. ولكنها ملقاة ومكدسة بشكل يفقدها قيمتها ..

وقالت أمى وهى تتبع عينى وانا ادور بهما فى أرجاء البيت :

ــ بكره اعمل لك بيت احسن من ده ميت مره ..

قالتها كأنها تغرينى بالأمل الكبير !

وقلت وانا الوى شفتى :

ــ انا ما احبش يبقى عندى بيت زى ده .. ما فيهش ذوق !

وقالت أمى والاعجاب يشهق على وجهها :

ــ ده زى ما يكون بيت واحده اميره ..

وقلت بسرعة :

ــ ده زى ما يكون بيت واحده أرتست ..

ودخلت علينا زيزى ..

مرتدية قميص نوم شفاف ، وفوقه « روب ديشامبر » من الحرير المطرز بالدانتيل تركته مفتوحا ، ليكشف عن قميص النوم ومن تحته جسدها الممتلىء .. رغم اننا كنا فى الساعة الثانية عشرة ظهرا ..

وقبلت أمى فوق كلتا وجنتيها وهى تقول :

ــ اهلا عزيزه هانم .. وحشتينا .

ثم التفتت الىّ ، ولمعت فرحة عجيبة فى عينيها ، وقالت :

ــ نوجا .. مش معقول .. ده انتى كبرتى قوى .. انا ما شفتكيش بقالى سنه .. حد يكبر ده كله فى سنه واحده ..

ثم احتضنتنى الى صدرها وأخذت تربت على ظهرى ، ثم التفتت الى أمى قائلة :

ــ دى انتى لازم تجوزيها حالا يا عزيزه هانم .. خلاص آن الأوان ..

وقالت أمى وهى سعيدة بفرحة زيزى بى :

ـ هى يا ستى اللى بتدلع .. عايزه تكمل وتخش الجامعة ..
وقالت زيزى وهى تضحك ضحكة صاحية رنانة :

ـ وده يمنع ..

ثم أخذتنى من يدى ، واجلستنى بجانبها على الأريكة ، واخذت تبحلق فى وجهى ، ثم قالت كأنها كشفت سرى :

ـ مالك يا نوجا .. انتى مش عاجبانى .. زى ما يكون فيه حاجه مزعلاكى ..

وقالت أمى بسرعة كأنها تدافع عنى :

ـ ما انتى عارفه يا زيزى انها كانت عيانه ..
وقالت زيزى ، وهى تنظر الى :

ـ وتسريحة شعرك مش حلوه .. دى تسريحة بتاعة واحده عجوزه ، مش بتاعة بنت حلوه زيك .. تعالى اعمل لك تسريحه تانيه ..

وقامت واقفة وشدتنى من يدى .. وسارت بى وهى تتقفز فى مشيتها كأنها طفلة .. ودخلت بى الى حجرة نومها .. وأمى وراءنا ..

حجرة النوم .. لونها بمبى فاتح .. الستائر بمبى .. وملاءات السرير بمبى .. وكساء المقاعد بمبى .. والخشب لونه بنى غامق ..

واجلستنى زيزى امام مـــرآتها .. وعشرات من زجاجات العطر الغالية ، وأدوات الزينة .. ووقفت فوق رأسى تسرح لى شعرى .. وهى تتكلم ، وتضحك .. انها تستطيع أن تبعث الحياة حولها .. كلامها يطلق الزغاريد فى قلبى وأعصابى ..

ووجدت نفسى أتحمس معها .. وأضحك معها .. وأنسى نفسى وهمى معها ..

وأمى جالسة بعيدا ، والسعادة تبرق فوق وجهها ، كأنها اكتشفت الطريق الذى كانت تائهة عنه ..

ثم أخذت زيزى تعرض علينا ثيابها الجديدة :

فتحت دولابا يمتد بطول الحائط كله .. وبرزت منه عشرات الفساتين .. كأنها الجاريات المعلقتا فى حريم السلطان .. فساتين كثيرة .. ومعاطف .. وقطع من الفراء .. وأحذية .. لم أر فى حياتى كل هذه الأحذية فى دولاب واحد ..

وفى بساطة خلعت ثيابها ، وارتدت ثوبا من ثيابها الجديدة لتريه لى ..

ولم أستطع ان أملأ عينى بجسدها عندما خلعت عنه ثيابها .. خجلت ..

وبعد ذلك صممت على ان اخلع ثوبى لتقيس علىّ ثوبا من ثيابها ..

وحاولت ان ارفض ..

ولكنها الحت ..

وأمى تلح معها ، وتقول :

ــ جرى ايه يا نوجا .. حاتنكسفى من مرات ابن عمك ..

وشدت زيزى ثوبى ، فاضطررت أن أخلعه .. ونظرت الىّ وأنا بالقميص ، كأنها تنظر الىّ بعيون عشرات الرجال ، وقالت وفى عينيها بريق عجيب :

ــ ايه الحلاوه دى كلها يا نوجا .. ده إنتى صدرك يجنن ..

وضممت ذراعى حول صدرى كأنى أحميه من عينيها ، وفيهما نظرات عشرات الرجال ..

وارتعش من الخجل ..
مت من الخجل ..
والبستنى ثوبها ..
وجمعت قماشه فى يدها من عند الظهر ، حتى تشده على جسمى ، لانه كان واسعا علىّ .. انها اسمن منى ..
والتفت الى المرآة ..
ونظرت الى نفسى ..
الثوب من الشيفون الهفهاف الأزرق يكشف عن ذراعى .. وعن مساحة كبيرة من صدرى .. ويلتف حول جسدى كأنه قطعة من صفحة السماء تضمنى .. احسست كأنى استطيع ان اطير بهذا الثوب .. والتسريحة التى صنعتها لى زيزى ، تركت خصلة من شعرى تهفو فوق عينى .. فأحسست انى اكاد أطير فعلا ..
وزيزى تضحكنى ..
لا تكف عن اثارة ضحكاتى ..
وكلماتها تثير فى معان جديدة .. معانى الأنوثة .. انها ترفع عمرى .. احس انى كبرت .. واحس انى امراة .. لم أكن احس من قبل انى امراة .. رغم انى امراة ..
وقالت زيزى :
ــ عبد الله جوزى حاييجى من بنى سويف النهارده بعد الضهر ، وحانروح نسهر فى الأوبرج .. ايه رايكم تسهروا معانا ..
ونظرت الىّ امى ، كأنها تسألنى رأيى .. ثم التفتت الى زيزى قائلة :
ــ بس احنا يا زيزى مش واخدين ع السهر ده ..
وقالت زيزى :
ــ يا شيخه اخرجى من الحبسه دى .. ونوجا كمان تشوف

الدنيا وتتفسح .. حاتفضلى مخبياها كده لغاية امتى .. اللى فى سنها كل يوم سهرانين فى حته ..

وقالت أمى فى صوت خفيض :

— أنا ما عنديش مانع .. بس ..

وعادت زيزى تقول فى حماس :

— بس ايه .. لا بس ولا حاجه .. احنا حانكون مع عبد الله جوزى .. انتى مش بتقولى جوزى يبقى قريبك .

وقالت أمى :

— بس انا عمرى ما رحت الأوبرج .

وقالت فى حماس :

— ما لكيش دعوه بنوجا .. سيبيها لى أنا ..

والتفتت الى قائلة :

— ايه رأيكا يانوجا ..

قلت :

— بس انا عمرى ما رحت الأوبرج .

وقالت فى حماس :

— خلاص تروحيه ..

ثم اقتربت من أذنى وهمست :

— هو الواد اللى بتحبيه ما بيروحش الأوبرج .. أوعى يكون بياخدك تزوروا المشايخ ..

واتفقنا على ان تمر علينا زيزى فى العاشرة مساء ، هى وزوجها .. لتذهب معها الى الأوبرج ..

وعدنا الى البيت ..

والعالم الجديد الذى لوحت لى به زيزى يشغلنى عن حيرتى ، وعن وهمى ..

ولكنى لم اكن سعيدة ..

كنت أعلم انى مقدمة على حياة لست مقتنعة بها .. حياة لم أفكر فيها من قبل ، ولم تمثل حلما من احلامى .. ولكنى كنت منساقة اليها .. الانسى .. لأجد شيئا يشغلنى عن نفسى ، ويملأ وقتى الفارغ ..

والقيت نفسى على فراشى متعبة ..

احس بالضعف .. ضعف صحتى ، التى لا تحتمل مشوار مصر الجديدة ، ولا تحتمل كل هذه الاثارة التى ملأت بها زيزى اعصابى ..

نمت من التعب ..

واستيقظت متعبة ايضا .. ولكنى قاومت التعب .. وجدت نفسى أفيض بعناد عجيب .. عناد كبير .. اقاوم به ضعفى .. وأقاوم به عدم اقتناعى بالاقبال على الحياة .. وأقاوم به الايمان بالحب .. اريد أن اضحك .. ان الهو .. أن البس ثيابا كالتى تلبسها زيزى ..

وارتديت ثوبى الجديد .. ثوبا لونه أصفر .. وكل ثيابى لا تصلح للأوبرج .. انها ثياب بسيطة ، لفتاة فى مدرسة .. تحب .. وتعد نفسها للزواج .. لا لفتاة تفكر فى السهر فى الأوبرج ..

وجاءت زيزى فى الساعة العاشرة والنصف ، وتركت زوجها ينتظرها فى السيارة ، وصعدت الينا ..

وصرخت بمجرد أن رأتنى :

ــ ايه اللى لابساه ده يا نوجا .. ده انتى زى ما تكونى رايحه المدرسه ..

ثم شدت فتحة صدر الثوب ، حتى كشف عن كتفى ..

وخلعت دبوسا من الماس كانت تتحلى به فوق صدرها .. وشبكته فوق كتفي .. ثم أخذت تسرح لى شعرى وتطلق خصلة منه تتدلى فوق جبينى فى اغراء .. ثم اخرجت من حقيبتها اصبع الروج ، وصبغت به شفتى .. ثم اصلحت وضع الكحل الذى أضعه حول عينى ..

وانا مستسلمة ..

وامى مستسلمة ..

كأن كلينا اثنتان من نساء الريف جاءتا الى القاهرة لأول مرة ، وسلمتا نفسيهما لمحتالة ..

ولم تهتم زيزى بأمى .. لم تعلق بشىء على معطفها الأسود ، وعمامتها السوداء .. كأنها لن يكون لها دور فى الحياة التى تسوقنا اليها ..

ونزلنا ..

لم يكن زوج زيزى وحده فى السيارة .. كان معه رجل آخر .. شاب .. اصغر من الدكتور هاشم .. لعله فى الخامسة والثلاثين من عمره .. محفلط .. كل شىء فيه مرسوم بدقة .. حتى خيل الى انه عد شعرات راسه قبل أن يضع كل شعرة بجانب الأخرى ..

ونزل الشاب من السيارة ليستقبلنا .. وقدمته لنا زيزى قائلة :

ــ خيرى ..

فقط ..

لم تكمل اسمه ..

ثم قالت له :

— اقعد انت جنب عبد الله يا خيرى .. والستات حاتقعد ورا ..

والتفتت الينا . كأنها تقول لأمى انها حريصة على الا يقترب اى رجل من ابنتها ، وتثبت لها انها حريصة على التقاليد ..

وحيانا زوجها وهو جالس أمام عجلة القيادة .. رجل طويل عريض .. سمين .. ضحكته تملأ شفتيه .. وتبدو عليه السعادة .. سعادة الحيوان الذى لا يفكر كما يفكر الناس ، ولا يشغل باله بما يشغل بال الناس .

وذهبنا الى الاوبرج ..

ودخلنا وأنا اسير ملتصقة بأمى كأنى أحتمى بها .. لقد كنت أحتمى بها فعلا .. كنت مرتعشة ، والرهبة تملأ كيانى .. ولم الحظ أن أمى كانت ترتعش أيضا من الرهبة .. وكلانا يعلق عينيه بزيزى كأننا طفلتان تخشيان أن تتوها عن أمهما ..

وقادتنا زيزى الى مائدة .. كان يجلس عليهـــا آخران ؛ وسيدة .. وهلل الرجلان لمقدم زيزى .. ثم سكتا عن التهليل مرة واحدة ، عندما سقطت عيونهما علىّ .. وتبادلا النظرات المتسائلة مع زيزى .. وعادا ينظران الىّ .. وقد انقلب كل منهما مرة واحدة بعد التهليل الذى استقبلا به زيزى ، الى رجل مؤدب مهذب .. وابتسامة واسعة فوق شفتى كل منهما .. ابتسامة لزجة ..

وجلست بين خيرى الذى معنا فى السيارة ، وبين أحد الرجلين اللذين وجدناهما على المائدة .. كان اسمه سامى .. واستدار كل منهما الىّ .. عيونهما لا تفارق وجهى .. وابتساماتهما تدور حولى كالفراشات المجنونة .. وكل منهما يبذل جهده ليثـــير ضحكاتى . ويجذب اهتمامى ..

والرجل الثالث تفرغ لزيزى ، ينشب عينيه فى وجهها ، ولا يكف عن التحدث اليها .. حديثا هامسا لا أسمع منه الا أقله ..

وعبد الله الزوج ما كاد يجلس على المائدة حتى تفرغ لملء كأسه ، والتهام قطع الخيار واصناف « المزات » .. ويطلق بين الحين والحين تعليقا لا يسمعه أحد ، ويضحك عليه وحده .. كأنه ليس معنا .. وكأن زوجته ليست معه ..

وأمى .. انها جالسة بمعطفها الأسود وعمامتها السوداء . عند طرف المائدة ، لا ترفع عينيها عنى .. عينان خائفتان .. حائرتان .. وتبدو كأنها من هذا الصنف من النساء العجائز اللاتى يصاحبن النساء الجميلات ويقدن لهن حياتهن .. ربما اعتبرها هكذا الرجال الذين معنا .. ربما لم يصدق أحد منهم انها أمى .. ربما اعتقدوا أنها تتاجر بى .. لا أحد يهتم بها . لا أحد يتحدث اليها .. عبد الله زوج زيزى وحده ، هو الذى يلتفت اليها بين الحين والحين .. ويقول لها بصوته الغليظ الأجش :

ــ تا خدى حتة خيار يا عزيزه هانم ..

ثم يخبط على ساقها بكفه الثقيلة ويصيح :

ــ والله انستينا يا عزيزه هانم ..

وتبتسم أمى ابتسامة ضعيفة لا تلبث أن تموت على شفتيها .. وعيناها مركزتان على ، ترقب كل حركة ، وكل لمسة ، وكل لفتة .. وأذناها منتصبتان تحاول ان تلتقط بهما كل كلمة .. كل همسة .. انها تجلس فى طرف المائدة كآلة الرادار ينعكس على وجهها كل ما يحدث لى .. تبتسم عندما ابتسم .. وتفزع عندما يتمادى أحد الرجلين اللذين يحيطان بى ..

وصعبت على ..

ليس هذا هو مكانها ..

انها ليست من هذا الصنف من النساء العجائز ..

ولكنها تفعل ذلك من أجلى .. تفعله لانها تريد أن تنسينى عادل .. تفعله لأنها تخاف اليوم الذى تفقدنى فيه ..

ورغم ذلك فقد كان احساسى ساعتها حائرا بين الخجل منها ، والاشفاق عليها .. الخجل منها وهى جالسة بمعطفها الأسود وعمامتها السوداء ووجهها العجوز المكرمش ، الى مائدة تعلوها زجاجات الويسكى .. والاشفاق عليها لأنى أعرف لماذا تقبل على نفسها كل هذا ..

وقالت زيزى وهى تضحك ضحكة كالزغرودة :

ــ ساكته ليه يا نوجا .. خدى بالك من سامى .. أوعى تصدقى كلامه .. ده كداب ..

ولا ادرى لماذا نظرت اليها ساعتها فى تحد .. قررت ساعتها أن اثبت لها انى لست الفتاة القروية التى تصل الى القاهرة لأول مرة .. وتملكنى عناد عجيب أن اثبت شخصيتى القوية فى هذا المجتمع الجديد الذى يحيط بى ... ان اسيطر عليه .. أن املكه .. واحكمه ..

وانطلقت ..

تحررت من الخوف ..

تحررت من ضعف صحتى ..

تحررت من ذكريات حبى ..

وجمعت كل ذكائى لأجذب كل الاهتمام الىّ .. وانطلقت اتحدث .. اروى الحكايات .. واطلق التعليقات الساخرة .. واثير الضحكات .. وفى دقائق اصبحت ملكة المائدة .. كل الاهتمام موجه الىّ .. حتى الرجل الذى يجلس بجانب زيزى

استدار الىّ .. وعبد الله زوجها نسى قطع « المزة » واصبح يتلقف كل كلمة تخرج من بين شفتى .. وأمى تلحظ اندفاعى وتخاف ... وزيزى فوجئت بجرأتى ، ونظرت الى نظرة ثاقبة كأنها اكتشفت انى لست الفتاة الساذجة البسيطة كما كانت تظننى ..

وملأ خيرى كأسا وقدمه الىّ .. ورفضته بابتسامة كبيرة ، قائلة :

— مرسى ..

وقال :

— ليه ؟

قلت بصوت عال ساخر :

— انت كفايه .. تسكر !

وانطلقت الضحكات ..

وشرب خيرى الكأس وحده .

وسامى يحاول أن يجذبنى فى حديث هامس بينى وبينه .. ولكنى احيل همساته الى كلمات مسموعة .. يسمعها كل من على المائدة .. فيزدرد وجهه .. ويخجل من نفسه .. ولكنه تمادى .. كف عن محاولة الهمس .. وبدأ يلمسنى لمسات تبدو كأنها لمسات غير مقصودة .. ويتظاهر بأنه يريد أن يجذب طبق المازة من آخر المائدة ، ليترك انفاسه تقترب من أذنى .. ووجهه يلمس وجهى .. وتمادى أكثر ، فشعرت بيده فوق ساقى ..

وامسكت بيده بأطراف أصابعى ، ورفعتها الى أعلى بحيث يراها الجميع ، كأنى ارفع شيئا قذرا .. وقلت بأعلى صوتى :

— شوفى يا زيزى لقيت ايه على رجلى ..

وضج الجميع بالضحك ..

ثم القيت بيد سامى من يدى ، والتفت اليه ونظرت اليه

نظرة طويلة ثابتة .. الى أن نكس عينيه خجلا من نفسه ، وقال في صوت خافت :

ــ آسف ..

وامى تنظر الى وشفتاها ترتعشان ، لا تدرى ماذا تقول ، ولا كيف تتصرف ..

وشخصية زيزى تذوب امام شخصيتى .. انها تفقد عرشها .. ورغم ذلك فهى تبتسم لى طول الوقت .. وتهتم بى طول الوقت .. كأنها قبلت التحدى ..

وقالت امى كأنها لم تعد تحتمل اكثر :

ــ احنا لازم نقوم بأه يا زيزى .. نوجا لسه قايمه من العيا .. وما تستحملش سهر اكتر من كده ..

وقالت زيزى بسرعة :

ــ واحنا كمان لازم نقوم ..

وقمنا ..

وضغط سامى على يدى وهو يصافحنى قائلا :

ــ احنا لازم نشوف بعض تانى ..

قلت ساخرة :

ــ امال .. ضرورى ..

وركبنا سيارة زيزى وخيرى معنا .. وفى هذه المرة لم تكلف زيزى نفسها مهمة حمايتى .. فجلست بجانب زوجها فى المقعد الأمامى .. وتركت خيرى يجلس معنا فى المقعد الخلفى .. ولكنى كنت أذكى منها .. وضعت أمى بينى وبين خيرى ..

وقال خيرى وهو يصافحنى أمام باب البيت :

ــ احنا لازم نشوف بعض تانى ..

وكررت نفس اللهجة الساخرة :

ـ امال .. ضروری ..

وصعدت الى غرفتى .. وامى ورائى .. وجلست على حافة السرير وانا اخلع ثيابى .. وقبل ان تسألنى .. اشبعت فضولها ، ورويت لها كل التفاصيل .. كل كلمة .. وكل لمسة .. وكل راى لى .. وبعد ان شبعت تركتنى وحدى الانام .. وسحب سوداء من الحيرة تبتلعنى .. ماذا فعلت .. ولماذا فعلت .. لماذا وضعت قدمى فى هذا الطريق .. انى لست ساذجة .. واعرف هذا الطريق حتى نهايته .. فلماذا سرت فيه .. ولماذا لم اسر فى الطريق الذى فتحه لى هاشم .. لا .. ان طريق هاشم طريق مسدود لا امل فيه .. والحب النظيف الذى اثار به خيالى .. ليس الا وهما .. انه يحب فتاة اخرى .. وحتى اذا لم يكن يحبها .. فلماذا يحبنى .. وعادل .. عادل .. لماذا تركنى وسافر .. لماذا لم يبق الى جانبى لنحاول مرة اخرى ان يصل احدنا الى الآخر .. ولكنه مستهتر ، لقد غازل اختى .. الى هذه الدرجة بلغ استهتاره . .ولكنى احبه .. هل صحيح انى لا زلت احبه .. لا ادرى .. لا ادرى .

وبكيت ..

وانسابت حيرتى دموعا على خدى ..

ونمت باكية ..

وصحوت فى اليوم التالى وانا احس اكثر بضعف صحتى .. فقد اضطررت ان ابقى فى الفراش يومين .. وزيزى تسأل عنا فى اليوم اكثر من ثلاث مرات .. وتتحدث مع امى طويلا فى التليفون ..

وما كدت اغادر الفراش ، حتى جمعتنا سـهرة فى بيت زيزى .. كان هناك سامى ، وخيرى .. والرجل الثالث ..

مراد .. ورجال آخرون كثيرون .. وسيدات كلهن من صنف زيزى .. انا البنت الوحيدة بينهن .. بنت ! وانا اصغرهن .. أجملهن .. أنا وردة فى غابة من النساء يتمايلن فى خلاعة كالأشجار العجوزة ..

وتوالت السهرات .. فى البيت .. فى الأوبرج .. فى الأريزونا .. فى الشجرة .

وانا لم افقد شيئا ..

لم يستطع رجل ان يأخذ منى شيئا .. ولا لمسة واحدة .. ولا كلمة تريحه وتشجعه على .. ورغم ذلك فكل الرجال يحبوننى .. اننى نفحة من الهواء النظيف وسط الجو الفاسد الذى يعيشون فيه .. انى اريح عيونهم من الوجوه المصبوغة بالألوان الفاقعة ... انى امل صعب ، وسط الأرض السهلة التى يسيرون فوقها ..

وامى فهمت المجتمع الجديد الذى دخلنا فيه .. وبدات تكون صداقات خاصة بينها وبين الرجال الذين نلتقى بهم .

صداقات لحسابى طبعا .. واصبحت أمى ترتاح لصداقاتها مع الرجال اكثر من ارتياحها لصداقاتها مع النساء .. اكتسبتهم باثارة عطفهم عليها .. لأنها وحيدة . . عجوز .. وزوجها مشلول .. وهى تعلم أن عطفهم عليها ليس الا تقربا منى انا .. واستطاعت بذلك ان تستغلهم .. وان تضعهم فى خدمتها .

واذكر اول يوم تفتحت فيه أمامنا كنوز هذا المجتمع الذى نعيش فيه ..

لقد اتصل بنا خيرى فى التليفون ذات صباح ، ليدعونى الى سهرة فى المساء .. وفى خلال الحديث قالت له امى انها ستصحبنى لنطوف بالحوانيت ، ونشترى بعض الحاجيات .

ولا ادرى حتى اليوم اذا كانت قد قالت له ذلك عن قصد او عن غير قصد .. ولكن خيرى عرض أن يأتى ليصحبنا . ووافقت امى ..

وصحبنا لنطوف بالحوانيت ..

واشترينا بضائع بما يزيد عن عشرين جنيها .

دفعها خيرى .

وانهالت الهدايا بعد ذلك .. من خيرى .. ومن غيره .. هدايا فى مناسبات .. وهدايا بلا مناسبات .. وقد كنت ابهر بهذه الهدايا .. لم أكن أعتقد أن الناس يمكن ان تهدى بهذه السهولة .. وهذا الاسراف .. وامى تفرح بالهدايا اكثر منى .. وهى التى تحفظها فى دولابها .. وتحتفظ بالمفتاح فى جيبها .. لا أستطيع ان استعملها الا باذنها .. واصبح عندى ثلاثة راديوهات ترانستور .. وجاءنى تلفزيون هدية .. وخواتم .. وثياب .

ثم ..

فوجئت بسامى يتقدم لخطبتى ..

انهم يتزوجون ايضا فى هذا المجتمع ..

وكنت أعتقد أنه مجتمع يقوم على اللهو .. على تضاء السهرات .. وأن الأزواج فيه هم المغفلون .. ولن يرضى احد ان يتزوج منه حتى لا يصبح مغفلا هو الآخر .. ولكن لا .. ان الرجال فيهم حاسة عمياء تقودهم الى دنيا المغفلين .. وربما اكتشف سامى حقيقتى .. اكتشف انى فى هذا المجتمع لست الا ضحية عذابى وحيرتى . . وآمن بطهارتى ، خصوصا وان كل هذا الفساد لم يصل الى .. انه يعرف أن احدا من الرجال لم يستطع ان ينال منى ..

وقدرت سامى ..

أحسست به رجلا ..

وأنا لا أحبه .. ولكنه وسيم .. وفى مركز ممتاز .. انه زوج تفخر به أى فتاة ..

ولم ترفضه أمى ..

ولم تقبله ..

ولكنها تركته معلقا . .

وأنا لم يكن يهمنى أن ترفضه أو تقبله .. فأنا لا اريد الزواج .. ان ما ينقصنى شىء آخر غير الزواج .. ينقصنى الحب .. وليس فى قلبى من الحب الا ذكرياتى مع عادل ..

وخيرى ايضا تقدم لخطبتى ..

وتركته امى معلقا هو الآخر ..

وبدات اتأكد ان أمى لا تريد أن اتزوج .. تريد لى عشرات الرجال لأبقى لها .. ولكنها لا تريد لى زجلا واحدا حتى لا يأخذنى منها .. الى هذا الحد وصلت انانيتها .. ربما لأنها ليست أمى ..

وعشرات الرجال يترددون على بيتنا ..

يترددون بلا زوجاتهم ، وبلا شقيقاتهم .

وليس معنى ذلك اننا فقدنا سمعتنا فى الحى الذى نقيم فيه .. ابدا .. ان أمى لا تزال تحرص على كل مظاهرها .. وسيدات جمعية نور الهدى لا يزلن يترددن علينا بانتظام .. والبخور يحرق فى الصباح والمساء .. ولا تسمح لرجل أن يزورنا الا فى مواعيد مناسبة .. وربما ثارت رغم ذلك بعض الأقاويل عنى وعن أمى .. ولكنها كانت أقاويل خافتة .. ومحصورة فى الحى الذى نقيم فيه .. وأصدقاؤنا كلهم من خارج الحى ..

وأنا تعيسة .

لست سعيدة بهذه الهدايا ، ولا بهذه الحفلات ..
ولكننى لا اجد شيئا آخر افعله الا ان أتلقى هذه الهدايا ، وافرح بها فرحة تقصر ، ثم تقصر كلما توالت الهدايا .. حتى اصبحت فرحتى مجرد نظرة القى بها على الهدية .. والحفلات سئمتها حفلة بعد حفلة ، حتى أصبحت ابخل على الناس بذكائى الذى اسليهم به .. وامنحهم به وقتا لاهيا .. ولكن ماذا افعل غير هذا .. هل اعود الى المدرسة .. مستحيل .. لا استطيع ! ..
وانا متأكدة ان أمى لا تريد تزويجى ..
واستطيع أن اتحداها ..
ولكن لماذا اتحداها .. لماذا أتحدى أنانيتها .. واحساسها بأنها اشترت كل كيلو من لحمى وعظامى .. لماذا ؟
ليس هناك دافع يجعلنى اتحداها ..
فأنا ايضا لا أريد الزواج الآن ..
الذين تقدموا الىّ لم يستطع واحد منهم أن يفتح قلبى ..
وبقيت مستسلمة لهذه الحياة ..
ثم ..
دخل حياتى فى هذه الأثناء عبد الفتاح بيه رفعت ..
عبد الفتاح بيه رجل فى الثامنة والأربعين من عمره .. متزوج .. وله اولاد وبنات .. بنت منهن اكبر منى ، ومتزوجة . ولها أولاد .. مليونير .. حتى بعد قوانين التأميم استطاع أن يحتفظ بجزء كبير من ملايينه .. ربما أصبح نصف مليونير ..
وطبعا لم ار ابدا زوجته ولا بناته .. ولكنى التقيت به فى بيت زيزى .. ليس فى سهرة ، ولكن على الشاى .. وكانت زيزى

قد اتصلت بنا فى التليفون ودعتنى أنا وأمى لتناول الشاى ، واوصتنا الا نتأخر لأن عندها ضيوفا مهمين ، وقالت لأمى :

ـ وخلى نوجا تلبس الفستان الأخضر .. ما تنسيش !.

وكانت كل ميزة الفستان الأخضر ، انه يكشف عن كتفى اللذين تعتقد زيزى أنهما اجمل كتفين راتهما فى حياتها ..

ولبست الفستان الأخضر ، وذهبت أنا وأمى ..

ولم نجد عند زيزى الا عبد الفتاح بيه رفعت ..

ووقف عبد الفتاح يحيينى فى ادب كبير ، والقى على نظرة هادئة .. أحسست رغم هدوئها انها استوعبتنى كلى .. وانها درست فى لمحة واحدة ، كل قطعة منى .. نظرة خبير ..

ثم استدار وصافح امى ، واهتم بها اهتماما زائدا .. قدم لها مقعد الصدارة .. وقدم لها أول فنجان شاى .. واتجه بمعظم حديثه اليها .. دون أن يهملنى .. ولكنه كان يتحدث الى كابنته .. وفى وقار ..وهد وء .. وحنو .. واحسست كأنه يتعمد ان يعفينى من المجهود الذى يمكن ان ابذله كى اهتم به .. كأنه يريد أن يقول لى انه ليس كباقى أصدقاء زيزى .. وانه لا يريد منى ما تعود ان يطلبه اصدقاء زيزى .. وقد ارتحت فعلا الى هذا الاحساس .. وشعرت بجانبه بأنى استطيع أن أكون على طبيعتى .. كأنى فعلا ابنته ..

وكعادة أمى جرت الحديث بينها وبين عبد الفتاح الى موضوع العائلات ، والأنساب .. واكتشفت بسرعة نسبا بيننا وبينه .. والتفتت الى وقالت :

ـ تعرفى يا نوجا .. ده عبد الفتاح بيه يبقى فى مكانة عمك تمام .. ما هو يبقى ابن خالة بنت عم أبوكى .. يعنى عمك ..

وضحكت قائلة :

ـــ ازيك يا عمى ..
والتفت الىّ عبد الفتاح وفى عينيه نظرة جادة ، وقال :
ـــ انا عايزك تعتبرينى عمك بصحيح ..
واحرجت امام نظرته الجادة ، وقلت وانا ارخى عينى عنه :
ـــ حاضر يا عمى ..
ولا أذكر كيف دار الحديث بعد ذلك .. ولكنى اذكر ان زيزى قالت لى بعد قليل :
ـــ ايه الدبوس الوحش ده اللى شابكاه فى صدرك ؟ ..
وقلت :
ـــ يا خبر يا زيزى .. ده يجنن.. ده انا شارياه بتلاته جنيه من عند موناز ..
وقالت زيزى كأنها تعلمنى :
ـــ حد يلبس دبوس بتلاته جنيه على فستان حلو كده .. وصدر حلو بالشكل ده ..
وقال عبد الفتاح وهو يضحك ضحكة صغيرة :
ـــ خلاص يا زيزى .. ما تزعليش ، الدبوس حا يتغير من بكره ..
وقلت كأنى الومه :
ـــ انت كمان مش عاجبك الدبوس بتاعى يا عمى ..
وقال عبد الفتاح وهو ينظر الىّ كأنه يتفق معى على زيزى :
ـــ عاجبنى .. بس علشان نسكت لسان زيزى ..
وقام عبد الفتاح منصرفا فى الساعة السابعة ..
وبقينا مع زيزى وهى تحكى وتبالغ فى تعداد أملاك عبد الفتاح ، ومصانعه ، وادبه ، وذوقه .. ثم قالت :
ـــ عيبه ان عمره ما يسهر بره .. الساعه تسعه لازم يكون

فى بيته .. وفى بيته شديد قوى .. تصورى ان ما حدش لغاية دلوقتى شاف مراته .. يدوبك تزور قرايبهـا .. وقرايبهـا يزوروها ..

وفى اليوم التالى ..

ارسل الينا عبد الفتاح سائقه الخاص .. يحمل لفافة صغيرة .. فضتها امى لتجد داخلها علبة صغيرة من القطيفة الحمراء .. ما كدنا نفتحها حتى بهتنا نحن الاثنين ..

كان فى العلبة« بروش » من الماس ..

من الماس الحقيقى ..

ومع البروش كارت يحمل اسم عبد الفتاح رفعت ، وقد اضاف فوق اسمه كلمة واحدة : « عمك » ..

واسرعت امى فى نفس اليوم الى محل السرجانى الصائغ لتثمن « البروش » .

ان ثمنه لا يقل عن ثلثمائة وخمسين جنيها ..

وبلعت امى ريقها ..

ورفعت حاجبى دهشة ..

وتطورت علاقتنا بعد ذلك بعبد الفتاح تطورا سريعا .. غريبا .. فقد كان عبد الفتاح صديقا لأمى ، أكثر منه صديقا لى .. رغم أنى اعرف ومتأكدة ، انه لا يربطه بأمى الا رغبته فى الوصول الى ..

كان يتحدث معها فى التليفون مرتين فى اليوم .. حديثا طويلا .. لا تبلغنى امى الا نصفه .. ولا اهتم بأن اسألها عن النصف الآخر ..

ثم بدأ يتردد علينا ..

لم يكن يتردد كل يوم .. يومين أو ثلاثة فى الاسبوع ..

ويدخل الى حجرة ابى المشلول ، ويبقى معه بضع دقائق .. وكانت أمى قد اقنعت ابى بصلة النسب التىتربطه بنا .. ثم بعد ذلك يخرج ويجلس معنا فى الصالة ليشرب فنجال القهوة ..

ويوما بعد يوم اصبح هو كل شىء فى البيت .. هو رجل البيت .. هو الذى يهتم بشئوننا .. وهو الذى يلبى حاجاتنا .. وهو الذى يشترى لى ثيابى .. ليس هو بنفسه .. بل يعطى الأمى لتشترى لى .. وعين اخى من امى الحقيقية فى احدى شركاته .. وابن عمى عينه فى شركة أخرى ..

والكلفة ترتفع بيننا وبينه ..

واناديه دائما : اونكل عبده ..

وكان احيانا يقبلنى فى وجنتى .. قبلات يحاول أن يستقر بها على خدى .. ولكنى لا البث ان اسحب خدى من تحت شفتيه ، واجرى وانا امثل دور ابنته .. واحيانا كنت اتدلل عليه ، واجلس على ركبتيه .. ثم لا تكاد ذراعه تلتف حول خصرى حتى أقفز من فوق ركبتيه وأنا أصيح فى مرح يليق بسنى :

ــ اوريلك جزمتى الجديده يا اونكل .

ويبتسم فى صبر ..

ولكنى كنت اعرف ان للصبر حدودا .. وأن عبد الفتاح يريد أن يصل .. كيف ومتى .. لا ادرى .. ولكنى بدأت اخاف .. اخاف اليوم الذى يصل فيه .. واحس به رجلا اقوى من ذكائى ، واقوى من اصرارى على طهارتى .. آسفة .. على ما بقى من طهارتى .. وبدات أخاف هذه الأحاديث الطويلة التى تدور بينه وبين امى .. وبدات اعصابى تثور .. واصرخ فى وجه امى ، واتهمها بأنها تخفى عنى شيئا .. اشياء .. وبدات اتعود على تحطيم اى شىء كلما ثارت اعصابى . احطم طبقا .

او آنية زهر .. ففى مرة حطمت شاشة التلفزيون .. قذفتها بمنفضة السجائر ..

وامى تحتملنى ..

واونكل عبده يحتملنى فى صبر الرجل الذى يعرف كيف يصل الى ما يريد ..

وكل شىء يتغير حولى بسرعة .. اسرع من تفكيرى .. لم نعد نتردد على زيزى .. ولم تعد امى تشجع الرجال الذين تعرفهم على التردد علينا .. كأنها قررت ان تكتفى من كل الرجال بعبد الفتاح . واصبحت احس ان هناك قوة تدفعنى لتحصرنى فى ركن ضيق حتى تفترسنى .. قوة خفية لا اراها ، ولا أستطيع ان اقاومها ..

وانا خائفة ..

خائفة ..

حائرة .

مرتبكة ..

محرومة من الحب ..

وابكى ..

وصحتى تسوء ..

و ..

وفى يوم دق جرس التليفون ، وكنت بجانبه صدفة ، وامى فى المطبخ ..

ورفعت السماعة ..

وسمعت صوت عادل .. عرفته بعد هذا العمر الطويل ، وصرخت :

ـــ عادل ..

ثم خفضت صوتي حتى لا تسمعنى امى ، وقلت :

ــ جيت امتى ..

وقال عادل في صوت تمزقه أنفاسه :

ــ وصلت البيت من نص ساعة بس .. ما كنتيش بتردى على جواباتى ليه يا نوجا ..

وقلت وانا اتلفت حولى :

ــ انا ما وصلنيش منك ولا جواب .

قال في دهشة :

ــ ازاى ده .. انا كنت بابعت لك كل يوم جواب .. وبعدين بقيت ابعت كل اسبوع .. ما كنتش مصدق انك حاتفضلى طول عمرك ما ترديش علىّ .. و ..

وقاطعته قائلة :

ــ انت فين دلوقتى ؟

قال :

ــ في البيت ..

قلت :

ــ اقدر اشوفك ..

قال :

ــ طبعا .. انا جيت مخصوص علشان اشوفك ..

قلت :

ــ بس مش في بيتكم ..

قال :

ــ فين ؟

قلت :

ــ في حته ما حدش يشوفنا فيها ..

قال فى تردد :

ــ تجى فين ؟

قلت بسرعة وانا اهمس :

ــ فى شقة أخوك .. دلوقتى حالا ..

وضعت سماعة التليفـون .. ودون أن التفت خلفى .. دون ان ابدل ثيابى .. سرت على أطراف أصابعى .. وفتحت الباب فى هدوء .. واغلقته بلا صوت .. وخرجت ..

سرت فى الشارع بخطوات سريعة .. اكاد اجـرى .. واتلفت خلفى خوفا من أن تكون أمى قد لحقت بى .. واتلفت حولى باحثة عن سيارة تاكسى .. ثم تذكرت أن عادل كان يحدثنى من بيته فى حلوان ، وانه لن يستطيع ان يصل الى موعدنا فى شقة شقيقه بالعجوزة ، قبل ثلثى ساعة على الأقل .. وتذكرت أيضا انى لا احمل معى نقودا . نسيت ان آخذ معى نقودا .. وحتى لو كنت قد تذكرت النقود ، فلم اكن أستطيع أن أحمل منها شيئا ، الا اذا اخذته من أمى فهى لم تعودنى على أن تكون لى نقود خاصة بى .. ولم تخصص لى ابدا « مصروف ايد » .. فهى دائما معى ، وما أريده تشتريه لى بنفسها ..

وقررت ان أسير على قدمى من الجيزة الى العجوزة ..

واخترت أن أسير فى الشوارع الخلفية .. حتى لا ترانى أمى اذا ما فكرت فى اللحاق بى ..

وسرت طويلا وانا سارحة ، لا أكاد اتبين جوانب الطريق الذى أسير فيه .. لا اكاد ارى الناس من حولى .. ثم فجأة . اكتشفت أنى سارحة فى أمى .. أفكر فيها .. وافكر فيما يمكن ان يحدث لها عندما تكتشف اختفائى ... وأفكر فى الحياة التى نعيشها معا .. وفى أونكل عبده .. وفى زيزى .. لم اكن أفكر

فى عادل .. ولم اكن هائمة فى لحظة لقائى معه ، بعد هذه الغيبة الطويلة التى استمرت اكثر من عام .. لم اكن اشعر باندفاعى اليه .. ولا بالشوق اليه .. ولا بحبى له .. كل هذه العواطف والأحاسيس كانت غايبة عنى وانا ذاهبة اليه .. كل ما كان يشغلنى، هو احساس بانى هاربة من امى ..

وحاولت ان اتعمد التفكير فى عادل .. حاولت ان اتصور شكله بعد هذه الغيبة الطويلة .. هل امتلأ وازداد سمنة .. هل لا تزال على شفتيه هذه الابتسامة اللاهية .. هل لا يزال فى عينيه هذا البريق الجرىء .. وحاولت ان املأ صدرى بالاحساس بالحب .. وان أهيم فيه .. وان افرح به .. ولكنى ما لبثت أن وجدت نفسى أعود الى التفكير فى أمى ..

انى متأكدة انى هاربة من امى ..

ولكنى لست متأكدة انى هاربة الى عادل ..

ليس عادل هو السبب فى هروبى ..

ولكنها أمى التى اهرب منها ..

انى افر من الحياة التى تعدها لى امى ..

ولست هاربة الى حياة أعرفها واريدها لنفسى ..

وبدات اشك فى انى لا زلت أحب عادل ..

وحاولت أن اطرد هذا الشك ..

خفت .. خفت ان اكتشف انى لم اعد أحب عادل .. وتمنيت ان اكون مخطئة فى ظنى .. انى فى حاجة الى حب عادل .. فى حاجة الى اى حب ، لينقذنى من المصير الغامض الذى انساق اليه .. ليمنحنى القوة على مواجهة امى .. واونكل عبده ..

وهززت راسى كأنى انفض عنها ظنونى ..

لاشك انى لا زلت احب عادل .. وسأكتشف حبى لحظة

لقانى معه . ولكنها القطيعة الطويلة التى مرت بيننا هى التى تثير ظنونى ، وتسلط الشك على حبى ..

هكذا قلت لنفسى .. ثم عدت افكر فى امى .. واونكل عبده ..

وسرت اكثر من ساعة .. ادخل فى شارع واخرج من شارع ، دون أن اشعر بالتعب .. افكارى تلهينى عن التعب ..

ووصلت الى العمارة التى تقع فيها شقة شقيق عادل .. ولكنى أخذت أطوف حولها . الى ان قدرت انه قد مرت فترة كافية لوصول عادل من حلوان ..

وصعدت الى الشقة ..

لم اكن مرتبكة ..

ولكنى كنت لا أزال افكر فى امى ، لا فى عادل ..

وحتى اللحظة التى ضغطت فيها على جرس الباب ، وانا افكر فى امى ..

وفتح الباب ..

وكأنى أفقت من افكارى .. عدت من عالم بعيد لم يكن فيه عادل ..

ولم استطع ان اتبينه كله من النظرة الأولى .. بدا امام عينى كالصورة المهزوزة .. وقبل ان اتبينه شدنى اليه ، واغلق الباب بيده الأخرى ، ثم احتوانى فى صدره ، وهو يهمس :

ــ نوجا ..

وضغطنى اليه كأنه يحاول أن يدخلنى تحت ضلوعه ..

وحاولت ان استريح على صدره .. وملت براسى على كتفه ، واغمضت عينى لانسى كل شىء الا احساسى به .. ولكنى لا استطيع ان انسى .. ولا ان ارتاح .. كل ما احس به انى

مستسلمة له .. وضقت باغماض عينى .. ففتحتهما .. واصطدمتا بحائط الغرفة الذى أمامى ..

وابعدنى عادل عن صدره .. واخذ ينظر الى بعينين مبتسمتين .. وانا انظر اليه كأنى ابحث فيه عن حبيبى القديم .

وخيل الى انه تغير ..

عيناه لأيس فيهما هذا البريق الجرىء .. ان فيهما بريقا .. ولكنه بريق حاد لا يخلو من قسوة .. بريق عينى رجل خاض معركة الحياة فى أعنف ميادينها .. وابتسامته مستقرة هادئة .. ابتسامة رجل لم يعد يلهو ..

ونظرت اليه نظرة ثانية ..

لقد ازداد سمنة .. وخيل الىّ ان قامته قد قصرت .. ووجهه أصبح اشد سمرة ، وخطوط عميقة تدور حول جانبى انفه وتحدد خديه .. كأنها اثار جراح تركتها معركته هناك .. فى الصحراء .. وشارب صغير فوق شفتيه .. خيل الىّ أنه شارب معفر ، لا تزال عليه آثار الرمال التى تقذفها الريح فى وجوه القوم الرحل ..

وهمس عادل وهو ممسك بكلتا يدى .. وعيناه تطلان فى عينى وابتسامته تنطلق على وجهه كله :

ــ وحشتينى .. وحشتينى قوى ..

وقلت وبين شفتى ابتسامة لا احس بطعمها :

ــ وانت كمان ..

قال ورموشه تهتز فوق عينيه كأنه حائر من اين يبدأ :

ــ كده تسيبينى من غير ولا كلمة .

قلت وشىء كخيبة الأمل يزحف على صدرى :

ـ قعدنى الأول يا عادل .. أنا تعبانه موت .. تعرف انى جايه ماشيه من بيتنا لغاية هنا ..

قال :

ـ مش معقول ..

قلت :

ـ أصلى هربت من ماما .. وما كنتش معايا ولا مليم .. وكان لسه بدرى على ما تيجى من حلوان ..

وجذبنى من يدى واجلسنى على الأريكة .. نفس الاريكة التى سفحت عليها عذريتى .. وطفت بعينى فوق الأريكه قبل ان اجلس عليها ، كأنى ابحث فيها عن شىء غال فقدته .. ثم تعمدت ان اجلس فوق شخص آخر راقد عليها .. كأن هذا الشخص الآخر هو انا .. وكأننى لا زلت راقدة فوقها منـــذ هذا اليوم البعيد ..

وقال عادل وهو يجلس بجانبى ملتصقا بى :

ـ انا متأكد ان مامتك هى اللى كانت بتاخد جواباتى وتخبيهم عنك ..

قلت وانا لا زلت هائمة فى هذا اليوم البعيد :

ـ يجوز ..

ثم التفت اليه واستطردت قائلة :

ـ بس انا عرفت عنك حاجات كتير زعلتنى .. ويمكن لو كنت استلمت جواباتك ما كنتش رديت عليك ..

قال وحاجباه يرتفعان فى تساؤل :

ـ عرفتى أيه ..

قلت بلا حماس ودون أن أتألم ، كأنى اتحدث عن موضوع لا يهمنى :

ـ عرفت انك خرجت مع أختى ، وجبتها معاك هنا .. فى الشقه دى ..

وصرخ عادل :

ـ كدابين .. اللى قالولك كده كدابين .. عايزين يوقعوا بيننا .. انا كنت باروح لمامتك الحقيقيه واختك علشان اعرف اخبارك . علشان يساعدونى على أمك التانيه ..

ونظرت اليه .. ولم يهمنى كثيرا أن اتأكد من صدقه .. وقلت فى فتور وقد بدأت أحس بالتعب يسرى فى مفاصلى اثر المشوار الطويل الذى مشيته ..

ـ يجوز ..

وقال عادل :

ـ ما تقوليش يجوز .. صدقينى يا نوجا .. وحياتك عندى ان كلامهم كدب ..

واجبته وابتسامة فوق شفتى كأنى اطمئنه :

ـ مصدقاك ..

ومرت بيننا فترة صمت ثقيلة .. تبادلنا خلالها نظرات مختلسة .. وخيل الىّ لحظتها أن كلا منا قد اكتشف انه صدم فى الآخر .. لست وحدى التى صدمت .. ولكن عادل ايضا صدم .. ولست وحدى التى شعرت بأن عادل قد تغير .. هو ايضا شعر بأنى تغيرت .

ورغم ذلك كان يجب ان نتأكد من حقيقة عواطفنا ..

كان يجب ان نحاول استعادة حرارة الحب الكبير الذى عشت فيه صباى وشبابى .. الحب الذى روى ايام عمرى حتى تفتحت ..

واقترب عادل منى وقال وانفاسه تطوف بوجهى :

ــ احنا مش حانسيب بعض بعد كده ابدا يا نوجا .. ولا يوم .. ولا ساعه .. ما حدش يقدر يفرقنا عن بعض .

وقلت وانا أرخى عينى عن عينيه :

ــ انا تعبت قوى يا عادل ، من يوم ما سبتنى ..

قال وشفتاه تقتربان من شفتى :

ــ خلاص .. من هنا ورايح ، مش حاتتعبى ابدا ..

واغمضت عينى ...

كنت اريد قبلته ..

اريد أن اتاكد من انها لا تزال القبلة التى عشت فى ذكراها طويلا ...

واقتربت شفتاه اكثر ..

احس بهما تلامسان شفتى ...

وانا مغمضة العينين ...

واتمعن فى قبلته كانى اتذوق طعاما لأتأكد من انه لا ينقصه الملح ..

لا ... ان قبلته ينقصها شىء .. ينقصها الملح .. وشفتاى اللتان احسست بهما كاليتيمتين يوم تركهما ، لا احس بهما كأنها عادتا الى ابيهما ... احس بهما كأنهما لا يذكران هذه القبلة .. تاهتا عنها ..

وتركته يقبلنى اكثر ..

اخذ شفتى كلهما بين شفتيه .. يعتصرهما .. يحاول كل جهده أن يبعث فيهما الحياة ..

وشفتاى صامتتان .. مستسلمتان .

وبذلت جهدا كبيرا كى احركهما بين شفتيه .. كى أبادله قبلته ..

ولكنى لا زلت غريبة عنه ..
وتركته يتمادى اكثر ..

يضغطنى الى صدره فى عنف ، كأنه يختبىء فى ليستظل بجسدى ، بعد الشهور الطويلة التى قضاها فى صحراء الكويت .. ويده تمسح على ظهرى .. واصابعه كلها منفرجة عن بعضها كأنه يحاول ان يكومنى فى قبضته .. ثم زحفت اصابعه ومست صدرى .. صدرى الذى كبر بين يديه .. صدرى الذى اخذه ممسوحا وتركه مكورا ناضجا ..

وانا اراقب كل لمسة من لمساته بعقلى .. كأنى ابحث عن صداها فى جسدى .. وفى قلبى ..

جسدى بارد كالثلج .. واعصابى صامتة كعروق الخشب .. وقلبى يتململ فى ضيق .. وصدرى لا يستطيع أن يتعرف على هذه اليد التى ربته ، وانضجته .. انى لا أحس بشىء رغم شهور الحرمان الطويلة التى مرت بى ..

ولكنى لا زلت مستسلمة ..

أحاول ان أبحث فى عادل عن حبيبى ..

ثم مال بى فوق الاريكة .. وانفاسه تحرق وجهى كلفح النار .. واحدى يديه مدسوسة فى شعرى ، ويده الأخرى تقفز فوق كل قطعة من جسدى .. وثقله كله فوقى ..

وأنا لا اطيق أن اغمض عينى ..
ولا اطيق أن افتحهما ..
ووصلت يده الى طرف ثوبى ، وهم أن يرفعه ..
وفكرت أن ابقى مستسلمة ..
لم لا ؟ !

ان من حقه علىّ ان استسلم له .. انه الوحيد فى حياتى

الذى عبر على جسدى .. انه صاحب هذا الجسد .. انه الرجل الذى صنعنى .. وصنع منى امرأة .. انه زوجى ، حتى ولو لم يكن قد تزوجنا ..

ولكنى لم استطع ..

لم اعد اطيق مزيدا من الاستسلام ..

أعصابى تلتوى ..

والزهق يخنقنى ..

ومددت يدى امسك بطرف الثوب حتى لا يرفعه .. ونزعت شفتى من بين شفتيه .. واشحت بوجهى عن وجهه . وهمست

ـ كفايه يا عادل ..

ولكنه لا يريد ان يكف ..

وضايقنى انه لا يريد أن يكف ..

كنت اعتقد انه اكثر رقة ، واكثر حرصا على الا يأخذ منى اكثر مما اعطيه ..

ولكن . لعله لا يصدق انى لا اريد .. لعله يعتقد انى اتدلل عليه ... او انى خجلة من ان اعبر عن حاجتى اليه ..

واضطررت أن أقاومه .. وقلت فى عصبية وانا احاول ان ازيحه عن صدرى ، وصوتى يفيض بزهقى :

ـ ما تبقاش مجنون يا عادل .. انا تعبانه ..

وانزاح من فوق صدرى ..

واعتدلت من رقدتى ، وجلست احاول أن استرد انفاسى ..

وانا أحس بشعرات ذقنه الثقيلة وقد الهبت وجهى ..

وقال وانفاسه لاهثة :

ـ احنا لازم نتجوز يا نوجا .. لازم ..

قلت وانا أساوى شعرى بيدى :

ــ وتفتكر ان ماما حاتسيبنا نتجوز ؟ . .

ونظرت الى الباب كأنى اتعجل امى لتأتى وتضبطنى . .

وقال عادل :

ــ مش حانستنا لغاية مامتك ما تسبنا نتجوز . . وافقت ولا موافقتش ، لازم نتجوز . .

قلت :

ــ انت عارف ان ماما مش سهلة . .

قال :

ــ مهما عملت . . احنا تعبنا كتير يا نوجا . . وما تعرفيش انا تعبت قد ايه فى الكويت . . كل يوم كان بيفوت على زى سنه . . وكان كل الى مصبرنى انى كنت عارف انى باكسب واحوش علشان ارجع واتجوزك . .

ثم بدأ يحدثنى عن حياته فى الكويت . . وعن الاموال التى ادخرها من عمله هناك . .

وانا انظر بين الحين والحين الى الباب ، فى انتظار امى . . لماذا تأخرت . . لقد مضت مدة كافية لتكتشف هربى . . . ولابد انها عرفت أنى هربت الى عادل . . انها لم تصدق ابدا انى نسيت عادل . . كانت دائما مؤمنة بأنى لا زلت احبه . . ولابد انها عرفت ان عادل قد عاد من الكويت . . ما دمت قد هربت . . وربما اتصلت ببيته وعرفت من عائلته انه قد عاد فعلا . . ولابد انه خطر لها انى سألتقى به فى هذه الشقة التى ضبطتنى فيها عندما هربت فى المرة الأولى منذ اكثر من عام . .

انها ذكية . . وفيها حاسة كلب الصيد ، تستطيع بها أن تتبعنى أينما ذهبت . .

فلماذا تأخرت . .

وقال عادل وصوته يأتى الىّ كأنه يشدنى من عالم بعيد :

ــ انا حاسس انك اتغيرت يا نوجا ..

ونظرت اليه كأنه كشف سرى ..

وقلت وانا احاول أن أبتسم :

ــ اتغيرت ازاى ..

قال وفى عينيه لوم وعتاب :

ــ مش عارف .. بس حاسس انك اتغيرتى .. ما بقيتيش زى زمان .. ومتهيألى انى ما وحشتكيش ..

قلت وابتسامتى ترتعش فوق شفتى :

ــ ابدا بس أنا كنت يائسه منك .. وكما كنت عيانة .. من يوم ما شفنا بعض اخر مره وانا عيانه ..

وقال فى لهفة :

ــ عيانه ازاى ..

قلت وجه الدكتور هاشم يقفز فى خيالى :

ــ بأعصابى ..

وامسك عادل بيدى ، وضغط عليها ، وقال :

ــ وانتى استحملتى كتير يا نوجا ..

ونكست راسى صامتة ..

لقد احتملت فعلا .. وتغيرت .. وانى احس اليوم .. فى هذه اللحظة .. بكل التغيير الذى حدث لى .. احس انى لم أعد الفتاة التى احبت عادل هذا الحب المراهق المعلق فى السحاب .. احس فى هذه اللحظة بالذات بانى انسانة اخرى غير التى كنت اتصورها .. احس بعقل جديد فى راسى .. وقلب جديد فى صدرى .. وعالم جديد يحيط بى .. ان هذا العالم الجديد أصبح عالمى فعلا ، مهما أنكرت ، ومهما ترددت فى الاعتراف به ..

ولكن ما الذى غيرنى ؟

هل هو مجرد مرور الزمن ..

ام انى كنت احب عادل كفتاة ، ثم لم استطع ان احبه كامراة ..

ام هو يأسى من عادل .. ايام ان انتزعتنى منه امى ، وحطمت حبى ..

ام هم عشرات الرجال الذين رايتهم فجأة حولى ، وكأنى تنبهت الى ان هناك رجالا غير عادل .. كلهم معجبون بى .. وكلهم يحبوننى .. ولكل منهم اسلوب فى اعجابه وحبه ، ويختلف عن اسلوب الآخر .. ويختلف عن اسلوب عادل ..

ام هو البذخ والاسراف والهدايا الكثيرة التى أذهلتنى ..

ام هو هاشم ..

لماذا احشر هاشم فى كل حديث بينى وبين نفسى .. ان هاشم مر فى حياتى مرور النسمة العابرة .. ولا يمكن أن يكون قد ترك فيها أثرا يغيرنى .. ولكن .. من يدرى .. لعل هاشم قد غيرنى فعلا .. لعله هو الذى جعل لى ذوقا آخر فى الرجال .. لقد مرت أيام اعتقدت فيها ان هاشم يستطيع أن يحل فى قلبى محل عادل .. صحيح انى أحسست أن تفكيرى فى هاشم هو مجرد طموح .. مجرد حلم بعيد .. ولكن فى هذه الأيام .. تحطمت صورة عادل فى قلبى .. لم يعد عادل هو مثلى الأعلى .. أصبح مثلى الأعلى هو هاشم .. شخصيته .. طبيعته .. حنوه .. وعمره الأربعين .. ومن يومها وانا ابحث فى الرجال عن رجل مثل الدكتور هاشم ، لا مثل عادل ..

واقترب منى عادل مرة ثانية ، وحاول أن يقبلنى .. ولكن

ما كادت شفتاه تلمسان خدى ، حتى نفرت منه .. وهمست فى حزم :

ــ سيبنى دلوقت يا عادل ..

وابتعد عادل وهو ينظر الى بعينين واسعتين ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة مسكينة .. كأنها ابتسامة رثاء .. يرثى بها حبنا ..

وعدت التفت الى الباب كأنى استغيث بأمى .. استغيث بها من حيرتى ..

لماذا تأخرت ..

ووجدت نفسى ألوم أمى ، لأنها تأخرت .. ثم اخيرا .. ارتفع رنين جرس الباب ..

وانطلقت فرحة خبيثة فى صدرى .. وقلت كأنى أخاطب نفسى :

ــ دى لازم ماما ..

وقال عادل :

ــ أنا مش حافتح ..

وقلت كأنى ارجو :

ــ لو ما فتحتش حاتفضل ماما تضرب الجرس ، انشالله لغاية بكره الصبح .. وتعمل لك فضيحه فى العماره .. ويمكن تجيب البوليس ..

واكفهر وجه عادل وقال كأنه يستعد للحرب :

ــ طيب قومى خشى جوه .. وأنا حا اقول لها انك مش هنا ..

قلت وأنا أشفق عليه :

ــ ما فيش فايده يا عادل .. لازم نواجهها بصراحه ..

ونظر الى عادل طويلا ..
وجرس الباب لا يكف عن الرنين ..
وانا التفت الى الباب .. ثم التفت الى عادل فى رجاء ..
ورنين الجرس يملأ أذنى كأنه جرس سيارة المطافىء فى طريقها الى اطفاء حريق ..

وزفر عادل أنفاسه ، ثم قام وفتح الباب ..
وكانت أمى ..
مرتدية معطفها الأسود ، وعمامتها السوداء ، ووجهها المكرمش أشد قسوة ، والتجاعيد أكثر عمقا كأنها جروح قديمة جفت ، وعيناها ملهوفتان ، قاسيتان ، فيهما تحد مريع .. وخلفها ثلاث من سيدات جمعية نور الهدى ، متشحات بطرحهن البيضاء كأنهن الأشباح ..

وما كدت أراها حتى امتلأ صدرى بشعور التحدى ..
تحد ساخر ..
شعور أقرب الى الشماتة ..
ونظرت الى أمى كأنها تصفعنى بعينيها .. وقالت فى صوت مبحوح :

ــ كويس كده يا ست نوجا .. كويس لعب العيال ده ..
واتكأت على مسند الأريكة ، وقلت بلا مبالاة :
ــ أنا حره .. ما حدش له دعوه بى .
وصرخت :
ــ لا انت مش حره .. انتى مش سايبه .. انتى وراكى اهل لازم تحسبى حسابهم ..

والتفت سيدات نور الهدى حولى ، بطرحهن البيضاء . وأجسامهن الضخمة ، كأنهن قررن خطفى .. أو قتلى ..

وقال عادل :

ــ احنا حانتجوز .. وما حدش حا يقدر يمنعنا من الجواز .. كفايه ضيعتى من عمرنا سنه .. حرام عليكى .. انتى ما فيش فى قلبك رحمه ..

وقالت امى :

ــ لو صحيح قلبك عليها كنت جيت اتجوزتها من بيت اهلها .. بنات الناس ما بيتجوزوش فى الشارع يا سى عادل ..

ثم التفتت الىّ ، وقالت فى حزم :

ــ قومى يا ست نوجا وكفايه فضايح .. قومى معايا ..

وقلت كانى اغيظها :

ــ لا .. مش قايمه .. مش عايزه ارجع بيتك تانى ..

وقالت فى تأثر :

ــ ده مش بيتى يا نوجا .. ده بيتك زى ما هو بيتى ..

ولو انها تركتنى فى هذه اللحظة ، لجريت وراءها ، ولحقت بها .. ولكنها لم تتركنى .. وقفت امامى تلح علىّ .. والنساء المتشحات بالطرح البيضاء صامتات ينظرن الىّ بعيون جامدة ..

ثم قالت امى وهى تتنهد :

ــ قومى معايا يا حبيبتى .. وعادل ييجى يتقدم لك فى بيتك .. واحلفلك انى مش حا اعارض .. كفايه اللى حصل .. واللى انتى عايزاه حا يتعمل .

ونظرت اليها فى تعجب ..

غاظنى استسلامها ..

انها لا تدرى انى لم اعد اريد الزواج من عادل .. لا تدرى انى اكتشفت ان حبى قد ذبل .. اصبح كوردة كنت قد وضعتها بين صفحات كتاب .. ولم يبق من عبيرها الا الذكرى ..

وقفزت واقفة فى حدة :

ــ طيب اتفضلى .. أما اشوف .

وقال عادل وهو ينظر فى وجه امى كانه لا يصدقها :

ــ انتى بتتكلمى جد يا طنط ..

وقالت أمى وهى لا تنظر اليه :

ــ طبعا يا عادل .. انا عايزه ايه غير سعادة نوجا ..

وقال عادل بحماس :

ــ افوت عليكم الليله دى ؟ .

وقالت امى :

ــ خليها بكره ..

ثم احاطتنى بذراعها وجذبتنى ناحية الباب ..

وخرجنا دون أن التفت الى عادل ..

وخلفنا الثلاث المتشحات بالطرح البيضاء ..

ووجدت فى انتظارنا أمام باب العمارة سيارة عبد الفتاح بيه رفعت .. اونكل عبده .. يقودها سائقه الخاص ..

وجلسنا داخل السيارة .. أنا فى الوسط وبجانبى أمى . وحولى سيدات جمعية نور الهدى .. كأنى مجرمة ، قبض عليها . وفى طريقها الى السجن ..

ولم اتكلم خلال الطريق ، ولا كلمة .

وشعور جارف باليأس يملؤنى ..

اليأس من كل شىء ..

من الحب .. ومن المستقبل .. ومن السعادة .. ومن نفسى ..

ووصل اليأس الى قمته فانقلب الى احساس باللامبالاة .. لم أعد أبالى بشىء مما يجرى حولى .. لم أعد ابالى بما يمكن

ان يحدث لى .. بل لم اعد ابالى بأن اسأل نفسى عما اريد .. ولا بأن اضع معنى لتصرفاتى ..

وهززت كتفى ، وانا اخاطب نفسى ، كأنى اؤكد احساسى باللامبالاة .. وقالت امى وقد لمحت هزة كتفى :

— مالك ..

قلت :

— ولا حاجة ..

ثم ابتسمت ابتسامة بلهاء ..

ووصلنا الى بيتنا ..

ودخلت حجرتى ، وانا منتظرة ان تلحق بى امى لتسألنى عن التفاصيل .. كل التفاصيل .. التفاصيل التى تشبع شهوتها العجيبة لمعرفة ما يجرى بين الولد والبنت ..

ولكنها لم تلحق بى ..

ظلت مشغولة عنى .. تتحدث طويلا فى التليفون .. وحولها سيدات جمعية نور الهدى ..

وحوالى الساعة الثالثة ، سمعت رنين جرس الباب .. ثم سمعت صوت أونكل عبده .. وانتظرت أن تأتى أمى لتستدعينى لمقابلته كعادتها .. ولكنها لم تأت .. وتمسكت بعنادى .. ولم اخرج من غرفتى ..

وبعد اكثر من ساعة ، جاءت امى ووقفت امامى ووجهها صارم جامد وقالت فى لهجة حازمة :

— عبد الفتاح بيه عايزك ..

قلت بلا مبالاة :

— ليه ؟ ..

قالت :

ــ ودى كمان فيها ليه .. ما تقومى تشوفى عايز ايه ..

وهززت كتفى .. وقمت وأنا بقميص النوم ، وارتديت فوقه الروب ، وهممت بالخروج من الغرفة .. وقالت امى :

ــ مش تلبسى فستان احسن ..

قلت :

ــ مافيش لازمه .. اونكل عبده مش غريب ..

وخرجت ..

ووقف عبد الفتاح يستقبلنى ..

وابتسامة كبيرة على شفتيه الغامقتين ، وقال فى حنان مفتعل :

ــ انا زعلان منك يا نوجا .. كده تخضينا عليكى .. دى عمايل دى ..

وقلت :

ــ مش مهم ..

ثم جلست بجانبه .

ونظر الى امى .. ونظرت اليه امى .. ثم التفتت امى الى قائلة ، وهى تدفـــع أمامى ورقة كانت موضـــوعة على المائدة الصغيرة :

ــ خدى امضى هنا ..

قلت فى دهشة :

ــ ايه دى ...

قالت :

ــ دى يا ستى ورقه علشان تانى مره ما تحاوليش تتجوزى من ورانا ..

قلت :

ـ مش فاهمه ..
قالت :
ـ ما هو انا ما اقدرش استحمل اكتر من كده .. ما اقدرش اعيش وانا خايفه فى كل لحظة انك تهربى وتتجوزى من ورانا .. الورقه دى تمنعك من انك تتجوزى من غير ما نعرف .. ويوم ما تحبى تتجوزى ، نبقى نقطعها ، ونجوزك اللى انتى عايزاه ..
قلت :
ـ ودى تبقى ورقة ايه دى ..
قالت أمى فى حزم :
ـ ورقة جواز ..
قلت :
ـ يعنى حا اتجوز ..
قالت :
ـ جواز كده بس لغاية ما تتجوزى بصحيح ..
قلت وانا اضحك :
ـ وحاتجوز مين باه باذن الله ..
وقالت امى ووجهها يبتسم :
ـ عبد الفتاح بيه ..
وارتفعت ضحكتى ، كأنى اصرخ بها ، واستطردت امى قائلة :
ـ الراجل الله يخليه ، حب يهدى سرى .. واتفقنا اننا نكتب الورقة دى .. يعنى زى ما تقولى كده جواز عرفى ... انما ما فيش اكتر من الورقه ..
وقلت وضحكتى لا تزال تصرخ وتملأ البيت كله :
ـ صحيح حا تتجوزنى يا اونكل ..

وقال عبد الفتاح بيه وعلى شفتيه ابتسامة هادئة :

ــ يا ريت يا نوجا ..

وقلت :

ــ وانا فى ديك الساعه يا أونكل .. حد طايل ..

وجذبت الورقة ، وامسكت بالقلم ، وقلت وانا أوقع دون ان اقرا شيئا :

ــ وادينى مضيت ..

وأخذت امى الورقة وطوتها بعناية ، ووضعتها فى صدرها .. وقالت :

ــ لازم تفهمى انك لو اتجوزتى دلوقتى حد تانى .. قبل ما نقطع الورقة دى .. حاتخشى السجن .. تبقى كأنك متجوزه اتنين ..

وقلت بلا مبالاة :

ــ ما تخافيش ..

وقال عبد الفتاح وهو ينظر الىّ بعينين هادئتين :

ــ وخدى ده كمان يا نوجا ..

وناولنى « شيك » ..

قلت :

ــ وده ايه كمان ..

قلت :

ــ ده المهر .. مش اللى بيتجوز بيدفع مهر ..

ونظرت فى الشيك .. انه بمبلغ الفى جنيه .. وهو مكتوب باسم امى .. لا باسمى انا ..

مهرى الفين جنيه .. كويس !!

وابتسمت لعبد الفتاح بيه ، وقلت :

— مرسى يا أونكل ..

ثم انحنيت اقبله قبلة سريعة على خده ..

وقذفت بالشيك امام امى ..

وجريت الى غرفتى ..

وجاء أونكل عبده خلفى ..

— ٣ —

هذه الورقة التى وقعتها بامضائى ، والتى لم اقراها حتى اليوم ، والتى تسميها امى ورقة زواج .. هذه الورقة حققت لأمى كل أمانيها ..

وكانت كل امانيها أن تزوجنى لرجل لا يأخذنى منها .. رجل يتركنى لها .. زوج يتنازل عن كل حقوقه ، لها ، الا الحق الوحيد الذى لا تستطيع أن تباشره بنفسها !

وكان عبد الفتاح بيه رفعت ، هو هذا الرجل ..

ولم يكن عبد الفتاح يريد أن يتزوجنى .. كان الزواج بمعنى الزواج أبعد ما يكون عن خياله .. ولكنه كان يريد أن يأخذنى .. بأى ثمن .. وكان يعلم انه لا يستطيع ان يصل الى عن طريق قلبى .. ان عقليته واسلوبه فى الحياة لا يحتملان هذا الطريق .. ثم انه كان يعلم ان هذا الطريق مسدود أمامه .. ليس عنده شىء يمكن ان يفتح به قلبى .. كل ما عنده هو ثراؤه .. ماله .. فالطريق الوحيد هو أن يشترينى .. يشترينى ممن ؟ ! من نفسى !! لا ... لقد اكتشف أننى لست حرة نفسى .. عرف أنى ، سواء بارادتى او بغير ارادتى ، ملك لأمى .. فقرر ان يشترينى من امى

.. وبعقلية المقاول بدأ يقاول أمى علىّ وصبر طويلا على مساومتها .. مساومات كانت تجرى من وراء ظهرى .. لا أعلم بها .. وأمى ليست هينة .. انها تستطيع أن تساوم .. وهى فى الوقت نفسه ليست سيئة الى حد المجاهرة بسوئها ، فهى تريد أن تجد غلالة تغطى بها عملية البيع والشراء .. ولكنها كانت تعلم طول الوقت أن هناك مصلحة مشتركة بينها وبين عبد الفتاح .. فعبد الفتاح يريد أن يأخذنى ، ولكنه لا يريد أن يأخذنى منها .. بالعكس .. انه حريص على أن يبقينى معها .. فهو متزوج وله أولاد كبار ، وله مركزه الاجتماعى الذى يحرص على مظاهره ، وكل ذلك يفرض عليه أن تبقى علاقتى به فى السر .. لا يعلم بها أحد .. وكى لا يعلم بها أحد يجب أن أبقى مع أمى ، وأن تبقى لى كل مظاهر البنت التى لم تتزوج بعد .. حتى لو كان من بين هذه المظاهر أن يتقدم لى الخطاب .. وهذا يرضى أمى .. انها تستطيع بذلك أن تضمن أنى سابقى لها الى الأبد .. ملكا خاصا .. فى بيتها .. أمام عينيها .. هى وحدها صاحبة الحق علىّ .. ليس هناك رجل يشاركها فى سلطتها على ..

وقد انتهت المساومة الى الاتفاق على كتابة هذه الورقة .. التى تسميها أمى زواجا .. أو زواجا عرفيا .. انها فى الواقع عقد بيع .. وعقد بيع من نسخة واحدة تحتفظ به أمى .. فقد رفضت أمى أن يكتب العقد من نسختين يحتفظ عبد الفتاح بالنسخة الثانية منها ، حتى لا يكون له حق يشهره فى وجهها وتكون هى وحدها صاحبة الحق عليه .. ورضى عبد الفتاح .. لأنه لم يكن يريد أن يكون له حق أكثر من الحق الذى يعلم أن أمى وافقت عليه ..

وكانت هذه الورقة هى الغلالة التى طوت فيها أمى ضميرها

.. انها لا تبيعنى .. انها لا تعطينى لرجل فى الحرام .. ولكنه زواج .. زواج عرفى .. فيه كل ما يتطلبة الشرع .. والدين الحنيف ..

ورغم ذلك ترددت امى فى ان تعرض على مشروع هذا العقد .. كانت خائفة منى .. خائفة من أن تفقد بقية هيبتها أمامى .. الى ان هربت الى عادل ..

وكانت تعتقد انى لم ابرأ من حبى لعادل .. وانى لن اكف عن محاولة الهرب اليه ، والزواج به رغم انفها .. فقررت ان تنفذ مشروع الاتفاق بينها وبين عبد الفتاح ..

ان تزوجنى له ..

هذا النوع من الزواج !!

وكل ذلك لم اتبينه لحظة أن وقعت على الورقة .. لم اعط نفسى مهلة للتفكير .. كنت واقعة فى براثن اليأس الذى انقلب الى لا مبالاة ، بعد أن اكتشفت الفراغ القاتل الذى يملأ قلبى بعد ان تأكدت انى لم اعد احب عادل .. وان كل ما كنت احس به نحوه ، لم يكن سوى وهم تثيره ذكريات حب مراهق .. حب لم يكبر مع عمرى .. تخلف مع طفولتى ..

ودخل عبد الفتاح ورائى الى غرفتى ..

تركته امى يدخل ورائى ، وبقيت منتظرة قريبا من الباب .. فى حجرة الضيوف .. وابى المشلول فى حجرته ، لا يدرى شيئا من كل ما يجرى فى بيته ..

والقيت نفسى على الفراش وانا لا زلت بالروب فوق قميص النوم .. ونظرت الى عبد الفتاح نظرة لا مبالية .. ربما كان فيها كثير من السخرية ..

وجلس على حافة الفراش .. واخذ يتكلم .. لم يكن يهمنى ما يقول ولكنى كنت اريد أن اسمع كلاما .. اى كلام .. كلام يشعرنى بأن هناك شيئا يحدث فى حياتى .. اى شىء ينتشلنى من هذا الركود .. من هذا السأم .. من هذا الفراغ .

وعيناى تطلان على وجهه .. ربما كنت اسمع كلامه بعينى اكثر مما اسمعه باذنى .. اسمعه ينطلق من تجاعيد وجهه الأسمر . سمرة تميل الى زرقة .. ومن السنوات الخمسين التى تحيط بعينيه .. ومن شفتيه الرفيعتين الحازمتين اللتين يملى بهما مشيئته على الناس .. ومن اصابع يديه القصيرة الغليظة كأنها تآكلت وهو ينبش بها الأرض بحثا عن كنز هارون الرشيد ..

وخطر على بالى سؤال ..

هل يحبنى ..

عبد الفتاح .. هل يحبنى ؟

غريبة أن اسأل نفسى هذا السؤال .. ان موضوع الحب لم يكن ابدا موضوعا بيننا .. هو يعلم ذلك .. وانا اعلمه .. ولكن لماذا الغى الحب بيننا .. لماذا افترض أن كل ما هو بيننا هو بيع وشراء .. انه لم يشترنى الا لأنه يحبنى .. وأنا .. وأنا لم أبعه نفسى الا لأنى وجدت فيه شيئا أحبه .. ربما احساسى بقوته .. أقصد قوة ثرائه .. قوة نفوذه .. قوة صبره على طول الشهور التى مضت .. قوة ذكائه التى استطاع أن يصل بها الىّ .. قوة اهتمامه بى .. انى لم احس بكل هذا تجاه اى رجل آخر من الرجال الذين قدمتهم الى زيزى ..

ووجدت نفسى أسأله كأنى أحادث نفسى :

ـ بتحبنى يا اونكل ..

وابتسم عبد الفتاح ابتسامة الرجل الصبور ، وقال :

— قوى يا نوجا .. باحبك قوى .. انا كل ما ابص لك يتهيألى انى لسنه عندى خمسه وعشرين سنه .. وكل ما بتضحكى بتهيألى ان الدنيا كلها بتضحك .. بتضحك لى أنا .

وسرحت ..

احاول أن احس بصدى كلماته فى قلبى .. انى فى حاجة الى الحب .. اى حب .. وحاجتى الى الحب هى التى تدفعنى الى التفكير فى الحب ..

ونظرت الى عينى عبد الفتاح .. وفيهما لمعة خاطفة .. انه يحبنى بطريقته الخاصة .. طريقة الرجل الغنى .. يحبنى كما يحب تحفة .. كما يحب عمارة .. حب تغلب عليه انانية الامتلاك .. كحب امى .. ولكنه حب ..

وافقت من خيالى ، وعبد الفتاح يقترب بشفتيه من شفتى ..

ولم احاول أن اهرب من شفتيه ..

خيل الى أن محاولة الهروب ، لا داعى لها .. فأنا وقعت الورقة .. والرجل دفع الفى جنيه .. وامى تقول أن هذا زواج .. ثم انى أريد ان يحدث لى شىء .. أن اتسلى بشىء .. اى شىء .. لا ابالى بأى شىء ..

ثم تملكنى شعور جارف بأنى أريد ان اتفرج على عبد الفتاح بيه رفعت ، الغنى المشهور ، صاحب النفوذ .. وهو يمارس الحب ..

وتفرجت ..

وتفرجت على شفتيه وهما تتحركان بين شفتى .. فى اشتهاء عنيف جشع .. وتفرجت على عينيه تبرقان أحيانا كأنهما ستنطلقان من وجهه ، ويغمضهما احيانا كأنه يحتفظ بهما لنفسه ، خوفا من

ان يتركاه ويفرا الىّ .. وتفرجت على يديه الثقيلتين الجافتين ، وهما تختاران الأماكن التى تتحسسانها من جسدى .. وتفرجت عليه وهو يخلع ثيابه فى هرولة مضحكة ، وتفرجت على وجهه وهو يحتقن ويزدرد ويسخن .. وتفرجت على أنفاسه وهى تنفح وتلهث .

تفرجت ...

كل ما احسست به ، هو احساس المتفرجة .. كأنى اشاهد فيلما سينمائيا .. للكبار فقط .. كأن هذا الجسد ليس جسدى .. وكأن كل ما حدث لا يحدث لى .. انا بعيدة .. هناك مقاعد المتفرجين ... اتفرج ..

ولم اذكر ساعتها انى لست عذراء ..

لم يخطر على بالى هذا الموضوع ..

ولم يحاول عبد الفتاح ان يذكرنى به .. لم تبد على وجهه دهشة عندما اكتشف انى لست عذراء .. ولم يسألنى ، ولا علق بشىء ..

ربما لأنه كان يعلم بينه وبين نفسه ، ان العلاقة بيننا لا تتطلب ان اكون عذراء ، ولا تعطيه حقا ليحاسبنى على الماضى .. وربما لأن عقد البيع لم يسجل فيه انى عذراء ..

المهم ان هذا الموضوع لم يقلقنى ابدا طول فترة علاقتى بعبد الفتاح .

ولكنى يومها .. وبعد أن ارتدى عبد الفتاح ثيابه ، وخرج ليشرب فنجان قهوة مع امى .. بدأت احس احساسا جديدا .. احسست بأنى سخيفة ..

كل ما حدث .. سخافة !

وانا .. سخيفة ..

استسلامى سخيف ..
وافكارى سخيفة ..
والفيلم الذى شاهدته سخيف ..
انى لست نادمة ..
ولا سعيدة طبعا ..
ولا اريد ان ابكى ..
ولا اريد ان ابتسم ..
فقط .. سخيفة !

واحساسى بالسخافة يملؤنى .. يسرى فى كل عروقى .. انه احساس مؤلم .. ليس هينا ابدا الشعور بالسخافة .. انى احس بشىء ينزف من قلبى .. واحس بأعصابى تتلوى .. ولا استطيع شيئا .. ليست لى دموع تريحنى .. ولا اجد دافعا للصراخ حتى اصرخ وارتاح .. ولا استطيع ان الوم احدا .. ولا أمى .. ان السخافة عذاب متجمد .. اصم .. كالخشب .. كعمود من الحديد احمله فى صدرى .. واتلوى فى فراشى .. واخفى وجهى فى وسادتى .. واضرب عليها بقبضتى .. وصدرى ضيق ..

وجاءت أمى بعد ان خرج عبد الفتاح من البيت ، لتسمع منى التفاصيل .. كل التفاصيل .. ورفعت اليها راسى فى زهق ، وقلت بلا صراخ :

ــ سيبينى دلوقتى يا ماما .. انا تعبانه ..

وخرجت أمى ..

ولكنها عادت لتنام بجانبى طول الليل ، فى انتظار ان تسمع التفاصيل .

انها لن تستريح ابدا . الا اذا سمعت التفاصيل .. كل التفاصيل ..

وتغيرت حياتنا بعد ذلك . بفضل سخاء عبد الفتاح ..

انتقلنا من شقتنا الصغيرة فى الجيزة ، الى فيلا فى شارع الهرم ..

وجددنا اثاث البيت كله ..

واصبح عندنا طباخ وسفرجى ..

وفى عيد ميلادى اشترى لى عبد الفتاح سيارة اوبل كابتن ، لونها ابيض .. ورفضت أمى أن اتعلم قيادتها .. خافت علىّ .. وربما خافت أن اهرب بها .. واصبح عندنا سائق ايضا ..

وعلاقتى بعبد الفتاح لا تزال سرا .. لا يعلمه احد .. والذين يعلمون لا يعلمون أكثر من انه صديق العائلة ، وبعضهم يعتقد انه قريب لنا .. ولا زلت اناديه امام الناس ، وامام ابى ايضا « أونكل عبده » . وهو لا يأتى لزيارتنا اكثر من مرتين فى الأسبوع .. ويأتى غالبا فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وينصرف فى السادسة .. وتستعد امى لزيارته بأن تخلى البيت الا منى ومنها .. تصرف الطباخ .. وترسل السائق فى مشوار .. تكلف السفرجى بأن يأخذ ابى المشلول فى كرسيه ذى العجلات ، ويخرج به فى نزهة بشارع الهرم .. ثم يأتى عبد الفتاح الى غرفتى .. وتجلس امى قريبا من الباب ..

وعندما يعود أبى من نزهته ، يكون عبد الفتاح قد خرج من غرفتى وجلس مع أمى فى الصالون ، يشرب فنجان القهوة ..

ولم يكن ابى يحب عبد الفتاح ولم يكن يكرهه .. ولكنه مستسلم لوجوده وسط العائلة .. استسلامه لكل شىء وربما كان يشعر ببعض الاعتزاز بأن يكون احد أصدقاء العائلة

رجلا مهما مثل عبد الفتاح بيه رفعت .. ربما .. فانى لم استطع ان اعرف أبدا حقيقة شعور ابى نحو عبد الفتاح .. لسانه المشلول كان يمنعه من التعبير عن شعوره .. وعيناه كانتا تصـــمتان وتموتان كلما راى عبد الفتاح أو تحدثنا عنه أمامه ..

وفيما عدا هذا ، كنت أعيش حياة فتاة عادية ..

فتاة ..

بنت ...

أمى تعاملنى امام الناس على انى فتاة ، وتأخذنى وتزور بى العائلات ، وتقبل الحديث عن خطوبتى .. بل انها لا تمانع فى استقبال الخطاب .. وانا بدورى لا امانع فى ان ابدو امام كل خطيب تعرضه على احدى صديقات أمى الكثيرات .. غريبة .. ان خطابى كثيرون .. وكلهم يلحون .. أمى هى التى ترفضهم دائما .. وعادل لا يزال يحاول أن يتصل بى .. ولكنها محاولات يائسة .. وانا اريده أن يظل على اتصال بى .. فقد كان عادل هو سلاحى الذى اهدد به أمى .. اهددها بالهرب اليه والزواج منه .. وكانت أمى لا تزال مقتنعة بأنى احبه ، وكنت اتركها على اقتناعها .. حتى تظل خائفة .. وافتعل معها خناقات أهددها فيها بالهرب الى عادل .. لتخاف أكثر ..

ولكنى اشعر بالسخافة ...

الاحساس بالسخافة لا يفارقنى أبدا .. سخافة حياتى كلها .. سخافة التمثيلية التى اعيش فيها .. واحاول أن أهرب من هذا الاحساس بالسخافة .. فأملأ وقتى بأشياء تافهة .. كل يوم أنزل أنا وامى لنطوف بالحوانيت .. واشترى .. اشترى فى جنون .. اشترى بلا مزاج وبلا ذوق .. وفلوس عبد الفتاح لا تنتهى .. وكل يوم اذهب الى سينما أو فى زيارة .. ثم عرضت

على أمى أن نعود الى زيارة زيزى .. ورفضت امى .. لقد كانت تريد أن تكتفى من مجتمع زيزى بعبد الفتاح .. ولكنى صممت .. انى زهقانه واريد حياة تشغلنى عن نفسى .. واريد حياة صاخبة .. مزدحمة .. حفلات .. ورجال .. ورقص .. ولكن أمى ترفض .. وشتكوت لعبد الفتاح .. ولم يكن عبد الفتاح يرفض لى طلبا .. فاستطاع أن يقنع أمى بأن تسمح لى بزيارة زيزى .. وقال لها :

ـ ما دام انتى معاها يا عزيزه هانم .. انا مطمئن عليها ..

وردت أمى قائلة :

ـ انت عارف يا عبد الفتاح بيه انى مش موافقه على عيشة زيزى .. والناس بتتكلم عنها كتير .. واحنا مش ناقصين كلام .. نوجا لسه صغيره ومش زى الستات اللى بينلموا على زيزى ..

وقال عبد الفتاح كأنه يدخل مع أمى فى مباراة نفاق .. وكل منهما يعلم حقيقة الآخر :

ـ يا ستى .. الناس بتتكلم على بعض بالحق والباطل .. والحقيقه زيزى ست مسليه ، وبتحب نوجا .. وما دام انتى معاها .. خلاص .. انتى الخير والبركه ..

وكان عبد الفتاح مطمئنا على فعلا ما دامت أمى معى .. كان واثقا ان أمى تعمل لحسابه .. أصبحت موظفة عنده .. وظيفتها أن تحتفظ بى له .. وتعدنى له .. وتسجننى له .. ويصل عن طريقها الى كل ما يريده منى .

وعدنا الى حياة زيزى ..

انا وأمى ..

ولكن زيزى لم تعد تعاملنى على أنى فتاة جديدة على مجتمعها

.. لم أعد فى نظرها فتاة ساذجة .. ولم تعد أمى أما ساذجة .. لقد عرفت أننا أخذنا عبد الفتاح .. صحيح انها لا تعلم بمدى العلاقة التى اصبحت تربطنى بعبد الفتاح .. لا تعلم بأمر الورقة المكتوبة بيننا .. ولكنها تعلم كل شىء بعد ذلك .. بل انها فى اول يوم عدنا الى زيارتها قالت وهى تطلق ضحكتها الصارخة :

ــ وازاى عبد الفتاح بيه .. ده من يوم ما شافك عندى اول مره ما حدش شافه .. انما مش والنبى راجل كريم .. مش قلت لك .. مافيش حد فى كرمه أبدا .. دم بيرمى الفلوس رمى ..

وكانت تتكلم وهى تنظر الى ثوبى ، والى الساعة التى فى معصمى ، والخاتم الذى فى أصبعى ..

ورغم ذلك لم تكن زيزى تمانع فى أن نعود الى صداقتنا .. فهى فى حاجة الى كل وجه جميل تستطيع أن تزين به سهراتها ، وترضى به أصدقاءها الكثيرين ..

وبدأت أسهر فى المحال العامة ..

وأصدقاء زيزى يترددون على مستوى معين من المحال العامة .. الأوبرج .. الشجرة .. الاريزونا .. هناك مستوى آخر من المحال لم أذهب اليه مع شلة زيزى .. شبرد .. وسميراميس .. والهيلتون .. هذه المحال ذهبت اليها مع شلة أخرى ..

واذا لم أسهر فى المحال العامة سهرت فى الحفلات الخاصة التى تقيمهـا صديقات زيزى .. وكلهن زوجات .. أزواجهن مغفلون ..

ونظرات الرجال من حولى تلسعنى ..

انى لا زلت اجمل واصغر من فى الشلة .. فـ

وكنت اتسلى بلسع نظرات الرجال .. ولكنى أصبحت

عصبية .. انى اضحك فى عصبية .. واتكلم فى عصبية .. واتحرك فى عصبية .. والبس واتزين فى عصبية .. ذوقى فى اختيار ثيابى اصبح ذوقا عصبيا .. اصبحت انتقى ثيابا تكشف عن مساحات كبيرة من لحمى .. واتزين زينة فاقعة .. لا لشىء .. الا لأنى عصبية .. واحيانا أجرح بعصبيتى دون قصد .. القى كلمة تجرح .. او ضحكة تجرح .. أو حركة تجرح .. وامى بجانبى بمعطفها الأسود وعمامتها السوداء .. كخفير الدرك .. تحاول أن تحمينى من عصبيتى .. ومن الرجال .. لا تسمح لى منهم الا بلسع نظراتهم ..

واحساسى بالسخافة يشتد ..

اعود الى البيت الاتلوى فى فراشى ، واخفى وجهى فى وسادتى ..

ولا شىء يريحنى ..

يريحنى من سخافتى ..

وكلما شغلت نفسى فى هذه الحياة ، شعرت بفراغ اكثر . كأنى اعيش فى كيس مثقوب كلما ملأته فرغ .. ان الفراغ فى داخلى .. انى اعلم انه فى داخلى .. فى قلبى .. فى احاسيسى .. فى راسى ايضا .. ليس فى راسى شىء لأنى اصبحت اخائف ان افكر .. وهذا الفراغ ، هو الذى يترك المجال للاحساس بالسخافة ..

والسخافة تأكل من جسدى ..

اعصابى تمتص صحتى ..

انى اضعف .. واخس .. ولونى يذوب .. وزرقة باهتة تحت عينى .. ثم بدات اشعر بألم فى مفاصلى .. اخفيته عن امى .. لم اشك .. ولكن الألم يشتد .. واحس به ينتقل وينتشر

.. وانا اقاوم فى صمت .. واقاوم أكثر لأستمر فى هذه الحياة العنيفة التى أعيشها .. وتمر بى ليالى لا استطيع أن أخرج ، فأدعى أمام أمى انى زهقانة دون أن أصرح لها بآلامى .. ثم بدأت اشعر بنغزات فى صدرى كنغز السكين .. وحتى هذه الآلام كتمتها .. ولكن النغز يشتد .. واحس بقلبى يضرب .. ضرباته ليست منتظمة .. ثم أصبت بالحمى .. ارتفعت درجة حرارتى مرة واحدة الى الأربعين .. ربما ارتفعت قبل ذلك ، ولكنى صبرت عليها الى أن وصلت الى الأربعين ..

ووقعت ..

اصبت ..

واللهفة تصرخ على وجه أمى ... وانا مستسلمة اجتر الألم . وانصهر فى الحمى .. صامتة .. لا أريد شيئا .. حتى الشفاء ..

وجاء عبد الفتاح ومعه طبيب ..

وجاء طبيب آخر ..

ثم كونسلتو من اربعة اطباء ..

انه قلبى ...

قلبى مريض ..

حمى الروماتزم وصلت الى قلبى ..

والأطباء يترددون كل يوم .. ويتهامسون .. ثم يهمسون فى أذن أمى .. ولا أحد يقول شيئا .. ولكنى فهمت انه قلبى ..

وهبطت الحمى ..

ولكن قلبى .. انى افيق على نغزات تكاد تقتلنى .. وأحيانا احس به كأنه متوقف .. واغمض عينى فى انتظار الموت ..

وهمست لأمى :

— ابعتى هاتى الدكتور هاشم ..

والتمعت عينا أمى الحزينتان ، كأنها تذكرت شيئا كانت قد نسيته .. لقد كانت حتى هذا اليوم تعتمد على الأطباء الذين يستدعيهم عبد الفتاح .. وعبد الفتاح لم يكن يعرف الدكتور هاشم ..

واسرعت امى نحو التليفون فى خطوات حازمة كأنها قررت ان تتحرر من سيطرة عبد الفتاح ..

وشعرت بين غابة الالم التى أعيش فيها كأنى ابتسم .. انى لم افكر ساعتها فى الدكتور هاشم ، كطبيب يشفينى ، ولكنى فكرت فيه كدواء مسكن .. ولا أدرى لماذا فكرت فيه بعد كل هذه الشهور .. ربما لأنه كان دائما فى داخلى وكنت أضغط عليه بأعصابى حتى أقنع نفسى بأنه ليس فى داخلى .. حتى اتخلص من الأحاسيس التى تركها فى عندما جاء يعالجنى فى المرة الأولى .. وربما عندما طلبت من أمى أن تستدعيه ، كنت فى حاجة الى هذه الأحاسيس ، اكثر من حاجتى اليه كطبيب ..

وجاء الدكتور هاشم ..

هاشم ..

جاء فى نفس اليوم ، وفى الساعة الثانية بعد الظهر ، بعد موعد عيادته مباشرة .. ولابد ان أمى قد أبلغته بخطورة مرضى ، حتى جاء بهذه السرعة ..

ووقف على رأس فراشى وسحابة من الجزع تطوف بوجهه ، طردها بابتسامة كبيرة ، ثم قال وهو ينظر فى وجهى كأنه بدأ يفحصنى :

ــ أنا زعلان منك .. يعنى حضرتك ما تفتكرنيش الا لما تعيبى ..

ملأت منه عينى ..

انه لم يتغير ..

ربما زادت الشعرات البيض فى راسه .. كأن ذكاءه اصبح اكثر اشعاعا .. وعيناه الواسعتان الطيبتان .. وجفناه المتنفختان كأنه يحمل بلسما يكفى لشفاء الناس كلهم .. وانفه الكبير الصامت .. وشفتاه المبتسمتان دائما كأنه يمسح بابتسامته آلام مرضاه .. ورائحته نظيفة تفوح منه كأنها رائحة الهواء النقى ..

وابتسمت صامتة كأنى ارتحت لمجرد رؤينه ..

واحسست انى اتعجله ليقترب منى حتى يفحصنى .. لا .. لم اكن اريده ان يفحصنى .. كنت اريده ان يقترب منى لأضع راسى على صدره ، وارتاح .. انام ..

واقترب منى ، وشد مقعدا وجلس بجانب فراشى .. ثم امسك بيدى يقيس نبضى .. واحسست بيدى كأنها تريد ان تنام فى يده .. احسست به يسرى فى اعصابى كلها .. وسكت النغز فى قلبى ..

وقالت امى :

ــ احنا غلبنا يا دكتور ، ده ..

وقاطعها بلهجة حازمة :

ــ لو سمحتى يا عزيزه هانم .. قهوه ..

ونظرت اليه امى كأنها تلومه لأنه لم يمنحها فرصة للكلام ، ثم خرجت لتأمر باعداد القهوة ..

وادرت راسى نحوه .. ولم اكن اريد ان اقول شيئا .. كنت فقط اريد ان انظر اليه .. ولكنه قال ، وحاجباه معقدان كأنه يجمع بينهما كل ذهنه :

ــ ما تتكلميش دلوقتى يا نجوى ..

وبدأ يفحصنى ..

وشعرت وهو يفحصنى بشىء لم اشعر به واى طبيب آخر يفحصنى .. كان مستغرقا فى فحصى الى حد انى شعرت بأنى افحص نفسى معه .. كأنى انا وهو طبيبان ، وهذا الجسد ليس جسدى .. ولكنه جسد مريض اشترك فى فحصه .. وساعدنى هذا الاحساس على ان احدد نوع آلامى اكثر .. وان اعبر بدقة اكثر .. لقد كانت مواضع آلامى تفلت منى دائما عندما يسألنى عنها الطبيب .. كنت لا اكاد احس بها فى ركبتى حتى يخيل الى انها فى كتفى ، وليست فى ركبتى .. ولكنى الآن أستطيع ان احصر الالم .. واجيب على أسئلة هاشم السريعة ، وانا واثقة من صحة ما اشعر به ..

ثم فحص قلبى ..

فحصه طويلا .. وسماعته فى يده .. كأنه يخاطب قلبى بالتليفون حديثا طويلا لن ينتهى ...

ثم فجأة رفع راسه ، ونظر الى مبتسما ، وقال وعلامات الاجهاد على وجهه :

ـ انتى ما يكفكيش دكتور واحد .. لازملك اتنين ..

ثم قام واقفا واستطرد قائلا فى عجلة :

ـ فين التليفون ..

واشرت بأصبعى ، وقلت وانا أبتسم له :

ـ بره .. فى الكوريدور ..

ومددت يدى لأضغط على الجرس الموضوع بجاب فراشى حتى يأتى له احد بالتليفون ، ولكنه خرج من الغرفة ليبحث عن التليفون بنفسه .. خطا فى بساطة ، كأنه فى بيته .

وسمعت صوته يأتى الى وهو يحادث الطبيب الآخر .. كل خلجة منى كانت منصرفة الى الاستماع لصوته .. ونسيت ضربات

قلبى المرتبكة .. نسيت انى مريضة .. كان كل ما فى من مرض انى لا استطيع ان اقوم من فراشى لألحق به ..

وعاد الى ..

وعادت وراءه أمى تحمل له فنجال القهوة ..

واخذ الفنجال ووضعه جانبا كأنه لن يشربه . وقال لأمى :

ــ اقدر اشوف الرشتات ..

واخرجت له أمى عشرات الروشتات ، والتقارير ، وصور الأشعة ، التى اعدها الأطباء الذين سبقوه ..

واستغرق فى دراستها ..

لم يلتفت الىّ ..

وفجأة وجدت نفسى اتساءل وانا انظر اليه وهو مستغرق فى دراسته .. هل يعلم شيئا عن علاقتى بعبد الفتاح .. ولا ادرى لماذا خيل الىّ انه قد يكون قد اكتشف هذه العلاقة وهو يفحصنى .. انه وهم .. ولكن هكذا خيل الىّ ساعتها .. كأنى خشيت أن يكون قد رأى بصمات عبد الفتاح فوق فخذى .. او شم رائحته فوق صدرى .. واضطربت .. احسست كأنى اريد أن اجرى الى الحمام لأستحم حتى اتخلص من رائحة عبد الفتاح وبصماته .. واعود لهاشم نظيفة ..

والقى هاشم بالأوراق التى فى يده ، بعصبية .. ثم نظر الىّ والتقى بعينى المضطربتين فابتسم وقال :

ــ ما تسألنيش دلوقتى .. لسه ما عرفش .. بعد ربع ساعة بالضبط حا اعرف ..

ونظر فى ساعته ..

وقلت وانا ابتسم بكل ما بقى من قدرة على الابتسام :

ــ تفتكر حاخف يا دكتور ؟

ونظر الىّ كأنه غضب منى وقال :

ـ نجوى .. ما تبقيش زى العيال الصغيرين .. اذا كنت باقول لك لسه ماعرفش .. يبقى حاعرف ازاى اذا كنتى حاتخفى والا لأ ..

واتسعت ابتسامتى ..

احسست به قريبا جدا منى .. احسست به فى قلبى المريض .. حائر معه .. انه لا يحاول أن يبدو امامى كطبيب يقول كلاما يشجع به مرضاه .. انه يريد أن يطمئن هو ايضا ، قبل أن يطمئننى ..

وتكرمش وجه امى اكثر ..

أحسست فى لهجته كأنه يقسو علىّ ..

وعاد هاشم يقول لى :

ـ تعالى نقول اى كلام لغاية الدكتور رشدى ما ييجى .. قولى لى .. كنت بتعملى ايه طول المده اللى ما شفتكيش فيها ..

ولم يكن يعنى كلامه ..

كان يريد أن يقول اى كلام ليرفه عن نفسه فى حيرته ..

قلت وابتسامتى لا تزال فوق شفتى :

ـ كنت عايشه ..

وقال هامسا وهو ينظر الى امى نظرة سريعة ثم يعود وينظر الىّ :

ـ ومين اللى تعب قلبك ..

قلت بصوتى الضعيف كأنى أدافع عن نفسى :

ـ ولا حد .. هو اللى تعب لوحده .

قال ضاحكا :

ـ لازم علشان كان لوحده ..

قلت فى صوت خافت :

ـــ يمكن ..

وعاد ينظر الى ساعته ، ثم قال :

ـــ الدكتور رشدى اتأخر ..

ثم التفت الىّ واستطرد قائلا :

ـــ تعرفى انا متغاظ منك .. ازاى تعيى .. بنت صغيره وحلوه زيك تسيب نفسها لغاية ما تعيا ليه .. ما تقوليش ربنا عايز كده .. ربنا مش عايز حد يعيا .. الناس هى اللى بتعيى نفسها .. انتى ما تولدتيش عيانه .. انتى اللى عييتى نفسك .. ودلوقتى بتتألمى .. ومامتك بتتألم .. وانا باتألم ..

مرة ثانية كان يتكلم باخلاص .. ببساطة .. انه يتألم لى .. بتألم الى حد لا يشفق علىّ فى مرضى ، بل يلومنى عليه ..

ومصمصت أمى بشفتيها ، وسكتت ، وهى ملتفتة اليـــه ونظرة لوم كبيرة فى عينيها .. لوم لا تفصح عنه خوفا منه ..

وعاد هاشم والتقط أوراق الأطباء الآخرين ، يدرسها مرة ثانية ..

وجاء الدكتور رشدى يحمل معه آلة رسم القلب ..

وتقـــدم اليه الدكتور هاشم يستقبله كأنه صاحب البيت ، وعاونه على وضع آلة رسم القلب .. وعلى ربط قطع الرصاص فوق ذراعى .. ثم أطل بعينيه يتبع الورقة التى تخرج من الآلة مرسوما عليها نبضات قلبى .. وهو معقد الحاجبين .. وخيل الىّ أنه يلهث وراء الخطوط التى ترسمها الآلة ..

ولمحت على شفتيه طيف ابتسامة ، ما لبثت ان اختفت ..

ثم قام هو والدكتور رشدى بعد أن انتهيا من رسم قلبى ، وخرجا من الغرفة .. وامى معهما .. وغاب طويلا .. ربع ساعة

.. أو اكثر .. ثم عاد الىّ وحده وخلفه أمى ، وكان الطبيب الآخر قد انصرف ..

وجلس هاشم بجانب فراشى .. وقد أشرق وجهه بابتسامه كبيرة .. وامسك بيدى فى يده .. وقال :

ــ دلوقتى اقدر اقول لك .. شوفى يا ستى .. الدكاتره اللى شافوكى قالوا ان عندك روماتزم فى القلب .. انما أنا باقول لا .. الروماتزم ما وصلش القلب .. انما قريب قوى من القلب ..

واشار باصبعه الى تحت قلبى مباشرة .. وقال :

ــ الروماتزم واصل لغاية هنا .. انما حا يحاول يوصل للقلب .. والمفروض دلوقتى انى أنا وانتى والروماتزم نخش معركة .. بس لازم اعرف انتى حا تقفى مع مين .. معايا .. ولا مع الروماتزم ..

وابتسمت ابتسامة ضعيفة ، وقلت :

ــ معاك طبعا ..

قال :

ــ خلاص .. اتفقنا .. وانا مش حا أخبى عنك حاجه .. علشان تبقى دايما عارفه انتى واقفه فين .. وصدقينى لما أقول لك انك أهم من فى المعركة دى .. انتى بارادتك تقدرى تخفى .. وبارادتك .. تقدرى تموتى .. فقوليلى .. انتى عايزه ايه بالضبط ..

وقالت أمى :

ــ ايه لازمة الكلام ده يا دكتور .

قال ضاحكا :

ــ ده كلام بينى وبين نجوى ..

وقلت :

ــ عابزه أعيش يا دكتور ..

قال :

ــ يبقى مش كفايه انك تفكرى انك تتخلصى من الألم .. ألم الروماتزم .. لأن الموت يريحك من الألم اكتر من الحياه .. انما لازم تفكرى فى حاجه تعيشى علشانها .. حاجه عايزه تعمليها .. حاجه حلوه .. حاجه تشرح .. حاجه تسعدك .. امل .. امل .. كبير .. وقررى بينك وبين نفسك انك تعيشى علشان الحاجه دى .. عابزك تحسى بأن لك اراده على الحياه .. قررى انك تعيشى .. وانتى تعيشى ..

ونظرت اليه ، وكلماته توقظ دمائى وتطلقها فى عروقى .. احسست بشىء يتدفق فى داخلى كأنه يروى جفاف جسدى الهزيل الذى انهكه المرض .. وقلت :

ــ حاضر ..

وقال ضاحكا :

ــ حاضر دى مش كفايه .. قوليها تانى .. قوليها وانتى بتضحكى ..

وتعلقت عيناى بوجهه .. هذا الوجه كان معى منذ رأيته اول مرة .. كان معى .. ولكنى هربت منه .. هربت الى الفراغ .. الى السخافة .. ربما لم يمرض قلبى الا لأنى أخذته بعيدا عن هذا الوجه ..

وقلت مرة ثانية :

ــ حاضر ..

وكدت استطرد قائلة : سأعيش من اجلك ..

وعاد هاشم يقول :

ــ المسألة مش سهلة .. الحرب بيننا وبين الروماتزم يمكن تاخد لها شهر .. ولازم نستحمل الشهر ده .. ونستحمل شهرين كمان .. ونستحمل واحنا بنضحك .. واحنا متأكدين اننا حاننتصر .. وانا حاوصفلك حالتك بالضبط .. انتى تعـرفى تقـرى انجلبزى ؟ ..

قلت :

ــ لأ ..

قال :

ــ مش مهم .. الليله حا اسهر واكتب لك تقرير عن حالتك بالعربى .. حا اقول لك كل الى باعرفه .. يعنى لو حفظت التقرير ده تبقى دكتوره زيى .. وده علشان لو عرفتى مرضك حاتعرفى ازاى تحاربيه .. مش بيقولوا اعرف عدوك .. اهو انا حاقولك ايه هو عدوك .. اتفقنا ..

قلت وانا أحس بابتسامتى تملأ وجهى كله :

ــ اتفقنا ..

ــ شيك هاند على كده ..

ومددت له يدى ، واحتفظ بها فى يده ، وقال وقد تغيرت نبرة صوته .. اصبحت نبرة هادئة تنبض بالحنان :

ــ لازم تخفى يا نجوى .. لازم ..

ثم ترك يدى وقال وقد استرد لهجته :

ــ اول حاجه تعمليها انك ما تتحركيش من السرير .. مش كفايه انك ما تقوميش .. ما تتحـركيش خالص .. مش عايزين نتعب قلب حضرتك .. زى انتى ما بتتعبى قلبنا .. وكل حركة ممكن تتعب القلب .. ولما يتعب يضعف ، وما يقدرش يقاوم العدو اللى واقف على بابه .. ورينى الأدويه اللى عندك ..

وأخذ يراجع زجاجات الدواء التى وصفها لى الأطباء الآخرون ، واختصر نصفها ، وأوصانى بالنصف الباقى ..

ثم نظر فى ساعته ، وقال :

ـ الليله حا اطمن عليكى فى التليفون الساعه تمانيه .. والساعه تسعه تكونى نمتى .. وبكره الصبح حا افوت عليكى قبل ما اروح العياده واجيب لك التقرير معايا .. وبتحبى ساندويتشات ايه ؟ !

قلت فى دهشة :

ـ آكل ساندويتشات ؟!

قال ضاحكا :

ـ لا .. ده علشانى انا .. أصلى لسه ما تغدتش .. وحا افوت آكل ساندويتش ..

وقالت أمى :

ـ نجيب لك الغدا حالا يا دكتور ..

قال :

ـ لا .. ما عنديش وقت ..

ثم عاد والتفت الىّ قائلا :

ـ بتحبى ساندويتشات ايه ؟ ..

قلت وانا أبتسم وقلبى المريض يضحك فى صدرى :

ـ فراخ . وسوسيس .. ومخ .. وروزبيفة ..

قال :

ـ خلاص .. حا اكلهم فى صحتك ..

ونظر الىّ بعينين مبتسمتين ، كأنه يقبلنى بهما ..

وخرج ..

وهممت أن اعتدل فى فراشى واطل وراءه واتزود بنظرة أخرى

.. ولكنى ،دكرت .. تذكرت انى يجب أن اعيش .. فبقيت راقدة ..

انى أحبه ...

لن انكر هذا الحب مرة ثانية .. لن اياس من حبه ، لأنى لا اريد شيئا الا ان احبه .. كل ما اريده ان يتركنى احبه .. وسأعيش من اجل هذا الحب ..

وكلى معه ..

خيالى ..

وآمالى ..

وقلبى المريض ..

يجب ان يشفى هذا القلب ..

يجب ..

انى لا اريد ان اعطيه قلبا مريضا .

— ٤ —

هزمنا الروماتزم ..

هاشم وانا ..

قلبى الآن سليم يستطيع أن يحمل من الحب أضعاف ما يحمله قلب اى بنت .. ولكنى لا ازال أخاف عليه .. على قلبى .. انى لا ابعثر دقاته فى الجرى والتنطيط .. ولكنى احتفظ بها كلها للحب .. للحياة ..

ولا اعتقد ان هاشم قد شفانى بعلمه كطبيب .. ان العلاج

الذى كان يصفه لى ، يستطيع اى طبيب آخر ان يصفه .. ولكن هاشم شفانى بارادته .. بعناده فى مقاومة المرض .. باصراره على أن أشفى .. لقد نقل الى هذه الارادة ، والعناد والاصرار .. واطلق فى عروقى قدرته على الحياة ، وايمانه بها ، وحبه لها .. سلط على قلبى اشعة الأمل ، وحقنه بالابتسام ، والمرح ، والتفاؤل .. واطلقه فى دنيا نظيفة ، طاهرة .. حلوة ، تضج بالزغاريد ..

ربما كان كل هذا جزءا من كفاة هاشم كطبيب ، وسر نجاحه وشهرته .. وقد عشت فعلا اياما طويلة ، وانا اعتقد ان اهتمام هاشم بى كل هذا الاهتمام ليس سوى اهتمامه بأى مريض من مرضاه .. ولكن ، لا .. مستحيل .. انه لا يستطيع أن يعطى كل مرضاه كل هذا الاهتمام .. انه يعطينى كانه ابى .. كانه اخى .. كانه حبيبى .. ويعطينى فى بساطة .. بلا تكلف .. وبلا رسميات .. وبسرعة اصبحت شخصية تملأ البيت كله .. واستطاعت شخصيته أن تجدد هواء البيت . اصبح هواء نظيفا .. واستسلمنا لهذه الشخصية .. انا ، وابى ، وأمى وربما كان استسلام امى ، استسلاما بلا اقتناع ، انما هو استسلام للهفتها على وحرصها على شفائى .. ولكنها استسلمت .. واصبحت حياتنا كلها نحن الثلاثة ، وحياة الخدم ايضا .. تدور حول الدكتور هاشم .. نعيش فى انتظار لقائه .. ونعيش فى اللحظات التى يقضيها معنا .. وكل شىء تغير .. هذا الضجيج الذى كان يحيط بى ، سكت .. والأطماع التى تملأ راس امى ، نامت .. وزوارنا خفت اقدامهم .. حتى مواعيد زيارة عبد الفتاح لنا تغيرت .. لم يعد يأتى لزيارتنا فى الساعة الثالثة بعد الظهر .. لأن هاشم يأتى عادة فى هذا الموعد .. اصبح عبد الفتاح

يأتى فى الساعة الخامسة بعد أن يذهب هاشم الى عيادته ..

وكان هاشم يزورونى فى الصباح قبل أن يذهب الى عيادته .. واحيانا كثيرة يعود الى فى المساء .. وكان فى الأيام الأولى يفحص قلبى كلما جاء .. ثم يجلس بجانبى يشرح لى حالتى ، وتطور الروماتزم فى صدرى ، ومفعول الأدوية التى يعطيها لى ويكتب لى ابحاثا فى أسرار مرضى — باللغة العربية — ويتركها لى لأقراها ، ثم يعود ويناقشها معى .. لقد استطاع ان يجعل منى اخصائية فى القلب .. استطاع أن يتجه بذكائى كله الى دراسة جديدة على ، الهتنى عن العالم التافه الذى كنت أستغل فيه ذكائى .. واصبحت أعرف كل عرق فى قلبى .. وكل عضلة .. وكل دقة من دقاته .. وهو أيضا .. هاشم .. لقد عرف قلبى كما يعرف أصابع يده .. ولم يعد يفحصنى كلما جاء .. وقال لى :

—انا من كتر ما سمعت قلبك .. بقيت أقدر اسمعه وانا بعيد عنك .. باسمعه فى العياده .. وباسمعه فى البيت .. وباسمعه وانا سهران مع أصحابى ..

ونظرت فى عينيه الطيبتين المبتسمتين .. وقلت :

— لازم اندوشت ..

وضحك قليلا :

— اندوشت فى الأول .. انما دلوقتى خلاص ، خدت على الدوشه . .واصل قلبك ابتدى يبقى مؤدب وبطل دوشه ..

وحرت يومها كيف أفسر كلماته .. خفت أن أطير معها فى الخيال الى حد أن هاشم يحبنى .. وفى الوقت نفسه خفت أن اجردها من الأمل .. وهربت من حيرتى فى حلاوتها .. حلاوة كلماته .. وفى النظرة الطيبة المبتسمة التى تطل من عينيه .. انى

لست فى حاجة الى أن يحبنى .. يكفى انى احبه .. احب كلماته .. واحب عينيه .. واحب انفه الكبير ..

وابتسمت له ابتسامة كبيرة ..

وقلبى المريض يبتسم معى ، ويستمد الحياة من الابتسام .

وبدا هاشم يحدثنى عن مرضاه .. ويحقن قلبى بالأمل وهو يروى لى قصص المرضى الذين تم شفاؤهم بعد يأس .. وكان يتحدث عن مرضاه كأنه يتحدث عن كل حياته .. ان الدكتور هاشم ليس سوى مجموعة من المرضى .. يعيش حياتهم ويتألم بآلامهم .. ويعطيهم الدواء كأنه يعطيه لنفسه .. يحس بمرارته ، ويحس بمفعوله .. ان كل احساسه معهم .. حتى أنى كنت اتساءل ، هل يمكن ان يبقى جزء من احساسه لحب آخر .. ولكنى لم احس بالغيرة من مرضاه .. كنت احس انى شىء آخر .. كنت انسى انى واحدة من هؤلاء المرضى .. وبالعكس بدأت اشاركه فى احساسه .. بدأت اعيش معه فى نفس العالم الذى يعيش فيه .. وعرفت مرضاه .. ورسمت لكل واحدة منهم صورة فى خيالى .. وكنت افاجىء هاشم واسأله :

ــ ازاى الأستاذ مروان دلوقت .. شفته ..

والأستاذ مروان مريض بتضخم فى الكبد ..

ويبتسم هاشم كأنى ذكرته بأعز الناس عنده ، وينطلق يحدثنى عن مروان بكل احساسه ..

ولم يكن اهتمامى بمرضى الدكتور هاشم ، نفاقا .. أبدا .. قطعا أنى كنت اهتم بهم لأشاركه اهتمامه .. ولكن كان هناك شىء آخر .. وهو انى كنت أجد فى حياة هؤلاء المرضى ، حياة أنظف من الحياة التى اعيشها .. كنت أنقل تفكيرى فى همومى الى التفكير فى همومهم ..

وهاشم سعيد بى ..

انى احس بسعادته بى ..

أحس انى لست مجرد مريض من مرضاه ..

هناك اشياء كثيرة اصبحت تجمعنا .. ربما كان بينها الاقتناع ... انى احس انه مقتنع بى ، كما انى مقتنعة به .. حتى لو لم يكن يعلم شيئا عن حياتى .. شيئا مما حدث لى بعد أن قابلته عندما مرضت فى الفترة الأولى .

وسألنى هاشم بعد أيام كثيرة وبعد ان بدأت دقات قلبى تنتظم :

ــ انتى عامله ايه فى المدرسه ..

وفوجئت بهذا السؤال ..

نسيت انى كنت تلميذة .. خيل الى انه مضت سنين طويلة منذ تركت المدرسة .. وخيل الى انى كبرت وعجزت الى حد انى لم اعد انتظر ان يسألنى احد عن حالى فى المدرسة .. وكدت اضحك لسؤاله .. ولكنى كتمت ضحكى .. ومسحت احساسى بالمفاجأة بابتسامة هزيلة ضعيفة .. انه لا يعلم انى تغيرت .. لا يزال يعتقد انى الفتاة البريئة الصغيرة التى التقى بها اول مرة وهى مصابة بحالة عصبية نتيجة صدمتها فى حبها الأول ..

وقلت وأنا ارخى عينى عنه :

ــ ولا حاجه .. السنه اللى فاتت ما دخلتش الامتحان .. والسنه دى ما رحتش خالص ..

وارتفع حاجبا هاشم من الدهشة وقال :

ــ ليه ؟ ..

قلت :

ــ ابدا .. زهقت ..

قال كأنه غضب منى :

ــ بأه ده اسمه كلام .. انتى مامتك مدلعاكى .. افرضى انك زهقت .. هى طاوعتك ليه .. زهقت هى كمان ؟ !

قلت وانا اتنهد :

ــ ماما كل اللى يهمها انى اقعد جنبها ..

قال :

ــ انتى كنتى فى سنه كام ..

قلت :

ــ فى الثانويه العامه .. وكنت شاطره والله العظيم ..

قال :

ــ خلاص .. ترجعى شاطره تانى .. وتبندى تذاكرى تانى من النهارده ..

قلت :

ــ وامتحن ؟ ..

قال :

ــ طبعا .. وتخشى الجامعه .. ما هو يا تتجوزى السنه دى ، يا تخدى الشهاده .. واللا عايزه تتجوزى ..

ورفعت اليه عينى ، وخيل الى انى أهم بالبكاء .. انه لا يدرى شيئا .. بل انه لم يلحظ التغيير الذى حدث فى حياتنا .. لم يلحظ اننا انتقلنا من شقتنا الصغيرة فى الجيزة ، الى هذه الفيللا فى شارع الهرم .. ولم يلحظ ان كل اثاث البيت قد تغير .. ولم يلحظ غرفة النوم الفخمة التى انام فيها ... ولم يلحظ انه أصبح عندنا طباخ وسفرجى وسائق .. ان براءته ونظافة ضميره لا تبعده عن محاولة تفسير كل هذا التغيير .. وقد كانت امى فى مناسبات كثيرة تكذب عليه وتدعى أمامه انها باعت أرضنا من

عزبتها .. وانها اشترت قطعة ارض فى مصر الجديدة .. و .. و .. كانت « تنتش » وتبالغ فى ذكر ابى وثروتها ، كأنها تدافع عن نفسها .. تدافع عن كل هذه المظاهر التى تحيط بنا .. وكان يستمع اليها بلا اهتمام .. انه يفترض اننا قوم شرفاء .. وهذا يكفيه ..

وارخيت عينى قبل أن تنهمر دموعى .. وقلت :

ـــ لا .. مش عايزه اتجوز ..

قال وهو يبتسم ، ابتسامة تلمع فوق انفه الكبير :

ـــ خلاص .. تبقى تاخدى الشهاده ..

وسكت قليلا ، ثم قال فى تردد وهو يتلهى بالتقليب فى بعض التقارير الطبية الموضوعة بجانب فراشى :

ـــ وعملتى ايه مع عادل ..

ومرة ثانية احسست كأنى فوجئت .. انه لا يزال يذكر عادل .. بل انه يذكرنى بشىء نسيته ..

وقلت وانا انظر اليه كأنى أذوب فيه :

ـــ خلاص .. سبته من زمان ..

وابتسم ..

ومرت بيننا برهة صمت ، ثم قلت وانا اشعر بدمائى تصهر وجنتى :

ـــ وانت عامل ايه مع امينه ..

واحنى وجهه قليلا ، ومرت على وجهه سحابة داكنة ، وقال :

ـــ لسه ..

قلت وقلبى الضعيف يرتجف :

ـــ لسه معاها ..

قال وهو يبتسم ابتسامة حزينة :

ــ لا .. مش معاها .. بس لسه ..

قلت وانا أتلقف الكلمات من بين شفتيه :

ــ مش فاهمه ..

ونظر الىّ كأنه يتساءل عن مدى ثقته بى ، ثم قال كأنه طفل كبير :

ــ اقول لك ..

قلت وانا ابتسم له :

ــ انا مش قلت لك على عادل !!

قال وابتسامته الحزينة تملأ وجهه :

ــ هى دلوقتى بتعرف واحد تانى .. انما لسه ما اعترفتش لى ..

قلت وانا احسد امينة على طيبة قلب هاشم :

ــ ما دام انت عارف ، ما تقول لها .

قال :

ــ لو قلت لها حا تنكر .. لازم استنى لما هى اللى تقول لى .. مش عايز احسسها انى انا اللى سبتها ، عايزها هى اللى تحس انها لازم تسيبنى ..

قلت :

ــ انت هايل .. مش معقول ان فيه رجالة زى كده ..

قال :

ــ انا مش هايل .. بس حاسس بمسؤوليتى عنها ..

قلت وانا انظر فى وجهه كانى ابحث فيه عن مكان لى :

ــ وبتشوفها ..

وضحك فى براءة قائلا :

ــ مش كتير .. حتى لو حبيت اشوفها .. ما اقدرش .. مشغول .. مشغول بقلبك ..

وسكتت ضحكته ..

ونظر فى وجهى نظرة جادة ثابتة .. استقرت برهة .. ثم أزاحها كأنه يطرد خاطرا مر براسه .. وقام واقفا ، وقال وهو يبتسم :

ــ تعرفى العلاج الجديد بتاعك ايه ؟

ورفعت اليه عينين متسائلتين ..

واستطرد قائلا :

ــ انك تذاكرى .. تبتدى من النهارده تذاكرى .. وتدخلى الامتحان السنه دى .. وتنجحى .. فين كتبك ؟

قلت وانا احس بأنه يعيدنى الى عهد الطفولة :

ــ ما اعرفش .. ماما شايلاهم ..

ونادى هاشم على أمى ، وقال لها :

ــ يا عزيزه هانم .. نجوى حا تبتدى تذاكر من النهارده .. هاتى لها الكتب بتاعتها ، وخليها تذاكر فى السرير ..

وقالت امى كأنها صعقت :

ــ ولازمتها ايه المذاكرة بأه .. ما سبنا الحاجات دى من زمان ..

وقال هاشم ضاحكا :

ــ ده علاج ..

وخرج .. وامى تنظر خلفه كأنها تحاول أن تكتشف حقيقته بذكائها .. ثم التفتت الى قائلة :

ــ تعرفى أنا متهيألى ايه ..

قلت وأنا لا انظر اليها خوفا من ان تكتشف سرى :

ــ متهيألك ايه ..

قالت :

ــ متهيألى ان الدكتور هاشم بيحبك ..

قلت :

ــ والنبى بلاش تخريف يا ماما .. حايحبنى على ايه .. على كده كل ما يعالج واحده يحبها ..

قالت :

ــ صدقينى .. ده بيحبك .. وبيحبك من يوم ما شافك أول مره ..

قلت :

ــ انتى فاكره ما فيش حد فى الدنيا الا بنتك .. لو كان الكلام اللى بتقوليه صحيح ، كان قعد سنه ونص ما يسألش فينا ليه ..

قالت :

ــ أهو أنا حاسته بكده وخلاص .. ده ما بيفوتش يوم من غير ما ييجى يزورك .. ويرفض ياخد منى فزيته .. يبقى دم اسمه ايه .. مش حب ده ؟

وادرت راسى عنها كأنى لا اريد ان اسمع مزيدا من كلامها .. وخيالى منساق وراء كلماتها يحاول ان يصدقها ..

وسكتت امى ، وعيناها سارحتان الى بعيد ، كأنها تحاول ان تضع خطة جديدة ..

ولم يكن هاشم حتى هذه الايام يسبب اى مشكلة لنا ..

كنت مريضة ..

وكان الطبيب ..

هذا هو كل شىء .. حتى لو كان يخيل الى امى انه يحبنى !!

وكان عبد الفتاح يتردد علينا فى مواعيده الجديدة مرتين فى الأسبوع أو ثلاثا . وهو الذى غير مواعيده حتى لا يلتقى بالدكتور هاشم .. فلم يكن يحب أن يعرف أحد علاقته بى .. حتى لو عرفه على انه « أونكل » ..

وكانت قوة احتمالى لعبد الفتاح قد بدات تنهار .. لم اكن افكر فيه عندما داهمنى المرض ، كان كل تفكيرى فى مرضى .. ولكن بعد أن جاءنى هاشم .. وبعد ان بدات اثق فى الشفاء .. بدأت حقيقة علاقتى بعبد الفتاح تتكشف لى بصورة جديدة .. لم أعد لا مبالية كما كنت .. ولم اعد فى داخلى مستسلمة .. ولم يعد كل ما يحيطنى بعبد الفتاح من ترف ، يهمنى فى شىء .. لقد اكتشفت أن هناك اشياء كثيرة اهم واجمل .. اهم من الفيللا التى نسكنها فى شارع الهرم .. واهم من سيارتى الأوبل البيضاء .. واهم من فساتينى الكثيرة .. هناك اشياء اهم .. صحتى .. قلبى الذى اختلت دقاته .. ثم .. هاشم ..

ولكن .

هل استطيع ان اعود .. هل استطيع ان اتراجع ؟

وكيف ؟ ..

ان أمى واقفة امامى بوجهها المكرمش القاسى ، كخفير الدرك .. فهل يمكن ان أقنعها ببساطة انى لم اعد اريد عبد الفتاح .. واسالها ان تطلق سراحى !! ..

مستحيل ..

وكنت اعلم ان مجرد التفكير فى هذا الموضوع يتعب قلبى .. فقررت أن ابذل جهدى فى أن انساه ، بدلا من ان اجد له حلا .. حاولت ان انساه فى الأمل الجديد الذى اطلقه هاشم فى حياتى .. وفى اندفاعى فى حبه .. واستسلامى لشخصيته ..

واستطعت الى حد كبير أن انسى . أو على الأقل استطعت أن أؤجل التفكير فى أزمتى .. خصوصا وان عبد الفتاح لم يكن يطالبنى بشىء وانا مريضة .. كان يخاف على قلبى من جشعه .. وكان كل ما يفعله عندما يأتى هو أن يجلس معى قليلا .. ثم يخرج ليشرب فنجال القهوة مع أمى .. وربما لاحظ فى الفترات التى يجلس فيها معى انى بدأت أنفر منه .. ربما لاحظ أنى لم أعد أتدلل عليه كما عودته .. لم أعد أطلب منه شيئا .. ولكنه نسب كل ذلك الى مرضى ..

وبدأت اذاكر ..

وكنت اذاكر فى نهم .. كأنى استرد عمرى .. كأنى اغسل عقلى من السخافات التى علقت به .. وساعدتنى المذاكرة اكثر على الانتقال الى عالم انظف من العالم الذى أعيش فيه .. انطلق خيالى بعيدا عن دنيا زيزى .. والسهرات .. والأوبرج .. وكازينو الشجرة .. ولسعات عيون الرجال .. واصبحت اتخيل نفسى كأنى بين زميلاتى فى المدرسة .. العب لعبهن .. اضحك ضحكاتهن .. واهمس همساتهن .. واحب بقلب كقلوبهن .. قلب نظيف ساذج فى أول تفتحه للحياة .. وبدأت أحس كأنى استعيد شيئا كان قد فقد منى .. أستعيد شخصيتى المتميزة .. شخصيتى القوية التى استطعت بها يوما ما أن أكون شيئا له قيمته .. ان اكون اولى طالبات المدرسة .. ورئيسة فريق التمثيل .. ومندوبة فصلى فى النشاط الاجتماعى .. ومندوبة المدرسة كلها فى لجنة اتحاد المدارس الثانوية .

وكانت تمر بى لحظات افيق فيها من خيالى .. واصدم بواقعى .. ويغلب اليأس خيالى .. وادير عينى فى انحاء غرفتى .. هذه ليست غرفة طالبة .. هذه غرفة غانية .. انا غانية ..

انا عشيقة رجل غنى .. عجوز .. واشعر بدقات قلبى تعود الى الارتباك .. وحلقى يختنق .. واخاف .. اخاف على قلبى .. فأتاوم احساسى باليأس .. واتعلق بطيف هاشم ، كأنى اتعلق بطوق النجاة .. واستمد منه الأمل .. لابد أن هناك طريقا للوصول الى الشاطىء .. شاطىء الحب .. انى لا ادرى ما هو الطريق .. ولكنى واثقة انه موجود ، وان هاشم سيدلنى عليه ، ويأخذ بيدى فيه ..

واعود اذاكر ..

فى نهم ..

يومى كله مذاكرة ، وانتظار للقاء هاشم ..

والروماتزم يبتعد عن قلبى .. وينحسر عن جسدى .. ووجهى يسترد لونه .. وانظر فى مرآتى الصغيرة ، فيخيل الىّ انى ولدت من جديد .. وانى اجمل .. جمال بلا زواق وبلا اصباغ .. عيناى المشروطتان الضاحكتان كلوزتين مقشرتين شهيتين .. وشفتاى المتفتحتان كورقتى الورد .. وعنقى المفرود كأنه يتباهى برأسى .. ولكن .. هناك شىء ينقصنى .. ينقص جمالى .. جمالى الذى أراه بعينى هاشم .. ربما كان ضعفى .. وربما كان شىء فى داخلى لم اتخلص منه بعد .

الى أن جاء هاشم يوما وفى يده صندوق صغير ملفوف فى ورقة انيقة ، وجلس على حافة الفراش ، وقال لى وعيناه تلمعان بابتسامته :

— تفتكرى أنا معايا ايه ؟

قلت :

— جزمه ..

ضحك ضحكة كبيرة ، وقال :

ـــ دى حاجه علشانك ..

وابتسمت كأنى اقبل أنفه الكبير ، وقلت :

ـــ كتاب ..

قال :

ـــ لا .. خفت أجيب كتاب تعبى تانى ..

قلت :

ـــ دوا ..

قال :

ـــ بأه فيه دوا يتلف حلو كده .. ثم ان من هنا ورايح ما فيش أدويه ..

وامى واقفة عند راس السرير تنظر الى اللفافة التى يحملها هاشم ، بلهفة اكثر من لهفتى ..

وقام هاشم واقفا ، وخطف الغطاء من فوق جسدى ، وقال ضاحكا :

ـــ قومى اوقفى .. واو قدرتى تمشى من هنا للكرسى اللى هناك ده .. حا اقول لك انا جايب لك ايه ..

ونظرت اليه فى تردد ..

كانت المرة الأولى التى يسمح لى فيها هاشم بمغادرة الفراش ، بعد ان قضيت فيه خمسة وثلاثين يوما .. راقدة .. لا اتحرك ..

ونظر الى هاشم نظرة جادة .. نظرة طبيب .. ثم قال فى حنان :

ـــ قومى ما تخافيش ..

ثم مد ذراعه وساعدنى على ان اعتدل جالسة .. ثم تركنى .. وعاد يقول لى فى لهجة حازمة كأنه سلط على ارادته :

ـــ قومى لوحدك ..

وقالت أمى :
ـ قومى يا حبيبتى .. يا الف نهار أبيض ..
قلت فى صوت متردد :
ـ متهيألى انى حادوخ ..
وقال هاشم مبتسما :
ـ انتى حاتدوخى فعلا .. انما لازم تقومى .. زى ما دوختينا بقالك شهر ، لازم تدوخى انتى كمان .

ووضعت قدمى على الأرض .. فى تردد .. كأنى أهم بأن أضعهما فى ماء ساخن او فى ماء بارد .. لقد مضى علىّ عمر طويل لم تلمس فيه قدمى الأرض .. وخيل الى ان الأرض أصلب مما تعودتها .. ووقفت .. وشعرت فعلا بالدوار .. كل شىء يهتز امامى .. واهتززت انا الأخرى ، وكدت اقع .. وسندنى هاشم .. ووقعت فى حضنه ..

وقالت أمى فى جزع :
ـ اسم الله عليكى يا بنتى ..
ورفعت وجهى الى وجه هاشم .. وشفتاى قريبتان جدا من شفتيه .. والضعف يسرى فى عروقى ويمتص لونى .
والتقت عيوننا ..
وفى عينيه حنان جاد .. ولهفة .. كأنه عالم ينتظر نتيجة تجربته ..
وفى عينى استغاثة ..
وابعد هاشم وجهه عن وجهى ، وسند راسى على كتفه ، وهمس فى حنان :
ـ انا متأكد انك تقدر تمشى .. ده بس من الضعف ..

ثم ازاحنى عن صدره فى رفق ، وتركنى واقفة ، واستطرد قائلا :

ــ ورينى كده ..

وبدات أمشى .. وكل شيء يهتز ، والأرض صلبة جافة تحت قدمى العاريتين . ولكن الاهتزاز يقل فى كل خطوة ؛ والأرض تلين .. وعيناى تستقران .. وافيق من الدوار .. الى ان وصلت الى المقعد الموضوع أمام مرآتى ، فألقيت نفسى عليه ، وقلت وانا انتفس ضعفى :

ــ دم أنا حاسه زى ما يكون باتعلم المشى ..

وقال هاشم وابتسامة كبيرة تملأ وجهه :

ــ أصلك اتعودت على الكسل ..

وقالت أمى :

ــ الف حمد الله على السلامة يا نوجا .

والتفت لفتة سريعة الى مرآتى .. ان لونى أصفر فى لون الكريم .. وكرهت ان أبدو امام هاشم ووجهى ممتقع الى هذا الحد .. وابتسمت .. افتعلت ابتسامة كبيرة .. لعل الابتسامة تشد عضلات وجهى فتحرك فيه الدماء .. وترد اليــه بعض لونه ..

وقدم لى هاشم الصندوق الذى جاء به قائلا :

ــ خدى شوفى بأه انا جبت لك ايه ..

وفتحت الصندوق بأصابع ترتعش باللهفة ، وأمى فوق راسى تطل بعينين لامعتين ..

وضحكت ..

زغردت الدماء فوق وجنتى ..

كان فى الصندوق عروسه صغيرة .. شــعرها فى لون

شعرى .. وترتدى فستانا لونه أحمر ..

وصحت :

ــ الله .. جنان .. تجنن ..

ورفعت عينى الى وجهه وبى رغبة ملحة فى أن اقبله فى وجنته .. فى عينيه .. فوق أنفه الكبير ..

ثم رفعت العروسة فى مواجهة أمى ، وعدت أصيح :

ــ شوفى يا ماما ..

وقالت أمى فى برود :

ــ حلوه ..

ربما كانت تنتظر ان تجد فى الصندوق شيئا آخر .. ان أول هدية اهداها لى عبد الفتاح لم تكن عروسة لا تساوى اكثر من ثلثمائة جنيه ..

وضممت العروسة الى صدرى .. وضغطتها الى .. بكل عواطفى .. بكل فرحتى .. كأنى اضم قطعة من هاشم ..

وقال هاشم وابتسامته ملؤها الحنان :

ــ أصلك اتولدت من جديد . قلت اجيب لك عروسه تلعبى بيها لغاية ما تكبرى ..

واحسست فعلا انى ولدت من جديد .. احسست كأنى طفلة .. وفى قلبى فرحة الطفلة .. وفى عينى طهارة الطفلة ..

وجذب هاشم مقعدا وجلس أمامى ، وامسك بيدى ، وعروسته فى يدى الأخرى اضغطها الى صدرى ، وقال فى صوت خافت كأنه يودعنى :

ــ انتى خفيتى خلاص يا نجوى .. قلبــك بأه بمب .. والروماتزم راح ومش حايرجع طول ما انتى واخده بالك من

نفسك .. وتقدرى دلوقتى تجرى وتتنططى .. انتى فى النادى الأهلى ؟ ..

قلت وابتسامتى تذوب على شفتى :

ـ لا ..

قال :

ـ يعنى ما بتلعبيش كوره ؟

قلت وأنا أحاول أن أضحك :

ـ لا ..

ـ خلاص .. تبقى تقدرى تعملى كل حاجه ، من غير ما تخافى على قلبك ..

ولم استطع أن اضحك ..

كان الاحساس بأنه يودعنى ، يكاد يمزقنى ..

وعاد يقول كأنه يمنحنى لحظة أخرى قبل الوداع :

ـ انتى خفيتى من زمان .. وكان ممكن تسيبى السرير من اسبوع .. انما حبيت اريحك زياده شويه .. كل اللى لازم تعمليه دلوقتى انك تتقوى .. عايز اشوف خدودك فى لون الورد .. تاكلى كويس .. وتنامى كويس .. وتاخدى أدويه مقويه .. وتضحكى ..

ويدى لا تزال فى يده ..

لا اريد أن يتركها ..

لا تتركها ..

خيل الى انه لو ترك يدى فسأسقط .. سأضيع ..

وقام هاشم واقفا ، وقال :

ـ مبروك ..

وقلت فى لهفة :

ـــ حاشوفك امتى ؟ !

قال :

ـــ انتى خفيتى خلاص ..

قلت :

ـــ انت مش بتزعل لما ما بسألش عنك الا وانا عيانه .. انت مش قلت لى كده .. اهو انا دلوقتى مش عيانه ..

ونظر الى وفى عينيه شيء اكثر من الحنان .. شيء يربطنى به .. وقال فى تردد :

ـــ اضربيلى تلفون بكره .. علشان تطمنينى عليكى .. بكره الصبح .. انتى عندك نمرة تلفونى الخصوصى ..

قلت :

ـــ لا .. ما اعرفهاش ..

واعطانى نمرة تليفونه الخاصة ..

حفظتها دون ان اكتبها .. ودون ان يكررها ..

وقلت :

ـــ وحا اشوفك ؟

ـــ بكره اقول لك ..

وأمى واقفة بيننا تلتقط كلماته .. وتدير عينيها بينى وبينه .. ووجهها المكرمش جامد كلوح الصفيح لا يعبر عما يدور فى راسها ..

ونمت ليلتها وعروسة هاشم فى حضنى ..

من يومها .. وعروسة هاشم تنام معى ..

واتصلت بهاشم فى اليوم التالى ..

انه لا يستطيع أن يتحدث طويلا وهو فى عيادته .. كلماته

سريعة متعجلة .. ولكنها رقيقة حلوة .. ككلمات برقية تحمل احلى ما يستطيع رجل ان يعبر عنه ..

وجاء فى اليوم التالى .. وجلس معى فى الصالون لأول مرة .. وهو لبس غريبا .. لقد كان يتجول فى أنحاء البيت طول مدة مرضى .. ببساطة .. كأنه فى بيته ولكنه صمم فى هذه المرة ان يجلس فى الصالون .. لقد كنت أنتظره فى حجرتى كما هى العادة .. مرتدية قميص النوم وفوقه الروب ديشامبر .. وكان وجهى لا يزال ممتقعا .. فكرت أن الون خدى بالأحمر .. ولكنى عدلت عن فكرتى .. قررت ان يرانى كما انا .. خيل الى كأنى اخدعه لو وضعت الأحمر على خدى .. واكتفيت بأن الروب ديشامبر لونه أحمر .. وشريطة حمراء فوق شعرى .. واللون الأحمر يعكس ظلاله على خدى فيبدد بعض ما فيهما من صفرة .. ودخل هاشم الى حجرتى ، وجذبنى من يدى الى الصالون ، وقال ضاحكا وهو يشدنى وراءه :

ــ انتى خلاص ما بقتيش عيانه .. وانا اتضايقت من الأوده دى .. باتضايق من كل اود النوم .. كل ما اخش أودة نوم احس انى دكتور .. متهيالى انى لو اتجوزت ، حانام انا ومراتى فى الصالون ..

وجلست بجانبه فى حجرة الصالون . وكلماته تتردد فى خيالى وتثيره .. خيل الى وانا بجانبـــه مرتدية قميص النوم والروب ، انى ممكن أن اكون زوجته .. وننام فى الصالون .. وأمى معنا ..

وامى معنا ..

تدير عينيها بينى وبينه ..

وتحاول ان تجره فى حديث معها .. ولكن هاشم ، ليس كعبد الفتاح ، انه يفضل ان يتحدث معى أكثر مما يحب أن يتحدث

الى أمى .. وحديثه منطلق بسيط ، رائع .. ليس فيه هذا الذكاء الخبيث الذى يتميز به عبد الفتاح والذى يتعامل به مع أمى ..

واتصلت بهاشم فى اليوم التالى فى التليفون ..

واصبحت اتصل به كل يوم .. واحيانا مرتين فى اليوم ..

واتسع افق أحاديثنا .. ورغم انه دائما حديث سريع متعجل ..

وجاء لزيارتنا مرة ثانية .. وكان قد قال لى انه سيأتى فى الساعة الثانية بعد الظهر بعد موعد عيادته .. فارسلت السائق واشترى مجموعة من الساندويتشات .. وما كاد هاشم يصل ويجلس فى الصالون حتى وضعت قطع الساندويتش أمامه .. ونظر اليها هاشم وقال ضاحكا :

— ايه ده ؟

قلت وانا ابتسم له :

— علشان الوقت اللى حاتضيعه عند بتاع الساندويتشات تقعده معايا ..

وكنت أعرف أن هاشم لا يتناول طعام الغداء ، ولكنه يستعيض عنه بقطع الساندويتش ، حتى لا يثقل فى معدته ، ولا يضيع وقتا ، ويستطيع أن يعود الى عيادته نشيطا ..

وفى المرة الثالثة التى زارنا فيها هاشم ، صحبنى انا وامى فى سيارته .. وصعدنا الى الهرم ..

كانت المرة الأولى التى اخرج فيها من البيت .. ونزلنا نحن الثلاثة من السيارة .. وتمشينا قليلا ، ثم اجلسنى هاشم على احدى الصخور الملقاة تحت سفح الهرم .. وفعلت أمى نفس ما فعلته ، عندما خرجنا مع هاشم أول مرة .. ادعت انها فى

حاجة الى ان تتمشى .. وتركتنا وحدنا ..

ورحت انا وهاشم فى حديث طويل :

لم يقل انه يحبنى ..

ولا قلت له انى احبه ..

لم يلمسنى ..

ولم المسه ..

ولكن كان بيننا شىء كبير .. شىء كنت معترفة به .. الحب .. ولكن هاشم كان يبدو كانه لا يستطيع ان يصدق انه يحبنى ، وانى احبه .. كانت عيناه لا تكادان تلتقيان بعينى ، حتى يبعدهما عنى .. وكانت كلماته لا تكاد تهم بأن تعبر عن عواطفه ، حتى يقطعها .. يمزقها .. ويحيلها الى شىء آخر .. كنت احس به يعانى من التردد .. التردد امام نفسه .. امام عواطفه .. كأنه يروض شيئا فى صدره يريد أن ينطلق ..

لاحظت كل ذلك باحساسى .. بذكائى .. بحواسى المتفتحة التى تلتقط كل لفتة من لفتاته .. كل هزة رمش .. كل تنهيدة تنطلق مع انفاسه ..

وعندما قمت من جلستى وسرنا نحو السيارة ، وجد كل منا يده فى يد الآخر .. لم يتعمد ان يلتقط يدى فى يده .. بل اننا لم ننتبه الى ان يد كل منا فى يد الآخر الا عندما اقتربنـــا من السيارة .. تنبهنا الى ضغطة سرت فى يدى ويده .. لم ادر هل هو الذى ضغط على يدى ، ام انا التى ضغطت على يده .. وتوقفنا عن السير .. واطل علىّ بعينيه .. وعيناى مرفوعتان اليه .. مبتهلتان .. والتقت نظرتانا فى حديث صامت .. ثم همس فى صوت محشرج ويده تضغط على يدى :

ــ انا عايزك تستحمليني يا نجوى .

قلت وانفاسى تلهث :

ــ استحمل ايه ؟

قال :

ــ حاجات كتير .. بس لازم تستحمليني ..

قلت :

ــ أنا طول ما انت جنبى ما باحسش انى باستحمل حاجه ..

وابتسم كأنه يشفق علىّ من نفسه .. وقال :

ــ انتى حاجة تانيه .. انتى اصغر منى بكتير .. و ..

قلت اقاطعه فى عجلة :

ــ ابدا .. انا عندى عشرين سنه دلوقتى .. واحد وعشرين ..

قال فى اشفاق :

ــ وانا واحد واربعين ..

انه لا يدرى ..

لا يدرى ان عمرى اكبر من سنواته .

لا يدرى ماذا صنعت هذه الفتاة بعمرها ..

قلت وانا ابتسم له :

ــ انا حاسه دلوقتى انى اكبر منك .. تعرف العروسه اللى جبتهالى .. بيتهيألى انك أدها .. وساعات بيتهيالى انها انت .

وضحك ..

وامى تقترب منا ..

وعدنا .. وانا جالسة بجانبه .. وامى فى المقعد الخلفى .. وبيننا صمت .. حاولت امى مرارا ان تقطعه .. ولكننا .. هو

وبيننا صمت .. حاولت أمى مرارا أن تقطعه .. ولكننا .. هو وانا .. صامتان .. نستمع الى دقات قلبينا ..

جلست أمى فى حجرتى وانا ابدل ثيابى ، وقالت :

— ايه رايك باه .. بيحبك ولا لا ؟

قلت :

— يمكن ...

قالت :

— يا بت بلاش كهن .. انتى عارفه ومتأكده أكتر منى انه بيحبك ..

قلت وأنا ساهمة :

— يا ريت ...

قالت :

— انما تفتكرى ييجى منه ؟

قلت :

— ييجى منه ايه ؟

قالت :

— يعنى يتجوزك ..

قلت :

— يتجوزنى ازاى .. انتى مش مجوزانى لعبد الفتاح ..

وقالت فى بساطة وذكاؤها الخبيث يطل من عينيها :

— وده بمنع ..

ونظرت اليها وكرهتها .. كرهتها من اجل هاشم .. لا يمكن ان اتركها تفعل بهاشم ما يمكن ان تفعله بأى رجل آخر .. انه ليس مجرد رجل آخر .. انه حبيبى ..

ورغم ذلك سكت ..

انى فى حاجة اليها .. انى لا استطيع الآن أن اتحداها .. انى لا أزال ضعيفة .. ثم انى لو تحديتها فان أول ما تفعله أن تبعد هاشم عنى ..

وقالت :

ــ انما ده باين عليه مش سهل ..

قلت :

ــ والنبى يا ماما بلاش تخريف ..

وقالت فى حدة :

ــ تخريف ليه بأه .. انتى فاكراه انه كبير علينا ولا ايه .. ولا علشان راجل مشهور .. ولا يهمك .. اذا كنتى عايزه انا أجوزه لك ..

لم أرد ..

وقالت وهى تبتسم ابتسامة تنضح بذكائها الخبيث :

ــ سكتى ليه .. انتى فاكره يا بت انى مش فاهماكى .. ده انا أمك اللى مربياكى .. وفاهماكى من جوه ومن بره .. وعارفه انك بتحبيه .. كده ولا لأ ؟ !

وترددت قليلا .. ثم القيت نفسى فوق صدرها واخذت اقبلها من وجنتيها .. وقلت :

ــ باحبه يا ماما .. باحبه ..

وكان يجب أن افعل ذلك .. كان يجب أن اعترف لها بحبى .. حتى لا تحرمنى منه .. وحتى لا اشعرها بأنى أخفى عنهــا شيئا ..

وربتت على كتفى ، وهى فرحة بقبلاتى .. وقالت :

ــ خلاص .. سيبى الموضوع ده علىّ انا ..

وفى هذه اللحظة جاء عبد الفتاح .. سمعت صوته خارج غرفتى .. فأسرعت بارتداء قميص النوم .. والقيت نفسى فى فراشى ، وانا اقول لأمى :

ــ أنا عيانه .. عيانه خالص .. اوعى تسيبينى معاه لحظة واحده .. لو قرب منى حا اموت نفسى فاهمه ..

وقالت ووجهها المكرمش يعود صامتا كلوح الصفيح ..

ــ طيب اسكتى .. فهمت ..

وسوت غطاء السرير حولى .. ودخل عبد الفتاح ، ونظر فى وجهى ، ثم نظر فى وجه أمى ، كأنه يشك فى كلتينا وقال :

ــ مالها نوجا ..

وقالت أمى :

ــ أنا عارفه .. الدكتور سمح لها تخرج من البيت .. خدنا العربيه واتمشينا بيها ربع ساعه .. بصيت لقيت وشها أصفر .. وزى ما يكون حا يغمى عليها .. رحت راجعه بيها على طول ..

قال عبد الفتاح وكأنه نكب فى اعز امانيه :

ــ مش كانت كويسه أول امبارح ..

وقالت أمى :

ــ انا عارفه جرى لها ايه ؟

وصرخ عبد الفتاح :

ــ ده دكتور حمار .. ازاى يقول لها تخرج ..

وتأوهت ..

تأوهت لأكتم اعصابى قبل أن تثور لهاشم وانا اسمع عبد الفتاح يهينه ..

واقترب منى عبد الفتاح ، واخرج من جيبه علبة صغيرة ،

فتحها امام عينى .. وفيها قرط فى كل فردة منه حبة من اللؤلؤ .. وقال :

ــ انا جبت لك الحلق ده هدية الشفاء .. لو ما خفتيش مش حاديه لك ..

وتنهدت ، كأنى لا استطيع ان اتكلم ..

وقال عبد الفتاح :

ــ احنا لازم نجيب دكتور تانى ..

وقلت فى عجلة :

ــ لا .. انا كويسه يا اونكل .. بس تعبت من الهواء .. أصلها اول مره أخرج فيها ..

ووضع عبد الفتاح القرط فى أذنى بأصابعه القصيرة الغليظة .. ثم انحنى فوق وجهى ليقبلنى ، وأدرت وجهى ، فسقطت قبلته فوق شعرى .. وقلت :

ــ نفسى .. مش قادره اخد نفسى .

وقالت أمى :

ــ معلهش يا نوجا .. دلوقتى تهدى يا حبيبتى ..

وجلس عبد الفتاح بجانبى ، وخيبة الأمل تكسو وجهه .. لقد جاء اليوم ومعه هدية اللؤلؤ على امل ان يعوض حرمانه الطويل منى خلال فترة مرضى .

ثم حمل خيبة امله ، وخرج ليشرب فنجال القهوة مع أمى ..

— ٥ —

و ... واتحدث مع هاشم فى التليفون مرتين فى اليوم .. ثم اصبحت احدثه فى بيته بعد أن يعود اليه .. حديثا طويلا لا ينتهى .. ساعة .. ساعتين .. ونجد دائما كلاما لا ينتهى ..

ويأتى لزيارتنا ..

وأمى تنظم مواعيد الزيارة بينه وبين عبد الفتاح .

وكلما جاء عبد الفتاح ادعيت المرض ..

وعندما يأتى هاشم لزيارتنا لا تتركنا أمى او تغيب عنا بل تجلس معنا ، ثم تتركنى له المدة التى تقررها بينها وبين نفسها .. . احيانا عشر دقائق ، واحيانا ربع ساعة .. ولكن هاشم لا يحاول شيئا فى غيبة أمى .. كل ما يفعله أن تحتضن يده يدى .. ونستغرق فى حديثنا .. حديثنا حلو يكاد يغنينا عن القبلات .. وعندما تعلم امى انه لم يقبلنى ، تطيل مدة غيبتها عنا فى الزيارة التالية .. لتترك له فرصة أكثر .. ولكنه لا يقبلنى .. وانا لا احاول أن ادفعه الى تقبيلى .. اننا لا نحاول شيئا مفتعلا .. ولا شيئا مسروقا .. انى اعلم انه سيأتى يوم تلتقى فيه شفاهنا .. ولكن ليس هنا .. ليس لأن أمى تركتنا وذهبت الى الحجرة الأخرى ..

وفى احدى زيارات هاشم قالت له أمى :

— ايه رأيك يا دكتور .. نجوى جاى لها عريس .. ابن محمود بيه حلمى ، بتوع البحيره .. مش تفتكر انها لازم تتجوز ..

لقد بدأت أمى تنفذ خطتها ..

ونظر الى هاشم مبتسما .. ثم التفت الى أمى وقال ضاحكا :

ــ بجوى ما تستاهلش تتجوز ..

وقالت أمى فى دهشة :

ــ ليه باه ..

وقال هاشم :

ــ لأنها لسه ما خدتش الشهاده .. أما تنجح فى الامتحان .. نبقى نجوزها .

واخذت الشهادة ..

نجحت فى الثانوية العامة ..

وكان مجموعى ثمانية وستين فى المائة .

اصبحت مشكلتى هى أن اقنع امى بأن تسمح لى بالخروج مع هاشم وحدى .. وقد كنت أخرج مع هاشم كثيرا ، ودائما مع أمى .. كان يأخذنا فى نزهة بسيارته .. ومرة أو مرتين دعانا الى الشاى فى مينا هاوس .. ولم يكن منظرنا حلوا وأمى معنا .. خصوصا وان هناك شيئا ينقص أمى لتبدو كأنها أم .. ولتبدو كأنها أم مودرن تخرج مع ابنتها وحبيبها لتناول الشاى فى مينا هاوس .. لا أدرى ما هو هذا الشىء .. ربما الثياب التى ترتديها .. المعطف الأسود والعمامة السوداء .. وربما تصرفاتها .. وربما نظرات عينيها الخبيثة .. وربما قلة احترامى لها .. لا ادرى .. ولكنى كنت أتضايق منها وأنا مع هاشم أكثر مما أتضايق منها فى اى وقت آخر .. وأخجل منها .. احس كأنها فضيحة لى .. وكنت انظر فى وجه هاشم كأنى ابحث عن آثار فضيحتى .. ولكن هاشم لم يكن يبدو عليه أنه يتضايق من أمى .. ولا يحس نحوها احساسى بها .. بالعكس .. انه يحترمها ..

ربما اكثر مما احترمها اى رجل من الذين عبروا فى حياتى .. واحيانا يبدو انه يحبها .. وقال لى مرة :

ــ انا عمرى ما شفت ام بتحب بنتها زى مامتك ما بتحبك ..

وقلت له وانا اتنهد فى ضيق :

ــ يمكن علشان مش امى ..

ــ يجوز .. انما ده فى مصلحتك .. انا باحترمها علشان بتحبك الحب ده كله ..

وكان هذا الاحترام هو الذى يمنعه من ان ينتهز الفرص التى تمنحها لـ امى ليقبلنى .. لياخذ منى شيئا ..

انه انسان طيب .. يعيش فى عالم نظيف .. ويتخيل الناس كلهم طيبين مثله .. نظفـــاء مثله .. ونيته سليمة .. لا يفترض السوء فى أحد .. ولا يحاول أن يبحث ورائى أو وراء أمى .. انه يصدق ما يراه بعينيه ويصدق ما يسمعه منى ومن أمى ...

ولم يحاول هاشم فى هذه الأيام أن يطلب منى ان اخرج معه وحدى .. كان يبدو كأنه سيكتفى طول عمره بأن نبقى هكذا .. نتحدث فى التليفون ، ونلتقى تحت عينى أمى .. بل انه حتى هذه الأيام .. لم يكن قد صرح لى بحبه .. كنت ألمح الحب يطل من تحت جفنيه المنتفختين .. وكنت احسه فى لمسات أصابعه السريعة المترددة .. وفى شفتيه عندما تتطلعان فى حيرة الى شفتى ... وكنا نتحدث أحيانا عن الحب .. نتحدث عنه كأننا نراجع موضوعا علميا .. كأنه ليس شيئا قائما بينى وبينه .. واتلقف الكلمات من شفتيه لعله يصرح لى بحبه .. ولكن لا .. انه لا يحدثنى عن حبه .. ولا عن الزواج .

ونوبات من الحيرة تقتلع قلبى .. لعل هناك فعلا صداقة

يمكن أن تقوم بين الرجل والمراة وهو يؤمن بهذه الصداقة .. لعله يكتفى منى بالصداقة .. ويمنح حبه لأمينة .. والحيرة تكاد تخنقنى ..

وامى اشد حيرة منى .. انها لا تستطيع ان تصدق ان رجلا — حتى لو كان الدكتور هاشم — يمكن أن يعرفنى ، ويهتم بى ، وتمنحه كل هذه الفرص ، ثم لا يحاول أن يطلب منى شيئا .. لا يحاول حتى ان يقبلنى .. وحيرتها تجعلها تشك فى نيات هاشم .. بدات تشعر به كأنه اقوى منها .. اقوى من ذكائها .. واقوى من خططها .. وكانت تسلط عليه نفس الخطط التى تسلطها على كل الرجال .. تحشره فى حياتنا ، وتعرض عليه مشاكلها .. معظمها مشاكل مفتعلة .. بل كانت تفتعل مشاكل وخناقات بينى وبينها حتى تدخل هاشم ليصلح بيننا .. وتبدو امامه دائما فى صورة المراة العجوز الوحيدة الضعيفة التى اصيب زوجها بالشلل ، واضطرت ان تواجه الحياة وحدها ، وحملت مسؤوليه تربيتى وحمايتى وحدها .. وتقول له والدموع تكاد تقفز من عينيها :

— الناس طمعانه فىّ وفى نوجا لأنهم عارفين ان معاناش راجل .. وانا تعبت خلاص يا دكتور .. تعبت من الناس ومن نوجا .. ما بقتش قادره استحمل .. واحده فى سنى مش ممكن تستحمل ده كله ..

ولم اكن احاول ان احذر هاشم من هذه الخطط .. كنت اخاف أن اشعر امى بأنى اقف بجانبه عليها .. أخاف أن تحرمنى منه .. واخاف على حبى من حقيقتى .. كنت اكتفى بأن اقول له فى ضعف وانا لا أنظر اليه :

— ما تصدقهاش يا دكتور .. ماما دايما تبالغ ..

كنت لا ازال اناديه بلقب « دكتور » ..

وكان هاشم يصدق امى .. بل يصدقها اكثر مما يصدقنى .. ويهتم بالمشاكل المفتعلة التى تعرضها عليه ، اهتمامه بمريض من مرضاه .. وكان يقول لى عندما يخلو بى :

ــ اسمعى يا نجوى .. انتى لازم تريحى مامتك .. دى بتحبك ومالهاش فى الدنيا غيرك .. وانتى ذكيه وتعرفى ازاى تريحيها ..

واسكت .. انه لا يعرف امى .. والحقيقة تشرخ حلقى ولا استطيع ان انطق بها ..

وفى يوم قال لأمى وهى تشكو له :

ــ اسمعى يا عزيزه هانم .. ارجوكى تعتبرى انك مش وحدك فى الدنيا .. انتم عشتوا طول عمركم تلاته .. انتى .. وطاهر بيه جوزك .. ونجوى بنتك .. ودلوقتى بقيتو اربعه انا الرابع ..

وابتسمت ابتسامة كبيرة ..

خيل اليها ان خطتها نجحت ..

اعتبرت هذا الكلام ، كأن هاشم يخطبنى منها .. يطلبنى للزواج ... بل انها بدأت ترتب فعلا حياتنا بعد ان يتزوجنى هاشم ، كأنه لم يكن هناك شيء يمكن ان يفسد ترتيبها .. لا شيء .. لا حقيقتى كامرأة .. ولا علاقتى بعبد الفتاح .. ولا المال الحرام الذى نعيش عليه .. لا شيء ابدا يمكن ان يقف فى طريقها .. فى طريق خيالها .. ان خيالها يتسع لكل انواع الزيف .

ولكن هاشم لم يتقدم خطوة اخرى .

لا يصرح لى بحبه ..

ولا يطلبنى للزواج ..

وكل ما يهمه من مستقبلى هو الحاقى بالجامعة ..

ولم اعد أطيق .. اننى أحبه .. لا يهمنى اذا دخلت الجامعة ام لم ادخلها .. لا يهمنى اذا تزوجنى أم لا .. كل ما يهمنى انى احبه .. واريد منه حق الحب .. أريده .. أريد ذراعيه .. أريد شفتيه .. اريد همساته .. اريد أن ننطلق وحدنا فى دنيا نملكها وحدنا .. دنيا ليست فيها أمى ، ولا ابى ، ولا عبد الفتاح .. وبدأت أغتاظ من هاشم .. كيف يطيق هذا الحرمان الطويل .. واذا استطاع أن يحرم نفسه منى ، ما ذنبى حتى يحرمنى منـــه .

ثم كان يوم .. وجاء هاشم لزيارتنا فى الساعة التاسعة مساء بعد انتهاء عيادته .. واستعددت له فى هذا اليوم اكثر من اى يوم آخر .. لا أدرى لماذا .. فلم يكن قد جد شىء ، ولكن احسست بنفسى فى حاجة لأن استعد له .. كامرأة .. ارتديت ثوبا من الشيفون ، أزرق سماوى .. يكشف عن ذراعى ، ومساحة كبيرة من صدرى .. وله ايشارب من نفس اللون يلتف فى اهمال حول عنقى .. وحذاء اسود . .فرنيه .. سبعة سنتى .. وتعطرت بعطر « فام » .. واثقلت من العطر أكثر من عادتى .. وتحليت بخاتمى الماس ، والدبوس ، والقرط .. هدايا عبد الفتاح .. وصبغت شفتى بأحمر فاتح .. ووضعت ظلالا من « الأومبر » فوق جفونى .. وكحل .. وروميل .. وخصلة من شعرى ملقاة فوق خدى .. كنت امرأة .. كانى متجهة الى حفلة من حفلات زيزى ..

واستقبلته فى الصالون .. حيث يحب دائما ان استقبله ، حتى لا اذكره بانه طبيب اذا استقبلته فى حجرة النوم .. ونظر

الى فى بهرة .. ارتفعت كل جفونه المنتفخة ، لتكشف عن كل عينيه .. وقال وهو ينظر الىّ كأنه لا يصدق :

ـ ايه ده كله .. رايحه فين ؟

قلت وانا اتخايل امامه ، واحاول أن أرى نفسى فى عينيه كانى احاول ان ارى نفسى فى مرآتى :

ـ ولا حته .. ليه .. باين علىّ انى رايحه حته ؟

قال :

ـ باين عليكى انك رايحه حفله كبيره قوى ..

قلت وانا انظر اليه بعينين جريئتين :

ـ أبدا انت حفلتى !

وابتسم ابتسامة قوية كأنه يجمع بها ارادته حتى لا يندفع الىّ ويأخذنى بين ذراعيه .. ثم اتجه يصافح أمى فى حرارة ..

وجلست أمى معنا قليلا ؛ وهى تنظر فى عينى هاشم وهما يطلان علىّ ، كأنها ترصد النجوم لتتنبأ بمستقبلى .. ثم قامت واحتجت ببعض مشاغلها ..

وتركتنا وحدنا .

وهاشم جالس على الأريكة .. يدخن سيجارته .. وخيل الىّ أنه يدخنها بعصبية ..

وانا جالسة على المقعد الفوتيل .. ظهرى مشدود .. عنقى مفرود .. كأنى عروسة فى الكوشة ..

وقلت له :

ـ تحب تتفرج على صورى وانا صغيره ..

ونظر الىّ وقال مبتسما فى حنان :

ـ انا متهيالى انى شفتك من يوم ما تولدت .. انما ورينى الصور علشان أفتكر أيام زمان ..

وجريت الى غرفتى .. وعدت بألبوم كبير احتفظ فيه بصورى الفوتوغرافية .. صور وأنا طفلة .. وصور وانا فى المدرسة .. وصورة وانا امثل عندما كنت فى فرقة التمثيل .. وهناك صور أخرى .. صور لى وأنا فى الأوبرج والاريزونا مع شلة زيزى .. ولكن هذه الصور لا احتفظ بها فى الألبوم ..

والفيت نفسى جالسة بجانبه على الأريكة .. وفردت الألبوم فوق ركبتى وركبتيه .. وبدأنا نقلب فى الصور .. وانحنى فيكاد خدى يلامس خده .. وانفه الكبير وهو يتنفس يكاد يشفط خصلة شعرى .. وركبتى تصطدم بركبته من تحت الألبوم .. وحاولت أن ابعد ركبتى ، وحاول ان يبعد ركبته .. ولكن ركبتينا تعودان وتصطدمان .. وعطرى يختلط بهذه الرائحة النظيفة التى تفوح منه كأنها الهواء النقى .. وانفاسى تسخن وتلتقى بأنفاسه .. انفاسه اسخن .. كل شىء حولنا وفينا يسخن .. وأنا أحس بشعور جديد .. ليس الحب وحده .. شعور مثير يسرى فى اعصابى كلها ، ولا ادرى هل يخدرها أم ينبهها .. انى أشعر بأنى امرأة .. انى لم اشعر من قبل بأنى امرأة .. لم يستطع عادل ولا عبد الفتاح أن يشعرانى بأنى امرأة .. ولكنى اشعر بنفسى الآن بأنى امرأة .. انى لا أستطيع ان احب كفتاة .. لأنى امرأة ..

وخفت صوتانا ، ثم لم نعد نتكلم ، ولم نعد نرى الصور .. نقلب صفحات الألبوم دون ان نرى شيئا .. وانا فى انتظار شىء .. اى شىء .. ان ترتفع ذراعه وتضمنى اليه .. ان يلتفت بوجهه ليلتقى بشفتى .. أن يشدنى من شعرى .. أن يضربنى .. اى شىء .. اى شىء ..

وفجأة نظر هاشم فى ساعته ، وازاح البوم الصور من فوق

رجبه .. وتفز واقفا كأنه ينجو بنفسه .. كأنه يفر من النار .. وقال :

ــ انا لازم انزل .. عندى ميعاد مع جماعه اصــحابى فى سميراميس ..

وصرخت عيناى ..

وقلت بصوت محشرج :

ــ لسه بدرى ..

وابتسم هاشم كأنه يمدنى ببعض قوته ، وقال :

ــ ما اقدرش .. لازم انزل .

ثم مد يده والتقط يدى ، وجذبنى لأقف بجانبه ، وقال فى حنان وهو لا يزال ممسكا بيدى :

ــ احسن انى انزل دلوقت ..

واحنيت راسى كأنى اهم بالبكاء :

ــ زى ما يعجبك ..

ووضع يده الأخرى تحت ذقنى ورفع وجهى اليه ، وقال وابتسامته الحلوة الحانية معلقة بين شفتيه المنفرجتين :

ــ على فكره .. نسيت اقول لك .. أختى عازماكى عندها على العشا يوم الخميس ..

وخيل الى انى لم اسمعه تماما .. او انى لم استطع أن اصدقه .. وطارت منى فجاة احاسيس المراة ، وقلت :

ــ بتقول ايه ؟

قال فى هدوء :

ــ أختى عازماكى يوم الخميس ..

قلت :

ــ بس انا ما اعرفهاش ..

قال :

ــ لازم تعرفيها .. مش ممكن حاتقدرى تعرفينى الا اذا عرفتيها ..

قلت :

ــ وهى ما تعرفنيش ..

قال :

ــ هى عارفاك من يوم انا ما عرفتك ..

قلت وفرحة غامرة تملأ قلبى :

ــ كلمتها عنى ؟ ..

قال :

ــ كتير ...

وسكت برهة لالتقاط انفاسى المبهورة ..

.. ثم قلت كأنى تائهة :

ــ انا خايفه ..

قال وهو يضغط يدى :

ــ خايفه من ايه ؟

قلت :

ــ من اختك ..

وضحك ضحكة كبيرة وقال :

ــ ما حدش فى الدنيا يخاف من اختى مديحه ابدا .. هى اللى دايما تخاف .. تخاف على جوزها .. وتخاف على ولادها .. وتخاف على ..

قلت :

ــ تخاف عليك من ايه ..

قال :

— من الستات طول ما انا مش متجوز .. وهي خايفة على .. متهيأ لها انى حاندب .. واقع على دماغى ..

وبلعت ريقى ، وقلت فى صوت منهار وأنا أدير عينى عنه :

— لها حق ..

وقال هاشم :

— ماما راحت فين ؟ ..

ثم رفع صوته قبل ان أجيبه ، وملأ البيت كله هاتفا :

— يا عزيزه هانم .. عزيزه هانم ..

وقلت وأنا انظر اليه فى تردد :

— وماما معزومه ..

قال فى طلاقة :

— لو جت حاتضنايق .. لأن كل المعازيم ستات صغيرين .. انما طبعا معزومه ..

وجاءت أمى على صوته ، وقال لها هاشم فى بساطة :

— أختى عازمه نجوى عندها يوم الخميس .. وارجو انك تسمحى لها تيجى ..

ونظرت اليه امى بعينيها الخبيثتين ، ووجهها المكرمش ، وقالت :

— وماله يا بنى .. نتشرف ..

وقال هاشم :

— مرسى يا افندم ..

ثم التفت الى وانا مذهولة وقال :

— مديحه حاتضرب تليفون بكره ، تعزمك بنفسها .. تصبحوا على خير ..

وصافحنى .. وضغط على يدى .. كأنه يدفع الأمل فى

عروقى .. ثم صافح امى .. وخرج .. وقبل ان يصل الى الباب ، افقت من ذهولى ، وجريت وراءه لألحق به عند الباب ، وقلت له فى صوت متهور :

ــ تفتكر البس ايه ؟ ..

وعاد هاشم يضحك ، وقال :

ــ اى حاجه ..

ثم نظر الى ثوبى الذى ارتديه وقال :

ــ بس بلاش الفستان ده .. لانه عاملك زى ما تكونى واحده ست .. مش ممكن يكون فستان بنت رايحه الجامعه ..

وقلت وابتسامة باهتة على شفتى وريقى يتجمد فى زورى :

ــ لك حق ..

وابتسم كأنه يقبلنى بعينيه ..

وخرج ..

وجريت الى غرفتى ، والقيت نفسى على فراشى ، ودفنت وجهى فى وسادتى .. وبكيت .. دموعى كالسيل تزيح امامها الكحل والروج والعطر ، وتلطخ بها الوسادة .. وكلى ارتعش ..

وجاءت امى ورائى ، وقالت فى جزع :

ــ بتعبطى ليه .. هو قالك حاجه .

وصرخت وانا اضرب الفراش بيدى وقدمى :

ــ سيبينى .. ابعدى عنى .. سيبينى اعملى معروف ..

وقالت وهى تجلس على الفراش :

ــ ايه يا اختى الدلع ده .. ما تقولى بتعيطى ليه ..

واخذت ابكى .. وابكى .. وهى جالسة فى انتظار ان انتهى من البكاء .. ثم قلت من خلال دموعى كانى احادث نفسى :

ــ ده اول راجل من اللى عرفتهم ، بعد عادل ، يعرفنى

مبلنه .. اول رجل يحترمنى .. ما فيش راجل من اللى كنا نخرج معاهم عرض على انه يعرفنى بأمه ولا اخته ..

وقالت وهى لا تشعر بشىء مما احس به :

ـ وماله فيها ايه يعنى دى .. هو انتى حبيتى تتعرفى بعيلة حد وما تعرفتيش ..

ولم ارد عليها .. انها لن تفهمنى ابدا ..

وعادت تقول :

ـ انتى عارفه معنى العزومه دى ايه .. معناها جواز .. ما هو لو ما كانش ناوى على جواز كان عرفك بأخته ليه .. المسأله بالعقل .. بس برضه لازم ناخد بالنا ..

ورن فى أذنى صوت هاشم وهو يقول : « طول ما انا مش متجوز أختى خايفه على انى أندب ، واقع على دماغى » .

هل اتركه يندب ..

يندب فىّ ..

لا .. مستحيل .. انى احبه الى حد انى لن اتركه يندب ..

ولكن ..

لماذا لا اصرح له بالحقيقة .. كل الحقيقة .. انى لا ذنب لى فى حياتى .. وهو لا يستطيع أن يفهم .. ويعذرنى .. ويتزوجنى بعد أن يفهمنى ويعذرنى ..

لا .. اذا كان قد احبنى ، فقد احبنى كما يتصورنى .. فتاة بريئة ، طاهرة عذراء .. لم يحبنى على انى امراة .. عشيقة رجل غنى ..

لن اصرح له بحقيقتى ..

حتى لا افقد حبه ..

انى اريد حبه .. ولا اريد الزواج منه ..

ولكن الحب اهم من الزواج .. ان الزواج يمكن فسخه ببساطة .. ولكن الحب .. لا يمكن . ان فسخ الحب شيء كالذبح .. كالقتل .. وسأذبح .. سأموت .. اذا اقمت حبى على خديعة ، ثم فسخه هاشم بعد أن يكتشف حقيقتى .

ودموعى تجف .. كل شيء فىّ يجف .. وقلت وانا ساهمة :

ــ انا مش رايحه عزومة أخته ..

وقالت امى وهى تنظر الىّ فى استنكار :

ــ ايه العبط ده .. ليه باه ..

قلت :

ــ ومش عايزه أشوفه تانى ..

قالت :

ــ ليه ده كله يا بنتى .. هو حصل منه حاجه ..

قلت :

ــ لا .. بس انا حاسه ان حياتى كلها حا تتلخبط .. وأنا مش مستعده الخبط حياتى ..

قالت :

ــ ولا تتلخبط ولا حاجه .. احنا نفضل معاه لغاية ما نشوف آخرته ايه .. والله اذا طلع راجل كويس ، كان بها .. ما طلعش ، ما خسرناش حاجه .. وما تخافيش ، ما يقدرش يلعب بيكى .. انا حاسه انه راجل كويس .. بس خواف ..

قلت :

ــ خوّاف من ايه ؟

قالت :

ــ من الستات .. ومن الجواز ..

وظلت امى تتحدث .. وتتحدث .. وانا ساهمة .. اسمع

نصف كلامها ، والنصف الآخر لا يصل الى .. وافكار كثيرة تتجاذبنى .. احيانا اقرر ان اذهب .. ثم اعود واقرر الا اذهب .. واحيانا اقرر ان اصرح لهاشم بحقيقتى ثم اعود واقرر الا اصرح له بشىء .. ويمتلىء خيالى بصورة اخته .. وبصورة بيته .. واتصور نفسى كأنها احبتنى .. واتصورها كأنها كرهتنى واكتشفت سرى .. واسمع صوتها يرتفع ويملأ السموات والأرض وهى تصرخ فى اخيها .. اوعى تندب .. اوعى تندب ..

وامى لا زالت تتحدث ، وقلت لها كأنى ارد على نفسى :

— اعملى حسابك لو رحت العزومه دى .. مش حاتيجى معايا ..

وقالت امى كأنها فوجئت :

— الا دى .. رجلى على رجلك ..

واعتدلت فى فراشى جالسة ، وقلت لها فى حدة وحزم كأنى تزودت بقوة جديدة :

— اسمعى يا ماما .. هاشم مش زى بقية الرجاله .. وادى انتى شفتى .. بقالك ست اشهر تسيبينى معاه لوحدى .. ما حاولش يبوسنى .. ودول ناس مودرن ، ما عندهمش مانع ان الأخ يعزم صاحبته فى البيت عنده .. و ..

وقالت امى تقاطعنى :

— أنا ما اعرفش مودرن ومش مودرن .. هم المودرن مش رجاله ، ولا ايه .. أنا ايه عرفنى حايخدك فى بيتهم يعمل فيكى ايه ..

قلت فى حدة وسخط :

— يعنى حايعمل فى ايه .. ايه اللى فاضل علشان يعمله فى !

قالت كأنها تهم بالصراخ :

— لا .. ياه اسمعى .. اذا كنتى فاكره انك حره .. تبقى غلطانه .. كل حاجه عندى لها حساب ..

قلت أقاطعها :

— الا أنا ..

قالت كأنها جزعت :

— ازاى ياه .. امال كل اللى عملته ده علشان مين .. هو انا اللى ساكنه فى الفيللا دى لوحدى .. والعربيـــه اللى حضرتك رايحة جايه بيها طول النهار .. والفساتين .. والصيغه والمجوهرات .. كل ده بتاع مين وعلشان مين ولو ما كنتش انا .. مش كان زمانك مرميه زى الكلبه مع الواد اللى اسمه عادل .

قلت :

— ما فيش لازمه للكلام ده .. وبا اقولك من دلوقتى .. اذا رحت العزومه حاروح لوحدى ..

ونظرت فى وجهى كأنها تبحث فيه عن شىء ، وعادت تقول :

— تكونيش بتستعرى منى يا بت .. ولا فاكره انى مش من مقام الدكتور بتاعك والست أخته ..

قلت ولمسة من الشفقة تمر على قلبى :

— ابدا يا ماما .. بس هو قال لى ان كل المعزومين ستات صغيرين .. وحاتبقى انتى فى وسطيهم نشاز .. وكمان .. لازم تفهميه انك بتثقى فيه .. وهاشم حساس يقدر معنى الثقة دى ...

وسكتت أمى قليلا كأنها تحاول ان تقنع نفسها ، ثم هزت راسها بعنف كأنها لا تستطيع ان تقتنع ، وقالت فى عناد :

ـ لأ .. لا ثقة ولا مش ثقة .. أنا ما فهمش الكلام ده .. رجلى على رجلك ..

قلت فى حدة :

ـ يبقى مش رايحه .. ومن فضلك تسيبينى انا باه .. انا تعبت ..

وقمت وخلعت ثوبى كأنى أمزقه عن جسدى .. واطحت بفردتى حذائى من قدمى فى فراغ الغرفة .. وعدت الى فراشى ..

وصممت ام على أن تنام بجانبى .. واعطيتها ظهرى .. وتركتها تتكلم .. لم ارد عليها .. وانا مغمضة العينين .. وكلى متيقظة .. عقلى .. وقلبى .. واعصابى ..

وسكتت أمى ..

خيل الىّ انها نامت ..

وانا لم انم ..

لا استطيع أن انام ..

وقمت من فراشى .. ومشيت حافية على أطراف اصابعى .. وسمعت فجأة صوت امى ورائى ، كأنها ذئبة لا تنام الا بعين واحدة :

ـ رايحه فين ؟

قلت دون أن التفت اليها :

ـ رايحه انام جنب بابا ..

وكنت اريد فعلا أن انام بجانبه .. ان ابى هو القطعة الوحيدة النظيفة المغلوبة على امرها فى هذا البيت .. أريد أن الجأ اليها .. الجأ الى شىء نظيف ..

وفتح ابى عينيه .. ونظر الىّ كأنه يستطيع ان يفهم كل مشاكلى دون أن ارويها .. وتدلت ابتسامة حانية فوق شفتيه

المشلولتين كأنه يواسينى بها .. وخرجت من تحت لسانه المشلول اصوات هادئة ، كأنها حب الأخرس .. وتركنى أنام على ذراعه المشلول ..

ان حياتي أيضا مشلولة ..

وبعد مدة .. جاءت أمى وهزتنى فى رفق معتقدة انى نائمة ، وقالت هامسة حتى لا توقظ أبى :

— خلاص .. اتفضلى روحى العزومه لوحدك .. قومى بأه نامى فى سريرك ..

وابتسمت مشفقة عليها من حبها لى ..

وعدت الى سريرى ..

ونامت بجانبى ..

نمنا فى الخامسة صباحا ..

وفى صباح اليوم التالى ، اتصلت بهاشم فى التليفــون وقلت له :

— انا مش رايحه ..

وقال فى دهشة :

— ليه ؟

قلت :

— خائفة ..

قال :

— ما تبقيش مجنونه .. انا قلت لأختى انك قبلت العزومه .. وزمانها حاتكلمك فى التليفون دلوقت .. وبكره حافوت عليكى الساعة تسعه ونروح سواء ..

قلت :

— مش حاقدر يا دكتور ..

قال :

ــ اعملى معروف يا نجوى .. انا عندى شغل .. واذا كنتى مش عايزه تيجى لوحدك تعالى مع ماما .. خلاص .

قلت :

ــ حا افكر ..

قال :

ــ لأ .. ما تفكريش .. حا افوت عليكى بكره ..

وانهى المحادثة ..

واتصلت بى أخته .. كنت انتظرها .. كنت جالسة بجانب التليفون طول الوقت ، متخشبة ، فى انتظارها .. وسمعت صوتا رائقا .. متزنا .. فى اتزانه طيبة ومرح .. وقالت كأنها تعرفنى من زمان طويل :

ــ نجوى ..

قلت :

ــ ايوه يا افندم .. مين ؟

وكنت أعرف من هى .. ولكن كان يجب أن اقول « مين » .

وقالت فى طلاقة :

ــ انا مديحه اخت الدكتور هاشم .. انا اتحايلت على اخويا انه يعزمك بكرم عندنا على العشا .. نفسى اشوفك من كتر ما كلمنى عنك .. وباذن الله تقدرى تيجى .

قلت :

ــ مرسى قوى يا افندم .. متشكره .. بس .. اصل ..

قالت تقاطعنى وبنفس لهجة اخيها كأنها هى أيضا دكتورة :

ــ ده انا نفسى اشوفك قوى .. وهى عزومه صغيره ..

عشرة أنفار بس .. وحايعجبوكى لما تتعرفى بيهم . خلاص .. حاستناكى يا نجوى ..

وقبلت دعوتها .. كانت بساطتها وانطلاقها أقوى من محاولتى التدلل .. أحسست أنها تعلم انى أريد ان اقبل دعوتها .. وخجلت من أن استمر فى الرفض .. او حتى فى اطالة الحديث ....

وقالت :

ـ انا حاسه اننا حانبقى أصحاب .. وانتى عاجبانى من كتر ما هاشم أخويا كلمنى عنك .. ويمكن اعجبك انا كمان .. وعلشان اعجبك ما تسمعيش كلام اخويا عنى .. لأنه دائما يشنع علىّ ...

قلت :

ـ ده بيحبك قوى ..

قالت :

ـ بس برضه بيشنع علىّ ..

واحسست أنها اقرب الناس الى قلبى .. صوتها .. وبساطتها .. واسلوبها .. شيء آخر غير زيزى والنساء اللاتى عرفتهن وصادفتهن عن طريق زيزى ..

وارتديت يومها ثيابى خمس مرات ..

من الساعة الحادية عشرة صباحا وأنا أرتدى ثيابى .. البس ثوبا وحذاء .. وامشط شعرى .. واجرب الكحل ، والأومبر .. ثم اخلع الثوب والحذاء .. والبس ثوبا آخر وحذاء آخر .. والخبط شعرى .. وامسح الكحل والأومبر .. و .. و .. وفى الساعة الخامسة ذهبت الى الحلاق بقيت عنده حتى السابعة .. ثم عدت الى البيت ولخبطت كل ما صنعه الحلاق ..

واعدت تسريحة شعرى .. اخترت تسريحة بسيطة ، وثوبا بسيطا .. وروج بسيط كأنى بنت على وشـك أن تلتحـق بالجامعة ..

وقد جعلت البيت كله طول اليوم فى حالة عصبية .. وامى تنظر الى وتتعجب ، ثم تقول :

— اللى يشوفك بتعملى كده .. بيتهيأله انك عمرك ما رحت حفله .. يابت اثبتى ..

ثم تنظر الى كأنها تطل فى قلبى لتقيس مدى حبى .. وفى عينيها شىء كالندم يشوبه الخوف .. كأنها نادمة لأنها تركتنى لهاشم .. وخائفة أن يأخذنى منها .. انها على الأقل واثقة انه اخذ قلبى .. وهذا وحده يخيفها .

وجاء هاشم ..

ونظرت الى نفسى فى عينيه ..

عيناه مبهورتان ..

وقال والبهرة تخنق صوته :

— انتى هايله .. مدهشه .. احلى يوم شـفتك فيـه .. النهارده ..

وقلت وقلبى يرتجف ، اريد ان اصدقه :

— صحيح والنبى يا دكتور ..

قال وهو لا يزال مبهورا :

— اختى مش حاتصدق انك حلوه للدرجه دى ..

وجاءت امى ، وارتاحت قسمات هاشم عندما وجدها بثياب البيت ، ولكنه قال :

— انتى مش جايه معانا يا عزيزه هانم ..

قالت فى جفاف :

ـ لا .. تعبانه شويه .. انما حتى لو كنت تعبانه ما كنتش ممكن اسمح لنجوى تخرج لوحدها الا لأنها خارجه معاك .. ولأنى باثق فيك ..

فقال :

ـ متشكر قوى ..

قالت :

ـ بس نجوى لازم ترجع الساعه اتناشر .. اتناشر بالضبط .. انا مش حانام الا لما ترجع .. لا انا ولا ابوها ..

قال :

ـ خلاص .. امرك .. اتناشر بالضبط حاتكون هنا .. زى سندريلا ...

وقبلت امى ..

وصافحها هاشم قائلا :

ـ اطمنى ..

وخرجت معه ..

كانى عروسته ..

وامى تنظر خلفنا وطبقة من الدموع تلمع فى عينيها .

وكانت المرة الأولى التى اخرج فيها مع هاشم وحدى .

شىء آخر احس به وانا معه وحدى .. احس كانى فى عمرى .. عمر العشرين .. واحس بعواطفى كلها نشطة منطلقة .. احس بالحياء .. والخوف .. والرهبة .. والتردد .. والترقب .. كل حركة من هاشم تثير شيئا فى .. كانى لا ازال فتاة .. عذراء .. ساذجة .. بريئة .. واحس بحبى نظيفا .. طاهرا .. لا يلطخه خبث امى ، وخططها .. ان الحب يكون أكثر براءة وطهرا بعيدا عن الأمهات ...

وبقينا صامتين فى السيارة ..

كأننا فعلا عروس وعريس فى أول لقاء لهما ، كل منا يعيش فى عواطفه ، ويعجز عن التعبير عنها ..

وقبل أن نصل الى المعادى ، أوقف هاشم السيارة فجأة على الرصيف المحاذى للنيل .. وتطلعت اليه فى دهشة .. والتفت الى .. وما كدت التقى بعينيه ، حتى غلبنى الخفر ، فأرخيت عنه عينى ..

وقال هاشم وهو يستدير فى جلسته نحوى :

— انا عايز أقول لك حاجه قبل ما نوصل البيت ..

وقلت فى صوت خفيض يرتعش بعواطفى :

— خير ...

قال وهو يطلق عينيه الى صفحة النيل :

— أنا سبت أمينه .. خلاص ..

وفوجئت .. لقد كانت أمينة آخر ما يخطر على بالى فى هذه اللحظة .. ولكن .. لعله اذاقنى هذا الحرمان الطويل حتى ينتهى من امينة .. لم يكن يريد أن يجمع بينى وبين اى فتاة اخرى فى حياته .. ولعله لم يدعنى الى بيته الا بعد أن تخلص من أمينة .. لعله منذ اليوم سينطلق الى بكل حبه ، وكل حياته .. ما أروعه .. لم أكن أصدق انه لا يزال فى الدنيا مثل هذا الرجل ..

وقلت وانا أقبله بابتسامتى :

— من امتى ؟ ..

قال :

— من اسبوع .. وكان لازم أقول لك .. علشان تعرفى كل حاجة عنى .. زى ما انا عارفة كل حاجة عنك .

واحسست كأن سكينا شق قلبى .

انه لا يعرف شيئا عنى .. لا يعرف .. لا يعرف انى لست الفتاة البريئة التى يحبها .. لا يعرف انى غشيقة رجل عجوزا غنى ..

وبلعت ريقى وانا انظر فى الخاتم الماسى الذى فى اصبعى .. خاتم عبد الفتاح :

ــ انا كنت عارفه انك حاتسيبها ..

وكتمت الجرح الذى انفتح فى قلبى ، وتحاملت على نفسى حتى ابتسمت ابتسامة كبيرة وقلت وانا ارفع عينى اليه :

ــ ورينى عينيك ..

قال مبتسما :

ــ ليه ؟ ..

قلت :

ــ علشان اشوف عينيك اذا كان فاضل منها حاجه فيك ، ولا لا ...

قال ضاحكا :

ــ اطمنى .. مش فاضل منها حاجه ابدا ..

قلت :

ــ كل الرجاله كده .. ينسوا بسرعه ..

قال :

ــ اصلى بافكر فى حاجه تانيه ..

قلت :

ــ ايه ؟

قال :

ــ بعدين اقول لك ...

والتقط يدى ، ورفعها الى شفتيه ، وقبلنى فى راحة كفى .. اول لمسة من شفتيه .. سرت حتى اصبع قدمى .. ودفعت الدماء فى وجنتى .. ثم أدار موتور السيارة ، ودخل الى المعادى .

وقلبى واجف ...

وابذل مجهودا عنيفا ، حتى احتفظ بشخصيتى كاملة فى مواجهة أخته .. وعندما وصلنا الى البيت كنت قد استطعت ان اسيطر على كل اعصابى .. سيطرت على مشيتى .. على ابتسامتى .. على لسانى .. على عقلى .. ولكن بقى شيء فى يرتعش ..

واستقبلتنى مديحة اخته فى ترحيب مرح .. ونظرت الى نظرة واحدة شملتنى كلى .. وقالت فى بساطة كأننا صديقتان من زمان :

ــ اهلا نجوى .. انتى حلوه قوى .. تعالى أعرفك بأصحابى ..

واخذتنى الى الصالون وهاشم يسير حولى .. كل انتباهى موجه الى السيطرة على اعصابى ..

ووقف الرجال فى استقبالى .. واتجهت كل عيون السيدات الى .. خيل الى ان كل سيدة لها الف عين .. ودارت بى مديحة تقدمنى لهم ، وتقدمهم لى .. ومع كل منهم عين كأنها المنظار المعظم ..

وأنا متماسكة ..

كان كل احساسى متجها الى اننى يجب ان اشرف هاشم بى ، أمام عائلته واصدقاء عائلته .. واجلستنى مديحة بجانبها على الأريكة .. كنت افضل ان اجلس على مقعد .. ان جلستى

على مقعد تساعدنى اكثر على التماسك .. ولكنى جلست على حافة الاريكة .. مشدودة الظهر .. مفرودة العنق .. احاول أن احتفظ فى عينى بنظرة هادئة ، وبين شفتى ابتسامة ثابتة .. والعيون كلها تلتقى عندى ، ثم تنتقل الى هاشم .. واحس أنهم يجمعون بينى وبينه فى خيالهم .. ربما اعتقدوا اننا على وشك أن نعلن خطوبتنا ...

واصدقاء مديحة كانوا مرحين .. مرح هادىء مهذب .. وبسطاء .. بساطة ناس لم تتعقد حياتهم .. وبسرعة أدمجونى معهم فى احادبثهم .. وبسرعة احسست اننى منهم .. وبدات اجد القدرة لأطوف فى البيت فى أنحاء البيت .. الذوق هادىء مريح ، انيق .. شىء آخر غير الذوق الصارخ الذى احسست به فى بيت زيزى .. وقد يكون فى بيت زيزى قطع من الأثاث او من السجاد أغلى مما رايته فى بيت هاشم .. ولكن هنا تحس بأن كل قطعة مستريحة .. هادئة .. تحس بالجلال ..

واسترحت ...

استرحت فى هذا البيت .. احسست انى كنت واقفة طول حياتى ثم جلست .. احسست كأن اعصابى كانت متيقظة العمر كله ، ولم تنم الا الآن .. وآنية كبيرة انيقة ممتلئة بالزهور امامى ، أرى طريقى من خلالها ، كأنه مفروش بالورد .. وهاشم يجلس بعيدا عنى يبادلنى نظرات حلوة احس من خلالها كأنه يتباهى بى .. كأنه فخور بى .

وقمنا الى مائدة العشاء .. وكنت أخاف لحظة العشاء .. ان عملية الأكل عملية مربكة ، أخاف خلالها أن افقد سيطرتى على أعصابى .. ولكن كل شىء تم فى بساطة .. اجلستنى مديحة فى مكان الشرف ، على يمين زوجها .. باعتبارى ضيفة جديدة

.. وساعدنى زوجها بمرحه وطيبته على أن اكون على طبيعتى .. وهاشم جالس بعيدا عنى .. يسأل عنى بعينيه فى كل لحظة ..

ولا نظرة جرحتنى .. ولا كلمة مستنى .. الجو نظيف .. نظيف . الرجال هنـــا يشربون كثيرا من الويسكى .. ولكنهم لا يسكرون ولا يتبذلون ، ليسوا كأصدقاء زيزى .. ربما لأن اصدقاء زيزى يشربون ليبتذلوا ، اما هؤلاء الرجال فيشربون ليرتاحوا من عناء يومهم ..

وفى الساعة الثانية عشرة الا ربعا وقف هاشم .. وقال لى ضاحكا :

ــ الأوامر انـنا نكون فى البيت الساعه اتناشر ..

وقمت ..

والسيدات صافحننى جالسات ، وكل منهن تسألنى وعدا ان ترانى مرة ثانية .. والرجال قاموا واقفين فى وداعى .

وخرجت مديحة معى حتى الباب الخارجى ، والتفتت الى هاشم قائلة :

ــ اسمع يا اخويا .. نجوى من هنا ورايح صاحبتى أنا .. مالكش دعوه بيها .. فاهم ..

وقال هاشم ضاحكا :

ــ صاحبتك آه .. انما ماليش دعوه بيها ، لا ..

وهمست مديحة فى أذنى قائلة :

ــ اذا عمل حاجه ، قوليلى .. اصلى انا عارفه اخويا .. ... عمايله تجنن ..

قلت وانا اضحك :

ــ لغاية دلوقتى كويس ..

وقبلتنى مديحة فوق كلنا وجنتى ..

وركبت بجانب هاشم فى سيارته ، وقلبى مفعم بالفرحة .. لقد نجحت .. ربما نجحت هذه المرة بمجموع تسعة وتسعين فى المائة .. اخته احبتنى .. وصديقاتها احببنى .. والرجال نلت اعجابهم واحترامهم .. لم افكر لحظتها فى هاشم ، قدر ما فكرت فى نجاحى .. ولكن فجأة ، قفز الى راسى خاطر اسود .. والتفت الى هاشم وسألته فى لهفة :

— هاشم .. قول لى .. انت عرفت أمينه باختك ؟ .

ولم انتبه الى انها كانت المرة الأولى التى أناديه فيها باسمه مجردا ، بلا لقب « دكتور » ..

وابتسم هاشم ، وقال :

— لا .. انما هى اللى عرفت نفسها بأختى .. كانت بتكلمها فى التليفون .

واسترحت ..

ثم أوقف السيارة على جانب الطريق والتفت الىّ بكل جسمه واستطرد قائلا :

— ما كانش ممكن اعرف حد بأختى الا انتى .. انتى حاجة تانيه .. واللى بينى وبينك مش ممكن يكون كان بينى وبين حد تانى .. انتى مش بنت حلوه انتى اكتر من كده .. شخصيتك .. عقلك .. انا متهيألى ان ما فيش حد كان ممكن يفهمنى الا انتى .. وكلام كتير بتقوليه ، بيتهيألى انى انا اللى باقوله .. لدرجة انى ساعات وانا باكتشف على عيان واحتار فيه ، اسأل نفسى .. يا ترى نجوى رايها ايه .. وساعات يتهيألى انك اكبر منى .. عمرى ما حسيت بالاحساس ده قبل كده .. حتى وانا صغير كان بيتهيألى انى اكبر من ابويا ..

وانا انظر اليه مبهورة ..

كيف استطاع أن يحرمنى من كل هذا الكلام هذه الشهور ...
ولم أتكلم ..
ام أستطع أن أتكلم ..

عيناى معلقتان فى وجهه ، كأنى عبيطة .. لا أدرى كيف أتكلم ، ولا أدرى ماذا أفعل ..

وسكت هاشم ..

وعيناه تبحثان فى عينى عن شىء يسأل عنه ..

ثم اقترب منى بوجهه .. وقبل أن يصل .. ألقيت بوجهى اليه .. ولف ذراعه حولى .. وضغطنى الى صدره .. وخده يضغط خدى .. وأنفاسه تمسح على عنقى .. أريد أن أنام على هذا الصدر .. على هذا الخد .. أريد أن أنام فى هذه الأنفاس ..

وشفتاه قريبتان جدا من أذنى .. ثم أحس بهما على خدى .. ثم فوق شفتى .. وأنا مغمضة عينى .. أتلقى قبلته الأولى .. هادئة .. ناعمة .. كأنه يقبلنى بقلبه .. لا أريد أن أفتح عينى .. انى أراه بشفتى .. أرى قلبه .. أرى حنانه .. أرى طيبته .. أرى رجولته العارمة .. أرى دنيا آمنة .. حلوة ..

وفتح عينيه ..

وفتحت عينى ..

وشفتاى لا تزالان فى شفتيه ..

كأننا لا نصدق ..

كأننا نريد أن نتأكد ..

نتأكد أنى أنا .. وانه هو .. وأن هذا هو الحب ..

وخبأت وجهى فى صدره ، وهمست :

ــ احنا تأخرنا يا هاشم ..

واعتدل أمام عجلة القيادة صامتا .. وقاد السيارة بيــ

واحدة .. ويده الاخرى ممسكة بيدى .. تضغط عليها طول الطريق ونحن صامتان .. يدى ويده فى حديث طويل .

وصلنا الى بيتنا فى شارع الهرم .. وافقت من حلمى الجميل على منظر أمى وهى واقفة فى الشارع أمام باب البيت ، وشعرها منكوش ، كالمجنونة ..

وما كادت السيارة تقف بجانبها حتى صرخت فينا :

ـ اتأخرتم ليه .. انا كنت رايحه ابلغ البوليس دلوقت ..

ونظرت اليها وتمنيت أن تنشق الأرض وتبتلعنى .. مستحيل .. مستحيل أن أطيق هذه الأم .. انها فضيحة .. فضيحتى ..

ونزل هاشم من السيارة بسرعة ، وقال لها فى رقة :

ـ آسف يا عزيزه هانم .. اتأخرنا نص ساعة بس .. على بال الستات ما وقفوا يسلموا على بعض ..

ونظرت اليه نظرة مجنونة سريعة ، ثم التفتت الى ، وقالت :

ـ اتفضلى يا ست هانم ..

ونزلت من السيارة وانا ادعى اللامبالاة ، وهمس هاشم :

ـ بكره الصبح .. أول ما تصحى من النوم .. اضربيلى تليفون ..

وقلت وانا اتطلع اليه كأنى أشرب من وجهه :

ـ حاضر ..

ورفع صوته قائلا :

ـ تصبحى على خير يا عزيزه هانم .

وردت عليه وهى تدير ظهرها له .

وجاءت ورائى وهى تصيح فى :

ـ اوعى تعملى كده تانى مره .. فاهمه .. كنتى حاتجننينى

.. أنا ما استحملش كده .. ودى آخر نوبه تخرجى فيهـــا لوحدك ..

ولم أكن أريد أن أناقشها .. لم تكن لى طاقة لأن اتحداها .. أريد ان أخلو بنفسى لأستعيد قبلة هاشم الأولى .. لأعيش فى احساسى بها ..

والتفت اليها وقبلتها حتى أسكتها وقلت :

ـــ ربنا يخليكى لى يا ماما ..

وجلست أمى على سريرى ، ووضعت رأسها فوق كفها وقالت :

ـــ احكيلى ..

وحكيت لها .. بسرعة .. أريد أن أخلو بنفسى .. ولكنها لا تكتفى .. تسأل عن مزيد من التفاصيل .. واتعذب وانا أرد على أسئلتها الكثيرة .. حرام .. حرام والله .. حتى حقى فى أن أخلو بنفسى فى غرفتى ، تأخذه منى ..

واخيرا .. نمت ..

وعيناى متفتحتان .. أستعيد قبلته .. وكلماته .. انى حفظت كل كلمة خطرت بيننا .. وجمعت فى خيالى كل لمحة .. وأخته .. وأصدقاؤه .. وبيته .. وآنية الزهر .. و .. وفجأة هجم على خاطر كالكابوس ..

انه لا يحبنى أنا ..

انه يحب فتاة أخرى .. فتاة عذراء .. طالبة فى الجامعة .. لبست أنا .. أنا لست عذراء .. أنا عشيقة رجل عجوز ..

وأهرب من هذا الخاطر فى ذكرى قبلته ..

انه لا يستطيع أن يحرمنى من قبلته .. لا يســتطيع .. انى فى حاجة اليها .. يستطيع دائما أن يعطيها لى ..

وقمت فى الصباح منهكة .. انهكتنى الفرحة .. وأنهكتنى الحب .. وانهكنى الخوف ..

وحادثته فى التليفون .. وقلت وقلبى يقفز فى داخل سماعة التليفون :

ـــ صباح الخير يا دكتور ..

قال فى عجلة كعادته عندما يتكلم وهو فى العيادة :

ـــ صباح النور .. حاتعملى ايه دلوقتى ..

قلت :

ـــ يمكن انزل البلد ..

قال :

ـــ طيب اسمعى .. تعرفى الترزى كاربوشيان اللى فى شارع عدلى ..

قلت :

ـــ لا .

قال :

ـــ تلاقيه جنب محل ريفولى .. فوتى عليه ، ونقى بدله صيفى ، وست قمصان ، وخليه يفصلهم .. هو عنده مقاسى ..

كان يتكلم ببساطة .. كأنى .. كأنى زوجته ..

قلت فى تردد :

ـــ بس ده ما يعرفنيش ..

قال :

ـــ أنا حاكلمه فى التليفون ..

قلت :

ـــ وعايز البدله لونها ايه ..

قال :

ـ زى ما يعجبك ..

قلت :

ـ بس يا دكتور .. و ..

وقاطعنى قائلا :

ـ وفيه محل فى شارع ابراهيم بيبيع مسدسات .. فوتى عليه واشترى لى مسدس ..

وقلت فى دهشة :

ـ انت عايز مسدس ؟

قال :

ـ ايوه ..

قلت :

ـ ليه ؟ ..

قال :

ـ علشان اضرب نفسى بيه لو سمعتك تانى مره تقوليلى يا دكتور ..

قلت ضاحكة :

ـ طيب خلاص .. مش حا اقول لك ..

قال :

ـ حاتقوليلى ايه ..

قلت :

ـ مش حاقول لك دكتور ..

قال :

ـ قولى ..

قلت :

ـ اقول ايه ..

قال :

ــ قولى هاشم ..

وترددت .. احسست انى فى حاجة لأن يقبلنى مرة ثانية حتى انطق باسمه دون لقب دكتور .. وقلت فى حياء وكأن كل حرف من اسمه يحمل قطعة من قلبى ..

ــ ها .. شم ..

وقال :

ــ طيب سيبينى بأه أحسن العيان اللى فى أودة الكشف زمانه قلع هدومه ..

وقبلت سماعة التليفون ، قبل أن أعيدها الى مكانها ..

ونزلت الى البلد .. ومعى أمى .. فى سيارتى الأوبل البيضاء .. وامى تعود وتسألنى الأسئلة التى سالتها ليلة الأمس .. ثم تعود وتضغط على سؤال بالذات :

ــ تفتكرى حا يتقدم لك امتى ؟

وقلت :

ــ ما اعرفش يا ماما .. ده لسه معرفنى بأخته امبارح ..

قالت :

ــ ما انا عايزه أطمن يا نوجا .. عايزين نعرف رايحين معاه على فين ..

ولم أرد عليها ..

وكل نشاط ذهنى موجه الى البدلة والقمصان التى سأختارها لهاشم .. وقد قضيت فى محل كربوشيان الترزى أكثر من نصف ساعة .. أسأله عن ذوق هاشم .. وعن البدل التى سبق أن فصلها .. ولم اشعر بالحيرة قدر ما شعرت بها وأنا أختار له بدلته .. خيل الى أن حبى كله معلق على هذا الاختيار ..

ثم اخترت له القمصان ..

ثم قررت فجأة ان اشترى له كرافت هدية .. قررت ان اشترى له كرافت واحدة .. ولكن كان هنــاك اكثر من كرافت جميلة .. كلها أريدها لهاشم .. فاشتريت له عشر كرافتات ..

وأمى واقفة مذهولة ..

تحاول ان تمنعنى عن الشراء .. ولكننى صممت ..

وعدنا الى البيت ، وقالت أمى وهى تخلع عمامتها السوداء من فوق رأسها .

ــ عبد الفتاح بيه جاى النهارده الساعه تلاته ..

والتفت اليها مذعورة كأنها أطلقت علىّ ثعبانا .. وقلت فى حدة :

ــ وما قلتيش ليه من الصبح ..

قالت :

ــ ودى فيها ايه دى .. غريبه ان عبد الفتاح ييجى ..

قلت وأنا اخلع حذائى والقيه كأنى أضرب به الدنيا :

ــ أنا عيانه ..

قالت فى هدوء :

ــ لا .. ما بقاش يصدق حكاية العيا .. امبارح قعد يكلمنى ساعه فى التليفون .. الراجل شامم فيه حاجة فى الجو .. وده راجل نبيه وبيفهمها وهى طايره .. مش حانقدر أنا وانتى عليه ..

قلت فى حدة :

ــ نقدر ولا ما نقدرش ، مش ممكن يقرب لى ..

وقالت :

ــ باه اسمعى يا نوجا .. عصفور فى اليد خير من عشرة

على الشجرة .. وانا ما اطيرش عبد الفتاح من ايدينا علشان خاطر سى الدكتور بتاعك .. يوم ما نعرف هو عايز ايه بالضبط ، نبقى نتصرف .

قلت :

ــ لا عصفور ولا عشره .. أنا ما بقتش أقدر اطيق عبد الفتاح .. ما اقدرش .. ما اقدرش ..

قالت فى هدوء :

ــ امال طايقه فلوسه ازاى ..

قلت وانا اصرخ :

ــ مش عايزه فلوسه .. ياخدهم ويغور من وشى ..

قالت كأنها تسخر منى :

ــ وتشترى للدكتور هاشم كرافتات منين .. تسمحى تقوليلى ..

وكانت لفافة الكرافتات لا تزال فى يدى .. فنظرت اليها فى فزع كأنها تضم ثعابين لا كرافتات .. وفتحت راحة يدى .. فسقطت على الأرض ..

وعادت امى تقول :

ــ ولما يرجع هاشم ويلاقينا ساكنين فى شقه بخمسه جنيه حاتقولى له ايه .. وحا تيجيبى منين فساتين تروحى بيهم لاخته ..

وانا انظر فى وجهها المكرمش القاسى .. كان تجاعيده حبال تلتف حول عنقى ..

ــ ما تبقيش مجنونه .. وما تنسيش نفسك .. وما تنسيش ان عبد الفتاح جوزك ..

وصرخت :

ــ ما تقوليش جوزى .. ده مش جوزى .. وانتى عارفه

انه مش جوزى .. «أنتى بعتينى له بالفلوس .. انتى بتاجرى بى .. انتى عايشه من جسمى ..

ونظرت الى كأنها صدمت فى ، ثم قالت فى صوت محشرج :

ـ الله يسامحك يا نوجا يا بنتى .. هو أنا كنت غصبتك على حاجه .. ما انتى مع الراجل بقالك سنة .. وساكته وحامده ربنا ..

وجريت من امامها الى غرفتى ، وصوتها يجرى خلفى وهى تصيح :

ـ اعملى حسابك انه جاى الساعة تلاته .. ومش عايزه دلع ... فاهمه .

وانكفأت على سريرى ابكى .. ووجدت نفسى اهمس خلال نشيجى .. هاشم .. هاشم .. كأنى أستغيث به ..

وهدأ بكائى ..

وهدأ صوت امى ..

هدأ البيت كله ..

وقمت ، وخرجت من غرفتى .. اسير على اطراف اصابعى .. واتلفت حولى .. لعل امى فى المطبخ .. أو فى حجرة ابى .. وخرجت من البيت ..

وجريت فى الشارع ..

وركبت سيارة تاكسى ، وذهبت الى الوايلية .. الى بيت امى .. امى الحقيقية ..

طول الطريق الى الوايلية وانا احس بأنى اهرب من لحظة لقائى مع عبد الفتاح .. اللحظة التى تغلق فيها امى حجرة النوم علينا .. انا وهو .. وتقف خلف الباب كخفير الدرك ، لتطمئن الى ان عبد الفتاح اخذ حقه منى .. الحق الذى اشتراه بماله

.. وقد كنت أستطيع حتى بعد ان تغلق أمى الباب علينا ان أصد عبد الفتاح عنى .. ادعى المرض .. اقاومه .. ابكى .. افعل أى شىء حتى لا يصل الى جسدى .. ولكن مجرد التفكير فى هذه المحاولات اصبح يقززنى من نفسى .. وكانت تتملكنى رغبة أكيدة جارفة فى أن اهرب من هذا الجو كله .. ان اغير حياتى .. اغير نفسى .. ان اكون فعلا الفتاة التى يتصورها هاشم ويحبها .. ولكنى لم أكن ادرى كيف اهرب من هذا الجو .. ولا أدرى كيف اغير نفسى .. وكنت ذاهبة الى « الوايلية » عند أمى الحقيقية ، وانا لا ادرى ماذا سأقول لها .. ولم أكن قد اتخذت قرارا لأقيم معها .. لم اكن افكر فى شىء من هذا .. كان كل ما افكر فيه هو ان اهرب من لحظة لقائى مع عبد الفتاح ، وان احاول ان أكون الفتاة التى يحبها هاشم ..

و « الوايلية » حى شعبى من احياء العباسية .. كنت أحس دائما كلما زرته وانا فى سيارتى الأوبل ، كأنى سائحة تتفرج على حى اثرى من احياء القاهرة القديمة .. ولكن فى هذه المرة لم أكن فى سيارتى الأوبل البيضاء .. ولم احس بأنى سائحة .. احسست انى أعود الى بيتى .. الى اصلى .. احسست كأنى غسلت حياتى من الزيف البراق ، وعدت كما انا .. بنت هذا الشارع الضيق المزدحم بالضجيج ولم ابتسم لعم حسنين البقال الذى يفتح دكانه تحت بيت أمى .. وهو يمد عنقه خارج دكانه ويصيح مرحبا بى :

ـ يا صلاة الزين على الزين ..

ولم التفت الى سلامة العجلاتى وهو يدق لى جرس احدى عجلاته ويصيح :

ـ وسع للجميل ..

ان اهل الحى هنا يعرفون قصتى .. يعرفون ان امى تنازلت عنى لخالتى الغنية .. ورغم انى لم اكن ازور امى الا نادرا كل ستة شهور أو سبعة .. الا انهم كانوا يعتبروننى دائما بنت حيهم ، رغم سيارتى الاوبل ، وثوبى الأنيق ، وابتسامتى المتعالية التى تعودت ان القيها اليهم ..

وصعدت الى بيت امى ..

وفتحت لى الباب اختى الصغيرة ، هناء .. وما كادت ترانى حتى هللت ، وفرحة كبيرة تزغرد على وجهها ، وصاحت :

ــ ابله نجوى جت ..

ثم جرت الى داخل البيت قبل ان تصافحنى ، وهى تنط وتصيح :

ــ ابله نجوى جت .. ابله نجوى جت ..

وفى لحظة انطلق البيت كله الىّ .. امى .. واخوانى البنات الأربع .. واخى اسماعيل .. واخى الصغير سمير .

وكلهم يقبلوننى ويضموننى الى قلبهم .. وفرحتهم الكبيرة تطوف بى ، وتتسلل الى قلبى .. وكان من عادتى كلما زرت بيت امى ان احمل لهم معى شيئا .. صندوق شيكولاتة .. بعض الثياب القديمة .. اصنافا من البقالة .. اى شىء .. وكانوا يفرحون بهذه الهدايا .. ولكنى فى هذه المرة ذهبت اليهم وأنا لا احمل لهم شيئا .. ورغم ذلك لم تقل فرحتهم بى ..

واتت امى خلفى .. وقالت :

ــ امال فين مامتك عزيزه ..

وقلت بلا مبالاة :

ــ مش جايه .. انا جيت لوحدى .

وكانت هذه ايضا اول مرة اذهب اليهم وحدى .. وليست

معى « ماما عزيزه » .. وكان هذا حدثا هاما ؛ فان « ماما عزيزه » كانت تحرص على ان تكون معى كلما ذهبت الى امى الحقيقية التى اناديها بلقب خالتى .. كانت تحرص على ان تكون معى ، أكثر من حرصها على اى شىء آخر .. فقد كانت تغار من امى الحقيقية .. وكان أكثر ما تخافه هو اليوم الذى اتذكر فيه أن لى اما أخرى .. اما حقيقية .

ونظرت أمى الى وجهى كأنها تحاول ان تكتشف سرى .. ولكنها لم تسألنى شيئا .. وجذبتنى أختى سميرة من يدى .. قائلة :

ــ تعالى معى أوريكى فستانى الجديد ..

ودخلت معها الى حجرة اخواتى البنات ، والجميع معى .. شفاههم المبتسمة ، وعيونهم المبتسمة ، تكاد تحملنى من على الأرض ..

والبيت كله ثلاث غرف صغيرة .. كل غرفة أصغر من حمام الفيلا التى أسكنها فى شارع الهرم .. امى واخى الصغير ينامان فى غرفة .. واخى الكبير فى الغرفة الأخرى .. واخواتى البنات فى الغرفة الثالثة .. ومائدة طعام فى الصالة .. وتطلعت حولى وتساءلت هل استطيع ان اقيم فى هذا البيت .. هل أجد لنفسى مكانا فيه .. اين .. هل أنام مع امى .. ام مع اخواتى الأربع .. ام مع أخى .. واحسست ساعتها انى لو أقمت فى هذا البيت فسأكون عبئا على الجميع ..

وصاحت اختى الصغيرة هناء :

ــ انتى شفتى رقصى يا أبله نجوى .

قلت :

— لا .. وربنى كده يا هانو ..

وبسرعة ، شدت هناء الطبلة من تحت السرير الحديدى الصغير ، واعطتها لاختى فوزية .. والتقطت سميرة ايشارب حزمت به هناء .. وارتفعت نقرات الطبلة .. حلوة .. مرحة .. على واحدة ونصف .. وبدأنا نصفق على دقات الطبلة .. وهناء ترقص .. وامى تصيح فى مرح ضاحك :

— يا بت هزى وسطك .. ده رقص ده ...

ثم صاحت :

— قومى انتى يا سميره ورى اختك نجوى رقصنا .

وقامت سميرة ترقص .. انها ترقص أحسن من نجوى فؤاد .. واخذت أمى الطبلة تنقر عليها بنفسها .. وقامت فوزية ايضا ترقص .. وانا اضحك .. واصفق بيدى .. وغنى يرقص على « واحدة ونص » .. ومشكلتى تبتعد عن راسى ... وتبتعد ..

ان فى هذا البيت شيئا أقوى من كل المشاكل .. فيه حب .. وكل قرش فى هذا البيت مشكلة .. مشكلة صعبة .. ولكن الحب يحلها .. اما فى بيتنا .. البيت الذى أقيم فيه فالقروش فيه ليست مشكلة .. مشكلته ان ليس فيه حب .. فيه أم قاسية .. وأب مشلول .. وبنت مغلوبة على امرها ..

وصاحت أختى هناء :

— قومى انتى بأه يا ابله نجوى ..

وقلت :

— لا .. بلاش انا ..

وقالت أمى :

— دى تلاقوها خيبه .. جسمها وقف من ركبة العربيه ..

قلت ضاحكة كأنى اتحداها :

ــ كده .. طيب والله لأوريكم ..

وقذفت بفردتى حذائى فى الهواء .. ووقفت .. حزمتنى أختى سميرة .. ورقصت .. رقصت بكل قطعة من جسدى .. .. رقصت كأنى اشكو .. كأنى أناجى هاشم .. كأنى اتمرد .. كأنى استغيث ...

وبهرتهم برقصى ..

رقصت احسن مما رقصت أختى سميره ..

وصاحت امى :

ــ ايه ده كله يا نوجا .. والله عزيزه عرفت تربى ..

وقالت أختى سميرة :

ــ هم بتوع شارع الهرم بيعرفوا يرقصوا كده ..

وصاحت أختى هناء :

ــ رقصك حلو قوى يا ابله .. يا ريتنى اعرف ارقص زيك كده ..

وانا أرقص .. وارقص .. لا اريد ان اكف عن الرقص .. ودقات الطبلة تملأ قلبى .. وتملأ راسى .. وتملأ جسدى .. وضجيجها الحلو أعلى من ضجيج همومى وعذابى .. الى ان تعبت .. أحسست بخفقات قلبى ترتبك .. كأنى سأمرض من جديد ..

والقيت نفسى على السرير الحديدى الصغير ..

وسكتت نقرات الطبلة ..

والجميع يهللون ..

قالت أمى :

ـ قومى تسطحى على سريرى شويه ..

ثم جذبتنى من يدى ، والتفتت الى اخواتى قائلة :

ـ سيبونا لوحدنا شويه يا بنات خلونى أتهنى ببنتى .. دى وحشانى .. وانتى يا سميحه خشى المطبخ وحطى حلة الخضار على الوابور .. انتى مش حا تتغدى معانا يا نوجا ؟

قلت وانا التقط أنفاسى من الرقص :

ـ أيوه ..

وأخذتنى الى حجرتها .. وارقدتنى على فراشها .. ورقدت بجانبى .. وابتسامة كبيرة حلوة بين شفتيها :

ـ ايه بأه حكايتك يا ست نوجا .. زعلانه ليه ؟

ونظرت اليها . واحترت ماذا أقول لها ..

انى لا أدرى اذا كانت تعلم حقيقة علاقتى بعبد الفتاح ، أم لا .. انها تعرف عبد الفتاح ، وتعرف انه صديق العائلة . وسبق أن وظف أخى فى احدى شركاته .. ولكن هل تعلم حكاية الورقة التى وقعتها والتى تربطنى به .. وهل تعلم انى عشيقته .. وهل تعلم انه ينفق علىّ وعلى البيت كله .. لا أدرى .. فلم يسبق لى أو لها أن تحدثنا فى هذا الموضوع ..

ولم ارد عليها ..

علقت عينى فى سقف الغرفة . وسكت ..

وعادت أمى تسألنى :

ـ عزيزه اختى عامله فيكى ايه .. ما انا عارفاها .. جباره ، طول عمرها .

وانطلقت دموعى فجأة ، وقلت :

ـ خلاص .. مش قادره اطيقها .. مش قادره استحملها .. ده حبسانى زى ما اكون مجرمه .. بتعاملنى زى ما اكون لسه

عندى اتناشر سنه .. تصورى انى عمرى ما خطيت الشارع لوحدى .. عمرى ..

ثم استدرت ودفنت وجهى فى صدرها واستطردت وانا اجهش بالبكاء :

ــ انا مش عايزه اقعد عندها .. مش عايزه .. الموت ارحم .. عايزه اقعد معاكى انتى .. انتى ماما .. مش ممكن يكون لى امين .. ما ليش الا ام واحده بس .. انتى ..

وضمتنى امى الى صدرها فى حنان ، وقالت ودموعها تنهمر هى الأخرى :

ــ طبعا يا حبيبتى .. انا امك .. وما فى يوم مر على نسيت فيه انك بنتى .. هو الضنا يتنسى يا حبيبتى .. وبيتى بيتك .. واهى اللقمه اللى تكفى سبعه تكفى تمانيه ..

قلت :

ــ انا حاقعد هنا من النهارده .. من دلوقتى ..

وقالت وهى تربت على ظهرى فى حنان :

ــ ومالة .. بس والنبى لو جيتى للحق عزيزه أختى بتحبك ما تقدرش تستغنى عنك .. غيرش انها صعب شويه .. واذا كانت مضايقاكى فى الخروج فلأنها خايفه عليكى و ...

وقاطعتها قائلة :

ــ يعنى ما بتخافيش على سميره أختى .. امال بتسمحى لاها بالخروج ازاى ؟ ..

قالت وهى تبتسم :

ــ انا حاجه تانيه .. انا مربيه بناتى على الحريه .. ومفهماهم وموعياهم .. وبعد كده اللى تغلط اهى غلطتها تيجى على دماغها ..

قلت :

ــ اهو انا عايزه ام زيك كده ..

قالت ضاحكة :

ــ ما انا امك يا بت .. بس مسلفاكى لاختى تلعب بيكى شويه ..

واستمر حوارنا .. كلامنا لا ينتهى .. ولكن لم أجرؤ على ان اصرح لها بعلاقتى بعبد الفتاح .. ولا هى بدا عليها انها تعرف شيئا عن هذه العلاقة .

وطيف هاشم يطوف بى ..

انى فى حاجة اليه حتى يمنحنى الأمل والقوة .. لقد منحنى القوة حتى يشفى قلبى .. وانا فى حاجة اليه الآن ليشفى حياتى ..

واحسست انه اوحشنى .. احسست انى بعدت عنه كثيرا ، منذ وصلت الى الوايلية .. وتمنيت ان اتصل به فى التليفون .. ولكن ، ليس فى هذا البيت تليفون .. ترى هل استطيع أن أعيش فى بيت ليس به تليفون اتصل به بهاشم .

وانا وامى لا نزال نتحدث ..

وفجأة سألتنى :

ــ انما ما قلتليش .. مين اللى شاغل بالك اليومين دول ؟

وابتسمت .. وربما احمر وجهى ..

وعادت امى تقول فى مرح :

ــ أظن حاتقولى لى ما فيش حد ..

قلت :

ــ لا .. فيه ..

واعتدلت جالسة فى الفراش وقالت وفى عينيها نظرة حلوة متطلعة كانها صديقتى الحميمة :

— مين .. قوليلى ..

قلت :

— الدكتور هاشم .. اللى كان بيعالجنى ..

وسرحت أمى بعينيها برهة كأنها تتذكر ، ثم قالت :

— افتكرته .. شفته نوبه لما كنت عندكم وانتى عيانه .. ده راجل ابهه .. ومحترم .. وشكله يهوس .. أصل انا احب الرجاله اللى شكلهم حلو .. انما قوليلى عملتى معاه ايه ؟ ..

قلت :

— ولا حاجه .. تصورى بقاله ست اشهر داخل خارج فى البيت .. وعمره ما لمسنى ، ولا قال لى كلمه كده ولا كده .

قالت :

— انما فهمتى منه ايه .. بيحبك ..

قلت فى دلال :

— موت ..

قالت :

— وناوى على جواز .. ولا ايه ؟

قلت :

— لسه ما كلمنيش فى جواز .. اصله مش ممكن يتجوز الا ما يتأكد من الحب الأول .. انما عرفنى باخته ..

قالت :

— خلاص .. يبقى ناوى .. وعزيزه أختى عارفه الحكايه دى ؟

قلت :

— عارفه .. ومطلعه دينى .. خانقانى .. تصدرى انها مش راضيه تسيبنى أروح أقابله ولا مره لغاية دلوقتى .. قال ايه .. رجلها على رجلى .. تصورى بأه لما أروح أقابل هاشم وهى معايا .. يبقى شكلنا يكسف ..

قالت :

— اذا كانت هى دى مشكلتك .. سيبيها علىّ انا .. انا حاكلمها ..

وحديثنا لا ينتهى ..

وحديث أمى .. أمى الحقيقية .. فيه حلاوة لسانها .. وخفة روحها .. وطيبة قلبها .. وايمانها بالحب .. انها هى نفسها حملت كل مآسى الحياة لأنها تزوجت الرجل الذى احبته .. وفجأة ..

سمعنا طرقا على الباب ..

ودخلت أمى الثانية .. وجهها المكرمش الصامت كلوح من الصفيح الصدىء .. ودون ان تحيى أحدا ممن فى البيت ، نظرت الىّ بعينين غاضبتين قاسيتين ، وقالت :

— اتفضلى قومى معايا ..

قلت وانا انزوى فى جانب من السرير كأنى اتشبث بمكانى :

— مش قايمه .. ومش حارجع بيتك تانى ..

وقالت فى لهجة آمرة لا تخلو من تهكم كأنها تعرف دائما كيف تصل الىّ . وكيف تعيدنى اليها :

— قومى .. الدكتور هاشم مستنى تحت فى عربيته .

وقفزت من فوق الفراش وانا اصرخ :

— هاشم .. ايه اللى جابه ..

قالت فى غرور كأنها تتباهى بذكائها :

ـــ انا . . .

انها هذه السيدة . . لقد عرفت انه لن يعيدنى اليها الا هاشم فجاءت به . .

وقالت أمى الحقيقية :

ـــ بس انا عايزه اقعد اتكلم معاكى يا عزيزه يا اختى . .

وقاطعتها امى الثانية قائلة :

ـــ مش وقته . .

ثم التفتت الىّ قائلة :

ـــ احنا حانسيب الراجل مستنى وسط القــرف اللى فى الشارع ده ، ولا ايه . .

وقلت وانا انظر فى تحد :

ـــ انا نازله . .

ولبست حذائى ، ونزلت معها . . وكلانا صامت . .

واستقبلنى هاشم بابتسامة صغيرة ، وفتح لى باب سيارته . . وجلست بجانبه . . وجلست امى فى المقعد الخلفى . .

وانا ثائرة . . ثورة داخلية . . وتائهة فى ثورتى . . لا استطيع حتى أن ابتسم لهاشم . . واحس بموجة من الكراهية لهذه الام التى تجلس فى المقعد الخلفى . . اكرهها لانها أقوى منى . . واذكى منى . . ولانى لا استطيع ان اهرب منها . . ولأنها تستغل ضعفى لحبيبى . . وتستغل براءة حبيبى وجهله بحقيقتها . وحقيقتى . .

وقال هاشم وهو يقود سيارته فى شارع رمسيس :

ـــ انا زعلان منك . . مش لانك خرجتى . . انما لانك خرجتى من غير ما تقولى لى انا . . نفرض انك زعلانه من ماما . . وانا . . زعلانه منى انا كمان ؟

قلت وانا لا انظر اليه :

ـــ لا ..

قال :

ـــ امال ما كلمتنيش ليه قبل ما تخرجى ..

قلت :

ـــ كنت متضايقة .. ما كنتش عارفه باعمل ايه ..

ومرت بقلبى لمسة من الفرحة وهاشم يحاسبنى .. انه يعتبر نفسه رجلى .. انه رجلى ..

وسكت هاشم ..

ووجدت نفسى انتقل بخيالى الى بيت أمى الحقيقية فى الوايلية .. أرقص على نقرات الطبلة .. وانام على مرتبة ملقاة على الأرض بين اخواتى .. واطبخ على وابور الجاز .. واستحم بماء فى صفيحة الغلية ، بدلا من البانيو .. واضحك .. وأمرح .. واحب .. ترى هل كان هاشم يحبنى فى هذا البيت .. هل كنت التقيت به اصلا لو انى اعيش فى هذه الحياة ..

وصلنا الى البيت فى شارع الهرم ..

والتفت هاشم الى أمى وقال :

ـــ تسمحى لى يا عزيزه هانم أكلم نجوى كلمتين ؟

وقالت أمى وهى تنزل من السيارة :

ـــ كلمها يا بنى .. اما اشوف أخرة البنت دى ايه ؟

ودخلت الى البيت .. ولكنى كنت واثقة انها تطل علينا من خلف باب أو من خلف شباك ..

وقال هاشم بعد برهة صمت كأنه يستجمع فيها افكاره :

ـــ أنا عايز اسألك يا نجوى وتجاوبينى بصراحه .. انتى لسه فيه بينك وبين عادل حاجه ؟

وفوجئت ..

لقد نسيت عادل من زمان .. انه ذكرى من ذكريات الطفولة لا اذكرها الا كلما ذكرت طفولتى .. وقلت والدهشة تملأ وجهى :

ـ عادل .. ايه اللى فكرك بيه .. انت عارف انى نسيته من زمان ..

قال :

ـ أمال مامتك افتكرت انك هربتى علشان تروحى له ليه ؟

قلت :

ـ هى قالت كده ؟

قال :

ـ ايوه .. واخذتنى لغاية بيته فى حلوان علشان تسأل عليكى هناك ..

قلت كأنى اخاطب نفسى :

ـ عجيبه ..

ثم تنبهت من دهشتى وقلت :

ـ انت عارف ماما .. مش ممكن تصدق انى أهرب الا علشان عادل .. خدت على كده ..

قال :

ـ امال هربتى منها ليه ؟

قلت وانا ارخى عينى :

ـ علشانك ..

قال :

ـ ازاى ؟

قلت :

ـ لأنها مش عايزه تسمحلى اقابلك لوحدى ..

وابتسم هاشم كأنه استراح .. ثم قال فى هدوء :

ـــ احنا لازم نستحمل مامتك يا نجوى .. من حقها انها تخاف عليكى .. ومن حقها انها تفكر بعقليتها .. وضرورى حانلاقى طريقه نشوف بعض بيها من غير ما نزعلها .. وانتى اقوى منها .. اقوى بشبابك وجمالك ، وحبها لك .. وفى اى وقت تقدرى تعملى اللى انتى عايزاه ..

انه لا يعرف أمى ..

وهممت ساعتها أن أحدثه عنها .. أن اقول له كل شىء .. ولكن هل استطيع .. لا .. لا استطيع .

وتركت هاشم على أن أحدثه فى المساء ..

ودخلت البيت .. ووقفت امام أمى ، وصرخت فيها بتحد :

ـــ أنتى ازاى تاخدى هاشم لغاية بيت عادل .. وتفهميه انى يمكن اكون هربت هناك ..

وقالت فى برود :

ـــ انا كنت فاهمه كده ..

قلت :

ـــ انتى عارفه كويس انى سبت عادل من زمان ..

قالت :

ـــ ايش عرفنى .. يمكن تكونى اتجننتى .. وكان لازم الدكتور يفهم ان فيه واحد تانى علشان يتنحرر شويه ..

وقلت وقد فهمت ما تقصده :

ـــ من فضلك ما لكيش دعوه بالدكتور .. أرحميه وارحمينى من خططك ..

ونظرت الى وعيناها الضيقتان كأنهما ثقبان فى لوح الصفيح ، وقالت :

ـــ خلبنا فى الجد .. أنا دلوقتى عايزه أعرف اننى عايزه ايه بالضبط ؟

قلت :

ـــ عايزه تعرفى انى ما بقتتش بنت صغيره .. انا عندى عشرين سنه .. ومن حقى اخرج وادخل زى ما أنا عايزه ..

قالت :

ـــ علشان تقابلى الدكتور هاشم .. مش كده ؟

قلت :

ـــ آه ..

وتنهدت كأنها تستعين بالصبر .. وقالت :

ـــ وعبد الفتاح ؟

قلت فى حدة :

ـــ مش عايزه أشوفه ..

وعادت تتنهد كأنها تشد حبال الصبر ، وقالت :

ـــ ونعيش منين ؟

قلت :

ـــ ما اعرفش .. انشا الله حتى نعيش فى الوايليه وناكل عيش بدقه . وفيها ايه لما نرجع نسكن فى شقتنا اللى فى الجيزه .. ونعيش زى ما كنا عايشين قبل ما نعرف عبد الفتاح ..

قالت فى هدوء :

ـــ ده كلام عيال .. انتى ما تقدريش تعيشى زى ما كنتى عايشه فى الجيزه . أنا حا اقول لك على اللى يتعمل .. انتى عايزه تتجوزى الدكتور هاشم .. مش كده ؟

قلت وانا لا زلت محتدة :

ـــ أنا باحبه .. مش مهم انى أتجوزه ..

ورفعت أمى الى عينيها كأنها تتعجب لوقاحتى ، ثم قالت :

ــ طيب عايزه تقابليه لوحدك ..

قلت :

ــ آه ..

قالت :

ــ وانتى عارفه انك مش ممكن تقابليه لوحدك الا اذا وافقت أنا .. انشالله تهربى لآخر الدنيا حتـلاقينى وراكى .. مش حا اهنيكى بدقيقه واحده لا مع هاشم ولا مع غيره .. الا اذا اتفقنا ..

قلت وانا اتحداها فى تهكم :

ــ وايه الاتفاق ؟

قالت :

ــ انا حاسمح لك تخرجى تقابلى الدكتور ..

قلت وانا لا زلت اتهكم :

ــ متشكره قوى .. نعمه ..

قالت :

ــ بس على شرط ..

قلت :

ــ عارفه ان فيه شرط .. اتفضلى اتكلمى ..

قالت :

ــ على شرط تكونى لطيفه مع عبد الفتاح .. واوعدك يوم ما الدكتور يتجوزك .. مش حاتشوفى عبد الفتاح .. وانتى عارفه ان عبد الفتاح ما عندوش مانع انك تتجوزى .. ولسه من شهرين وعدنى انك يوم ما تتجوزى حايجهزك بنفسه جهاز احسن من جهاز بنته ..

قلت :

ـ بس له شرط ..

قالت :

ـ شرط ايه ؟ الراجل ما اشترطش حاجه ..

قلت :

ـ شرط ضمنى .. انى افضل لطيفه معاه حتى بعد ما اتجوز !

قالت وهى تنظر الىّ فى غيظ :

ـ ساعتها يبقى يحلها ربنا .. ومش ممكن أشوفك متجوزه واحد زى الدكتور هاشم ، وحد يبقى لو عين عليكى .. المهم .. خلينا فى الموضوع .. رايك ايه فى اتفاقنا ..

وقلت بلا مبالاة :

ـ موافقه ..

ونظرت الىّ كأنها لا تصدق اذنيها .. كأنها لم تكن تنتظر أن تأتى موافقتى بهذه السرعة والبساطة .. وقالت وهى تحدق فى وجهى :

ـ يعنى اتفق مع عبد الفتاح ييجى بكره ؟

قلت :

ـ لا . بعده ..

قالت :

ـ ليه مش بكره ..

قلت :

ـ لانى بكره عايز اقابل هاشم ..

قالت :

ــ بس ده عبد الفتاح النهارده كان حايتجنن ، لما ضربت له تليفون وقلت له انك خرجتى تزورى خالتك ، علشان عيانه ..

قلت :

ــ أحسن .. خليه يتجنن كمان وكمان ..

قالت فى كمد :

ــ امرك يا ست نوجا .. اما اشوف اخرتها معاكى ايه ..

ودخلت غرفتى ..

وجاءت ورائى ..

ونظرت اليها فى تحد وصرخت فى وجهها :

ــ من فضلك سيبينى انام لوحدى .. أنا مش طايقه حد ينام جنبى ..

واتسعت عيناها فى هلع ، كأنى طعنتها بخنجر فى قلبها .. ثم ابتلعت الطعنة .. واحنت ظهرها فى يأس .. وخرجت من غرفتى تسير فى خطوات مترنحة ..

والقيت نفسى فى فراشى ..

أبكى ..

★ ★ ★

والأيام تمر ..

التقى بهاشم ..

واستقبل عبد الفتاح ..

وحيانى تلتوى أكثر .. وتتعقد اكثر .. وقطرات العذاب تنزف فى داخل صدرى .. وتنقر فى عقلى ..

وكان هاشم يلقانى فى سيارته .. ونذهب الى ترعة المنصورية .. أو الى طريق المطار .. واحيانا نتناول الشاى فى مينا هاوس

او فى استراحة الهرم .. ومرات كثيرة كان يصحبنى الى مطعم « الستريو » عند أول طريق الفيوم ، ساعة الغداء ، ثم يدخل وحده ويشترى قطعا من الساندويتش نأكلها فى السيارة وأحيانا تدعونى أخته الى جلسة عائلية ، وهو دائما رقيق معى .. طيب حنون .. يعاملنى كأنى عذراء .. كأنى ملاك .. كأنى مصنوعة من زجاج رقيق معرض الكسر .. ويخاف علىّ أن تكسرنى كلمة او لمسة .. وليس بينى وبينه سوى هذه القبلات التى تأخذ قلبى وتنقله الى عالمه النظيف ، النقى ، الطاهر .. واحيانا كثيرة كانت قبلاته تسرى فى دمى وتحرك انوثتى .. تشعرنى انى امراة .. انه لا يزال الرجل الوحيد الذى يستطيع ان يشعرنى بأنى امراة .. واكاد أصيح فيه .. خذنى .. خذنى كامرأة .. اكاد اعترف له بكل قصتى .. ولكنى لا استطيع .. اخاف أن انقده .. فأستسلم لعذابى .. واحيانا كثيرة كنت اشعر به هو الآخر ورجولته تزار بين شفتى .. شفتاه تفقدان رقتهما وتنطلقان فى صخب .. وذراعاه القويتان يفقدان حنانهما ويلتفان حولى فى قسوة .. واغمض عينى واتمنى أن يزداد فى قسوته .. وفى انطلاقه .. ولكن لا .. ان ارادته اقوى من غرائزه .. ويسيطر على نفسه بسرعة ، ثم ينظر الىّ وفى عينيه اعتذار .. ويعود رقيقا ، حنونا .. ورقته تعذبنى .. تشعرنى اكثر بمصيبتى ..

الى أن قال لى مرة :

— تعرفى يا نجوى انا كل ما بعرفك اكتر ، باتوه فيكى أكتر .. كل ما اعرف عنك حاجة يتهيألى ان فيه حاجات كتير عايز أعرفها ..

ونظرت اليه بعينين مذعورتين .. ماذا يقصد .. هل يشك في .. هل سمع شيئا عنى .. وقلت وحلقى جاف :

ــ أنت عارف عنى كل حاجه ... ما فيش حاجة ما قلتش لك عنها ..

قال وهو يبتسم :

ــ طبعا .. بس انا باكلمك عن احساسى .. دايما حاسس انى منتظر انك حاتقوليلى حاجه جديده ..

قلت :

ــ زى ايه ؟ ..

قال وهو يهزأ كتفيه :

ــ ما اعرفش ..

قلت :

ــ اسألنى عن اى حاجه ، وانا اقول لك ..

قال وابتسامته تتسع :

ــ برضه مش فاهمانى .. انا باكلمك عن احساسى .. مجرد احساس .

ثم رفع يدى الى شفتيه وقبلها .. وانحنى يقبلنى بجانب اذنى ..

ان احساسه صادق .. اشياء كثيرة لم يعرفها عنى .. اشياء هائلة .. آه لو عرفها .. وربما كان هذا الاحساس الصادق الذى يحيره هو الذى يجعله يتردد حتى اليوم فى تحديد نوع علاقته بى .. وهو لا يدرى انى اتعذب .. ولا يدرى انى ارضى بأى علاقة يختارها بيننا .. اى علاقة .. الا أن يستمر فى تعذيبى برقته .. وحنانه .. يعذبنى أكثر مما يعذبنى عبد الفتاح ..

وعبد الفتاح يشعر بأنى تغيرت .. تغيرت كثيرا .. انى لم أعد أستطيع أن امثل له دور المراة .. دور الفانية .. لم أعد استطيع وأنا معه ان افتعل احاسيس المراة .. لم أعد استطيع ان استقبله باحساس اللامبالاة ، كأن الجسد الذى أعطيه له ليس جسدى .. لقد اصبح يؤلمنى .. كل شىء فيه يؤلمنى .. ألما حقيقيا .. شفتاه تؤلمانى .. لمساته تؤلمنى .. جسده يؤلمنى .. ولم يكن عبد الفتاح يطلب منى الحب .. كان كل ما يطلبه منى ، هو ساعة متعة .. ولكن هذه الساعة لم اعد أستطيع أن أعطيها له .. انى أعطيه ساعة عذاب .. انى اشعره بعجزه .. بالفرق الكبير بين سنى وسنه .. وقد أصبح يشك فى .. اصبح يعتقد ان هناك شيئا حدث لى .. رجل آخر فى حياتى .. وقد صرح بشكوكه لأمى .. واجابت امى :

ــ أبدا والنبى يا ابنى .. ما فيش حد .. انما هى من يوم ما قامت من العيا وهى متغيره ، وزى ما تكون بقت واحده تانيه .. اسألنى أنا ، دى موريانى الغلب ..

ولكن عبد الفتاح لم يصدق ان السر فى تغيرى هو مرضى .. بدأ يبحث ورائى .. ويحاسبنى .. ويحاسب أمى ..

وأمى تنفث النار من أنفها ومن عينيها فى انتظار نتيجة علاقتى بهاشم .. وتحاول أن تصل الى معرفة نياته عن طريق اثارة زواجى .. فى كل مرة يزورنا تدعى أمامه أن خطيبا قد تقدم لى .. وكان هناك خطاب يتقدمون لى فعلا ، ولكن أمى لم تكن تعنى أن تستشير هاشم فيهم .. كان كل همها أن تدفعه ليحدد موقفه .. وقالت له :

ــ ايه رايك يا دكتور فى عبد العزيز زحمى .. تعرفه ! ؟

وقال هاشم فى هدوء :

ـ لا ..

وقالت أمى :

ـ ده مهندس معروف .. عنده تلاتين سنه .. وعمارتين .. ومتقدم لنجوى .. وامه رايحه جايه .. وما بتبطلش كلام فى التليفون .. ومش عارفه أقول لها ايه ..

وقال لها :

ـ اللى تقوله نجوى ..

وقالت :

ـ نجوى بتدلع .. انما انا شايفه ان كفايه دلع باه .. ولازم نقنعها بالجواز .

وقال هاشم :

ـ فعلا .. نجوى لازم تتجوز .. انما مين وامتى ، ده هى اللى تقرره لوحدها ..

وقالت أمى :

ـ لوحدها ازاى باه .. واحنا مالناش راى ..

وقال هاشم وابتسامته الهادئة بين شفتيه :

ـ لا .. مش احنا اللى حانتجوز ..

وسكتت امى وهى تنظر اليه فى غيظ ..

وبعد أن خرج هاشم ، صرخت فى وجهها :

ـ اوعى تانى مره تتكلمى قدام هاشم عن الجواز .. دى طريقه بلدى .. مكشوفه .. واللى زى هاشم مش عبيط .. فاهمك اكتر ما انتى فاهماه ..

وقالت فى حدة :

ـ ولما هو فاهمنى ، ساكت ليه ، لغاية دلوقتى .. ما يقول ايوه ، ولا لا .

وعدت اصرخ فى وجهها :

ــ مالكيش دعوه بيه .. با اقول لك ما لكيش دعوه بيه ..

وسكتت أمى وهى تنظر الىّ كأنها تتربص بى ..

ويوما بعد يوم ، لم يعد موضوع الزواج هو ما يشغل بال أمى .. لقد احسست انها بدات تفقدنى .. تفقد ارتباطى بها .. وتفقد سيطرتها وتأثيرها علىّ .. وأحسست انى حتى لو تزوجت هاشم ، فلن يردنى هذا اليها .. بل ستفقدنى اكثر .. سيأخذنى هاشم الى عالم بعيد عنها .. بعيد عن نفوذها .. وعن عقليتها .. وكانت الساعات التى تسمح لى فيها بالخروج للقاء هاشم تفقدها عقلها .. وكنت اعود لأجدها شبه مجنونة ، ولم يكن يهمها ماذا فعل هاشم بى .. ولكن كان كل ما تحس به انى تحررت من سيطرتها ساعة او ساعتين .. انها تغار .. تغار من هاشم .. تغار اكثر مما يغار عبد الفتاح ... كأنها تعشقنى كما يعشقنى رجل .. انها تملكنى ، لا كما تملك ام ابنتها .. ولكن شىء آخر ... ملكية شاذة ... وتحس بهاشم كأنه يعتدى على املاكها .. انها لا تريد أن اكون سعيدة إلا فى حدود السعادة التى تهبها لى ... السعادة التى تاتى الىّ عن طريقها .. أما ان اكون سعيدة بعيدا عنها ... سعادة استمدها من رجل يأخذنى ولا يأخذها معى .. مستحيل .. وزاد من جنونها انى أصبحت الح عليها كثيرا ان تذهب لزيارة أمى الحقيقية .. اصبحت أذهب اليها كل اسبوع على الأقل ... وترانى هناك سعيدة اضحك وارقص ؛ ولا اتأفف من الفقر الذى يحيط بى .. كأنى افكر فى كل لحظة ان اقيم فى هذا البيت وسط هذا الفقر ...

وكل ذلك من تاثير هاشم ...

وهى تعلم انى احب هاشم ... وتعلم انها لن تستطيع

ان تنزع هذا الحب من قلبى بكلمة منها .. ولقد حاولت كثيرا أن تمنعنى من الذهاب للقائه .. أصبحت تثير مشكلة فى كل مرة أكون على موعد معه .. وأصرخ فى وجهها ... وتصرخ فى وجهى ... ثم أهددها .. أهددها بأن أقطع علاقتى بعبد الفتاح . وأن أصرح له بحبى لهاشم .. واهددها بأن اذهب واقيم مع أمى الحقيقية .. وأخيرا تضطر ان تسمح لى بالخروج وحدى ، وتتستر على حتى لا يعلم عبد الفتاح شيئا ..

وفى يوم ... جاءت ورقدت بجانبى وعلى شفتيها ابتسامة تشق وجهها المكرمش كأنها فتحة علبة من الصفيح الصدىء .. وضمتنى الى صدرها فى حنان .. وقالت لى انها استطاعت ان تدخر ثلاثة آلاف جنية .. من نقود عبد الفتاح طبعا .. وانها قررت ان تدفع هذا المبلغ كمقدم لعمارة تشتريها وتكتبها باسمى .. وقلت لها :

— مرسى ...

واغتصبت قبلة ، طرقعتها فوق خدها ..

وسكتت أمى قليلا ثم قالت :

— اسمعى يا نوجا .. تعالى نتكلم بالعقل باه فى الموضوع اياه ...

قلت :

— موضوع ايه ؟ ..

قالت :

— موضوع الدكتور بتاعك ..

قلت وقد اكتشفت سر العمارة التى قررت أن تشتريها لى :

— اتكلمى ..

قالت وهى ترشونى بابتسامة :

ــ بأه أنا شايفه ان الدكتور ده مش بتاع جواز .. ده راجل عنده اتنين وربعين سنه ولسه ما تجوزش لغاية دلوقت .. يبقى ايه اللى حايخليه يتجوز بعد العمر الطويل ده كله .. صدقينى ده مش بتاع جواز ..

قلت :

ــ أمال بتاع ايه ؟

قالت :

ــ بتاع ستات ..

قلت :

ــ ولما هو بتاع ستات ما طلبش منى حاجه لغاية دلوقتى ليه ... ده بيبوسنى بالتيله ...

قالت :

ــ طيب .. بتاع حب .. ما هو فيه رجاله كده غاويين حب .. وبعد ما الواحده تقع فى الحب ما يرحموش .

قلت فى ضيق :

ــ عايزه تقولى ايه .. تصدك ايه .

قالت :

ــ قصدى ان احنا نشيل حكاية الجواز دى من دماغنا .

قلت وانا أنظر فى وجهها أحاول أن ازيح عنه سحب الخبث لأكتشف سرها :

ــ طيب افرضى انـــنا شيلنا حكاية الجواز .. ايه اللى حايحصل ..

قالت :

ــ يبقى خلاص .. نعرفه من غير ما نلف ولا ندور .. والشرط بينا نور ...

قلت وانا أنظر اليها فى قرف :

ــ يعنى ايه ؟ ..

قالت :

ــ يعنى بيجى يشوفك فى البيت هنا .. بدل ما تمرمطى نفسك فى الشارع .. خصوصا ان الناس ابتدت تتكلم عنك وعنه .. وانتى مهما قلتى ، لغاية النهارده ما حدش قدر يتكلم عنك .. سمعتك زى البرلنتى ، والخطاب رايحين جايين ..

قلت وأنا أدعى الغباء :

ــ ما هاشم بييجى يزورنا فى البيت .

قالت وقد ظنت أنها على وشك أن تقنعنى :

ــ لا .. قصدى انكم تقعدوا هنا لوحدكم .. انشا الله حتى ييجى كل يوم .. وانا ماليش دعوه بيكم .. اللى تعملوه اعملوه ..

قلت فى تهكم مر :

ــ يعنى زى عبد الفتاح .. مش كده ؟ ..

قالت :

ــ وهو هاشم مش راجل وعبد الفتاح راجل .. كل الرجاله زى بعض .. واللى عايزينه من الست ما بيتغيرش .. والشاطره هى اللى تعرف تستفيد ..

وسيطرت كل ارادتى على أعصابى حتى لا تثور ، وقلت فى هدوء أكتم به نارى :

ــ انتى وحشه يا ماما .. وحشه قوى .. أنا حبيت هاشم لأنه اقنعنى بأنى أقدر اكون بنت كويسه .. انما انتى مصممه على انك تخلينى بنت وحشه .. وأفضل طول عمرى بنت وحشه ..

وقالت :

— سيبك من الكلام ده اللى لا يودى ولا يجيب .. احنا بنتكلم بالعقل .. و ..

وصرخت .. انطلقت النار :

— سيبينى .. اخرجى من أودتى .. مش عايزه أسمع ولا كلمه منك .. اخرجى .. اخرجى ..

ورفعت الوسادة ووضعتها فوق راسى ، وسددت بها اذنى حتى لا اسمع كلامها .

وخرجت امى ..

وتركتنى ابكى ..

ولم تحاول أن تعود الى فى تلك الليلة .. وفى الصباح كانت هادئة ، ووجهها جامد .. ولم تحاول أن تعيد على حديث الأمس .. لم يبد عليها اننا اختلفنا على شىء ..

ثم ..

اتصلت بهاشم فى التليفون كعادتى كل صباح .. وقال لى وصوته ينبض بالحيرة :

— اسمعى يا نجوى .. فيه حاجه محيرانى ، قعدت طول الليل افكر اقولها لك ولا لا .. ولغاية دلوقت محتار .. انما يظهر انى لازم اقولها لك .. لانك احق بيها منى ..

قلت :

— خير ..

قال :

— ماما اتصلت بى امبارح بالليل .. وطلبت انها تشوفنى لوحدها .. بره البيت .. ووصتنى انى ما قلش لك ..

وشهقت .. انى اعرف ماذا تريد أمى منه .. وكتمت شهقتى ، وقلت وكل عقلى سارح وراء أمى ووجهها المكرمش :

— وقلت لها ايه ؟ ..

قال وهو يضحك :

— اديتها ميعاد النهارده الساعه اربعه ونص ، قدام نفق الجيزه.. زى الحبايب ..

وقلت له فى توسل .. أكاد ابكى :

— ما ترحش .. أوعى تروح تقابلها .. علشان خاطرى يا هاشم .. وحياتى عندك ..

قال فى دهشة :

— ليه ؟ ....

قلت :

— بعدين اقول لك ... انت أصلك ما تعرفش ماما ..

قال ودهشته تستبد به :

— بس أنا وعدتها ..

قلت :

— اعتذر لها ... وحياتى ... وحياة اختك ... ورحمة مامتك ..

قال :

— بس مش اعرف ليه ...

قلت :

— حاقول لك بعدين ، انا حاقابلك النهارده بدل ماما .. بلاش اربعه ونص ... خليها اتنين ونص .. بعد العياده على طول ..

قال :

— واعمل ايه فى مامتك ...

قلت :

— اعتذر لها .. انا حاقفل السكه دلوقتى ... وانت اضرب

التليفون .. قول لها ان جاتلك حاله مستعجله ..

وقال هاشم كأنه ليس مقتنعا تماما :

— حاضر ..

وضع السماعة فى بطء كأنه لا يفهم شيئا ..

وكنت أعلم ما تريده منه أمى ..

انها تريد أن تعقد معه اتفاقا كالذى عقدته مع عبد الفتاح .. ورقة مكتوبة .. ويدفع الفى جنيــه .. وتبيعنى له .. ولا مانع أن تبقى ورقة عبد الفتاح ايضا .. لا مانع من أن تبيعنى لاثنين بدلا من واحد ..

وبعد قليل دق جرس التليفون ..

وردت أمى .. تركتها ترد .. انه الدكتور هاشم .. ورأيت وجه أمى يتغير .. وسمعتها تقول كأنها ساهمة :

— متشكره قوى يا دكتور .. كويسه والحمد لله .. عايز تكلم نجوى .. طيب .. مع السلامه ..

ثم اعادت السماعة ..

ونظرت الىّ نظرة واحدة .. ثم ارخت عنى عينيها بسرعة .. ولم تتكلم .. انها لا تستطيع أن تقول لى انها حاولت أن تتفق مع هاشم علىّ ، من وراء ظهرى ..

وسألتها وأنا أتظاهر بالسذاجة :

— مين ؟ ..

قالت :

— ده الدكتور هاشم .. مستعجل .. ماقدرش يكلمك ..

وتركتنى ودخلت الى المطبخ ، كأنها تفر منى ..

ولم اقل لها انى على موعد معه ..

ثم استاذنها قبل أن أخرج ..
ذهبت اليه ..
ونظر الىّ هاشم وانا بجانبه فى السيارة ، وقال وهو يقبلنى بابتسامته :
ــ مالك .. مبوزه ليه ؟ ..
قلت وانا لا انظر اليه :
ــ ماما مزهقانى فى عيشتى ..
قال وهو يمسح عذابى بابتسامته :
ــ احنا اتفقنا ان احنا الاتنين نستحملها ..
ولم أرد ..
بقيت ساهمة فترة .. وهاشم يقود السيارة فى طريق شارع الهرم .. ثم قال :
ــ تحبى نروح سقاره ؟ ..
قلت وانا لا زلت ساهمة :
ــ انت كنت بتقابل أمينه فين ؟
وبوغت هاشم ، ونظر فى وجهى كأنه يحاول أن يكتشف ما بى ، وقال :
ــ ايه لازمة السؤال ده دلوقتى .. احنا ما نسينا أمينه من زمان ..
قلت كأنى أكاد اصرخ :
ــ لازم أعرف .. كنت بتقابلها فين ؟
ــ فى الشقه ..
قلت :
ــ انت عندك شقه ؟ ..
قال :
ــ أيوه ..

قلت :

ــ وما قلتليش ليه ؟ ..

قال :

ــ كان حاييجى يوم اقولك ..

قلت :

ــ عايزه أشوفها ..

قال فى دهشة وقد عاد ينظر فى وجهى :

ــ ايه هى ؟

قلت :

ــ الشقه ..

قال :

ــ باذن الله نروح نشوفها يوم ..

قلت :

ــ عايزه اشوفها دلوقتى .. دلوقتى حالا ..

قال :

ــ بس مش اعرف ليه ؟

ــ لأنى لازم اعرف كل حاجه عنك .

ونظر فى وجهى كأنه يفحص مريضة من مرضاه .. مريضة بعقلها .. مجنونة .. وقال :

ــ حاضر ..

وأدار عجلة القيادة ..

واتجه فى الطريق الى الزمالك ..

كنت اعرف بالضبط ماذا أريد من هاشم .. فى هذا اليوم ..

كنت قد قررت أن أضع حداً لهذه المهزلة التى أعيش

فيها .. قررت أنا ضوء النور الأبدو أمام حبيبى على حقيقتى .. مهما كانت حقيقتى .. مهما جازفت بحبى .. مهما كان مصيرى .. لم أعد أطيق هذا الخداع .. هذا الغش .. هذا الكذب .. أصبح أرحم على أعصابى أن أفقد حبيبى ، من أن أستمر فى خداعه ..

ودخلت شقة هاشم وأنا لا اكاد أرى منها شيئا .. كنت أتظاهر بأنى أتلفت حولى ، ولكنى لم أر لون الجدران ، ولا شكل قطع الأثاث .. كان كل ما أراه هو اللحظات القادمة التى أعد نفسى لها ..

وطاف بى هاشم على جميع الحجرات .. أقف على باب كل حجرة ، وأطل فيها بعينين ساهمتين .. والمطبخ .. والحمام .. ثم عدنا الى الصالة الخارجية .. وهممت أن أجلس على المقعد ، ولكنى تنبهت الى خطتى ، فاخترت أن أجلس على الأريكة .. وجلس هاشم بجانبى .. قريبا جدا منى ، ولكنه ليس ملتصقا بى .. وقال وعلى شفتيه ابتسامة تنبض بطيبته :

ــ استريحتى .. آدى الشقه يا ستى .

قلت وأنا أبتسم كأنى أنفس عن نفسى شرودها ، وأسترد نشاطى :

ــ أنا شايمه ماضيك كله ..

قال ضاحكا :

ــ لا .. مش كله .. نصه بس ..

قلت :

ــ والنص التانى فين ؟ ..

قال وهو لا يزال يضحك :

ــ فى شقه تانية .. كنت واخدها قبل دى ..

قلت وأنا أبتسم ابتسامة كبيرة :

ــ أصل ماضيك ما تساعوش شقه واحده ..

وضحك .. وترددت ضحكته فى أنحاء الشقة كأن كل قطعة فيها تضحك معه .. ثم اقترب بوجهه منى ، وقال فى صوت جاد حنون ، وصدى ضحكته بين شفتيه ، وفى عينيه حب كبير :

ــ أنا خلاص ما بقاليش ماضى .. شطبته .. نسيته .. أنا دلوقتى ماليش الا مستقبل .. انتى مستقبلى ..

وأحنيت رأسى أنظر فى أظافر يدى .. كأن رأسى لا يستطيع أن يحمل كل هذا الحب ويظل مرفوعا .. لا يستطيع أن يحمل مستقبله ..

ومرت بيننا فترة صمت ..

ووجهه قريب جدا من وجهى .. احس بنفسى كأنى اغرق فى عينيه .. أغرق فى أنفاسه .. وأكاد أهم بأن ألقى نفسى بين شفتيه ..

وقلت فى صوت خافت وأنفاسى مبهورة :

ــ تعرف انى ساعات ما بصدقش .. باشك فيك .. بيتهيألى انك بتعرف بنات كتير ..

قال وذراعه ترتفع ويلقى بها فوق حافة الأريكة خلف ظهرى :

ــ لو كان فيه واحده تانيه ، كنتى عرفتى ..

قلت :

ــ ازاى ؟ ..

قال :

ــ كان بان علىَّ .. اصلى ما بعرفش أخبى .. من كتر ما أنا مشغول بانسى انى أخبى .. وبانكشف فى الحاجات دى بسرعه ..

قلت :

— أمال لسه عندك شقه ليه ؟

قال :

— علشان أعمل فيها قهوه .. على فكره .. تحبى اعمل لك قهوه ..

قلت :

— لأ .. مرسى ..

وهم أن يقوم من جانبى وهو يقول :

— ده أنا أحسن واحد يعمل قهوه .

وجذبته من يده حتى لا يقوم من جانبى ، وقلت وعيناى معلقتان بعينيه :

— صحيح مش عايزه يا هاشم ..

وعيناه تطلان فى عينى .. وشفتاه تطلان على شفتى .. وقال وصوته بدأ يخفت ، ولمسة حمراء تطوف على خديه :

— أنا آسف .. ما عنديش حاجه أقدمها لك الا القهوه ..

قلت وصوتى مبهور :

— بس ؟ !

قال :

— وأنا ..

ثم سقط على شفتى ..

ان قبلته هنا ، تختلف عن قبلته فى السيارة .. قبلة مرتاحة .. لا تخاف .. ولا تتردد .. ولا تحسب حساب أحد قد يمر فى الطريق ..

وأغمضت عينى .. وكل أعصابى ترتاح بين شفتيه .. اريد أن أبقى هكذا العمر كله ..

وطالت قبلتنا ..

اطول مما تعودنا ..

وتطورت ..

احس بها تنطلق .. وانطلق معها .. وذراعاه تضغطنى اليه ، واضغط نفسي اليه اكثر .. ووجهه يسخن ، ووجهى .. واصابعه تتحسس ظهرى ثم تكاد تنغرز فيه .. وكل شيء يطير من عقلى .. كل ما كنت افكر فيه .. كل ما قررته .. فقط اريد ان يقبلنى .. ويقبلنى اكثر .. بلا حساب .. بلا حدود ..

وفجأة نزع شفتيه من شفتى ..

وابتعد عنى قليلا ..

وفتحت عينى كأنى افقت من حلم ..

وجمعنا الصمت .. وهو يتشاغل عنى محاولا ان يشعل سيجارة .. وانا انظر اليه كأنى الومه لأنه يشعل سيجارته .. انه يستطيع ان يشعلنى انا .. وقال وهو لا ينظر الىّ :

ــ متأكده انك مش عايزه تشربى قهوه ..

قلت :

ــ لا ..

ثم بدأ يقلع سترته فى هدوء .. لم يبد عليه أنه يخلعها متعمدا .. انما يخلعها لأن الجو حار .. وكل شيء حولنا كان حارا .. حار ..

وقال وأنفاسه مبهورة ، والصهد يفح من وجهه ، وعيناه مرخيتان لا يريد ان ينظر بهما الىّ :

ــ ما قلتليش .. ما رضيتيش انى اروح اقابل مامتك ليه ..

وانا أنظر اليه بكل عينى .. لم أعد أستطيع أن امثل دور

المناة العذراء .. دور الملاك .. انى امراة .. ويجب أن يعرف انى امراة .. ويرحمنى ..

وقلت وانا اعود بوجهى اليه لاتدفأ بصهده :

ــ ولا حاجة .. ما حبيتش انها تشوفك لوحدها ..

وابتسم ابتسامة ترتعش بانفعاله ، وقال :

ــ ليه ؟

قلت :

ــ كده .. باغير عليك ، حتى من امى ..

ووضعت خدى على خده ..

وبقى صامتا برهة كأنه يقاوم .. ثم التفت الى كأنه لم يعد يستطيع أن يقاوم .. واخذنى بين ذراعيه ..

واستسلمت ..

استسلمت لاحساسى بأنى امراة .. الاحســـاس الذى لم أشعر به أبدا الا معه .. وقبلتى تقنعه بأنى امراة ... كل حركة من حركاتى تقنعه بأنى امراة .. وهو يفتح عينيه كأنه لا يصدق ما يحس به .. ثم يغمضهما ، ويعود يستجيب لندائى .. نداء كل قطعة منى ..

وفجاة .. عاد ونزع شفتيه من شفتى .. وكله مبهور .. عيناه .. شفتاه .. أنفاسه .. وحاجباه معقدان ، كأنه يعانى المــا ...

وتعلقت به ، وهمست .. همسة كالصراخ :

ــ بوسنى يا هاشم .. بوسنى .. ما تسبنيش ..

ونظر الى كأنه يسألنى شيئا .. كأنه يستأذننى ..

وربما تلقى الجواب من عينى ..

وعاد الى ..

اخذنى بين ذراعيه ، ومال بى فوق الأريكة ..
ولم يعد يحاول أن يقاوم ..
استسلم لرجولته ..

وحاول أن يأخذنى كفتاة .. عذراء ولكنى مكنته من نفسى كامرأة ..

انا التى مكنته من نفسى ..
تعمدت ..

وفتح عينيه ملؤهما الدهشة .. ثم عاد وأغمضهما بسرعة ، كانه اكتشف أن هذه ليست لحظة السؤال .. ولا الدهشة ..

وانا لا اشعر بالخطيئة ..
ولا اشعر بأنى اتحدى ..
ولا اشعر بأنى اعطى ..
ولا اشعر بأنه يأخذ ..

لا أشعر بشىء مما شعرت به مع عادل .. أو مع عبد الفتاح .. ولا شىء مما كنت أتصور أن أشعر به لو كان رجلا آخر غير هاشم .

انى اشعر بالحب فى قمته .. اعلى قممه .. والحب يسرى فى أعصابى .. هادئا .. جميلا .. كالطفل الوديع .. فى كل قطرة من دمى طفل يبتسم ..

وانهمرت دموعى .. دموع صامتة .. لعلها دموع السعادة .. سعادة لم اكن أعلم بها ..

وشفتاه لا تزالان بين شفتى ..
وانا هائمة فى أنفاسه ..
ثم ارتخت أعصابنا ..

وسحب هاشم شفتيه من بين شفتى ، ودفن وجهه فى طيات شعرى ..

وبقينا صامتين ..

دقات قلبينا يختلط بعضهما ببعض .

وأنفاس كل منا تستريح فى أنفاس الآخر ..

ثم اعتدل هاشم جالسا على حافة الأريكة ، بجانب جسدى الممدد .. انه يعرف الآن أنى لست عذراء .. وانكفأت على وجهى .. واغمضت عينى ، فى انتظار أن أسمع كلمته .. كأنى فى انتظار أن أسمع حكم القدر ..

ووضع هاشم رأسه بين يديه .. وطال سكوته .. ثم قال فى صوت خافت كأنه يتنهد :

ــ أنا مش عايزك تقوليلى حاجة مش عايزه تقوليها ..

ولم أرد ..

لم أعرف ماذا أقول ، وقلبى يرتجف بين ضلوعى .. ودموعى عادت تسيل على خدى .. دموع أخرى غير التى سالت من قبل .. تحمل احساسا آخر .. معنى آخر .. تحمل مصيبتى ..

ومرت فترة صمت أخرى ..

ثم عاد هاشم يقول فى صمت خافت كأنه اتخذ قرارا بينه وبين نفسه :

ــ احنا حا نتجوز ..

وصعقت .. انى لا أستطيع أن أصدق ما سمعته ..

واستدرت .. رفعت وجهى المبلل بالدموع اليه .. ورأيته محنى الرأس ينظر الى بوز حذائه كأنه أصيب بمصيبة .. كأنه فقد شيئا غاليا عليه .. وعلى شفتيه ابتسامة مستكينة يواسى بها نفسه ..

وانطلقت دموعى كلها ..

وارتفع صوت نشيجي ..

وعدت انكفىء على وجهى .. واضرب الاريكة التى ارقد عليها ، بيدى وقدمى ..

واستدار هاشم الى بوجهه ، وقال وهو يضع يده على ظهرى فى حنان حزين :

— انتى بتعيطى علشان حانتجوز ..

ورفعت وجهى اليه ، وصرخت من خلال دموعى :

— ما نقدرش .. ما نقدرش ..

وقال والدهشة تكسو وجهه :

— ما نقدرش ليه ؟ ..

قلت :

— ما نقدرش نتجوز ..

قال وهو غارق فى الدهشة :

— ليـــه ؟

قلت :

— لأنى متجوزه ..

واتسعت عيناه كأن يدا امتدت الى عنقه وخنقته .. وقال :

— بتقولى ايه ! ؟ ..

وعدت اصرخ وسط نشيجى كأنى طفلة صغيرة ، وانا اضرب الهواء بقدمى :

— متجوزه .. متجوزه ..

وسكت ..

ونظرت اليه ، وقلت :

— كان لازم اقول لك قبل كده ، انما .. و ..

وقاطعنى قائلا :

ـــ استنى .. ما تتكلميش ..

ثم قام من جانبى ، والقى بنفسه على المقعد العريض الموضوع بجانب الاريكة .. ووضع يده على قلبه ... وأخذ يلتقط أنفاسه من الهواء .. ثم شد نفسا عميقا ، كأنه يقاوم به الاختناق ..

واعتدلت جالسة ، والتقطت حقيبتى .. وأخرجت منديلا أجفف به دمعى .. ونظرت اليه .. انه يبدو كأنه يعانى ألما حادا .. يبدو كأنه كبر فى لحظة عشرة أعوام ..

والتهف قلبى عليه ..

خفت عليه ..

لم أكن أعتقد أنه سيصدم الى هذا الحد ..

لم اكن أعتقد انه يحبنى الى هذا الحد ..

ولم أدر ماذا أفعل ..

ولا ماذا أقول ..

ولكنى أحسست ساعتها انى كنت قاسـية عليه أكثر مما تصورت .. قسوت عليه عندما أخفيت عنه حقيقتى .. وقسوت عليه عندما صرحت له بها .. أحسست انى مجرمة .. كأنى ذبحت حبيبى .. ذبحت ابنى .. ابنى المسكين .. الصغير .. الذى لا يعرف أن فى الدنيا كل هذه الدناءة .. لا يعرف ، ولم يكن يتصور ، أن أمه .. حبيبته .. هى هذه المرأة الخاطئة ..

وتمنيت ساعتها أن أضع وجهه فوق صدرى ، وأبكى فوق راسه ، لعل دموعى تغسل عنه الألم ، وتخفف عنه الصدمة ..

ولكن هاشم رفع راسه ، واثار الجهد الذى بذله ليضبط أعصابه بادية تحت عينيه ، وقال وبين شفتيه ابتسامة مهزوزة يحاول أن يستعين بها ليبدد صدمته ، وقال فى صوت يحاول أن يكون مرحا :

ــ اظن من حقى اشرب قهوه دلوقتى .

ثم قام قبل أن يسمع اجابتى ودخل المطبخ ، وغاب فيه .
وتركنى أحاول أن أعد فى ذهنى الكلام الذى سأقوله له .. ولم أكن أنوى أن أخفى عنه شيئا .. ولكنى كنت أختار الكلمات التى لا تجرحه .. التى تخفف عنه مصيبتى ..

وعاد هاشم يحمل فنجالا كبيرا من القهوة ، وجلس على المقعد العريض ، واشعل سيجارة ، ثم قال وهو يبتسم لى كأنه يخفف عنى بقدر ما أحاول أن أخفف عنه :

— نبتدى من الأول .. انتى بتقولى انك متجوزه .

وقلت ودموعى متحجرة فى عينى كحبات الحصى :

— أيوه ..

قال وابتسامته تتسع :

— قولى كمان مره ..

قلت وانا اتمنى أن يعذبنى .. أن قسوته فى هذه اللحظة أرحم من شهامته :

— أنا متجوزه ..

قال :

— من امتى ؟

قلت وانا أخفى عنه عينى :

— من سنه ونص تقريبا ..

قال :

— يعنى من قبل ما تعيى ..

قلت فى صوت خافت :

— أيوه ..

قال :

ــ امال ما شفتش جوزك ليه ؟

قلت في صوت ثابت :

ــ لاننا متجوزين في السر ..

وارتفع حاجباه فوق أنفه الكبير ، وقال والدهشة تملأ صوته :

ــ ليه .. ايه اللى يخللى واحده زيك تتجوز في السر ؟

قلت :

ــ لأنه متجوز واحده تانيه ..

قال في لهجة أشبه بالتهكم :

ــ وحبتيه .. ضرورى تكونى حبتيه ..

قلت :

ــ لأ .. ما حبتوش ..

وقال في صوت محتد كأنه يصرخ :

ــ امال اتجوزتيه ليه ؟

قلت في بساطة :

ــ علشان فلوسه ..

وصرخ :

ــ مش معقول .. مش معقول .. ما تقوليش عن نفسك كده ..

قلت ودموعى المتحجرة تحرق جفونى :

ــ أنا كده .. احنا مش أغنيا يا هاشم زى ما انت شايفنا دلوقتى .. وانت ما خدتش بالك من الفرق بين عيشتنا لما كنا ساكنين في الجيزه ، وعيشتنا دلوقت واحنا ساكنين في شارع الهرم .. ما حاولتش تاخد بالك ... ما شفتش أن بقى عندى عربيه .. رفساتين .. وصيغه .. وفيللا .. وسفرجيه .. كل ده جابه عبد الفتاح .. ؟

قال وعيناه جاحظتان فوق انفه الكبير :

ــ عبد الفتاح مين ؟ ..

قلت :

ــ عبد الفتاح رفعت .. تعرفه ؟

قال :

ــ ده اللى انتى متجوزاه .. منجوزاه جواز يعنى ؟ ..

قلت :

ــ ماما بتقول انى متجوزاه ..

قال :

ــ يعنى ايه ماما بتقول انك متجوزاه ؟ !

قلت :

ــ خلتنى امضى على ورقة .. وقالت ده يبقى جواز .. جواز عرفى ..

وقلب شفتيه وقال فى امتعاض قاس :

ــ ما فيش حاجه اسمها جواز عرفى ، وجواز شرعى .. فيه حاجه اسمها جواز! وحاجه اسمها حب ، وحاجه اسمها رفق .. واللى بتتكلمى عنه ده ما اسموش جواز ولا حب ..

وابتلعت قسوته صامتة .. ان من حقه ان يقسو .. من حقه ان يضربنى بالسياط ، ولا اشكو ..

وسكت هاشم .. اعطانى ظهره .. ورفع فنجال القهوة بعصبية ، وارتشف رشفة ، كأنه يسكر بالقهوة .. يسكر لينسى .. ثم شد نفسا عميقا من سيجارته ، كأنه ينفث عذابه ..

وقلت بعد فترة صمت كأنى استجديه الرحمة :

ــ ماما هى اللى خلتنى اعمل كده ..

والتفت الىّ وصرخ وعيناه غاضبتان :

— ما تقوليش ماما .. انتى مش عيله صغيره .. انتى أقوى من ماما .. أقوى منها بشبابك ، وجمالك ، وذكائك ، وارادتك .. اذا كنتى عملتى حاجه تبقى عملتيها الأنك عايزه تعمليها .. مش لأن ماما أقوى منك .. مش لأنها خلتك تعمليها ..

قلت وأنا أتمنى أن أبكى :

— أنا كنت أيامها مصدومه فى حبى لعادل .. ما كنتش عارفه أنا باعمل ايه .. وماما هى اللى اتفقت مع عبد الفتاح .. وكتبوا الورقه دى علشان ما يبقاش لى الحق أتجوز من وراها ..

وانهمرت دموعى ..

دموع صامتة حزينة .. أبكى بها على نفسى ..

وأدار لى هاشم ظهره ، وأخذ ينفث دخان سيجارته فى غل ..

وطالت فترة صمتنا ..

وبدأ هاشم كأنه استعاد سيطرته على أعصابه ، والتفت الىّ وعلى شفتيه ابتسامة حزينة وقال فى صوت خافت بحشرجة حنانه :

— أنا آسف .. اعذرينى .. أصلك فاجأتينى ..

ثم ضحك قائلا :

— احمدى ربنا انى ما قمتش ضربتك علقه ..

قلت :

— لو كنت ضربتنى كان يبقى لك حق ..

قال :

— أنا مقدر ظروفك .. وعارف ان كل انسان له ظروفه .. ما فيش انسان بيعمل حاجه غلط الا لأن الغلط أقوى منه

.. لأن ظروفه بتدفعه غصب عنه للغلط .. وانتى كويسه ..
رحا افضل طول عمرى مقتنع انك كويسه .. ويمكن لو كانت
اختى ولا امى فى مكانك كانت عملت زى ما عملتى .. انا
آسف .

والتقط منديلى من يدى ، واخذ يجفف به دمعى من فوق
وجنتى . وقال وهو يبتسم فى وجهى ابتسامة كبيرة :

ــ فين ابتسامة شفايفك ؟

ولم استطع ان ابتسم .. وقلت وراسى ملقى على صدرى
كأن رقبتى قد قطعت ، فلم أعد أستطيع أن ارفعها لأتباهى بها :

ــ أنا مش عارفه اعمل ايه يا هاشم ؟

قال وهو يضغط على يدى كأنه يمدنى بقوته :

ــ انتى تقدرى تعملى كل حاجه ..

قلت :

ــ اعمل ايه يعنى ؟

قال فى لهجة حازمة كأنه يثير ارادتى :

ــ تقدرى تفضلى مع الراجل ده زى ما انتى معـاد ..
وتقدرى تتجوزيه جواز حقيقى .. وتقدرى تسيبيه وقت ما تحبى .

قلت :

ــ وامى ؟

قال :

ــ انتى اقوى منها .. ما حدش فى الدنيا يقدر يفرض ارادته
عليكى ..

قلت :

ــ انت ما تعرفش ماما .. ده مستعده تعمل اى حاجه ..

قال :

ــ تأكدى انها ما تقدرش تعمل حاجه اذا انتى صممتى على اللى عايزاه .

قلت وأنا أشعر بعروقى تمتلىء بارادتى .. وعيناى تتسعان وينطلق منهما بريق الحزم :

ــ أنا حاسيبه .. حا اقطع الورقه اللى بينه وبينى .. حاروح أعيش مع أمى فى الوايليه ..

وسكت هاشم قليلا ، ثم قام واقفا يتمشى أمامى ، وقال :

ــ بس فى حاجه لازم أقولها لك ..

قلت وأنا أرفع وجهى اليه :

ــ ايه ؟

قال :

ــ اذا كنت حاتسيبيه ، مش عايزك تسيبيه علشانى ..

قلت :

ــ يعنى ايه ؟

قال :

ــ يعنى لو سبتيه علشانى تبقى ما عملتيش حاجه .. تبقى مش قويه ولا حاجه .. انما لازم تسيبيه علشان نفسك .. لازم تسيبيه وانت مقتنعة انك كان لازم تسيبيه حتى لو ما كنتش أنا فى حياتك .. تسيبيه علشان شخصيتك .. علشان تحسى أن ما فيش فى حياتك حاجه غلط .. علشان تثبتى لنفسك انك أقوى من ظروفك .. ولازم تعرفى ان مش مهم الناس تعرف انتى بتعملى ايه ولا ما تعرفش .. انتى مهما خبيتى على الناس مش ممكن تخبى على نفسك .. ومهما كذبتى على الناس مش ممكن تكذبى على نفسك ، حتى لو الناس ما اقتنعوش بيكى ..

ونظرت اليه بعينين مبهورتين احاول أن الاحق بهما كلماته السريعة .. ثم قلت :

ــ أنا من يوم ما عرفته وانا احاول أسيبه ..

وقال وهو لا يزال يروح ويجيء امامى ، كأنه يخاطب نفسه . وكأنه لم يسمع كلمتى :

ــ أنا مش حا اساعدك على انك تسيبيه .. ده قرار لازم تاخديه بنفسك ، وتنفذيه لوحدك .. لو ساعدتك حا احس كأنى باانافس الراجل التانى عليكى .. وانا عمرى ما نافست حد على بنت .. مش لأنى مغرور .. ابدا .. انما لأنى باحترم ارادة البنت لدرجة انى باسيبها تختار بارادتها من غير تأثير منى و ..

وقلت أقاطعه :

ــ انا ما طلبتش منك حاجه يا هاشم .

وتوقف عن المشى ، ووقف أمامى وخط من الألم يشق جبينه ، وعيناه مكدرتان مهمومتان ، وشفتاه ممطوطتان كأنه طفل غاضب .. وقال :

ــ انا ما قلتش انك طلبتى منى حاجه .. ولازم تعرفى انى باحبك .. ما حبتش حد فى حياتى اد ما حبيتك ، وكنت مقرر انى اتجوزك .. حتى بعدما عرفت النهارده انك مش بنت .. كنت مقرر انى اتجوزك برضه .. ما غيرتش رأيى .. كنت عارف انك حبيتى واحد قبلى ، وفضلتى مخطوبه له خمس سنين .. وكان ممكن فى الخمس سنين دول يحصل أى حاجه .. ورغم كده فضلت محترم حبك .. ومحترمك .. لانك مخبتيش عنى حاجه .. انما دلوقتى .. دلوقتى حاجة تانيه .. متهيالى انى لازم اعرفك من جديد .. لازم ابتدى احبك من اول وجديد .. مش عارف .. مش عارف ..

قلت وانا أعود وألقى براسى على صدرى :

ـــ أنا كمان مش عارفه .. مش عارفه اذا كنت حاتفضل تحبنى والا لأ .. كل اللى أنا عارفاه انى أنا باحبك .. وانى بقيت واحده تانيه من يوم ما حبيتك ..

قال وهو يتنهد :

ـــ ازاى قدرتى تخبى على المدة دى كلها .

قلت :

ـــ كنت خايفه .. مش خايفه منك .. انما خايفه على حبك .. وكان ممكن اقدر أخبى على طول .. انما ما اقدرتش .. لانى باحبك ..

والقى بنفسه جالسا بجانبى على الأريكة .. والتقط من صدره نفسا عميقا كأنه عاد من مشوار بعيد منهكا ، وقال وهو يبتسم ابتسامة حزينة :

ـــ أما حتة حكاية .. انما انا قلبى كان حاسس .. كنت دايما حاسس ان فيه حاجه عنك لسه ما عرفتهاش .. وقلتلك ..

ـــ كان لك حق .. انما تأكد ان كل يوم كنت عاوزه أقول لك ..

والقى راسه على صدره كأنه طفل غلبه النعاس ، وقال :

ـــ أنا عمرى ما انصدمت زى النهارده .. تعرفى انى لأول مره أحس انك أقوى منى ..

وقلت :

ـــ أنا قويه بيك يا هاشم .

ورفع راسه .. ورفع الى عينيه .. وشفتاه قريبتان من شفتى .. وقال وهو ينظر الى كأنه يثير حماسى :

ـــ انتى مش محتاجه لحد .. لا لى .. ولا لغيرى .. انتى تقدرى تخشى الجامعة وتنجحى وتشتغلى .. وتقدرى تتجوزى

مى اى وقت .. اوعى تقولى انك قويه بى .. انتى قويه بذكائك وشبابك وارادتك .. قويه بنفسك .. بشخصيتك ..

قلت وأنا غارقة فى عينيه :

ـــ انا أوعدك انى حااكون بنت كويسه ..

قال :

ـــ وانا أوعدك انى مش حاسيبك .. انا قلت لك انى مش حاساعدك فى انك تحددى موقفك .. انما مش معنى كده اننا نسيب بعض .. وكل اللى أنا عايزم انك تسحمليني .. لغايه ما اخرج من حيرتى ..

قلت وأنا أبتسم :

ـــ عمرى ما حسيت انى باستحملك .. ولا فى يوم حا احس انى باستحملك .. كل اللى باحس بيه انى باحبك .

وانحنيت اقبل شفتيه المهمومتين بحيرته .. واقبل خط الألم الذى يخط جبينه .. واقبل عينيه المكدودتين المعذبتين ..

ثم قمت واقفة وأنا انظر فى ساعة يدى ، وقلت :

ـــ ياه .. الساعه خمسه ونص .. ميعاد العياده يا هاشم ..

قال :

ـــ ما اظنش انى حاروح العياده النهارده .. مش حا اقدر اشتغل ...

قلت :

ـــ لا .. لازم تشتغل .. علشان انا كمان أروح اشتغل .. انا عندى شغل كتير مع أمى ..

قال :

ـــ حاضر ..

قلت :

ـــ أوعدنى ...
قال :
ـــ حاحاول ..
ثم وقف الى جانبى ، واخذنى بين ذراعيه .. وضمنى الى صدره فى رفق ، وقال وصوته محشرج :
ـــ ما تنسيش انك قويه ..
قلت :
ـــ اطمئن .. انا عمرى ما حسيت انى قويه أد النهارده ..
ثم قبلته فى شفتيه ..
وشفتاه حزينتان ، متعبتان ، نائمتان ..
وقلت :
ـــ مش نازل ..
قال وهو يوصلنى حتى الباب :
ـــ حاقعد شويه ..
وفتح لى الباب .. وهممت بالخروج .. ولكنى عدت اليه وقد لطشنى خاطر جديد ، وقلت له :
ـــ حاتقول لمديحه اختك ؟
قال وهو يبتسم ابتسامة حزينة :
ـــ مش حاقول لها الا اذا سمحتى لى ..
قلت وراسى مرفوع :
ـــ قول لها ..
وخرجت ...
وراسى لا يزال مرفوعا .. واحس بنفسى قوية .. قوية . انى لم أكن ابدا قوية كما أنا قوية فى هذا اليـــوم .. احس شخصيتى كاملة . احس كانى تحررت .. كأنى انطلقت فى عالم

جديد ، اسيطر عليه ، وافرض عليه ارادتى وانا وحدى سيدته .. عالم داخل نفسى ..

ولم افكر طوال الطريق فيما قلته لهاشم ، ولكنى كنت افكر فيما سأقوله لأمى .. والكلمات تزدحم فى خيالى .. كلمات قوية حازمة .. كأنها كلمات القدر .. قدرى ..

وقد وجدت امى جالسة فى الصالون وراسها على كفها .. وبجانبها عبد الفتاح ..

ودخلت اليهما .. قوية .. ونظرت فى وجه كل منهما دون ان ترتعش عيناى ..

ورفعت امى وجهها المكرمش الىّ .. وصرخت :

ــ انا خلاص .. ما ليش دعوه بيكى .. انتى حاتجنينى .. حا تموتينى .. واهوه عبد الفتاح بيه يعرف شغله معاكى ..

وابتسمت ابتسامة ساخرة تدلت على جانب شفتى ..

وتنحنح عبد الفتاح ، وقال فى هدوء مفتعل ، ولهجة وقوره اكثر افتعالا :

ــ انتى كنتى فين ؟

قلت :

ــ مالكش دعوه ..

وارتفع حاجباه فوق عينيه كأنه دهش لجراتى .. لم اكن من قبل اجرؤ على محادثته بهذه اللهجة الصريحة ..

وضاقت عيناه وهو ينظر الى وجهى كأنه يحاول ان يكتشف سرى ، وقال :

ــ انا عارف كنتى فين .. كنتى مع الدكتور هاشم .. مش كده ..

ونظرت امى الىّ فى جراة ساخرة .. وقالت كأنها تولول :

ـ انا قلت له على كل حاجه .. خلاص ، ما بقتش اقدر احمل مسؤوليتك لوحدى ..

ونظرت الى عبد الفتاح وانا لا زلت واقفة عند الباب وقلت فى استخفاف :

ـ ايوه .. كنت مع الدكتور هاشم .

وعاد وحاجباه يرتفعان فوق عينيه .. وازرد وجهه .. وقال وهو يحاول أن يضبط أعصابه :

ـ انتى عارفه هاشم ده كويس .. عارفه انه عرف مئت بنت قبلك .. وعارفه انه كان ماشى مع واحده اسمها أمينه .. وبرمطها وخللى سمعتها فى التراب .. وبعدين سابها زى الكلبه .. و ..

قلت وانا اقاطعه ساخرة :

ـ وانت حاتبسبنى زى ايه ؟

وفلتت منه اعصابه وصرخ :

ـ انا عايز افهم ، انتى بتكلمينى بالشكل ده ازاى ..

وقلت وانا انظر اليه فى تحد :

ـ أنا اللى عايزه أفهم ، انت بتحاسبنى بصفتك ايه ؟

وتردد قليلا .. ثم نظر الى أمى كأنه يستشيرها . ثم عاد الى بوجهه الكريه ، وقال :

ـ انا جوزك يا ذوجا ..

قلت :

ـ ده مش جواز ده .. الجواز يعنى بيت واولاد وناس .. اذا كنت عايز تعتبر نفسك جوزى اتفضل اتجوزنى قدام الناس .. زى ما اتجوزت مراتك .. وزى ما جوزت بنتك .. أنا مش اقل من مراتك ، ولا من بنتك ..

قال فى تحد :

— واذا ما اتجوزتكيش ..

قلت :

— تبقى تاخد فلوسك وما تورنيش وشك ..

وصرخت أمى ..

— اخرسى ..

وقال عبد الفتاح فى خبث :

— ده اللى انت عايزاه .. ولا ده اللى قاله لك هاشم .

قلت :

— ده اللى كان لازم يحصل ..

قال :

— حاضر يا ست نوجا .. نتجوز ، زى ما انت عايزه .

قلت كأنى ابصق فى وجهه :

— طيب لما تحدد انت وماما يوم الجواز .. ابقى تعالى كلمنى وحاسبنى ..

وتركتهما مبهوتين ..

واخذت التليفون من امامهما .. ودخلت به الى حجرتى واغلقت بابها ورائى بالمفتاح ..

وهما صامتان ..

واتصلت بهاشم ..

كنت اريد أن أطمئن عليه .. بعد أن تركته مصدوما ..

ولم اجده ، وقالت لى ممرضة العيادة انه اتصل بها واعتذر عن عدم استطاعته الحضور لأنه مريض ..

لعلها المرة الأولى التى يتخلف فيها هاشم عن عيادته .. بسببى ..

انى مجرمة ..

لم يكن عبد الفتاح جادا عندما وعدنى بالزواج زواجا كاملا شرعيا يعلنه للناس .. انما كان يعتقد أنه يستطيع بخبثه أن يجرنى وراء هذا الوعد الى أن أهدأ ، وأستسلم ، وأعود اليه كما كنت ..

وأنا أيضا لم أكن أعنى ما أقول عندما طالبته بأن يتزوجنى زواجا شرعيا .. كنت فقط ، أتحداه .. وأتحدى أمى .. كنت أثير فى وجههما مشكلتى .. كنت أحاول أن أفتح ثغرة فى الجدار الذى يسجننى وراءه .. لأهرب منها .. ولكنى لم أتصور نفسى لحظة زوجة له .. لم أكن أريد .. لا أريد شيئا من ماله ، ولا من اسمه العريض .. كانت شخصيتى الكاملة القوية التى أعادها الىّ هاشم ، ترفض عبد الفتاح .. حتى لو أصبح زوجا لى .. انى أريد أن أكون شيئا آخر .. شيئا نظيفا ، بريئا .. ينطلق فى الحياة بلا خجل ، وبلا عقد ، وبلا خطيئة .. شيئا يستحق هذا الحب الكبير الذى أحاطنى به هاشم .. وأنا قوية .. هاشم منحنى القوة .. وأستطيع أن أكون هذا الشىء النظيف ..

ولكن ..

الطريق الى الحياة النظيفة صعب ..

خضت معركة ..

معركة هائلة ..

عبد الفتاح وأمى فى جانب ... وأنا وحدى فى الجانب الآخر .. وحدى .. حتى هاشم يرفض أن يقف بجانبى .. يرفض أن يتدخل .. يرفض أن يقوم بأى عمل يخفف عنى عبء المعركة .. انه لا يزال مصرا على أنها معركتى وحدى .. وقد زودنى بالقوة لأخوضها .. وعلىّ أن أنتصر .. أو أيأس ..

لا .. لن أيأس ..

وامى وعبد الفتاح ، لا يكفان عنى .. اصبح عبد الفتاح يأتى الى البيت كل صباح قبل ان يذهب الى المصنع ، وكل مساء قبل ان يعود الى بيته .. وأمى تصرخ .. وعبد الفتاح يصرخ .. وأنا اصرخ .. والصراخ ينطلق فى راسى كأنه السنة النار .. ولكنى احتمل .. أقاوم .. واصر على ما أطلبه .. ولم اكن أطلب الا شيئا واحدا ، هو أن يخرج عبد الفتاح من حياتى .. وأن تمزق الورقة التى وقعتها .. وان يتركنى حرة ..

وقال عبد الفتاح وهو يفتعل الهدوء :

ـ اســمعى يا نوجا .. اســمعى كلامى كويس .. انا حاشتريلك الفيللا اللى انتو ساكنين فيها دى .. وتستنى على شهر ولا شهرين ، لغاية يومين التأميم دول ينتهوا ، وبعديها اتجوزك .. انتى عارفه انى كاتب كل حاجه باسم مراتى ، ولو اتجوزتك دلوقتى ، وعرفت انى اتجوزت ، حا ابص الاقى نفسى من غير ولا مليم .. ايه رايك باه .

وقلت وانا انظر اليه فى قرف وتحد :

ـ رايى ان ما فيش فايده ..

وصرخت أمى ..

ـ يا اخواتى .. الراجل اكل عقل البنت .. الله يقطع سنين هاشم ويوم ما شفنا هاشم ..

وقلت ساخرة :

ـ لو ما كناش شفنا هاشم كان زمانى مت ..

وعادت أمى تولول :

ـ يا ريتنى يا شيخه كنت شفتك ميته .. ولا انى اشوفك مجنونه .. يا بنت اعقلى .. شوفى عبد الفتاح بيه بيقول لك ايه

.. حا يشتريلك الفيللا .. والله ما تستــــاهلى ولا أوده .. ولا حتة خرابة .. انتى فاكره نفسك ايه .. حلوه .. الحلوين على قفا من يشيل .. فاكره نفسك امبراطورة الانجليز .. يا بنت حطى عقلك فى دماغك ..

وقاطعها عبد الفتاح قائلا : كأنه اكتشف طريقا حديدا الى قلبى :

ــ مش مهم الفيللا يا عزيزه هانم .

ثم التفت الىّ وهو يمسك بيدى وشفتاه الغامقتان ترتعشان على وجهه الأزرق :

ــ المهم انى باحبك يا نوجا .. باحبك لدرجة انى ما اقدرش أتصور نفسى من غيرك .. ما فيش حاجه حلوه فى حيـــاتى الا انتى ..

ونظرت اليه .. ربما كان صادقا بل انه فعلا صادق .. انه يحبنى ..وربما كنت مسئولة عن هذا الحب .. لقد تركته حتى أحبنى .. وهو لم يخدعنى .. ان كل ما اعطيته له ، أعطيته بارادتى .. وليس ذنبه انى كنت أيامها ضعيفة .. أو كنت مغلوبة على أمرى .. أو كنت يائسة .. ليس ذنبه وحده أنه احبنى .. وربما ليس من حقى حتى الآن أن أذبح حبه .. ليس هذا من حقى ..

ومرت على قلبى لمسة من الضعف .. كدت أشفق عليه .. وارتعشت رموشى فوق عينى .. وربما لاحظ ارتعاشها ، فقد ابتسم ابتسامة مسكينة ، وتنهد كأنه يسترد أنفاسه .. ولكنى استعدت قوتى بسرعة . قوة تصميمى .. حتى لو كان يحبنى ، فهو ليس حبا نظيفا .. لو كان يحبنى حبا نظيفا لما رضى لى

بالحياة التى وضعنى فيها حتى لو رضيت انا بها .. لأنها حياة لا يرضاها لابنته ..

وسحبت يدى من يده ، واستقرت رموشى حول عينى . وقلت فى هدوء :

ــ اسفه يا عمى ..

ولاول مرة احس بأنى اقسو عليه وانا اناديه بيا عمى .

ونظر الىّ فى حدة كأن كرامته ثارت وقال :

ــ اسفه يعنى ايه ؟

قلت :

ــ يعنى ما فيش فايده .. لازم حكايتنا تخلص ..

وصرخ :

ــ اذا كنتى فاكره ان الدكتور بتاعك حايتجوزك ، يتفضل يتجوزك .. انا موافق .. بس يتجوزك ..

ثارت دمائى وصرخت :

ــ انت مش من حقك انك توافق .. ولا من حقك انك ترفض .. انت فاكرنى جاريه عندك .. فاكر انك اشتريتنى بفلوسك ..

ووقف عبد الفتاح بجسده القصير السمين ، ورفع يده الغليظة وهوى بها على صدغى .. وهو يصيح :

ــ انت بتكلمينى كده ليه .. من امتى قلة الادب دى .. من امتى بتقدرى تحطى عينك فى عينى .. اسمعى .. انا بقولك اهو .. اذا كنتى فاكره انك حاتقدرى تخلصى منى ببساطه .. تبقى غلطانه .. مش ممكن أسيب بنت مفعوصه زيك تلعب بىّ .. فاهمه ..

وارتججت تحت وقع صفعته .. ولكنى لم أصرخ .. ولم ابك .. ولا وضعت يدى على خدى مكان الصفعة .. وسيطرت

على نفسي بسرعة .. ونظرت في عينيه الجاحظتين باستخف .. وشعرت ساعتها انى اكرهه اكثر مما كرهته مى اى لحظة مضت ... اكرهه بقرف ... وقمت واقفة ، وقلت ورأسي مرفوع :

— اعمل اللى انت عايزه ..

ثم ادرت له ظهرى ... ومشيت بخطوات ثابتة الى غرفتى . واغلقت الباب بالمفتاح ...

وكنت أستطيع أن ابقى فى غرفتى يوما كاملا .. لا يهمنى أن اكل ولا أن أشرب .. كنت اجتر غذائى من قوتى .. قوة تصميمى على موقفى .. وكانت امى تقف خلف الباب تتوسل الىّ أن افتح لها فارفض ، واصر على الرفض .. لم أكن افتح لها إلا عندما تجر ابى المشلول فى عربته ، وأسمعه ينقر على باب غرفتى بذراعه السليم ، واسمع صوته الاخرس ينطلق متحشرجا فى زوره ، ينادينى فى توسل .. فأفتح له .. والقى بنفسي على صدره .. وأبكى .. أستريح برهة من قوتى ..

وسلطت علىّ امى صديقاتها سيدات جمعية نور الهدى .. فكن فى الأوقات التى يغيب فيها عبد الفتاح وتتشاغل فيها أمى . يلتففن حولى برهة وهن متشحات بطرحهن البيضاء كالعفاريت .. ويتبادلن « الزن » فوق راسى ... يحاولن اقناعى بأن علاقتى بعبد الفتاح ، حلال .... وان الورقة التى وقعتها تتيح له أن يطلبنى فى بيت الطاعة .... و .... و .... كلام كثير يحاولن ان يخفننى به حينا .. ويغريننى به حينا .. انى اعرفهن .. سيدات نور الهدى ... ان عبد الفتاح دفع لهن باسم البر والتقوى .. كثير من الرجال يدفعن لهن ، ليسحبن اليهم بنات الناس ..

وكل هذا كنت استطيع احتماله ..

ولكن ما لم احتمله انى لم اعد استطيع أن أرى هاشم :

ولا حتى أحادثه فى التليفون حديثا يشجعنى .. يصبرنى .. يمدنى بمزيد من القوة ..

وكانت أمى منذ رفض هاشم أن يقابلها على انفراد قد اقتنعت بأنه يريد ان يأخذنى منها .. وانه لا يعترف بملكيتها لى .. وانه يريد ان يصل الىّ عن غير طريقها .. ثم بعد ذلك عندما رفضت أن أروى لها تفاصيل ما دار بينى وبينه يوم ذهبت للقائه فى شقته وأصررت على الرفض .. اقتنعت ان هاشم أصبح أقوى منها علىّ .. اقوى تأثيرا .. اقوى فى سيطرته .. وانى أصبحت أحبه الى حد أن اضحى بها .. الى حد أن اخفى عنها التفاصيل .. وجنت .. وأعلنت الحرب الصريحة عليه ..

قررت الا يدخل هاشم بيتنا .. ولم يكن هاشم يأتى الى البيت الا بعد ان أدعوه والح عليه .. وقد أحس بالقرار الذى اصدرته امى ، لأنى لم اعد ادعوه ..

ثم اصبحت امى تمنعنى من التحدث فى التليفون .. كانت تضع التليفون دائما بجانبها ، وتحمله فى يدها وهى تنتقل من غرفة لأخرى .. فاذا الححت عليها أن احادث احدى صديقاتى ، أصرت على أن تدير الرقم بنفسها .. وفى المرات القليلة التى استطعت ان أسرق فيها لحظة احدث بها هاشم فى التليفون ، لم أكن أستطيع ان اقول له شيئا . كان كل شىء يختلط ويرتبك فوق لسانى ، ربما لأنى كنت احاول ان اقول له كل شىء فى لحظة .. ثم افاجأ بأمى واقفة امامى كالصبية .. وانظر اليها فى سخط وتحد .. وأقول لهاشم :

ــ بعدين حابقى اكلمك .. لو قدرت ..

واضع السماعة فى هدوء .. والتفت الى امى قائلة :

ــ ما تسألنيش انا كنت باكلم مين .. لأنى مش حاقولك ..

وترد ، وهى تقبض على التليفون بيد قوية . كأنها تخنق صوتى ، وصوت هاشم :

— منى حاسألك .. لأنى عارفه كنت بتتكلمى مين ..

ثم تأخذ التليفون وتختفى به ...

وكانت تمنعنى من الخروج ... حتى لزيارة امى الحقيقية .. سجنتنى ، وسجنت نفسها معى ... وسلطت كل خدم البيت ليتجسسوا علىّ ... دائما ورائى عين تراقبنى .. كلما نمت و صحوت وكلما دخلت غرفة أو خرجت من غرفة .. وانقضت ايام طويلة وانا لا ارى احدا الا وجه امى المكرمش ، ووجه عبد الفتاح الأزرق ، ووجوه سيدات نور الهدى ، الباردة كالثلج .. واثير فى كل يوم خناقة لأقل استفزاز ... ثم ادخل حجرى واغلق بابها علىّ ، واتعذب ..

وكنت فى عذابى أستغيث بهاشم .. واحيانا كنت الومه الى حد السخط عليه .. لماذا يتركنى وحدى .. لماذا لا يفعل شيئا لينقذنى من مصيبتى .. انه لا يحادثنى فى التليفون .. ولا حاول ان يتصل بى .. ولكنى كنت اعود واهدا .. أعود الى دفء الحب .. حب هاشم .. ان هاشم لا يستطيع شيئا .. لا يستطيع أن يتصل بى فى التليفون .. أمى ستلقى السماعة فى وجهه ، وقد تلعنه وتسلط عليه لسانها الطويل ، وهو أكثر اعتزازا بكرامته من ان يعرضها لهذا الموقف .. ثم انه لا يستطيع أن يأتى الى البيت بلا دعوة ، لينقذنى ، او ليطلبنى للزواج .. انه يعلم الآن انى متزوجة .. هذا النوع من الزواج .. ولا يمكن لرجل ان يتقدم للزواج من امراة متزوجة .. انه لا يستطيع شيئا ... وقد كان على حق عندما قال لى انها معركتى وحدى .. نعم ، انها معركتى وحدى ... ولعله يتعذب الآن قدر عذابى ..

ربما اكثر .. يتعذب بحيرته .. ويتعذب بالصدمة .. ويتعذب بحرمانه منى ..

واجد نفسى خلال سحب العذاب التى تحبط بى ، ابتسم له .. لهاشم .. كأنى اواسيه فى عذابه .. كأنى أعتذر له عما سببته له .. ثم أتخيل نظرته الطيبة الحنون التى تطل من عينيه .. واتخيل لمسة شفتيه فوق شفتى .. واتذكر كلماته القوية النظيفة .. واستمد من كل ذلك قوة اكبر على المقاومة .. وعلى التصميم .. والطريق يتضح امامى .. الطريق النظيف .. انى افعل كل ذلك لاكون زوجة لهاشم .. لا .. لا يهم الزواج .. ولكن المهم ان اكون فتاة تستحق حب هاشم .. ومن السهل ان اتصور نفسى هذه الفتاة .. فتاة كاملة الشخصية .. تدخل الجامعة وتنجح .. وتعمل .. وبعدها يستطيع ان يتزوجها اى رجل وهو مرفوع الراس ، فخور بها .. واستطيع ان احب زوجى ، حبا كاملا ، بلا عقد وبلا شروخ ..

وامى عادت تستعين بالسحر .. والشعوذة ، كما فعلت أيام حطمت حبى لعادل .. ولكنى فى هذه المرة لم استسلم لها .. انى ارفض أن أسلم نفسى للسحرة والمشعوذين .. فكانت تسرق المشط الذى امشط به شعرى .. وتعطيه للست فيكتوريا لتنقش عليه طلاسمها السحرية .. وكانت توقد شمعة فى الحمام عقب أن أستحم ، فى يوم من أيام النصف الأخير من الشهر العربى ، وتتركها موقدة طول الليل .. و .. و .. اشياء كثيرة فعلتها اعتقادا منها ان السحر يستطيع أن يمحو حب هاشم من قلبى .. وكنت الحظ كل ما تفعله دون ان اعلق بشىء .. انظر اليها باستخفاف واعطيها ظهرى ، وابتعد وانا واثقة ان حبى اقوى من السحر .. بل انها وصلت الى اكثر من ذلك .. اقامت

لى « زارا » .. زارا صامتا .. اوصتها به الشيخة زهرة .. فأعطتها حجابا وضعته دون أن أدرى تحت وسادتى قبل ان أنام .. وفى الصباح التالى ، جاءت أمى الى ، تسألنى فى رقة وحنان على الحلم الذى حلمته وأنا نائمة .. وقلت لها انى حلمت بأنى اجرى نازلة على السلم .. ووقعت ، ثم حاولت أن أقوم فلم استطع .. اكتشفت أن رجلى قد كسرت .. وكنت فعلا قد حلمت هذا الحلم .. وعادت أمى تسألنى باهتمام ، اذا كنت قد رأيت فى الحلم دما ينزف منى .. فأجبتها بالايجاب .. دون أن ألحظ ساعتها ، اهتمامها .. وحملت أمى الحلم الى الشيخة زهرة ، وفسرته الشيخة بأنه يجب أن يذبح لى جدى اسود .. وبعدها بأيام نادتنى أمى الى حجرة بجانب المطبخ ، كنا نستعملها كمخزن .. فذهبت اليها .. وما كدت أخطو داخل الغرفة . حتى ذبحوا تحت قدمى الجدى الأسود .. وصرخت من المفاجأة .. وتلفت حولى فرأيت الشيخة زهرة .. وثلاث سيدات من جمعية نور الهدى .. وأمى .. وكلهن متشحات بالطرح البيضاء . حتى أمى .. وعدت أصرخ فيهن :

ـ ايه العبط اللى بتعملوه ده .. انتم فاكرين انكم تقدروا توصلوا لحاجه بالطريقة دى .. اعقلى بأه يا ماما .. وبلاش جنان ..

وعدت الى غرفتى وأنا مصممة الا أبقى فى هذا البيت ..

وبقيت الشيخة زهرة وسيدات نور الهدى فى البيت ثلاثة أيام بلياليها ، يتلون التعاويذ فوق دماء الجدى الأسود ..

وقررت أن أهرب ..

صحوت من النوم ذات يوم ، وأنا مصممة على الهرب .

لم تعد تجدى المقاومة ..

ان صبر امى وصبر عبد الفتاح اطول من صبرى ..

وبدوت هادئة فى هذا اليوم ، حتى أكتسب ثقتها .. ثم انتهزت فرصة انشغالها ، ودخلت حجرتها .. وفتحت الدرج الذى اعلم انها تحتفظ فيه بالنقود التى تصرف منها على المطالب اليوميه .. ولم اجد فيه سوى ثلاثة جنيهات .. اخذتها .. وابى راقد فى الفراش ينظر الى بعينين مبتسمتين ملؤهما الحب .. دون أن يبدو عليه انه فهم شيئا ، او ارتاب فى شىء .. والقيت نفسى على صدره ، وقبلته .. قبلات كثيرة ، ودموعى حبيسة خلف جفونى .. كنت اودعه .. كنت مصممة يومها على الا اعود الى هذا البيت ابدا .. وكان ابى هو الشىء الوحيد الذى احبه فى هذا البيت ..

وخرجت من غرفة أمى ، وصحت بأعلى صوتى فى الخادمة :

ــ روحى املى البانيو .. عايزه أخد حمام ..

وسمعتنى امى ..

ودخلت حجرتى برهة ، الى أن سمعت صوت الماء يملأ البانيو ، وتأكدت أن الخادمة فى الحمام .. وخرجت .. تسللت على أطراف اصابعى الى خارج البيت .. وجريت فى الشارع .. جريت حتى وجدت سيارة تاكسى ركبتها .. وقلت للسائق :

ــ اطلع على الزمالك يا اسطى ..

ونزلت قريبا من شقة هاشم .. ثم اتصلت به فى التليفون من دكان بقال هناك .. والساعة الثانية بعد الظهر . موعد انتهائه من عيادته .. وقلت فى لهفة بمجرد أن سمعت صوته :

ــ أقدر اشوفك دلوقتى يا هاشم ..

وقال وصوته ينتبه كأنه يفيق من يأسه :

ــ انتى فين ؟ ..

قلت :

ـــ انا باكلمك من الشارع .. جنب الشقه بتاعتك ..

قال :

ـــ حاكون عندك بعد عشر دقايق ..

قلت :

ـــ نتقابل فى الشقه ؟

قال :

ـــ ايوه ..

قلت :

ـــ هى نمره كام .. نسيت ؟

قال :

ـــ الدور التالت .. شقه واحد وتلاتين ..

قلت :

ـــ ما تتأخرش يا هاشم .. انا فى الشارع ..

قال :

ـــ مسافة السكه ..

ووضعت سماعة التليفون .. واخذت أسير على مهل حول العمارة التى فيها الشقة ، الى أن مر أكثر من ربع ساعة .. ثم صعدت اليه ..

وفتح لى ..

ووقفت انظر اليه ، كأنى اشرب من ملامحه بعد عطش طويل .. ان خط الألم لا يزال يشق جبينه .. والحيرة تركت بصمات غامقة تحت عينيه .. وابتسامته حزينة وخيل الى أن وجهه نحيل أكثر مما عرفته .. وانفه اكبر . ونظرته مترددة لا يستطيع ان يستقر بها على مكان معين من وجهى .. وخيل

الى ان شعراته البيض قد ازدادت فوق راسه كأنه ينسج منها كفنا لأفكار تعذبه ..

وحاولت ن ابقى عينى فوق وجهه . ولكنى لم أستطع .. شعرت بكل قوتى .. قوة شخصيتى .. تنسلت منى .. على قدر ما كنت اشعر بقوتى امام امى وعبد الفتاح ، أشعر الآن بضعفى امام هاشم .. وارخيت عينى عنه ، ووقفت امامه صامتة ..

وظلت نظرته الحائرة تطوف بوجهى برهة ، ثم جذبنى اليه ، واحتوانى بين ذراعيه ، واسند وجهه فوق راسى .. وبقى صامتا ..

كل منا يستريح فوق صدر الآخر .

كل منا يسترد انفاسه ..

كل منا عاد الى الآخر ..

وابعدنى عنه فى رفق .. ونظر الىّ ، وابتسامته اكبر ، وحزنه اكبر .. ثم اخذنى من يدى ، واجلسنى على الأريكة .. وقال كأنه يهمس :

ــ وحشتينى ..

قلت وانا ارخى عينى :

ــ وانت كمان ..

قال :

ــ انتى خسيتى ..

ورفعت عينى الى وجهه ، وقلت :

ــ وانت كمان ..

قال وهو يبتسم ابتسامة ساخرة ، كأنه يسخر بها من نفسه :

ـ انا كان لازم اخس اكتر من كده .. انما علشان خاطرك قررت انى ابطل خسسان ..

قلت وانا لا انظر اليه :

ـ انا تعبت قوى يا هاشم ..

قال :

ـ وعملتى ايه ؟

قلت :

ـ هربت ..

وارتفع حاجبام دهشة ، وقال :

ـ هربتى ورحتى فين ؟

قلت :

ـ جيتلك ..

وترك يدى من يده ، وقال وهو ينظر الى بوز حذائه :

ـ بس ده مش حل ..

قلت كانى اهم بالبكاء :

ـ ما لقيتش حل غير كده .. انت ما تعرفش بيعملوا فى ايه ..

واخذت أروى له ما حدث لى .. وهو يسألنى ، ويستزيدنى من التفاصيل .. ثم قال بعد أن قلت له انى قررت أن اهرب من البيت :

ـ وناويه تعملى ايه ؟

قلت :

ـ ناويه أقعد هنا على طول ..

ونظر فى وجهى ، وقال فى هدوء :

ــ ده مش حل ..

قلت وأنا أنظر اليه كأنى أتهمه بأنه لا يحس بمشكلتى :

ــ أمال الحل اليه ؟

قال :

ــ الحل انك ترجعى البيت ، وتفضلى فيه لغاية ما توصلى للى انتى عايزاه ..

قلت :

ــ ولا اشوفكش .. مش كده ؟

قال فى هدوء وهو يضغط أصابعه بعضها ببعض :

ــ المشكلة مش انك تشــوفينى ، ولا ما تشوفينيش .. مشكلتك دلوقتى انك تختارى الحياه اللى انتى عايزاها ..

ونظرت اليه كأنى أحاول أن ارى شيئا خلف عينيه . ثم قلت ؛ وقلبى يرتجف :

ــ هاشم .. قول لى بصراحه .. انت لسه بتحبنى ؟

ونظر الىَّ نظرة سريعة ، ثم عاد ينظر الى اصابعه ، وقال :

ــ مش عارف ..

وارتعش قلبى كعصفور مذعور ، وقلت بصوت مبحوح :

ــ مش عارف ازاى .

وقام واقفا واخذ يتمشى أمامى ، قائلا فى عصبية :

ــ مش عارف حاجه .. مش عارف اذا كنت باحبك ، ولا ما بحبكيش .. انا مش حيران فيكى ، انا حيران فى نفسى .. وحيران فى كل يوم فات علىَّ من ساعة ما عرفتك .. انا حبيتك وانا متصورك بنت صغيره ، بريئه ، قويه ، طيبه .. كانت دى البنت اللى باحبها .. ومره واحده بصــيت لقيت قدامى بنت تانيه .. لقيت قدامى ست لها راجل بيصرف عليها ، وفاتح

لها بيت .. ست قدرت تخبى علىّ سنه بحالها .. وابتديت اشك فى كل يوم من أيامنا .. واشك فى كل كلمه حلوه قلتيها لى .. مش قادر أصدق انى لما كنت بانزل من بيتكم كان راجل تانى بيخش بعدى .. مش قادر أصدق ان كان فيه راجل تانى بيبوسك بعد ما ابوسك .. مش قادر أصدق ان أمك بالشكل ده .. مش قادر أصدق انى كنت مغفل للدرجه دى .. وانك انتى اللى استغفلتينى .. مش قادر .. يمكن لو كنتى قلتيلى على حكايتك من اول يوم ، كنت حبيتك برضه .. حبيتك من غير ما ييجى يوم اكتشف فيه انى كنت مغفل .. انما دلوقتى .. مش قادر اعرف انا باحب مين .. باحب البنت البريئه ولا باحب الست اللى لها راجل تانى .. حيران .. حيران .. عمرى ما احترت أد اليومين دول .. الحيره حاتجننى .. مش عارف اشتغل .. لأول مره باسرح وانا باكشف على عيان .. لأول مره ما بعرفش أنام الا وانا سكران .

وانهمرت دموعى .

دموع صامتة ..

كان يضربنى بالسياط .. ولا أستطيع ان اشكو ، ولا أن اعترض .. فقط أبكى فى صمت .. وتوقف عن المشى ، وجاء الى وركع بجانبى ، وامسك بيدى ، وقال فى لوعة وهو ينظر الى دموعى :

— افهمينى يا نجوى .. ارجوكى تفهمينى .. انا محتاج لمساعدتك اكتر ما انتى محتاجه لمساعدتى .. وانا عارف انك كويسه .. مش ممكن تكونى وحشه .. مش ممكن تكونى قصدتى انك تخدعينى ، ولا تخبى عنى .. انما لازم تعذرينى يا نجوى .. لازم تعرفى ان المشكله مش مشكلتك .. انتى مالكيش مشكله ،

لأنك تقدرى تختارى .. تقدرى تقولى أيوه .. وتقدرى تقولى لا .. انما المشكله مشكلتى أنا .. لأنى مش قادر أختار .. مش قادر أقول ايوه ولا اقول لا .. مشاكل الواحد مع الناس لها حل ، انما مشكلته مع نفسه هى اللى مالهاش حل .. وانتى مشكلتك مع امك ومع الراجل اللى انتى عايشه معاه .. مالكيش مشكله مع نفسك ، لانك عارفه انتى عايزه ايه .. وعارفه انك بتحبينى .. انما انا مشكلتى مع نفسى .. مش عارف باحبك ولا ما بحبكيش .. واذا كنت باحبك استسلم لحبك ولا اقاومه .. واذا استسلمت . أتجوزك ، ولا أعيش معاكى من غير جواز .. و ..

ورفعت اليه عينى المبللتين بالدموع ، وقاطعته قائلة :

ــ أنا ما طلبتش انك تتجوزنى يا هاشم ..

وصرخ وهو يقفز من ركعته ويلقى بنفسه على المقعد العريض :

ــ انماانا كنت عايزا اتجوزك .. كنت باحبك حب مالوش نهايه الا الجواز ..

قلت :

ــ ودلوقتى ؟

قال وهو يلهث :

ــ ما اعرفش ..

قلت :

ــ انا حافضل قاعده هنا لغاية ما تعرف .. اقعد يوم .. شهر .. سنه .. انا باحبك يا هاشم .. باحبك .. ما اقدرش استغنى عنك .. ومش عيزه منك حاجه الا انك تحبنى ..

قال في صوت خافت كأنه يحادث نفسه :

ـ لا ..

قلت :

ـ لا .. ايه ؟

قال :

ـ ما تقعديش هنا .. البنت اللى حاتقعد هنا مش هى البنت اللى حبيتها .. وتبقى ما عملتيش حاجه .. تبقى ما تغيرتيش .. زى ما كنتى قاعده مع عبد الفتاح ، حاتقعدى معايا .. لو كنتى بتحبينى ما تعمليش معايا اللى عملتيه مع راجل تانى .. اذا كنت بتحبينى لازم حبك يخلق منك واحده تانيه .. واحده تانيه خالص ..

قلت ودموعى تزحف على خدى كأنها تسعى اليه لتغسل قدميه :

ـ انا مش ممكن حا اكون معاك زى ما كنت مع عبد الفتاح ، انا ..

وقاطعنى :

ـ مش حاصدق .. ما تنسنيش انى باشك فيكى .. مش حا احس انك بتضحى بحاجه يوم ما تسيبى أهلك وتيجى تقعدى معايا .. كل اللى حا احس بيه انك متعوده على كده .

وأحسست كأنه طعننى بسكين باردة فى قلبى ، وترنحت فى جلستى ، واسندت ظهرى على مسند الأريكة ، حتى لا أقع ، ثم تنهدت كأنى ابتلع دمى المنزوف ، وقلت وانا أستسلم لليأس :

ـ انت مش عايزنى يا هاشم ..

وقام من مكانه وجاء بجانبى ووضع ذراعه على كتفى وقال وهو ينظر فى عينى :

ـ يا ريت .. يا ريت أحس انى مش عايزك .. ما فيش يوم فات على حسبت فيه أنى مش عايزك .. ما اقدرتش أكرهك .. ما اقدرتش احقد عليكى .. ما اقدرتش اقنع نفسى انى اقدر استغنى عنك ..

قلت وانا اسند راسى على صدره :

ـ وما اقدرتش تسامحنى ..

قال وهو يضغطنى اليه فى رفق :

ـ ما اقدرتش انسى .. ما فكرتش انى اسامحك ، انما حاولت انى انسى .. ما قدرتش ..

ورفعت اليه وجهى وهمست وعيناه تتوسلان اليه :

ـ انس يا هاشم .. انس ..

وشفتاى قريبتان من شفتيه ..

وانحنى يلمس شفتى .. لمسهما لمسة خفيفة .. ثم ضمنى اليه بعنف وقبلنى بكل شفتيه .. ثم عادت شفتاه ورقتا .. امتلأنا بالحنان .. قبلنى .. كأنه يمسح فوق جرحى برفق .. وانا محتارة فى قبلته .. وأريد ان اهيم فى عنفه ، فيفاجئنى برقته ..

وسحب شفتيه من بين شفتى ، وقال وأنفه الكبير يصطدم بأنفى ، وابتسامة حزينة مسكينة بين شفتيه :

ـ تعرفى انى حيران ابوسك ازاى ..

قلت وصدرى يمتلىء بالبكاء :

ـ ما تعذبنيش يا هاشم .. انا اتعذبت كفايه ..

ونظر الى بكل عينيه .. ثم سقط على شفتى بكل شفتيه .. يقبلنى فى عنف .. كأنه ينتقم منى .. كأنه ينفث فى كل عذابه .. وشفتاه عصبيتان .. وذراعاه عصبيتان .. وأصابعه عصبية تزحف على ظهرى وتندس بين طيات شعرى ، ثم تجذبه فى

قسوة .. وانا مستسلمة لعصبيته ، وعنفه ، وقسوته .. اريد ان انسى نفسى .. أريد ان انسى عمرى كله ..

وفجأة تركنى ..

قام من جانبى .. ووجهه محتقن .. وانفاسه لاهثة .. ثم اسند راسه على حائط الغرفة .. ثم استدار واخذ يضرب الحائط بقبضة يده ، وهو يردد :

ــ لا .. لا .. لا ..

واعتدلت فى جلستى .. وساويت ثوبى .. وساويت شعرى .. ثم وضعت رأسى بين كفى ، واستسلمت لليأس ..

وقال هاشم وقد هدات انفاسه ، واستدار الىّ ووقف مستندا بظهره الى الحائط :

ــ ده مش حل ..

ورفعت إليه عينىّ اليائستين ، وقلت :

ــ هو فيه حل ؟ !

قال :

ــ لازم يكون فيه حل ..

قلت :

ــ تفتكر ايه الحل ..

قال :

ــ اننا نبتدى نعرف بعض من أول وجديد ..

قلت :

ــ ازاى ؟ .

قال :

ــ ما نتقابلش هنا فى الشقه .. نتقابل فى أى حته بره ..

وندى لنفسنا وقت لغاية ما احبك زى ما انتى ، مش زى ما كنت متصورك ..

وسكت ..

لم أتكلم ..

واقترب هاشم منى .. عاد وجلس بجانبى .. وقال وهو يمسك بيدى ويبتسم لى :

ـ كل ده علشان باحبك يا نجوى .. لو ما كنتش باحبك ما كانش بقى فيه مشكله خالص ..

قلت له وانا ابتسم من خلال يأسى :

ـ عارفه ..

قال :

ـ كل اللى حصل ان حبى اتهزا .. اتصدم .. استنى عليه لغاية ما يفوق من الصدمه ، ويرجع زى ما كان ..

قلت :

ـ انا مش حا احس انى باستنى ، لأنى باحبك حتى وانت مهزوز ..

وابتسم قائلا :

ـ وتوعدينى ؟

قلت :

ـ بايه ؟

قال :

ـ بانك تساعدينى .. ومش حاتقدرى تساعدينى الا اذا اقنعتينى بانك بنت قويه .. حياتك كلها قوية .. اقوى من ظروفك .. واقوى من امك ..

قلت :

ـــ اطس .. انا مصممه ..

قال :

ـــ وانا اوعدك ، انى حا احاول انى ارجع زى ما كنت ..

قلت :

ـــ اوعدنى انك مش حا تكرهنى حتى لو ما قدرتش ترجع زى ما كنت ..

قال :

ـــ انتى عبيطه .. انا باحبك يا مجنونه .. اكرهك ازاى ..

وابتسمت له ابتسامة تقطر دمعا ..

ثم قمت واقفة واتجهت الى الباب ..

وقال وهو يقوم معى :

ـــ حا تروحى فين دلوقتى ؟

قلت :

ـــ مش عارفه ..

قال .

ـــ حا ترجعى البيت ؟ !

قلت :

ـــ مش عارفة .. حا ابقى اتصل بيك ، وقول لك انا فين ..

قال :

ـــ علشان خاطرى ترجعى البيت ..

قلت وانا احس بكل قوتى .. بكل شخصيتى :

ـــ سيبنى اتصرف يا هاشم .. انا عارفه ظروفى كويس .. واطمئن ..

قال :

ـــ زى ما انتى عايزه ..

ونظرت فى وجهه .. ان خط الالم لا يزال يشق جبينه .. وبصمات الحيرة تحت عينيه .. ووجهه النحيل ينضح بالعذاب ..
وفتح لى الباب ..
والتفت اليه قائلة :
ـ قلت لأختك على حكايتى ؟
قال وهو يحنى راسه فى أسى :
ـ لا ..
قلت :
ـ ليه ؟
قال :
ـ ما اقدرتش ..
ونظرت اليه فى اشفاق كأنى أمده ببعض قوتى ، ثم لمست خده بشفتى .. وخرجت ..
ولم افكر طويلا ، الى اين اذهب ..
كنت أعرف اين أذهب ..
ذهبت الى أمى الحقيقية فى الوايلية . واستقبلنى اخواتى والفرحة تزغرد على وجوههن الضاحكة .. والتففن حولى يهللن كعادتهن .. ويصرخن :
ـ أبله نجوى جت .. أبلة نجوى جت ..
لكنى ابتسمت لهن ابتسامة حزينة ، وتطلعت بعينى أبحث عن أمى ..
وجاءت أمى بجينها السمح البشوش ، وهى ترحب بى بابتسامة كبيرة حلوة ، كأن كل قطعة منها تضحك :
ـ أهلا ببنتى حبيبتى .. أهلا بست الكل ..
وقلت وأنا أرد ضحكتها بابتسامتى المهمومة :

ــ عايزه أقعد معاكى شوية يا ماما ..
واختفت ابتسامتها ، وقالت فى جزع :
ــ تعالى يا حبيبتى ..
ثم التفتت الى اخواتى قائلة :
ــ باللا يا بنات .. خشوا أودتكم .. سيبونى انا ونوجا لوحدنا شويه .
ثم أخذتنى من يدى ودخلت بى الى حجرتها .. وقلت وانا اجلس على حافة السرير :
ــ اسمعى يا ماما .. أنا جايه النهارده علشان أقعد هنا على طول .. عندك مانع ..
قالت :
ــ مانع !! مانع ايه يا بنتى .. ده بيتك يا حبيبتى .. وأنا أمك .. بس مش اعرف السبب .. أصل ما فيش حد يسيب فيلا فى شارع الهرم وييجى يقعد فى الوايليه الا بسبب .. سبب مهم ..
وسكت .. ابتلع ريقى ..
وعادت أمى تقول :
ــ برضه أختى عزيزه مضيقه عليكى وكاتمه نفسك ؟
قلت :
ــ اكثر من كده ..
قالت :
ــ ايه بس يا حبيبتى طمنينى ..
قلت :
ــ تعرفى عمى عبد الفتاح ..
قالت :

— طبعا يا بنتى .. فيه حد ما يعرفوش ..
قلت :

— تعرفى ان هو اللى بيصرف علىَّ ..
قالت وهى تخبط على صدرها :

— يصرف عليكى ليه بأه يا بنتى .. دى أختى عزيزه غنيه .. عندها معاش جوزها . وعشر فدادين .. وبيت فى السبتيه .. مش محتاجه ..
قلت :

— بس عبد الفتاح هو اللى بيصرف .. هو اللى بيدفع ايجار البيت .. وهو اللى اشترالى العربيه .. وهو اللى بيلبسنى .. هو كل حاجه ..
قالت وعيناها تتسعان :

— غريبه .. وليه بأه الصرف ده كله ..
قلت وانا أرخى عينى عنها :

— لأنه متجوزنى ..
وصرخت وهى تخبط على صدرها :

— بتقولى ايه .. متجوزك .. متجوزك ده ايه .. ده راجل أد أبوكى .. دى بنته اكبر منك .. قولى كلام غير ده يا نجوى يا بنتى ..
قلت :

— متجوزنى .. و ..
قالت تقاطعنى وهى تصرخ وعيناها تنطقان بالغضب :

— ويتجوزك ازاى من غير ما اعرف .. هو انا مش امك .. هو انا مت .. ولا كنت مت ..
قلت :

ـ وياربته متجوزنى .. ده مرافقنى .. يعنى عايش معايا من غير جواز ..

وقفزت واقفة ، وكل خلجة من وجهها تصرخ كأنها جنت .. وأمسكتنى من كتفى واخذت تهزنى بعنف وهى تصيح :

ـ ايه اللى بتقوليه ده يا بنت .. ما كتبتوش عقـد .. ما جيبتوش مأذون ..

قلت وانا مستسلمة لهزاتها العنيفة :

ـ لا ..

قالت :

ـ ورايح جاى من غير جواز ..

قلت :

ـ ايوه ..

قالت :

ـ يعنى انتى مش بنت ..

قلت :

ـ لا ..

وصرخت :

ـ يا خرابى .. يا مصيبتى فى بنتى .

واندفع اخوتى الى الغرفة على صوت صراخ امى .. فنظرت اليهن كالمجنونة وعادت تصرخ :

ـ اطلعوا بره .. امشوا من هنا ..

ثم اغلقت الباب علينا ، وهى تقول كأنها تخاطب اختها :

ـ والله عال يا عزيزه يا اختى .. بأه اديكى البنت تقومى تاخديها تشغليها على الرجاله ، وتكسبى من شرفها .. اشحال

انا ما عندى عندك عشر فدادين .. اخص عليكى يا عزيزه .. اخص عليكى .. طيب لما اشوف .. والنبى لوريكى ..

ثم فتحت دولابها الفقير .. واخرجت معطفها وجلست على حافه السرير تلبس الجورب والحذاء .. وقلت لها :

— رايحه فين ..

قالت :

— رايحه لست عزيزه .. رايحه للست المحترمه الكباره ..

ثم التفتت الىّ بعينيها المجنونتين وقالت كأنها تصرخ :

— الراجل ده لازم يتجوزك على سنة الله ورسوله ..

قلت :

— مش عايزم اتجوزه ..

قالت :

— تتجوزيه غصب عنك .. ويتجوزك ورجله على رقبته ، والا والله وسيدنا الحسين أعمل له فضيحه بجلاجل .. هو فاكرنا ايه .. اكمننا فقرا .. فقرا انما شرفا .. و ..

وفجأة .. سمعنا خبطا على باب الشقة ..

ودخلت أمى ..

امى الثانيه ..

كان على وجه أمى عزيزة صرخة غضب .. كل خط فى وجهها المكرمش يصرخ بالغضب .. غضب ينضح بالغيظ .. وركزت عينيها المحتدتين المنطلقتين بالشرر ، فوق وجهى .. وصرخت :

— انتى فاكره إنى حافضل طول عمرى اجرى وراكى ، وامسك من كل حته شويه .. اتفضلى قدامى .. قومى انجرى .. و ..

وقاطعتها أمى الحقيقية ، وقد وقفت بينى وبينها منتصبة ،

تنظر اليها فى تحد قوى كأنها مستعدة أن تذبحها لو وضعت يدها علىّ ، وصرخت هى اخرى :

ــ حيلك يا ست عزيزه هانم .. حيلك يا ست يا نقيه ياللى بنعرفى ربنا .. حيلك شويه .. فهمينى .. ايه حكاية سى عبد الفتاح بيه ..

وارتجت أمى فى وقفتها كأن حجرا ثقيلا سقط فوق رأسها وارتعشت نظرتها الغاضبة ونظرت الىّ كأنها لا تصدق انى افشيت سرى لأمى الحقيقيـــة ، ثم قالت وقد بدأ صـــوتها يتخـــاذل وينكمش :

ــ ماله عبد الفتاح بيه ..

وعادت أمى الحقيقية تصرخ :

ــ ماله يعنى ايه .. بأه أديكى بنتى علشان تملا عندكى بيتك ، تقومى تاخديها تتاجرى بيها .. تبيعيها للرجاله .. اشحال اذا ما كنتيش غنيه وعندك عشر فدادين ..

وجلست أمى عزيزة على حافة السرير كأنها ستجلب من طولها ، وقالت وصدرها يلهث بأنفاسها :

ــ نوجا هى اللى قالت لك كده ! ؟

وقالت أمى الحقيقية :

ــ أيوه هى اللى قالت لى .. وكان لازم تقوللى من زمان لولا تربيتك المهببه ..

وقالت أمى عزيزة وهى تتنهد ورأسها منكس :

ــ هو الجواز بيقى اسمه بيع يا خديجه يا ختى ..

وقالت أمى خديجة :

ــ وده جواز ده ..

ورفعت أمى عزيزة عينيها كأنها قررت ان تخوض المعركة الى اخرها وقالت :

ـ ايوه اسمه جواز .. جواز محلله ربنا .. جواز عرفى ..
ونص ستات البلد واللى احسن من نوجا متجوزين جواز عرفى .
وصرخت امى خديجة :
ـ وانا بنتى تتجوز جواز عرفى ليه .. ناقصها ايه علشان
تتجوز جواز عرفى ..
وردت امى عزيزة :
ـ الراجل ظروفه كده .. ماكنش ممكن يتجوز الا جواز
عرفى ..
وصرخت امى خديجة :
ـ يعنى ايه ظروفه كده .. واحنا مالنا ومال ظروفه .. ذنب
بنتى ايه فى الظروف دى ..
وقالت امى عزيزة :
ـ راجل متجوز وله مركزه .. حايعمل ايه يعنى ..
وقالت امى خديجة :
ـ يتلم ويرحم بنات الناس .. ولا يعنى يدور يشتريهم
بفلوسه .. دى عمله تعمليها يا عزيزه يا ختى .. يا عزيزه
يا كباره ..
وقالت امى عزيزة وهى تحاول ان تتغلب على احساسها
بفضيحتها :
ـ وانا عملت ايه يعنى .. عملت ايه غير انى حبيت اعيش
بنتى زى احسن بنت فى البلد .. جوزتها راجل غنى .. فاتح
لها سرايه .. ومركبها عربيه .. وملبسها اشكال والوان ..
انتى فاكره العشر فدادين يكفوا العيشه اللى عايشاها نوجا ..
ده ايرادهم ما يكفيش حساب الخياطة ..
وقالت امى خديجة :

ــ ولما انتى ما عملتيش حاجه .. خبيتى عنى ليه ؟ ..
وقالت أمى عزيزة :
ــ كان الشرط كده .. ان ما حدش يعرف ..
وقالت أمى خديجة :
ــ ولا انا ! ؟
وقالت أمى عزيزة :
ــ ولا انتى ..
وقالت مى خديجة وهى تصرخ :
ــ ده انا امها يا عزيزة ..
وقالت أمى عزيزة فى تحد كأنها تدافع عن حياتها :
ــ انا امها .. انتى شيلتيها تسعة أشهر .. وانا شيلتها عشرين سنه .. ابقى انا أمها ..
وقالت أمى خديجة وهى تنظر الى أمى عزيزة فى ضرت واحتقار :
ــ لو كنتى أمها ما كنتيش عملتى فيها كده ..
وقالت أمى عزيزة :
ــ لو كنتى امها كان زمانها عايشه فى الفقر اللى انتى عايشه فيه ..
وقالت أمى خديجة :
ــ انتى اللى فقيره .. الفقير هو اللى ناقصه حاجه .. وانا مش ناقصنى حاجه والحمد لله .. بناتى ما فيهمش واحده متجوزه فى السر .. واللقمة بتكفينا .. الدور والبقيه على اللى عينهم فارغه .. انما الحق علىّ أنا .. ورينى الورقه ..
وقالت أمى عزيزه كأنها دهشت :
ــ ورقة ايه ؟
وصرخت أمى خديجة :

ـ ورقة الجواز .. امال احنا بنتكلم فى ايه من الصبح ..

وقالت أمى عزيزة وهى تخبط على فخذها بيدها وتتنهد كأنها تشد حبال الصبر :

ـ مش معايا ..

وصرخت أمى :

ـ يعنى ايه مش معاكى .. لازم أشوفها ..

وانتفضت أمى عزيزة واقفة وصرخت وهى تشوح بيدها :

ـ أنتى فاكره حامشى وأنا شايله ورقة جـــواز بنتى فى شنطتى .. ده أنا نسيت أشيل شنطه .. خرجت من البيت زى المجنونه ..

وانا واقفه فى ركن الغرفة وراء ظهر أمى خديجة ، وأحس بنوع من الشماتة فى أمى ، كأنى انتصرت عليها ، كأنى أقف وراء مدفع يدمرها ..

وعادت أمى خديجة تقول :

ـ اسمعى يا عزيزه يا اختى .. نوجا لازم تتجوز الراجل ده جواز شرعى .. تتجوزه قدام الناس .. افرضى انه سابها .. يبقى اللى حاييجى يتجوزها بعد كده ، مش لازم يعرف حكايتها .. ولا حاتقول له ايه .. حانقول ايه لما يلاقى البنت مش بنت ..

وابتسمت أمى عزيزة ابتسامة مرة ساخرة ، وقالت :

ـ والله عبد الفتاح ماله ذنب فى الحكاية دى ..

وصرخت أمى خديجة :

ـ يعنى ايه مالوش ذنب ..

وقالت عزيزة وهى تنظر الى كأنها تعايرنى :

ـ هو أنا عملت كده الا من غلبى منها .. على كل حال سيبى الحكاية دى على أنا ..

وقالت أمى خديجة فى اصرار :

ــ ما سيبهاش .. بنتى لازم تتجوز جواز ربنا .. هى مش اقل من حد .. لو كان الملك حتى لازم يتجوزها قدام الناس .. والا والله العظيم اعمل له فضيحه من هنا لرب السما .. دلوقتى ما بقيتش انتى لوحدك .. لازم تعرفى كده ..

وقالت أمى عزيزة كأنها تسخر من جهل امى خديجة :

ــ ونوجا ترضى تتجوز قدام الناس !

وقالت أمى خديجة :

ــ تتجوزه غصب عنها ..

وقالت امى عزيزة :

ــ ما فيش حاجه بالغصب .. يوم ما اجوزت عبد الفتاح جواز عرفى .. ما غصبتش عليها .. مضت على الورقه بخط ايدها ..

وصرخت وانا واقفة فى ركن الغرفة ، ادافع عن نفسى :

ــ انتى عارفه أنا كنت حالتى شكلها ايه ..

وقالت امى عزيزة :

ــ حالتك .. المهم ان ما حدش غصب عليكى ..

وقالت امى خديجة :

ــ وافرضى ان الراجل غواها .. ولا ضحك عليها .. دى بنت صغيرة ، وما تعرفش .. المهم انتى يا ست عزيزه .. سبتيها للراجل ليه ..

وقالت أمى عزيزة وهى تنظر الىّ والى امى الثانية كأنها تسخر منا :

ــ والنبى بلاش كلام فاضى .. المهم ان الست نوجا دلوقتى عايزه تتجوز واحد تانى ..

وقالت امى بسرعة :

ــ وماله .. ما دام بتحبه .. مش قصدك الدكتور هاشم ؟

قالت أمي عزيزة :

ــ هي حكت لك كمان عن الدكتور هاشم ..

وقالت أمي كأنها تتباهى بأنها تعرف كل شيء :

ــ طبعا .. حكت لي .. حكت لي من زمان ..

وقالت أمي عزيزة ساخرة ووجهها المكرمش ينضح بالغيظ والقسوة :

ــ بس المهم ان البيه الدكتور مش عايز يتجوز .. بقاله سنه داخل خارج .. وياخد البت في العربيه ويغيب بالساعتين والتلاته .. ولغاية دلوقتي ما جبش سيرة الجواز على لسانه .

وصرخت وانا انظر اليها في غيظ :

ــ أنا ما قلتلش انى عايزه اتجوز هاشم ، ولا انه عايز يتجوزني .. انتى اللى بتقعدى تدبرى فى خطط .. ومن فضلك ما تغيريش الموضوع ... احنا دلوقتى بنتكلم عن عبد الفتاح .. خلصونى الأول من عبد الفتاح ، وبعدين ابقوا اتكلموا عن هاشم ..

وقالت أمي عزيزة :

ــ سمعتى يا خديجه .. ياه ده اسمه كلام .. نسيب راجل قبل ما نعرف حانعمل ايه مع التانى .. مش الواحد قبل ما يخطي بشوف حايحط رجله فين ؟

واهتزت رموش أمي خديجة كأنها بدأت تحتار ، ثم قالت فى عناد :

ــ ايه اللى يحط رجله وما يحطش رجله .. هى بيع واشترى .. نوجا لها حق .. المهم وقبل كل شيء ، اننا نشوف حل لدى عبد الفتاح بتاعك ..

وقالت أمي عزيزة :

ـ حاضر .. نشوف حل .. بس لو قعدنا نتكلم كده للصبح ، مش حانلاقى لا حل ولا ربط ..

ونظرت الىّ من فوق راس امى الثانية .. واستطردت قائلة :

ـ ياللا يا نوجا .. نروح دلوقتى .. وبكره الصبح يحلها حلال ..

وقلت وانا انظر اليها فى تحد :

ـ أنا مش حاروح معاكى .. انا مش حادخل بيتك تانى .. خلاص ، ما بقتش بنتك .. انا رجعت لأمى ..

ونظرت الىّ وسحابة صفراء تتخلل تجاعيد وجهها المكرمش ، ثم عادت تجلس على حافة السرير وقالت وهى تتنهد فى تعب حقيقى :

ـ باه اسمعى يا نوجا .. انا ما بقاش فىّ .. قومى خلينا نروح بأمن الله .. واللى انتى عايزاه يتعمل ..

قلت فى اصرار تتجمع فيه كل ارادتى :

ـ يعنى لا .. انا حاقعد هنا .

واحسست برنة الاصرار فى صوتى ، ونظرت الىّ وعيناها تشهقان .. ثم عادت ونظرت الى امى خديجة ، وقالت كأنها تتوسل اليها :

ـ عقليها يا خديجه يا اختى ..

وقالت أمى وهى تنظر الى أختها فى عطف :

ـ ده بيتها يا عزيزه .. عايزانى أعقلها اقول لها ايه .. أقول لها امشى اطلعى من بيتك ..

وانطلقت نظرات مجنونة من عينى امى عزيزة ، وصرخت :

ـ انتم حا تجننونى .. بتعذبونى ليه .. بتعملوا فىّ كده ليه .. أنا ما سبتش بنتى لحد ..

واستمر صراخها ..

وانا مصرة على موقفى .. لن اذهب معها .. وكلما ارتفع صراخها ، ازددت تشبثا ، وامتلأت بقوة اكبر على الاصرار .

وامى خديجة تعطف على اختها حينا .. وتكاد تهم بأن تطلب منى ان اذهب معها .. ثم تعود وتعطف على وتؤيدنى فى موقفى ..

واخيرا انتفضت امى واقفة .. ووجهها ممتقع ، كأنى صفيت كل دمائها . وانطلقت خارجة ، وهى تصرخ :

ــ طيب خليكى .. اما اشوف آخرتها معاكى ايه ...

ثم عادت والتفتت الىّ واستطردت فى صراخها :

ــ اما اشوف اخرتها معاكى ايه انتى وسى هاشم بتاعك ..

وازاحت اخوتى الذين كانوا متجمعين خلف الباب ، واندفعت خارجة من البيت وهى ترتعش فى مشيتها ..

وفى هذه اللحظة تأكدت انى اقوى منها ..

اقوى منها بحاجتها الىّ ..

بحبها لى ..

وقد تجمع اخواتى حولى بعد ان خرجت امى عزيزة .. وحاولن ان يرفهن عنى بضحكاتهن .. وجئن بالطبلة واخذن يرقصن لى .. وحاولت ان اندمج فى مرحهن ورقصهن .. ولكن افكارى كانت تغلبنى .. فأسرح .. وامى ايضا كانت تسرح معى .. وتعشينا .. اكلنا سمك مقلى ارسلت امى فى شرائه من سوق الوايلية ، احتفاء بى .. واجتمعنا كلنا حول المائدة الموضوعة فى الصالة .. نتخاطف السمك بأيدينا ، وندب اصابعنا فى طبق الطحينة .. واكلت كثيرا .. وضحكت كثيرا .. ولكنى كنت اعود فى لحظات واسرح .. وتنقطع ضحكتى .. ويتوقف فكى عن المضغ .. وتصرخ اختى الكبيرة :

ـ ممنوع السرحان .. الليلة سمك .. لبن .. تمر هندى ..
وأعود اضحك ..

ثم نام اخوتى .. وجلست انا وامى فوق سريرها .. واخى الصغير نائم بجانبنا .. ثم جاءت أختى الكبيرة وجلست معنا .. نتحدث فى حكايتى ، ونعيد ما نقوله .. واسرح .. ثم بدأت اشعر بالضيق .. انها الليلة الأولى فى حياتى التى اقضيها فى بيت أمى .. الليلة الأولى التى اقضيها خارج بيتى .. وشعرت ليلتها ان بيت أمى ليس بيتى .. بيتى هناك فى شارع الهرم .. وبدأت افتقد اشياء كثيرة .. سريرى .. مخدتى .. مرآتى .. قميص نومى .. زجاجات العطر المصفوفة بجانب المرآة .. فرشاة أسنانى .. الحمام .. و ..و .. انى احس أنى فى العراء .. لا لأن بيت أمى فقير .. ولكنى لم اتعود على الفقر .. وكان يجب أن اقاوم هذا الاحساس .. احساسى بالغربة .. احساسى بأنى لست مرتاحة .. وساعدتنى طيبة قلب أمى ، وخفة دمها على المقاومة .

ونمنا ..

أمى ، واخى الصغير ، وأنا ، فى سرير واحد ..

وأرقت ..

كنت احس طول الليل كأنى ممددة على خيط أدق من الشعرة ، أخاف أن اغمض عينى فأتحرك ، واقع من فوقه ..

ولكنى نمت فى الساعات الأولى من الصباح .. نمت من التعب ..

وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى ، فوجئنا بأمى تدخل ومعها عبد الفتاح .. كنا جميعا لا زلنا بقمصان النوم .. وجرت اخواتى البنات وهن يتضاحكن ودخلن حجرتهن .. ووقفت

امى تستقبل عبد الفتاح وهى بجلباب النوم ، وفوق كتفيها شال وعيناها مرتبكتان مبهورتان كأنها لا تصدق أن رجلا عظيما مثل عبد الفتاح يمكن أن يتنازل ويدخل بيتها ..

وقالت وهى تنظر الى امى عزيزة فى لوم :

ــ مش كنتى تدينا خبر يا عزيزه يا اختى ..

ووقفت بجانبها وانا بقميص النوم .. انظر فى وجه عبد الفتاح وقد ازداد زرقة . وفى وجه امى ، وقد ازداد كرمشه وصفرة .. ولم الق اليهما بتحية الصباح .. بقيت انظر اليهما فى صمت .. وعبد الفتاح ينظر الىّ نظرة مرتعشة كأنه يعاتبنى . وأمى تنظر الىّ نظرات فيها غيظ مجنون .. ثم خطوت أمامها صامتة ، ودخلت حجرة أخى الكبير ، واغلقت بابهــا ورائى بالمفتاح ..

وامى عزيزة تصيح خلفى :

ــ عجايب .. شوفوا البنت قليلة الادب .. مش هاين عليها تقول صباح الخير ..

ومضت أكثر من ساعة وانا جالسة وحدى فى غرفة اخى اتخيل ما يمكن ان يقوله عبد الفتاح لأمى خديجة .. انه قادر بخبثه وهدوء اعصابه أن يقنع السيدات العجائز .. قادر على ان يثير أطماعهن الساذجة .. ويحركهن فى طريق اغراضه .. فهل يستطيع ايضا ان يثير اطماع امى خديجة ، كما اثار اطماع أمى عزيزة .. هل لأمى خديجة هى اخرى اطماع ولو كانت على حساب سعادتى .. هل تختلف الأم الحقيقية عن الأم بالتبنى ...

وبعد أكثر من ساعة طرقت امى خديجة على باب غرفتى ، وسمعت صوتها الحنون :

ـ اخرجى يا نوجا .. عايزينك ..
قلت :
ـ مش حاخرج الا لما الضيوف ينزلوا ..
قالت :
ـ ما نبقيش كده يا نوجا .. بلاش عند .. افتحى ..
قلت فى اصرار :
ـ مش حافتح ..
قالت :
ـ علشان خاطرى .. افتحى بس .. نتفاهم يا حبيبتى ..
وصرخت :
ـ مش حافتح .. مش حافتح .. اتفضلوا اكسروا الباب ..
وسمعت صوت عبد الفتاح هادئا خبيثا :
ـ مش ضرورى يا خديجه هانم .. ابقى افوت عليكم مره ثانيه ..
وقالت أمى خديجة :
ـ والنبى أنا مكسوفه قوى يا سى عبد الفتاح بيه .. انما اعذرها يا اخويا أصلها واخده على خاطرها شويه ..
وصرخت من داخل الغرفة :
ـ وماما عزيزه كمان تنزل قبل ما افتح الباب ..
وصرخت امى عزيزة بعلو حسها :
ـ انتى بتطردينا يا بت .. والا فاكره انى عايزه اشوف خلقتك .. الحق على أنا .. ده انا لو كنت ربيت تعبان كان عمر فيه ..
ولم أرد ..
ولكنى احس بقلبى ينقبض .. انى لا أستطيع ان اقسو

عليها الى هذا الحد .. ولكنى يجب ان اقاوم .. يجب أن اقاوم الى حد القسوة ..

وسمعت صوت أقدام عبد الفتاح وأمى عزيزة ، وهما يخرجان من البيت .

وفتحت الباب ..

واخذتنى امى الى حجرتها ، وقلت لها وعيناى ملؤهما الشك :

ــ خير ..

وقالت امى وهى تنظر الىّ كأنها تحاول أن تمسح عنادى :

ــ والنبى الراجل بيتكلم كلام معقول ..

ونظرت اليها والغيظ يكاد يخنقنى .. الغيظ من عبد الفتاح ، وقلت فى حدة :

ــ طبعا قالك انه كان مضطر يتجوزنى فى السر علشان شغله ، ولانه كانت كل أملاكه باسم مراته .. وانه مستعد يضمن مستقبلى .. ومستعد يعلن جوازنا بعد شهرين تلاته .. وعرض عليكى انه يديكى شقه فى العماره بتاعته .. مش كده ..

ونظرت الىّ امى فى دهشة وقالت :

ــ ايش عرفك انه قال ده كله ؟

قلت وانا لا زلت محتدة :

ــ انا عارفاه .. واحب اقول لك انه مش حايعلن جوازنا .. ده بس بيقول كده علشان ارجع له .. مش مستعد يعمل اى حاجه الا انه يدفع فلوس .. فلوس بس .. واقول لك اكتر من كده .. انا متأكده انه مش متجوزنى خالص حتى ولا فى السر .. الورقه اللى مضيتها مش ممكن تكون ورقة جواز .. انتى قريتها .. ماما عزيزه جابتها لك !؟

وقالت امى خديجة ووجهها يمتقع :

ـ لا .. ما شفتهاش ..

قلت :

ـ ولا انا شفتها .. انا مضيت من غير ما اقراها .. ما اعرفش فيها ايه .. يمكن تكون ورقة فاضية ضحكوا بيها على .. وكل ما اقول لماما عزيزه توريهالى .. ما ترضاش ..

وقالت امى خديجة ووجهها يمتقع :

ـ طيب بس يا بنتى .. اقعدى ..

واجلستنى بجانبها على السرير ، وقالت :

ـ تمتكرى ايه العمل دلوقتى ..

قلت ودموعى تنطلق من عينى :

ـ مش ممكن ارجع له يا ماما .. مش ممكن .. حتى لو حط تحت رجليه مال قارون .. ده حرام .. حرام ..

قالت :

ـ خلاص يا بنتى .. ما فيش حاجه غصب عنك .. بس حاتعملى ايه بعد كده ؟

قلت :

ـ حااقعد عندك هنا على طول ..

قالت :

ـ بس صعبان على تتمرمطى معانا بعد ما اخدتى على العز .. ده كل اخواتك بيحسودك على اللى انتى فيه ..

قلت :

ـ انا باتمرمط هناك اكتر .. وانا باحسد اخواتى اكتر ما بيحسدونى ..

قالت :

ـ وهاشم ؟ ..

قلت كأنى فوجئت :

ــ ماله هاشم ..

قالت وهى تبتسم لى :

ــ ما أنا اللى فهمته إن هو اللى غير مخك ..

قلت وأنا ألتقط دموعى بأصابعى :

ــ هو اللى فتــح عنيه .. هو اللى حسسنى بانى كنت عايشه زى الحيوانه .. حيوان جميل بيلبسوا فيه ويزوقوه .. انما برضه حيوان .. ما اقدرش دلوقت ارجع حيوانه تانى ..

قالت :

ــ يعنى موقفه ايه ؟

قلت :

ــ ما اعرفش ..

قالت :

ــ ما تعرفيش ازاى .. لازم تعرفى ..

قلت :

ــ كل اللى اعرفه انى باحبه ..

قالت :

ــ وهو ؟

قلت :

ــ بيحبنى .. انا متأكده انه بيحبنى ..

قالت :

ــ وعارف حكايتك ؟

قلت :

ــ كلها ..

قالت :

ـ ومستعد يتجوزك ..
قلت :
ـ ما اعرفش .. اصله ما عرفش حكايتى الا اليومين دول ..
وسكتت أمى .. ثم قالت بعد برهة :
ـ والنبى أنا خايفه يا نوجا .. الحكايه ملعبكه قوى ..
قلت :
ـ ما تخافيش .. المهم انى أبقى بنت كويسه .. وحابقى ..
قالت :
ـ ربنا يستر ..
ثم اخذتنى بين ذراعيها وضمتنى الى صدرها فى حنان كبير ، وقالت بعد برهة ، وهى تضحك :
ـ انا ما كنتش يا بت فاكره انى باحبك للدرجه دى .. ده اتارى البعيد عن العين ، قريب من القلب .. قومى ياللا اغسلى وشك والبسى فستانك ، ووريني حلاوة بنتى ..
قلت :
ـ بس بعد ما اساوى اودتك ..
قالت ضاحكة :
ـ ابدا .. لا يمكن .. احنا حانفضل محترمينك تلات ايام لغاية ما تاخدى على الجو ، ونبتدى نشغلك ..
وفى المساء ..
عادت أمى عزيزة ..
عادت كما يعود العاشق المهجور .. عيناها مجنونتان .. ووجهها أكثر من كرمشة واكثر صفرة .. وحاولت ان تعيدنى الى البيت .. ولكنى رفضت .. واصرررت على الرفض .. ووضعت شروطى .. ان تمزق الورقة التى تحمل توقيعى .. وأن يخرج

عبد الفتاح من حياتى .. وأن تتركنى حرة ، وتعاملنى على انى فتاة فى الحادية والعشرين لا على انى فتاةقاصر .. وأن ادخل الجامعة . والا تتدخل بينى وبين هاشم ..

ورفضت أمى جميع الشروط .. كبرياؤها ، وعنادها ، رفضا الخضوع .. وكانت تعتمد فى رفضها على انى لن اطيق حياه الفقر فى الوايليه .. وانى قد احتمل يوما او يومين ولكنى لن احتمل اكثر من ذلك بعد ان عودتنى على الحياة المرفهة ..

وقد بدات اعانى فعلا من حياة الفقر .. اشياء كثيرة تنقصنى .. والزحام فى البيت يكاد يخنقنى .. وكل شىء فوضى .. الثياب ملقاة فى الأرض .. والمقشة فوق السرير .. وحذائى كل فرده منه فى غرفة .. واخى الصغير يأخذ قلم الكحل ويرسم به على الحائط .. ان الفقر لا يحتمل النظام .. النظام يكلف غاليا .. وانا قد تعودت على النظام .. ومضت ايام لا استطيع ان ارتدى ثيابى .. ولا أن اتجمل .. ولا اعرف كيف أستحم فى ماء صفيحة الغلية بعد ان كنت أستحم فى البانيو .. ولكنى أقاوم .. كل دقيقة فى يومى أحس انى اقاوم شيئا .. واحس انى فى حاجة لكل ارادتى حتى اقاوم ..

وليس فى البيت تليفون ..

لا استطيع ان اتصل بهاشم ، الا اذا حادثته من تليفون الصيدلية التى تقع فى اول شارع الوايلية ..

وحادثته مرة بعد ان مضت خمسة ايام لم اسمع فيها صوته .. وكان حديثا عاجلا لم استطع ان اقول له خلاله شيئا .

وبعد خمسة ايام طلبت من ماما خديجة أن تسمح لى بالخروج للقائه .. لم اكن اريد ان اخدعها او اكذب عليها .. ولم اكن

حتى هذااليوم قد خرجت من البيت .. اكثر من عشرة أيام لم اخرج فيها من الغرف الثلاث ..

وقالت أمي خديجة في دنان وابتسامة كبيرة على شفتيها :

ــ وحشتك ...

قلت :

ــ موت ..

قالت :

ــ خدى معاكي حد من اخواتك ..

وفرحت ..

وفرحت اكثر لاني ساصحب معى واحدة من اخواتى .. خيل الىّ انى سأتباهى بأختى امام هاشم .. ان احساسى بانى اعيش فى عائلة كبيرة وان لى اخوة واخوات ، احساس جديد على .. يفرحنى ..

واتصلت بهاشم فى التليفون ، وطلبت منه ان يلقانى فى سيارته عند اول شارع الملك فى الساعة الثالثة بعد الظهر ..

ووقفت اخواتى البنات يساعدننى فى زينتى قبل ان أخرج .. كلهن يعلمن انى ذاهبة للقاء هاشم .. وكلهن يعلمن ان هاشم حبيبى ..

وفوجىء هاشم عندما راى معى اختى الصغيرة سميرة .. لمحت المفاجأة فى عينيه وهو ينحنى ليفتح لى باب السيارة .. ثم انقلبت نظرة المفاجأة الىنظرة شك .. لعله اعتقد أنى جئت معى باختى بناء على خطة موضوعة .. انه يشك فىّ ، وقد سبق ان صرح لىّ بأنه يشك فىّ منذ صرحت له بقصتى ..

وخط الألم يشق جبينه .. وبصمت الحيرة تحت عينيه .. وابتسامة باهتة فوق شفتيه ..

وقاد سيارته ، وانا بجانبه ، واختى سميرة فى المقعد الخلفى .. ونظر الىّ كأنه لا يدرى ماذا يقول امام اختى ..

والتفت الى سميرة ، وقلت لها حتى يعلم انها تعرف كل شيء ..

ــ اهو ده الدكتور هاشم يا ستى .. عجبك ..

وقالت سميرة :

ــ ده هايل .. احلى من وصفك..

واتسعت ابتسامة هاشم قليلا ..

وانطلقت سميرة تقول :

ــ دى ابله نجوى بتحبك قوى يا دكتور .. طول النهار والليل بتكلمنا عنك ..

وقال هاشم وهو ينظر الىّ نظرة سريعة :

ــ وانا كمان باحبها قوى .. بس مش لاقى حداكلمه عنها ..

ونظرت اليه ودمائى تتصاعد الى وجنتى ..

ومرت بيننا فترة صمت طويلة .. وانا مرتبكة ، لا ادرى لماذا .. ولكنى أحس بشيء كالضباب يتجمع بينى وبين هاشم .. وسميرة اختى مرتبكة .. تنطق بكلمات لا معنى لها كلما ضايقها ارتباكها .. وهاشم مرتبك يخفى ارتباكه تحت صمته ..

ووصلنا الى مصر الجديدة ، واوقف هاشم السيارة فى طريق المطار ، واستدار نحوى ونظر الىّ من خلال صمته ، ينتظر منى أن اتكلم ..

وتكلمت ..

قلت له ما جرى لى منذ رايته آخر مرة .. انطلقت اروى له كل التفاصيل دون ان اخشى وجود سميرة معنا .. فسميرة تعرف كل شيء .. لا يمكن اخفاء شيء فى بيت أمى خديجة .. ان الغرف الثلاث اضيق من أن تضم سرا ..

وهاشم يستمع صامتا . .ويقطع صمته احيانا بكلمة او كلمتين تعليقا على كلامى . . ثمقال بعد ان قلت له كل شيء :

ــ انا مش عارف اعمل ايه يا نجوى ؟

قلت وانا ابتسم له لعلى ابدد ارتباكه :

ــ ما تعملش حاجه . . انا حا اعمل كل حاجه . .

قال :

ــ بس انا حاسس اننا بنبعد عن بعض قوى . . ما بتقدريش تشوفيني . . وما بتقدريش تكلميني في التليفون . . وانا ما بقدرش اتصل بيكي . .

قلت :

ــ معلهش . . .استحمل اليومين دول يا هاشم . .

قال :

ــ انا باقعد اتخيل حاجات كتير . . خيالى بيوديني وبيجيبني . . وبتوحشيني . .

قلت :

ــ وانت بتوحشني اكتر . . واعمل معروف ما تتخيلش حاجه . . انا ماباخبيش عنك حاجه . . كل حاجه انت اعرفها . .

وابتسم ابتسامة مسكينة ، وقال :

ــ حاضر . . مش حاتخيل . .

وادار محرك السيارة ، وعاد بنا . .

وقالت سميرة فجأة ونحن نقترب من مدخل شارع الوايلية :

ــ انت مش حاتتجوز ابله نجوى يا دكتور . .

وقال هاشم وقد فوجيء :

ــ يا ريت يا سميره . .

والتفت اليها وقلت وانا افتعل الغضب :

ـــ اسكتى يا بت ..
وعادت سميرة تقول فى تحد :
ـــ انتم مش بتحبوا بعض .. خلاص .. اتجوزوا ؟
وضحك هاشم ، ضحكة كبيرة عصبية ..
وعدت أقول لها :
ـــ اسكتى بااقول لك .. أحسن والله أوريكى شـــغلك فى البيت ..
وضحكت سميرة ، ضحكة القلب الخالى السعيد بصباه ..
ونزلنا فى شارع رمسيس ، والتفت الىّ هاشم قبل ان أنزل . وقال وهو ينظر الىّ بعينين حانيتين :
ـــ مش عايزه حاجه ..
وقلت وانا انظر فى حنان .. حنان كبير .. كأنى أمه :
ـــ لا .. مرسى ..
قال :
ـــ وحاشوفك ازاى ؟
قلت :
ـــ حابقى أتصل بيك ..
واحتفظ بيدى فى يده برهة ، ثم قال بصوت خافت :
ـــ مع السلامة ..
وانطلق بسيارته .. بعيدا ..
كان لقاء فاترا .. مرتبكا .. احسست خلاله بأن هاشم ابتعد عنى اكثر .. ورغم ذلك فقد شعرت بهدوء نفسى .. اشـــعر بالسكينة .. واشعر بقوتى بل اشعر انى اصبحت اقوى من هاشم .. اقوى بوضوح الطريق امامى .. أقوى بارادتى .. وعدت الى البيت .. واناأشد تصميما على موقفى ..

والتف حولى اخواتى البنات يسألننى فى مرح عما جـرى بينى وبين هاشم .. وسميرة تحكى لهن .. وتصرخ .. ده هايل .. مدهش .. نفسى لما اكبراحب واحد زيه .. وضـحكاتهن ونكاتهن تجعلنى أرتفع فوق مشاكلى .. واضحك معهن .. واحس بنفسى كأنى اميرة .. كأنى عروس .. ان الحياة اجمل وأسهل عندما نعيش مع اخواتنا ..

وامى عزيزة تأتى لزيارتنا كل صباح .. واحيانا تأتى فى الصباح والمساء .. وتتوسل الى أن أعود الى بيتها .. وتحاول حينا ان تذكرنى بأبى المشلول وتشدنى من قلبى الملهوف عليه ، لاعود .. وحينا تهددنى .. ولكنى أصر .. ولا أتزحزح .. يجب ان تنفذ شروطى أولا .. والملح الهزال يدب فى عودها .. ووجهها يزداد كرمشة .. أحس كأنى ثقبت ثقبا فى قلبها تنزف منه .. وتجف .. صبحت كعود الخشب .. انها تحبنى .. لن تستطيع أن تعيش بدونى .. ولكنها تقاوم .. لا تريد أن تتنازل عن عنادها .. لا تريد أن تبدو ضعيفة امامى ..

وعبد الفتاح ايضا جاء الى البيت اربع مرات .. ولا اكاد اراه حتى ادخل غرفة اخى واغلق على نفسى بالمفتاح .. وامى حديجة تستمع الى كلامه فتقتنع .. ثم تستمع الى كلامى فتقتنع ايضا .. ولا تدفعنى الى شىء .. انها واقعة فى حيرة .. حيرة كبيرة ..

ومضى أكثر من خمسة عشر يوما ، لم أستطع خلالها ان احادث هاشم فى التليفون الا مرتين .. هذه الكلمات السريعة المرتبكة . التى لا نشبع ..

ثم كان يوم ..

واتفقت مع أختى الكبيرة على ان امر عليها فى مقر الشركة التى

نعمل بها فى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر .. لنذهب سويا ونطوف بالدكاكين .

ونلزت من البيت فى الواحدة والنصف .. واتصلت بهاشم فى عيادته فلم اجده .. ربما عاد الى بيته .. واتصلت به فى البيت فلم اجده .. ربما ذهب لعيادة أحد مرضاه .. ووجدت نفسى اتجه الى الزمالك .. الى شقته .. لم اتعمد ان اذهب الى هناك لأبحث عنه ، ولكنى ذهبت فقط لأمر من امام الشقة التى شهدت مأساة حبى ..

وفوجئت عندما رايت سيارته امام باب العمارة ..

— ولا ادرى كيف افسر شعورى ساعتها ..

لقد ابتسمت أولا ابتسامة هادئة .. كأنى اشاهد ابنى وهو يلعب .. ثم احسست بنفسى ابتسم ابتسامة ساخرة .. كأنى أسخر من الرجل الذى احبه .. ثم بدأ قلبى ينبض شيئا فشيئا . ثم بدأت أشعر بصاروخ من النار يندلع فى صدرى .. وهممت ان اصعد الى الشقة .. ولكننى لم اصعد .. ربما كان جالسا فى الشقة وحده ، يشرب فنجال القهوة كعادته .. ورغم ذلك لم اجرو على ان اصعد الى الشقة .. ولكننى صممت ان انتظر الى ان اتأكد من انه فى الشقة وحده .. واخذت امشى حول العمارة بحيث لا يغيب بابها عنى .. واتلكأ حول فوانيس النور .. واتظاهر بأنى ابحث عن عنوان .. وطول الوقت وانا احاول أن اقنع نفسى بأنى مجنونة .. وانى يجب ان أعود .. ولكننى لا استطيع .. ونظرات البوابين تلاحقنى .. ونظرات المارة تلقى على وجهى كأنها قطع الطوب .. ثم وجدت دموعى تنهمر على خدى .. صامتة .. غزيزة ..

وحاولت أن أوقف دموعى ..

فلم أستطع ..

ثم انتظرت ..

ساعة .. ساعتين .. ثلاثا .. لا ادرى .. ولكنى انتظرت الى أن رأيت من خلال دموعى فتاة تخرج من العمارة ، لم أر ملامح وجهها .. بل لم أرلون شعرها ، ولا لون ثوبها .. ولكنى احسست أن هذه الفتاة بالذات هى التى كانت مع هاشم .. وتتبعتها بعينى الى أن رأيتها تركب تاكسى من عند موقف التاكسيات فى أول الطريق .

وبعد خمس دقائق خرج هاشم من العمارة .. وركب سيارته ، ومر من امامى دون أن يرانى .. لم تكن تبدو عليه السعادة .. ولكن كان يبدو عليه الانهاك .. وجهه ممصوص .. وشعره اكثر بياضا ..

وسرت اتعثر فى دموعى ، وركبت تاكسى الى بيتنا فى الوايلية .. كان موعدى مع أختى قد ضاع ..

واستقبلتنى أختى فى البيت غاضبة ثائرة ، لانى اهملت موعدها .. ولم أرد عليها ..

واستقبلتنى أمى جزعة لأنى تأخرت .. ولم أرد عليها ايضا .. وجلست بجانبى تنظر فى لوعة الى آثار دموعى فوق خدى ، ثم قالت :

— انتى شفتى الدكتور هاشم ..

وقلت كأنى اخاطب نفسى :

— أيوه شفته مع واحده تانيه ..

ومصمصت أمى شفتيها ، واسندت راسها على يدها ، وصمتت برهة ، ثم قالت نجاة كأنها قررت أن تزيح شيئا عن صدرها :

— وانا كمان شفته ..

قلت :

ــ امتى .. النهارده ! ؟

قالت :

ــ لا .. أول امبارح ..

قلت :

ــ فين ؟ ..

قالت :

ــ فى عيادته .. رحت له بنفسى ..

قلت صارخة :

ــ رحتى له ليه ؟

قالت :

ــ علشان اطمئن يا بنتى .. كلمته بصراحة .. قلت له ان بنتى متعلقه بك قوى .. ومن حقى انى اعرف اذا كان ناوى على جواز ولا مش ناوى ..

وشعرت بدمائى تغلى ، وقلت وانا اكتم بخار الدم المغلى :

ــ وقال لك ايه ؟

قالت وهى تخفى عينيها عنى :

ــ قال انه بيحبك .. انما ما يقدرش يفكر فى الجواز دلوقتى ..

وصرخت :

ــ انتى مجنونه .. انتى زى ماما عزيزه .. كلكم مجانين .. ما حدش فيكم فاهمنى .. ما حدش فيكم بيرحمنى .. انتم مالكم ومالى .. ومالكم وماله .. مين قال لكم انى عايزه اتجوز ..

وقالت امى :

ـــ انا أمك يا نوجا . .ولازم اطمئن .. مااقدرش اشوفك بتعملي ده كله ، من غير ما اعرف اخرة ده كله ايه ..

وتملكتني نوبة عنيفـــة من العناد ، وقلت لها في صوت كالصراخ :

ــ اسمعي .. اذا كان هاشم مش حايتجوزني ، فمش معنى كده انى ارجع لعبد الفتاح .. ولا ارجع شارع الهرم .. واذا كنتي مش مستحملاني في بيتك انا مستعده اخرج منه دلوقتي . وانشا الله اعيش في الشارع ..

وصرخت أمي :

ــ ده بيتك يا نوجا .. ده مش بيتي يا حبيبتي .. ده بيت ولادي .. لولا انتم ما كانش بقي لي بيت ..

وحاولت أن تخفف عني .. وقالت لي انها اخفت خبر مقابلته لهاشم عني حتى لا تصدمني .. والتف حولي اخواتي .. كل منهن تحاول أن تضع شيئا حلوا في قلبي .. ولكن كنت قد انقلبت الى كتلة جامدة من العناد .. لم اعد افكر .. لم اعد احس بشيء الا بعنادي .. عنادي في ان أبدل حياتي كلها ..

ومرت عشرة أيام أخرى ..

وجاءت أمي عزيزة ، ووقفت امامي كعود الخشب الذي نخره السوس ، وقالت وكلها ترتعش ونظراتها منهارة :

ــ اتفضلي قومي ارجعي بيتك .. واللي عايزاه حاينعمل .. بس علشان خاطر ابوكي ..ومش حاتشوفي عبد الفتاح بعد كده .. هو كمان مش عايز يشوفك .. وادى الورقه المهببه .

واخرجت من صدرها ورقة، نزعت طرفها الأخير بسرعة ، واعطته لي قائلة :

ــ مش دي امضتك .. اتفضلي كليها .. ولا بليها واشربي ميتها ..

ثم بسرعة .. اخذت تمزقباقى الورقة فى عصـــبية قطعا صغيرة .

مزقتها قبل أن يقراها احد ..

ربما كانت ورقة بيضاء ..

من يدرى ..

وانا انظر اليها فى دهشة .. وشك .. اخاف ان اصدقها ..

وهى واقفة منتصبة كعود الخشب الذى نخره السوس . وعيناها تطلان من خلال وجهها المكرمش وفيهما نظرات ضعيفة مستسلمة ..

وقمت والقيت نفسى بين ذراعيها ..

وبكيت ....

واحسست بها تبكى معى ..

انى احس عندما ارى ماما عزيزة تبكى ، كانى ارى جبلا من الصخر يذوب ! ..

عدت الى البيت ..

انى غريبة فى كل بيت الا فى هذا البيت .. انى غريبة حتى فى بيت امى الحقيقية وبين اخواتى .. اما هنا .. فانى فى بيتى .. سريرى .. دولابى .. مرآتى .. شبشبى .. لقد احسست عندما وضعت قدمى داخل شبشبى ، انى وضعتهما فى مكانهما ..

واستقبلنى ابى كأن الحياة ردت اليه .. التمعت عيناه المطفأتان .. وانتعشت وجنتاه الذابلتان .. ومد ذراعه السليمة الى ، وخيل الى ان ذراعه المشلولة كاد تتحرك .. وانطلقت همهمات فرحة من تحت لسانه المتحجر ، كأنها زغاريد مخنوقة ..

والقيت نفسى على صدره ، وانا اردد :

ـــ انا آسفة يا بابا .. آسفه .. سامحنى ..

وضمني بذراعه السليمة ، واخذ يمسح على شعرى بيده . وشفتاه الذابلتان راقدتان على خدى ..

ويقيت بجانبه طول النهار .. اروى له حكايات مرحة عن الحياة فى بيت أمى الحقيقية ، وهو ينظر الىّ بعينين مبتسمتين ساهمتين . كأنه فاهم كل شىء ، ولكنه لا يستطيع أن ينطق ..

وأمى تروح وتجىء فى البيت تتظاهر بالنشاط .. نشاط مفتعل .. ان خطواتها ليست قوية كما تعودتها .. ونظراتها ليست حازمة آمرة كما كانت .. وصوتها مهزوز كأنها لم تعد تدرى ما تقول .. والهزال والتعب يبدوان عليها ..

.. ولم تستطع أن تستمر طويلا فى التظاهر بالنشاط فجاءت وجلست على الأريكة فى حجرة ابى ، وتنهدت تنهيدة حارة كأنها قررت أن تستريح بعد كل هذا العمر الطويل .. ونظرت الى نظره طويلة فيها ظل فرحتها بعودتى اليها ، وفيها بعض اللوم كأنها تلومنى على قسوتى عليها فى حين انى أعلم أن لا حياة لها بدونى ..

ولم تتكلم ..

ظلت صامتة ، كأنه لم يحدث شىء بيننا يستحق الكلام .. كأنها تريد أن تتجاهل كل ما حدث بيننا .. كل قصتى ..

وفى المساء ، بعد أن نام ابى ، جاءت الى حجرتى ، ولم تجلس فى فراشى كعادتها ، بل جلست على المقعد الموضـــوع بجانب المرآة ، ونظرت الىّ وبين شفتيها ابتسامة مرتعشة ،وقالت :

ــ اسمعى يا نوجا .. انا تعبت خلاص .. ما بقاش فىّ .. كبرت يا بنتى واتهديت .. ومن هنا ورايح انتى ست البيت .. انتى اللى تمسكى كل حاجه .. و ..

وقاطعتها فى لهفة حقيقية :

ـ ما تقوليش كده يا ماما .. انتى الخير والبركة .. و ..
وقاطعتنى هى الأخرى :
ـ سيبينى اكمل يا حبيبتى .. شوفى .. انا محوشه تلات الاف جنيه .. وآدى انتى عارفه ايراد الأرض وايراد البيت .. ومعاش ابوكى .. والصيغه بتاعتك وبتاعتى .. واتصرفى انتى باه .. انتى حاتمسكى المصروف .. ما ليش دعوه بحاجه .. عيشينا زى ما انتى عايزه .. انتى كبرتى ومابقتيش صغيره ..
قلت :
ـ انتى لسه زعلانه منى يا ماما ؟
قالت وهى تخفى عينيها عنى :
ـ أدايا نوجا .. بس انا كنت باتصرف على انك لسه صغيره .. البنت يا نوجا عمرها ما بتكبر فى عين أمها .. ما كنتش قادره احس ان باه عندك واحد وعشرين سنه .. انا اللى كنت غلطانه ..
قلت وانا اقترب منها :
ـ لا يا ماما .. ما حدش فينا كان غلطان .. اللى حصل حصل .. وانا آسفه اللى زعلتك .. ومن هنا ورايح نبتدى من اول وجديد .. وكل حاجه حاتبقى حلوه ..
قالت :
ـ باذن الله يا بنتى ..
ثم تنهدت واستطردت قائلة وهى تقوم من على مقعدها :
ـ اما اقوم انا باه ..
قلت فى جزع :
ـ مش حاتنامى جنبى ؟
قالت كأنها عاشق يتدلل :
ـ لا .. حا انام جنب ابوكى ..

قلت وأنا أقترب منها وأحيطها بذراعى :

— علشـــــان خاطـــرى يا ماما .. اخص عليـــكى .. ما وحشتكيش ! ...

وضمتنى الى صدرهافى حنان ، ودموعها تطل من عينيها ، وقالت فى صوت مبهور :

— وحشتينى يا حبيبتى .. وحشتينى قوى ..

وخيل الىّ لحظتها أن وجهها المكرمش .. قد انفرد .. وأشع بنور الحنان .. نور الأمومة ..

ونمت ليلتها بين ذراعيها ..

نمت ملء جفونى ..

كأنى لم أنم طوال الخمسة والعشرين يوما التى مضت .

وخطرت على خيالى صورة هاشم قبل أن أنام ، ولكنى لم أكد أهم بأن أفكر فيه حتى غلبنى النوم .. كأنى غبت تحت تأثير البنج .. كنت متعبة .. أيام كثيرة من التعب مرت بى ..

واستيقظت فى الصباح ، واستيقظت معى صورة هاشم الراقدة فى خيالى ..

ودخلت الحمام واستلقيت فى البانيو .. وحاولت أن أرخى أعصابى فى الماء الفاتر ، وأن أتمتع بحمامى ، بعد كل هذه الأيام التى كنت فيها أستحم بماء صفيحة الغلية .. ولكنى لم أستطع .. لم أحس بحلاوة الماء الفاتر .. كان كل فكرى منطلقا وراء هاشم .. وكل أعصابى مشدودة اليه ..

ان هاشم لا يعلم حتى الآن انى عدت الى بيت شارع الهرم ..

لم أتصل به لأقول له ما حدث ؟

لم أتصل به بعدما رأيته يخرج من الشقة وراء فتاة أخرى ؟!..

واحسست بصاروخ النار ينطلق من صدرى من جديد .. صاروخ الغيرة ، صاروخ الكرامة المحروقة ..

لا .. لن اتصل به ..

ليكن هذا هو نهاية ما بيننا ..

ولكن ..

اذا كان من حقى أن أغار عليه ، فليس من حقى أن أغضب منه .. ليس من حقى أن ألومه .. فأنا التى خدعته .. أنا التى أعطيته فتاة مزيفة ليحبها .. ومن حقه بعد أن عرف خدعتى أن يعتبر نفسه حرا .. من حقه أن يتحرر منى .. بل من حقه أن يحاول التحرر من حبى ..

انى لست غاضبة منه ..

لن الومه ..

بالعكس .. ان من حقه علىّ أن اشكره .. أن أعترف بفضله .. لقد أعاد ثقتى فى الحب .. منحنى حبا كبيرا نقيا .. جعلنى أؤمن بأن الحب موجود فى حياتنا .. وعندما آمنت بالحب .. آمنت بنفسى .. بقوتى .. واستطعت عندما آمنت بنفسى ، أن انقذها .. أن انتشلها من الطريق المظلم الذى كنت مندفعة فيه .

انه رائع ..

لقد رد الىّ حياتى ..

ورغم ذلك مرت أيام كثيرة دون أن اتصل به .. كنت كلما حاولت أن اتصل به تغلبنى كرامتى المجروحة .. فاذا ما قررت الا اتصل به غلبنى حبه واحساسى بفضله .. كنت أحس بفضله علىّ كلما شممت رائحة النقاء فى حياتى .. وأحيانا كنت اقول لنفسى ان من حقه علىّ أن اساعده على نسيانى .. فانى لم أعد أصلح له .. لا اصلح له ليتزوجنى ، وما دمت لا أصلح لزواجه .

فانى لا أصلح لحبه .. وخير طريقة أساعده على نسيانى الا أتصل به .. ولكنى كنت لا أكاد اتصور انه يستطيع أن ينسانى حتى اجن ..

وفى هذه الأيام بدأت أعاود الاتصال بزميلاتى القدامى فى المدرسة الثانوية .. قلت لهن انى كنت مريضة طوال هذه المدة . وانى نلت شهادة الثانوية العامة من البيت .. وبدأت أزورهن ويزرننى .. وأحسست أنى أسترد عمرى .. اضحك ضحكات عمرى .. واهمس همسات عمرى .. ثم بدأت أستعد لدخول الجامعة .. وقررت أن التحق بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية لأنها كلية جديدة .. ولأن صديقتى نعمت التحقت بها .. ولأن مجموعى يكفى للالتحاق بها .. وشغلنى حماسى للالتحاق بالجامعة .. والطريق واضح أمامى .. طريق زاه نظيف .. وأمى أيضا أصبحت تزهو بأنى سألتحق بالجامعة ، وتتباهى بى أمام صديقاتها أكثر مما كانت تتباهى بثيابى ومصاغى . وسألتنى بعد أن اخترت كلية الاقتصاد والعلوم السياسية :

— ودى تطلعي منها تشتغلى ايه ؟

— أطلع اشتغل فى السلك السياسى .. واترقى وابقى سفيره .. وبعدين ابقى وزيره ..

وقالت أمى والسعادة تلمع على وجهها :

— طيب أما نشوف يا ست يا وزيره ..

وفى يوم جاءت أمى الىّ وفى عينيها نظرة مرتعشة ، وقالت والكلمات ترتعش على شفتيها :

— أنا عايزه أقول لك حاجه يا نوجا ..

ونظرت اليها فى دهشة وقلت :

— خير ..

قالت وهى لا تنظر الىّ :

ــ عبد الفتاح بيه بقاله مده بيضرب تليفون .. و ..

قلت اقاطعها :

ــ وما قلتليش ليه ؟

قالت وهى تجلس على المقعد من ضعفها :

ــ خفت منك ..

قلت :

ــ وعايز ايه ؟

قالت :

ــ عايز يشوفك .. وحلف لى مش عايز حاجه الا انه يشوفك ، ويتكلم معاكى كلمتين ..

قلت :

ــ ورايك ايه ؟

قالت وهى تنظر الى نظرة سريعة ثم تعود وتخبىء عينيها منى :

ــ رايى رايك .. انا قلت له انى دلوقتى سايبالك كل حاجه ..

قلت وانا ازم شفتى كانى استجمع بينهما كل قوتى :

ــ لما يتكلم تانى ابقى قولى له يتفضل ..

وجاء عبد الفتاح فى اليوم التالى ..

واستقبلته فى الصالون كأى ضيف .

وجهه الأزرق الصلد ، قد لان وخفت زرقته .. وعيناه الحازمتان الجشعتان تبدو فيهما الطيبة وقد غلبت الجشع .. وابتسامته الذكية الخبيثة تبدو مستسلمة مسكينة .. وقام واقفا يصافحنى وينظر فى وجهى بعينين قلقتين .. لم يضغط على يدى وهو يصافحنى .. بل لم يبق يدى فى يده اكثر من اللازم ..

ونظرت اليه بكل عينى .. قوية .. عنقى مفرود يتبـــاهى برأسى ..

وقال وهو ينظر بين يديه وكأنه لا يدرى من اين يبدأ الكلام :

ــ عزيزه هانم قالت لى انك قدمتى فى الجامعه ..

قلت :

ــ ايوه .. كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ..

قال :

ــ ما كنتى دخلتى كلية التجارة .. مستقبلها اضمن واوسع ..

قلت كأنى اتحداه :

ــ لأ .. أنا فضلت كلية الاقتصاد .

وضحك ضحكة صغيرة وقال :

ــ انا كنت عايز آخدك معـــايا فى الشركة .. تبقى مديرة حسابات ..

قلت :

ــ مرسى ..

ونظر الى كأنه دهش من شخصيتى الجديدة .. واستمر حديثنا عن الجامعة .. وامى تشترك معنا .. الى أن أصـــبح حديثا فارغا ، نعيد فيه ونكرر .. وكل منا يحس بالحـــرج والسخافة .. كل منا يحس أن هناك شيئا آخر يجب أن نتحدث فيه ..

الى أن نظر عبد الفتاح الى امى وقال لها فى رقة مفتعلة :

ــ تسمحى تسيبينى انا ونجوى شويه يا عزيزه هانم ..

ونظرت الى أمى كأنها تسألنى رأيى .

وقلت وانا اعتدل فى جلستى كأنى استعد لمعركة :

ــ انت عارف انى ما بخبيش حاجة على ماما يا عمى .. وضغطت على لفظ « عمى » كأنى أعنيه واصر عليه ..

وقال عبد الفتاح :

ــ عارف .. بس .. اصلى ..

وسكت دون ن يتم ..

واحسست كأنى اشفق عليه .. وقلت لأمى :

ــ طيب سيبينا شويه يا ماما .

ونظرت الىّ امى فى دهشة ، ثم نظرت الى عبد الفتاح ، ثم قالت تلتمس لنفسها عذرا :

ــ اما اقوم اشوف ابوكى ، يمكن عايز حاجه ..

وقامت تجر قدميها .. وتمشى فى تعب ..

وخرجت ..

وقال عبد الفتاح وراسه مدلى فوق صدره ، وعيناه معلقتان فوق سجادة حجرة الصالون ، ويفرك احدى يديه بالأخرى :

ــ انا عارف ان كل اللى بيننا انتهى ..

قلت وانا جالسة متحفزة :

ــ فعلا ..

قال :

ــ بس فاضل حاجات كتير لازم تفضل بينا ..

قلت فى قسوة :

ــ زى ايه ؟

ونظر الىّ كأنه يلومنى على قسوتى ، وقال :

ــ انتى ما كنتيش اى واحده بالنسبه لى يا نجوى .. لو كنتى اى واحده ما كنتش عملت لك كل ده ، ولا فضلت معاكى المده دى

حلها .. أنا عرفت ستات كتير ، انما ما حبتش الا انتى .. أنا كنت باحبك يا نوجا .. ولسه باحبك ..

ونظرت اليه كأنى حائرة فيه ، ثم قلت وأنا استجمع ارادتى حتى لا أشفق عليه :

ــ أظن كل ده انتهى .. والكلام ده ما بقالوش لازمه دلوقتى .

وعاد ينظر الى فى لوم ، وقال فى صوت محشرج :

ــ اللى فاضل بيننا هو انى أشوفك سعيده .. واشوفك ناجحه .. تأكدى ان الحاجه الوحيده اللى ممكن تخفف عنى انى اشوفك سعيده ..

وصدقته ..

لا ادرى لماذا .. ولكنى صدقته ..

وقلت وقد خفت حدتى :

ــ باذن الله حاكون سعيده .. وانجح ..

قال وهو يبتسم بتسامة صغيرة طيبة :

ــ انتى كنتى بتناديني يا عمى .. وكل اللى أنا عايزه منك انك تعتبريني عمك فعلا .. عمك بصحيح .. وانتى عارفه ان باباك عيان .. ومامتك كبرت وتعبت .. ولازم يبقى جنبكم راجل تعتمدوا عليه .. وكل اللى انا عوزه انى أبقى انا الراجل ده .. ابقى عمك .. ومسئول عنكم ..

قلت :

ــ مرسى يا عمى .. على كل حال أنا اقنعت ماما بأننا نعيش على قدنا .. وايرادنا يكفى اننا نعيش كويس ..

قال :

ــ أنا ما بتكلمش عن الفلوس بس .. أنا باتكلم عن كل حاجه .. مش كتير عليكى انك تعتبرينى عمك ..

قلت .

ــ أبدا .. مش كتير .. أنا حا اعتبرك عمى فعلا ..

قال فى حماس وابتسامته تتسع :

ــ ما هو لازم تعرفى انى كرجل اعمال يهمنى ان كل حاجه أدخل فيها تنجح .. وانا دخلت عيلتكم ولازم اطمن انها عيله ناجحه .. وعيلتكم يعنى انتى . انتى لاز متنجحى يا نوجا .. لازم تنجحى فى ى حاجه تعمليها .. اذا اتجوزتى لازم تنجحى .. اذا دخلتى الجامعه لازم تنجحى .. مش معنى ان علاقتنا اتغيرت انى مش عايزك تنجحى .. أبدا .. زى المصنع بتاعى بعد ما اتأمم ، لسه باتمنى له النجاح .. والحكومه شغلتنى فيه علشان انجحه .. انتى كمان بافترض انك اتاممتى .. انما برضه لازم اكون مسئول عن نجاحك .

قلت وانا اضحك :

ــ باه انا زى المصنع يا عمى ؟ ! ..

قال فى صوت ينبض بالصدق :

ــ المصنع وانتى ، الحاجتين اللى حبيتهم فى حياتى ..

ثم استطرد كأنه نسى شيئا :

ــ واولادى ..

ولم ادر ماذا اقول .. ولكنى قلت وانا لا انظر اليه :

ــ اطمن يا عمى .. حانجح ..

وقال وهو ينظر الى كأنه يتوسل :

ــ اذا كنتى اعتبرتى اللى فات غلط ، فعذرى انى كنت فاهم الحياه كده .. وكنت فاهم ان الحب كده .. واذا اختلفنا فى الفهم فمش معنى كده انى وحش .. انا مش وحش يا نوجا . تأكدى انى مش راجل وحش ..

قلت فى صوت خفيض :

ــ اذا كان اللى فات غلط ، فهى غلطتنا كلنا ..

ونظر الىّ بعينين حانيتين تطلان من خلال وجهه الأزرق :

ــ خلاص حا تعتبرينى عمك ؟

قلت :

ــ خلاص ..

قال :

ــ وحاتقوليلى لو عرفتى حاجه ؟

قلت :

ــ باذن الله ..

وقام واقفا وقال وهو يتنهد كأنه ازاح عن صدره عبئا :

ــ اقوم انا بأه ..

ثم اقترب منى ، ومد يده يصافحنى ..

وأبقى يدى فى يده ..

وخيل الىّ انه يحاول ان يقترب اكثر ..

خيل الىّ أنه يهم أن يقبلنى ..

وابتعدت خطوة الى الوراء .. ووقفت امامه منتصبة القامة ورأسى مرفوع .. نظراتى ثابتة .. وسحبت يدى من يده ..

وطافت لمسة حمراء على وجنتيه .. وقال كأنه يدارى ارتباكه :

ــ هى مين عزيزه هانم ؟ !

وجاءت أمى ..

وودعناه حتى الباب ..

وقد صدقت عبد الفتاح .. صدقت أنه يحبنى .. صدقت انه مخلص فى عرض صداقته علىّ .. ولكن داهمنى احساس جارف بالخوف .. خفت اليوم الذى أحتاج فيه اليه .. الى نقوده

.. انى أستطيع أن اكون دائما اقوى منه لو ضمنت انى لن أحتاج اليه ، يجب ن أقتصد فى نفقات معيشتنا .. يجب أن أهجر هذه الفيلا التى نقيم فيها .. واعود الى ست عزيزة الخيـــاطة .. واستغنى عن السفرجى والسائق .. واستغنى عن كل هذه المظاهر الفارغة .. وان أعيش فى حدود دخل ابى وامى .. وهو دخل يكفينا كى نعيش مستورين .. كأحسن ما تعيش أسرة متوسطة ..

ولكن ..

ماذا يقول الناس .. وماذا تقول صديقاتى .. عندما يريننا فجأة ، وقد انتقلنا من فيلا فى شارع الهرم ومن حياة باذخة ، الى شقة كالشقة التى كنا نقيم فيها فى الجيزة .. ان كلام الناس لا يهمنى عندما انتقلت الى شارع الهرم ، ولن يهمنى كلام الناس عندما أعود الى الجيزة ..

وبدات اقنع أمى بأن ننتقل الى شقة متواضعة .. وان نقتصد فى حياتنا .. ولم يكن اقناعها سهلا .. لقد عاشت طول حياتها متعلقة بالمظاهر .. تدعى صلتها بالعائلات الكبيرة .. وتدعى انها غنية . وتكذب وتحتال حتى تتمكن من ان تطل براسها على الطبقة العليا .. ولم يكن ضعفها امام عبد الفتاح ، الا ضعفها امام حبها للمظاهر وتطلعاتها الطبقية .. ولكنها كانت قد ضعفت أمامى .. وكان خوفها من أن تفقدنى مرة ثانية قد جعلها تستسلم لى .. ان حياتها معى فى اى مستوى ، أرحم من أن تعيش وحيدة فى قصر لست فيه .. انا حياتها .. انا ضحكتها .. انا كل اهتمامها .. انا المحور الذى تدور حوله دنياها ودنيا أبى .. انا كل ما بقى لها من معالم الحياة ..

واقتنعت ..

وبدانا فعلا نبحث عن شقة صغيرة ، قريبة من الجامعة .

وفى يوم .. خرجت من البيت لزيارة صديقة لى ، تسكن ايضا فى شارع الهرم .. قريبة من بيتنا .. كنت ذاهبة اليها على قدمى لا فى السيارة .. وما كدت اخطو فى شارع الهرم حتى لمحت هاشم يقود سيارته فى بطء .. وبجانبه فتاة .. وتحولت عيناى بسرعة الى وجه الفتاة .. انها جميلة جمالا لم ار مثله من قبل .. لعلها ليست مصرية .. وصغيرة .. تبدو اصغر منى .. بيضاء وشعرها أسود .. اسود جدا .. تنعكس اشعة الشمس عليه فيبرق فيه شعاع أزرق .. وهاشم ملتفت اليها .. ويتحدث .. يتحدث فى حماس .. ويشرح بيديه .. واصابعه الطويلة الرفيعة تتحرك كأنه يعزف على الهواء لحنا عاطفيا ..

وغلت دمائى ..

سرت النار حتى أطراف اصابعى ..

وقد كنت طوال هذه الأيام التى امتنعت فيها عن الاتصال بهاشم ، اتصوره مع بنات .. وكنت أخفف عن نفسى بمحاولة الاقتناع بأنه ليس من حقى أن اغار عليه .. ويكفينى منه أنه اعطانى حبا انقذ حياتى .. ولكن الخيال ارحم من الحقيقة .. استطيع ان احتمـــل ان اراه بخيالى مع فتاة أخرى ، ولكنى لا استطيع ان أراه مع فتاة اخرى بعينى .

وحاولت ان استمر فى طريقى الى بيت صديقتى ..

ولكنى لم اصل ابدا الى بيت صديقتى .. مشـــيت .. ومشيت .. ساهمة ، احترق بنارى فى صمت .. واحاول ان اقنع نفسى .. ان اصبر نفسى .. ولكن النار اقوى من عقلى .. تكاد تحرق عقلى .. واجن ..

وعدت الى البيت بعد ساعات ..

ووجدت نفسي أرفع سماعة التليفون وانا ساهمة ، كأن هناك قوة اكبر مني تحركني .. وادرت رقم العيادة ..

وسمعت صوته ..

وقلت في صوت منهار ..

ــ ازيك يا هاشم ..

وصرخ بمجرد ان سمع صوتي :

ــ ايه ده يا نجوى .. الناس قبل ما تسيب بعض مش تقول مع السلامه .. ولا اورفوار .. تسيبيني كده من غير ولا كلمه ..

قلت والنار تنطفيء رويدا رويدا :

ــ انا مسبتكش يا هاشم ..

قال في حدة :

ــ امال بقالك اكتر من عشرين يوم ما سألتيش عني ليه ؟ ! .

قلت في هدوء :

ــ اربعه وتلاتين يوم ..

قال وهو لا يزال محتدا :

ــ ولما انتي عداهم ما اتصلتيش بي ليه ؟

قلت :

ــ ظروفي .. مش عارف كان حاصل لي ايه ؟ !

قال :

ــ المفروض انك كنت تقوليلي على اللي بيحصل اول بأول ..

قلت :

ــ ما قدرتش ..

قال :

ــ وبتتكلمي منين دلوقتي ؟

قلت :

ـ انا رجعت بيتنا .. انما اطمن كل حاجه اتغيرت ..

ومرت برهة صمت .. كأنه يفكر .

ثم عدت أقول له وانا احاول الا تبدو فى صوتى ، رعشة قلبى :

ـ أنا شفتك النهارده ..

قال فى دهشة :

ـ فين ؟

قلت وانا أبتسم لنفسى ابتسامة مسكينة :

ـ فى شارع الهرم .

وضحك ضحكة صغيرة ساخرة ، وقال :

ـ علشان كده بتكلمينى ..

قلت :

ـ لا .. كان لازم اكلمك من زمان .. كان لازم أعرف ان مش من حقى انى آخد قرار لوحدى ..

قال وهو لا يزال ساخرا :

ـ انتى خدتى قرار ..

قلت وانا احاول أن ابدو قوية :

ـ أيوه ..

قال :

ـ قررتى ايه ؟

قلت :

ـ اما اشوفك اقول لك .. أشوفك امتى ؟

وسكت برهة .. ثم قال فى تردد :

ـ بكره الساعة اربعه ..

قلت :

ــ فين ؟
قال :
ــ في الشقه ..
قلت :
ــ لا .. بلاش الشقه .. فوت عليّ قدام البيت .. نقعد في العربيه ..

وعاد يسكت برهة ثم قال ساخرا :
ــ هو ده القرار اللى اتخذتيه ؟
قلت :
ــ ارجوك يا هاشم .. و ..
وقاطعنى :
ــ حاضر .. حا افوت عليكى قدام البيت .. زى زمان !

وقضيت الليل وانا اقاوم الانهيار . كنت اعلم انه لم يعد لى نصيب فى هاشم ..

او على الأصح .. لم يعد لى مستقبل معه ..

ان اى علاقة يمكن ان تربطنى بهاشم اليوم ، لا يمكن الا ان تكون مغامرة .. انى احبه .. ولعله لا يزال يحبنى .. ولكن هذا الحب لم يعد يصلح للحياة .. انه حب غيرنى الى فتاة افضل ، ولكنه جعل من هاشم رجلا حائرا ، يشك فىّ . ولا يستطيع ان ينسى انى كذبت عليه عاما كاملا .. لا يستطيع ان يعيش معى .. لا يستطيع ان يفخر ويزهو بى كما كان يفعل .

وانا لا استطيع ان اقدم على مغامرة جديدة .. لا استطيع ان اقلب هذا الحب الكبير الى مجرد مغامرة .. لا استطيع .. ولا استطيع ان الوم هاشم .. وخير لى ان احمل هذا الحب الكبير فى صدرى .. واجتر ذكرياته فى صمت .. ذكرياته الحلوة

الرائعه .. الذكريات التى جعلت منى هذه الفتاة القويه ، وحررتنى من العقد .. ومن يدرى .. لعل جرح قلبى يندمل يوما ما .. أن كل الجروح تندمل حتى الجروح العاطفية .. ان من طبيعة الانسان أن يجدد نفسه .. ويجدد عواطفه .. كل خلاياالانسان تتجدد بعد أن تذبل .. تولد من جديد .. وسأنتظر الى أن يولد قلبى من جديد ، واحب من جديد ، ولن يكون هذه المرة حبا معقدا ..

وكانت كل هذه الخواطر تطوف براسي وانا اقاوم الانهيار .. اقاوم لهفتى الى هاشم ، وحاجتى اليه .. وكنت اعلم أن هذه المقاومة ستستمر طويلا .. وتكلفنى جهدا كبيرا .. ولكنى كنت مصممة على الا اضعف .. وكنت واثقة من قوتى .. يجب أن ابقى قوية ، من اجل نفسى ، ومن أجل هاشم ..

وخرجت اليه فى اليوم التالى ..

قلقة عصبية ..

وكانت أمى تعلم انى خارجة القاء هاشم . .وكانت تنظر الىّ بعينين منزعجتين فيهما توسل .. كان هاشم فى نظرها غول ، تخشى أن يفترسنى !!

وهاشم فى سيارته .. ينظر الىّ وبين شفتيه ابتسامة صغيرة .. ويحاول جهده الا تهتز نظرته ، او ابتسامته .. ووجهه ازداد نحولا فبدا اكثر نبلا .. كأنه فارس من فرسان الأساطير .. انفه اكبر .. وجفونه اكثر انتفاخا .. وشفتاه ابتعدت احداهما عن الأخرى اكثر .. بل انه يبدو كأنه صغر فى سنه منذ تركته آخر مرة .. لعل الأزمة العاطفية التى مر بها قد أذابت الشحم عن وجهه فبدا فى هذه الصورة النبيلة .. فقط شعره .. أكثر بياضا ..

ونامت يدى فى يده ، لا تريد أن تصحو .. وكل منا ينظر الى الآخر فى صمت .. وخدى وخده يرتعشان بخفقات قلبينا .
ثم قال وصوته يحشرجه انفعاله :

ــ يعنى دلوقتى لما أحب أشوفك أروح أجيب بنت تانية واتمشى بيها قدام بيتكم ، تروحى مكلمانى فى التليفون على طول ..

قلت وأنا أحاول أن ابتسم :

ــ ومين اللى اتمشيت بيها امبارح ..

قال وهو ينظر من خلال زجاج السيارة :

ــ دى صديقه من لبنان ..

قلت وقلبى بتلوى :

ــ صديقه بس ؟ !

قال وهو لاينظر الىّ :

ــ لغاية دلوقتى ..

وسكت برهة ، ثم قلت ورموشى ترتعش فوق عينى :

ــ اسمها ايه ؟

والتفت الىّ وهو يضحك ، قائلا :

ــ ما اظنش انك بتغيرى علىّ ..

قلت وانا أنظر اليه فى لوم :

ــ ما اغرش عليك ليه ؟

قال :

ــ لو كنتى بتغيرى علىّ .. ولا بتخافى علىّ .. ما كنتيش سيبتنى لوحدى المده دى كلها .. مهما كانت ظروفك .. ومهما حصل لك ..

قلت وانا أنظر فى يدى :

ـ أنا كنت فاكره ان الأحسن اننا ما نكلمش بعض ..

قال في دهشة حقيقية :

ـ ليه ؟

قلت :

ـ لأنى شفتك قبل كده في الشقه نازل مع واحده ..

وارتعشت نظرته رعشة خفيفة ، وقال :

ـ امتى .

قلت :

ـ زمان ومش بس علشان كده ..

قال :

ـ امال علشان ايه كمان ..

قلت :

ـ لانك مره قلت لى ان الحل الوحيد لنا اننا نبتدى نعرف بعض من جديد .. ولما فكرت ، لقيت ان مش ممكن نعرف بعض من جديد .. ما نقدرش ننسى اللى فات .. ولكن اللى حا يحصل انك حا تبتدى تعاملنى بشكل جديد .. وخايفه ييجى يوم تفقد احترامك لى .. زى ما فقدت احترامك الأمينه .. وانت قلت لى ان مافيش حب كامل من غير احترام ..

وقال هاشم كأنه يعتذر :

ـ انتى حاجه تانيه يا نجوى ..

قلت وانا انظر اليه بكل عينى :

ـ أنا عارفه اننا مش حانتجوز يا هاشم .. حتى لو حبيت انك تتجوزنى ، انا مش حارضى .. لأن جوازى حايعذبك .. مهما حبيتنى حاتفضل طول عمرك حاسس بالندم .. حاتفضل طول

عمرك تتمنى لو كنت حبيت واحده تانيه ، واحده ما عملتش اللى عملته ..

قال فى صوت خفيض :

ــ انا اجلت التفكير فى الجواز .. و ..

قلت اقاطعه :

ــ مش معنى كده انى ما استاهلش انى اتجوزك .. انا بقيت كويسه ..وحافضل كويسه ..

قال وهو ينظر الىّ فى حنان :

ــ أنا عارف انك كويسه .. واحسن من بنات كتير ما عملوش اللى انتى عملتيه .. انما أنا اتصدمت .. وباحاول افوق من الصدمه ، مش قادر .. لغاية دلوقت مش قادر .. مش قادر اقول لك حاجه .. ومش قادر اوعدك بحاجه .. انما مهما حصل لازم تفضل حاجه بيننا ..

قلت :

ــ ايه ؟

قال :

ــ نفضل اصدقاء ..

قلت :

ــ يا ترى نقدر نبقى اصدقاء .. متهيالى ان اسهل نحاول ننسى ..

قال :

ــ لا ... لازم افضل فى حياتك ، ولازم تفضلى فى حياتى .. مش ضرورى نشوف بعض .. انما لازم كل واحد فينا يبقى مطمن على التانى ..

ولم أرد ..

سرحت احاول ان اتصور كيف يمكن ان نكون أصدقاء .. مجرد اصدقاء بعد كل هذا الحب الكبير ..

وقلت وانا لازلت سارحة :

ـ ما قلتليش .. اسم اللى كانت معاك امبارح ايه ؟

قال ضاحكا :

ـ ليه .. عايزه تعرفى اسمها ليه ؟

قلت :

ـ احنا مش اصدقاء !!

وقال وآثار ضحكته بين شفتيه :

ـ اسمها رحاب ..

قلت وانا اكتم شيئا يكاد ينفجر فى صدرى :

ـ اسم غريب .. انما حلو .. وهى حلوه .. وصبغة شعرها جنان .. لازم صبغاه فى لبنان ..

قال فى دهشة :

ـ شعرها مصبوغ ؟

قلت :

ـ طبعا .. باه فيه لون اسود طبيعى بالشكل ده .. وتبقى دكتور قد الدنيا وما تعرفش الشعر المصبوغ من الشعر الطبيعى ..

قال فى ثقة :

ـ لا .. شعرها مش مصبوغ .. لسه ما لحقتش تصبغه ..

اغتظت من هذه الثقة التى يتحدث بها .. لقد أصبح يصدقها اكثر مما يصدقنى .. وقلت فى حدة انطلقت رغم أنفى :

ـ ابقى اسألها ..

قال :

ـــ حاضر .. حا اسالها ..

ونظرت الى وجهه كأنى أودع كل قطعة منه .. اودع أنفه الكبير .. واودع عينيه المتفخذتين . .واودع شفتيه المنفرجتين .. ثم قلت فى همس :

ـــ بتحبها ؟

قال :

ـــ ما اعرفش .. أنا مش عارف حاجه أبدا اليومين دول .. مش عارف باتصرف ازاى .. وباتصرف كده ليه .. مش مستقر .. ما فيش حاجه فى حياتى مستقرة .. حتى شغلى .. مش قادر أرجع اشتغل زى ما كنت ..

قلت وقلبى ملهوف عليه .. احس كأنه ابنى :

ـــ انا اتمنى انك تحبها ..

قال :

ـــ ايه ؟

قلت :

ـــ لانك محتاج تحب من جديد .. ولأنها حلوه .. ولايقه عليك ..

قال فى دهشة :

ـــ لايقه على ازاى ؟

قلت :

ـــ ما اعرفش .. حاسة انها لايقه عليك ..

وضحك قائلا :

ـــ أختى كانت بتقول انك لايقه على ..

قلت وانا اشاركه ضحكته :

ـــ رحاب كمان لايقه عليك ..

وسكتنا ..

وعلى شفتى كل منا ابتسامة يحاول ان يضمد بها جراحه ..

وعاد بى الى البيت .. وانحنى قبل ان انزل من السيارة ، ولمس خدى بشفتيه .. ونظرت اليه بعينين مبهورتين .. ثم انحدفت على صدره ، وضممته الى صدرى .. ضممته بكل لهفتى ، بكل حاجتى اليه . بكل حرمانى منه .. ورفعت اليه شفتى .. وغبنا فى قبلة طويلة .. لا تريد أن تنتهى .. شفاهنا لا تعترف بالمنطق الذى حكم علينا بالفراق ..

وكانت قبلتنا الأخيرة ..

وهمس وانا انزل من السيارة :

ــ حاتكلمينى فى التليفون ؟

ونظرت اليه فى تردد ..

وعاد يهمس :

ــ احنا مش اتفقنا نكون أصدقاء ..

وهززت راسى بالايجاب ..

وجريت الى داخل البيت ..

ولم نلتق بعد هذا اليوم ..

ولكنى كنت احادثه فى التليفون ، فى فترات متباعدة .. وكان يحدثنى عن رحاب بلا تفاصيل .. وكنت اخاف ان اسأله عن التفاصيل حتى لا تجرحنى .. وكان هناك دائما شىء يشد احدنا الى الآخر .. وكان كل منا يقاوم هذا الشىء .. كل منا يقاوم حتى لا يجرى نحو الآخر ..

وقال لى مرة :

ــ اسمعى يا نجوى .. اذا طلبت إنك تقابلينى ابقى ارفضى، .. وانتى اذا طلبتى انك تشوفينى أنا حارفض .. موافقه ؟ !

قلت :

ـ موافقه ..

قال :

ـ طيب حاشوفك امتى ؟

قلت بسرعة :

ـ تعال دلوقتى ..

وضحكنا نحن الاثنين .. ولم نلتق .. وانا هادئة .. مؤمنة بالحب ..

ان الحب هو الذى انقذنى .. هو الذى حول حياتى .. هو الذى فتح لى ابواب الجامعة .. هو الذى رفع راسى ، واشاع فى عمرى النور ، والاستقرار .. الى انى اصبحت اؤمن ان كل حياتى كانت حبا . حتى اخطائى كانت اخطـــاء الحب .. كل ما هنالك ان الذين احبونى ، احبنى كل منهم حسب عقليته .. امى الحقيقية احبتنى فأعطتنى لأختها حتى تبعدنى عن الفقــر الذى نعيش فيه .. وامى الثانية احبتنى فجاءت لى بعبد الفتاح ليوفر لى الحياة التى كانت تتمناها لى .. وعبد الفتاح احبنى . والحب كما يفهمه هو شراء .. وعادل احبنى وجعل منى امرأة لأنه أراد أن يتزوجنى .. كلهم احبونى .. حبا صادقا حقيقيا .. لم يتعمد احد منهم ايذائى .. لم يتعمد احد منهم ان يتعسنى .. كل ما هنالك أنى كنت ضعيفة .. ضعيفة الشخصية .. فلم استطع ان اختار نوع الحب الذى اريده .. ان الحياة كلها حب .. كل طريق فيها مفروش بالحب .. والمهم ان اختار الطريق الذىاريده .. الذى اقتنع به .. الذى يؤدى بى الى مكان استريح فيه .

الى أن جاء هاشم فمنحنى هذا الحب .. الحب الذى اقتنعت به .. وعندما اقتنعت بالحب ، استعدت قوتى .. قوة شخصيتى .. واستطعت أن أختار الطريق ..

ان هاشم رائع ..

مدهش ..

انه الرجل فى اكمل صورته ..

وأنا طالبة فى الجامعة .. وبطلة فرقة التمثيل فى الكلية .. ومندوبة النشاط الاجتماعى .. وزملائى وزميلاتى يحبوننى .. اننا نقضى معا أوقاتا سعيدة .. ضاحكة .. حلوة .. ولكنى أعفيت من التدريب العسكرى .. لأنى لا زلت أخاف على قلبى .. أحيانا كثيرة أهم بأن أستغنى عن قلبى ، واشترك فى التدريب العسكرى .

وقد نجحت هذا العام بتفوق ..

وابراهيم نجح أيضا ..

من هو ابراهيم ؟ !

هذه قصة أخرى ..

العين الثالثة

ـ ١ ـ

انا رحاب ..

اصدقائي يدعونني « روللى » .. واحيانا ، « رو » ..

ولا ادرى ما الذى جاء بى الى القاهرة .. قبلها باسبوع واحد كنت أستعد للسفر الى لندن . . فصديقتى هند تقيم هناك وانا أحب صديقتى هند .. وكنت اعتقد انى احبها الى حد ان احتمل برد لندن وضبابها .. ولكنى بدات أحس ، كلما اقترب موعد سفرى ، ببرد لندن فى عروقى وضبابها يملأ عينى .. انى أكره البرد والضباب ، اكرههما اكثر مما احب صديقتى هند .

وكان يجب ان اترك بيروت ..

اصبحت بيروت تقززنى .. كل شىء فيها يقززنى .. بناتها وأولادها . .وشوارعها .. وبحرها .. والجبال التى تطل عليها .. ودكاكين سوق الطويلة « والستاركو » .. وضحكاتها الغليظة .. وقسوتها .. وسياراتها .. ودموعها .. وليراتها .. اصبحت كلما لمست ليرة أحس كأنى المس شيئا لزجا مقززا كبطن السحلية . . والملل والزهق يخنقانى .. احس انى ادور حول نفسى .. وادور .. وادور .. وينتابنى صداع عنيف .. الف مطرقة تضرب على راسى .. واحس بالاختناق .. تنحبس الدماء

فى عروق رقبتى .. ويزدرد وجهى .. واسـقط .. كانت تنتابنى فعلا هذه النوبات ..

وكان يجب ان اترك بيروت هربا من الزهق والملل ونوبات الاختناق ..

الى لندن ..

وقد اخترت لندن من أجل صديقتى هند ، ولكن هذا الاحساس بالخوف من البرد والضباب ظل يلازمى .. الى أن صحوت ذات صباح ، وقد قررت ان اسافر الى القاهرة بدلا من لندن .. لا ادرى لماذا القاهرة .. ربما لأحتمى فيها من برد لندن وضبابها .. فلم يكن هناك أى شيء يغرينى بالقاهرة .. لم يكون يربطنى بها شيء .. ليس لى فيها أصدقاء .. ولست من هواة الآثار .. لا اريد ان ارى الأهرام ولا ابو الهول .. ولا افهم شيئا فى السياسة حتى أدعى انى اخترت القاهرة ايمانا بالوحـدة العربية .. ابدا .. ولكنى اخترت القاهرة والسلام .. كما أختار قماش ثوبى فى لحظة من لحظات الزهق ..

وذهبت الى ابى قبل أن يخرج الى عمله ، وقلت كأنى انطق بكلمة القدر :

ــ سأذهب الى القاهرة ..

وكان أبى قد تعود على نزواتى .. لم يعد شيء منى يدهشة .. فابتسم لى ابتسامته الحلوة الهادئة .. وقال :

ــ ولندن ؟

قلت :

ــ ضباب وبرد ..

قال :

ــ وصديقتك !

قلت :

ــ ساكتب لها .. اننا لا نختلف عندما نتراسل ، ولكننا نختلف كثيرا عندما نلتقى ..

قال :

ــ ولكنا حجزنا لك هناك . .وحولنا لك الليرات ..

قلت :

ــ الغ الحجز والتحويل ..

ونظر فى رجهى كأنه يبحث عن حقيقتى ، ثم قال :

ــ لماذا القاهرة !

قلت :

ــ هيك بلا سبب ..

قال وهو يضحك :

ــ اخشى عليك من الشباب هناك .. انهم ملاعين ..

قلت فى عصبية :

ــ اف .. انك تحدثنى كأنى صرصارة .. بنتك يا حاج عبد الرحمن لا يخاف عليها من الشباب فى اى مكان ..

وضحك ضحكة كبيرة ..

انه يثق فى .. طول عمره يثق فى رغم كل نزواتى التى ضجت منها بيروت ..

وقال وكرشه الكبير لا يزال يهتز بضحكته :

ــ اقصد .. انى اخشى على شباب القاهرة منك .. انهم عرب مسلمون ، وحرام ان نرسل اليهم شيطانه مثلك .

وقلت وانا اتظاهر بالزهق تدللا عليه :

ــ خلصنى .. ما رايك ؟

وفكر برهة ، ثم قال :

ـ عائلة محيى الدين لا تزال تقيم هناك .. تستطيعين ان تقيمى عندهم .. انهم انسباؤنا كما تعلمين .. والرجل لا يزال مدينا لى بعشرة آلاف ليرة ..

وقفزت جالسة على ركبته وقبلته على خده ، وصحت :

ـ انت أعظم اب يا حاج عبد الرحمن .. بتجنن ..

وارتعشت وجنتاه من فرط سعادته .. ان اللحظات التى أدلله فيها هى دائما أسعد لحظات عمره .. انه يحبنى .. يحبنى اكثر من كل أولاده وبناته .. فأنا أجمل البنات .. واذكاهن .. واصغرهن .. لا .. لقد كذبت .. لست أصغر البنات .. لى اخت أصغر منى ، ولكنى لا أحب ذكرها .. لا احب أن تكون لى أخت أصغر منى .. لا أحب ان اكون أبدا فى الوسط .. وسط اى شىء .. الوسط ليس له لون ، ولا طعم ، ولا شخصية .. الوسط ليس صفة .. ابدا ليس صفة يستطيع الانسان ان يتصف بها ويحدد بها شخصيته .. ان الشخصية تجدها فى القمة .. قمة اى شىء .. قمة الذكاء او قمة الغباء .. قمة الفوضى أو قمة القبح .. قمة السعادة او قمة الشقاء .. بل انى وجدت ان كل هذه الصفات تلتقى كلها فى قمة واحدة .. ان الأحاسيس البشرية كالجبل الضخم ، تتباعد جوانبه عند السفح .. فتجد الاحساس بالسعادة فى جانب والاحساس بالشقاء فى جانب آخر .. والاحساس بالذكاء فى جانب والاحساس بالغباء فى جانب آخر .. والجنون فى جانب والهدوء فى جانب .. و .. وكلما ارتفع الجبل ، اقتربت هذه الأحاسيس بعضها من بعض ، الى أن تلتقى كلها عند القمة .. ولأنى أعيش دائما فى القمة فانى أحس بكل هذه الأحاسيس فى لحظات متتالية سريعة .. سعيدة فى لحظة ، وشقية فى اللحظة التالية .. مجنونة فى

لحظة ، وهادئة فى لحظة .. ذكية فى لحظة .. وغبية فى لحظة .. ان حياتى ليست سنوات ولا شهورا ولا اياما .. انها لحظات .. حتى مظهرى الخارجى يتغير بين لحظة واخرى .. ويحتار فيه اهل بيروت .. فى لحظة اخرج اليهم وانا البس البنطلون والبلوز ، وحذاء بلا كعب .. وشعرى الأسود يسيل فوق عينى .. كأنى صورة من مجـلة « ال » .. ثم اذهب الى مقـهى الدوليشيغيتا ، واجلس بين الشبان ، واشعل سيجارة أضعها فى فم اسود طويل ، واتصرف كأنى فتاة وجودية من فتيات الحى اللاتينى فى باريس .. ثم فجـأة اقفز وارتدى ثوبا من الأورجانز المنفوش ، واضع فى قدمى حذاء عاليا ، والم شعرى الأسود الى الخلف ، وأضع فوق راسى تاجا محلى بفصوص اللؤلؤ .. فأبدو كأنى الملكة اليزابث ، ثم ادعو بعض صديقاتى ونذهب ونجلس فى فندق فينيسيا ، نتناول عصير البرتقال .. فى هدوء واتزان ..

انى دائما هكذا .. فى القمة .. قمة الاحساس .. والواقع ان احاسيسى هى التى تحكمنى .. لا شىء يمكن ان يحكمنى أبدا الا احاسيسى .. ولا احد يستطيع أن يحكمنى .. لا ابى ، ولا أمى ، ولا اخى .. فقط احاسيسى .. انى اعتبر ان اى تصرف لا ينبع من الاحساس ، هو نفاق ، أو جبن .. وانا لا انافق حتى الله .. انما الصلة بينى وبين الله تحكمها احاسيسى انا .. فى لحظة اضع مصحفى الذهبى على صدرى ، وفى لحظة أخرى أرفعه بلا سبب الا لأنى أحس فى لحظة بالله ، وفى لحظة أخرى ، لا احس به ..

ولأنى مستسلمة دائما لأحاسيسى ، فانى اعجز احيانا كثيرة عن تبرير تصرفاتى .. لأنى فى احيان اعجز عن فهم احاسيسى

.. واعجز عن التعبير عنها حتى لو فهمتها .. منذ متى وانا مستسلمة لأحاسيسى ؟

ريما منذ ولدت ...

واذكر وانا فى السابعة من عمرى ، وكنا نقضى شهور الصيف فى « ضهور الشوير » ان استيقظت من نومى فى الصباح ، وقلت لأمى انى ذاهبة فى رحلة .. وطلبت منها ان تعد لى طعاما لآخذه معى فى رحلتى .. ودهشت امى .. وحاولت أن تعرف منى الى أين اذهب ، ومع من .. ولكنى لم استطع ان اجيبها .. لم استطع ، لانى انا نفسى لم اكن اعلم اين اذهب ولا مع من .. ولكنى فقط كنت احس بانى ذاهبة فى رحلة .. احساسا قويا عنيفا يملكنى كلى .. وعندما عارضتنى امى واصرت على الا اخرج من البيت تملكتنى هذه النوبة اللعينة ، نوبة الاختناق ... كأن احساسى حاكم مجنون يخنقنى اذا لم اخضع له .. ولم استطع ان افيق من النوبة ، الا بعد ان اعدت لى امى الطعام الذى طلبته ووضعته لى فى سبت الرحلات ، ثم تركتنى اخرج بعد ان اوصت سائق سيارتنا بأن يتبعنى .. ولكنى لم اخرج الى الشارع .. بل خرجت الى حديقة البيت الواسعة .. لم اكن اعلم الا لحظتها انى خارجة الى حديقة البيت .. وفى الركن البعيد من الحديقة .. خلف الأشجار التى تخفى البيت ، جلست من الساعة التاسعة وسبت الرحلات بجانبى .. جلست من الساعة التاسعة صباحا حتى الساعة السادسة مساء .. وحدى !!

ماذا افعل !!

كنت اتحدث الى النمل الأسود الكبير .. خيل الىّ يومها انى ملكة النمل .. واخذت احاكم رعيتى .. احكم على بعضها

بالموت .. وأمنح البعض الحياة .. كنت أزيح بكفى الصغيرة فريقا من النمل .. واصرخ فيه : انت تموت .. ثم أدفنه تحت التراب .. واشير الى فريق آخر ، واصيح : انت تعيش .. واتركه يسعى .. ثم يخيل الى ان الفريق الذى حكمت عليه بالموت مظلوم ، فأنبش التراب لاعيده الى الحياة ، ولكنى لا اجده .. فأبكى .. وتقترب منى نملة كبيرة ، ويخيل الى انى اسمعها تحدثنى .. فأعود ابتسم .. واضحك !

بقيت هكذا حتى الساعة السادسة ، دون ان يحاول احد من أهلى ان يقترب منى .. كل منهم يخاف أن تعاودنى النوبة لو حاول ان يعيدنى الى البيت .. الى أن عدت وحدى ، احمل سبت الطعام ، كأنى عائدة فعلا من رحلة .. واستقبلتنى امى وهى تبتسم لى قائلة :

— هل تمتعت برحلتك ؟

واجبتها فى بساطة :

— لماذا تكذبين .. انت تعلمين أنى لم اكن فى رحلة .. تعلمين انى كنت طول الوقت فى حديقة الدار ..

وهربت أمى من لسانى ..

وقد كبرت هذه التصرفات معى .. تصرفات لا تحكمها الا احاسيسى .. اصر على ان التحق بالقسم الداخلى فى المدرسة .. ولا اكاد اقضى فيه اسابيع ، حتى اصر على ان اعود الى القسم الخارجى .. وادخل مدرسة فرنسية ، ثم أصر على أن ادخل الكلية الأمريكية .. ثم اعود الى المدرسة الفرنسية .. و .. و .. وخيل الى امى يوما انى مريضة نفسيا .. ربما خيل اليها انى مجنونة .. فصحبتنى الى طبيب نفسانى .. ولكن الطبيب النفسانى لم يفهمنى .. لم يفهم انى انسانة طيبة ، كل

ما هنالك انى لا احاول ابدا ان اقاوم احاسيسى واستسلم لها .. ولكنى ولا شك كنت فى طفولتى ، عصبية .. وكانت اعصابى تأكل من جسمى ، فكنت رفيعة ، ضعيفة ، وكانت امى لا ترحمنى من الأدوية المقوية ..

ان امى مسكينة ، انها لا تفهمنى .. ولا تستطيع أن تفهمنى .. ان الحياة عندها خطوات محسوبة .. ارقام .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. اربعة .. خمسة .. و .. وتجمع هذه الأرقام ، فتكون النتيجة زوجا غنيا .. لا مكان فى هذه الحياة للأحاسيس .. انها لا تعترف بشيء يمكن ان يسمى باحساس .. الاحساس عندها هو ايضا مجموعة أرقام .. مجموعة فضائل وتقاليد .. فاذ اختل رقم من هذه الأرقام فيجب ان يستدعى الطبيب ..

وهى أم صغيرة .. لا تتجاوز الثامنة والثلاثين .. جميلة .. أنيقة .. من اكثر سيدات بيروت اناقة .. ومن بيت مشهور فى طرابلس .. بيت كمال الدين .. ولأنها من بيت كبير .. وجميلة .. وفاضلة .. ومهذبة .. فقد تزوجت أبى ، لأنه رجل غنى .

مجمعتهما حسبة ..

وكلاهما مقتنع بعلم الحساب ..

ولكن ابى كان اكثر طيبة ، وارهف قلبا ، فى معاملته لنا .. ربما لأن عقله كله مشغول بتجارته ، ومشاكل تجارته .. انه واحد من بين خمسة تجار كبار مسلمين فى بيروت .. ولكنى لا اعلم بالضبط فيم يتاجر .. لم احاول ان اعرف .. فانى احس ان اهل بيروت كلهم مثل بعضهم البعض .. كلهم تجار .. وكلهم يقفون فى دكان واحد .. بيروت كلها دكان واحد .. يقف فيه رجل واحد .. وحوله ادراج وارفف كثيرة .. درج فيه

قماش .. ودرج فيه وظائف .. ودرج فيه بهارات .. ودرج فيه سياسة .. ودرج فيه مختلف أنواع الاديان .. و .. و .. وكلشيء للبيع .. والتاجر قد يكون ابى ، أو عمى ، او خالى .. او انطون .. او سليم .. او قسيس .. او وزير .. ولكنه دائما نفس الرجل .. الرجل الذى يقف فى دكان بيروت .. يبيع !

وقد حاول ابى وامى أن يطبقـــا علىّ وعلى اخوتى علم الحساب ، الذى نشآ عليه .. أعدا لنا كل شيء .. ارقام محسوبة .. بيت كبير فى « الأشرفية » ، وقد انتقلنا منه منذ سنوات الى « راس بيروت » .. والقونا بأحسن مدارس .. وسيارات .. وخدم .. ونصائح .. و .. ولكن علم الحساب لم يفلح الا مع أختى الكبيرة .. انها صورة طبق الأصل من امى .. فى اخلاقها ، وفى اتزانها ، وفى نفاقها .. وأفلح علم الحساب ايضا مع اصغر اخوتى الصبيان .. انه ليس كابى ، ولا كامى .. انه غبى .. بليد .. يدخن الأرجيلة ، ويكتفى بأنه ابن التاجر الكبير الحاج عبد الرحمن .. والغباء لا يتعارض مع علم الحساب .. اما اخى الكبير فقد كان مجنونا ، فى نظر امى على الأقل .. كان يثير بيروت كل ليلة بفضيحة ، ثم فجأة اختفى وعلمنا أنه هاجر الى امريكا الجنوبية .. وصدم ابى .. انها اول مرة رايته فيها منهارا .. لقد كان يبكى .. كان يحب ابنه الكبير .. ولم يكن هناك سبب لهجرته .. اننا اغنياء فى بلادنا ، فلماذا نبحث عن الغنى فى بلاد الناس .. كان هذا منطق ابى يومها .. ثم لم يكد يمر عام آخر ، حتى صدم صدمة ثانية عندما هاجر ابنه الثانى الى بلجيكا .. ايضا بلا سبب الا أنه لم يخضع هو الآخر لعلم الحساب ..

ولم يبق لأبى الا ابنه الغبى ، وبناته .. أختى الكبيرة .. وانا .. وأختى الصغيرة التى لا أعترف بوجودها ، وساعدنى على عدم الاعتراف بها انها دائما فى مدرسة داخلية .. كثيرات من صديقاتى لا يعلمن بوجودها ..

وانا أجمل البنات .. انى اشبه أودرى هبورن ، وجاكلين كيندى ، وكريستين كيلر .. ان فى كل واحدة من الثلاث شيئا من الأخرى .. وانا اجمع بين الثلاث فى ملامحى .. قوامى كقوام اودرى هيبورن .. وعيناى كعينى كريستين كيلر .. وابتسامتى كابتسامة جاكلين كيندى ..

وتنبهت الى انى جميلة وانا فى الرابعة عشرة من عمرى .. عندما بدأ « أندريه » يحلق فى وجهى ، فى بلاهة .. وينتظرنى كل يوم امام باب البيت حتى اركب سيارة المدرسة ، ثم يلاحقنى بسيارته .. أيامها وقفت امام مرآتى ، واكتشفت انى جميلة .. شعرى أسود .. أسود .. ينطلق منه بريق لامع ، كأنه شعاع من القمر ينطلق فى الليل .. وملامحى كلها دقيقة .. عيناى صغيرتان مستديرتان ممتلئتان بالحياة .. وشفتاى رقيقتان مرهفتان .. وانفى صغير أنيق طرفه مرفوع .. ووجنتان ناضجتان .. ولم يكن أحد ممن لا يعرفوننى يعتقد انى لبنانية .. كانوا يعتقدون أنى باريسية .. وغسان كان يشبه وجهى بالتفاحة وانفى بعنق التفاحة .. كان يقول انه كلما رآنى أحس بأنه يهم بأن يأكلنى .. ولكن لندع غسان الآن .. انه ليس اول رجل فى حياتى .. اول واحد فى حياتى كان أندريه الذى قابلته وانا فى الرابعة عشرة من عمرى ..

وكان اندريه ايامها شابا كبيرا فى الحادية والعشرين من عمره .. امه فرنسية .. وابوه لبنانى ارثوذكسى .. شعره

اصفر .. رعيناه ملونتان .. ووجهه احمر .. واذناه مفرودتان ..
كنت اضحك كلما نظرت الى اذنيه .. وكنت اقول له ضاحكة :

— اذهب الى امك ودعها تشد اذنيك الى الخلف بشريط مصمغ ..

وكان يغتاظ ..

ولم يكن بينى وبين اندريه شيء .. لعله لم يكن بينى وبين اى رجل شيء حتى اليوم .. الا اذا اعتبرنا القبلات شيئا .. اننا فى لبنان غير البنات والأولاد فى مصر .. فى مصر كل خطوة تقود الى الأخرى .. واحساس كبير بالجنس .. ربما لأن الجو فى مصر حار .. ولكننا فى لبنان لانفكر كثيرا فى الجنس .. ليس فى شلتنا على الأقل .. اننا نمرح .. ونضحك .. ونخرج الى رحلات .. ونذهب الى السينما .. ودائما فى شلل صغيرة .. اما الجنس فقد تفكر فيه المتزوجات .. الحياة الجنسية تبدا فى لبنان بعد الزواج حتىبعيدا عن الأزواج ..

وقد اعتبرنى اندريه فتاته ..

واعتبرته فتاى ..

وكنا نخرج فى شلة من الأصدقاء والصديقات .. كل ولد له بنت .. ونذهب الى السينما .. والى الجبل .. والى البحر .. وقبلنى أول مرة تحت شجرة من اشجار غابة بولونيا .. ليست غابة بولونيا فى باريس .. ولكن غابة بولونيا فى ضهور الشوير ..

قبلنى على شفتى ..

وكرهت قبلاته ..

لقد اصبت بالدوار بعدها .. لا من النشوة .. ولكن من شيء يقززنى .. وقد بقيت بعد ذلك سنوات طويلة اكره ان يقبلنى

احد على شفتي .. فقط على خدى .. وعندما اكون سعيدة اترك القبلات تنزلق على عنقى ..

وفى الرابعة عشرة من عمرى ، بدات اضع الكحل حول عينى .. وادمنت الكحل .. انه يجعلنى فتاة كبيرة .. اكبر مما أنا .. انى الى الآن لااستعمل من الأصباغ الا الكحل .. حتى « الروج » لا أستعمله الا نادرا ..وكنت أخرج من البيت، وانا لا احمل الا قلم الكحل وورقة من اوراق الكلينكس بدلا من المنديل .. لم اكن احمل حقيبة ابدا .. اعصابى لا تحتمل أن احمل فى يدى حقيبة .. النقود اضعها فى جيبى ، واذا لم يكن فى ثوبى جيب ، اطبق عليها يدى مع قلم الكحل وورقة الكلينكس .. لكنى ابدا لا احمل حقيبة ..

وتركت أندريه ..

لقد شعرت فجأة انى اكبر منه .. لم تعد احاسيسى تطيقه .. كل كلمة من كلماته التافهة تلوى اعصابى ..

ولاحقنى اندريه طويلا .. انه لا يستطيع أن يستغنى عنى .. كنت فى هاتين السنتين قد ملأت حياته كلها .. اضع برنامج يومه .. وانتقل به من مكان لمكان .. واضحكه ، وابكيه .. واتركه يزهو بى امام اصدقائه .. لم تعد له شخصية بدونى .. انا شخصيته .. انا كل ما عنده .. ولكن آسفة .. لم اعد أطيقه .. انى مـلك خاص لاحاسيسى ،ولم تعـد احاسيسى تطيقه .

وجاء بعده نزار ..

لا شيء ايضا ..

سوى هذه القبلات التى اتلقاها على خُدى واتركها احيانا لتنزلق على عنقى .

ثم جاء بعد نزار ، حازم ..

لا شىء .. لا شىء ..

ان كل هؤلاء الأولاد لم يكونوا شيئا .. انى اختارهم فقط لاكمل بهم مجموعة الشلة .. لنضحك اكثر .. ونجرى بين الشجر .. ونسبح فى البحر .. ونتزحلق على الثلج .. ونخرج الى نزهات مجنونة بالسيارة .. ولم يستطع واحد منهم ان يغرينى بأن ابتعد به عن صديقاتى البنات .. .. كنت افضل دائما ان اكون معهن ، وهو معى .. ولم يستطع واحد منهم ان يترك فى قلبى .. ولا خدشا على جسدى .. ابدا ..

انها صداقة .. مجرد صداقة .. نوع معين من الصداقة ..

وفى هذه الأيام هويت الرقص .. واجدته الى حد أذهل بيروت .. كنت ارقص التشاتشا والمارنجى احسن من اى فتاة .. وارشق .. بل انى كنت ابتكر خطوات جديدة يذهل لهـا محترفو الرقص الذين يمثلون الستريوهات .. والستريوهات فى لبنان كانت تبدأ من الساعة الثالثة بعد الظهر خصيصا للبنات والأولاد فى عمرنا .. فكنت كل يوم وفى الساعة الثالثة بالضبط اذهب الى استريو .. البس البنطلون ، وحذاء بلا كعب ، وشعرى سائل على عينى ، ويدى قابضة على قلم الكحل وورقة الكلينكس .. وفى يدى الأخرى ولد .. وكنت فى هذه الفترة اصادق الأولاد الذين يجيدون الرقص ..

ولم يكن اهلى يعلمون شيئا عن حيـاتى خارج البيت .. كانوا يعلمون انى اخرج مع صديقاتى البنات .. وربما اعتقدت امى انى اخرج فى شلة من الأولاد والبنات .. ولكن احدا لم يكن يعلم التفاصيل .. ولا اختى .. وكان بينى وبين امى خناقات طويلة حول خروجى من البيت .. وكانت عندما تصر على الا اخرج

.. اجن .. اجن فعلا .. احس بنوبة الاختناق .. وأمزق كتبى .. واحيانا اهجم على دولاب امى ، والقى ما فيه من ثياب على الأرض .. وهى واقفة امامى ترتعش .. تخاف ان يقترب منى حتى لا ابدأ فى تمزيق ثيابها .. ثم لا أكف عن جنونى ولا تزايلنى نوبة الاختناق الا بعد ان تسمح لى بالخروج .. تخضع لى .. ثم استسلمت نهائيا . .لم تعد تناقشنى فى خروجى ودخولى .. واياما كثيرة كنت اخرج فى الصباح ولا اعود الا فى المساء .. فى الساعة الثامنة .. لم اكن اتأخر ابدا عن الثامنة .. لا تعمدا .. ولا خوفا من اهلى .. ولكن لأنى كنت اشعر بالنوم يداهمنى ابتداء من الساعة الثامنة ..

وفى سن السابعة عشرة وجدت نفسى فى وسط آخر من أوساط بيروت الاجتماعية .. وسط يضم ادباء وفنانين وصحفيين ، ومجانين ، وشبانا يتحدثون بحماس فى السياسة ، وفى الأدب والفلسفة .. ويجتمعون فى المقاهى التى تحيط بالجامعة الأمريكية .. فى مقهى فيصل ، واونكل سام ، ويملئون مقاعد مقهى الدولشيفيتا فى المساء ..

وبهرت بهذا الوسط ..

كل وجه فيه يبهرنى ..

كل كلمة فيه تبهرنى ..

واحسست ان ابواب عالم جديد فتحت امام عينى .. آفاق جديدة فتحت امام عقلى ..

احسست انى كبرت ..

احسست انى كبرت ..

ورحب بى سكان هذا العالم الجديد .. ولم ادهش لترحيبهم .. انى استطيع ان اجتذب قلوب الناس ببساطة .. شكلى الرقيق الناعم يثير فى الناس اعجابا بريئا .. احساسا حلوا ..

كأنهم يرون عروسة جميلة فى فترينة الله .. يضحكون لها .. ويخافون عليها .. ويلمسونها فى رفق ..

وبسرعة اندمجت فى هذا الوسط الجديد ... واصبحت حياتى مبعثرة بين مقاهى فيصل ، واونكل سام ، والنيجرسكو ، والدولشفيتا .. والتقطتبسرعة الكلمات التى يتداولونها .. اصبحت اتكلم مثلهم .. واصبحت لا أمل حديث الأدب ، رغم انى لا افهم معظمه .. ولا حديث السياسة التى لا افهم فيها شيئا .. واعتبرت نفسى وجودية .. دون أن أحاول أن أفهم ما هى الوجودية .. كل ما فهمته أن الوجودية هى أن اتكلم كما اشاء ، واتصرف كما اشاء .. واحتفظ بشعرى سائلا على عيونى ..

وبدا هذا الوسط ينقل الى عدوى السخط الساخر على كل شيء .. انهم يسخطون فى سخرية على العالم كله .. على السياسة .. وعلى الأديان .. وعلى الله .. وكرهت أن اكون فتاة غنية ، او على الأصح ابنة رجل غنى ، لانهم يسخرون من الأغنياء .. واصبحت اتظاهر بالفقر .. والفقر فى بيروت ليس كالفقر فى مصر .. الفقر فى بيروت هو الا تملك سيارة .. لم اعد اتنقل فى سيارة العائلة .. اصبحت اركب الأتوبيس .. وترام بيروت .. وامشى فراسخ .. وآكل فلافل وحمص بالطحينة ..

ولم أكن البنت الصغيرة الوحيدة فى هذا الوسط .. بنات كثيرات مندمجات فيه .. جذبتهن اليه الثورة المكبوتة الى الانطلاق .. الانطلاق الى لا شيء .. فقط الانطلاق .. التحرر من سجن بلا أبواب وبلا سجان .. سجن العقد المتراكمة فى صدورهن ، منذ اعطى الاسلام لكل اربعة منهن رجلا واحدا ، ومنذ قدمت لهن المسيحية صورة عذراء بلا رجل ..

ولكنى كنت المح كل هؤلاء البنات . والاعجاب الحلو الرقيق

الذى ينطلق حولى من عيون الرجال ، بدأ يتبلور فى اشتهاء .. وبدأ كل رجل من الرجال الفنانين العباقرة يريدنى له وحده .. انهم رجال .. مجرد رجال .. سواء جلسوا فى أونكل سام ، أو تسكعوا فى ساحة البرج ..

وهم رجال كبار .. ليسوا شبابا كالذين تعودت أن أصادقهم .. بعضهم فى الثلاثين .. فى الخامسة والثلاثين . فى الثامنة والثلاثين ..

ورغم ذلك لم أخف ..

بل انى وجدت الرجال اكثر أمنا من الشبان ..

وبدأت اختار من هذا الوسط الجديد اصدقاء لى ..

اخترت اكثرهم جنونا ..

كان أولهم سامى ..

قصير .. عيناه مشروطتان ضيقتان .. يشعان بالطيبة ، والحيرة .. وينطلقان أحيانا بنظرات شاردة مجنونة .. وهو رسام .. لا يبيع رسومه .. لأن الذين يريدون شراءها لا يستحقونها ، والذين يستحقونها، لا يستطيعون شراءها .. هكذا كان يقول .. ورسمنى سامى اكثر من مائة صورة .. رسمنى على علبة كبريت .. وعلى مفرش المائدة .. وعلى لوح زجاج المقهى الذى تعودنا أن نلتقى فيه .. انه يرسمنى كلما رآنى ..

وكان سامى يخاف من السكاكين .. أى سكين يراها تثير فيه الرعب .. تتسع عيناه الضيقتان .. ويشهق .. ثم يلتقط السكين من فوق المائدة بأطراف اصابعه المرتعشة .. ويلقيها تحتها .. أو يلقيها من النافذة .. ثم يستريح ..

وكنا نلتقى دائما فى ملهى « الابجلز نست » ، أى ، عش

النسور .. ودائما نجلس على نفس المائدة .. ونتحدث .. ويرسمني .. ولا شيء اكثر .. لا شيء أبدا .. ولا حتى هذه القبلات التي تعودت ان اتلقاها على خدى ، واتركها احيانا تنزلق على عنقي ..فقد ارسل سامي الى بعد عامين من صداقتنا ، وبعد أن سافرت الى القاهرة .. خطابا قال لى فيه : « انى لا ادرى لماذا لم احاول ان اقبلك .. ولماذا لم احاول أن أطوقك بذراعي .. يا رو الشهية »!!

وقد كنت اشفق على سامي .. انه اكبر منى بكثير .. وفى راسه ثقافة توازى مليون ضعف ما فى راسى .. ولكنى كنت اشفق عليه .. لا ادرى لماذا ..ولكنى كنت اشفق عليه ، وكانت شفقتى تشعرنى بأنى مسئولة عنه .. لم أكن اطيق أن اراه غاضبا .. او حائرا .. او فى احدى نوبات جنونه .. وكنت انا الوحيدة التى استطيع ، بمجرد ملامح الطفولة فى وجهى ، ان امسح غضبه ، واشده من حيرته ، وافيقه من جنونه .. لقد كنت احيانا كثيرة اشعر انى امه ..

ولكن سامي لم يكن الوحيد الذى يثير شفقتى ..

طلال أيضا كان يستحق الشفقة .. انه شاعر .. اعجز دائما عن فهم شعره .. ولكن لابد انه شاعر رائع ، لأن طلال مؤمن به الى حد الهوس .. الى حد ان يتضارب بالأيدى كلما ناقش احد شعره .. وهو مفلس دائما .. أبوه مهاجر غنى فى افريقيا ، ولكنه ترك اباه ، وجاء الى لبنان ليعيش مفلسا .. وهو لا يريد أن يكون غنيا .. انه يحتقر الغنى .. يحتقر الليرات .. الليرة تستطيع ان تبنى بها عمارة ، ولكنك لا تستطيع أن تبنى بها بيتا من الشعر .. وهو انسان معقد .. تغلبه عقده أحيانا

فيبكى كالطفل .. ثم يخلع حذاءه ويلقيه فى الشارع وهو يصيح « على صرمايتى العالم كله ! » .

واصبح طلال ايضا صديقى .. التقى به فى نفس المقهى الذى التقى فيه بسامى .. الايجلز ست !

وغيره ..

غسان فى الثلاثين من عمره .. درس علم النفس .. ويصر على انه طبيب نفسانى .. طبيب بلا عيادة .. وقد اصيب فى حادث سيارة فى صغره .. افاق منه وهو يعرج ويتوكأ على عصا .. وفى عينه اليمنى رعشة دائمة .. وكان يتردد كل يوم على مقهى فيصل ليتناول الغداء .. ويجلس على مقعد ويمد رجله على مقعد آخر .. وفى يوم اشار الى من بعيد يدعونى اليه .. وتجاهلته .. فصرخ بأعلى صوته فى وسط المقهى .. رحاب .. من فضلك دقيقة .. ونظرت اليه .. واشفقت عليه .. وعندما اقتربت منه قال لى انه كان يتابعنى منذ مدة ، وانى فى حاجة الى علاج نفسى قبل ان تستفحل حالتى ..

وابتسمت ..

وأعطيته موعدا فى نفس المكان .. الايجلز نست .. وبعد ان جلست معه دقائق وجدت نفسى اعالجه .. أنا التى اتولى علاجه ..

وغيره ..

ــ اصبح لى خمسة اصدقاء .. التقى بهم واحدا بعد الآخر فى نفس المكان .. بل دائما على نفس المائدة .. وفى نفس الموعد .. وعرفنى الجرسون ، وابقى لى المائدة محجوزة ..

وكل منهم اشفق عليه ، واحس بمسؤوليتى عنه ..

ثم بدأت احس بأن هذا الاحساس بالمسؤولية من هؤلاء

الخمسة ، اصبح اقوى منى .. واصبحت لا استطيع ان اتحرر منه .. واصبحت اشعر ان فى اعماقى احساسا آخر يريد ان يطفو على سطح حياتى .. انى لا استطيع ان اعيش على الشفقة .. لا استطيع ان اعيش فى عمرى الصغير وانا احمل مسؤوليات هذه الصداقات الغريبة .. كنت فى حاجة الى شىء آخر .. ربما كنت فى حاجة الى الحب !

واصبحت كلما واعدت واحدا من هؤلاء الخمسة على اللقاء ، قررت بينى وبين نفسى ان اخلف موعده .. ان اهرب .. حتى اذا اقترب الموعد ، اخذ احساسى بالمسؤولية يغلبنى .. احسست بصدرى يضيق ، والدموع تتجمع فى عينى .. وابكى .. وابكى كثيرا .. ثم اقوم الى مرآتى ، وامسح دموعى .. واضع الكحل حول عينى .. واترك شعرى يسيل على وجهى .. واذهب اليه .. الى واحد من الخمسة ..

وبدا الملل والزهق يطوفان حول رأسى من جديد ، ويتجمعان فى سحب كثيفة تملأ عينى ، وتجثم على صدرى ، وتخنق أنفاسى .. اصبحت أحس أن حياتى واقفة .. لا تتحرك .. لا شىء فيها يتحرك .. السيارات واقفة .. والناس واقفون كقطع الحجارة المنتثرة فى واد اجرد .. والوجوه جامدة كأنها تماثيل من شمع .. والنظرات ميتة .. كل شىء ميت .. الأرصفة ميتة والمقاهى ميتة .. وبيتنا ميت .. والبحر ميت .. والجبل قبر كبير .. وانا واقفة فوق فروع شجرة ميتة كالبومة اطل بعينين مفتوحتين واقفتين على وادى الموت ..

وقد اشتد احساسى ايامها بأنى بومة .. لقد كان كل من يرانى يشبهنى بالقطة .. وجهى كوجه القطة .. ولكنى اصبحت

احس انى اشبه البومة .. وتملكنى هذا الاحساس الى حد ان اشتريت تمثالا صغيرا ، كنت اضعه أمامى ساعات طويلة وانظر فيه كأنى انظر فى مرآتى ..

واتكلم .. فاحس انى كالأسطوانة المشروخة ، اقول اليوم نفس ما قلته بالأمس .. واقول لسامى ما اقوله لطلال ونفس ما أقوله لغسان .. نفس ما اقوله لكل واحد من الخمسة .. ولكل من اعرفهم .. ونفس ما قلته فى العام الماضى .. ونفس ما سأقوله غدا .. وفى العام القادم .. وصوتى لا تتغير رنته .. لا يرتفع ولا ينخفض .. كصوت البومة ..

وكدت اجن ..

والنوبات العصبية تلاحقنى ..

وابى وامى لا يستطيعان شيئا الا ان يستسلما لكل ما اطلبه ، ولكل ما افعله .. وامى تحرص على ان تناولنى حبات زيت السمك ، وحبات فيتامين « ب » ، وتحرص على أن تسقينى كوبين من اللبن فى اليوم .. اعتقادا منها أن ازمتى نتيجة ضعف صحتى .. ولم اكن اشرب اللبن .. كنت اسكبه من نافذة حجرتى .. وانظر الى خيط اللبن وهو ينسكب فى الفضاء ويخيل الى انى اسكب الضباب المتجمع فى صدرى .. واشعر برهة بالراحة وانا اسكب اللبن ، اكثر مما اشعر بالراحة وانا اشربه ..

وقد حاولت أن اتغلب على حالتى هذه ..

قررت ان اشتغل .. ان اعمل ..

وكل مكان ذهبت لأعمل فيه ، استقبلنى صاحبه بترحاب كبير .. ربما لانى جميلة ، وربما لانى ابنة الحاج عبد الرحمن التاجر الكبير .. وفى بيروت لايسألوك عن كفاءتك ، ولكنهم يسألون عن اسم ابيك !

وقد اشتغلت أياما فى الاذاعة . وأياما فى محل ازياء .. وأياما فى بنك ..

وفى كل مكان كانوا يحددون لى راتبا قبل ان ابدا فى العمل .. راتبا أكبر بكثير مما استحقه .. وصل الى خمسمائة ليرة فى الشهر .. لمجرد انى جميلة ، وابنة الحاج عبد الرحمن .. ويستطيع كل صاحب عمل أن يزهو بانى أعمل عنده ، حتى لو لم اعمل شيئا .. كل منهم يعلقنى على صدره كالوردة .. وكل منهم يدعونى أن أذهب معه الى حفلات الكوكتيل التى يدعى اليها ، لا لشىء الا ليزهو بى أمام زملائه .. كأنى ركلام للشركة !

واختنقت فى جو العمل .. انه يكلفنى احتمال سخافات كثيرة .. واحتمال هذه النظرات اللزجة اللئيمة التى تلاحقنى من مكتب الى مكتب .. واحتمال شره رجال عجائز فى الستين وأكثر .. ووجدت نفسى مضطرة إلى النفاق .. ومضطرة إلى التغابى عن معانى الكلمات والنظرات التى تنتثر حولى .. بدات أكره نفسى .. أتقزز من نفسى ، وعندما جاء اول الشهر ، وأخذنى زملائى معهم الى الصراف ، ومددت يدى لأقبض أول مرتب ، ارتعشت من التقزز .. احسست كأنى امد يدى الى ثعبان ليلدغنى .. وازدحمت دمائى فى راسى .. دماء تغلى ، وتحرق وجنتى .. سحبت يدى بسرعة .. قبل أن المس الليرات .. وجريت وزملائى يضحكون ورائى .. وضحكاتهم تصيبنى كقطع الطوب ..
وهربت سريعا من اوساط العمل فى بيروت ..

ان دماء بيروت تسفك على هذه المكاتب وفى هذه الدكاكين .. كل ما فى الانسان من خير وكرامة ، واحساس ، يعتصر ليتحول الى ليرات .. الى ورق .. والذين يعملون فى بيروت ،

ناس من رخام .. جف ما فيهم من خير .. ومن كرامة .. وتحولوا الى رخام .. و ..

وفى هذه الأيام قابلت تيسير ..

كنت ألمح تيسير دائما فى مقهى فيصل ، وفى الأونكل سام ، وفى الدولشفيتا .. كان دائما حيث أكون .. وكنت التقى بعينيه احيانا وهما يتطلعان الىّ، ولكنه لم يحاول أبدا أن يفتعل مناسبة ليقدم نفسه الىّ .. حتى عندما كان يرانى جالسة مع بعض أصدقائه ، لم يكن يحاول أن يقحم نفسه علينا .. وهو شاب وسيم .. فى حوالى الحادية والعشرين من عمـــره .. أبوه سورى ، وامه لبنانية .. ومات أبوه .. ولم يترك شيئا لعائلته .. فعادت بهأمه الى بيروت ،لتقيم مع عائلتها .. واضطر تيسير أن يعمل .. عمل فى احدى شركات السياحة ، بمرتب ضئيل لا يتجاوز المائتين والخمسين لبرة فى الشهر .. وفى نفس الوقت كان يتم دراسته فى الجامعة الأمريكية ..

عرفت كل ذلك من حديث أصدقائه عنه .. ولم أهتم .. الى أن قدموه لى فى حفلة من حفلات الجامعة .. ووجدت نفسى اتساءل وأنا أمد يدى لأصافحه .. هل يمكن أن يكون شيئا جديدا .. هل يمكن أن يثير فى احساسا جديدا يخلصنى من هـــذا الزهق ..

وتيسير يطل علىّ بعينين ثابتتين متعاليتين فيهما كبرياء متحفزة كأنه يهم بأن يضربنى لو جرحته بكلمة ..

ولم أجرحه ..

ولكنى ارتحت الى حديثه .. انه يتحدث كثيرا فى السياسة .. وأنا لا أحب السياسة ولكنى أحب حماسه وهو يتحدث فى السياسة .. حماس ينبض بالسخط ، ويكاد يمزقه ..

واصبح تيسير صديقى ..
كل يوم نلتقى ..
عرفت به ..
وعرف بى ..
وليس معنى ذلك اننى تخليت عن اصدقائى الخمسة .
او عن مسؤوليتى عنهم .. لا .. ولكن صداقتى لتيسير جعلتنى اقل ضيقا بهذه المسئولية .. ولم يكن تيسير يعترض على صداقتى لغيره .. كانت كبرياؤه نقف فى حلقه وتمنعه من ان يفصح عن غيرته على ..
وكنت انا لا ازال اتساءل .. هل يمكن ان يكون تيسير شيئا آخر فى حياتى .. هل يمكن ان احبه ..
الى ان كان يوم .. ومشى معى ليعود الى البيت ..
ووقف بى امام باب بيتى .. واخذ ينظر الى طويلا بعينيه الثابتتين المتعاليتين ، كأنه يحاول أن يتخذ قرارا .. ثم ، كأنه اتخذ القرار .. مشدنى اليه ، وضمنى الى صدره ، واخذ يقبلنى قبلات كثيرة على وجهى .. واشحت برأسى حتى تنزلق قبلاته على عنقى ..
وهمس تيسير ، بصوت مبحوح :
ـ احبك يا رو .. احبك ..
وانفلت منه وجريت الى داخل البيت .. ووجهى وعنقى لا يزالا يطنان بقبلاته ..
منذ شهور طويلة لم يقبلنى احد .. ورغم ذلك فانى لا احس بأن فى قبلاته شيئا جديدا .. لا احس .. هذا الاحساس الذى يكمن فى أعماقى لم يطف الى السطح .. ولكنى كنت فى حاجة الى شىء جديد .. فى حاجة الى الاحساس بجديد ..

فافتعلته .. أخذت اقنع نفسى طول الليل بأن تيسير ليس كالآخرين ، وأن قبلاته شيء جديد .. لم يكن هذا صحيحا ، ولكنى افتعلته ..

واصبح تيسير يقبلنى دائما ..

هو وحده ــ دون بقية أصدقائى ــ الذى يقبلنى ..

ثم استسلمت لمحاولة تقبيلى على شفتى .. ولم احب قبلاته على شفتى ، ولكنى اصبحت اكثر احتمالا لها ..

انى افتعل ..

افتعل الحب ..

افتعله ، لأنى لا أجده ..

وكنت كلما خرجت مع تيسير وجلسنا فى مقهى ، او ذهبنا الى السينما ، دفع كل منا ثمن ما طلبه .. أو ثمن تذكرة السينما .. وكانت هذه هى عادتى مع كل من أخرج معه .. انى احس بحريتى وبشخصيتى اكثر عندما لا اكون مدعوة مع أحد .. وفى احد الأيام ، طلبت من تيسير ان يصحبنى فى سيارة تاكسى الى بيتنا .. وقبل ان انزل من السيارة اعطيته ورقة بخمسة وعشرين ليرة ليدفع اجر التاكسى ، ويرد لى الباقى فى اليوم التالى ..

لم يكن فى هذا شيء شاذ ، فأنا التى طلبت التاكسى ..

ولكن تيسير لم يرد الى باقى الخمسة والعشرين ليرة ..

ولم انتبه ..

ولم أهتم ..

وفى مناسبة اخرى ، لم يرد لى الباقى ايضا ..

وايضا لم اهتم ..

ثم اقترض منى مائة ليرة ..

ولم يردها ..

وبدات انتبه ..

ولم اغضب منه .. لم المه .. لا اهتزت صورته فى عينى .. ابدا .. انى اقدر حالته .. انه فقير ، مرتبه لا يزيد عن مائتين وخمسين ليرة ، وهو مسئول عن امه .. بل انى معجبة به .. معجبة بكفاحه فى سبيل الحياة وفى سبيل ان يتعلم .. انا معجبة به فعلا ..

وبدات اتعمد ان اعطيه ، فى حدود ما استطيع أن أخذ من ابى وامى ..

أعطيه دون أن اجرح كرامته ..

ولم تجرح كرامته .. لا تزال فى عينيه هذه النظرة الثابتة المتعالية التى تنبض بالكبرياء المتحفزة .. ولكنه أصبح أكثر احتمالا لى .. احتمالا لنزواتى .. ولعصبيتى .. أصبحت أقوى منه .. شخصيتى أقوى من شخصيته .. لم أعد أخاف أن تمتد يده يوما ويصفعنى ..

وبيروت كلها تتحدث عنى وعنه ..

وهو سعيد لأن بيروت تتحدث عنى وعنه .. ويخفى سعادته فى غلالة رقيقة من السخط ..

وانا لا اهتم ..

ثم ..

سالنى أن نتزوج ..

وقلت كأنى أدافع عن نفسى :

ــ ولكننا لا زلنا صغارا ..

قال وهو ينظر الىّ بعينين مبتهلتين :

ــ حبنا اكبر من عمرينا ..

ـ حرام أن نسجن حبنا بين اربعة جدران ..

قال :

ـ انى أخاف على حبنا من أن نتركه طليقا بلا زواج ..

قلت :

ـ انك تؤمن بالحرية .. لا يمكن أن تطالب بالحرية للبلد ثم تطلب لى السجن ..

قال :

ـ ليس سجنا .. .. انى أطلب لكلينا الاستقرار ..

قلت :

ـ انى لا أحس بانى اريد ان استقر .. لا اريد الزواج ..

قال :

ـ كأنك لا تحبيننى ..

قلت ونيار الملل يسرى فى اعصابى :

ـ احبك ولكن الزواج شىء آخر ..

قال :

ـ الزواج عرش الحب ..

قلت :

ـ لا اريد أن اجلس على عرش .. لا اريد ان اجلس اطلاقا .. لا تحدثنى عن الزواج .. احس بك كأنك انسان عادى .. وانا اكره ان احس بك كانسان عادى .. مجرد رجل ..

ولكن تيسير لم يكف عن حديث الزواج ..

شهور طويلة مضت .. وحديثه ينطلق فى اذنى كالصرير .. ويكف عنى اياما .. ثم يعود ويملأ اذنى كالصرير . ونتشاجر .. ونغضب .. ثم نعود ويعود الصرير .. *

وفى يوم أخذ تيسير سيارة أحد أصدقائه ، ودعانى لنذهب

الى الجبل .. ولم احاول ان اتبين الطريق الذى اختاره .. ولكنه كان صامتا .. وفى عينيه نظرات غريبة .. فيهما عناد اقرب الى اليأس .. ثم وقف بنا عند قرية « حمانا » على طريق صوفر .. والتفت الى قائلا بصوت مجنون :

ـ اننا سنذهب لزيارة بعض اصدقائى .. وقد ابلغتهم اننا جئنا اليهم لنتزوج .. وقد أعدوا كل شىء .

وصرخت فيه :

ـ انت مجنون ..

قال والجنون يطل فعلا من عينيه :

ـ لست مجنونا .. ولكنى أعلم انك تحبيننى ، وانا احبك . ويجب أن نتزوج ..

قلت صارخة :

ـ عد بى الى بيروت ..

قال :

ـ بعد أن نتزوج ..

قلت له وانا ابتسم له كأنى اذكره بكبريائه :

ـ انك لا ترضى أن تتزوج فتاة لا تريد أن تتزوجك ..

قال :

ـ انها تريد .. ولكنها تعاند ..

قلت :

ـ انتظرها الى ان تشفى من عنادها .

قال :

ـ انتظرت طويلا ..

قلت :

ـ انتظر ايضا ، ان كنت رجلا ..

قال :

ـ الرجال لا ينتظرون .. ولكنهم يأخذون ..

قلت :

ـ تقصد اللصوص ..

ورفع يده وهم أن يصفعنى ، ولكنى تفاديت الصفعة .. وفتحت باب السيارة .. وجريت .. جريت .. لا ادرى كم جريت .. ولكنى احس انى أتدحرج فوق الجبل .. كل شىء فى يتدحرج .. قلبى .. راسى .. معدتى .. ودموع تتدحرج فوق خدى ..

ولحق بى بالسيارة ، ووقف بجانبى ، وسمعت صوته كأنه آت من بعيد .. من بعيد جدا .. من بطن الوادى ..

ولكنى اجرى .. لا استطيع أن أتوقف عن الجرى .. ونوبة عصبية عنيفة تتملكنى كلى ..

ـ اركبى .. سنعود ..

ونزل من السيارة ، وجرى ورائى ، وامسك بى من كتفى .. واخذ يهزنى وهو يردد :

ـ سنعود .. لن نتزوج ..

وانا أصرخ .. لا افعل شيئا الا الصراخ ..

وارتعش ..

وحملنى بين ذراعيه ..

ووضعنى فى السيارة ..

وعاد بى الى بيروت ..

وبقيت أياما فى البيت .. لا اخرج .. راقدة فى فراشى .. وتيسير يتصل بى فى التليفون مرات .. عشر مرات فى

اليوم .. اكثر .. وانا بعيدة عن التليفون .. وعندما تحمله الى أمى او اختى أو الخادم ، أرفض أن أرد عليه .

واهلى فى لهفة على ..

والأطباء يكتفون بأن يصفوا لى الأدوية المقوية ..

ثم بدأت أتناول حبات « الليبرم » لتهدأ اعصابى .. وانام .. ثم افقت ..

بدأت استرد كيانى ..

وخرجت ..

عدت الى حى « الحمرا » والشوارع المحيطة بالجامعة ، واستريوهات بيروت ..

والزهق والملل يخنقانى ..

لم يعد أمامى الا أن اترك بيروت .

كل بيروت ..

لم يستطع أحد من أهلى أن يثنينى عن عزمى ..

يجب أن اترك بيروت ..

وكنت ذاهبة الى لندن ..

ولكنى فجأة اخترت القاهرة .

وقالت أمى عندما سمعت بالخبر الجديد :

ــ لماذا القاهرة ، كل العائلات الكبيرة تركت القاهرة ، لن تجدى فيها الا المفلسين .. بل لن تجدى فيها ثوبا واحدا يغريك بالشراء ..

ولم تكن أمى تستطيع أن تجد سببا لسفرى الا البحث عن زوج بين العائلات اللبنانية المهاجرة ، أو شراء ثياب جديدة ..

وصممت على القاهرة ..

مجرد احساس ..

وخضع الجميع للبنت المجنونة ..

وبدا ابى يعد لى حياتى فى القاهرة .. حول لى النقود .. واتصل بعائلة محى الدين التى سأنزل فى ضيافتها .

وبدا كل افراد العائلة يوصوننى بأشياء من القاهرة ..

وتجمعت لدى أرقام التليفونات لبنات لبنانيات يقمن فى القاهرة ملتحقات باجامعة . وأعطانى عمى خطابا لأحمله الى طبيب فى القاهرة اسمه الدكتور هاشم عبد الاضيف .. قال لى انه طبيب مشهور ، ومهذب ، ومن عائلة كبيرة ، وله نفوذ .. وانه يستطيع أن يخدمنى اذا احتجت الى شىء ..

ان عمى طبيب ايضا .. وهو يحاول أن يستغل كل شىء بنفس اللباقة والطيبة والحنو الذى يستغل به مرضاه .. وهو يحاول أن يستغل سفرى الى القاهرة لأكون ساعى بريد ينقل خطاباته الى أصدقائه .. لا .. لست ساعية بريد .. والقيت الخطاب الذى أعطاه لى فى احدى حقائبى ، فى اهمال شديد ..

ولم تعد أذناى تلتقطان شيئا من التوصيات التى تنهال على .. كل أذناى متحفزتان لسماع محرك الطائرة ..

ووقف أبى يودعنى فى المطار ، واحتضننى الى صدره . وعيناه معرورقتان بالدموع . . وقال فى صوت مختنق :

— لا تتأخرى .. ثلاثة أسابيع فقط ..

انه يخشى الا أعود .. كما فعل ابنه الذى سافر الى امريكا . وابنه الثانى الذى سافر الى بلجيكا ..

كانت أيامى فى القاهرة . . كارثة !

عائلة محيى الدين التى أقمت عندها تضم نماذج بشريه عجيبة . . .

« طنط نازلى » .. وهى عجوز فى التسعين من عمرها ربما اكثر .. ترقد فى سريرها كالميتة .. لا تقوم منه .. وجهها اصفر كالميتة .. وشعرها متاكل ستظ معظمه .. وتصرخ كل خمس دقائق فى صوت مبحوح سنية .. سنية .. وسنية هى احدى خادمات البيت .. ضخمة كالسجانة .. ثم « طنط ميمى » ، ابنة نازلى .. فى السبعين من عمرها .. لا تكف عن الحركة فى أنحاء البيت وتسير متوكئة على عصا من الابنوس لها مقبض ذهبى انيق ... وفى كل خطوة من خطواتها تصدر امرا .. ولكن لا احد يابه بأوامرها .. حتى ولا الخدم .. انهم يتركونها تتحرك وتصدر الاوامر .. كأنهم يعتبرونها مجنونة ... ثم « طنط لولى » .. ابنه طنط ميمى .. فى الخمسين او اكثر .. هى حاكمة البيت .. قوية .. شعرها أكله الشيب .. تسير وهى تدب على الأرض فى خطوات حازمة .. وفى عينيها قسوة تحاول أن تخفيها وراء ابتسامة باهتة تقطر نفاقا .. وزوجها هو عميد العائلة .. محمد محى الدين .. فى الخامسة والستين من عمره .. منهار .. كل شىء فيه منهار .. عيناه منهارتان .. شفتاه منهارتان .. أنفه منهار .. كرشه منهار .. ساقاه معوجتان منهارتان .. ثم اخيرا ، عايدة .. ودودى .. ابنة طنط لولى .. فى الثلاثين من عمرها .. تعتبر نفسها أحيانا أديبة ، وتكتب قصصا بالفرنسية .. واحيانا تعتبر نفسها صانعة تماثيل .. اى مثالة .. ولها غرفة فوق سطح البيت ، تجمع فيها اكواما من الطين ، وتقف بينها مرتدية معطفا ابيض ، وتصـــنع تماثيل لا معنى لها .. ولكنها كلها بشعة مخيفة ، اشبه بالأشكال التى نراها عندما يدهمنا كابوس .. وزوجها لا ادرى ماذا يعمل ..

ولكنه يغيب ايامه، ثم يعود .. ولا أرى الدهشة على وجه أحد اذا غاب ، ولا الفرحة اذا عاد .. واسمه رفيق .

وهذه العائلة التي تضم اربعة اجيال .. تقيم في بيت واحد فخم ، يطل على النيل ، تزدحم فيه قطع من الأثاث القاتم الغامق ... وانا أكره الطراز القديم لقطع الأثاث ... انه يقبض قلبي .

وقد بذلت العائلة كل جهدها لترحب بي .. استقبلوني في المطار .. وخصصوا لي اجمل حجرات البيت .. حجرة تطل على النيل .. واقاموا لي حفلة عشاء كبيرة دعوا اليها عائلات لبنانية كثيرة .. ودعتني دودي الى العشاء في اليوم التالي مع بعض اصدقائها وصديقاتها في ستريو الهرم ، وحرصت على أن تدعو بعض الشبان في مثل سني ليراقصوني .. ورغم ذلك فقد كنت اشعر بأن كرمهم ليس كرما طبيعيا .. وأن ترحيبهم ليس من القلب .. لا ادري لماذا .. ربما ظنوا أن ابي قد ارسلني اليهم لأذكرهم بأنهم مدينون له بعشرة آلاف ليرة .. وقد بدأ محمد محيي الدين يحدثني منذ اليوم الأول لوصولي عن سوء احواله المالية .. لقد كان يملك مصنعا كبيرا أخذته الحكومة .. أخذت كل شيء .. ولم يعد محمد محيي الدين يملك في مصر سوى عمارة تطل على ميدان التحرير .. والعائلة كلها تعيش على ايراد هذه العمارة .. ولم يكن لي شأن بكل هذا .. ولم احاول ان اسأله لماذا اخذت الحكومة مصنعه .. فأنا لم احضر الى القاهرة لأفهم ماذا يجرى في مصر .. ولا ماذا يجرى للعائلات اللبنانية المقيمة في مصر ... وربما أحسست ساعتها أن محمد محيي الدين كان يقول لي كل هذا الكلام كأنه يعتذر لوالدي عن عدم سداد دينه .. ورغم ان حديثه كان مملا عقيما الا انه اثار شفقتي ..

وبعد يومين بدأت أختنق في هذا البيت الكبير ..

أصبحت لا أطيق أن أطل من شرفة غرفتى على منظر النيل .. لقد كنت أتصور النيل دائما ، نهرا طيبا صافيا ، تميل عليه أشجار النخيل لتغسل رؤوسها فيه .. نهرا حالما ، فيلسوفا ، عجوزا .. ولكنى أراه الآن عربيدا ، مخيفا ، مياهه داكنة سوداء لا تفصح عما فى أعماقها .. أراه كالثور المتوحش اللئيم .. ويخيل الىّ كلما نظرت اليه كأنه يحاول أن يشدنى من اقدامى ليبتلعنى ..

وأصبحت كلما سقطت عيناى على وجه طنط نازلى وهى راقدة فى فراشها .. أحس كأنى مثلها .. فى مثل عمرها .. فى صفرة وجهها .. وكلما سمعت صوتها ينادى سنية .. أحس كأنى اسمع نداء الموت يدعونى اليه .. ثم اذا صافحت عينى وجه طنط ميمى .. خيل الىّ ايضا أنى مثلها .. وشعرت انى فى حاجه الى عصا اتوكأ عليها فى سيرى .. عصا من الأبنوس لها مقبض مذهب .. ثم التقى بوجه طنط لولى فأشعر بنفس الاحساس .. اشعر بأنى انا ايضا قاسية مثلها ، منافقة مثلها .. لقد أصبحت اتقمص شخصيات البيت واحدة بعد اخرى ، وكلها شخصيات تعيسة ، بائسة ، منهارة .. ليس بينها شخصية مرحة شابة ، تثير فى المرح والشباب .. وأحاول ان اخلص نفسى من هذه الشخصيات القاتمة .. احاول أن أحتفظ بشخصيتى .. بشبابى ومرحى وانطلاقى .. ولكن هذه الشخصيات تلاحقنى ، وتتقمصنى كالعفاريت ..

والعائلة لا تزال تبذل كل جهدها لترفه عنى ، وقد كلفوا دودى بمرافقتى .. على اعتبار أنها اصغر من فى البيت سنا .. ولكن دودى لم تخف تذمرها منى .. انها ترافقنى كأنها مكلفة من مصلحة السياحة بمرافقة سائحة عجوز مملة .. كأنها تقوم

بمهمة ثقيلة تتقاضى عليها أجرا .. انها انسانة معقدة .. ولا ادرى سر عقدتها .. وربما كانت تغار منى .. لا ادرى .. ولكنها فعلا لا تحبنى .. وقد اخذتنى فى السيارة الى الهرم .. واشارت بيدها وهى داخل السيارة وقالت فى ملل :

ــ هذا هو الهرم ..

ثم تحركت السيارة الى ابى الهول ، وقالت دودى بنفس الملل :

ــ هذا هو ابو الهول .

وقد تركتها فى السيارة ، ونزلت امشى بجانب الهرم وابو الهول .. وانظر اليهما فى زهق .. شو ىدى ، بهذه القطع الضخمة من الحجارة .. حجارة .. مجرد حجارة .. ما الفرق بين حجر عمره مليون سنة وحجر عمره يومان .. وما الفرق اذا كان تحت الحجر ملك مثل خوفو .. او كان تحته سحلية .. الناس الذين يأتون الى القاهرة ليشاهدوا الهرم مجانين ..هبل .. واجمل واروع الف مرة من الهرم .. البنطلون الذى كنت ارتديه يومها .. بنطلون مخطط « سترتش » .. وشعرى السائل على وجهى .. والكحل حول عينى .. نعم ، ان اجمل من كل ما صنعه الانسان ، هو الانسان نفسه .. وقد اثرت اهتمام كثير من السائحين الذين كانوا يتجولون حول الهرم .. كثير منهم احسوا انى اكثر روعة من الهرم فاداروا نحوى آلات التصوير ، والتقطوا لى كثيرا من الصور .. بعضهم صورنى بعد ان استأذننى .. واحسست بانى لا اثير الانتباه والدهشة فى لبنان وحدها ، بل فى كل مكان اذهب اليه .. وربما لو كنت فى لبنان لما سمحت لأحد ان يلتقط صوتى .. فانا هناك لست فى حاجة الى دليل

يشعرنى بنفسى .. ولكنى هنا .. ووسط هذا الملل الذى اعيش فيه .. كنت فى حاجة الى اى دليل لبشعرنى بأهميتى ..

وعدت الى البيت القاتم ..

الاحاديث كلها تدور حول لبنان .. وعائلات لبنان .. والأطعمة التى تقدم كلها لبنانية .. يا رب .. اين مصر .. اين القاهرة .. ان كل ما فعلته بنفسي هو انى تركت لبنان كله ، وعائلات لبنان كلها ، وسجنت نفسى فى بيت واحد من بيوت لبنان .. وفى وسط عائلة واحدة من عائلات لبنان .. لقد تركت لبنان وانا احلم بعالم اوسع .. بحرية اكثر .. ولكنى افقت لأجد نفسى سجينة فى اضيق ركن من اركان لبنان .. فقدت حريتى .. لقد كنت حرة بين ابى وامى ، اكثر مما انا فى بيت عائلة محيى الدين ..

وبعد ايام اتصل بى عصام .. وهو شاب لبنانى فى جامعة القاهرة ، ويعرف عائلتنا ، وقد ارسل له بعض اصدقائى فى لبنان بخبر وصولى الى القاهرة واقامتى عند عائلة محيى الدين ، فاتصل بى ..

كنا قبل الظهر .. وعرض علىّ ان يمر علىّ بسيارته لنخرج سويا ..

وقبلت عرضه بسرعة ..

وخرجت اليه وانا البس البنطلون وحذاء بلا كعب ، وفى يدى قلم الكحل وورقة الكلينكس وبضعة جنيهات مصرية .. وكدت انسى ان استأذن طنط لولى قبل ان اخرج .. فانى لم اتعود ان استأذن احدا .. لا ابى ولا امى .. ولكنى وجدت ان من اللياقة ان استأذن طنط لولى .. فاستأذنتها وقلت لهـا انى خارجة مع عصام .. وسالتنى عن عائلة عصام .. وعن سنة .. وعن

.. وعن .. وبدأت اجيبها فى زهق .. وربما خافت من زهقى ؛ نكفت عن اسئلتها ، وسمحت لى بالخروج ..

وكان مع عصام ، صديق آخر .. هشام .. لبنانى ايضا ..

وقال لى عصام :

ـ نذهب الى الهرم ؟

وصرخت :

ـ لا .. اى مكان الا الهرم .. انى لم ار القاهرة بعد ..

واخذنى عصام الى كافتيريا هيلتون .. وفى دقائق وجدت نفسى جالسة بين سبعة شبان لبنانيين .. بعضهم من الطلبة الذين يتلقون العلم فى القاهرة .. وبعضهم جاءوا الى القاهرة زائرين .. وفى دقائق اخرى احسست ان كل الجالسين فى الكافتيريا من اللبنـــاايين .. وانى لست فى كافيتيريا هيلتون بالقاهرة ، ولكنى جالسة فى « سناك بار ستاركو » ببيروت .. نفس الشخصيات .. نفس الوجوه .. نفس مواضيع الأحاديث .. كل الذى اختلف هو اللهجة التى يتحدث بها اصدقائى الجدد .. انها ليست لهجة لبنانية صميمة .. ولا لهجة مصرية صميمة .. انها خليط مائع بين اللهجتين .. واول ما يحاوله اللبنانى فى القاهرة هو ان يلتقط اللهجة المصرية .. وكثير من صديقاتى اللاتى جئن الى القاهرة عدن ليتحدثن فى بيروت باللهجة المصرية .. كأنهن يزهون بثوب جديد استوردنه من هناك .. بل ان اللهجة المصرية فى بيروت علامة من علامات الانتماء السياسى والثقافى .. البعض يتحدث باللغة الفرنسية .. والبعض يتحدث باللغة الانجليزية .. والبعض يتحدث باللهجة المصوية .. والذى يتحدث باللغة الفرنسية تعلم انه يحب فرنسا .. والذى يتحدث باللغة

الانجليزية تعلم أنه يحب امريكا .. والذى يتحدث باللهجة المصرية تعلم أنه يحب عبد الناصر ..

ولكنهم فى الواقع لا يتحدثون باللهجة المصرية ، ولكنها لهجة مائعة ضائعة ، كمشية الغراب الذى حاول أن يقلد العصفور ، فلا استطاع ان يكون عصفورا ، ولا أن يكون غرابا أبله .. لن اقلد العصفور .. لن اقلد اللهجة المصرية .. لا لأنى شعرت بشخصيتى اللبنانية وتحمست لها .. أبدا .. ولكننى أحسست بالألفاظ المصرية ثقيلة على شفتى .. احسست كأنى اصبغ شفتى بلون لا يبرر جمالهما .. وانا أعلم ان فى اللهجة اللبنانية كلمات غليظة تملأ الفم كقطع الطوب .. ولكنى لا استعمل هذه الكلمات .. ان ذوقى فى اختيار ألفاظى وطريقة نطقى ، لا يقل رقة عن ذوقى فى اختيار ثيابى وتسريحة شعرى .. انى فى لبنان نفسها معروفة باللهجة اللبنانية التى اتحدث بها ... لهجة قد يكون فيها بعض الدلع كما قال لى يوما سامى .. ولكن ليس فيها قطعا غلاظة اللهجة اللبنانية . المهم .. لقد قررت بينى وبين نفسى الا التقط بشفتى شيئا من اللهجة المصرية ، مهما امتلأت اذناى بهذه اللهجة .. احساس .. مجرد احساس دفعنى الى أن ارفض اللهجة المصرية ..

وتغدينا يومها فى كافتيريا هيلتون انا والشبان اللبنانيون ..
دون أن استأذن طنط لولى ..
وذهبنا بعد الغداء الى السينما ..

وخرجنا من السينما لنتمشى فى شارع قصر النيل ، وشارع سليمان .. انى أحب هذين الشارعين .. لا لانهما شارعان تجاريان مزدحمان .. لا .. ان معروضات الدكاكين فى القاهرة لا تساوى شيئا بجانب معروضات دكاكين بيروت .. وكل ميزاتها

انها رخيصة .. رخص التراب .. ولكنى احب هذين الشارعين لأنهما اكثر شوارع القاهرة حياة .. وضجة .. وانا احب الحياة والضجيج ..

وعدت الى البيت القاتم ..

واستقبلتنى طنط لولى ، وعلى شفتيها ابتسامة نفاق تحاول أن تخفى بها ، قسوة عينيها ، وقالت فى رقة مفتعلة :

ـ كنت ارجو أن تبلغينا حتى لا ننتظرك على الغداء ..

قلت .. وأنا أحاول ان اكتم عصبيتى .. ان أعصابى تؤلمنى كلما هم أحد أن يحاسبنى :

ـ آسفة .. لا تنتظرونى مرة ثانية .. انى اكره أن ينتظرنى أحد ..

وسكتت طنط لولى ، وهى تزفر انفاسها ، كأنها تحسب الايام التى ساقضيها فى بيتها ، حتى تتخلص منى .

واصبحت اخرج كل يوم مع شلة عصام .. نتغدى فى الكافتيريا .. ونذهب الى السينما .. واحيانا اذهب معهم الى حفلات تقيمها الجامعة الأمريكية .. ونسهر فى الاستريو أو فى ملهى شبرد .. ونرقص .. وكنت أضحك على المصريين وهم يرقصون .. انهم يبدون كأنهم يهرولون فى بنطلونات واسعة وفى فساتين تجرجر على الأرض .. المصريون والمصريات لا يعرفون الرقص .. انهم يرقصون كأنهم يرتكبون فضيحة .. بعضهم يرقص فى خجل ، وبعضهم يرقص فى وقاحة .. الرقص يبدو غريبا عليهم كأنهم يقلدون فيه شعبا آخر .. وينسون أحيانا فيخلطون بين رقصة التشاتشا والرقص البلدى .. انهم لا يرقصون مثلما نرقص فى بيروت .. اننا فى بيروت نرقص الرقصات الحديثة كأنها وضعت خصيصا لنا ، لا كأننا نقلد شعبا آخر ..

والرقصات تصل الى بيروت فى نفس اليوم الذى تظهر فيه فى باريس أو روما أو نيويورك .. وقبل أن تصل الى القاهرة بشهور .. وقد جئت الى القاهرة فلم اجد احدا يعرف شيئا عن رقصه « الباسانوفا » فى حين أن بيروت كانت ترقصها منذ شهور ..

ويوم بعد يوم تتسع شلة الأصدقاء حولى .. وكلهم بنات وشبان ابنانيون ، وأردنيون ، وفلسطينيون ، وسوريون .. وقد اخترت من بين كل هؤلاء هشام ، الذى التقيت به يوم أن التقيت بعصام ، ليكون صديقا لى .. الصديق الذى ينسب الى .. ربما لأنه كان أحوج الجميع الى صداقتى .. ولأنه كان يضحكنى كثيرا بسذاجته ، وان كان كثيرا ما يفتعل هذه السذاجة ، ليضحكنى اكثر .. صديق .. مجرد صديق .. هو المكلف بأن يصحبنى من البيت الى حيث تواعدت الشلة على اللقاء .. وهو الذى اختاره ليذهب معى الى السينما ، حتى لو ذهبنا وحدنا .. وهو الذى يحدثني فى التليفون ويعرف برنامجى اليومى .. ولا اكثر .. لا شىء اكثر .. حتى ولا هذه القبلات التى كنت اسمح لأصدقائى فى بيروت بأن يضعوها على خدى ، واتركها احيانا لتنزلق على عنقى ..

ثم ..

بدات من جديد احس انى لم أر القاهرة بعد .. انى لم ادخل بيتا مصريا .. ولم اعرف بنتا مصرية .. ولا شابا مصريا .. ولم أر شيئا يمكن ان يميز القاهرة سوى هذا النيل الذى يحاول أن يجرنى من قدمى ليبتلعنى .. وهذه الشمس التى تظل مفتحة طول النهار كأنها تجرى ورائى .. لا تحاول أن تستريح خلف سحابة ولا تحاول ان تكف عن ملاحقتى .. وبعد ذلك .. أحس بأنى لا زلت فى بيروت .. احس انى اعيش فى صورة مشوهة

سخيفة من بيروت .. ان المجتمع اللبنانى فى القاهرة الذى احتوانى .. مجتمع منعزل .. يغلق على نفسه بابا لا ينفتح على مصر .. ولا يسمح بالدخول فيه الا للأردنيين ، والفلسطينيين ، والسوريين ، حتى يستكمل صورة مجتمع بيروت .. ولا ادرى هل المصريون هم الذين عزلوا اللبنانيين فى مجتمع خاص بهم .. أم ان اللبنانيين هم الذين عزلوا انفسهم فى مجتمع يتنقل بين كافتيريا هيلتون ، والنادى الشرقى ، وباب الجامعة الأمريكية ، وبيوت الطلبة الغرباء .. واستريو الهرم ..

ولم أدر كيف أجد الطريق الذى يقودنى الى القاهرة .. كيف احس أنى تركت لبنان .. والزهق والملل يعاودانى .. واحس احيانا بنوبة الاختناق تقترب منى .. وبدأت افكر بعد أسبوعين فقط فى ان اعود الى لبنان .. خير لى أن اعيش فى لبنان ، من أن اعيش فى صورة مشوهة من لبنان .. ومن هناك لعلى افكر فى السفر الى بلد آخر .. بلد ليس فيه مجتمع لبنانى يمتصنى ، ويصر على أن يبقينى فى داخله ..

الى أن كان يوم ..

وكنت فى حجرتى بالبيت القاتم ، أقلب فى حقائبى ، عندما عثرت على الخطاب الذى اعطاه لى عمى الدكتور محمود شمس الدين .. كنت قد نسيت هذا الخطاب ونسيت أمره منذ وصلت الى القاهرة ..

وقرأت العنوان ..

الدكتور هاشم عبد اللطيف ..

ثم العنوان :

ميدان سليمان باشا ..

ثم رنم التليفون ..

وأمسكت الخطاب فى يدى .. أفكر .. ولم افكر فى انى لم أقم بخدمة صغيرة طلبها منى عمى .. ولم يكن يهمنى حتى بعد ان وجدت الخطاب وتذكرته أن أوصلة لصــاحبه .. ولكنى كنت افكر فى هذا الدكتور هاشم . انه مصرى .. لقد قال لى عمى انه مصرى .. ولكن لعــله عجــوز .. ولعــله منافق .. فيه هذا الوقار المفتعل والطيبة المفتعلة اللذان يتظاهر بهما كل الاطباء .. ولكنه مصرى .. يكفى أنه مصرى ... ولعلى احس عن طريقه بشىء من مصر .. ان مجرد رؤية طبيب شىء جديد علىّ ..

وحملت الخطاب واتجهت الى التليفون وأدرت رقم الدكتور هاشم ، وأنا أحس كأنى اقوم بمغامرة .. وسمعت صوتا مهذبا مؤدبا يرد علىّ ، وقلت وانا احاول ان اخفف من لهجتى اللبنانية كأنى أحسست بها كلهجة أجنبية وانا احادث احد المصريين :

ـ الدكتور هاشم موجود ؟

وقال الصوت :

ـــ نقول له مين .. يا افندم ؟

قلت :

ـ انى من لبنان .. أحمل له رساله خاصه ..

قال :

ـ دقيقه واحده من فضلك ..

وانتظرت أكثر من دقيقة ، ثم جاء هاشم يرد علىّ فى صوت ملىء ، خيل الىّ أنه ينبض بالملل :

ـ مين .. يا افندم ؟

قلت :

ـ انى أحمل لك رساله من عمى الدكتور شمس الدين ..

قال وكأنه يبتسم لى :

ــ اهلا وسهلا .. كيف حال الدكتور شمس الدين ..

قلت :

ــ منيح .. متى استطيع ان اسلمك الرسالة ؟

قال :

ــ اى وقت تشائين .. ام تفضلين ان ارسل لك من يتسلمها ..

قلت بسرعة :

ــ افضل ان احملها لك بنفسى .. فانى لن ابقى فى البيت طويلا ..

قال :

ــ شكرا .. انى فى انتظارك ..

قلت :

ــ بعد نصف ساعة على الأكثر .. العنوان ميدان سليمان .. مكتوب على الظرف ..

قال :

ــ نعم .. ميدان سليمان باشا .. الف شكر ..

واعدت سماعة التليفون .. وجريت أرتدى ثوبى ، ووضعت على رأسى قبعة صغيرة من الفراء الأسود ، كانت قد جاءتنى هدية من باريس .. تبرز لون بشرتى البيضاء .. وتجعل وجهى أكثر استدارة .. وتطل فوق عينى السوداوين .. فأبدو كالقطة .. ثم حملت فى يدى قلم الكحل وورقة الكلينكس ، وخرجت .. ركبت سيارة عائلة محيى الدين ، وذهبت الى عيادة الدكتور هاشم ..

واستقبلنى الممرض باهتمام كبير .. ومر بى بين غرف العيادة المزدحمة بالسيدات والرجال .. وادخلنى الى غرفة المكتب ..

ثم تركنى وحدى .. وفجأة بحثت عن رسالة عمى فى يدى فلم اجدها .. نسيتها .. واحترت .. فكرت ان أعود الى البيت لأحملها .. ولكنى عدت وهززت كتفى بلا مبالاة .. سأقول له انى نسيتها ..

وفتح باب جانبى ودخل الدكتور هاشم ..

ونظرت اليه .. وكان اول ما رابته فيه شعره الأبيض .. انه فى لون الدخان .. كأن فى قلبه شىء يحترق وينطلق منه الى شعر راسه .. وعيناه طيبتان فيهما انكسار عجيب ، وزهق . كأنهما عينا طفل يتيم .. وشفتاه منفرجتان كأنه يقاوم من الألم .. وانفه كبير يحمله فوق وجهه النحيل كأنه ينوء بحمله .. وهو كبير .. كبير فى السن .. على الأقل بالنسبة لى .. ولكنى وجدت فيه شيئا انسانى سريعا كبر سنه ...لعلها هذه النظرة المنكسرة المليئة بالزهق التى تطل من عينيه .. ووجدت نفسى أطيل النظر اليه .. واعود وأدقق فى ملامحه ، بعينين جريئتين . كأنى ارى وجه مصر لأول مرة .. وهو واقف أمامى ينظر الىّ كأنه لا يصدق عينيه .. وعلى شفتيه ابتسامة مذهولة .. ثم تقدم منى مادا يده ليصافحنى .. وتنبهت الى انى انظر اليه بجرأة .. فسحبت نظرتى المعلقة فوق وجهه .. ومددت يدى اليه وانا اقول :

— رحاب ..

وقال وابتسامته تتسع لتضم وجهى كله :

— اهلا ..

— ثم جلس الى مكتبه .. وعيناه تنظـــران الىّ ولا تزالان مذهولتين .. وجرى بيننا الحديث .. وانا احس به كأنه يقاوم حتى يحتفظ بمسافة بينى وبينه .. المسافة التى يفرضها الاحترام

الرسمى .. يقاوم نظرته حتى لا تصبح أكثر تعبيرا عن اعجابه .. ويقاوم كلماته حتى لا تصبح أكثر جراة ... ويقاوم يده حتى لا تمتد الى يدى .. انى احس بكل ذلك .. ربما تستطيع كل فتاة ان تحس بمكانتها عند الرجل بمجرد النظر الى عينيه .. وقد احسست به معجبا بى الى حد الذهول الى حد أن يضطر الى كل هذه المقاومة ..

وقد اشعرنى حديثه لأول مرة بأنى فى القاهرة .. لهجته المصرية الرقيقة .. واسئلته التى تشعرنى بأنى فى بلد غريب عنها . واسئلته عن الأماكن التى شهدتها فى القاهرة .. ثم كف بيننا الحديث برهة . خيل الى خلالها أنه يهم أن يسألنى عن الرسالة التى احملها له ، فقلت فورا :

ــ آسفة .. لقد نسيت رسالة عمى ..

وضحك ضحكة كبيرة خيل الى انها ابتلعت انفه كله ، ثم قال :

ــ لا يهم ..

قلت وصدى ضحكته يتردد على شفتى :

ــ انى أنسى كثيرا .. ولكنى ساحملها لك يوما ..

قال فى لهفة :

ــ غدا ؟

قلت :

ــ لا .. بعد غد !

ولم ادر لماذا لم اوافق على الغد ، فلم يكن لدى شىء يقيدنى فى اليوم التالى .. ربما كان هذا مجرد انعكاس تلقائى لاحساسى بأنه معجب بى ..

قال :

ـ بعد غد .. اذن ..

قلت :

ـ سأتصل بك فى التليفون لنتفق على الموعد ..

ونظر الىّ فى تردد ، ثم امسك بقلمه وكتب رقما على ورقة ، قدمها لى وسحابة خجولة حمراء تطوف بوجهه ، وقال :

ـ اتصلى بى فى هذا الرقم ..

ولم ادر لماذا بدا عليه هذا التردد ، ولا لماذا الخجل .. واستطرد هاشم قائلا :

ـ حتى ارد عليك بنفسى .. انه رقم التليفون الخاص ..

هززت راسى كانى فهمت ..

وقمت واقفة ..

وقال وهو يصافحنى :

ـ الا استطيع ان اقدم لك اى خدمة وانت فى القاهرة .

قلت :

ـ لا .. شكرا !

قال :

ـ انت هنا مع العائلة ؟

قلت :

ـ .. وحدى !

قال :

ـ لعلى استطيع دعوتك ..

قلت :

ـ لا ادرى .. نتفق فيما بعد !

وابتسم .. وقال وهو يفتح لى الباب :

ـ لو انى رايتك فى اى مكان لما اعتقدت انك من لبنان ؟

قلت وانا انظر اليه بكل عينى :

ــ لماذا ؟

قال :

ــ انك تبدين كانك باريسية ..

قلت ضاحكة :

ــ كثيرون يعتقدون ذلك ..

قال وفى عينيه شىء كالتوسل :

ــ سأنتظر منك تليفون ..

قلت :

ــ ان الله يريد ..

وخرجت .. وعلى شفتى ابتسامة زهو .. راضية عن نفسى .. معتدة بنفسى .. كانى فتحت ابواب القاهرة ..

وذهبت للقاء شلة اللبنانيين فى كافتيريا هيلتون ، وتغديت معهم .. وربما لاحظوا يومها انى اكثر مرحا ، واكثر اعتدادا بنفسى .. كنت اقودهم جميعا الى حيث اريد .. اقود حديثهم .. واقود خطواتهم .. واطلق بينهم الضحكات ، واثير بينهم المناقشات .. ولم اكن ادرى سببا لانطلاقى .. ليس السبب قطعا هو الدكتور هاشم .. ولكنه احساسى بأنى استطعت ان اخرج عن هذه الدائرة الضيقة التى عشت فيها منذ وصلت الى القاهرة ..

وعدت الى البيت .. وقبل ان اخلع ثوبى بدأت ابحث عن الرسالة التى نسيتها .. بحثت عنها بجانب التليفون .. وفى غرفتى .. فى حقائبى .. فى الدولاب .. ولكنى لم اجدها .. ربما وجدتها الخادمة واعطتها لطنط لولى .. وسألت طنط لولى .. وسألت الخادمة .. كل الخدم .. ولكن لا احد وجد الرسالة ..

وهززت كتفى ..

لا يهم ..،

ورقدت فى فراشى وأنا لازلت بثوبى ، وصــورة الدكتور هاشم تملأ خيالى .. انه ليس كبيرا جدا .. لعله فى الأربعين ، وربما اكثر قليلا .. انه أكبر من سامى وغسان وباقى أصدقائى فى بيروت .. ولكنه يبدو لى اكثر حاجة الى منهم .. ويبدو مهموما ، حائرا ، ضعيفا ، كالطفل التائه .. هذه النظرة المنكسرة فى عينيه .. وهذه الابتسامة كأنها آهة ألم .. ثم هذه المقاومة العنيفة التى يبذلها ليحتفظ بشخصيته .. انه يبدو لى كأنه يعيش هذه المقاومة منذ ولد .. طول حياته يقاوم .. ترى ماذا يقاوم ؟

ولم اكن افكر فى الدكتور هاشم الا كصورة مرت بى .. مجرد صورة .. لم يأخذنى خيالى الى ابعد من ذلك .. لم اجمع بينى وبينه ، ولا فى خيالى .. لم أتصور أن يكون بينى وبينه شىء .. لا يمكن أن يكون بينى وبينه شىء ..

ورغم ذلك ..

انه شىء جديد بالنسبة لى .. شخصية جديدة .. مثيرة .. غامضة .. فيها غموض القاهرة لأنى لا اعرفها ، ولم أستطع أن التقى بها حتى اليوم ..

ونمت دون أن اتخذ قرارا بالنسبة للدكتور هاشم .. ولا حتى قررت أن أعتذر له عن ضياع الرسالة .. انى اكره أن اعتذر لأحد .. اكره أن أشعر بأنى مدينة لأحد بالاعتذار .. ماذا يمكن أن تكون لهذه الرسالة من أهمية .. لا شىء قطعا .. مجرد كلام فارغ مما يتبادله الرجال ..

وفى اليوم الثانى قررت أن أخرج وحدى .. حملتنى السيارة

الى شارع قصر النيل ، ثم صرفتها واخذت اسير فى الشارع وحدى .. وتعمدت ان ادخل فى الشوارع الجانبية التى لم ادخلها من قبل .. ثم خرجت الى ميدان الأوبرا .. وميدان العتبة .. مناطق لم اتردد عليها من قبل ، ثم لمحت شارعا مزدحما دخلت فيه .. عرفت فيما بعد انه شارع الأزهر .. ومشيت ، ومشيت ... وانا اتمنى أن اتوه فى القاهرة .. او يخطفنى احد .. ان اصادف اى مغامرة تحرك هذا الماء الراكد الذى غطست فيه حتى عنقى .. ولكنى لم أته ، ولا حدثت لى مغامرة .. انما امشى واطل على الوجوه السمراء التى امر بها ، ويخيل الىّ أن كل وجه جدار من الحديد لا استطيع ان ارى خلفه شيئا .. ورائحة افريقيا تملأ انفى .. رائحة العرق ، والزحام ، والشمس .. رائحة لاذعة تثيرنى ..

وتعبت من المشى ، فركبت سيارة تاكسى ، وطلبت من السائق ان يحملنى الى كافتيرنا هيلتون .. لن يتوه أحد ابدا ما دامت هناك سيارات تاكسى ..

وكنت سعيدة يومها لأنى تحررت مرة ثانية من المجتمع الذى يمتصنى .. ولكنها كانت سعادة باهتة .. ولم اكد أستقر بين شلة اللبنانيين فى الكافتيريا حتى عاودنى الملل والزهق .. انه نفس الحديث التافه المعاد .. بل انى استطيع ان اعرف ماذا سيقول هشام بعد نصف ساعة .. ومتى سيضحك عصام ضحكته الغليظة .. ومتى ستأتى سوزيت .. وماذا ستطلب ليلى .. الدقائق مرسومة أمام عينى .. مملة .. سخيفة ..

وقمت فجاة من مجلسى ، وذهبت الى حجرة التليفون ، وبحثت عن رقم عيادة الدكتور هاشم .. كنته قد نسيت أن احمل

معى رقم التليفون الخاص الذى أعطاه لى .. انى انسى دائما
.. او على الأصح اكره ان احمل شيئا في يدى ، أو في ذاكرتى ..

وعندما سمعت صوته ، قلت له فورا :

ــ انا رحاب .. هل استطيع ان امر عليك هذا المساء ؟

قال في صوته المليء الكسول وانا أكاد اسمع لابتسامته صوتا :

ــ متى ؟

قلت :

ــ الساعة الخامسة ..

قال :

ــ سانتظرك ..

وذهبت اليه في الساعة الخامسة .. وكل ما تعمدته هو انى جمعت شعرى فوق راسى .. لأبدو اكبر ..

وقال في مرح هادىء بمجرد ان رآنى :

ــ انها تسريحة جديدة ..

قلت وانا ابتسم له :

ــ هل اعجبتك ؟

قال :

ــ انك تبدين فيها كالقطة ..

ولم يعجبنى أن يشبهنى بالقطة ، لا لشيء الا لأن عشرات قبله شبهونى بالقطة ..

وقلت وانا انظر الى ابتسامته اننى يخيل الى أنها تنضح بالألم :

ــ جئت أعتذر .. لقد اضعت الرسالة ..

وضحك .. كأنه يدلل طفلة صغيرة .. وقال :

ـ لا يهم .. لا أعتقد انها تحمل شيئا هاما ..

قلت وانا أدارى غيظى من ضحكته ، بابتسامتى :

ـ أعتقد أنه كان يوصيك بى .. لا أكثر .. ولكنى سأطلبه فى التليفون لأسأله ان كان هناك شيء اكثر ..

قال وهو ينظر الى هذه النظرة التى تنضح بالمقاومة :

ـ دعيه هو يطلبك فى التليفون لو اراد ان يطمئن على رسالته ..

قلت :

ـ ابى سيطلبنى فى التليفون على كل حال .. اسفة مرة اخرى ..

وهممت أن انصرف .. وقام من وراء مكتبه ، ولحق بى قائلا كأنه يتوسل :

ـ هل تقبلين دعوتى الى الغداء ..

قلت وانا أنظر فى وجهه :

ـ لماذا ؟

قال فى دهشة :

ـ لا لسبب .. فقط لأكون معك ..

قلت :

ـ ان لى صديقة يسرها أن تخرج مع مصرى .. هل اعرفك بهـا !

وعاد يضحك .. ضحكة خجلة .. كأنه جرح :

ـ انى لا اريد أن اخرج مع اى واحدة .. اريد ان اخرج معك انت ..

قلت وانا انظر فى وجهه كأنى ابحث فيه عن شيء منه بين ثلاثة ..

يعيننى على اتخاذ قرار ..

ــ هل يزعجك ان اصحب معى صديقتى ..

وقال فى تهالك كأنه على وشك ان ييأس :

ــ لا .. لا يزعجنى .. ولكن الحديث بين اثنين امتع .

وترددت برهة .. ثم قلت :

ــ لك حق .. قبلت دعوتك ..

قال :

ــ غدا ..

قلت :

ــ غدا ..

قال :

ــ الساعة الواحدة والنصف ..

قلت :

ــ اتفقنا ..

وابتسم ابتسامة كبيرة ، ثم قال وهو يفتح لى الباب :

ــ هل ارافقك حتى البيت ؟

قلت :

ــ لست ذاهبة الى البيت .. انى على موعد مع بعض الأصدقاء .

قال :

ــ صديقات ؟

قلت :

ــ واصدقاء ..

قال :

ــ هل لك اصدقاء كثيرون فى القاهرة ؟

قلت :

ــ كثيرون ..

وتغير وجهه .. كأنه غرق فجأة فى بحر من الهم .. كأنى سكبت فوق راسه ابريقا من الحيرة .. وابتلع ريقه .. ثم قال فى صوت منهار :

ــ غدا .. الساعة الواحدة والنصف .. اين ؟

قلت :

ــ فى كافتيريا هيلتون .. انه المكان الذى لا أتوه عنه ..

قال بعد تردد وهو لا يزال غارقا فى الهم :

ــ اتفقنا ..

وخرجت ..

وفى صدرى احساس بأنى بدأت مغامرة ..

مغامرة فى القاهرة ..

نعم ..

كنت اعتقد انها مجرد مغامرة ..

لا ادرى ما الذى ربطنى بهاشم ..

احاسيس ..

احاسيس جديدة على ، لم تخطر على قلبى من قبل ..

وقد كان هاشم اكبر من دخلوا حياتى .. اكبرهم سنا .. لقد قال لى فى يوم لقائنا الأول ان عمره احدى واربعون سنة .. ثم قال لى بعد ايام ان عمره ثلاث واربعون .. ثم اعترف لى بأن عمره اربع واربعون .. كأنه كان يسقينى عمره على جرعات ، حتى لا اصطدم لو شربته فى جرعة واحدة .. ولم يكن يخطر ببالى ابدا ان اكون يوما لرجل فى الرابعة والاربعين .. كان رقم الأربعين يمثل امامى عالما آخر لا يمكن ان اعيش فيه .. عالم

بعيد .. بعيد .. بعيد عن قلبى ، وعن عقلى ، وعن خيالى .. ورغم ذلك فعندما عرفت هاشم احسست به أقرب الىّ من كل الشباب الذين ملأوا حياتى .. أقرب الى عقلى .. بل انى احيانا كنت اشعر به أصغر منى .. كنت اشعر به كأنه طفل .. عيناه فيهما براءة الأطفال .. وعلى شفتيه تردد الأطفال .. واحاديثه احيانا فيها سذاجة الأطفال .. وانفعالاته فطرية صريحة كأنها انفعالات طفل ..

ولكنى شعرت بالخوف من هذا الطفل ..

انى لم أشعر بالخوف ابدا من قبل .. كنت دائما مندفعة فى حياتى بلا خوف ..

ولكنى منذ اليوم الأول الذى عرفت فيه هاشم ، والخوف يتسلل الى قلبى .. كنت انظر الى شعره الذى يختلط فيه الابيض بالأسود ، فأحس انى اغرق فى بحر من الدخان .. وانظر فى عينيه فأحس انى أضيع فيهما .. واسمع كلماته الساذجة الصريحة ، فأحس بالحذر من السذاجة والصراحة ..

لا أدرى لماذا ؟

لماذا هذا الخوف ..

ربما لأنى احسست بأن هاشم يحاول أن يأخذنى من عمرى الى عمره .. وقد كنت فى التاسعة عشرة من عمرى ، ولكنى حتى ذلك الحين اعيش فى عمر الخامسة عشرة .. وكنت احب هذا العمر .. كنت أفضل الثياب التى تضعنى فى عمر الخامسة عشرة .. وتسريحة الشعر التى تضعنى فى الخامسة عشرة .. والانطلاق البرىء الذى يندفع فيه عمر الخامسة عشرة .. كنت اقضى اليوم كله بالبنطلون والحذاء بلا كعب .. اذهب الى كافتيريا هيلتون بالبنطلون .. والى السينما .. والى حفلات الجامعة

الامريكية .. دائما بالبنطلون .. لأن البنطلون يحررنى من عمرى ، ويحتفظ لى بعمر الخامسة عشرة .. ولكنى منذ عرفت هاشم بدات احس بعمرى .. عمر التاسعة عشرة .. ثم بدات احس بعمر اكبر من عمرى .. بدات احس بشىء يتيقظ فى .. شىء يخيفنى .. بدات احس بأنوثتى .. لم اعد استطيع ان انجاهل ان هاشم رجل .. وان رجولته اكبر من ان يضيعها فى الرقص والتنطيط كما يفعل الشبان الذين عرفتهم .. وقد عرفت فى بيروت كما قلت ، رجالا فى الثلاثين .. فى الخامسة والثلاثين .. ولكن واحدا منهم ، لم يثر فى هذا الخوف ولم احس بواحد منهم يحاول ان يأخذنى من عمرى الى عمره .. هاشم وحده هو الذى اثار فى كل هذه الاحاسيس ..

لم اكن اقاوم هاشم .. ولكنى كنت اقاوم نفسى ..

منذ اليوم الأول وانا اقاوم ..

اقاوم هذه الأحاسيس الجديدة التى بدات تتسلل الى ...

وازددت التصاقا بالشبان اللبنانيين الذين تعرفت بهم ؛ وربطت نفسى اكثر بصديقى عصام .. وتغاليت فى انطلاقى .. انطلاقة الخامسة عشرة .. احاول بكل هذا ان ابقى كما انا .. لا اريد ان اتغير .. لن اسمح لأحد ان يغيرنى .. أن يجعل منى فتاة اخرى غيرى .. ان يجعل لى شخصية اخرى غير الشخصية التى اخترتها . .واذكر انهاشم دعانى مرة الى السينما . فخرجت اليه وانا مرتدية البنطلون وشعرى سائل على وجهى .. وكنت اعلم ان ليس من اللياقة ان اذهب معه الى السينما بالبنطلون وشعرى سائل .. كنت اعلم انى سابدو بجانبه كأنى ابنته .. ولكنى عاندت ، ووقفت امام المرآة طويلا احاول ان اقاوم عنادى .. ولكنى بقيت عنيدة الى ان خرجت اليه .. ورايته مرتديا

بدلة غامقة اللون .. ياقة .. وكرافت .. وجاكت .. كأنه ذاهب الى تشييع جنازة .. كان الفرق بينى وبينه كبيرا .. كان اكبر من عمره .. وكنت أصغر من عمرى ..

وما كدت أجلس بجانبه فى سيارته حتى نظر الىّ نظرة طفل مسكين ، وقال فى صوت مرتعش :

— ابجب أن تلبسى البنطلون ؟

قلت :

— الا يعجبك ؟

قال :

— يعجبنى .. ولكنه يحرجنى .. انه يشعرنى بعمرى وعمرك ..

وقلت وانا اشفق عليه :

— اذن انتظر .. سأبدل ثيابى ..

قال :

— لا .. ولكننا لن نذهب الى السينما .. لنذهب الى مكان آخر ..

قلت :

— انى اريد ان اذهب الى السيما .. انتظرنى .. خمس دقائق فقط ..

ونزلت من السيارة .. وعدت الى البيت .. ووقفت امام المرآة ابدل ثيابى وانا احس بالاشفاق عليه ، وفى الوقت نفسه احس بالثورة على نفسى لأنى اشفقت عليه .. احس انه غلبنى وجعلنى ابدل ثيابى ..

ارتديت « تايير » « جرسيه » بنى اللون فيه خيوط من الذهب .. ضيق .. ووضعت قدمى فى حذاء فرنيه .. سبعة سنتى

.. ورفعت شعرى فوق رأسى .. وعدت اليه ليستقبلنى بابتسامة كبيرة حلوة .. ابتسامة طفل فرح ..

وكان هاشم يقاوم هو الآخر ..

انى اشعر بمقاومته ..

ربما كان احساسه بالفرق بين عمره وعمرى ، أكبر من احساسى .. وكان هذا الفرق يقف بيننا احيانا ، فأحس به يحدثنى حديث صديق كبير ، كأنه عمى الدكتور محمود شمس الدين . حديثا سخيفا باردا ، واحيانا كان يحدث العكس ، كان يحدثنى كأنه شاب فى العشرين .. ويتعمد أن يختار المواضيع التى يعتقد انها تهم شباب العشرين .. كأنه يحاول ان ينزل الى عمرى .. وكان حديثه فى هذه الحالة أيضا ، حديثا مفتعلا ، سخيفا ، باردا .. ولكنه فى أحيان اخرى كثيرة كان ينسى عمرى وعمره ، وينطلق يتحدث على طبيعته .. حديثا حلوا ، عميقا ، فيه أفكار جديدة .. وتجارب كثيرة .. حديثا يفتح عقلى على عالم لم أكن أعرفه .. عالم فيه حقائق هادئة ، ومرح هادىء ، وسعادة هادئة ..

وقال لى مرة ، وهو ينظر الى وفى عينيه شبه حسرة :

ـــ غريبة .. لقد كنت قبل ان ألقاك احب فتاة فى العشرين من عمرها .. انها الآن فى الحادية والعشرين .. أكبر منك بعامين فقط .. ولكنى لم اشعر ابدا بالفرق بين عمرى وعمرها ..

قلت وانا اشعر بغصة :

ـــ البنات المصريات يكبرن أسرع من اللبنانيات .. جوكم حار .. تنضج فيه البنت أسرع من جو لبنان ..

قال ضاحكا :

ـــ لا اظن .. ولكنه الشكل .. لقد كانت أطول منك .. واسمن .. ولم يكن على وجهها هذه الطفولة التى تبدو على وجهك ..

وشعرت بالغيظ .. انى أكره أن يقارنني احد باى فتاة اخرى .. وقلت كأنى أدافع عن نفسى :

ــ كثير من الرجال لا يرونني طفلة ..

قال وهو يتنهد :

ــ انا ايضا لا اراك طفله .. ولكنى احاول ان احس بك كطفلة ..

قلت وانا التفت اليه كأنى غاضبة :

ــ لماذا ؟

قال :

ــ هذا خير لي ..

ولم أحاول ان استطرد فى هذا الحديث .. كنت أعرف الى اين ينتهى هذا الحديث .. ولكن احساسى بالغيظ من هذه الفتاة الأخرى ظل يلازمنى .. انه ليس غبطا .. انه غيرة .. لعلها المرة الأولى التى احس فيها بالغيرة من فتاة أخرى .. وجدته نفسى اسأله ، فجاة ، كأن السؤال انطلق رغما عنى :

ــ هل كنت تحبها ؟

والتفت الى فى دهشة وقال :

ــ من ؟

قلت :

ــ هذه الفتاة الأخرى ..

قال وهو يحنى رأسه :

ــ نعم .. كنت أحبها ..

وقلت كأنى اتهكم :

ــ واين ذهب الحب ؟

قال وهو يزفر انفاسه :

ـــ قاومته ..

قلت :

ـــ لماذا ؟

قال :

ـــ لأنها كذبت على .. أخفت عنى حقيقتها .. وجدت امامى فجأة فتاة أخرى غير الفتاة التى أحببتها ..

قلت :

ـــ وكان من السهل عليك أن تنساها ..

قال :

ـــ لا .. لم انسها .. ولكننا أصبحنا أصدقاء ..

ثم ابتسم ابتسامة صغيرة وقال :

ـــ لقد رأتنا معا .. وهى تعتقد انك تصبغين شعرك ..

وصرخت كأنى أدافع عن اعز ما املك :

ـــ اصبغ شعرى .. لماذا .. هل انا عجوز لأصبغ شعرى .. خذ .. المس شعرى .. هل هذا شعر مصبوغ .. لماذا قالت لك ان شعرى مصبوغ .. لابد انها هى التى تصبغ شعرها ..

قال وهو يبتسم فرحا بصراخى :

ـــ انى لم اصدقها .. ولم اغضب منها .. ويجب ان تعذريها .

قلت فى زهق :

ـــ شو بدى منها ، حتى اعذرها .. انى لا اعرفها ..

وبقيت الابتسامة على شفتيه ..

وكرهت نفسى ساعتها .. أحسست انى كبرت فجأة ..

واصبحت اغار كالنساء .. واتحدث كالنساء .. واحس باحساس النساء .

لماذا اغار ؟

انى لا احبه حتى اغار عليه ..

وحتى اذا كانت هذه الغيرة مجرد انانية .. انانية بلا حب .. فيجب الا انسى انه رجل فوق الاربعين .. ولابد أن فى حياته الطويلة تجارب كثيرة ، ونساء كثيرات .. انه ليس فتى فى الثامنة عشرة أو فى العشرين ، حتى أصدم عندما أعرف أنه كان يحب فتاة قبلى .. ويجب الا انسى هذا .. يجب الا انسى انه فى الخامسة والأربعين ..

واعود اقاوم ..

وهو يقاوم ..

ورغم هذه المقاومة ، فاننا نلتقى .. كل يوم تقريبا .. وشىء يشدنى اليه اكثر واكثر .. واحس بحاجته الى .. ومسؤوليتى عنه ..

وقد عرف أصدقائى اللبنانيين انى تعرفت الى شاب مصرى .. وقلت لهم اسمه .. ولكنى لم اقل لهم عمره .. وهمست صديقتى عفاف فى اذنى قائلة :

— احترسى من الشبان المصريين .. انهم يريدون كل شىء من البنت .. ولا يعطون شيئا .. الا الكذب .. وكل منهم عنده شقة ..

ولم اهتم بكلمات عفاف .. انها لا تعرف هاشم .. انه ليس شابا .. انه رجل .. رجل كبير .. ولا يمكن ان يكون من هذا الصنف من الشبان المصريين ..

وبدات ارى القاهرة معه كما لم ارها قبل أن التقى به .. كنا

نذهب الى المطعم .. والى الفيوم .. والى القناطر .. والى الهرم .. والى سيدنا الحسين .. ونسير معا فى ضوء القمـر فى الشـوارع الضيقة .. فى النحاسين .. والمتولى .. والقلعة .. والمآذن الكثيرة ترتفع من حولنا شاهقة كأنها تحاول أن تصل الى الله .. لقد وجدت القاهره شيئا آخر ، بعد ان ابتعدت عن كافتيريا الهيلتون وشارع قصر النيل .. شىء آخر غير بيروت .. لها شخصية اخرى .. لها رائحة اخرى ..

وكل شىء يتغير معناه .. الهرم لم يعد مجرد قطع من الحجارة .. والنيل لم يعد مجرى من الوحل يحاول أن يشدنى من قدمى ويبتلعنى .. ويبدو أننا لا نستطيع أن نشاهد القاهرة ونحس بها الا مع واحد من المصريين .. ولقد احسست أن فى هاشم قطرة من النيل .. فى أنفه الكبير قوة النيل .. .. وفى عينيـه الهادئتين طيبة النيل .. وفى شفتيه المنفرجتين سذاجة النيل .. وفى حيرته حيرة النيل .. فيه ضعف النيل وهو يسير منكسا ذليلا لا يستطيع أن يقاوم رمال الصحراء التى تقع على شاطئيه .. وفيه جبروت النيل عندما يتمرد فى مناطق أخرى فيشق الصخر . وفيه كبرياء الهرم .. وفيه ايمان المئذنة .. وفيه ضجيج ميدان العتبة ، وهدوء شارع الجبلاية .. ان هاشم كان مصر كلها تسير على قدمين .

لقد احببت القاهرة مع هاشم ..

وابتعدت عن لبنان .. كنت فى كل أسبوع اقرر ان اعود الى لبنان فى الأسبوع التالى .. ثم اعود وأؤجل عودتى الى الاسبوع التالى .. ومضى شهر ونصف وانا لا ازال فى القاهرة .. وابى يتصل بى فى التليفون كل يومين ليطمئن على عودتى .. وفى كل صباح اكتب خطابا الى امى أو احد اخوتى ، أو احد أصدقائى ..

خطابات سريعة .. كلمات قصيرة فى بضعة سطور .. انى اكره كتابة الخطابات ، ولكنى افرح بتلقى الخطابات .. ولكى اتلقى خطابات ، كان يجب أن أكتب خطابات .

وقد خفت أن تكون عائلة محيى الدين قد ضاقت باقامتى عندها ، فقررت أن انتقل واقيم فى فندق هيلتون او شبرد .. ولكن العائلة كلها عارضت .. ربما خشيت ان اقمت فى الفندق أن يطلب منهم ابى ان يسددوا لى الحساب زدا لجزء من الدين الذى يطالبهم به .. كما أن ابى رفض ان اقيم فى فندق وحدى .

وبقيت عند عائلة محيى الدين ..

وكانوا قد يئسوا منى .. لم يعد احد منهم يحاول أن يعرف اين أذهب ومع من .. واعطونى مفتاحا للبيت ..

وفى كل يوم ايضا ألتقى بشلة اللبنانيين .. وصديقى عصام .. اتناول الغداء معهم ، والعشاء مع هاشم .. او العكس ..

واحاول أن اقنع نفسى بأنى حرة .. حرة من هاشم ومن عصام .. ومن شلة اللبنانيين .. ومن عائلة محيى الدين .. حرة من كل شىء الا من احاسيسى التى تسيطر على ، وتحكمنى .. ولكن هذه الأحاسيس تدفعنى الى هاشم أكثر ..

انى اشعر بشىء جديد عندما تتلامس ايدينا .. واشعر بشىء جديد عندما تلتقى اعيننا .. واشعر بشىء جديد وانا انتظر لقاءه .. شعور آخر غير ما كنت اشعر به عندما كنت اعرف تيسير ، وأندريه فى لبنان .. وشعور آخر غير ما أشعر به نحو صديقى عصام ..

ما هذا الشعور ؟

ربما كان مجرد الرغبة فى الاستطلاع .. فهاشم اول مصرى

اعرفه .. ثم هو فى الخامسة والاربعين من عمره .. وهذا يكفى ليثير فى حب الاستطلاع ..

ولكن خوفى من هذا الشعور يشتد ..

واشعر بأنى فى حاجة الى بذل مجهودا اكبر كى اقاوم هذا الشعور .. اقاوم احاسيسى التى عشت عمرى كله مستسلمة لهـا ..

الى ان كان يوم ..

وكنت مع هاشم فى سيارته فوق جبل المقطم .. نتدفأ فى شمس بعد الظهر ..

ونظر الى هاشم طويلا .. هذه النظرة التى تثير فى هذا الشعور الجديد .. ثم صمت صمتا طويلا .. وفجأة التفت الى وقال كأنه قرر أن يتخلص من ضعفه :

ــ رباب اننا لا نستطيع أن نستمر هكذا .. اننا نخدع انفسنا ..

ونظرت اليه نظرة سريعة ، ثم أرخيت عينى عنه .. وقلت :

ــ ماذا تقصد ؟

قال :

ــ اننا نقاوم .. انى اقاوم .. واشعر انك ايضا تقاومين .. هذه المقاومة ستفسد كل شىء بيننا .. ويجب أن نحدد وضعا ونستسلم له ..

قلت :

ــ ماذا تريد ؟

قال :

ــ بصراحة .. لم اعد استطيع أن اكتفى بهذه الصداقة .. أشياء كثيرة اقاومها .. اقاوم كلاما أريد ان اقوله لك .. اقاوم

احساسا بأنى اريد ان امسك يدك .. اقاوم .. اقاوم .. انى اريد ان اقبلك الآن .. ولكنى اقاوم ..

قلت فى صوت خافت :

ــ ولكنى لا أريد أن اقبلك ..

ونظر الى بعينين مذهولتين كأنه لا يصدقنى ، وقال :

ــ ماذا انا بالنسبة لك ..

قلت وانا اشعر بأنى أقاوم .. اقاوم صراحتى التى تعودت عليها :

ــ انت صديق .. وانا سعيدة بكل دقيقة اقضيها معك ..

قال :

ــ صديق فقط ..

قلت :

ــ صديق عزيز ..

واحنى رأسه كأنه هزم وقال :

ــ خيل الى اننا نستطيع ان نكون اكثر من اصدقاء ..

قلت وانا احاول ان اكون باردة :

ــ لا اعتقد اننا فى حاجة لأن نكون اكثر من أصدقاء ..

قال :

ــ لك حق .. انها غلطتى .. ولكن اعذرينى .. اعذرى غرورى .. ولعله ليس غرورا ، ولكنى أحسست انى فى حاجة اليك .. الى اكثر من صداقتك .

واحسست أن قلبى ينشق ، ورغم ذلك قاومت .. وقلت :

ــ الست سعيدا بصداقتى ؟

قال كأنه يسخر من نفسه :

ــ سعيد .. نعم سعيد ..

قلت كأنى اكبر منه :

ــ فلنكتف اذن بهذه السعادة .. انا ايضا سعيدة بصداقتك ..

وعقد ما بين حاجبيه وقال :

ــ ولكننا نسير فى طريق سيقضى على صداقتنا .. اننا نسير فى طريق ينتهى الى حب او الى هاوية .. فاذا لم نصل الى الحب ، سقطت صداقتنا فى الهاوية .. ويجب أن نحمى صداقتنا من السقوط .. من أن تتحطم .. يجب أن نسير فى طريق آخر ..

قلت :

ــ ماذا تعنى ؟

قال وهو يجز على اسنانه كأنه يستجمع ارادته :

ــ يجب الا نلتقى كل يوم .. ويجب الا نلتقى وحدنا .. ويجب ان اعرفك بأختى .. وتعرفينى بالعائلة التى تقيمين عندها .. حتى اذا التقينا كان لقاؤنا فى جو عائلى يحمى صداقتنا من التطلع الى دنيا اخرى ، ومن الانطلاق الى عاطفة اكبر ..

قلت وقلبى يخفق فى هلع :

ــ ولكنى لا احب زيارة العائلات .. انى لم احضر الى القاهرة لأزور عائلات ..

قال فى مرارة :

ــ ولكن هذا يحفظ صداقتنا .. انى اريد ان اياس من احلامى .. واريدك ان تساعدينى على اليأس ..

قلت وانا احس كأنى اهم بالبكاء :

ــ اتفقنا ..

وساد بيننا الصمت ..

صمت ثقيل .

وكل منا يعاند نفسه ..

وقاد سيارته الى بيتنا .. أنا وهو والصمت ..

وعندما أوقف سيارته امام البيت لم يلتفت الى .. ظل ناظرا امامه .. ووجهه محتقن غاضب كأنه فى معركة مع نفسه .. ونظرت اليه فى لهفة تشوبها شفقة ، وقلت فى صوت خفيض :

ــ متى اراك ؟

قال وهو لا ينظر الى :

ــ سأتفق مع أختى لتدعوك الى الغداء أو العشاء ، ثم اتصل بك ..

قلت وانا انظر اليه بكل عينى :

ــ اهذا ما تريده ؟

قال :

ــ هذا ما تريدينه أنت ..

قلت وانا افتح باب السيارة :

ــ أنا لا اريد أن ادعى الى بيتكم لا على الغداء ولا على العشاء .. ولا اريد أن اعرف أختك .. انهـا ليست فى مثل سنى ..

ولم يرد على ..

ظل صامتا .. معقد الحاجبين .. ووجهه محتقن .. كأنه فى عراك مع نفسه ..

وبقيت أنظر اليه برهة .. واحاسيس كثيرة تعتمل فى صدرى .. الغيظ .. والعناد .. والرهبة .. والاندفاع .. والتردد .. ثم فجأة اغلقت باب السيارة الذى كنت قد فتحته ، قبل أن أنزل منها .. وقلت فى حدة :

ــ اين تريد أن تقبلنى .. هنا ؟

والتفت الىّ فى دهشة ، وقال :

— ماذا قلت ؟

وقلت وانا اكثر حدة :

— تبلنى .. اذا كانت كل مشكلتك انك تريد ان تقبلنى ..

وفتح فمه ليتكلم :

— انى و ..

وقاطعته :

— افعل ما بدا لك .. انى لم ار رجلا يستأذن البنت قبل ان يقبلها .. أو يستأذنها ان تسمح له بأن يحبها .. لا تسألنى شيئا .. لا تسألنى .. ارنى ما تريده ..

وامتلأت عيناه بالتردد ، ثم أدار موتور السيارة ، وهو يقول :

— لك حق ..

وسار بنا ..

وقلبى يرتجف .. خوف .. ورهبة .. وغيظ .. وعناد .. وتطلع .. واندم لأنى أطلقته فيما يريده .. واثرته الى حد التحدى .. ثم اعود واعاند نفسى .. اتحداها .. واحاول ان اقنع نفسى بانى اقوى من ان يأخذ منى احد شيئا لا أريد ان اعطيه ..

وهو يقود السيارة صامتا ..

وهممت ان اسأله الى اين .. ولكنى عاندت .. حاولت ان اتظاهر بانى لا مبالية .. لا يهمنى شىء .. ولكن عنادى تبخر فى لحظة .. وانفلت من بين شفتى السؤال :

— الى اين ؟

وقال وهو لا يلتفت الىّ :

— سنذهب الى الاستديو ..

قلت :

ــ أى استديو ؟

قال ولمسة حمراء تلمع فوق خديه :

ــ شقة خاصة نسميها استديو ..

قلت فى حدة :

ــ لماذا تسميها استديو .. لماذا لا تسميها شقة ..

قال وكلماته ترتعش بين شفتيه :

ــ ربما لأن كلمة استديو أرق من شقه ..

قلت :

ــ ولكن كلمة شقة أصرح ..

قال :

ــ اذن .. شقه ..

ثم استطرد قائلا :

ــ اذا كنت لا تريدين .. فلن نذهب ..

قلت فى تحد :

ــ لا .. لنذهب .. انك ستقبلنى هناك .. اليس كذلك ؟

قال :

ــ لا ادرى .. ولكنى ساشعر بك هناك اقرب الى ..

وسكت .. وكلمات صديقتى عفاف تطن فى اذنى « احترسى من الشـباب المصريين .. انهم يريدون كل شىء من البنت ، ولا يعطون شيئا الا الكذب ، وكل منهم عنده شقه » ..

ولكنى كنت ممتلئة بالتحدى ..

تحدى اكبر من الخوف .. واكبر من شخصية هاشم ..

وكنت اكره نفسى ساعتها .. اكره هذا الاحساس بالتحدى .. واكره خوفى .. واكره شيئا آخر ، اكره احساسى بأنوثتى

.. كنت احس فى تلك اللحظة بانوثتى اكثر مما احسست بها فى اى يوم من حياتى .. انوثة منساقة الى رجل ، وهو احساس يقززنى ، يضعفنى ، لا اريد ان احس بانى انثى .. ولا بانى صبى .. .. لا اريد ان احس بأى صفة من صفات الجنس .. كل ما اريد ان احس به هو انى رجاب .. لست انثى ولست رجلا .. ولكنى رجاب .. شخصية قائمة بذاتها ، ليست فى حاجة الى جنس آخر ليكملها ...

واعصابى تلتوى من الغيظ ..

الغيظ من نفسى ..

لماذا انا منساقة هكذا .. لماذا قبلت ان اذهب معه الى الشقة .. لماذا لا أعود .. لماذا لا اقفز الآن من السيارة ، ولجرى .. لماذا لا اترك هاشم ولا اعود ارى وجهه .. انه حمل ثقيل ، لا اريد ان اثقل به على حياتى .. اريد ان اتحرر منه .. ان ارقص .. أو اضحك .. لا شىء جاد .. لا شىء يخيفنى .. و ..

ووقف أمام عمارة فى الزمالك ..

ونزلنا من السيارة .. وسرت بجانبه ادب على الأرض بخطوات تعلن عن احساسى بالتحدى .. وعيناى مفتوحتان على آخرهما كأنى اريد ان اشق بهما انجدران لأرى ما خلفها .. ولم أتكلم ..

ولا هاشم يتكلم ..

وصعدنا ..

وفتح هاشم الباب ..

ودخلت ..

وجلست على أول مقعد صادفنى ..

وكانت المرة الأولى التى أدخل فيها عند شاب أعزب ..

ورغم ذلك لم احاول أن اتلفت لأرى ما حولى .. لأرى كيف تكون شقة الشاب الأعزب .. بل انى لم احاول أن انظر الى هاشم .. تركز احساسى ساعتها فى انتظار ما سيحدث .. كنت فى كل دقيقة أنتظر أن يحدث شىء ، واستعد لمقاومة هذا الشىء ..

وكان هاشم يتكلم .. يتكلم كثيرا .. ويتحرك امامى فى ارتباك ، كطفل ضائع لا يدرى من اين يبدأ طريقه .. وفتح الراديو .. ثم أغلق الراديو وادار اسطوانة .. وهو يتكلم .. ويتكلم .. ثم فجأة اقترب منى وانا جالسة على المقعد ، وانحنى ولمس خدى بشفتيه .. ولم اتحرك .. ولم ارفع اليه عينى .. بقيت جامدة .. واحسست بلمسة شفتيه ساخنة .. نار .. كأنها شعاع من شمس القاهرة يلسعنى .. واحسست بوجهى كله يحترق .. ولكنى بقيت جامدة .. ولمس هاشم خدى بشفتيه مرة اخرى .. ومرة ثالثة .. احس كأنه يحاول ان يذيبنى فى ناره .. ولكنى جامدة .. جامدة كالخشب .. ثم طاف بشفتيه ، واقترب من شفتى .. وزممتهما .. زممت شفتى .. اخفيتهما داخل فمى .. وحاول أن يصل اليهما .. ان يشدهما بشفتيه من داخل فمى .. ولكنى قاومت .. بلا عنف .. وانا ادعى الجمود والبرود ..

وابتعد هاشم عنى ، وفى عينيه نظرة خجل ، كأنه احس انه اخطأ ، وقال لى فى صوت ضعيف :

— أنا آسف ..

قلت وانا اساوى شعرى ، واتحسس خدى لأطفىء اللهب الذى أشعله فيهما :

— لا تأسف .. لقد سمحت لك ..

قال وهو يتنهد :

ـــ انك لا تريدين قبلاتى ..

قلت وانا ابتسم له لاعينه على نفسه :

ـــ من يدرى لعلى اريدها يوما ..

ونظر الىّ بعينين مفتوحتين كأنه يتعجب منى .. ثم تشاغل عنى بادارة اسطوانة ..

وبدات اشعر بالزهق .. تبخر شعورى بالخوف ، وتبخر تطلعى الى التجربة الجديدة .. وبدات أشعر بالزهق .. زهق . يكاد يخنقنى .. وهاشم يبدو سخيفا فى كل ما يفعله .. سخيفا فى كلامه .. انه ليس طبيعيا ، ولا أنا ..

وقمت واقفة وقلت فى حزم :

ـــ يجب أن أعود الآن ..

ونظر فى ساعته وقال وهو يصفر بشفتيه صفير الدهشة :

ـــ الساعة السابعة .. لقد تأخرت كثيرا على موعد العيادة

ـــ لا يهم .. هل أراك فى المساء ..

قلت :

ـــ لا انى مدعوة مع بعض الأصدقاء ..

وارتعشت عيناه وقال :

ـــ شبان ؟

قلت :

ـــ نعم .. وبنات ..

قال وهو يحاول أن يبتسم :

ـــ المفروض الا تخرجى الا معى ..

قلت فى دهشة :

ـــ لماذا ؟

قال :

ـــ لأنك سمحت لى بتقبيلك ..

قلت :

ـــ وماذا يعنى هذا ؟

قال :

ـــ يعنى أنى أصبحت رجلك ..

قلت وانا ابتسم :

ـــ أنا لا احب ان يكون رجلى انانيا .. ليس من حق رجلى أن يحرمنى من أصدقائى ..

قال :

ـــ أيرضيك ان أخرج مع فتاة اخرى ؟

قلت :

ـــ اذا احسست بأنك تريد ان تخرج مع فتاة أخرى فيجب أن تخرج معها .. انا لا احب ان تجاملنى .. او تنافقنى .. أريد أن احس دائما بأنك تتصرف باحساسك ..

قال فى يأس :

ـــ وأنت تحسين بأنك تريدين ان تخرجى الليلة مع أصدقائك ..

قلت :

ـــ نعم .. واكره الا اخرج معهم مجاملة لك .. واكره أن تسمى هذا اخلاصا .. الاخلاص هو الاحساس المخلص .. ولأن احساسى مخلص فانى سأخرج الليلة مع أصدقائى ..

قال :

ـــ وترقصين معهم ..

قلت :

ـــ نعم ..

قال كأنه يئن :

ـــ وقد يضع أحدهم خده على خدك أثناء الرقص ..

قلت :

ـــ انى عادة لا احب ان يضع احد خده على خدى وانا ارقص .. الرقص عندى هو احساسى بالموسيقى لا احساسى بالرجل .. ورغم ذلك فثق أنى لو احسست بأنى اريد ان يضع احدهم خده على خدى .. فلن اتردد .. لأنى لو لم افعل .. فلن أكون مخلصة لاحساسى .. واذا لم اخلص لاحساسى ، فلن اكون مخلصة لك .. اذا خدعت احساسى فانى أخدعك .. انافقك .. وانا لا احب ان أخدع أحدا ، ولا ان أنافق أحدا .. افهمنى .. انا ملك لاحساسى قبل أن اكون ملكا لأحد ..

ونظر الىّ كانه عاجز أن يرد على منطقى ..

ثم قام وفتح لى الباب ، وهو يقول :

ـــ لك حق ..

وساد الصمت بيننا طوال الطريق .. وخيل الىّ انه يتألم فى صمته .. عيناه تنضحان بالألم ..

وخرجت مع أصدقائى ليلتها .. ولكن جمرة اللهب التى تركها هاشم بقيت تحرقنى طول الليل .. ونظرة الألم فى عينيه تطوف بى ..

ونمت فى انتظار لحظة لقائه فى اليوم التالى .. وانا اشعر بأنى كنت قاسية عليه ، واعاهد نفسى بأن اكفر عن قسوتى .. ولا ادرى ان كان هذا الشعور صادقا أم انى كنت أخدع به نفسى .. كنت اتعلل به حتى أتركه يقبلنى مرة ثانية . كنت أريده ان يقبلنى .. فقط يقبلنى !

والتقينا فى السيارة .. وذهبنا الى مكاننا المفضل فوق جبل المقطم .. والقاهرة كلها تحت أقدامنا .. كأنها مستسلمة لنا .. وقد كنت أغيظ هاشم دائما كلما ذكر جبل المقطم .. كنت أصيح فيه :

— شو جبل .. هذا لا يساوى تلا فى لبنان ..

ويضحك هاشم ..

ولكنى فى هذا اليوم لم احاول ان أغيظه .. كان كل احساسى مجتمعا فى انتظار اللحظة التى يقبلنى فيها .. ولكن الألم فى عينيه .. كان يتكلم وينصرف كالطفل الغاضب .. وضقت بانتظار قبلته ، وقلت فجأة كأنى لم اعد احتمل :

— الا تريد ان تقبلنى اليوم ..

ونظر الى فى دهشة ، وقال :

— انك لا تحبين قبلاتى ..

قلت وانا انظر الى شفتيه بكل عينى :

— دعنى اجربها مرة ثانية ..

واقترب هاشم بشفتيه وقبل ان يصل الى شفتى ابعدت راسى عنه ، وقلت :

— لا .. لا تقبلنى .. اذا كنت لا تريد ..

وشدنى هاشم من شعرى فى حركة مباغتة ، وقرب راسى اليه ، وهو يهمس :

— انك تتكلمين كثيرا ..

ثم سقط فوق شفتى ..

واستسلمت له بكل شفتى ..

ربما كانت المرة الأولى التى لم احس فيها بأنى أضيق بقبلة فوق شفتى .. ولا ابذل مجهودا لاحتملها كما كنت احتمل قبلة

تيسير .. طعم آخر .. نكهة اخرى .. كأنهما أول شفتين ناضجتين التقى بهما .. وكأن شفاه الرجال لا تنضج الا بعد الأربعين .. واعصابى تهدأ .. وتستسلم .. كأنى كنت أجرى طول حياتي ولم اتوقف عن الجرى الا بعد أن وصلت الى شفتيه ، وشيء جميل رائع يسرى فى عروقى كلها .. كأنى سأنام ..

ورفع هاشم شفتيه عن شفتى ..

والتقت عيوننا كأننا نلتقى لأول مرة ..

ثم عادت شفتاه الى شفتى ..

ومرت بنا الأيام بعد ذلك أكثر روعة وجمالا .. ولكننا لم نكن نذهب الى الشقة ..

كنت أضيق بهذه الشقة .. كنت احس كلما هممت بالذهاب اليها ، كأنى على وشك أن تصيبنى نوبة الاختناق .. انى أكره الجدران .. كل الجدران ، لقد قضيت طول عمرى اهرب من الجدران .. جدران بيتنا فى بيروت ، وجدران المدارس التى التحقت بها .. وجدران بيت عائلة محيى الدين .. انى لا اضع نفسى بين اربعة جدران الا اذا غلبنى النوم .. وقد أحس هاشم بكل ذلك .. أحس بى فتاة عصبية ، يعذبها الزهق كلما دعانى الى الشقة .. فكف عن دعوتى .. وانطلق معى .. فى حدائق القناطر .. وفى حقول المنصورية .. وفى رمال المقطم .. وقبلاتنا منطلقة معنا .. لا تفقد روعتها .. كأنها النسيم الطلق الذى يتجدد باستمرار .. ليست قبلات مخنوقة بين أربع جدران ..

وكنا نختلف دائما حول موضوع واحد .. كل يوم لنا خناقة حول حقى فى أن التقى بأصدقائى وأخرج معهم .. وكنت مصرة على احتفاظى بهذا الحق .. يكفى أن احساسى يدفعنى الى

لقائهم .. وكنت يوما على موعد معه .. ومر على بسيارته ليأخذنى من امام البيت .. وقلت وانا اجلس بجانبه :

ــ لن استطيع أن ابقى معك الا عشر دقائق ؟

ونظر الى فى تحفز وقال :

ــ لماذا ؟

قلت :

ــ صديق جاء من لبنان .. وقد وعدته ان اخرج معه الليلة ..

وصرخ :

ــ لماذا لا تعملين مضيفة سياحية ، لتستقبلى السائحين اللبنانيين وتطوفى بهم على معالم القاهرة ..

قلت :

ــ لا تصرخ .. ارجوك ..

قال :

ــ انى لا استطيع ان احب فتاة تخرج كل يوم مع رجل ..

قلت فى حدة :

ــ انى اخرج مع اصدقاء .. لا مع رجال .. وانا لا أخفى عنك شيئا .. ولكنك تفضل ان اخدعك كما تفعل البنات المصريات .. تفضل أن أقول لك انى ذاهبة الى الكوافير أو الى زيارة صديقة ، ثم أذهب الى لقاء رجل .. ولكنك لا تحتمل ان أصارحك بأنى سأخرج مع صديق .. أتدرى لماذا تخدع البنات الرجال ؟ لأن الرجال لا يحتملون الحقيقة .. لا يريدون أن يفهموا ان البنت ليست مجرد جنس .. وان العلاقة بين البنت والرجل ليست دائما علاقة جنسية .. يجب ان تعرف ان البنت شخصية كاملة من حقها ان يكون لها اصدقاء سواء كانوا بنات او رجالا .. من حقها أن تتحرك كما تريد .. ان البنت تعمل الآن ، فاذا كان من

حقها أن تلتقى بالرجل فى المكتب او فى المصنع ، فلماذا لا يكون من حقها ان تلتقى به فى مقهى أو فى حديقـــة .. واذا كانت قد استطاعت أن تتحرر من الجنس فى المكتب .. فلماذا لا تتحرر من الجنس خارج المكتب .. هاشم افهمنى .. انى أستطيع أن أكذب عليك واخدعك كما فعلت بك امينه ونجوى .. ولكنى لن افعل .. لا من أجلك .. ولكن من أجل احساسى .. انى مخلصة لاحساسى قبل أن أكون ملخصة لك .. واخلاصى لاحساسى هو اخلاصى لك ..

وصرخ هاشم وهو يضرب عجلة القيادة أمامه بقبضته ، وعيناه غاضبتان :

ــ احساسك .. انك تتحدثين دائما عن احســـاسك .. واحساسى أنا ، أليس له وجود .. أتعتقدين أنى حجر .. حمار بلا احساس .. ثم يجب أن تعرفى أن الانقياد للاحساس هو انحلال .. فوضى .. انك قد تحسين بأنك تريدين أن تخلعى ثيابك فى الشارع ، فلماذا لا تخلعينها .. وأنا أحس أحيانا بأنى اريد أن اقتل شخصا ، فلماذا لا اقتله .. ان الاحساس يقوم أساسا على الغريزة .. والانسان لم يتقدم الا لأنه استطاع أن يقاوم غرائزه .. كل تاريخ الانسان هو تاريخ مقاومة غرائزه والسيطرة على أحاسيسه .. الانسان وضع القوانين ليقاوم غرائزه وأحاسيسه .. وحدد المبادىء .. ودعا الى احترام الناس بعضهم لبعض .. والأنبياء والفلاسفة .. والمفكرون ، كل هؤلاء لم يفعلوا شيئا الا لأنهم قاوموا غرائز البشر والسيطرة على أحاسيسهم ، حتى يستطيعوا حماية المجتمع الانســـانى والتقدم به .

قلت وأنا أصرخ مثله :

ـــ انك تتحدث كأن لقائى مع صديق جريمة ..
قال :
ـــ انها جريمة فى حقى .. انها استهانة بى .. اذا اردت أن تنقادى لأحاسيسك فيجب أن تعيشى فى عالم وحدك .. لأن الناس لهم ايضا أحاسيس يجب أن تراعيها ، وتحترميها .. وتحسبى حسابها ..

ثم سكت برهة ليلتقط انفاسه واستطرد قائلا :

ـــ سأخرج مع فتاة حتى تحسى بما أحس به .. حتى تحسى بالجريمة ..

وشعرت بقلبى يتمزق وهو يهددنى بأن يخرج مع فتاة غيرى .. ولكنى عاندت ، وفتحت باب السيارة ، وانا أقول :

ـــ يجب أن اتركك الآن حتى لا اتأخر عن موعدى ..

ولم يرد على ..

ونزلت من السيارة ، والتفت اليه قائلة :

ـــ أتدرى ماذا يعذبك .. انانيتك .. كل ما تريده الا يرانى الناس مع أحد غيرك .. انك لا تزال شرقيا .. الفتاة يجب أن تكون فتاة خصوصية .. كسيارتك .. كحذائك ؛ أنانية الشرق .. غباوة .. افهم انى لست سيارة .. ولا حذاء .. لست وردة تضعها فى عروة سترتك .. وتتخايل بها أمام الناس ، أنا لست ملكك .. أنا ملك نفسى .. حتى لو احببتك .. حتى او كنت الرجل الوحيد فى الدنيا ..

وتركته قبل أن أسمع رده .. وأنا أشعر كأنى أهم بالبكاء .

واتصل بى هاشم فى اليوم التالى ..

كان صوته ضعيفا مهزوما فيه رنة الاعتذار عن مناقشة الأمس ..

وابتسمت ..

انه لا يستطيع أن يستغنى عنى ..

وبدأت أعطيه وقتا أكثر وهو يعطينى كل وقته .. وليس معنى هذا انى تنازلت عن حقى فى أن يكون لى أصدقاء .. ابدا .. كنت لا زلت أخرج معهم .. وأرقص .. بل انى ازددت احساسا بأن هؤلاء الأصدقاء هم ضمان حريتى .. هم حماية لى من ضعفى .. اذا حدث يوما واحسست انى ضعيفة .

والقاهرة كلها تتحدث عنى وعن هاشم من كثرة ما رآنا الناس معا .. وعائلة محيى الدين بدأت تتهامس عن علاقتى بهاشم .. ثم بدأوا يتحدثون عنه أمامى .. لم يكن احد منهم يلومنى . وربما لم يستطع أحد منهم أن يحدد نوع هذه العلاقة التى تربطنى بهاشم ، فلم يكن من السهل ان يتصوروا ان هاشم يحبنى ، أو أنى احبه ، لفارق السن الكبير بينى وبينه .. ولكنهم كانوا يتحدثون هاشم كثيرا أمامى .. ويرددون أن له نفوذا كبيرا .. وانه صديق لكل رجالات مصر .. ودودى ابنة طنط ميمى لا تخفى غيرتها من صداقتى لهاشم ، انها تلوى شفتيها كلما سمعت فى البيت سيرة هاشم ، ثم تصعد الى غرفتها فوق سطح البيت ، وتصنع تماثيل من طين .. ولكن زوجها رفيق بدا يهتم بى أكثر من عادته ، منذ سمع بصداقتى لهاشم .. وعندئذ تلت ان رفيق كان يغيب كثيرا عن البيت ويعود فجأة .. ولا يهتم احد بغيبته ولا يفرح بعودته .. وتعودت انا أيضا الا أهتم به .. والواقع أن شيئا فيه كان يقززنى .. ابتسامته التى تسيل على شفتيه .. ونظراته المتدللة من تحت جفنيه ..

ولكنه بدأ يتعمد أن ينتظرنى ليتناول معى طعام الافطار ، ويتعمد ان يسألنى اذا كنت سأعود لتناول الغداء ، ودعانى ..

الى العشاء فى شبرد مع زوجته وبعض أصدقائه .. واهدانى مرة خاتما أثريا اشتراه من خان الخليلى وكان يتحدث كثيرا عن هاشم .. وعن نفوذه ، وقال لى مرة :

— لا أظن أن الدكتور هاشم من الأشخاص الذين تفتش حقائبهم فى الجمرك عندما يسافر ..

وقلت بلا مبالاة :

— لا أدرى ..

لم افهم يومها ما كان يقصده رفيق ..

— ٢ —

هاشم يتطور بسرعة .. اسرع من تفكيرى .. اسرع مما انتظر .. لا .. انه لا يتطور .. انه يحاول أن يجعل من نفسه انسانا آخر .. يحاول أن يكتسب لنفسه شخصية جديدة ... عمرا جديدا .. كان يبدو كأنه يئس من أن يرفعنى الى عمره ، فقرر ان ينزل الى عمرى .. وكان كل ما يسعى اليه هو أن يستأثر بى .. أن يبعدنى عن أصدقائى الشبان .. يئس من أن يقنعنى بأن اكون له وحده .. فقرر أن يكون كل شىء فى حياتى .. وان يعطينى كل ما يمكن ان يعطيه لى اى انسان آخر .. أن يشغل كل وقتى .. وكل تفكيرى .. وكل أحاسيسى .. بحيث لا يترك منى شيئا لأحد غيره ..

وكنت معه نتناول العشاء فى مطعم عائم على النيل .. مطعم عمر الخيام .. وانا افضل دائما ان اكون مع هاشم فى الأماكن الهادئة .. انى أحس به أكثر وسط الهدوء ... حتى

بعقله الكبير .. وآرائه العميقة .. ولمساته الرقيقة .. ونظراته الحانية كأنه يخشى على ، لو أطلق عينيه لتعبرا عن رزانته . ان يكسرنى بنظراته ..

وسالنى هاشم :

ــ ماذا تفعلين غدا ؟

قلت ببساطة :

ــ فى الصباح سأذهب مع بعض الأصدقاء الى الهرم لنركب الخيل ...

وتغير وجهه فجأة ، والتمعت عيناه ، وقال وهو يقبض على كأسه بكل اصابعه كأنه يحاول ن يحطمه :

ــ مع من ، من أصدقائك ؟ ..

قلت بلا مبالاة :

ــ مع عصام ... وعفاف .. وعايده .. واسعد .. وصلاح ... ولا ادرى من ايضا ...

ونكس عينيه وقال وكأنه يخاطب نفسه :

ــ عصام دائما ..

قلت وانا انظر اليه مشفقة عليه :

ــ عصام مجرد صديق .. لا اكثر .. و ..

وقاطعنى فى حدة :

ــ اعلم .. ومن يدرى .. لعلى انا مجرد صديق .. ولعل ما بينى وبينك هو ما تسمينه صداقة ..

قلت وانا انظر اليه بكل عينى ، وعلى شفتى ابتسامة احاول ان ارفه بها عنه :

ــ انك كثير الشكوك .. والذنب ليس ذنبك ..

قال وفى عينيه الم :

ـ ذنب من ؟

قلت وانا أهز كتفى :

ـ ذنب البنات اللاتى عرفتهن قبلى .. كلهن بنات لا يعرفن معنى الصداقة بين الرجل والمرأة .. وقد تعودت على أن ما تعطيه الفتاة لرجل هو نفس ما تعطيه لأى رجل آخر ..

قال فى عصبية :

ـ ارجوك شبعت من فلسفتك ...

ومرت بيننا فترة صمت ..

وهاشم محتقن الوجه .. عيناه محتدتان .. ويشرب كأسه فى عنف كأنه يطفىء بها نارا شبت فجأة فى رأسه .. ثم قال وهو لا ينظر الى :

ـ سأذهب معك ..

قلت فى دهشة :

ـ الى أين ؟

قال :

ـ الى الهرم .. لنركب الخيل ...

وشعرت بالحرج .. لم ادر بماذا اجيبه .. انى لا أريده أن يكون معى .. ثم قلت كأنى وجدت حجة تثنيه عن عزمه :

ـ وعيادتك ؟

قال وهو يهز كتفيه :

ـ لا يهم ..

قلت :

ـ انى لا اريدك أن تترك مرضاك من أجلى ..

قال وخطوط كثيرة تشق جبينه :

ـ اذا كان يهمك مرضاى ، فلا تذهبى مع اصدقائك ..

انى لا أستطيع ان أعالج مريضنا .. بينما عقلى مشـــغول بك تتصورك مع رجل آخر ..

قلت :

ـــ انا لست مسئولة عن مرضاك .. انا لست طبيبة .. انت الطبيب ..

قال فى ضعف :

ـــ لو كنت تحبيننى لشاركتنى مسئوليتى ..

قلت فى عناد :

ـــ تقصد لو كنت احبك لصرت عبدة لك .. لسجنت نفسى فى البيت من أجلك .. لا .. انا لا أفهم هذا المنطق .. ولو انك كنت تحبنى لوثقت بى ..

قال :

ـــ انى اثق بك ، ولكنى لا اثق بأصدقائك ..

قلت :

ـــ لأنك لا تثق بنفسك ..

ورفع الى عينيه كأنه يلومنى لانى جرحته ، ثم قال وفى صوته مزيد من الضعف :

ـــ لا يمكن لرجل ان يثق بنفسه عندما يحب فتاة مجنونه ..

قلت فى حدة :

ـــ انا لست مجنونة .. ولكنك معقـــد .. أتدرى ما هى عقدتك ؟

قال وعلى شفتيه ابتسامة مرة ساخرة :

ـــ ما هى عقدتى ؟

قلت :

ـــ عمرك .. انك لا تريد أن تنسى عمرك ..

وارتفعت خطوط الألم الى جبينه .. وقال :

ــ افرضى أن هذا صحيح .. لماذا لا تساعديننى على ان انسى عمرى .. وكيف استطيع أن انسى عمــرى وانت لا تحاولين أن تنسى عمرك ..

قلت :

ــ ان اى عمر اعيش فيه لا يحرمنى من أن يكون لى اصدقاء ..

قال :

ــ اذن ، ساعيش معك ومع اصدقائك ؟

قلت :

ــ ولكنك لا تعرفهم ..

قال :

ــ عرفينى بهم ..

قلت فى غيظ :

ــ انك لن تستريح معهم ، ولن يستريحوا معك ..

قال :

ــ اذا كنت استريح معك ، فساستريح معهم .. واذا كانوا يستريحون معك ، فسيستريحون معى ..

قلت فى حدة :

ــ انا شىء آخر .. عقلى يتسع لك .. احساسى يتسع لك .. اما هم .. فعقولهم صغيرة واحاسيسهم صغيرة ..

قال فى تهكم :

ــ لماذا تعرفين ناسا عقولهم صغيرة !

قلت :

ــ لانى الهو معهم .. اننا فى حاجة الى التفاهة بقدر حاجتنا الى العمق .. فى حاجة الى أن نعيش على سطح الحياة ، كما

اننا فى حاجة الى ان نغوص فى اعماقها . ثم انى احس احيانا كثيرة بأنى تافهة .. وانى فى حاجة الى التفاهة ، هؤلاء الأصدقاء يشبعون جوانب التفاهة .. انى معهم اضحك على نكات لن تضحك انت لها .. وارقص رقصات لا تحب أن ترقصها . انى معهم انطلق فى نواحى اخرى لا استطيع ان انطلق فيها معك .. اصرخ .. واجرى .. ونردد اغانى شارل ازنافور ، واغانى نات كنج كول .. فلماذا تحرمنى من كل ذلك ..

قال وهو ينظر الى بعينين متوسلتين :

ــ انا لا اريد ان احرمك من شىء ، ولكنى اريد ان اشاركك كل شىء ..

ولم أرد عليه ..

لويت شفتى ، والقيت ظهرى على مسند المقعد ، واطلقت عينى فى نظرات بعيدة .. بعيدة عنه ..

ومرت بيننا فترة صمت اخرى ..

ثم القى هاشم بكأسه .. ومد يده والتقط يدى ، وقال وهو يضغط عليها .. وصوته مبحوح :

ــ رحاب .. انى .. انى احبك .. واستطيع ان احبك اكثر .. ولم اكن اعتقد انى ساحب من جديد وبهذه السرعة .. مرت على ايام اعتقدت فيها انه لم يعد لى قلب احب به .. كان قلبى قد تفتت الى حد لم يعد يصلح لاحب .. ولكنى بدات احس بقلبى يعود الى الحياة .. الى النبض .. ولم اصدق احساسى .. لم اصدق انى احبك .. وفى خلال الشهور التى مرت علينا وانا اصحو كل صباح وانكر انى احبك .. ولكنى لا اكاد المح التليفون .. حتى اكتشف ، انى احبك اليوم اكثر من امس .. وانتظر ان اسمع صوتك فى التليفون بشوق اكثر .. وانا اعلم خطورة

هذا الحب .. ان الرجل عندما يحب وهو فى الخامسة والاربعين فتاة فى التاسعة عشرة .. فهو يغامر بكل ما بقى من أيامه ... يغامر بعمر الخمسين وعمر الستين وعمر السبعين .. وقد حاولت أن اتجنب هذه المغامرة .. حاولت أن أطفىء آخر ومضة حب يمكن أن تنطلق من شمعة حياتى .. ولكن لماذا .. لماذا أعيش فى الظلام وأنا لا زلت فى الخامسة والأربعين .. ولماذا اربط بين الحب وعمرك .. لماذا لا يحق للرجل فى الخامسة والاربعين أن يحب فتاة فى التاسعة عشرة . الحب ليس تفاعلا كيمائيا .. نضع عمر الخامسة والأربعين على عمر الخامسة والثلاثين فيتم التفاعل فى أنبوبة الحياة وينتج الحب .. كلام فاضى .. الحب ليس تفاعلا بين ارقام العمر .. ولكنه تفاعل بين عقلين ، وقلبين .. وشخصيتين مهما تباعدت أو اقتربت الأعمار ..

ورفعت اليه عينين مبهورتين وقلبى مشدود الى شفتيه .. انى لم اسمعه ابدا من قبل يتحدث بهذه الرقة .. وبهذه العذوبة .. ولم المح الصدق فى عينيه او فى عينى اى رجل ، قد ما لمحته ساعتها .. واضطربت عواطفى ساعتها الى حد ان شعرت بانى على وشك البكاء .. ولم اجد كلاما اقوله .. لم استطع أن احدد بالضبط ما يمكن أن اقوله .. ورفعت كاس البرتقال الموضوع أمامى وقربته من شفتى .. ولم أشرب منه .. ولكنى ابقيته بين شفتى ..

واستطرد هاشم قائلا وهو لا يزال ممسكا بيدى الاخرى .. يضغط عليها .. وصوته يرتعش .. والصدق فى عينيه :

ــ ان كل ما احاوله الآن هو أن نعيش فى عالم واحد .. ان اقرب بين عالمك وعالمى حتى يصبحا عالما واحدا .. عالم

يضم اصدقاء مشتركين .. واهتمامات مشتركة .. ولن يكون هذا سهلا .. فالذى يفرق بين عالمى وعالمك ليس الاصدقاء والاهتمامات فقط .. ولكن بلدى وبلدك .. انت فى بيروت ، وانا فى القاهرة .. وانا خائف .. خائف من ان نفشل فى بناء عالمنا الواحد .. وهذا الخوف يجعلنى اكره اصدقاءك ، واكره بيروت .. اكره كل شىء يفرق بيننا .. ورغم ذلك يجب ان نجتاز التجربة ..

ولم اجد ايضا كلاما أقوله .. بقيت صامتة .. (كأس البرتقال بين شفتى .. وعيناى سارحتان ..

وقال هاشم وبين شفتيه ابتسامة صغيرة :

ــ فيم تسرحين ؟

قلت :

ــ فى كلامك ..

ثم وضعت الكاس من يدى ، وقلت وانا لا أنظر اليه :

ــ انك تعتقد الذنب من حولى .. انى لم احاول أن اسأل نفسى اذا كنت أحبك أم لا .. بل انى لا اؤمن بهذه المقاييس العامة التى يطلقها الناس ويربطون أنفسهم بها .. الحب .. الصداقة .. الكراهية .. الأنانية .. كل هذه الألفاظ لا تدل على حقيقة لأنها ليست ثابتة . ليست ماضيا ، ولا حاضرا ، ولا مستقبلا .. ان الناس تحاول أن تجعل من الأحاسيس اشياء مادية ثابتة .. كالجماد .. كالحديد .. والصخر .. والخشب .. ولكن الخشب كان خشبا فى الماضى .. وهو خشب فى الحاضر .. وسيكون خشبا فى المستقبل .. ولكن الحب .. كيف تثق انك ستحبنى غدا كما تحبنى اليوم .. وكيف تثق انك تحبنى اليوم كما كنت تحبنى أمس .. والأنانية .. أن الانسان قد يكون انانيا فى لحظة .. ومضحيا فى لحظة اخرى .. فلا تستطيع أن تقول

ان هذا الانسان انانى . وهذا ليس انانيا .. كلاهما خاضعان لاحساس اللحظة .. والصداقة .. ان صديقك لم يكن صديقك بالأمس .. وقد يكون عدوك غدا .. انى لا اؤمن بكل هذا الكلام .. ان الأحاسيس عندى لحظات .. اعيش اللحظة التى انا فيها ...

ولا أحاول ان اربط نفسى باللحظة التى تليها . أنت لا تحبنى ، وأنا لا احبك .. ولكن كلينا يحب هذه اللحظة التى تجمعنا .. وهى لحظة .. حتى لو استمر الحب ساعات أو اياما أو سنين .. لأن السنين مجموعة لحظات .. وما دمت لا تستطيع أن تحكم على اللحظة التالية .. فأنت لا تستطيع الا ان تعيش اللحظة التى انت فيها .. لا تستطيع ان تتنبأ باحاسيسك .. لا تستطيع ان ترصدها كما يرصد علماء الفلك الحالة الجوية .. لا تستطيع أن تقول غدا حب .. وبعد غد زهق .. وبعد بعد غد تضحية .. انك تستطيع أن تقول لفتاة أحبك هذه اللحظة ، ولو قلت لها انك ستحبها طول العمر ، فأنت دجال لأنك تتنبأ بالغيب .. واحاسيس الانسان هى أعمق وابعد ما فى الغيب .. لا احد يستطيع ان يرى أحاسيسه ..

وكان هاشم يستمع الىّ وعيناه متسعتان ، ووجهه غارق فى الدهشة ، وقال وصوته مبهور :

— ومن وضع على لسانك هذا الكلام ؟

ونظرت اليه كأنى الومه وقلت :

— لا أحد .. كلام اكتشفته بنفسى .. انى طول عمرى أحاول أن اكتشف أحاسيسى وأرتبها وانظمها .. واضعها فى دوسيهات كما تفعل سكرتيرات المكاتب .. حاولت أن اعرف هل أنا انانية أم شهيدة .. هل .. هل .. حاولت أن اضع أحاسيسى فى

دوسيهات .. هذا حب .. وهذه صداقة .. وهذه كراهية .. وهذا زهق .. ولكنى .. ولكنى فشلت .. وكنت افاجأ بأحاسيسى التى تحكم تصرفاتى أكثر مما يفاجأ بها الناس .. وقد سبق ان اعتقدت أنى أحب تيسير الذى سبق أن حدثتك عنه ... ولكنى كنت فى لحظة أكتشف فى نفسى احساسا مختلفا نحوه .. لحظة ازهق منه .. ثم فى لحظة لم أعد احس به اطلاقا .. اختفى من كل أحاسيسى .. اين ذهب الحب اذا كان الحب شيئا ثابتا ماديا . اين هو .. واين ذهب حبك لنجوى ؟

وقال هاشم وهو ينظر الى كأنه ينظر الى مجنونة :

ــ انك تهدمين الحياة كلها .. انك تهدمين اجمل واشرف ما فى الانسان .. ان الحب هو البشرية .. لولا الحب لما تزوج الناس ، وخلفوا صبيان وبنات ، واستمرت الحياة ..

وضحكت ضحكة صغيرة وقلت كأنى أسخر منه :

ــ بالعكس .. اتدرى لماذا يتزوج الناس .. لأنهم لا يثقون بعواطفهم ... لأنهم يؤمنون مثلى ان الحياة لا يمكن أن تقوم على العاطفة .. لأن العاطفة لحظات .. ليست حياة .. ولذلك فكل اثنين يربطان نفسيهما بعقد قانونى ... ليحتمى كل منهما من اللحظة التى تتغير فيها عواطف الآخر .. يرتبطان بعقد لأن كل منهما لا يثق فى الآخر .. كل منهما يؤمن بأن الحب لحظة ، لا تضمن اللحظة التى تليها ...

وسكت هاشم برهة وهو لا يزال ينظر الى بعينيه المتسعتين من الدهشة .. ثم قال ، كأنه وجد ثقبا فى عقلى :

ــ انك تقولين انك تحبين هذه اللحظة معى .. اليس كذلك ؟

قلت :

ـ هذا صحيح ..

قال :

ـ اذن ، من حقك أن تدافعى عن هذه اللحظة حتى تستمر الى اللحظة التالية واللحظة التى بعدها ، والى مدى الحياة ..

وترددت برهة ، كأنه فعلا تسلل من ثقب فى عقلى :

ـ طبعا .. هذا من حقى ..

قال :

ـ اذن اتفقنا .. فهذا هو الحب .. الحب ليس عاطفة غير ارادية ، ولكنه عاطفة تذكيها وتحتفظ بها الارادة ... الحب فى حاجة دائمة الى الارادة .. والى الذكاء .. والى التضحية المتعمدة .. حتى يعيش ..

قلت اصارع منطقه :

ـ معنى هذا أن الانسان هو الذى يصنع الحب .. معنى هذا أن أى فتاة يمكن ان تحب أى رجل ..

قال بسرعة :

ـ لا .. ليس هذا ما اقصده ... ولكن الفتاة تجد فى الشاب شيئا يعجبها .. يتفق مع عقليتها .. مع ذوقها .. فتنمى بارادتها هذا الشىء حتى يصبح حبا .. ثم بارادتها أيضا وبما تبذله من نفسها تستطيع أن تحتفظ بهذا الحب ..

قلت وقد تعبت من المناقشة :

ـ ولكنك قلت انك تخاف من حبك لى ، فلماذا تحاول أن تنميه بارادتك ..

قال وهو يهز كتفيه :

ـ لا أدرى .. ربما لأنى قارنت بين خوفى وحاجتى اليك .. فتغلبت حاجتى اليك ..

وهززت راسى كأنى أستسلمت ..

واستطرد هاشم قائلا ونظرات عينيه تمسح على خدى فى رفق :

ــ وانت ؟

قلت :

ــ أنا ماذا ؟

قال :

ــ ماذا قررت ؟

قلت :

ــ انى لا استطيع ان اقرر شيئا .. انى أكره ان اقرر شيئا .. اكره مجرد كلمة قرار .. افهمنى .. انى اكره أن أرى الغد .. اكره أن ارسم صورة للمستقبل .. إن مجرد رسم صوره للمستقبل والتمسك بها ، يفقد المستقبل لذته .. يفقد الحياة كلها روعتها .. ان روعة هذه اللحظة التى أعيشها هى فى انتظار مفاجاة قد تاتى بها اللحظة التالية ..

وتنهد هاشم فى يأس ..

واستطردت قائلة :

ــ القرار الوحيد الذى يمكن أن اتخذه الآن .. فى هذه اللحظة .. هو أن اعود الى البيت ..

وقام هاشم واقفا .. وكأنه ضاق بى .. وقال :

ــ قرار هائل ..

ودفع الحساب ، وامسك بذراعى ليخطو بى فوق المعبر الذى يصل بين المطعم العائم وشاطىء النيل .. ثم القى ذراعى من يده بمجرد ان وصلنا الى الشاطىء ..

ولم نتكلم طوال الطريق ..

ونزت من السيارة امام باب البيت .. دون ان يقبلنى كم عودنى .. وبعد أن نزلت مد عنقه نحوى وقال :

— متى ستذهبين غدا الى الهرم ؟

قلت :

— عصام سيمر على فى الساعة الحادية عشرة ..

قال مى حزم وعينا، تبرقان بالتصميم :

— وانا ايضا سامر عليك فى الحادية عشرة ..

ثم سحب عنقه ، واعتدل امام عجلة القيادة . .وصرخت :

— ومرضاك ..

ولكنه انطلق قبل أن يسمعنى .. او لعله سمعنى ولم يرد على ..

وصعدت الى غرفتى وانا احس بشىء ثقيل يضغط على صدرى ، ويلتف حول عنقى .. اشعر كانى اجرجر فى قدمى قيدا من حديد .. انى أكره ان يقيدنى احد .. اكره ان يلاحقنى احد ... أكره هاشم فى هذه اللحظة ..

ونمت نوما ارقا ..

صليل القيود يزعجنى ..

وفى الساعة الحادية عشرة صباحا ، سمعت صوت كلاكس سيارة عصام .. ان عصام تعود ان يضغط على الكلاكس بحيث يخرج نغمة مميزة ، اعرفه بها ..

وبعد لحظات سمعت صوت كلاكس سيارة هاشم .. ان هاشم يضغط على الكلاكس كانه يضربه ، فيطلق صوتا مزعجا كانه الصراخ ..

وانا حائرة فى غرفتى .. احاول ان اقنع نفسى بالا اذهب معهم .. لا مع عصام ، ولا مع هاشم .. حتى لا احرج نفسى ..

ثم انى لا أحب ركوب الخيل .. كل ما هنالك انى احب لبس بنطلون الركوب .. لقد شاهدت مرة أودرى هيبورن فى احد الأفلام ، ترتدى البنطلون المخصص لركوب الخيل ، فخرجت من السينما واشتريت بنطلون مثله .. وفى المرات القليلة التى ركبت فيها الخيل سواء فى بيروت او فى القاهرة كنت اصر على ان يمسك السايس بلجام الحصان ، ويسير بى الهوينى .. لانى أخاف .. ثم اقضى الوقت كله متمتعة بلبس بنطلون الخيل ..

ورغم ذلك نزلت اليهم .. مرتدية قميصا أسود ، وبنطلون ركوب رمادى اللون . وحذاء طويلا « هاى بوت » يصل الى ركبتى ، ومصنوع من جلد اسود ، ثم قبعة سوداء .. وفى يدى سوط من الجلد ..

كنت رائعة ..

والشىء الثقيل يجثم على صدرى ، والقيد الحديدى يجرجر فى اقدامى ..

ورفعت يدى التى تحمل السوط ولوحت بها لعصام وانا اصيح وعلى شفتى ابتسامة كبيرة :

— هاى ..

وكان مع عصام بقية الشلة .. عفاف وعايده وأسعد وصلاح ..

واتجهت اليهم .. وتبادلنا صرخات التحية .. ثم اتجهت الى هاشم وانا أجد صعوبة فى الاحتفاظ بابتسامتى ..

وكان هاشم يرتدى قميصا مفتوحا ، قصير الأكمام ، ويلف حول عنقه ايشاربا رمادى اللون منقطا بنقط سوداء ... وكان وجهه منجهما متقلصا . يبدو انه لم ينم .. وانفه يبدو أكبر .. وشعره اكثر بياضا .. كان يبدو كأنه احد اللوردات الانجليز القدامى ..

وصداحته ، والحيرة ، والحرج الذى أوقعنى فيه ، بمزقاتى
.. وقلت وانا أنظر اليه كأنى الومه لأنه جاء :

ــ هل اقدمك لأصدقائى الآن ؟

ولم يرد هاشم ..

فتح باب السيارة ونزل منها ، ثم امسك بيدى واتجه بى الى سيارة عصام .. وقدمته اليهم :

ــ صديقى الدكتور هاشم ..

واعتدل عصام واسعد وصلاح ، فى جلستهم داخل السيارة . وقد بدا عليهم الارتباك ، كأن الأستاذ ضبطهم وهم مزوغين من المدرسة ..

وانطلقت عيون عفاف وعايده ، فى شبه شهقة ، وهما ينقلان نظراتهما بيني وبين هاشم ..

ومد هاشم يده وأخذ يصافحهم واحدا واحدا وهو يبتسم لكل منهم كأنه يطمئنه .. كأنه يقول لكل منهم انه رغم كبر سنه ، فهو منهم .. أليف .. ثم قال فى صوت رقيق رزين :

ــ سيارتى اكبر .. هل ننتقل كلنا اليها .. بدل أن نذهب فى سيارتين .

وازداد ارتباك الشبان .. وتمتم كل منهم بكلمة لا معنى لها .. وكل منهم حريص على أن يبدو فى اشد حالات الأدب والاتزان ..

وأطلت عفاف الى سيارة هاشم .. ثم التفتت اليه بعينين مبتسمتين وقالت :

ــ فكرة ..

وقال عصام وهو ينظر الى كأنه يسألنى رايى ، ثم يعود وينظر الى هاشم بعينين مرتبكتين :

ـ كما تريد ..

وقلت كأنى اجرؤهم على هاشم :

ـ كما تريدون أنتم .. انتم الاغلبية ..

وقالت عفاف وهى تنزل من السيارة :

ـ الأغلبية موافقة ..

واتجهنا كلنا الى سيارة هاشم .. وأنا لا استطيع أن ارفع عينى اليه .. واتعمد الا اسير بجانبه .. كانى اريد ان اثبت للشلة أنى لا زلت حرة ..

وجلست بجانب هاشم .. وعلى يمينى جلس عصام .. وفى المقعد الخلفى جلست عفاف وعايده ، واسعد وصلاح .. عفاف جلست على ركبتى اسعد ، ومالت بجذعها واسندت ذراعيها على مسند المقعد الأمامى خلف هاشم .. شفتاها تكادان تلمسان قفاه ..

وساد بيننا صمت حرج فترة طويلة .. وعلى خد هاشم لمسة حمراء ، ويثنى عنقه داخل ياقة قميصه بين لحظة واخرى كأنه يقام شيئا يخنقه .. وعلى شفتيه ابتسامة بلهاء لا معنى لها .. لعله كان اشدنا حرجا ..

وانطلقت عفاف قائلة ، وشفتاها قريبتان من قفا هاشم :

ـ سمعت عنك كثيرا يا دكتور من أصدقائى المصريين .. انك مشهور ..

وقال هاشم وصوته مختنق :

ـ متشكر ..

وعادت عفاف تقول وصوتها يزغرد :

ـ لقد كدت مرة استدعيك .. اصبت بالم شديد فى معدتى

.. وفكرت المشرفة على بيت الطالبات أن تتصل بك .. ان عيادتك قريبة جدا من بيت الطالبات .. هكذا قالت ..

وقال هاشم كأنه يخاطب سيدة كبيرة :

ــ الحمد لله اننا التقينا بلا مرض ..

والتفت الىّ كأنه يرى تأثير كلامه علىّ .. كأنه يستغيث بى لأساعده على الكلام ..

وعصام جالس بجانبى مؤدب غاية الأدب .. واسعد وصلاح يتهامسان .. ثم تلتقى العيون كلها فوق وجه هاشم ..

كنا نشعر كأننا تلاميذ فى رحلة مدرسية بصحبة الأستاذ ..

ثم ارتفع صوت عايدة تغنى أغنية هنرى ماسياس : « لقد تركت وطنى .. تركت بيتى .. تركت حياتى .. حياتى البائسة » .. ثم اعقبتها بأغنية « الحقول الخضراء » ... وشاركناها جميعا فى الغناء .. وهاشم صامت .. يصفر بشفتيه حينا مصاحبا اللحن الذى نغنيه .. ثم يعجز عن متابعة اللحن ، فيسكت .. ويكتفى بأن يتمتم بشفتيه بصوت غير مسموع .. وأحس به يضيع .. ويضيع .. لا .. انه يذوب .. يكاد يتلاشى .. ولا يرده الينا الا عفاف عندما تهتم به مرة ثانية ، وتحاول ان تجذبه الى حديث معها ..

ووصلنا الى الهرم ..

ونزلنا من السيارة ..

وحرصت الا اسير بجانب هاشم .. تركته يسير بجانب عفاف .. وانا انظر اليه نظرات مختلسة .. وخيل الىّ ساعتها ان قامته اقصر مما كنت أتصور .. ولاحظت أن ساقى بنطلونه واسعتان .. على الطراز القديم .. ربما لو ضيق ساقى بنطلونه لبدا أطول قامة .. واكثر اناقة .. ثم وجدت نفسى اقارن بينه

وبين عصام .. وخيل الى ساعتها انه اكبر سنا مما كنت اعتقد .. رايت التجاعيد تحت عينيه لأول مرة .. ورايت نقطا سوداء صغيرة فوق يديه ، وبجانب انفه ، لم اكن اراها من قبل .. وجلد عصام مشدود .. نظيف من النقط السوداء .. اف من هذا المجنون هاشم ، لماذا وضع نفسه فى موقف جعلنى اقارن فيه بينه وبين اى رجل آخر .. انى لم افكر من قبل ان اقارن بينه وبين آخر .. لقد كنت معجبة به الى حد انى اعتقدت انه لا يمكن أن يقارن بآخر .. انه مجنون .. انه يضيعنى ، ويضيع نفسه ..

واقتربت منى عفاف وهمست فى اذنى :

ــ صديقك بيجنن .. يبدو انه شخصية ..

ولم ارد عليها .. ولكنى تمنيت ساعتها ان تأخذه وتبتعد به عنى ، لتخلصنى من هذا الحرج الثقيل الذى يجثم على صدرى .. لتحررنى من قيده .. لأنطلق لا مبالية كما تعودت ..

وبدأنا نركب الخيل ..

ونظر الى هاشم .. ثم تردد قليلا .. وامتطى الحصان .. لعله لم يركب حصانا من قبل .. ان طريقته فى الارتفاع فوق ظهر الحصان تدل على انه لم يركب من قبل .

وابتسمت له ..

ابتسامة لا معنى لها ..

وركبت حصانى ، ونبهت على صاحبه الاعرابى الا يترك اللجام من يده .. نبهت عليه بصوت عال ، فانى لا اخفى انى اخاف الخيل ..

وسارت بنا الخيل فى خطوات بطيئة .. وهاشم يقبض على اللجام بيد ، ويمسك بيده الاخرى حافة السرج ، حتى لا يقع .

وما كدنا نصل الى الصحراء الواقعة خلف الهرم ، حتى

اطلق عصام العنان لجواده .. رمح به .. ورمح خلفه اسعد وصلاح .. فى شبه سباق .. وهلل البنات .. وهللت معهن .. ونحن نرقب الشباب يرمح بالجياد فى نظرات مبهورة ..

والحصان الذى يركبه هاشم يتململ .. ويدب بقدميه .. ويهز عنقه فى عصبية يريد ان يلحق الجياد التى تجرى .. وصاحبه الأعرابى واقف بجانبه يحاول أن يهدئه ، ويقبض على لجامه بقوة ..

والتفت الى هاشم ..

ولمحنى ابتسم له ..

كنت ابتسم له ابتسامة احاول ان اقول له بها انى معجبة به رغم انه لا يرمح بجواده .. ابتسامة احاول أن أخفف بها عنه ، حتى لا يندفع فى تقليد الشبان ..

ولكن .. لعل هاشم لم يفهم ابتسامتى .. لقد ظل ينظر الى .. ثم ينظر الى عفاف وعايدة .. ثم امتلأ وجهه بتصميم هائل ، والتفت الى الأعرابى الذى يمسك بجواده ، وصرخ فيه :

ــ دع الحصان ..

وترك الأعرابى لجام الحصان من يده .. واذا بالحصان ينطلق كالصاروخ ليلحق بالجياد التى تجرى .. وهاشم فوقه يرتفع وينخفض .. ويميل الى الأمام ، والى الخلف .. انه يبدو ككيس من القطن فوق ظهر سيارة فقدت فراملها ..

وصرخنا فى جزع ..

وصرخ الأعرابى صاحب الحصان :

ــ الحصان جمح ..

ثم طلب منى ان انزل عن حصانى ، ليركبه ويلحق بالحصان الجامح ..

ونزلت .. وانا اكاد اموت من الهلع على هاشم .. وعايدة وعفاف يصرخان .. والحصان يبتعد بهاشم .. ويبتعد .. وفى كل لحظة يخيل الينا ان هاشم سيقع من فوقه ويموت .. والدموع تتجمع فى عينى .. ليست دموع شفقة .. ولكنها دموع غيظ .. لماذا يعرض هاشم نفسه لكل هذه البهدلة .. يعرض نفسه الى حد الموت ..

وتعدى حصان هاشم بقية الخيل .. واصبحت بقية الخيل تجرى وراءه لتوقفه .. واختفى الجميع عن اعيننا ..

وانا ابذل جهدى حتى لا تنهمر دموعى ..

وقلبى يضطرب ..

كلى مضطربة ..

وبعد اكثر من ربع ساعة ، رأينا الجميع يعودون ..

هاشم على ظهر جواده ، والأعرابى يمسك بلجامه .. ومن حوله عصام واسعد وصلاح ، كل منهم يركب جواده .. والجياد كلها رؤوسها منكسة كأنها تسير فى موكب الهزيمة ..

ونزل الجميع امامنا من فوق ظهور الخيل ..

وساعد الأعرابى هاشم وهو ينزل من فوق ظهر جواده .. وكان وجهه مجهدا طغت الصفرة على سمرته .. وعيناه مضطربتان .. وشفتاه جافتان .. وقميصه خارج من بنطلونه .. والايشارب الذى يلفه حول عنقه طائح فى الهواء .. وقال وهو يساوى قميصه ويحاول ان يسيطر على اضطرابه :

ـ تجربة لا بأس بها .. وقد سبقتهم ..

ومرت برهة لم يرد فيها أحد عليه .. كنا لا ندرى ماذا نقول .. ثم قالت عفاف وهى تغتصب ابتسامة :

ـ كنت رائعا ..

واقتربت من هاشم وسرت بجانبه صامتة ، كأنى خفت ساعتها أن يرتكب حماقة أخرى .. ثم همست :

ـ لقد خفت عليك ..

قال فى حدة كأنه مغتاظ من نفسه وكأنه يسكتنى :

ـ لا تخافى .. انى اعرف ما افعله ..

وصمم هاشم على ان يدفع ايجار الخيل لنا كلنا .. صمم فى حدة ، كأنه وجد شيئا آخر يتفوق فيه على بقية الشبان .. ولم يدر أنه كان يفسد الروح التى تربطنا جميعا .. وانه يزداد بعدا عنا .. فقد كنا متعودين ان يدفع كل منا حسابه .. حتى البنات .. كل بنت تدفع حسابها ..

ودخلنا فندق مينا هاوس لتناول الغداء .. وشرب هاشم بيرة .. شرب كثيرا .. وحاولنا أن نشترك جميعا فى حديث واحد .. كل منا يبذل مجهودا حتى يختار موضوعا يشرك فيه هاشم .. وهاشم كان يبذل مجهودا أكبر ليختار موضوعا يهمنا .. وكان هذا المجهود يجعل من حديثنا حديثا مفتعلا سخيفا تضيق به صدورنا .. وهاشم يشرب حتى ينسى الحماقة التى ارتكبها .. ونحن لا نحاول ان نذكره بها ، رغم انها فى راس كل منا .. ومن يدرى لعل الشبان والبنات كانوا يسخرون منه بينهم وبين أنفسهم ، ولعل حماقته ستكون حديث كافتيريا هيلتون بعد لحظات ..

وتعبنا من هذا الافتعال ..

وجدنا انفسنا نتحدث فى مواضيع تهمنا وحدنا .. نتحدث عن اصدقائنا .. وعن حفلاتنا .. وعن أخبار بيروت .. وهاشم وحده .. يشرب البيرة .. ثم يتنبه احدنا الى انه وحده فيحاول

ان يشركه فى حديث .. ثم نجد انفسنا نعود الى الحديث الذى يبعده عنا ..

لعلى بالغت ..

فان هاشم رغم كل ما يبعده عنا ، كان فيه شىء يجذبنا اليه .. كل الشبان والبنات وجدوا فيه شيئا جذابا .. ولكنه ليس الشىء الذى يمكن ان يجعله واحدا منا .. او يجعل راسه فى مستوى رؤوسنا .. انه الراس الوحيد بيننا المتموج بالشعر الأبيض ..

وصمم هاشم ايضا على ان يدفع حساب الغدآء ..

وتركناه يدفع ..

وعدنا الى السيارة ..

وكنت اعتقد ان هذه التجربة ستقنع هاشم بانه لا يمكنه ابدا مشاركتى فى اصدقائى .. تقنعه بانه لا يستطيع ان يعيش فى عالمى .. كنت اعتقد انه استسخف عقول هؤلاء الشبان والبنات وتصرفاتهم .. ولكننا بدانا نتحدث فى السيارة عن قضاء السهرة فى الاستريو .. فاذا هاشم يدعونا الى ان نكون معه .. ورفضت .. ولكن بقية الشلة قبلت .. وكان اكثرهم حماسا .. عفاف .. والحوا علىّ حتى قبلت .. قبلت خفت ان اترك لهم هاشم وحده .. ان اتركه لعفاف ..

وذهبنا فى المساء ..

وتعمدت ان ابدو كبيرة .. اكبر من عمرى .. واكبر من بقية البنات .. ورقصنا ..

وكنت اخصص كل الرقصات الهادئة لهاشم .. وهاشم عندما يرقص هذه الرقصات الهادئة احس كأنى أذوب فى صدره .. لم اشعر ابدا باننى اذوب فى صدر احد الا عندما رقصت مع هاشم

.. انه يرقص فى رقة .. وشموخ .. وروعة .. واحس انه كأنه يحملنى بذراعيه القويتين فوق سلم من الموسيقى الى عالم بعيد .. بعيد .. ساحر ..

ولعلى لست وحدى التى احببت أن ارقص معه هذه الرقصات الهادئة .. لقد قامت عفاف ترقص معه، فرايتها بعد لحظات تكاد تختفى فى صدره .. ورأسها مائل فوق عنقه .. وعيناها مغمضتان ، كأنها هامت ..

وعذرتها ..

وكنت ليلتها أرقص الرقصات السريعة مع بقية أفراد الشلة .. التويست .. الباسانوفا .. والتشكن .. وكنت خلال رقصى المح هاشم وهو ينظر الى كأن عينيه ستقفزان لتصفعانى .. فترتبك خطواتى .. كنت احس بالحرج وانا ارقص التويست امامه .. وابذل حتى انسى وجوده .. حتى لا تضيع خطواتى ..

وهاشم يشرب ..

ويسكى ...

وقال لى وانا جالسة بجانبه :

ــ متى ستعلميننى التويست ..

قلت وانا ابتسم له :

ــ لن اعلمك ..

قال

ــ لماذا ؟

قلت :

ــ لأنه لا يليق بك .. انك خير من يرقص الرقصات الهادئة ..

قال وهو يتنهد :

ــ لأنى عجوز ..

قلت :

ــ لا ... فقط لأنه لا يليق بك ..

قال فى ضيق :

ــ انك دائما تذكريننى بأنى عجوز ..

ــ قلت وأنا مشفقة عليه :

ــ أنت لست عجوزا .. انت رجل .. ورجل رائع .. والتويست يفقدك روعتك .. وبالمناسبة يجب أن تضيق سيقان بنطلونك ..

وقال وكأنه طفل عنيد :

ــ لا .. لن اضيق سيقان بنطلونى .. اما ان اعجبك هكذا او لا اعجبك ...

قلت مبتسمة :

ــ تعجبنى ..

ثم قمت لأرقص التويست مع عصام وتركته يشرب كأسه .. وفجــأة رأيته امامى فى حلبة الرقص يرقص التويست مع عفاف ...

انه يهتز كأنه أصيب بحمى الملاريا .. حركاته فى ناحية ، والموسيقى فى ناحية أخري .. انه يبدو سخيفا .. ومضحكا .. كمهرج السيرك .. يبدو وكأنه نجوى فؤاد فى رقصة شرقية .. وعفاف اللعينة ترقص امامه كأنها تحاول ان تجعل منه قردا يقلدها .. وانا اكره الذين يرقصون دون ان يجيدوا الرقص .. انهم كالذين يغنون بصوت نشاز .. مزعجين .. سخفاء ..

ووجدت نفسى أصرخ فى وسط حلقة الرقص :

ــ هاشم ..

والتفت الىّ فى دهشة ..

وتملكت اعصابى ، ووضعت يدى على راسى ، وقلت :

ـ انى متعبة .. خذنى الى البيت ..

وكانت هذه الطريقة الوحيدة لأمنعه من ان يجعل من نفسه مسخا يضحك عليه الناس .. ويضحك عليه أصدقائى .. وتضحك عليه عفاف ..

ومن يومها قررت ان اكذب عليه حتى امنعه من مطالبتى بان اشركه فى عالمى ، وان يصحبنى مع اصدقائى ..

واصبحت اخفى عليه انى خارجة مع اصدقائى ، وادعى انى مدعوة مع عائلة محيى الدين فى بيت احدى العائلات اللبنانية ..

لم اكن اكذب من قبل .. كنت معتزة بشخصيتى وحريتى الى حد يغنينى عن الكذب ..

هاشم علمنى الكذب ..

علمنى الكذب حتى انقذه ..

أنقذ الطفل الضعيف الذى يتعلق بى ..

★ ★ ★

وفى كل هذه الأيام كان أفراد عائلة محيى الدين لا يكفون عن ملء اذنى بحديثهم عن الخراب الذى لحق بهم نتيجة تأميم ممتلكاتهم .. ولم ادر سر الحاحهم علىّ بهذا الحديث ، رغم انهم تبينوا أنى لا أهتم به .. ولا اهتم بالسياسة .. ولا أحاول ان أفهم لماذا اخذت الحكومة ممتلكاتهم .. بل لعلهم عرفوا من كلامى أنى احب جمال عبد الناصر .. احبه دون ان احاول فهم سياسته .. احب وجهه الأسمر القوى .. واحب مظهر بطولته .. انه يطلق خيالى الى عالم من البطولات .. اشبه بالقصص التى أقرؤها أو اشاهدها فى السينما ..

ورغم ذلك فهم لا يكفون عن حديث التأميم والسياسة ، والظلم الذى حاق بهم ..

وقلت مرة لمحمد محيى الدين عميد العائلة :

ــ لماذا لا تعود الى لبنان وتبدأ هناك من جديد ..

قال وهو يكاد يبكى :

ــ كيف أبدأ بلا رأسمال ؟

قلت :

ــ بع ما بقى لك فى مصر ، وابدأ به فى بيروت ..

قال

ــ لو استطعت ان انقل اموالى ، لذهبت ..

وقالت زوجته طنط لولى :

ــ لو سمحوا لى ان أنقل مجوهراتى فقط ، لذهبنا كلنا الى بيروت ...

قلت :

ــ ولماذا لا يسمحون لكم ..

وقال محمد محيى الدين :

ــ لأنهم لا يريدون لنا ان نعيش .

قلت :

ــ لماذا ؟

قال وهو يمسح دمعه :

ــ لأننا لبنانيون .. تصورى يا رحاب .. لقد جئت الى هذا البلد وانشأت فيه أول مصنع للألمنيوم وشغلت عشرات العمال .. فتحت مئات البيوت .. ورغم ذلك اخذوا كل شىء ..

ونظرت اليه كأنى لا أصدقه ..

ــ لا يمكن ..

لابد ان هناك سببا اجهله لكل ذلك ..

وقال رفيق زوج ودى وهو يسلط علىّ كل عينيه .. ولا ادرى لماذا احس كلما نظر الىّ رفيق انى ذبابة تكاد تسقط بين خيوط العنكبوت .. قال :

— الدكتور هاشم يستطيع أن يساعدنا ..

قلت فى دهشة :

— كيف ؟

قال ونظراته تسيل لزجة كخيوط العنكبوت :

— يستطيع أن ينقل اموالنا الى بيروت ..

قلت :

— قد لا يرضى ...

قال وابتسامته تسيل على شفتيه :

— انه لن يعلم ...

وفتحت عينين متسائلتين ...

وقرب رفيق مقعده منى ، وقال وصوته كالفحيح :

— اسمعى يا رحاب .. هذه النقود لم نسرقها ... لقد جمعناها بعرقنا فى عشرات السنين .. نحن لم نسرق احدا .. لم نجن على احد .. ولكن هذه الحكومة تريد أن تسرقنا ، وتجنى علينا .. وكل ما نستطيع أن نفعله هو أن نهرب بما بقى لنا .. والدكتور هاشم هو الوحيد الذى نعرفه الآن ، ويستطيع أن ينقذ اموالنا ، دون أن يشك أحد فيه ..

قلت وخيط العنكبوت يلتف حول عنقى ، وعيون العائلة مسلطة علىّ كأنها انوار كشافة كأنها تلاحقنى :

— لا أفهم شيئا ...

وعاد رفيق يقول :

ـــ الم يقل لك الدكتور هاشم انه سيسافر الى لبنان ..
قلت :
ـــ نعم .. سياتى الى بيروت بعد أن أسافر أنا ..
قال ونظراته الخبيثة القوية تكاد تشل نبضات قلبى :
ـــ كل ما نريده ان يحمل لنا معه حقيبة ..
قلت كأنى بدات افهم :
ـــ فيها أموالكم ومجوهرات طنط لولى ؟
قال وهو يرخى عينيه المنتوفتين :
ـــ نعم ..
قلت :
ـــ ولماذا لا احملها انا ؟
قال كأنه يتهمنى بالغباء :
ـــ لانك معرضة للتفتيش فى الجمرك .. انهم لا يرحمون اللبنانيين ..
قلت :
ـــ ولكن هاشم يجب أن يعلم ..
قال :
ـــ لو علم .. سيرفض .. وقد يبلغ عنا الحكومة ..
قلت :
ـــ اذن .. ماذا سنقول له ؟
وقال ونظراته اللزجة تسيل من عينيه :
ـــ تسافرين الى بيروت .. وتقولين انك نسيت احدى حقائبك ، وتطلبين منه أن يحملها لك عندما يسافر الى بيروت .. هذا كل ما فى الامر ..

وفكرت برهة .. ثم خبطت على المائدة بيدى فى عصبية ، وقلت :

ــ ولكن لماذا .. لماذا .. لماذا لا يسمحون لكم بأخذ أموالكم ما دمتم لم تسرقوها ؟ ..

وقالت طنط لولى :

ــ لأنهم يكرهوننا ..

وقال محمد محيى الدين :

ــ يحقدون علينا ..

وقال رفيق :

ــ انها ثورة والثورة لا تعرف الحقوق ولا القانون .. تعرف فقط ما تريد .. وهى تريد اموالنا ..

والتفت الى الوجوه البائسة التى تحيط بى .. واحسست بالشفقة عليهم ..

وقعت الذبابة فى خيوط العنكبوت التى نصبها لها رفيق .. خيوط خيل الى أنها خيوط الشفقة ..

وطنط لولى تبكى ..

ومحمد محيى الدين يتنهد كأنه يلتقط آخر انفاسه ..

ورفيق يلقى بنظراته الخبيثة حول عنقى .. وابتسامته تسقط كأنه يقبل بها قدمى ..

وطنط نازلى راقدة مشلولة اسمعها وهى تصيح .. سنيه .. سنية .. كأنى اسمعها تبتهل الى الموت ..

وطنط ميمى تتوكأعلى عصاها الأبنوس ذات المقبض الفضى ، وتصدر اوامرها كأنها تحرك جيوشا من الوهم ..

ودودى زوجة رفيق تصنع فى غرفتها تماثيل من الطين .. انها مجنونة .. لعلها جنت بعد ان اخذوا أموالها ..

وقمت ودخلت غرفتى ، ورقدت فى سريرى ، وخيالى يصور لى انى بطلة أقوم بمغامرة كبيرة لانقاذ هذه العائلة .. وتذكرت قصة « الزهرة القرمزية » التى كان البطل فيها يقوم بتهريب افراد العائلة المالكة اثناء الثورة الفرنسية لينقذهم من المقصلة .. وتصورت نفسى كأنى الزهرة القرمزية .. كنت ذبابة وقعت فى خيوط العنكوت ..

بدأت اتقمص شخصية جديدة ..

شخصية بطل قصة « الزهرة القرمزية » الذى كان يقوم بتهريب افراد العائلة المالكة اثناء الثورة الفرنسية ..

الشخصية التى ستقوم بتهريب اموال عائلة محيى الدين الى لبنان ..

تهريب !!

لا .. لم تكن تخطر ببالى كلمة « تهريب » .. لم احس بأنى مقدمة على ارتكاب جريمة .. ابدا .. لم يخطر ببالى انى ارتكبت جريمة .. لم احس باحساس الجريمة .. كنت احس باحساس البطولة .. أنا بطلة .. أقوم بمغامرة كبيرة .. احساس نصبه حولى رفيق زو ج ابنة محيى الدين .. كما ينصب العنكبوت خيوطه اللزجة ليصطاد بها ذبابة ..

وكان احساسا ساذجا .. بطـــولة ليست لها دوافع .. لم اشعر بان لى ايمانا سياسيا ، أو عقيدة سياسية تدفعنى الى هذه البطولة .. حتى شفقتى على عائلة محيى الدين ، لم تكن من القوة بحيث تدفعنى الى هذه المغامرة .. بل انى لو تمعنت أيامها فى حقيقة شعورى ، اكتشفت انى لم اكن اشفق على عائلة محيى الدين .. ان حالتهم ليست من السوء بحيث يستحقون الشفقة .. لا يزالون يملكون الكثير .. يسكنون فى قصر ..

وعندهم سيارتان .. ويحتفظون فى خزائن البيت بثروة كبيرة .
بمجوهرات اكثر ..

ورغم ذلك فقد بهرنى هذا الاحساس بالبطولة ..

ملكنى ..

سيطر على خيالى ، كما يسيطر العنكبوت على الذبابة ..

انه احساس جديد علىّ ، لم تنبض به اعصابى من قبل .. احساس يلهينى عن نفسى ، وينفض عنى غبار السأم الذى بدات اشعر به فى القاهرة .. انه الاحساس بعالم جديد يتفتح امامى .. بدور جديد اقوم بتمثيله .. نفس احساسى عندما اكتشفت عالم المثقفين الذين يملئون المقاهى التى تحيط بالجامعة الأمريكية فى بيروت .. ونفس احساسى كلما عرفت شابا جديدا وحاولت ان اكتشفه واكتشف احساسى نحوه .. احساسى عندما عرفت هاشم ..

كنت ايامها اشبه بفتاة خرجت من السينما بعد أن شاهدت رواية سيطرت على خيالها ، وتظل بعدها ساعات وهى تعيش دور البطولة ..

وقد كنت أحس بكل ذلك ..

احس بانى امثل ..

امثل دور البطلة ..

وكان هذا الدور يتطلب منى أن أدعى نوعا معينا من الذكاء .. ذكاء حاد اقرب الى الخبث .. وكان يتطلب منى أن أضع فى عينى نوعا جديدا من النظرات .. نظرات كالتى تنطلق من عيون المتآمرين .. وكنت كلما جلست مع رفيق ليحدثنى عن الخطة التى سننفذها ؛ أشعر بهذه النظرات فى عينى .. اشعر بها كأنها

تنطلق من عيني فتاة اخرى غيرى .. من عينى ممثلة تقوم بتمثيل دور البطولة فى احد الأفلام ..

وكان هذا الدور يتطلب منى ايضا أن اكون فتاة منافقة .. انافق هاشم .. لم اعد صريحة ، قوية ، منطلقة كما كنت .. تركته يحبني .. وتركته يقتنع انى احبه .. احبه على طريقته .. لا على طريقتى . .وامتنعت فعلا عن الخروج مع اصدقائى اللبنانيين حتى لا يغضب .. واصبحت احادثه فى التليفون اكثر من عشر مرات فى اليوم .. اوقظه من النوم لأقول له : صباح الخير .. واهمس فى اذنه قبل ان ينام : تصبح على خير .. كما كانت تفعل معه البنات المصريات ..

وكنت اكره ، نفسى وانا انافق ..

احس بأنى لست انا ..

احس بأنى ضائعة .. كأنى فتاة اخرى لا اعرفها ..

بل كانت تمر علىّ لحظات اثور فيها على هذا الدور الذى امثله .. احس انى احمل طبيعتى اكثر مما تحتمل .. ولكنى لا البث ان اعود الى التمثيل ، كأنى لا اجد لعبة اخرى العب بها .. تعود الذبابة وتستسلم بين خيوط العنكبوت ..

وهاشم يزداد ضعفا نحوى ..

الضعف فى عينيه المبتهلتين .. وفى شفتيه المرتعشتين .. وفى قبلاته التى لا تكف عنى وكأنه لم يعد يستطيع أن يتنفس الا من شفتى ..

قبلاته !!

لقد افسدتها ..

لم اعد استطيع ان اهيم فيها .. لم اعد اشعر بها كشعاع من شمس القاهرة يلسعنى ..

انى استسلم لقبلاته ، وعقلى كله صاح .. واعصابى مشدودة .. أتأنق .. يا رب .. ماذا افعل بالرجل الذى يحبنى .. وماذا افعل بنفسى ..

وكان هاشم يشعر احيانا كثيرة بانى لا اهيم معه فى قبلاته .. وقال لى مرة ونحن جالسان فى سيارته فوق قمة المقطم :

ــ هل كل بنات لبنان باردات مثلك ؟

قلت وانا ادعى الغضب :

ــ لست باردة .. ولكنك تحاول ان تذيب عقلى .. حاول مرة ثانية !

واعطيته شفتى .. كانى اعطى لطفـــلى شيئا يسكته .. وتركته يضمنى اليه فى قسوة .. ويعبث فى شعرى بأصابعه .. ويمسح على ظهرى بكفه .. وعقلى لا يذوب ..

ورفضت أيامها أن اذهب معه الى شقته .. حتى لا اضطر ان اعطيه اكثر .. واستسلم اكثر .. انى استطيع ان اعانقه ونحن فى الهواء الطلق .. ولكنى لا استطيع ان اعانقه ونحن فى الشقة . وقلت له وهو يلح على أن نذهب الى هناك :

ــ ان الجدران تخنقنى ..

قال :

ــ انها تقربنى منك ..

قلت :

ــ لقد قربت بينك وبين عشرات البنات ، ولا اريد ان اكون واحدة منهن ..

قال :

ــ انك لا تريدننى ..

قلت وانا ابتعد عنه :

ـ لااريدك كما ارادتك اى فتاة اخرى .. اريدك لعقلى وقلبى .. والجـدران تخنق عقلى وقلبى ، ولا تبـقى منى الا جسدى ..

قال وهو يبتسم لى فى ابتهال :

ـ ولكن جسدك هنا ايضا .. انك عندما تقبلينى تعطينى قطعة من جسدك .. وعندما تلفين ذراعك حولى ، تلفين قطعة من جسدك .. انك عقل وقلب وجسد .. وانا أيضا ..

قلت وانا انظر اليه كانى ارده الى عقله :

ـ هاشم .. لقد ذهبنا الى هناك مرة ، وشعرنا اننا سخفاء .. انك هناك تقاوم شيئا تريده .. وانا ايضا اقاوم هذا الشىء الذى تريده .. ولكننا هنا لا نقاوم .. اننى هنا لا اشعر بأنى اقاومك .. وانت لا تشعر بأنك تقاوم نفسك .. اننا هنا اكثر انطلاقا واكثر جمالا ..

قال فى يأس :

ـ كنت اعتقد انك اكثر تحررا ..

قلت :

ـ انى اكثر تحررا مما تعتقد .. التحرر هو ان اكون صادقة مع نفسى .. وثق انى صادقة مع نفسى عنـدما اقول لك ان الجدران تخنقنى ..

وسكت هاشم ..

لعله لم يقتنع .. ولكنه سكت ..

وانا مندفعة فى استكمال خطة تهريب اموال عائلة محيى الدين التى اثارت فى هذا الاحساس بالبطولة الساذجة .. ثم الدين .. واشعر احيانا بأنى اكره نفسى .. واكره عائلة محيى اعود واندفع .. خيوط المنكبوت تشدنى ..

وقلت لهاشم مرة كأنى احاول ان اقنعه بأن يشترك معى فى عملية التهريب بدل ان اضطر الى خداعه :

ــ قل لى .. لماذا تأخذ الحكومة أموال اللبنانيين ؟

قال فى دهشة لسؤالى :

ــ اى لبنانيين ؟

قلت :

ــ اللبنانيون الذين أممت ممتلكاتهم .

وضحك هاشم ، وقال :

ــ الحكومة أخذت أموال الرأسماليين ، سواء كانوا لبنانيين ام مصريين .. لم تأخذ أموال اللبنانيين لأنهم لبنانيون .. ولكن لأنهم رأسماليون ..

قلت فى حدة :

ــ لماذا .. انها اموال جمعوها بعملهم ..

قال :

ــ لقد تركت لهم ما جمعوه بعملهم ، وأخذت ما جمعوه بعمل الآخرين ..

قلت :

ــ ماذا تعنى ؟

قال وهو يبتسم كأنه يدللنى :

ــ استمعى .. انا طبيب .. كل ما اكسبه من عملى حق لى .. ولكن لو كنت محاميا وفتحت مستشفى وظفت فيه عشرة اطباء .. فانى استطيع ان آخذ أجرا على ادارة المستشفى .. ولكن ليس من حقى ان اخذ اجرا على عمل الأطباء العشرة .. لأنه ليس لى فضل فى هذا العمل ..

قلت وانا ارفض ان اقتنع :

ـــ ولكن الذى يبنى مصنعا يبنيه بأمواله .. وامواله جمعها من عمله ..

قال :

ـــ لا يمكن أن يبنى انسان مصنعا من عمله .. ولكنه يبنيه من استغلال الآخرين .. والفرد قد يكسب من عمله مائة جنيه .. ويستطيع أن يوظف هذه المائة جنيه فى بنك فتصبح فى عام مائة واربعة جنيهات .. هذه الأربعة جنيهات هى مكافأة له لأنه ادخر المائة جنيه .. ولكن المائة جنيه لو اصبحت ثلاثمائة جنيه فى عام واحد ، فمعنى ذلك انه سرق عمل الآخرين .. ليس لها تحليل الا السرقة ..

قلت فى حدة كأنى خفت أن اقتنع :

ـــ لا افهم ما تقول .. ولا اريد ان افهم .. كل ما افهمه أن هؤلاء الناس لم يسرقوا ، ولم يرتكبوا جريمة ، ولكنهم جمعوا اموالهم بعملهم .. ثم جاءت الحكومة واخذتها ..

قال مبتسما :

ـــ انهم يستطيعون ان يعملوا من جديد ، ويأخذوا اجرا على عملهم .. سواء كانوا لبنانيين أو مصريين .. لا احد يمنعهم من العمل .. ولكنهم لا يريدون العمل .. او لا يكتفون بأجر عملهم ، ولكنهم يريدون أن يعمل لهم الآخرون ..

ولم ارد عليه ..

ومال علىّ بوجهه وقال :

ـــ لم اكن اعلم انك تهتمين بالسياسة ..

قلت :

ـــ انا لا أهتم بها ..

قال :

ـ اننا فى مصر ، غيركم فى لبنان .

قلت :

ـ الناس فى لبنان سعداء ..

قال :

ـ وفى مصر سعداء

قلت :

ـ لا .. فى مصر تأخذ الحكومة أموال الناس ..

قال :

ـ بعض الناس .. لتعطيها لآخرين احق بها منهم ..

قلت :

ـ هذا ما تسمونه اشتراكية ..

قال :

ـ نعم .

وهززت كتفى وقلت :

ـ لا يهمنى .. لا اريد ان افهم .

ولم يكن هذا صحيحا .. فقد كنت أريد أن أفهم .. ولكنى لم استطع .. وكلام هاشم ملأ راسى بضباب كثيف لم أتبين من خلاله شيئا .. واشتدت حيرتى .. الحيرة بين احساسى بالظلم الذى وقع على عائلة محيى الدين ، ومحاولتى البحث عن تعليل يبرر تأميم ممتلكاتهم ... وفى محاولتى الهرب من هذه الحيرة اندفعت أكثر فى تمثيل دور البطلة التى تنقذ العائلة المنكوبة .. افتعل الذكاء الحاد .. واضع فى عينى نظرات التآمر .. واعامل هاشم بنفاق خبيث .. وكل أفراد عائلة محيى الدين يعاملوننى كأننى بطلة فعلا .. كأنى جان دارك .. القديسة التى ارسلتها السماء لانقاذهم .. عيونهم ساجدة تحت أقدامى .. ومطالبى

كأنها القدر . . ودموع طنط لولى تلاحقنى . . وتنهدات محمد محيى الدين تملأ أذنى . . ووجه طنط نازلى المريض ، يطل علىّ كأنه يبتهل لى ان أرد اليه الحياة . . وطنط سلى التى تدب بعصاها وتصدر الأوامر لجيوش الوهم ، تستكين امامى فى ذل وخضوع . . حتى دودى المجنونة التى تكرهنى ، أصبحت تتمسح فى كأنها القطة الأليفة . .

ورفيق العنكبوت ينفظ خيوطه اللزجة حول خيالى ليحتفظ باحساسى كبطلة ارسلتها السماء لانقاذ الجالية اللبنانية فى مصر . . وبدأ يتفق معى على الخطة التى سأقوم بتنفيذها . .

وكانت الخطة تقضى بأن تعد حقيبة فيها جيوب سرية تخبأ فيها الأموال والمجوهرات التى ستهرب . . ثم احمل هذه الحقيبة ضمن حقائبى وانتقل الى فندق هيلتون لأقيم فيه يومين قبل أن أسافر الى لبنان . . وعندما اغادر الفندق أتعمد ان أنسى فيه الحقيبة ذات الجيوب السرية . . وبعد أن اصل الى بيروت مباشرة ، اتصل من هناك بهاشم بالتليفون ، ابلغه انى نسيت احدى حقائبى فى فندق هيلتون واطلب اليه أن يذهب الى هناك ويتسلمها . . وفى نفس الوقت ارسل برقية الى ادارة الفندق اطلب تسليم الحقيبة التى نسيتها الى هاشم . . ثم يحمل هاشم الحقيبة الى لبنان ضمن حقائبه . .

كانت هذه هى الخطة . .

وكان القصد من انتقالى الى فندق هيلتون قبل سفرى . هو ابعاد الشبهة عن عائلة محيى الدين فى حالة حدوث أى طارىء ، حتى لا يكتشف احد الصلة بينى وبينهم . . وحتى لو اكتشف هذه الصلة فى حالة ضبط الحقيبة فان عائلة محيى الدين تستطيع أن تدعى بأنها لا تملك هذه الحقيبة . . أما أنا . .

فلا خوف علىّ .. لانى سأكون فى لبنان بعيدا عن يد الحكومة المصرية .. وحتى لو سألونى فى لبنان فانى استطيع ان ادعى، انى لا أعرف هذه الحقيبة ، وربما نسيها نزيل قبلى أو بعدى كان يقيم فى نفس الغرفة ..

ولكن ..

ماذا لو عدل هاشم عن السفر الى لبنـــان لأى سبب من الأسباب ..

فى هذه الحالة ، تقرر أن أعود انا الى القاهرة ، واخذ الحقيبة ، واعيدها الى عائلة محيى الدين ..

كانت هذه هى الخطة ..

خطة محكمة .. ربما كان فيها بعض المجازفة .. وربما روعى فيها سلامة عائلة محيى الدين ، أكثر مما روعيت فيها سلامتى ..

أعد رفيق حقيبة صفراء ذات جيوب سرية .. وخبأ فيها اوراق النقد .. حوالى عشرة آلاف جنيه مصرى .. وثلاثة آلاف دولار .. وجنيهات انجليزية .. وفصوص من الماس .. وسبائك صغيرة من الذهب .. انها ثروة كبيرة .. وقد تساءلت ساعتها ، لماذا تشكو عائلة محيى الدين ، وهى تملك كل هذه الثروة .. ولكن تساؤلى ضاع فى بهرة المغامرة .. ثم ملأنا الحقيبة بعد ذلك بأشياء أخرى .. ليست ثيابى .. حتى لا تقوم دليلا على فى حالة ضبطها .. ولكننـــا ملأناها بقطع قماش رجالى .. وكرافتات .. وهدايا من خان الخليلى ..

وبعد ذلك تقرر أن أنتقل الى فندق هيلتون ..

وحتى أطلع ادارة الفندق على الصلة بينى وبين هاشم ، تقرر ان اطلب منه .. من هاشم .. أن يتولى هو حجز غرفتى

فى الفندق .. واتصلت به بالتليفون ورفيق واقف بجانبى .. وقلت له انى سأنتقل الى الهيلتون لأبقى فيه يومين قبل عودتى الى لبنان ، لأنى زهقت من الجو القاتم الذى يخيم على بيت محيى الدين .. وقلت له انى أخشى الا اجد غرفة خالية .. فطمأننى هاشم قائلا انه يعرف مدير الفندق معرفة شخصية ، وسيتولى حجز غرفة لى .. وبعد دقائق اتصل بى ، وقال ان الغرفة قد حجزت باسمى .. حجرة رقم ٦٢٥ .

وحملت الحقيبة ذات الجيوب السرية ضمن حقائبى ، وانتقلت الى الفندق .. لم يأت معى أحد من افـــراد عائلة محيى الدين لمرافقتى الى الفندق .. وقفوا كلهم يودعوننى على باب البيت . وعيونهم تشهق من خلال دموعهم وراء الحقيبة الصفراء .. وقبلتهم واحدا واحدا وعواطف متباينة تضطرم فى صدرى .. الشفقة .. الاحتقار .. العطف .. التعالى .. الغيظ .. عواطف أتوه بينها .. والاحساس بالمغامرة يهزنى .. ولم اركب أيضا سيارة العائلة ، امعانا فى ابعاد الشبهة عنها .. ركبت تاكسى ، حملنى انا وحقائبى الى الفندق ..

ودخلت الى الهيلتون .. والحقيبة الصـــفراء تسير ورائى محمولة على كتف الشيال .. وقلبى يضطرب .. لم أكن ادرى انى سأتعرض لكل هذا الاضطراب .. كل هذا الخوف .. كل هذه الحيرة ازاء مغامرة اندفع فيها دون أن أكون فى حاجة اليهـــا ..

والتفت الى موظف الاستقبال .. ولم استطع ان اركز عينى فى عينيه .. وقلت فى صوت مرتعش :

ــ أعتقد أن الدكتور هاشم عبد اللطيف حجز لى غـــرفة عندكم ..

وقال موظف الاستقبال وهو يقلب فى دفتر أمامه :

ــ متى ؟

قلت :

ــ هذا الصباح ..

وتوقفت عينا الموظف فوق دفتره ، ثم رفعها الى وقال :

ــ الآنسة رحاب شمس الدين ؟

قلت :

ــ نعم ..

وابتسم ابتسامة كبيرة وقال :

ــ الغرفة رقم ٦٢٥

ثم أخذ جواز سفرى ، واستكمل اجراءاته ، وصحبنى موظف آخر .. ونظرت الى الحقيبة الصفراء قبل أن ادخل المصعد .. ثم عدت وتجاهلتها بسرعة .. كأنى خشيت أن يضبطنى احد وانا انظر اليها .. وصعد بى المصعد .. وقلبى يصعد الى حلقى ..

وبقيت فى الغرفة بضع دقائق .. وحدى .. لا استطيع ان اجلس .. ولا استطيع ان ادير عينى حولى .. تائهة .. بائسة .. احساس كبير بالبؤس يخنقنى .. ثم انتبهت على صوت نقرات على الباب .. ودخل الحمالون .. يحملون حقائبى .. والحقيبة الصفراء .

ودفعت لهم البقشيش ..

لا ادرى كم دفعت ..

لعلى دفعت لهم جنيها كاملا .. فقد رأيت فى عيونهم نظرات كثيرة .. وهمهمات عالية .. خفت منها فى الأول .. ثم اكتشفت أنها نظرات شكر وهمهمات امتنان ..

وبقيت وحدى فى الغرفة .. أدور فيها ، وانا ابحث عن

مكان اضع فيه الحقيبـــة الصفراء بحيث يمكن ان ادعى أنى نسيتها ، وبحيث لا يكتشف أحد مكانها قبل ان اغادر الفندق ..
واحترت .. وفى كل ثانية من حيرتى ، العن نفسى لأنى حشرت نفسى فى هذه المغامرة .. واكاد اهم بأن ارفع سماعة التليفون واتصل بعائلة محيى الدين واطلب اليهم ان يأتوا ، ويأخـــذوا حقيبتهم ويريحونى .. ولكنى احس انى مقيدة من عنقى بدور البطلة الذى قررت ان اقوم به .. احس كأنى ذبابة وقعت بين خيوط عنكبوت سام .. خيوط الوهم بأنى بطلة انقذ عائلة مجنيا عليها ..

وقررت ان اضع الحقيبة فى ارضية الدولاب الكبير وراء الضلفة التى لا تفتح .. وحاولت ان احملها بيدى .. انها ثقيلة .. اثقل مما كنت اعتقد .. وجررتها على الأرض .. بذلت كل ما فى جسدى الضعيف حتى اجرها .. وشعرى سائل على وجهى .. والعرق ينضح من كفى .. والكحل يسيح حول عينى ..

وانتهيت ..

ورقدت على الفراش الهث ..

ولكنى لا استطيع ان اهدأ بعد ..

احس كأن وراء ضلفة الدولاب جثة قتيل .. وحاولت ان اقاوم هذا الاحساس .. ولكنى لم استطع .. لم استطع أن ارقد .. ولا ان اقف .. ولا أن اجلس ..

ورفعت سماعة التليفون واتصلت بهاشـــم ، وقلت كأنى استغيث به :

ــ هل استطيع ان اراك الآن ؟

قال :

ــ بعد ساعة ..

قلت :

ـ لن أحتمل الساعة .. اكاد اختنق من الزهق ..

قال :

ـ بعد عشر دقائق اذن ..

ووضعت سماعة التليفون .. وأنا احس بضعفى .. واحس بكراهيتى لنفسى لانى القيت ضعفى على هاشم .. أحس أنى أنانية .. استغل حبه ، الى حد أن ابعده عن مرضاه ليعيننى على ضعفى ... ولكن ... انى مريضة أنا الأخرى .. الزهق مرض .. الضعف مرض .. الأنانية مرض ..

ولم احتمل أن أبقى العشر دقائق فى الغرفة .. نزلت الى بهو الفندق ، وطلبت من موظف الاستقبال ان يحجز لى مقعدا فى الطائرة المسافرة الى بيروت بعد الغد .. وأرسلت برقية الى أبى احدد له فيها موعد وصولى الى بيروت ..

ثم جاء هاشم .. وأخذنى فى سيارته الى مينا هاوس .. ولكنه ما كاد يصل الى هناك .. حتى طلبت منه أن يعود .. وقلت :

ـ لا تقف فى اى مكان .. انى لا أطيق الوقوف .. اطلق سرعة السيارة ...

وقال وهو يلتفت الى :

ـ انت عصبية ...

قلت وأنا لا أنظر اليه :

ـ انى دائما عصبية عندما اسافر من مكان لمكان .. احس انى افقد شيئا .. عندما تركت بيروت أحسست انى فقدتها .. والآن احس انى على وشك ان افقد القاهرة ..

ولم يطلق سرعة السيارة .. وظل يقودها ببطء .. وقال في صوت مرتعش :

— انى اخشى ان افقدك فى بيروت .. هناك اهلك وبلدك .. وقد احببتنى بعيدا عن اهلك وبلدك .. احببتنى وانت غريبة .. واخاف عندما لا تشعرين بالغربة ان تفقدى شعورك بحبى ..

قلت وانا ساهمة :

— لا اظن ..

قال وضعفه يطل من عينيه :

— ان الحب يشمل الظروف التى تحيط به .. فاذا اختلفت الظروف اختلف الحب .. كالرجل الذى يحب راقصة فى كباريه .. اذا ابتعدت الراقصة عن الكباريه ، واصبحت ست بيت ، فقد حبه لها ..

قلت وانا انظر اليه وعلى شفتى ابتسامة عصبية :

— انا لست راقصة .. والقاهرة ليست كباريه .. ثم انك ستأتى الى بيروت .. متى ستأتى ..

— بعد عشرة ايام .. اعددت كل شىء لأكون معك بعد عشرة ايام ..

قلت :

— لن تتأخر ..

قال :

— لا .. لن اتاخر .. لا استطيع ان اتاخر ..

وبقينا معا ..

لم يذهب الى عيادته فى المساء .. ظل معى حتى الرابعة صباحا .. نجرى معا فى شوارع القاهرة .. ونجلس فى مكان .. لنقوم ونجرى فى الشوارع .. ونضيع نحن الاثنين فى قبلة

.. ثم نفيق لنجرى .. واليوم التالى قضاه كله معى .. والمساء ايضا .. ولم نكن سعداء .. ولكن كان كل منا مشدودا للآخر . كأنما التصقنا ، والقدر يجرى عملية جراحية بدون بنج ليفصل كلا منا عن الآخر .. وفى كل لحظة يشعر كل منا بأنه يودع الآخر .. ويشعر بالم العملية الجراحية .. ونتكلم حينا كأن كلا منا يواسى الآخر .. ثم نصمت كأننا قد افترقنا فعلا .. ونعود نتكلم .. وأنا أتساءل فى كل لحظة .. هل انا احبه .. وهل هذا هو الحب .. انى اشعر باحساس لم اشعر به من قبل .. هذا الالتصاق لم اشعر به نحو اى رجل آخر .. لعل هذا هو الحب .. ورغم ذلك فانى اتعجل أن تنتهى هذه اللحظات وأعود الى بيروت .. وانتهى .. وانتهى من كل شىء .. واستريح فى بيتنا .. اوحشنى الحاج عبد الرحمن .. وامى .. واختى .. وقفزت فى خيالى فجأة صورة الحقيبة الصفراء الراقدة خلف ضلفة الدولاب كجثة القتيل .. والتفت الى هاشم مذعورة كأنى اخاف أن يلمح صورة الحقيبة فى خيالى ..

واقرر فجأة الا استمر فى عملية التهريب .. احس بالذبابة تحاول أن تخلص نفسها من خيوط الوهم بأنها بطلة .. خيوط العنكبوت التى نصبها حولها رفيق .. ثم أعود واتساءل : هل انا احب هاشم ..

وكل هذا ينبض به احساسى ، وأنا جامدة .. لا اتصرف .. لا افعل شيئا .. قراراتى تتوالى بسرعة . فى كل لحظة قرار يعارض الآخر ..

وقال لى هاشم ونحن جالسان فى كافيتريا هيلتون فى الساعة الرابعة صباحا ، وقد قررنا الا ننام حتى موعد قيام الطائرة .. انا التى قررت الا أنام ، خوفا من بقائى بجانب الحقيبة الصفراء :

ـ أنى على قدر ما أنا خائف ان افقدك فى بيروت .. اريدك ان تسافرى .. حتى تستطيعى وانت بعيدة عنى أن تكتشفى حقيقة عواطفك ..

قلت وانا مرهقة :

ـ مهما كانت عواطفى .. فالحقيقة انى أعيش فى لبنان وانت تعيش فى مصر .. ولن تستطيع أن تعيش معى فى لبنان .. ولا ان أعيش معك فى مصر ..

ونظر الى فى تعجب ملىء باللوم وقال :

ـ حتى اذا اكتشفنا الحب ؟

قلت :

ـ ماذا يجدى الحب ..

قال فى هدوء وهو ينظر فى عينى :

ـ نتزوج ..

وارتعشت رموشى فوق عينى .. انى لم افكر فى الزواج من هاشم .. حتى هذه اللحظة لم افكر فى الزواج من هاشم .. ربما لانى لا افكر فى الزواج اطلاقا .. ولكنه يفكر فى الزواج .. الى هذا الحد يحبنى ..

وقلت وانا ارخى عينى عنه :

ـ انا لا أفكر فى الزواج .. ليس الآن ..

قال فى دهشة أكبر :

ـ حتى لو كنت تحبيننى ..

قلت :

ـ حتى عندما احب .. لا افكر فى الزواج .. أسهل على ان افكر فى ان اعيش فى القاهرة ما دمت احبك .. من ان أفكر فى الزواج ..

قال :

ـــ لماذا .. ما هذا الجنون ..

قلت :

ـــ انى اعتبر الزواج نهاية .. وانا لا احب النهايات ..

قال :

ـــ انه بداية ..

قلت :

ـــ انها نهاية فترة من حياتى لا اريدها ان تنتهى ..

وخفض راسه وقال :

ـــ هذه اول مرة التقى بفتاة ترفض ان تتزوجنى ..

قلت وانا ابتسم له :

ـــ انى لا ارفضك انت .. انى ارفض الزواج .. انى اثق بحبك الى حد انى لست فى حاجة الى عقد قانونى يربطنى بك .. يكفينى حبك ..

قال وهو يتنهد :

ـــ لن تستطيعى أن تقررى شيئا الآن .. فى بيروت ستكتشفين حاجتك الى .. الى حد الزواج ..

قلت :

ـــ من يدرى .. انى أؤمن كما تعلم باحساس اللحظة .. ربما تاتى لحظة اقرر فيها الزواج ..

قال :

ـــ انك مغرورة ..

قلت :

ـــ مغرورة بك ..

وابتسم ، والأمل يشع من ابتسامته .. وقال :

— لا تكتبى الىّ بعـــد ان تصلى الى بيروت .. حتى لو احسست بانك تريدين أن تكتبى الىّ ..

قلت :

— لماذا ؟

قال :

— لاننا فى حاجة الى هذه الأيام العشرة كامتحان لعواطفنا ، ولو كتبنا فكأننا نغش فى الامتحـــان .. اريدك أن تعيشى مع عواطفك .. وانا أيضا سأعيش مع عواطفى .. حتى نستطيع يوم أن نتخذ قرارا ان نكون على ثقة منه ..

قلت :

— موافقة ..

وكانت الساعة قد بلغت الخامسة والنصف صباحا ..

واستأذنت من هاشم وصعدت الى غرفتى ، وغسلت وجهى ، وبدلت ثوبى .. ثم اغلقت حقائبى .. وناديت الشيال .. وحمل الحقائب امامى ونزل بها ..

ثلاث حقائب .. والرابعة نسيتها .. مغلقة .. ومفتاحها معى كما تقضى الخطة ..

ونزلت الى هاشم ..

لمحته يروح ويجىء فى بهو الفندق .. ويده فى جيب بنطلونه .. وراسه ملقى على صدره ونظراته ملقاة على الأرض .. وشفتاه تتمتمان كأنه يحادث نفسه ، والتعب والارهاق يبدوان على وجهه ..

واتجهت مباشرة الى موظف الاستقبال ..

كنت اريد ان انتهى بسرعة من دفع حسابى ، قبل ان يكتشف احد من موظفى الفندق الحقيبة التى نسيتها ..

ولحقني هاشم .. وجاء ووقف بجانبي .. وحاول ان يدفع حسابي . ولكني رفضت . رفضت بحدة أدهشت هاشم .. ولا ادري لماذا كنت اشعر ساعتها اني لا استحق ان يدفع لي هاشم الحساب ...

وتركني ادفع ..

ثم تولى عني دفع البقشيش ...

وانا اتعجله حتى نركب السيارة .. قبل ان يكتشف أحد الحقيبة .. مضطربة .. كل شيء في داخلي يرتعش .. ويخيل الي ان الناس يرون ما في داخلي .. يرون ارتعاشتي .. .. والعيون تتسلل من تحت ثوبي .. ومن تحت جلدي .. لتكتشف سري .. وكل وجه تصطدم به عيناي ، يخيل الي ان صاحبه يهم ان يصيح بي .. يا آنسة .. لقد نسيت الحقيبة الصفراء ..

وتحركت بنا السيارة ..

الحمد لله ...

لم يكتشف احد الحقيبة ..

حاولت ان استرخي في مقعدي .. ان اهدأ .. ولكني لا استطيع .. اعصابي مشدودة بعنف ، تكاد تتمزق .. واحس كأن في داخلي اسنانا حادة تأكل في لحمي .. احس كأن جلد وجهي يتساقط .. وبحركة لا ارادية نظرت الى مرآة السيارة المعلقة امامي .. ان وجهي اصفر .. اصفر .. وعيناي مرهقتان .. وشفتاي باهتتان .. وابعدت وجهي عن المرآة كأني خفت منه .. وشعرت باني في حاجة طاغية لأن القي براسي فوق كتف هاشم .. وابكي .. وابكي .. الى ان اهدأ ..

وهاشم صامت .. مرهق .. خطوط كثيرة تملأ وجهه وجبينه ، كأنها خربشة اظافري ..

وطال صمتنا ..

كأننا ابتعدنا أحدنا عن الآخر مسافة اكبر من التى تفصل بين القاهرة وبيروت ..

ثم تكلم هاشم .. صوته عميق ، بعيد ، حزين .. وقال دون أن ينظر الى ، ونحن نقترب من طريق المطار :

ــ انا خائف يا رحاب .. لا أدرى لماذا .. ولكنى خائف .. وربما كنت خائفا على نفسى أكثر من خوفى عليك .. لقد قضيت هذه الشهور فى قلق .. قلق أفقدنى ثقتى فى نفسى .. افقدنى سيطرتى على عقلى .. اهملت عملى .. واهملت حياتى .. وكنت دائما احس بأنى أسير فى طريق لا أدرى نهايته .. اسير بلا ارادة .. مغمض العينين .. وكل ما احتاج اليه الآن هو أن اقف .. وأن افتح عينى .. لأرى اين انا .. ولا يهمنى اين أكون .. ولكن يهمنى أن أعرف مكانى .. مكانى منك .. مكانى من نفسى .. وكل ما اريده هو أن تساعدينى على أن اقف .. وعلى أن افتح عينى .. ساعدينى .. كونى صريحة معى .. حددى مكانى منك بالضبط ، حتى استطيع أن احدد مكانى من الحياة .. انك الآن العلامة الوحيدة فى طريق حياتى .. واريد ان أعرف هل انا اقترب من العلامة ، ام ابتعد عنها .. ام قد وصلت اليها ..

وشعرت بدموعى تنهمر ..

بلا اردة منى ..

وقلت فى صدق يملأ كل قلبى :

ــ لا ادرى .. انى حائرة مثلك .. انى لم أفتعل شيئا معك .. كنت التقى بك لأنى كنت احس انى أريد ان اكون معك .. وكان هناك عشرات غيرك استطيع أن التقى بهم ، ولكن انت وحدك

الذى كنت اندفع الى لقائه .. وقد جئت الى القاهرة لابقى ثلاثة اسابيع فبقيت خمسة شهور .. من اجلك .. انى عندما اسأل نفسى ، لا اجد سببا لبقائى فى القاهرة طول هذه الشهور الا انت .. ورغم ذلك فانى لا استطيع أن اعرف ما اريد منك .. ولا ماذا اريدك أن تكونى منى .. ان فى داخلى شيئا يتمرد عليك وفى داخلى ايضا شىء يربطنى بك .. ولا ادرى ايهما سيغلب الآخر .. انى اتمرد عليك بنفس القوة التى اندفع بها اليك ..

وتنهد هاشم ..

ومد يده والتقط يدى وضغط عليها .. وقال :

— انى مستسلم .. لم اكن ابدا مستسلما كما كنت معك .. مستسلم الى حد الضعف .. انى اشعر بنفسى ضعيفا الى حد العجز .. نفس الضعف الذى احس به عندما اعجز عن تشخيص مرض .. واكثر .. انى عاجز أن اعرف أينا المريض . أنت .. أم انا .. وأينا يستحق العلاج .. انا أم انت .. أم كلانا ..

وقلت ودموعى لا تزال على خدى :

— لا .. لسنا مرضى .. لا تقل اننا مرضى ..

قال :

— إننا نتألم .. والمرضى يتألمون ..

قلت :

— والأقوياء يتألمون أيضا ..

قال :

— الأقوياء يتألمون لآلام غيرهم .. وقد كنت اتألم لآلام مرضاى .. كنت أتألم كطبيب ولكنى اليوم اتألم كمريض ..

قلت :

— اننا نتألم لأن الطريق الذى يفصل بيننا طويل .. الطريق بين عقلك وعقلى .. بين عمرى وعمرك .. بين احساسك واحساسى .. لقد كنت اشعر احيانا انك تنظر الىّ كأنى من عالم آخر .. من القمر .. من المريخ .. وانا ايضا كنت احس احيانا انك آت من عالم غريب .. عالم الأساطير .. كنت احس بك كأنك اعرابى نعيش فى الجاهلية ، تقف على باب خيمة وتحاول أن تخطفنى وتسدل على ستائر خيمتك لأعيش فى الظلام ، ويبقى النور لك وحدك .. كنت احسك هكذا فعلا .. وكنت اتمرد .. لا أريد ان اعيش فى خيمتك ، ولا فى ظلامك .. ولكنى رغم تمردى كنت اجد نفسى مندفعة اليك .. وقد قطعنا مسافة طويلة من الطريق الصعب .. انى احس بنفسى اقترب اليك ، وانت اقترب الىّ .. لقد بدات انا اهبط من القمر الى الأرض .. وبدات انت تخرج من الجاهلية الى العالم الجديد .. ويجب أن نحتمل اكثر لنقطع ما بقى من الطريق حتى نلتقى ..

قال مبتسما كأنه يسخر من نفسه :

— ان فى عمرك ما يكفى للانتظار .. وليس فى عمرى ما يكفى ..

قلت كأنى اواسيه :

— انى اسرع بعمرى اليك .. وعليك ان تبطىء بعمرك حتى الحق بك ..

قال :

— انى سأوقف عمرى هذه العشرة الأيام التى سنفترق فيها .. وبعدها اما ان افقد ما بقى ، او استرد ما ضاع منى ..

قلت :

— احس اننا سنقترب اكثر أيام الفراق ..

قال :

ـ او نبتعد اكثر ..

وكنا قد وصلنا الى باب المطار ..

واقترب الحمالون من السيارة ..

وفجأة ..

تذكرت الحقيبة الصفراء ..

واحسست بتمرد هائل .. تمرد على نفسى .. تمرد الذبابة على خيوط العنكبوت .. ولكن التمرد لم ينقذ الذبابة .. ان الذبابة مضطرة أن تنفذ بقية الخطة .. والخطة تقضي بألا يدخل معى هاشم الى المطار حتى لا يراه معى رجال الجمرك ..

والتفت اليه وقلت وانا احاول ان اخفى اضطرابى :

ــ ابق فى السيارة .. لا اريدك ان تنزل معى ..

وقال فى دهشة :

ــ لماذا ؟

وصرخت .. انطلق صراخى رغم ارادتى .. وقلت وانا ارتعش واعصابى تخنقنى :

ــ لا اريدك ان تأتى معى .. لا اريدك .. لا اريدك .. انى اتعذب بلحظات الوداع .. الا تفهم ..

وسكت هاشم مبهوتا ..

وانحنيت وقبلته قبلة سريعة ، وانا اتمتم :

ــ اراك بخير ..

ثم فتحت باب السيارة ونزلت منها قبل أن يرد قبلتى .. وهرولت الى داخل المطار دون أن التفت خلفى .. جريت .. ولم اكن اجرى من هاشم .. ولكنى كنت اجرى من نفسى .. ودموعى تجرى معى ..

ثم وقفت قبل ان ادخل الى منطقة الجمرك .. التقطت انفاسى ومسحت دموعى .. واعدت وضع خطوط الكحل حول عينى .. ثم التفت الى الباب الذى يؤدى الى الجمرك .. وارتعش قلبى .. خيل الى انى سأدخل من هذا الباب الى السجن .. الى جهنم .. انهم يكرهون اللبنانيين .. يفتشونهم .. وقد يخلعون عنى ثيابى كلها ويعرضوننى عارية فى ساحة الجمرك .. ولم يكن فى حقائبى شىء أخافه منه .. ورغم ذلك فانى خائفة .. خائفة .. كأن كل الرجال الذين سأدخل اليهم يعلمون قصة الحقيبة الصفراء ..

ولكن ..

لا شىء ..

لا شىء من هذا كله ..

استقبلنى رجال الجمرك فى رفق .. كل منهم يحملنى فوق ابتسامته ويسلمنى الى ابتسامة الآخر .. انهم لم يفتحوا حقائبى .. ولا حقيبة واحدة .. ربما لو كانت معى الحقيبة الصفراء لما فتحوها أيضا ..

وفى دقائق وجدت نفسى خارج منطقة الجمرك ..

وجلست فى انتظار ركوب الطائرة .. وحاولت ان اهدأ .. ولكن .. نوبة التمرد تنتابنى من جديد .. التمرد على كل هذا .. على نفسى .. على هاشم .. على رفيق .. على خطة الحقيبة الصفراء .. التمرد على هذه الذبابة التافهة التى أسلمت نفسها لخيوط العنكبوت ..

وصحبنى التمرد والاحساس بالتفاهة وانا فى الطائرة .. لم أستطع أن انام .. ولا أن اهدأ .. ولا أن استقر .. لا استطيع أن اربط خيالى بهاشم .. ولا بأهلى الذين ينتظروننى .. لا أستطيع

ان احس بأنى تركت القاهرة ، ولا بأنى مقبلة على بيروت .. احاسيس مضطربة .. حمراء فى لون الدم .. كأنها عاصفة من الرمال تضرب فى عينى ..

ووصلت بيروت ..

واحتضننى ابى الى كرشه الكبير وهو يردد بصوته الضخم من خلال ضحكة مرتعشة :

— رحاب .. رحاب .. رحاب ..

وحاولت أن أهدأ فوق كرشه .. أن احس بأنى عدت الى حبه ، والى حمايته .

ولكن أمى اختطفتنى منه ، واخذت تقبلنى فى كل مكان من وجهى .. ثم أبعدتنى عنها وهى لا تزال ممسكة بكتفى .. وقالت فى هلع وهى تنظر فى عينى :

— روللى .. ماذا بك .. هل كنت مريضة ..

قلت وانا اهز راسى وابتسامتى معلقة بين شفتى :

— لا .. صحتى منيحة ..

وجذبتنى أختى اليها وهى تصرخ فى مرح :

— اشتقنالك ..

واحتضنتها الى صدرى كأنى اريد أن اسمعها شهقات الألم التى تنطلق من قلبى .. وبكيت ..

والدموع تلمع فى عينى ابى .. وفوق شفتى امى .. وعلى خدى اختى ..

وخرجت بنا السيارة الى بيتنا .. وانا اتطلع حولى كأنى ابحث عن أشياء فقدتها .. الجبل الذى فقدته .. والبحر الذى فقدته .. والشوارع التى فقدتها .. والوجوه التى فقدتها ..

ودخلت بيتنا وعينى تمسح الجدران وتبكى فوقها .. كأنها تعتذر لها ..

والتف الجميع حول حقائبى ، اخرج لهم الهدايا التى حملتها لهم .. ثم فجأة .. وكأن عفريتا نغزنى فى جنبى .. صحت :

— نسيت حقيبة ..

وقالت أمى فى دهشة :

— شو ؟ ! ان حقائبك كاملة .. ثلاث حقائب ..

قلت :

— لا .. هناك حقيبة رابعة اشتريتها من مصر .. انى ادرى اين نسيتها ..

وقال ابى :

— نكلم أصدقاءنا هناك ليرسلوها الينا ..

قلت وانا اجرى الى التليفون :

— لا .. لى صديق سياتى الى بيروت بعد ايام ... ساكلمه ..

وطلبت القاهرة بالتليفون .. مكالمة سريعة .. وبتوصية من مكتب أبى ..

طلبت هاشم ..

وفى نفس الوقت أرسلت سائق سيارتنا ببرقية الى فندق هيلتون ، قلت فيها :

« نسيت حقيبة فى الغرفة رقم ٦٢٥ ارجو تسليمها الى الدكتور هاشم عبد اللطيف » ..

وبعد ساعة سمعت صوت هاشم يصبح فى التليفون :

— رحاب ؟

قلت وانا أتحامل على أعصابى :

ــ اشتقت اليك .. وانت ؟

قال كأنه يتنهد :

ــ انا .. انى احس كأن كل شىء اختفى من القاهرة فجاة .. لم يعد فى القاهرة سيارات .. ولا شوارع .. ولا ناس .. كل شىء اخذته معك الى بيروت ..

وقلت ، وأمى واقفة بجانبى تنظر الى :

ــ هاشم .. لقد نسيت حقيبة فى الهيلتون .. هل تستطيع أن تأتى بها معك ؟

قال :

ــ حاضر ..

قلت :

ــ انك لن تتأخر ..

قال

ــ لا .. بعد عشرة أيام .. يوم السبت .. وربما قبل ذلك اذا لم أحتمل ..

قلت وانا ابتسم :

ــ ارجو الا تحتمل ..

قال :

ــ سأحاول ان أحتمل .. كيف بيروت ؟

قلت :

ــ انى لا زلت فى القاهرة ..

قال :

ــ يا ريت ..

انتهت المكالمة ..

نفذت الذبابة خطة العنكبوت ..

- ٣ -

حاولت أن انسى كل شيء بعد أن حادثت هاشم فى التليفون ، وانتهيت من تنفيذ خطة العنكبوت .. حاولت ان اقنع نفسى بأن كل ما حدث لم يكن سوى فيلم سينمائى ، تخيلت نفسى خلال فترة عرضه ، انى فى مكان بطلته .. وقد انتهى الفيلم .. وخرجت من السينما .. ويجب ان انسى بطلة الفيلم .. واعود الى نفسى ..

واخذت ادور فى انحاء البيت .. اضحك مع اختى .. واقبل مربيتى .. واروى نتفا سريعة ممزقة من ذكرياتى فى القاهرة .. واستمع نتفا من اخبار بيروت التى حدثت اثناء غيبتى .. وعينا أمى تلاحقانى كأنها تحاول ان ترى ما تحت جلدى ، وعلى وجهها تعبير متسائل كأنها لا تصدق الضحكة التى تخرج من شفتى ، ولا المرح المرتسم فى عينى .. وتحاول أن تجلسنى بجانبها لأحدثها عن القاهرة .. ولكنى لا اطيق ان اجلس فى مكان .. ولا اطيق ان اتحدث فى موضوع واحد .. لا استطيع ان اركز عقلى ولا أن انسق كلامى ..

وفجأة دخلت غرفتى .. وخلعت ثوبى ، ولبست بنطلونا و « بلوز » ، ووضعت فى قدمى حذاء بلا كعب ، وتركت شعرى يسيل على وجهى وامسكت فى يدى بورقة الكلينكس ، وبضع ليرات ، وخرجت من البيت ..

وصرخت أمى ورائى :

ــ ألا تبقين معنا .. الا يكفيك ان غبت عنا خمسة شهور ..

قلت وانا أجرى ناحية الباب :

ــ سألقى معكم العمر كله ..

قالت فى استسلام وهى تنظر الى كأنى مجنونة :

ــ ستعودين لتناول الغداء ..

قلت :

ــ ربما ..

وصفقت الباب ورائى ..

وذهبت الى مقهى « اونكل سام » وانا اقفز فى الشارع بالبنطلون ، واحاول ان اقنع نفسى بالفرحة وانا التقى بشوارع بيروت ، ودكاكين بيروت ، وناس بيروت .. حاول ان استرد العمر الذى كنت اعيش فيه قبل ان اسافر الى القاهرة .. عمر الخامسة عشرة والسادسة عشرة .. لقد تركت هذا العمر ، وعشت فى عمر اكبر من اجل هاشم .. ولكن هاشم انتهى .. لقد كان بطلا من ابطال الفيلم الذى شاهدته فى القاهرة .. وانتهى الفيلم .. انتهت القاهرة .. وانتهت عائلة محيى الدين .. وانتهت قصة الحقيبة الصفراء .. انتهى كل شىء .. انتهى انتهى .. وانا الآن رحاب ، الفتاة التى كانت تعيش فى بيروت منذ خمسة شهور .. ترتدى البنطلون ، وتضع الكحل حول عينيها ، وتترك شعرها يسيل على وجهها .. وتعيش عمرها لحظة بلحظة .. لا يوما بيوم ، ولا شهرا بشــــهر ، ولا عاما بعام ..

ودخلت الاونكل سام وانا اهلل .. كل شىء فى يهلل .. عيناى تهللان .. وشعرى المنسكب يهلل .. وشفتاى تهللان .. وفى لمحة واحدة رايت كل شىء كما هو .. كأنى لم اغب عن بيروت سوى لحظات .. كأنى تركت متحفا للشمع . وعدت

اليه مرة ثانية .. الوجوه لم تتغير .. والأصوات لم تتغير .. والجرسون لم يتغير .. والرائحة لم تتغير .. وسامى .. وغسان .. وتيسير .. و .. و .. كل منهم جالس الى نفس المائدة التى تعود أن يجلس اليها .. وعنقه مائل بنفس درجة الميل التى تركته عليها ..

وبقيت واقفة عند الباب اطل على متحف الشمع .. الى ان لمحتنى التماثيل — تماثيل الشمع — فانطلقت الىّ وعلى شفتى كل منها صرخة ..

وأجلسونى بينهم يسألوننى عن القـــاهرة .. وحاولت أن أقول لهم شيئا مهما عن القاهرة .. فلم اجد شيئا مهما .. كان كل ما شاهدته وما حدث لى فى القاهرة لم يكن سوى سخافات .. بل انى احسست كأن ذكرياتى عن القاهرة اختفت كلها وراء ضباب ، فلم اعد اتبينها الا بصعوبة ..

وانتهى حديثنا عن القاهرة بسرعة بعد أن عجزت عن أن اثير اهتمامهم .. واندمجوا فى مناقشة اخرى .. نفس المناقشة التى تركتهم عندها منذ خمسة شهور .. بل ان الحروف كانت ترن فى أذنى كأنها بقية كلمات سمعتها منذ خمسة شهور ..

وشيئا فشيئا بدأت أفقد احساسى بكل ما حولى .. شىء فى ينكمش .. وينكمش .. وينكمش .. واحس بجلدى ينكمش .. وأعصابى تنكمش .. ومعدتى تنكمش .. وأحس بنفسى أبتعد وأبتعد ، كأنى بالونة تنطلق فى الفراغ البعيد وهى تزفر كل ما فيها من هواء ، ولم أحاول أن أفسر هذا الشعور بالانكماش .. لم احاول أن اجد له تبريرا .. ولكنى استســـلمت له .. وبقيت بين الأصدقاء ، ساكتة ، واجمة ، والانكماش يؤلمنى ..

يضغط على عروقى .. ثم فجأة انطلقت قائلة كأنى اهرب من نفسى :

ــ سامى .. هل تتغدى معى ..

ونظر الى سامى وعيناه تضيقان ، وقال :

ــ لا مانع .. هيا بنا ..

وقمت دون ان احيى احدا .. وجاء ورائى ..

ولم اتعمد ان اختار سامى .. ولكنه كان تمثال الشمع الذى سقطت عليه عيناى عندما تكلمت ..

وقال سامى ونحن نسير فى شارع « بليس » :

ــ الى اين ؟

قلت وانا ساهمة :

ــ الايجلز نست ..

وانحرفنا ، لنصعد فى شارع جان دارك ، وانا احاول بكل اعصابى ان اتحرر من الاحســــاس بالانكماش .. احاول ان استعيد الأيام التى كنت اذهب فيها الى مطعم « الايجلز نست » لألتقى بالذين يحبوننى ، واحدا بعد واحد .. لا يمكن أن يكون شىء قد تغير فى خلال خمسة شهور .. أنا كما انا .. يجب أن اقنع نفسى بأنى انا كما انا .. ولكن لا .. مستحيل .. شىء تغير .. كل شىء تغير .. لا أدرى كيف ، ولا لماذا .. ولكن انا لم اعد انا .. احس بنفسى فتاة أخرى .. احس بنفسى امرأة عجوزا .. ان خطواتى هرمة مرتعشة .. ولعل ظهرى تقوس .. ولعل وجهى ملىء بالتجاعيد .. وشفتاى تعجزان عن حمل ابتسامتى .. وأذناى تعجزان عن التقاط كلام سامى .. كأنه يتكلم من بعيد ...

ودخلنا مطعم الايجلز نست .. وهلل الجرسون عندما رآنى

.. وهرول صاحب المطعم الى يحييني .. وكلام سخيف يقولانه ، وارد عليه دون أن اسمعه .. ونظر سامى الى السكين الموضوع على المائدة ، واتسعت عيناه فى رعب .. وارتعش .. ثم مد يده بسرعة والقى بالسكين بعيدا تحت المقاعد .. انه لا يزال يخاف من السكاكين .. انه لم يتغير .. ونظرت اليه كأنى أحسده لأنه لم يتغير ..

ونظر سامى الى ، بعد ان هدا خوفه وقال وهو يتحدث فى وجهى بعينيه :

ــ ماذا بك ؟

قلت وانا أحاول أن ابتسم :

ــ لا شيء ..

قال :

ــ يخيل الى انك فتاة اخرى .. احس بك كأنك كبرت عشرة اعوام ..

قلت كأنى احادث نفسى :

ــ انى أحاول أن اكبر ..

قال :

ــ لا تحاولى شيئا .. وابصقى على الدنيا ..

قلت وانا اتنهد :

ــ لو بصق كل الناس على الدنيا ، فهم يبصقون بعضهم على بعض ..

ــ هذا ما يفعلونه .. انهم يبصقون بعضهم على بعض .. الابتسامة بصقة .. والضحكة بصقة .. والكلمة بصقة .. واشرف الناس هو الذى لا يخفى بصقته فى ابتسامة أو فى

ضحكة أو فى كلمة .. ولكنه يبصقها بصراحة .. ويهز كتفيه .. ويمضى الى الموت ..

قلت وانا أزفر فى زهق :

ــ اننا لا نمضى الى الموت ، ولكن الموت يأتى الينا ..

قال وهو يضحك ساخرا :

ــ خرافة .. اننا منذ اليوم الذى نولد فيه ونحن نتجه الى الموت .. بعضنا يقطع الطريق فى خمسين عاما .. والبعض يقطعه فى عشرين .. والسريع يقطعه فى عشرة .. وما دمنا نعرف الى اين يؤدى الطريق ، فلماذا نختار .. ولماذا نشغل بالنا .. ولماذا نحمل هما .. و ..

وقاطعته وانا اشد زهقا :

ــ فلسفتك سخيفة .. حدثنى عن شىء يضحكنى ..

قال وفى عينيه حنان :

ــ حدثينى أنت عن تجاربك فى القاهرة ..

قلت وانا اهز كتفى :

ــ لا شىء مهم ..

ونظر الىّ كأنه لا يصدقنى ، وقال :

ــ وللى .. لا شىء يستحق الندم .. لا شىء يستحق ان نعيش من اجله الا اللحظة التى نعيشها .. ليس هناك شىء فات ، ولا شىء قادم .. ولكن هناك لحظة نعيشها .. لحظة تأكلنا .. ولا نستطيع الا ان نستسلم لها حتى تأكلنا .. و ..

وجاءت أطباق الطعام التى طلبناها .. فأزحتها من امامى .. وانتفضت واقفة .. وقلت وانا ألقى بالليرات على المائدة ..

ــ لم اعد اطيق .. سأذهب ..

قال :

ـ هل آتى معك ..

قلت :

ـ لا ...

وخرجت اهيم فى شوارع بيروت .. واحس بكل شىء حولى ميتا .. الشوارع ميتة .. والسيارات عربات لنقل الموتى .. والبحر ميت .. والجبل قبر كبير .. وانا بومة واقفة فوق فرع شجرة ميتة .. ولا ادرى اين اذهب ، ولا اين اجلس .. ولكنى اشعر بانى بومة .. عينان واسعتان مفتوحتان كعينى البومه .. وانفى صغير مقوس .. ووجهى مستدير يكسوه الشعر كوجه البومة !. واخاف ان اتكلم حتى لا اسمع فى صـــوتى نعيب البومة ..

وعدت الى البيت فى المساء .. الساعة الســـابعة .. الثامنة .. لا ادرى .. واستقبلتنى امى قائلة فى صوت محتد :

ـ انتظرناك على الغداء ..

قلت وانا لا انظر اليها :

ـ آسفة ..

قالت :

ـ لم يتغير فيك شىء .. لا زلت مجنونه ..

قلت :

ـ ربما ..

وانطلقت قهقهة ابى قائلا :

ـ عادت رحاب الى عادتها القديمة ..

وانجهت اليه وجلست على ركبتيه .. وانا اقول :

اشتقت لك يا حاج عبد الرحمن ..

وحاولت ان استريح على صدره .. ولكنى شعرت بمجرد ان

ملت برأسى على كتفه ، انى سأبكى .. واذا بكيت فسيسألنى عن بكائى .. ويجب ان اقول له شيئا .. لا .. لن ابكى .. حتى لا أمزل شيئا .. وقفزت من فوق ركبتيه .. واتجهت الى غرفتى وأنا اقول فى مرح مفتعل :

ــ سأنام ..

وقالت أمى :

ــ ألا تتناولين العشاء ؟

قلت كاذبة :

ــ تعشيت ..

وقال ابى :

ــ الا تجلسين معنا قليلا ..

قلت :

ــ متعبة يا بابا .. غدا ..

وجريت الى غرفتى ، وجلست فوق سريرى كالبومة .. احاول كل جهدى الا افكر فى شىء .. ان استسلم لحالتى دون ان افكر .. ان التفكير معنـــاه ان أواجه نفسى .. أخاف ان أواجهها .. انما انتظر أن تمر هذه الحالة التى اعانيهـــا .. وانسى .. واعود لا مبالية ..

ونمت .. مغشيا علىّ من التعب ، والارهاق .. نوما ثقيلا ، كأنى ندفنت تحت جبل من التراب ..

ويوم آخر ..

ثم يوم ثالث ..

وأنا ازداد انكماشا .. ولا استطيع ان اكل .. وأعصابى تأكل من لحمى .. واذوب .. ولم احاول أن أخرج من البيت

.. منكمشة فى غرفتى .. وأمى تعرض على أن تأتينى بطبيب فرنسى .. وتقضى يومها كله تتحايل على ان اكل ..

ولم يعد يجدى الهرب ..

يجب ان أواجه نفسى ..

واخيرا ..

استجمعت قوتى .. كل ما بقى فى من قوة .. وواجهت نفسى .

لماذا اعانى كل هذه المعاناة ؟

لانى نفذت خطة العنكبوت ؟

لانى خدعت هاشم واشركته فى خطة لتهريب اموال عائلة محيى الدين ؟ !

ولكن هاشم لن يتعرض لأذى .. حتى لو ضبطت معه الحقيبة الصفراء ، يستطيع ان يقول انه لا يملكها .. ويستطيع ان يستشهد بموظفى فندق هيلتون ، ليشهدوا ان الحقيبة هى حقيبتى انا .. ثم ان الأموال التى نهربها ليست اموالا مسروقة .. انها حق لعائلة محيى الدين .. ومن حقهم أن ينقلوها الى لبنان ، كما ينقل ابى امواله الى لندن وباريس ، وكل بقاع الأرض .. انى لا اؤذى احدا بالاشتراك فى نقل هذه الأموال .. وقد اشتركت فى خطة نقلها باحساسى .. وأنا استسلم دائما لاحساسى .. فلماذا اثور عليه الآن .. لماذا كل هذا القلق .. كل هذه المعاناة .. كل هذا الضيق .. كأن رئتى تلطمان صدرى .. كأن أعصابى تتمزق .. كأن كبدى يتفتت ..

ولكن ..

ان ما يشغلنى ليس الحقيبة الصفراء ، ولا عملية التهريب .. لا . انى اضحك على نفسى عندما اعتقد ان سر ما اعانيه

هو انى نفذت خطة العنكبوت ، ولا هو احساسى بأنى كنت ذبابه .. ان سر ما أعانيه هو هاشم نفسه .. من هو هاشم بالنسبه لى ؟

صديق ..

مجرد صديق ..

ليس أكثر من تيسير ، وسامى ، وغسان .. وبقية الأصدقاء .. اصدقاء احتاج اليهم ، لقطع الوقت ، ولارضاء غرورى .. ولكن لا ..

ليس هذا صحيحا ..

هاشم أكثر من ذلك .. ليس مجرد صديق ..

وفجأة تكشف امامى الفراغ الكبير الذى أعيش فيه منذ تركت هاشم .. ومنذ اللحظة الأولى التى وصلت فيها الى بيروت ..

لم يكن هاشم صديقا ..

كان حياتى ..

كان كل دقيقة من يومى .. وكانت اللحظات التى يغيب عنى فيها ، يملؤها بالأمل فى لقائه ..

ـ ماذا يعنى هذا ؟ !

هل أنا أحبه ؟

وهل هذا هو الحب ؟ ..

وارتفع أمامى وجه هاشم .. شعره فى لون الدخان كأنه ينطلق من حريق قلبه .. وعيناه المنتفختان تطل منهما نظراته الضعيفة المبتهلة .. وأنفه الراقد فى تواضع كالأسد العجوز .. وشفتاه المنفرجتان كأن بينهما آهة ألم ..

لا .. انى لا احبه !

لا اريد هذا الحب .. لا اريد اى حب .. ان الحب قيد ثقيل

.. انه ارتباط .. وانا لا أطيق القيود ولا الارتباطات .. لا أريد أن اعانى كل هذه المعاناة لانى افتقد رجلا .. اى رجل .. اريد أن انطلق .. أن أطير ..

— انا لا أحب ..

ابدا لا احب ..

أن الحب يأخذ منى كل شىء .. بل يأخذ عمرى .. هاشم يريد ان يأخذ عمر العشرين ويعطينى عمر الأربعين .. لا .. أريد عمرى .. اريد حريتى .. اريد انطلاقى ..

وتحاملت على ضعفى .. وقمت الى التليفون واتصلت بتيسير . لا شك أن تيسير لا يزال يحبنى .. ربما أكثر من هاشم .. وسأجد عنده نفس ما كنت أجده عند هاشم ..

وذهل تيسير عندما طلبت منه أن يقابلنى ، حالا .. وكان فى الساعة الثامنة مساء .. وخرجت اليه مرتدية البنطلون ، وشعرى سائل على وجهى ، وقلم الكحل فى يدى ، كما تعودت أن اقابله .. ولم استأذن احدا قبل أن أخرج ..

ونظرت اليه .. لا تزال فى عينيه هذه النظـرة المتعالية المتحفزة .. ووجهه جميل .. وجلده مشدود .. وشعره أسود .. ولكن كلامه سخيف .. كل كلمة من كلماته تدق فى أذنى كأنها مسمار .. وتقع على أعصابى كأنها حد الموس .. ولكن .. لعلى عصبية .. يجب أن احتمل حتى اهدأ .. وحاولت أن أحتمل .. ولكنى لا أستطيع .. ابدا لا أستطيع .. حد الموس يقطع فى أعصابى .. والمسامير تدق فى رأسى ..

والتفت اليه فجأة ونحن نسير على الروشة ، وقلت كأنى أصرخ فيه :

— تيسير .. قتلنى ..

قال فى دهشة :

ــ ماذا ؟

قلت :

ــ قبلنى .. قلت لك قبلنى ..

انى لا زلت اذكر قبلاته .. لقد كنت احتملها .. كنت احيانا اريدها . ولكنه فى هذه الليلة ، وما كاد يقرب وجهه من وجهى ، حتى شعرت بريح ساخنة تهب على .. ورائحة لاذعة تكاد تخنقنى .. وشعرت كأن احدا يهم أن يشق جسدى بسكين .. وسقطت شفتاه على خدى كأنهما بقعتان من الزيت البارد .. واحتملت .. احتملت بكل ما فى من قدرة على الاحتمال .. بل وأدرت له شفتى .. وما كاد يلمسهما بشفتيه حتى شعرت بالاختناق .. انى اختنق فعلا .. اختنق .. ونزعت شفتى منه بقسوة كأنى اقاوم الموت .. وجريت .. جريت فى الليل .. لا ادرى شيئا .. وهو يصرخ :

ــ رولى .. يا مجنونة .. رولى ..

وجرى ورائى ..

وخيل الى فعلا ان الموت يجرى ورائى .. يجب ان اسبق الموت .. ان انجو .. والهلع يملأ عينى .. والاختناق يقبض على عنقى ..

ولا ادرى كيف وضعت نفسى فى سيارة أجرة .. ووصلت الى بيتنا .. ودخلت وضباب كثيف يزحف على عينى .. ويد قاسية تقبض على عنقى .. وسمعت أمى تصرخ فى وجهى :

ــ اين كنت .. الساعة الآن الحادية عشرة ..

وصرخت :

ـــ لا تسالينى .. لا تحاسبينى .. ابعدى عنى .. انى ..
أنى (٥٦٥)

وصوتى يختنق ..

عروق رقبتى تنتفخ ..

والم .. الم عنيف قاس حول عنقى ، وفى صدرى .. انها النوبة التى اتعرض لها .. النوبة التى اعرفهـــا جيدا .. واخافها اكثر مما اخاف الله .. انى اتمزق .. انفاسى كأنها جيش من الدبابيس يشك صدرى .. وفى عنقى .. وفى أعصابى ..

يا رب ..

يا رب ..

ثم لم ادر شيئا ..

وأغمضت وأنا راقدة فى الفـــراش .. والطبيب بجانبى .. وأمى وابى عند قمى السرير .. ونظرت الى الطبيب .. والى أبى وامى .. وسألت وكأنه فى داخلى شخص آخر يضع خطة اثناء غيبوبتى .. وكأن هذا الشخص هو الذى يسأل :

ـــ اى يوم نحن ؟

واجاب أبى وعيناه تبرقان بدمعه :

ـــ الثلاثاء ..

وسكت ..

وتعلقت عيناه بسقف الغرفة ، ووجدت نفسى اهيم فى خطة غامضـة لا ادرى كيف ولا متى ثارت فى خيالى .. وامتلأ راسى بصوت يردد :

ان هاشم سيأتى يوم السبت ومعه الحقيبة الصفراء ..

وحاولت أن اتجاهل هذا الصوت .. حاولت ان أقنع نفسى

بألا أهتم سواء أتى هاشم يحمل الحقيبة الصفراء . أو لم يأت .. ولكن الصوت لا يزال يملأ راسى ، ويردد فى الحاح :

هاشم سيأتى يوم السبت ومعه الحقيبة الصفراء ..

وقضيت اليوم كله ساكتة .. وانا أتحفز لأفعل شيئا .. ولكن لا ادرى بالضبط ما سافعله .. وصورة هاشم تملأ رأسى .. والحقيبة الصفراء .. والصوت المجهول يتردد فى أذنى وقد خطر لى خاطر سريع أن أروى لأبى كل ما حدث وما فعلته لتهريب أموال عائلة محيى الدين .. انه يفهم فى هذه المسائل .. ولعله يعيننى على أن ارتاح .. ولكنى لم اقل شيئا .. ان المشكلة ليست مشكلة تهريب اموال .. انها مشكلة احساسى بأنى كنت ذبابة .. لا .. انها مشكلة هاشم .. لو كان اى شخص غير هاشم . لما احسست إن هناك مشكلة ..

وفى يوم الأربعاء قمت من الفراش ، وفاجأت أمى وأنا ارتدى ثيابى .. وسألتنى فى جزع :

— الى اين ؟

قلت :

— الى السوق ..

قالت :

— ولكنك لازلت مريضه .. الدكتور أمر ..

وقاطعتها :

— انى أعلم حالتى أكثر من الدكتور ..

وسكتت أمى .. خافت أن تجادلنى حتى لا تصيبنى النوبة مرة أخرى ..

وذهبت الى ابى ، وقلت له وانا اقبله فوق وجنته :

— اريد الف ليرة ..

قال وهو ينظر فى دهشة الى ثوبى :

ــ خارجة ؟

قلت :

ــ ذاهبة الى السوق .. انى لم أشتر شيئا منذ عدت الى بيروت ..

ونظر الى أمى فى تساؤل ، وارتسمت حيرة أمى فى عينيه .. وقال وهو يضحك ضحكة خافتة .. ليست ضحكته المنطلقة :

ــ تذهب معك أمك ..

قلت :

ــ لا .. ولا أختى .. سأذهب وحدى .. لا تخف .. انى بخير ..

وعاد يضحك ضحكته الخافتة .. وأخرج حافظة نقوده وناولنى ألف ليرة .. وقلت وأنا أحاول أن أدلله :

ــ أعطنى ألفا أخرى ..

قال :

ــ كثير ..

قلت :

ــ أريد أن أشترى أشياء كثيرة .. وسأرد لك الباقى ..

وقهقه أبى وأعطانى ألفا أخرى ..

وخرجت .. والبيت كله ملهوف ورائى ..

وبلا تردد .. ذهبت الى مكتب شركة الطيران العربية ، وحجزت مقعدا على الطائرة المسافرة الى القاهرة صباح اليوم التالى .. الخميس .. ثم اتجهت الى مكتب البرق .. وأرسلت برقية الى هاشم : « أصلكم غدا على العربية ، أرجو أن تحجزوا لى فى الهيلتون » ..

وعدت الى البيت ..

ونظرت أمى الى يدى الفارغتين وقالت فى دهشة :

ــ الم تشترى شيئا .

قلت وأنا لا أنظر اليها :

ــ لا .. أخذت فكرة عما فى السوق .. غدا سأشترى ..

ودخلت غرفتى .. ورقدت فى فراشى .. متعبة . منهكة .. لا أتحرك .. كأنى أخاف ان تحركت أن يسقط منى تصميمى على العودة الى القاهرة ..

وفى صباح اليوم التالى قمت مبكرة .. قبل أن يصحو أحد فى البيت .. وأعددت حقيبة صغيرة .. ثوبا واحدا . وقميص نوم .. ثم كتبت على ورقة : « لا تنشغلوا علىّ .. سافرت الى القاهرة . سأعود غدا » ..

وخرجت من البيت دون أن يحس بى أحد ..

وجلست فى الطائرة ساهمة واجمة .. كأنى مستسلمة لانسانة أخرى ، هى التى تحركنى وهى التى تدبر خططى ..

واستقبلنى هاشم فى المطار .. على باب الطائرة ..

على شفتيه ابتسامة كبيرة .. وفى عينيه فرحة أكبر .. وتقدم نحوى ووجنتاه ترتعشان ، وارتبك قليلا وهو حائر هل يقبلنى أم يكتفى بمصافحتى .. ولكنى اكتفيت بأن مددت له يدى .. وأبعدت وجهى عنه ..

وصافحنى وهو يهمس :

ــ الحمد لله على السلامة ..

ونظرت اليه ، وأنا أحس بحنان غريب .. كأنى عدت الى طفلى المسكين .. لم أحس بلهفة الشوق ولا باندفاع الحب .. ولكنه حنان هادىء ، كنور الفجر ..

وسرت بجانبه نمر بمكاتب الجوازات ، وصالة الجمرك .. ان هاشم له نفوذه فعلا .. كثيرون يحبونه .. وكثيرون يسارعون الى خدمته .. وأنا فرحة به .. وفرحة بشخصيته الحلوة التى يتعامل بها مع الناس .. فرحة بابنى العجوز ..

وتمت كل الاجراءات فى لحظات ، قبل أن تتم اجراءات بقيه الركاب ..

وركبت بجانب هاشم فى سيارته .. وعيناى معلقتان بوجهه .. انه يبدو أقوى مما تركته .. فى عينيه لمعة قوية .. وعلى شفتيه ابتسامة قوية .. وانفه راقد فوق وجهه فى قوة .. يبدو كأنه استرد كل ما ضاع منه .. استرد شخصيته .. استرد ثقته بنفسه .. ليس حائرا .. ولا مهزوزا .. ولا ضعيفا .. .. لعل مجرد عودتى اليه قد أعادت اليه كل شىء ..

وقال وهو ينظر فى وجهى كأنه يشرب منه بعينيه :

ــ لم اصدق برقيتك .. خفت أن يكون مقلبا ..

قلت وصورة الحقيبة الصفراء تملأ خيالى :

ــ لعل المقلب هو عودتى ..

وضحك فى قوة ، وقال :

ــ انها أحلى مفاجأة .. لقد كنت أعد الساعات التى تفصلنى عنك .. فكنت انت أسرع من الساعات .. ولكن .. لماذا عدت .. لماذا لم تنتظرينى فى بيروت .. كنت تعلمين أنى سأكون هناك يوم السبت ..

قلت وانا اهز كتفى :

ــ لا شىء مهم .. احسست انى اريد ان اعود الى القاهرة فعدت ..

قال وهو لا يزال يضحك :

ـ لقد كنت دائما أخاف استسلامك لأحاسيسك .. ولكنى اليوم أتمنى أن تعيشى العمر كله مستسلمة لأحاسيسك ما دامت تدفعك الى ..

قلت وأنا ابتسم :

ـ هذا احساس اليوم .. لا ادرى احساسى غدا ..

قال وهو يمد يده ويضغط على يدى :

ـ أنى واثق من احساسك اليوم وغدا وبعد غد .. والعمر كله ..

وابتسمت ..

ومرت بيننا فترة صمت ..

وهو لا يزال ينظر الى بعين ، وينظر الى الطريق بعين .. ثم قال :

ـ هل كنت مريضة ؟

ونظرت اليه ، وقلت :

ـ كيف عرفت ؟

قال وهو يتفحص وجهى بعين طبيب :

ـ وجهك ..

قلت بلا مبالاة :

ـ أصبت بنوبة اغماء .. ومرت ..

قال :

ـ لن تصابى بها مرة ثانية .. أعدك بذلك ..

قلت :

ـ ستعالجنى ..

قال مبتسما :

ـ لا .. ولكنى لن أبعد عنك مرة ثانية ..

وابتسمت ساكتة .. وخيالى لا يزال وراء الحقيبة الصفراء .. ثم قلت وانا اتعمد ان اطل من نافذة السيارة حتى اخفى عنه وجهى :

ــ هل اخذت حقيبتى من الهيلتون ..

قال :

ــ نعم .. فى نفس اليوم الذى حادثتنى فيه ..

قلت :

ــ اين هى الآن ..

قال :

ــ احتفظت بها فى العيادة ..

قلت :

ــ لنذهب لاحضارها الآن ..

قال :

ــ لماذا .. ساحملها مع حقائبى وانا مسافر الى لبنان ..

قلت :

ــ لا .. ان فيها اشياء تخص عائلة محيى الدين .. كنت نسيت ان اتركها لهم .. سناخذها من العيادة ، ثم اتركها عند عائلة محيى الدين ..

قال بلا مبالاة ودون ان يحاول ان يفهم شيئا :

ــ كما تريدين ..

قلت :

ــ انى ساعود غدا الى بيروت ..

قال :

ــ الا تنتظرين الى ان نعود معا بعد غد ..

قلت وأنا لا أنظر اليه :

ـــ لا أستطيع .. بابا لم يسمح لى الا بليلة واحدة ..

قال :

ـــ اذن أسافر معك غدا ..

قلت :

ـــ لا .. افضل الا نحمل فى طائرة واحدة ..

وارتسم الكمد على وجهه . وقال :

ـــ لا أريد أن أقضى يوما آخر بعيدا عنك ..

قلت :

ـــ انه يوم واحد ..

وسكت ..

ووصلنا الى العيادة .. وصعد هاشم .. وعاد ووراءه البواب يحمل الحقيبة الصفراء .. وضعها فى المقعد الخلفى من السيارة ..

ولم انظر الى الحقيبة . ولا التفت اليها ، كأنى خشيت أن نظرت اليها أن تفضحنى عيناى .. وقلبى يضرب .. كأنى الوحيدة التى تعلم ان فى هذه الحقيبة جثة قتيل ..

وانطلقنا الى بيت عائلة محيى الدين .

وناديت بواب البيت .. وقلت له وانا أشير الى الحقيبة :

ـــ خذ هذه الحقيبة .. سلمها لرفيق بك ..

وقال البواب ووجهه متهلل للقائى :

ـــ الا تقيمين عندنا ..

قلت :

ـــ لا .. سلم لى على الجميع ..

وحمل البواب الحقيبة .. وانا لا التفت اليهـــا ايضا . اخاف ..

وانطلق هاشم بسيارته ...

وما كاد يبتعد بى عن البيت ، حتى شعرت كأن كل شىء فى يرتخى .. اعصابى المشدودة .. ابتســـامتى المفتعـــلة .. وارتخيت فى مقعدى كأنى سأنام .. وادرت راسى الى هاشم .. ونظرت اليه وعلى شفتى ابتسامة هادئة .. وشعرت انى اريد ان اقبله .. لم أستطع ان أمنع نفسى من تقبيله فشببت اليه بوجهى وقبلته قبلة سريعة على خده ، ثم ملت براسى على كتفه ، وأغمضت عينى ، وهمست :

ــ انى متعبة .. أريد ان أنام ..

ومال على راسى بشفتيه ، وقبلنى فوق جبينى .. كأنه يخدرنى بقبلته ..

وأخذنى الى الهيلتون .. ووقف معى حتى تمت اجراءات الاستقبال .. ثم تركنى اصعد الى الغرفة ، على أن يعود الى فى الساعة الرابعة ..

ونمت ..

نمت وفى قلبى ابتسامة هادئة .. وفى اعصـــابى يسرى احساس مريح لذيذ .. لم اشعر ابدا بمثل هذا الهدوء وهذه الراحة .. كأنى القيت من فوق ظهرى حملا زنته طن .. نامت الذبابة بعد أن تخلصت من خيوط العنكبوت ..

ولا أدرى كم نمت .. ساعة .. ساعتين .. ثلاثا ..

ثم استيقظت مفزوعة على صوت رنين جرس التليفون .. ومددت يدى وانا لا زلت مغمضة العينين ، كأنى أريد أن اخنق هذا الرنين .. وقلت وصوتى نائم :

ـ من ؟
وسمعت صوتا مبهورا يقول لى :
ـ أنا رفيق ..
وفتحت عينى المغمضتين .. وفتحت عقلى .. واستيقظت اعصابى .. وقلت فى حدة :
ـ ماذا تريد ؟
قال كأن كلماته تهرول :
ـ ماذا حدث ؟
قلت وانا أشد حدة :
ـ لا شىء حدث .. فقط لا اريد ان اشترك فى هذه المهمة .
قال :
ـ ألم تسافرى لبنان ..
قلت :
ـ سافرت .. وعدت ..
قال فى توسل :
ـ هل أستطيع ان اراك ..
قلت كأنى أصرخ :
ـ لا ..
قال فى دهشة :
ـ لماذا ؟
وصرخت :
ـ لا اريد ان اراك .. لا اريد ان أرى احدا منكم ..
وقذفت سماعة التليفون ..
وحاولت ان أعود الى النوم .. وضعت الوسادة فوق رأسى .. ثم وضعت راسى مكان قدمى .. وضغطت على عينى بجفنى

كأنى اضربهما حتى يناما .. ولكن ، لا أمل .. لن انام .. وقمت من الفراش وصوت رفيق لا يزال يشق احساسى كأنه سكين .. كأنه يذكرنى بفضيحة ارتكبتها ، فأتقزز من نفسى ..

ودخلت الحمام ، وملأت البانيو ، ورقدت فى الماء الفاتر .. وبدأ احساسى يندمل شيئا فشيئا .. بدأت أعود الى الهدوء والمرح . وشعرت مرة ثانية بأنى خفيفة .. لا شىء يثقل ضميرى .. أحاسيسى كلها منطلقة مرحة .. واخذت اغنى أغنيتى الانجليزية المفضلة « الحقول الخضراء » .. ثم توقفت عن الغناء وعدت افكر من جديد .. لقد انتهت الآن قصة الحقيبة الصفراء .. وأنا سعيدة بانتهائها .. لست سعيدة لأنى لم أهرب النقود ، ولكنى سعيدة لأنى لم اترك عائلة محيى الدين تستغل هاشم ، وتستغل حبه لى .. سعيدة لأنى لم أعد ذبابة ..

ولكن .. بقى هاشم ..

ماذا افعل به ؟

وابتسمت وانا اسأل نفسى ماذا افعل بهاشم .. وبهدوء ودون أن أنفعل ، اقتنعت بينى وبين نفسى بأن قصتى مع هاشم انتهت بانتهاء قصة الحقيبة الصفراء .. كأنى صفيت حسابى معه ، ولم يعد أمامى الا ان انصرف .. واتفق احساسى مع اقتناعى .. وربما اقتنعت لأنى كنت أعلم أن هاشم ينظر الى علاقتنا نظرة أكثر جدية مما احتمل .. ومما أريد . انه يصل بعلاقتنا الى حد التفكير فى الزواج .. وانا لا أريد أن اتزوجه .. ليس الآن .. ولو تزوجت فلن يكون هاشم هو الذى يقنعنى بالزواج . انى أحس به كأنه مسؤولية كبيرة لا أستطيع أن احتملها .. أحس به كأن مركزه ، وعمره ، واحساسه بنفسه . يطلب منى ان اعطيه كل ما عندى .. وانا لا أستطيع أن أعطى كل

ما عندي .. سيظل فى دائما شيء لا اعطيه لاحد .. احتفظ به لنفسي .. حريتى .. انطلاق احاسيسى .. وهاشم لن يحتمل حريتى ، ولا انطلاق احاسيسى .. انه ليس من هذا الصنف من الرجال .. انه الرجل الذى يريد كل شيء .. الرجل الذى يطوى كل من حوله فى شخصيته .. حتى لو كان ضعيفا امامى .. فهذا الضعف نفسه يدل على انه يمر فى فترة عابرة من عمره .. ولن يكون ضعيفا الى الابد ، ولا اريده أن يكون ضعيفا .. ولا أن استغل ضعفه .. ولو تركته يقوى ، فسيقوى علىّ .. وانا لا اريده ايضا أن يقوى علىّ .. اذن فالأفضل لكلينا ان ننتهى ..

وكانت كل هذه الخواطر تمر بى وانا هادئة .. وابتسم .. ابتسم لهاشم .. ابتسم لشخصيته الحلوة .. وقلبه الطيب .. وحبه لى .. لم تكن ابتسامة حب .. ليس هذا النوع من الحب .. انى استطيع الآن ان اتبين انى لا احبه .. وربما ما اعتقدته وانا فى بيروت من انه الحب ، لم يكن الا انعكاسا لتأنيب ضميرى بسبب خطة الحقيبة الصفراء .. انعكاسا لاحساسى بأنى كنت ذبابة .. ولكن هناك شيئا آخر يربطنى بهاشم ، هل اسمى هذا الشيء صداقة .. انفعالا .. انجذابا .. لا أدرى .. ولكنه شيء كبير .. وشيء حلو .. ولكنه ليس الحب .. كما اتخيل الحب ..

وخرجت من الحمام .. ونظرت فى المرآة .. وابتسمت .. ان وجهى قد استرد بعض لونه .. وعيناى استقر فيهما الضوء .. وشفتى دبت فيهما الحياة ..

وارتديت ثيابى .. وخرجت من غرفتى .. ومررت على موظف الاستقبال ، وطلبت منه أن يتأكد من حجز مقعد لى فى الطائرة

المسافرة غدا الى بيروت .. ثم اتجهت الى الكافتيريا ، بعد ان تركت خبرا لهاشم انى انتظره هناك ..

والتقيت في الكافتيريا ببضعة شبان لبنانيين ، فجلست بينهم .. مرحة .. منطلقة .. كما عرفونى .. الى ان لمحت هاشم آتيا من بعيد . فقمت اليه ، قبل أن يصل الىّ ، حتى لا احرجه أمام اصدقائى .

واستقبلنى هاشم وهو يبتسم ابتسامة مهزوزة ، ينظر بها الى الشبان اللبنانيين ، ثم يعود بها الىّ ..

وركبت بجانبه فى سيارته ، واتجهنا الى المقطم .. وهاشم طوال الطريق يحاول ان يجعلنى اتكلم عن سر عودتى الى القاهرة فجأة .. وكنت أعلم باحساسى ماذا يريد أن يسمع منى .. انه يريدنى ان اقول له انى عدت من اجله .. وانى أحبه .. ولكنى لم أقل له .. حتى ولا لأرضيه .. لم أكن أريد أن أطلق له الأمل ..

وسألته :

ــ لا زلت مصمما على ان تأتى الى بيروت ؟

قال فى دهشة :

ــ طبعا ..

قلت :

ــ من اجلى ؟

قال :

ــ من اجلك ..

قلت وانا أبتسم كأنى اربت على اعصابه بابتسامتى :

ــ انى أفضل الا تسافر ..

قال وهو ينظر الىّ فى لوم :

ــ لماذا ؟

قلت :

ـ لأن القاهرة وحدها هي التي نستطيع ان تجمعنا .. بيروت ستفرقنا ..

قال في دهشة :

ـ لماذا ؟

قلت وأنا انظر اليه كأني ارجوه ان يقتنع :

ـ أنا في بيروت انسانة أخرى .. وانت هنا انسان آخر ..

قال :

ـ ان الحب لا يختلف باختلاف العواصم ..

قلت :

ـ انى أخاف حبك ؟

قال :

ـ ماذا يخيفك منه ؟

قلت :

ـ انه اكبر مما احتمله .. ان حبك جاد .. له تقاليد .. وله خط مرسوم .. وانا لا احتمل التقاليد ، ولا الخطوط المرسومة ، ولا الزواج ..

قال وانفاسه مبهورة :

ـ ولكنك عدت الى القاهرة من اجلي ..

قلت :

ـ عدت لأتأكد من انى لا اريد ان اعيش فى القاهرة ..

قال :

ـ وتأكدت ؟ !

ـ تأكدت ..

وغرق وجهه فى سحابة حمراء ، وقال فى حدة :

ـ انى لن استسلم لاحاسيسك المجنونة .. الاحاسيس التى تختلف بين كل لحظة واخـرى .. هذه الاحاسيس تحطم كل من يقترب منك ، ثم ستنتهى بأن تحطمك .. وانا لن اسمح لك بأن تحطمينى ، ولا بأن تحطمى نفسك ..

قلت وانا انظر اليه كأنى اعتذر له :

ـ انك تعلم انى ملك لاحاسيسى ..

قال وهو اكثر حدة :

ـ انك لست ملكا لأحاسيسك .. ولكنك تهربين .. تهربين من كل شىء .. تهربين من الحب .. وتهربين من العائلة .. وتهـربين من الايمان .. وتهربين من عقلك .. وتهربين من المستقبل .. وتسمين هذا الهروب : احساس .. انك مسكينة .. ولن يجديك الهرب .. لن تستطيعى ان تعيشى هاربة العمر كله .. ستجدين نفسك مضطرة يوما الى استعمال ارادتك على نفسك .. وعلى ما تسمينه احساسا .. حتى تتوقفى عن الهروب .. فاذا لم تستطيعى أن تجدى ارادتك ، فستضطرين الى الهروب من الحياة كلها ..

قلت وكلامه يجرى فى عقلى :

ـ تقصد أنتحر ..

قال :

ـ نعم .. تنتحرين .. ولن اتركك الى ان تنتحرى ..

ثم أوقف السيارة ، والتفت الىّ بكل جسمه وقال :

ـ رحاب انت فتاة رائعة .. انت تملكين كل شىء لتكونى سعيدة ، ولتسعدى الانسان الذى يحبك .. ولكنك لم تجدى أحدا

ولا شيئا يرسم لك الطريق .. مرضك فى صغرك ، جعل أهلك يخافون عليك من أن يقيدوك بشيء .. شيء يروض ارادتك ، ويروض احساسك ، ويروض منطقك .. ونحن نولد جميعا بلا ترويض ثم يتولى أهلنا ترويضنا ، ويزيدنا المجتمع ترويضا .. لكنك انت لم تجدى من يروضك ..

قلت مبتسمة :

ــ وأنت ستروضنى ..

قال فى رجاء :

ــ دعينى أحاول ..

قلت وأنا أحاول ان ابتسم :

ــ لقد حاولت طوال خمسة أشهر .. وها أنا كما أنا ..

وسكت قليلا ، ثم قال فى يأس :

ــ لك حق .. ربما لأنى لا أريد ان اروضك لنفسك ، ولكنى أريد أن اروضك لنفسى .. أروضك على حبى .. ان الأب يروض بنته ليعطيها لرجل آخر ولكنى أب يحاول أن يروضك ليحتفظ بك لنفسه ..

قلت فى غضب صادق :

ــ لا تقل انك ابى .. انى أكرهك عندما تتكلم هكذا ..

قال وهو أشد يأسا :

ــ انك لا تحبيننى ..

قلت :

ــ ليس الحب الذى تريده .. ولكنى لا أحبك أيضا كأب .. انى أحبك حبا فيه جمال كثير .. فيه انجذاب .. ان اللحظات التى أقضيها معك هى دائما أسعد لحظات عمرى .. وأنا أخاف على هذا الحب اذا حاولنا أن نحمله أكثر مما يحتمل .. أخاف

عليه ان يحطم .. وانا اريد ان ابقى عليه طول عمرى .. طول عمرى ساشعر بالحاجة اليك .. حاول ان تفهمنى يا هاشم ..
قال ساخرا :

— ان الفهم يحتاج الى عقل .. وانت تدعين انك تنقادين الى احساسك ، لا الى عقلك ..
قلت :

— انى افهم احساسى .. واستطيع ان افهم ما مر بنا منذ التقينا .. لقد مرت بنا ايام كثيرة ضعنا فيها احدنا عن الآخر .. اتدرى متى كنا نضيع ؟ كنا نضيع عندما نحاول ان نقترب .. عندما تحاول أن تعيش فى دنياى .. عندما تحاول أن تنزل الى عمرى . أو عندما احاول ان اصعد الى عمرك .. لقد كنت تترك عملك واصدقاءك لتعيش فى لهوى مع اصدقائى .. وكنت انا اترك انطلاقى وسخافاتى لأعيش فى قيودك وحدك .. فكنا نضيع .. كنت فى هذه اللحظات احس بك بعيدا عنى .. وكنت تحس بى بعيدة عنك .. ولكننا كنا نسعد عندما نلتقى وكل منا فى دنياه .. كنت تسعد بى كفتاة تافهة .. وكنت اسعد بك كشخصية جادة ضخمة .. وستبقى سعادتنا دائما فى احتفاظ كل منا بدنياه .. كل منا يطل على الآخر من دنيا أخرى ويمد له يده ويبتسم له .. صدقنى .. هذه هى الحقيقة .. وانت تقول انى فتاة ذكية .. وانا احدثك الآن بذكائى ..

وصمت هاشم برهة ، ثم خبط على عجلة القيادة بكفه ، وقال فى عناد :

— ساسافر الى بيروت ..

ثم انطلق بالسيارة فى سرعة مجنونة كانه شاب متهور ..

— ٤ —

عدت الى بيروت وأنا سعيدة .. سعادة هادئة لذيذة .. أعصابى كلها مسترخية كأنها راقدة على مقعد مريح .. حتى عناد هاشم واصراره على أن يلحق بى فى بيروت ، كان يشعرنى بالسعادة .. ربما أرضى غرورى ، ولكنها كانت سعادة أعمق من الاحساس بالغرور .. أشبه بسعادة الأم عندما تحس بتعلق ابنها بها ، رغم انها تريده أن يبتعد عنها ليتعـود أن يقف على قدميه ..

انى لم اشعر ابدا من قبل بمثل هذه السعادة الهادئة .. لقد كانت سعادتى دائما سعادة حادة .. كالصراخ .. كانت كل احاسيسى صراخا .. سعادتى صراخ .. وشقائى صراخ .. وحيرتى صراخ .. كنت — كما قلت — أعيش دائما فى قمة الأحاسيس .. ولكنى الآن أحس بأنى فى قمة جديدة على .. قمة الهدوء النفسى .. السكينة .. كأنى راقدة فوق قطعة من السحاب .. ان شيئا فى قد تغير .. لا أدرى ما هو .. ولكن شيئا تغير .. هذه الشهور التى عشتها فى القاهرة ، والأزمات التى مرت بى خلالها ، جعلت منى انسانة أخرى .. انسانة لم أعرفها بعد .. ولكنها انسانة أخرى غير رحاب التى اعرفها ..

وكنت قد قضيت سهرة الأمس مع هاشم .. سهرة صامتة .. وقد حاولنا أن نمدها حتى الصباح .. حتى موعد قيام طائرتى

الى بيروت .. كما فعلنا عندما سافرت فى المرة السابقة .. ولكننا لم نستطع .. لم نحتمل الصمت .. وكان هاشم يبدو فى صمته كأنه يتألم .. كأنه يحاول أن يقتل شيئا داخل نفسه .. ووجهه غارق فى سحابة صفراء .. وخطوط كثيرة تشق جبينه كأنها آثار سكاكين حادة .. وكنت أعلم ما يعانيه .. انه يعانى من ازمة عناد .. من ازمة اصراره على أن نعيش أنا وهو فى دنيا واحدة .. لا يريد أن يقتنع بأن كلا منا خلق لدنياه .. لا يريد ان يستسلم لليأس .. لا يريد أن يتخلى عنى كفتاة يحبها ويكتفى بى كصديقة ..

وقد حاولت كثيرا ان اخفف عنه .. حاولت أن اقطع حبل الصمت الذى يلتف حول عنقى وعنقه .. ولكنى عندما تكلمت قلت كلاما سخيفا ، ليس له معنى .. كلاما مفتعلا .. فاستسلمت انا الاخرى للصمت .. الى ان قررنا اننا لم نعد نحتمل صمتنا ، فافترقنا فى الساعة الحادية عشرة مساء .. ووجهه غارق فى سحابة العذاب .. وشفتاه مكورتان ممطوطتان كأنه طفل عنيد غاضب ..

وصحبنى الى المطار فى اليوم التالى ، وهو لا يزال مصمما على ان يلحق بى فى اليوم الذى يليه .. يوم السبت .

وانحنيت اقبله على خده قبل أن انزل من سيارته .. ولم يبادلنى قبلتى .. اكتفى بأن مال بخده على شفتى ..

ونظرت اليه مبتسمة كأننى أعتذر له .. ثم عدت أقبله مرة أخرى .. وأنا اهمس :

ــ الا تريد ان تقبلنى ؟ .

قال وكأنه يضغط على أعصابه :

ــ لا ..

قلت :

ـــ انك لست غاضبا منى !

قال وهو يتنهد :

ـــ لا ..

قلت :

ـــ عدنى الا تفكر وحدك .. ووفر تفكيرك الى ان نلتقى .. اننا نستطيع أن نتناقش العمر كله ولكنى لن احتمل أن تفكر وحدك .. اخاف أن تكرهنى لو فكرت وحدك ..

قال وهو ينظر الى بعينين يائستين :

ـــ انى لن اكرهك ابدا .. ولكنى اخاف أن اكره نفسى ..

قلت :

ـــ لا .. لن تكره نفسك .. انك لو كرهت نفسك كرهتنى .. نفسك هى التى احبتنى ..

قال :

ـــ ساحاول .. ساحاول أن احب نفسى لانها احبتك ..

قلت وقلبى ملهوف عليه :

ـــ أنا ايضا احببتك .. ولكننا اختلفنا فى طبيعة حب كل منا .. ولابد أن نتفق .. تأكد اننا سنتفق ..

قال :

ـــ باذن الله ..

وانحنيت اقبله مرة ثالثة ..

ومد ذراعه وكأنه لم يعد يستطيع ان يقاوم ـــ وضمنى الى صدره .. وهمس وخده راقد على خدى :

ـــ مع السلامة ..

ونزلت من السيارة ..

وفجأة صاح بى كأنه تذكر شيئا :

— اين حقيبتك الصفراء ؟؟

وارتعشت رموشى فوق عينى . وقلت فى تردد :

— تركتها لعائلة محيى الدين .. لم يكن فيها شىء مهم ..

وابتسم ساكتا ..

وقلت وانا ادير له ظهرى واشوح له بيدى :

— سأنتظرك غدا فى مطار بيروت ..

وتركنى ادخل المطار وحدى كما سبق ان اتفقنا ..

★ ★ ★

ووصلت بيروت وانا سعيدة هذه السعادة الهادئة اللذيذة .. أعصابى كلها مسترخية كأنى راقدة على مقعد مريح .. واستطعت ببساطة أن أهدىء حدة ابى وأمى .. وساعدنى على تهدئتهما انهما لاحظا هدوء اعصابى ، واستردادى لصحتى .. واخذتنى أمى واختلت بى فى حجرتها وسألتنى وهى تحاول أن تشعرنى بانها صديقتى الكبيرة ، عن سر سفرى الى القاهرة ، وأجبتها ببساطة :

— لا شىء . . كان يجب أن اودع أصدقاء نسيت ان اودعهم . .

قالت :

— أتحبينه ؟ . .

قلت فى دهشة :

— من ؟

قالت وهى تنظر فى عينى مبتسمة لتطمئننى :

— الشاب الذى ذهبت اليه ؟

قلت وانا اضحك :

— لا . . لا احبه . ولكنه صديق عزيز . .

قالت، وهى تكشف عن جزعها :

ــ انك لا تخفين عنى شيئا خطيرا ؟ !

قلت :

ــ لا .. صدقينى .. واطمئنى ..

ونظرت الىّ فى تمعن ، وقالت :

ــ يخيل الىّ انك كبرت يا رحاب ؟

قلت :

ــ ربما ...

ثم استطردت كانى تذكرت شيئا :

ــ غدا سيصل صديق من القاهرة .. اريد ان ادعوه الى بيتنا .. لقد اهتم بى هناك ، ودعانى اكثر من مرة .

قالت :

ــ هلّ هو الذى سافرت اليه ؟

قلت وأنا اتجاهل الرد على سؤالها :

ــ انه صديق لعمى الدكتور نور الدين .. وعمى هو الذى قدمنى اليه بخطاب أعطاه لى عندما سافرت الى القاهرة أول مرة .. الا تذكرين ؟

قالت وهى تنظر الى كأنها لا تصدقنى :

ــ أذكر ..

وقمت من جانبها قائلة :

ــ سأتصل بعمى ..

واتصلت بعمى وابلغته خبر وصول هاشم الى بيروت فى الغد ، واتفقت معه على أن نذهب سويا لاستقباله فى المطار ..

وقضيت اليوم كله وأنا أعد برنامج الأيام التى سيقضيها هاشم فى لبنان .. بل أعد الكلمات التى سأقولها له .. وأعد

المواقف، التى تجمعنى معه وحدنا .. واكتشفت انى افكر فى عدوء عجيب .. كأنى كبرت فعلا كما قالت امى .. وكان تفكيرى ينصب على أن أضع هاشم فى جو عائلى .. حتى اقلل من خلواتى معه .. وحتى يساعدنى هذا الجو على أن يكبت هاشم أحاسيسه ..

واستيقظت فى اليوم التالى مبكره .. نشطة .. نشاطا مرتبكا ..

وأخذت سيارتنا وذهبت الى بيت عمى .. وكان لا يزال نائما فايقظته .. واستطعت ان اقنعه بأن نتناول افطارنا فى مطعم المطار .. والدقائق تمر بطيئة .. وصوت الطائرات التى تصل وتغادر المطار يملأ قلبى برجفة عجيبة .. لا يمكن أن تكون كل هذه الرجفة لانى فى انتظار صديق .. او حتى صديق عزيز جدا جدا كهاشم .. ان قلبى يرتجف من اللهفة ، كأنى لم ار هاشم منذ سنوات ، مع انه كان معى امس ..

وأعلن عن وصول الطائرة العربية من القاهرة ..

وجريت وانا اشد عمى ورائى ، ودخلنا ارض المطار .. ورفعت رأسى أبحث عن الطائرة فى السماء ، كأنى أبحث عن أحلامى .

الطائرة تقترب ..

وتقترب ..

هبطت ..

ووقفت ..

وفتح الباب ..

وبدأ الركاب ينزلون واحدا بعد واحد .. ولم يكن هاشم أول

من نزل .. ولا ثانى من نزل .. ولا الثالث .. ولا الرابع

(٥٢٥) و (٥٣٥)

هاشم لم يصل على الطائرة ..

وجريت الى مكتب الشركة أسأل هل هناك طائرة اخرى .. لا ، ليست هناك طائرة أخرى .. ربما يصل على طائرة تابعة لشركة اخرى .. ولكن من العبث أن أبقى فى انتظـــاره فى المطار ..

وعدت الى البيت وانا أشعر بثقل فى قلبى .. أشعر كأنى فقدت كلّ غرورى .. كل ثقتى بنفسى .. كل ما يمكن ان أهتم به .. وفراغ كبير ممتد امامى ..

وما كدت أصل الى البيت حتى ناولنى الخادم برقية باسمى .. برقية من هاشم : « آسف .. عدلت عن السفر » .

وابتسمت ابتسامة حزينة ... ودخلت غرفتى .. وعدت اقرأ الكلمات القليلة من جديد .. وبحثت عن تاريخ وســـاعة ارسالها .. لقد ارسلها بتاريخ الأمس ، فى الساعة التاسعة مساء ... ثم اخذت اقرأ كل كلمة فى البرقية .. حتى الكلمات الحكوميه المطبوعة ..

وانا حزينة ..

لست ثائرة ..

ولكنى حزينة .. حزنا هادئا كسعادتى الهادئة .. وفى نفسى احساس عميق مستقر بأنى فقدت هاشم الى الأبد .. انتهت قصتى معه .. وبدات نقاشا طويلا بينى وبين نفسى . لاقتنع بأن هذا افضل .. على الاقل ، أفضل لهاشم .. ولاقتنع بأن أملى فى أن تستمر ملاحقته لى ، لم يكن لأنى متمســـكة بصداقته ، ولكن لأن هذه الصداقة ، كانت ترضى غرورى ،

هكذا انتهت هذه الصداقة ، فكل ما حدث هو أنى فقدت غرورى ..
ولكن ..
الانسان لا يستطيع أن يعيش بلا غرور .. ويجب ان ابحث بنفسى عن شىء آخر اشبع به غرورى .. ان اشباع الغرور هو اشباع الوقت .. الوقت يحتاج فى كل دقيقة منه الى شىء يملأه .. كالغرور .. فبماذا أشبع وقتى ..
وكنت اناقش نفسى فى هدوء ..
لست محتدة ولا ثائرة ولا عصبية كعادتى ..
وبدأت استعرض الحياة التى يمكن أن أعيشها فى بيروت .. هل أعود الى مقاهى المثقفين المحيطة بالجامعة .. هل اعود لأعيش حياتى لحظة بلحظة .. واحسست كأن كل ما أعرفه فى بيروت سخيف ، تافه .. المقاهى التى اعرفها تافهة .. والأصدقاء الذين أعرفهم تافهون .. ثم احسست أنى لم أعد أستطيع أن أعيش حياتى لحظة بلحظة .. اللحظة لا تكفى للأمل .. وما ينقصنى هو الأمل .. يجب أن يكون لى أمل فى شىء .. أمل يرسم لى طريقا أسير فيه ويشغلنى عن نفسى ، ويملأ وقتى ..
أى أمل ..
أنا لا أجد أملا ..
وصورة هاشم تهتز أمامى .. دون ان استطيع أن اركز ذهنى فيها .. لا استطيع ان الومه لأنه لم يأت .. ولا استطيع ان افكر فى العودة اليه مرة ثالثة .. لا استطيع شيئا الا أن أترك الصورة تهتز امامى ، انظر اليها بعينين جامدتين ، لا تعبران عن شىء ..
ومرت أيام وأنا أعيش فى هذا الهدوء العجيب ، والمناقشة

بينى وبين نفسى لا تنتهى .. ثم جلست ذات يوم أكتب خطابا .. خطابا لهاشم .. خطابا طويلا .. قلت له فيه :

« .. وكل ما أحرص عليه هو أن تفهمنى .. وانا أعلم أن من الصعب عليك أن تفهمنى ، لسبب بسيط هو أنى لا أستطيع أن أفهم نفسى .. وقد كنت أقول لك دائما أنى أعيش ملكا لأحاسيسى .. والأحاسيس لا تفهم .. انها مجرد انطلاقات تعكس الظروف التى يصطدم بها الانسان .. انطلاقات تلقائية ... لا تحكمها ارادة ، ولا يسيطر عليها العقل .. ولكن احساسى بك كان شيئا آخر .. انه احساس أيقظ ارادتى ، ونبه عقلى .. لقد شعرت انى مندفعة اليك كما لم أندفع نحو أى انسان آخر .. وفجأة تنبهت الى هذا الاندفاع .. وتمردت عليه .. وبدأت أستغل ارادتى وعقلى فى تمردى .. كنت أستغل ارادتى حتى لا أزداد اندفاعا .. حتى لا أعطيك ما تريده ، وما أريد أن أعطيك .. وكنت أستغل عقلى لأقنع نفسى بأنى لا أحبك .. بأن كل ما بينى وبينك صداقة كبرت حتى اقتربت من الحب .. ولم يكن هذا صحيحا .. لم يكن ما بينى وبينك صداقة .. انى أستطيع أن أرى حقيقة شعورى الآن وأنا بعيدة عنك .. عندما كنت فى مصر كنت مقتنعة فعلا أن ما بينى وبينك صداقة .. ولكن الآن .. لا .. انى أعرف أن ما كان بينى وبينك هو الحب .. ورغم ذلك فقد كان يجب أن أقاوم هذا الحب .. وأستمر فى مقاومته .. لقد كنت أشعر بأن الريح دفعتنى رغما عنى الى حافة هاوية .. وكان يجب أن أقاوم الريح حتى لا أسقط فى الهاوية .. وعذرا للتشبيه .. فأنت لست هاوية .. أنت جبل .. أنت شجرة قوية تلقى ظلالها بسخاء على الناس لتحميهم من شمس القاهرة .. ولكن

.. رغم ذلك .. كان يجب ان اقاومك .. واستمر فى مقاومتك لأنى لا أريد هذا الحب .. وقد اكتشفت أنى رغم ادعائى بأنى أعيش حياتى لحظة بلحظة ، فقد كان هناك فى داخلى آلة تعمل دائما وترسم لى طريقى الممتد عبر الأيام والسنين .. ترسم لى مستقبلى .. وأنا لا أعلم الى الآن ما هو هذا المستقبل الذى رسم لى ، ولكنى مقتنعة بأنك لست هذا المستقبل .... مستقبلى ليس فى حبك .. هناك دنيا أخرى يجب أن أبحث عنها لأعيش فيها .. مهما تحملت فى سبيل البحث عنها من حيرة واضطراب وقلق ..

« هاشم .. هل ترى فى كلامى صورة فتاة أخرى غير رحاب التى عرفتها .. لقد تغيرت فعلا .. أحس بنفسى انسانة أخرى .. انسانة لها عقل وارادة .. والفضل لك .. انك لا تدرى كم غيرتنى .. لقد نبهنى اندفاعى اليـك ، الى خطورة انقيادى لأحاسيسى .. احاسيسى كلها ؛ تجاه كل الناس ، وتجاه نفسى ، وتجاه الظروف التى تحيط بى .. واكتشفت ان هذه الأحاسيس قد تدفعنى الى ارتباطات كبيرة قد أندم عليها العمر كله .. وقد تدفعنى الى ايذاء ناس لا أريد ايذاءهم .. ثم قد تدفعنى الى ايذاء نفسى .. انى لا أريد أن أوذى نفسى .. انى احب نفسى كما تعلم .. ثم اكتشفت أن من السهل دائما على العقل أن يسيطر على الاحساس ويقوده .. لو ترك له صاحبه متاعب السيطرة والقيادة .. ولو تحمل صاحبه متاعب السيطرة والقيادة .. وكل ما يحتاج اليه العقل هو بعض الموازين التى يزن بها انطلاق الاحساس .. الموازين التى سبق أن حدثتنى عنها .. المبادىء .. القيم . المنطق .. وأنا أبحث لنفسى الآن عن مبادىء وعن قيم ، وعن منطق .. حتى أستطيع أن أحقق بها ما أريده

لنفسي .. بعد أن اكتشفت ما أريده .. يا الله .. من كان يصدق أن رحاب تتكلم هذا الكلام .. رحاب التى لم تكن تطيق أن تخلو الى عقلها لحظة واحدة ، تحاول الآن أن تهب حياتها كلها للعقل .

« يا عزيزى هاشم .. يا أعز من التقيت به .. انى أشكرك، لأنك لم تأت الى بيروت .. من يدرى ، ربما لو أنك أتيت لأنهارت مقاومتى لك ، ولاضطررت الى الاعتراف لنفسى بأنى أحبك .. هذا الاعتراف الذى رفضت أن أواجه به نفسى شهورا طويلة .. ثم لانقدت لحب لست مقتنعة به .. ورغم ذلك .. رغم أنى أشكر لك مساعدتى فى اتخاذ قرارى ، فانى عاتبة عليك .. فقد كنت أنتظر منك رسالة طويلة .. ان ما بينى وبينك لا يمكن أن ينتهى فى كلمتين .. و ..

والخطاب فيه كلام أكثر ..

وقد خيل الىّ وأنا أكتبه ، انى أكتب لنفسى أكثر مما أكتب لهاشم .. كنت أحاول أن أفهم نفسى فهما جديدا .. وساعدتنى الكتابة على هذا الفهم .. ومن يومها وأنا أكتب كثيرا .. أصبحت اكتب مذكراتى يوما بيوم ..

ولم يكن فى مذكراتى خلال الأيام الأولى سوى خواطرى .. ثم بدأت أسجل فيها ملخصا لما أقرؤه .. لقد بدأت أقرأ كثيرا .. لم أكن أقــرأ .. كان كل ما فى رأسى عن الأدباء .. وعن القصص .. وعن الفن .. وعن السياسة ، هو ما أسمعه من أصدقائى فى المقهى .. كلمات متناثرة .. أملأ بها فمى وكأنى فتاة مثقفة .. كلمات لا تعبر عن فهم ولا عن بناء عقلى .. وقد اكتشفت وأنا أقرأ ، عالما جديدا مثيرا ، ممتعا .. عالما مغايرا تماما للعالم الذى كانت تصوره لى كلمات أصدقاء المقهى .. حتى الوجودية ، التى ادعيت يوما أنى من بناتها .. وجدتها شيئا

آخر فى الكتب .. شيئا آخر غير الشعر المنكوش ، والبنطلون والحذاء الواطى ، ورقصة التويست .. الوجودية كما بدأت افهمها هى أن يكون للفرد الحق فى ان يختار مكانه من المجتمع .. فاذا كنت وجودية فمن حقى ان أختار مكانى .. اين مكانى .. ليس لى — حتى هذه اللحظة — مكان ..

وقد شغلتنى القراءة عن العالم الذى كنت اعيش فيه .. لم اعد أطفش من البيت طول النهار كما تعودت .. لم أعد اتحرك كثيرا .. ولكنى افكر كثيرا .. وامى تستمع الى كلامى الهادىء وتصرفاتى الرزينة .. وتطير من الفرح .. الكل من حولى مندهش لتطورى .. وبعد خمسة عشر يوما وصلنى خطاب من هاشم .. الخطاب الذى تمنيته طويلا .. ويئست منه طويلا ..

وقال لى هاشم فى خطابه :

« .. لم يكن سر تعاستى هو اصرارك على ان تضعى حدودا ضيقة لعلاقتنا .. ولكن كان سر تعاستى هو احساسى بضعفى .. ومنذ الأيام الأولى التى جمعتنا وأنا أحس بأنى ضعيف .. وكنت انكر ضعفى .. كان غرورى الذى عشت به طويلا يرفض أن يعترف بأنى ضعفت .. لم أضعف امامك ؛ ولكنى ضعفت أمام نفسى .. وبعد أن سافرت وأنت تلحين علىّ أن يبقى كل منا فى دنياه ، فاضت بى التعاسة الى حد أن اجبرتنى على أن اواجه نفسى .. وأعترف بضعفى .. وقضيت يومى كله أصرخ فى داخلى .. أنا ضعيف . أنا ضعيف .. أنا ضعيف .. وفى لحظة قررت أن اقاوم هذا الضعف .. مهما حدث .. مهما عانيت .. يجب ان اتخلص من الضعف .. ولم يكن هذا سهلا .. تندهشين اذا علمت أنى اضطررت ان اغلق عيادتى شهرا كاملا ، لأتفرغ لمقاومة ضعفى .. وتندهشين اذا علمت أنى قضيت ليالى كثيرة أسكر

.. اسكر حتى افقد الوعى .. وتندهشين أيضا اذا علمت انى مزقت كثيرا من الليالى بين سيقان نوع من النساء لم يدخل حياتى من قبل . وكانت كل هذه جهودا ضائعة .. جهودا كنت أبذلها لأنساك ، وكأى رجل جاهل ، خيل الى انى أستطيع ان انساك بالتفرغ نقتل ذكراك .. اقتلها بالخمر ، وأمتصها من صدرى بشفاه النساء الرخيصات .. ولكن محاولة نسيانك لم تكن لتؤدى بى أبدا الى التخلص من ضعفى .. فأنت لست سبب ضعفى .. هناك سبب آخر يجب ان اكتشفه .. وبدل أن أتفرغ لنسيانك ، فعلت كما فعلت أنت .. تفرغت لمناقشة نفسى .. وخيل الى أن السبب فى ضعفى هو انى وصلت الى سن الخامسة والاربعين وأنا لا أزال واقفا على قدمى .. ليس لى مكان فى الدنيا أجلس فيه .. ليس لى بيت .. ليست لى امرأة .. والرجل لا يستريح الا الى بيت وامرأة .. وقد قضيت هذا العمر الطويل واقفا على قدمى لأنى كنت مغرورا بقوتى .. كنت أعتقد انى استطيع أن أبقى واقفا على قدمى العمر كله .. وحيدا .. متباهيا بوحدتى .. ولكن سن الخامسة والأربعين نبهتنى الى حاجتى الى مكان أرتاح فيه .. ان الخامسة والأربعين سن خطرة .. انها سن المراهقة الثانى .. يفتح الرجل عينيه فيرى طريقا جديدا ممتدا أمامه .. ويرى النهايات تقترب .. نهاية كل شىء .. ويجد فى نفسه تمردا على هذه النهايات .. ويدفعه التمرد الى محاولة تغيير حياته .. الهرب من الطريق .. الهرب من النهاية .. ويجد أن كل ما بناه خلال سنواته الماضية لن يعفيه من النهاية التى تنتظره نهاية كل شىء .. وهذا ما احسست به .. أحسست ان نجاحى كطبيب . وشهرتى .. وثرائى .. ونفوذى .. واصدقائى .. كل هذا لا يساوى شيئا .. كل هذا انا فى غنى عنه .. كل هذا

ليس ما اريده .. تماما كما يبلغ المراهق عمر الخامسة عشرة فيتمرد على والديه .. ويحس انه فى غنى عنهما ، وينطلق يبحث عن حياه جديدة لنفسه .. والمراهقة هى سن الانتقال من حياة الى حياة ، من حالة الى حالة ، وقد كنت فى هذه السن عندما التقيت بك وقد حاولت قبل أن نلتقى أن أنظم حيـــاتى تنظيما جديدا مع فتاة أخرى ، ولكنى فشلت .. وقابلتك مراهقا كبيرا بين شفتيه مرارة الفشل .. وانجذبت اليك من اللحظة الأولى .. تعلق احساسى بك .. ولم اتوقف لأتمعن فى هذا الاحساس . ولم أتمهل حتى ينضج .. ولكنى اندفعت ، اندفعت أكثر منك .. وفى اندفاعى فقدت توازنى .. لم أعد أستطيع ان احكم تصرفاتى .. ان ارسم خطواتى .. كنت اريد ان أصل اليك بسرعة .. بسرعة .. قبل ان يكبر عمرى عاما آخر .. وانقدت الى هذه المحاولات الساذجة التى تعرفينها .. محاولة أن انزل الى عمرك ، او أرفعك الى عمرى .. ولقد كنت فى كل هذا منقادا الى احساسى مثلك ..مجرد الاحساس .. صحيح انى كنت أدعى العقل وارفض الاعتراف بأنى منقاد الى احســـاسى بلا تفكير .. ولكن الواقع غير هذا .. الواقع أنى كنت منقادا .. والفرق بينى وبينك انك بدات تقاومين احساسك قبل أن ابدأ انا فى مقاومة احساسى .. ثم كان الفضل لك فى أنك اتخذت القرار الاخير بتحديد علاقتنا فى حدود ضيقة .. حدود الصداقة .. ولو لم تتخذى هذا القرار لاندفعت فى حبك .. وهو حب حقيقى .. بل انى لا استطيع ان أعترف بحب فى حياتى الا حبك .. انى اعترف بك كأصدق واصرح واقوى فتاة التقيت بها .. ورغم ذلك فقد كان هذا الحب مقضيا عليه بالفشل .. ولو تمهلت عليه قليلا لاكتشفت استحالته منذ اليوم الأول .. فنحن الاثنان

متشابهان .. نقف فى خطين متوازيين لا يمكن أن يلتقيا .. كلانا موجب . أو كلانا سالب .. والحياة فى حاجة الى موجب وسالب .. يخيل الى أن الحب الناجح لا يحتاج الى اثنين متشابهين فى شخصيتهما ، بل يحتاج الى اثنين يكمل احدهما الآخر .. وعندما التقينا لم يكن احدنا يكمل الآخر .. بل كان كلانا متكامل الشخصية امام الآخر ..

« وهذه المناقشة النفسية يا عزيزتى رحاب ردت الى عقلى .. وقد اكتشفت فى نفسى أن من الصعب على قلبى أن يغلب عقلى .. ولكن من السهل على عقلى أن يغلب قلبى .. وان سر فشلى فى جميع المرات التى احببت فيها أن عقلى كان دائما يغلب قلبى .. وعندما انتصر عقلى هدأت نوعا ما .. ولم انتصر على حبك وحده ، بل انتصرت ايضا على سن الخامسة والأربعين .. اكتشفت بعقلى أن سر خوفى وأنا فى سن الخامسة والأربعين هو انى تخيلت أنى قد وصلت الى القمة .. قمة النجاح كطبيب .. وأن ليس بعد القمة الا طريق الهبوط .. طريق النهاية .. ولكن هذا غرور .. انى لم اصل الى القمة .. بينى وبين القمة آلاف السنين .. وبسرعة عدت الى عيادتى .. وانطلقت اعمل .. اعمل بشراهة .. بجنون .. كأنى قررت أن اقطع آلاف السنين فى يومين ..

« انى لن اكتب لك طويلا يا رحاب ، لن اكتب لك كثيرا ، فان الوقت الذى أقضيه فى الكتابة آخذه من مرضاى .. وهم احق به منا نحن الاثنين .. واريدك أن تطمئنى .. انى اهدأ حالا .. ربما لأنى لم اعد اعيش لنفسى ولكنى أعيش لغيرى ولا احس بأحاسيسى ، ولكنى احس بأحاسيس غيرى .. واذا عاش كل منا فى أحاسيس غيره ، لما اضنته أحاسيسه .. وأحيانا تمر بى

لحظات عانى فيها الوحدة .. ولكن من منا لا يشعر بالوحدة احيانا .. ووحدتى لحظات لا البث أن امسحها باهتمامى بعملى .. وشكرا .. انى .. » .

كم مرة قرات هذا الخطاب ؟

عشرة .. عشرين .. لا ادرى .. ولكنى قرأته كثيرا .. وشربت منه احساسا بالثقة فى نفسى .. بالثقة فى عقلى .. انى لم أخطىء عندما تغلبت على حبى لهاشم .. هاشم نفسه يقول انى لم اخطىء ..

ولم ارد على خطاب هاشم ..

اكتفيت بأن كتبت ردا عنيه فى مذكراتى ..

وتفرغت أبحث فى هدوء عن طريقى ..

وقررت أن أعمل ..

أتدرون أين عملت ؟ فى التليفزيون اللبنانى .. وقد رحب بى لبنان كله يوم اشتغلت فى التليفزيون .. رحب بى كوجه جميل ، وابنة الحاج عبد الرحمن التاجر الكبير .. ولكن لبنان وجد فى مزايا اخرى يرحب من اجلها .. شخصيتى .. لقد أعطيت من خلال نشاشة التليفزيون شخصية جديدة لافتاة اللبنانية .. ليست هذه الفتاة التى كنتها .. ليست الفتاة التى ترتدى البنطلون ، وتترك شعرها يسيل على وجهها ، وتمسك بقلم الكحل وورقة الكلينكس فى يدها .. انى الآن امسك فى يدى حقيبة ..

والبرنامج الذى اقدمه هو برنامج « قراءات » .. اقرا كل أسبوع كتابا والخصه واناقشه أمام جمهور التليفزيون .. نجح البرنامج نجاحا ضخما رائعا .. والصحف تكتب عنه باحترام كبير .. وقد أشعرنى هذا النجاح والاحترام بمسئوليتى .. مسئوليتى عن لبنان كله .. بنات لبنان .. اولاد لبنان .. ورجال

لبنى .. رسيدات لبنان .. وأنا سعيدة بهذه المسئولية .. انها تلهينى عن نفسى ، وتملأ وقتى وتشعرنى بشخصيتى .. والطريق يتسع امامى احيانا أتخيل نفسى خلال الطريق بأنى أصبحت سفيرة للبنان فى احدى العواصم الكبرى .. واحيانا أتخيل نفسى نائبه فى البرلمان .. احلام لا تنتهى .. وطموح نظيف .. وكل شىء يمكن ان يحقق .. لقد عرفت الآن الطريق ..

ومن حولى شبان كثيرون ..

يوما ما سأحب واحدا منهم .. أتزوجه .. انى اؤمن الآن بالزواج .. انه الحل الوحيد لتنظيم الحياة .. ونحن لن نستطيع ان نبدع فى الحياة الا اذا نظمناها .. الذين لا ينظمون حياتهم يفتقدون القدرة على الابداع .. ولكن .. هذا حديث سابق لأوانه . انى لم أجد الشاب الذى احبه بعد .. ولا قررت الزواج ..

ومر عام ..

وسافرت الى القاهرة لاقضى اسبوعا .. ارتاح فيه من التليفزيون ..

وكان يجب أن اسافر الى القاهرة ، ليس هناك اى داع لاخاف من ذكرياتى فيها ، أو اتهرب منها ، وأنا لم انس هاشم .. انى أذكره دائما .. وشعره المعبق بالدخان ، وعيناه المنتفختان ، وشفتاه المنفرجتان ، وأنفه الكبير .. كل علامة من علاماته اراها معلقة فوق راسى كلما خلوت بنفسى قبل ان انام .. لكن ذكراه ليس فيها الم ولا ندم .. ذكراه حلوة ، عاطرة تمدنى بالثقة فى نفسى ..

ورغم ذلك فقد انقضت اربعة أيام قبل أن اتصل بهاشم ..

ترددت .. لا ادرى لماذا .. ربما لانى خفت ان اعكر الذكرى .. خفت ألا اجد فى لقائى بهاشم شيئا أجمل من ذكرياتى معه ..

ولكنى لم استطع ان اقاوم معه طويلا .. اتصــلت به فى التليفون .. وما كاد يسمع صوتى حتى صاح :

ــ رحاب .. اين انت ..

قلت :

ــ فى الهيلتون ..

قال بسرعة وصوته يزغرد بفرحته :

ــ ساامر عليك الساعة الثانية ، انتظرينى .. انى مشغول الآن ..

قلت وانا الهث وراء كلماته المتعجلة :

ــ ألا تستطيع ان تأتى فى الواحدة ..

قال فى عجلة وقوة :

ــ مستحيل .. العيادة مزدحمة .. انتظرينى .. انى فى شوق اليك .. الحمد لله على السلامة ..

وانهى المحادثة بسرعة ..

وابتسامة وسماعة التليفون لا تزال فى يدى .. كأنى ابتسم لطفلى الكبير وانا اراه منهمكا فى استذكار دروسه ..

ولم يأت هاشم الا فى الساعة الثانية والنصف .. صعد الى غرفتى .. وما كاد يلمحنى حتى اتسعت عيناه دهشة ، وامسك بكلتا يدى ، وقال بلهجته المصرية الحلوة المرحة :

ــ مش معقول .. امال فين رحاب .. انت اجمل منها .. واكبر ..

قلت وانا ابتسم واملأ عينى منه :

ــ هذه رحاب بعد ان عرفتك ..

قال وفى عينيه نظرة طيبة مبتسمة :

ـ لا .. بعد أن عرفت نفسها ..

ولم يقبلنى .. ظل ممسكا بكلتا يدى .. وعيناى تقبلان كل قطعة من وجهى ، وانا لا زلت اماُلا عينى منه .. انه اسمن قليلا مما تركته .. ووجهه أكثر قوة .. ليس فيه هذا النحول والاصفرار .. وشعره أكثر بياضا ، ولكنه يبدو أصغر من سنه .. وانفه ايضا يبدو اصغر وسط وجهه القوى ..

وتبادلنا ذكرياتنا ونحن نضحك .. لا نكاد نبدأ فى ذكرى ، حتى ننتقل الى ان قال هاشم وهو محتفظ بمرحه :

ـ أتعلمين اخر اخبارى ؟

قلت :

ـ خير ..

قال وهو يضحك :

ـ سأتزوج الأسبوع القادم ..

واحسست بلحظة صمت ، طوت ضحكة هاشم ، واستقرت فى قلبى .. لا أدرى لماذا احسست بهذه اللحظة .. ربما لأنى مهما ادعيت القوة .. ومهما باعدت بينى وبين هاشم ، ومهما اقتنعت بانه ليس لى، فان انانيتى .. انانية كل امراة .. تبخل أن تتنازل عن رجل لأخرى .. حتى لو كان هذا الرجل مجرد ذكرى ..

وقلت وانا احاول أن اضحك :

ـ احببت من جديد .. وبسرعة !

قال وابتسامته مستقرة فى هدوء وثقة فوق شفتيه :

ـ لا .. سأتزوج فتاة خطبتها لى امى منذ عشرين سنة ..

قلت وانا أدعى الدهشة :

ـــ وانتظرتك طول هذه المدة ؟

قال :

ــ لا .. تزوجت ، وانجبت ثلاثة أولاد .. ثم توفى عنها زوجها ..

قلت في خبث :

ــ واكتشفت بعد عشرين سنة أنك تحبها ؟

قال في هدوء :

ــ اني مقتنع بها ويخيل الى ان الاقتناع هو الطريق السليم الى الحب ..

ونظر الى كأنه يذكرني بقصتنا معا :

ــ ان الطريق من العقل الى القلب ، أسهل من الطريق من القلب الى العقل .. العقل اقدر على اقناع القلب .. من قدرة القلب على اقناع العقل ..

قلت وصوتي خافت :

ــ هذا صحيح .. مبروك ..

وقال كأنه لا يزال يحادث نفسه :

ــ لقد وجدت في هذه السيدة كثيرا مما ينقصني .. انها تكملني ..

قلت كأنى اذكره بخطابه :

ــ سالب وموجب ! ؟

قال :

ــ نعم .. سالب وموجب .. والفرق بين عمري وعمرها عشر سنوات ، فرق معقول .. ولكنى عندما اجلس معها احس بأني اصغر منها .. تصوري .. منذ خطبتنا ، زدت ساعات عملي .

قلت وانا انظر فى وجهه كانى ابحث عن نفسى :
ــ اعتقد ان هذا دائما تاثير الزوجة الكاملة ..
قال وصوته منطلق كأنه طفل مرح :
ــ ساعرفك بها .. نتعشى غدا معا .. فى بيت أختى ..
ــ احب أن اعرفها .. ولكنى لا اريد ازعاجك .. استأذنها أولا ..
قال :
ــ انها تعرفك .. وتحترمك .. قدر احترامى لك ..
ثم قفز واقفا واستطرد :
ــ يجب أن اذهب ..
قلت فى دهشة :
ــ ألا تدعونى الى الغداء ؟
قال فى عجلة وهو يضحك :
ــ بسيطة .. انتظرى حتى الساعة الرابعة .. الى ان انتهى من زيارة مريض .. ثم أعود اليك لأدعوك الى تناول ساندويتش ساعة الغداء ..
قلت وانا اقف لأودعه :
ــ لا .. عندك الآن من ينتظرك ..
ونظر الىّ طويلا ، وهم ان يقول شيئا .. ولكنه لم يقله .. وجرى نحو الباب وهو يقول فى مرح :
ــ غدا سامر عليك فى التاسعة والنصف مساء ..
وخرج وابتسامة هادمة تملأ قلبى .. ان هاشم تغير .. تغير الى رجل اقوى .. الى رجل آخر .. غير الذى احتفظ به فى ذكرياتى .. وربما كان دائما هذاالرجل القوى .. وانا ام

دجمعنى به الا لحظة من لحظات ضعفه .. وصعمى ..

وعاد الى فى اليوم التالى .. جاء متأخرا ايضا .. فى الساعة العاشرة ، وصحبنى الى بيته فى المعادى لتناول العشاء ..

والتقيت هناك بخطيبته ..

انها سيدة رائعة ..

رائعة فعلا ..

وفى اليوم التالى زرت مبنى التليفزيون المصرى .. ان الفرق بين تليفزيون مصر وتلفزيون لبنان هو أن .. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

« تمت »

مكتبة مصر

سعيد جوده السحار وشركاه

تقدم قائمة بمؤلفات عمالقة القصة المصرية

كتب للأستاذ احسان عبد القدوس

(١) صانع الحب
(٢) بائع الحب
(٣) أنا حرة
(٤) الطريق المسدود
(٥) أين عمرى
(٦) النظارة السوداء
(٧) فى بيتنا رجل
(٨) لا انام
(٩) منتهى الحب
(١٠) لا تطفىء الشمس (جزآن)
(١١) شىء فى صدرى
(١٢) زوجة أحمد
(١٣) البنات والصيف
(١٤) لا شىء يهم
(١٥) أنف وثلاث عيون (جزآن)
(١٦) شفتاه
(١٧) لا .. ليس جسدك
(١٨) عقلى وقلبى
(١٩) بئر الحرمان
(٢٠) علبة من صفيح
(٢١) ثقوب فى الثوب الأسود
(٢٢) بنت السلطان
(٢٣) سيدة فى خدمتك
(٢٤) نساء لهن أسنان بيضاء
(٢٥) لا استطيع أن أفكر وانا ارقص
(٢٦) الوسادة الخالية
(٢٧) دمى ودموعى وابتساماتى
(٢٨) للراقصة والسياسى
(٢٩) حتى لا يطير الدخان
(٣٠) لا تتركونى هنا وحدى
(٣١) الحياة فوق الضباب
(٣٢) اسف لم أعد استطيع
(٣٣) وتاهت بعد العمر الطويل
(٣٤) لم يكن أبدا لها
(٣٥) ونسيت انى امرأة .

مؤلفات الأستاذ نجيب محفوظ

اسم الكتاب		تاريخ اول طبعة		تاريخ آخر طبعه
مصر القديمة		١٩٣٢		
همس الجنون	مجموعة	١٩٣٨	العاشرة	١٩٧٩
عبث الاقدار	رواية تاريخية	١٩٣٩	الحادية عشرة	١٩٨٥
رادوبيس	رواية تاريخية	١٩٤٣	العاشرة	١٩٨١
كفاح طيبة	رواية تاريخية	١٩٤٤	الحادية عشرة	١٩٨٥
القاهرة الجديدة	رواية	١٩٤٥	الثانية عشرة	١٩٨٤
خان الخليلي	رواية	١٩٤٦	العاشرة	١٩٧٩
زقاق المدق	رواية	١٩٤٧	الحادية عشرة	١٩٨٥
السراب	رواية	١٩٤٨	الثانية عشرة	١٩٨٤
بداية ونهاية	رواية	١٩٤٩	الرابعة عشرة	١٩٨٤
بين القصرين	رواية	١٩٥٦	الثانية عشرة	١٩٨٣
قصر الشوق	رواية	١٩٥٧	الثانية عشرة	١٩٨٤
السكرية	رواية	١٩٥٧	الحادية عشرة	١٩٨٤
اللص والكلاب	رواية	١٩٦١	التاسعة	١٩٨٠
السمان والخريف	رواية	١٩٦٢	الثامنة	١٩٨٤
دنيا الله	مجموعة	١٩٦٢	الخامسة	١٩٧٨
الطريق	رواية	١٩٦٤	الثامنة	١٩٨٤
بيت سيء السمعة	مجموعة	١٩٦٥	السابعة	١٩٨٣
الشحاذ	رواية	١٩٦٥	الثامنة	١٩٨٥
ثرثرة فوق النيل	رواية	١٩٦٦	السادسة	١٩٨٣
ميرامار	رواية	١٩٦٧	الخامسة	١٩٧٩
خمارة القط الاسود	مجموعة	١٩٦٩	السابعة	١٩٨٥
تحت المظلة	مجموعة	١٩٦٩	السادسة	١٩٨٤

اسم الكتاب		تاريخ اول طبعه		تاريخ آخر طبعه
حكاية بلا بداية ولا نهاية	مجموعة	١٩٧١	السادسة	١٩٨٤
شهر العسل	مجموعة	١٩٧١	السادسة	١٩٨٢
المرايا	رواية	١٩٧٢	الرابعة	١٩٨٠
الحب تحت المطر	رواية	١٩٧٣	الرابعة	١٩٨٠
الجريمة	مجموعة	١٩٧٣	الخامسة	١٩٨٤
الكرنك	رواية	١٩٧٤	السادسة	١٩٨٢
حكايات حارتنا	رواية	١٩٧٥	الخامسة	١٩٨٤
قلب الليل	رواية	١٩٧٥	الثالثة	١٩٨١
حضرة المحترم	رواية	١٩٧٥	الرابعة	١٩٨٣
ملحمة الحرافيش	رواية	١٩٧٧	الثالثة	١٩٨٤
الحب فوق هضبة الهرم	مجموعة	١٩٧٩	الثالثة	١٩٨٤
الشيطان يعظ	مجموعة	١٩٧٩	الثالثة	١٩٨٤
عصر الحب	رواية	١٩٨٠		
افراح القبة	رواية	١٩٨١	الثانية	١٩٨٣
ليالى الف ليلة	رواية	١٩٨٢	الثانية	١٩٨٣
رايت فيما يرى النائم	مجموعة	١٩٨٢	الثانية	١٩٨٤
الباقى من الزمن ساعة	رواية	١٩٨٢	الثانية	١٩٨٥
امام العرش (حوار بين الحكام)		١٩٨٣	الثانية	١٩٨٥
رحلة ابن فطومة	رواية	١٩٨٣		
التنظيم السرى	مجموعة	١٩٨٤		
العائش فى الحقيقة	رواية	١٩٨٥		
يوم قتل الزعيم	رواية	١٩٨٥		

تحت الطبع

حديث الصباح والمساء رواية

صباح الورد مجموعة

دار مصر للطباعة
٣٧ شارع كامل صدقى
سعيد جودة السحار وشركاه

رقم الايداع ٢٨٦٤

الترقيم الدولى ٤ — ٤٤٥ — ٣١٦ — ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن ٣٥٠ قرشا